دير القديس أنبا مقار

الرسالة إلى العبرانيين

شرح ودراسة

أغنى الرسائل في التعرّف على شخص المسيح

الأب متى المسكين

كتاب: الرسالة إلى العبرانيين: شرح ودراسة.
«أغنى الرسائل في التعرُّف على شخص المسيح».
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٩٣
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـــ وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٤٦٠٩ / ١٩٩٣
رقم الإيداع الدولي: I.S.B.N. 977-240-041-3
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات الحسَّاسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غنًى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارىء بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إيليا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب ويصا	تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحسَّاس للصفحات المجموعة للنص.
الأب برتي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأُولى.
الأب أوجينيوس	آلة الطباعة الأوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة خياطة الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب دوروثيئوس	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب أخنوخ	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب صوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.
الأب يسطس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس	مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب أبرآم	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب جيروم	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف، ثم الطباعة والتجليد.

وأخيراً ـــ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارىء، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار — السبت ٥ يونيو سنة ١٩٩٣ ـــ ٢٩ بشنس ١٧٠٩ش.

عشية عيد حلول الروح القدس (العنصرة)

المحتويـات

الصفحة

تقديم ١٧

المدخل إلى شرح الرسالة إلى العبرانيين ٢٣

الفصل الأول: ظروف كتابة الرسالة إلى العبرانيين ٢٤

١ ــ كاتب الرسالة ومدى قانونيتها ٢٤

٢ ــ عنوان السفر كما وُجد في المخطوطات القديمة ٣٠

٣ ــ طبيعة هذا السفر وهل هو رسالة؟ ٣١

٤ ــ موضع هذا السفر (الرسالة إلى العبرانيين) بين بقية الأسفار (الرسائل) ٣٢

٥ ــ لمن كُتبت هذه الرسالة ٣٣

٦ ــ تاريخ كتابة الرسالة إلى العبرانيين ٤١

٧ ــ مكان كتابة الرسالة إلى العبرانيين ٤٢

الفصل الثاني: خصائص الرسالة إلى العبرانيين وأهميتها ٤٣

أولاً: مبدأ بأهميتها ٤٣

ثانياً: خصائص الرسالة إلى العبرانيين ٤٧

كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح ٦١

ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح المقدسة ٦٢

المسكن القديم (القدس العالمي) والمسكن الجديد في السماء ٦٤

الأغراض الرئيسية من الرسالة برمتها ٦٥

مقدار التشابه في العناصر الموضوعية بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى ٦٩

إنجيل القديس يوحنا وسفر العبرانيين ٦٩

الرسالة الأولى لبطرس الرسول وسفر العبرانيين ٧١

رسائل بولس الرسول وسفر العبرانيين ٧٢

الفصل الثالث: دراسة تمهيدية عن النبوة والأنبياء ٧٥

أولاً: ما هي النبوة؟ ٧٦

ثانياً: من هم الأنبياء وعددهم ٨٠

(أ) النبي هو المتكلم بفم الله ٨٠

(ب) النبي هو «الرائي» أيضاً في اعتبار العهد القديم ٨١

(ج) النبي هو رسول رب الجنود ٨٤
(د) النبي هو «عبدي» ٨٤
(هـ) النبي هو «رجل الله» ٨٥
جدول بأسماء الأنبياء الواردة في الأسفار المقدسة
مع أزمنة نبواتهم والملوك المعاصرين لهم ٨٦
ثالثاً: وظيفة الأنبياء ٨٧
رابعاً: النبي الصادق والنبي الكاذب ٩٠
خامساً: علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيا «شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ١٩: ١٠) ٩٣
سادساً: الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبواتهم ٩٧
سابعاً: توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء ١٠٥

شرح الرسالة إلى العبرانيين

الأصحاحات	أقسام الرسالة	أرقام الآيات	الصفحة
الأصحاح الأول	ديباجة الرسالة	١:١–٤	١١٢
	أولاً: الاستعلان في القديم بالأنبياء والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن	١:١و٢	١١٣
	ثانياً: طبيعة وعمل الابن	١:٣	١٤٢
	ثالثاً: آية الانتقال إلى موضوع الرسالة	١:٤	١٦٥
	الدفاع الأول: تفوّق الابن على الملائكة	١:٥–٢:١٨	١٧٠
	القسم الأول: شهادة الأسفار لرفعة شأن الابن فوق الملائكة	١:٥–١٤	١٧٠
	أولاً: تفوّق الابن على الملائكة باعتبار بنوته لله	١:٥–٦	١٧١
	ثانياً: علو كرامة الابن باعتباره ملكاً ممسوحاً من الله	١:٧–٩	١٨٤
	ثالثاً: علو كرامة الابن باعتباره الأزلي خالق الكون ومقارنته بالفانيات	١:١٠–١٢	١٩١
	رابعاً: تفوّق الابن وعلو كرامته بجلوسه على العرش عن يمين الآب في جلال الملوكية تعبيراً عن النصرة	١:١٣–١٤	٢٠٢
الأصحاح الثاني	استمرار الدفاع الأول بخصوص تفوّق الابن على الملائكة		٢١١
	القسم الثاني: خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن	٢:١–٤	٢١٣
	القسم الثالث: تدبير الله لمستقبل الإنسان بتألّم ابنه	٢:٥–١٨	٢٢٨
	الفكر الأول في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتألّم ابنه	٢:٥–٩	٢٢٩
	الفكر الثاني في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتألّم ابنه	٢:١٠–١٨	٢٤٤
	الخطوة الأولى: علاقة ابن الله بالأبناء الذين سبق فعيّنهم لميراث المجد	٢:١٠–١٣	٢٤٤

	الخطوة الثانية: أن التجسد جمعهما معاً :		
	ابن الله الوحيد وهم كبشر	٢: ١٤-١٦	٢٥٤
	الخطوة الثالثة : لماذا جاء التجسد كضرورة حتمية		
	لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا	٢: ١٧-١٨	٢٦٢
	الدفاع الثاني: تفوُّق المسيح على موسى ويشوع وتفوُّق الراحة		
	التي يقدِّمها المسيح على راحة العهد القديم	٣: ١ — ٤: ١٣	٢٧١
الأصحاح	أولاً: بين موسى خادم خيمة الاجتماع والمسيح الابن	٣: ١-٦	٢٧٦
الثالث	صاحب البيت وبيته نحن الكنيسة		
	ثانياً: تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم (شرح مزمور ٩٥)	٣: ٧ — ٤: ١٣	٢٩٥
	١ ـ الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله	٣: ٧-١٩	٢٩٦
	(أ) التذمر في البرية	٣: ٧-١١	٢٩٧
	(ب) تطبيق درس التذمر في البرية	٣: ١٢-١٥	٣٠٨
	(ج) الدرس المستفاد من المزمور كله بتدقيق	٣: ١٦-١٩	٣١٧
الأصحاح	٢ ـ الراحة السماوية باقية لنا	٤: ١-١٣	٣٢٣
الرابع	(أ) الوعد بالراحة السماوية لا يزال قائماً		
	لأنه لم يتحقق بعد	٤: ١-١٠	٣٢٤
	(ب) مسئولية دعوة الدخول إلى راحة الله خطيرة		
	والإنسان ليس حراً في قبولها أو رفضها	٤: ١١-١٣	٣٣٧
	ختام الأصحاح الرابع: الانتقال إلى موضوع الدفاع الثالث:		
	تقديم لعقيدة المسيح كرئيس كهنة (كهنوت المسيح)	٤: ١٤-١٦	٣٤٧
	الدفاع الثالث: تفوُّق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم	٥: ١ — ١٠: ١٨	٣٥٩
	الجزء الأول: كهنوت المسيح من حيث طبيعته الفائقة	٥: ١ — ٧: ٢٨	
الأصحاح	**أولاً: مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني**		
الخامس	**ومدى انطباقها على المسيح إنما بصورة فائقة**	٥: ١-١٠	٣٦١
	(أ) يتحتم أن يكون بشراً متضامناً مع البشر	٥: ١-٣	٣٦١
	(ب) يلزم أن لا يعيِّن نفسه بل يعيِّنه الله	٥: ٤-١٠	٣٦٦
	ثانياً: **تمهيد للكشف عن أسرار المسيح**	٥: ١١ — ٦: ٢٠	٣٨٧
	(أ) **وقفة للمراجعة والتقريع**: بلادة هؤلاء العبرانيين	٥: ١١-١٤	٣٨٧
الأصحاح	(ب) **التحذير المخيف**:	٦: ١-٢٠	٣٩٧
السادس	١ ـ التقدم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية	٦: ١-٣	٣٩٨
	٢ ـ مصير المرتدين عن الإيمان حينما تضيع فرصة التوبة	٦: ٤-٨	٤٠٥
	٣ ـ عودة إلى التشجيع وإلقاء الرجاء في قلوبهم	٦: ٩-١٢	٤٢١
	٤ ـ صدق مواعيد الله	٦: ١٣-٢٠	٤٢٨

الأصحاح السابع	**ثالثاً: مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق على خلفية ملكي صادق**	٧:١-٢٨	٤٣٩
	١ ــ ملكي صادق الكاهن والملك	٧:١-٣	٤٤٠
	٢ ــ مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي	٧:٤-١٠	٤٦١
	٣ ــ عدم كمال الكهنوت اللاوي	٧:١١-١٤	٤٦٥
	٤ ــ تفوُّق الكهنوت الجديد	٧:١٥-١٩	٤٧٠
	٥ ــ امتياز كهنوت المسيح يؤكده قَسَم إلهي	٧:٢٠-٢٢	٤٧٣
	٦ ــ دوام كهنوت المسيح هو السر الفائق لفاعليته	٧:٢٣-٢٥	٤٧٥
	٧ ــ صفات المسيح أضفت على الكهنوت تفوُّقاً لانهاية له	٧:٢٦-٢٨	٤٧٩
	الجزء الثاني (من الدفاع الثالث):		
	كهنوت المسيح من حيث عمله الفائق	٨:١ — ١٠:١٨	٤٨٧
الأصحاح الثامن	**أولاً:** منظر المسيح كرئيس كهنة سماوي، وما تضمنه من الشروط للقيام بالخدمة:	٨:١-١٣	٤٨٧
	(أ) الهيكل الجديد	٨:١-٦	٤٨٨
	(ب) العهد الجديد	٨:٧-١٣	٤٩٨
الأصحاح التاسع	**ثانياً:** الخدمة القديمة والخدمة الجديدة كفّارة المسيح في مقابل كفّارة الناموس	٩:١-٢٨	٥١٥
	(أ) ذكر أجزاء الخيمة القديمة ومحتوياتها والامتيازات المحددة لخدمة الكهنوت القديم في أسلوب احترامي ووقار مقصود	٩:١-١٠	٥١٦
	١ ــ الخيمة وأجزاؤها ومحتوياتها	٩:١-٥	٥١٦
	٢ ــ خدمة الكهنوت داخل الخيمة	٩:٦-٧	٥٢٢
	٣ ــ القصد من محدودية الخدمة الضيقة	٩:٨-١٠	٥٢٤
	(ب) كفارة المسيح كرئيس كهنة أعظم، المؤسسة على العهد الجديد	٩:١١-٢٨	٥٣١
	دم المسيح: الحقائق المرصودة في الرسالة عن دم المسيح	٩:١٣-٢٢	٥٤٠
	١ ــ دم المسيح يطهِّر الضمير في مقابل ذبائح اللاويين التي تطهر الجسد	٩:١٣-١٤	٥٤٠
	٢ ــ دم المسيح أساس العهد الجديد في مقابل دم الحيوانات الذي تأسس عليه العهد القديم	٩:١٥-٢٢	٥٤٣
الأصحاح العاشر	**ثالثاً:** الذبائح القديمة، والذبيحة الجديدة الواحدة العظمى وأثرها الخالد والدائم إلى الأبد	١٠:١-١٨	٥٥٩
	مراجعة سريعة لأجزاء الرسالة إلى العبرانيين		٥٨٨

بقية	**تطبيقات عملية:**	٣٩-١٩:١٠	٥٨٨
الأصحاح	**النقلة الأولى:** الدخول إلى الأقداس العليا بدم يسوع	٢٥-١٩:١٠	٥٨٩
العاشر	**النقلة الثانية:** تحذيرات من السقوط والهلاك	٣١-٢٦:١٠	٦٠٧
	النقلة الثالثة: التعزية الأخيرة	٣٩-٣٢:١٠	٦٢١
	(أ) ذكريات الماضي الحلوة وما كان فيها من صبر وشكر	٣٤-٣٢:١٠	٦٢١
	(ب) تحذيرات لئلا نفقد الجعالة ونتلف ثمر جهادنا	٣٩-٣٥:١٠	٦٢٦
الأصحاح	**جوقة من أبطال الإيمان**		
الحادي عشر	**وانتصارات للإيمان تهز القلوب**	٤٠-١:١١	٦٢٣
	ارتباط الأصحاح الحادي عشر بما يسبقه وبما يليه		٦٣٤
	+ تعريف الإيمان	٣-١:١١	٦٣٥
	+ لوحة شرف تتلألأ بنجوم الإيمان	٣٨-٤:١١	٦٣٨
	+ إيمان البطاركة الأولين	٢٢-٨:١١	٦٤٣
	السمة المميزة لإيمان البطاركة الأولين	١٦-١٣:١١	٦٤٩
	نماذج حية من إيمان الآباء البطاركة الأولين	٢٢-١٧:١١	٦٥٣
	+ الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير	٣١-٢٣:١١	٦٦٥
	موسى قائد الخروج: سورة القادي الحديرة بالاحترام	٢٨-٢٣:١١	٦٦٥
	إيمان الشعب	٣١-٢٩:١١	٦٧٥
	أنشودة البحر: مخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله		٦٧٦
	+ الإيمان في بكور قيام إسرائيل	٣٨-٣٢:١١	٦٨١
	أولاً: الذين عملوا أعمالاً عظيمة	٣٥-٣٢:١١	٦٨٢
	ثانياً: الذين تحملوا مشقات عظيمة	٣٨-٣٥:١١	٦٨٩
الأصحاح	**الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان**	٢٩-١:١٢	٦٩٩
الثاني عشر	**الخط الأول:** الانضباط والاحتمال	١٣-١:١٢	٧٠٠
	التوجيه الأول: تقديم الدوافع التي تشجع		
	بل تحتم الانضباط والاحتمال	١:١٢	٧٠٠
	التوجيه الثاني: النموذج الإلهي الحي الفعال	٣و٢:١٢	٧٠٤
	التوجيه الثالث: القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال	١٣-٤:١٢	٧١٠
	+ تأديب الأبناء من الآباء الجسديين		
	وتأديب الأبناء الروحيين من أبي الأرواح	١١-٩:١٢	٧١٨
	+ دعوة إلى نهضة روحية	١٣-١٢:١٢	٧٢١
	الخط الثاني: التمسك بالسلام والنقاوة	١٧-١٤:١٢	٧٢٤
	الخط الثالث: التزامات يحتمها العهد الجديد	٢٩-١٨:١٢	٧٣٢
	(أ) حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى	٢١-١٨:١٢	٧٣٢

(ب) حال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع	١٢ : ٢٢-٢٩	٧٣٤
+ مدينة الله الحي أورشليم السماوية	١٢ : ٢٢	٧٣٧
+ والآن احترسوا وانتبهوا لصوت الله	١٢ : ٢٥	٧٤٧
+ نبوة عن كيفية زوال الأرض والسماء واستعلان الملكوت الأبدي	١٢ : ٢٦-٢٨	٧٥٠
الأصحاح الثالث عشر — ختام الرسالة: وصايا راعوية	١٣ : ١-٢٥	٧٥٩
١ ــ واجبات اجتماعية (كنسية)	١٣ : ١-٦	٧٦١
٢ ــ واجبات دينية: التقليد الأبوي والتمسك بالتعليم الصحيح	١٣ : ٧-١٧	٧٧٠
الخضوع والطاعة للمدبرين	١٣ : ١٧	٧٨٨
٣ ــ وصايا شخصية	١٣ : ١٨-٢٥	٧٩١
+ كلمة ختام		٧٩٦
الفهارس الموضوعية		٧٩٧

مراجع الكتاب

BIBLIOGRAPHY

ATTRIDGE, Harold W., *A Commentary on the Epistle to the Hebrews*, (Hermeneia, A Critical and Historical Commentary on the Bible, Fortress Press, 1989).

BARMBY, J., *Hebrews*, Exposition, (The Pulpit Commentary, Vol. 21, reprint 1980).

BROWN, Raymond, *The Message of Hebrews*, (The Bible Speaks Today 1982).

BRUCE, F.F., *The Epistle to the Hebrews*, (New London Commentaries 1964, 1977[5]).

BUCHANAN, George Wesley, *To the Hebrews*, (The Anchor Bible 36, Doubleday 1972).

CHRYSOSTOM, St. John, *Homilies on Hebrews*, (Nicene and Post Nicene Fathers, 1st Series, Vol. XIV, Eerdmans, reprint 1969).

COTTON, J.H., *The Epistle to the Hebrews, Exposition*, (Interpreter's Bible, Vol. XI, Abingdon, 1955).

DAVIES, J.H., *A Letter to Hebrews, Commentary*, (The Cambridge Bible Commentary , Cambridge 1967).

EDWARDS, T.C., *The Epistle to the Hebrews*, (New York, 1888).

EVANS, Louis H., *Hebrews*, (The Communicator's Commentary, Vol. 10, Word Books Pub., Texas, 1985).

GUTHRIE, Donald, *The Letter to the Hebrews, an Introduction and Commentary*, (Tyndale New Testament Commentaries, 1983, reprint 1989).

JERDAN, C., *Hebrews*, Homiletics, (The Pulpit Commentary, Vol. 21, reprint 1980).

LÜNEMANN, G., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Hebrews*, (Meyer's Commentary on the New Testament, Vol. 9, 1883, reprint 1983).

MACAUBY, J.C., *Expository Commentary on Hebrews*, (Moody Press, Chicago, 1948, reprint 1978).

MOFFATT, James, *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistle to the Hebrews*, (International Critical Commentary, 1924, reprint 1986).

MONTEFIORE, Hugh, *The Epistle to the Hebrews*, (Black's New Testament Commentaries, London, 1964, reprint 1987).

PLUMER, William S., *Commentary on the Epistle of Paul, The Apostle, to the Hebrews*, (1872, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan, reprint 1980).

PURDY, A.C., *The Epistle to the Hebrews, Introduction and Exegesis*, (Interpreter's Bible, Vol. XI, Abingdon, 1955).

ROBINSON, TH. H., *The Epistle to the Hebrews*, (The Moffatt New Testament Commentary, Harper Pub. 1933).

SHEPARDSON, Rev. Daniel, *Studies in the Epistle to the Hebrews* (New York 1901, 1903^{2}).

VANHOYE, A., *Our Priest is Christ, The Doctrine of the Epistle to the Hebrews*, (Rome 1977).

WESTCOTT, Brooke Foss, *The Epistle to the Hebrews, The Greek Text with Notes and Essays*, Grand Rapids 1889, reprint 1970.

WILSON, R.McL., *Hebrews*, (New Century Bible Commentary, Eerdmans, 1987).

تقديم

تقديم

بعد أن انتهيت من شرح الرسالة إلى أهل رومية، وقد تسلّطت أضواؤها على بصيرتي، وطبعت محتواها على فكري ووجداني، حتى ملكت عليّ كل قدراتي، وغطّت على ما عداها من الأسفار، ظننت أني قد فقدت معها القدرة على التأمل في غيرها أو حتى الكتابة، فألقيت بقلمي واستسلمت لمناظرها، أستعيدها وأجترّ محتواها ولا شيء سواها ...

وهذا هو شأن التأمل في الأسفار. فكل سفر في ذاته هو رؤية كاملة لا تترك لغيرها مكاناً في محيط فكر الإنسان لمحدوديته. غير أني أدركت أن كل رؤية لحقائق الله سرعان ما تمتد بوعي الإنسان وإدراكاته، توسّع من إمكانياته وتمهّد لرؤى غيرها، وهكذا يمتد وعي الإنسان في الإلهيات بلا حدود.

فإن كانت الرسالة إلى أهل رومية قد غطّت كل منهج الخلاص — بما فيه من فداء ومصالحة وبر الله المجاني ونعمة التبني للخليقة الجديدة للإنسان بالمسيح يسوع في أعمال موته وقيامته، حتى لم يعد من إضافة أو تكميل — وقد خُيّل إليّ أن هذا هو المنتهى في لاهوت المسيح والخلاص، إلا أني بمراجعتي المتأنية الفاحصة للرسالة إلى العبرانيين انفتح أمامي منهج آخر للاهوت المسيح، هو أيضاً كاملٌ متكاملٌ غير منقوص قادرٌ بذاته أن يملأ كل فكري ووجداني، ويعلى هو الآخر بدوره على كل ما عداه!! فعَجِبْتُ من أمر المسيح كيف أن الفكر مهما اتسع وتعمّق لا يمكن الإحاطة به، ولكن النظر إلى المسيح قادر بحد ذاته أن يخلق كل مرة منهجاً جديداً مُعَدّاً لأن يملأ كل فكر الإنسان ووجدانه!! فأدركت عن يقين لماذا تعدّدت الأسفار ولماذا تعدّد الأنبياء والملهمون!

أما من جهة منهج الرسالة إلى العبرانيين، فهو الوجه الأكثر انحصاراً في «**شخص**» المسيح عن كل المناهج الأخرى للأسفار. فإن كان منهج الرسالة إلى أهل رومية تترامى أطرافه ليحيط بكل **أعمال المسيح** الفدائية وبلوغ أقصى مفهوم للخلاص والمصالحة والبر المجاني ونوال البر الأبدي والتبني في المسيح، فمنهج الرسالة إلى العبرانيين يستعلن لنا الصفات الذاتية **لشخص المسيح** بعمق وسمو لا يُجارَى.

غير أن الذي استهواني للتتلمذ على الرسالة إلى العبرانيين وشدَّني إلى الروح الذي كُتبت به هذه الرسالة، هو مقدار المناسبة التي كُتبت من أجلها هذه الرسالة وما نعيشه نحن الآن في هذه الأيام!

فمعروف أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت لتوعية اليهود المتنصرين والشدّ من أزرهم بعد أن آمنوا بالمسيح وقد أحاطت بهم ظروف صعبة بدأت تزلزل إيمانهم، فمن جهة أصبحوا موضع اضطهاد وملاحقة من بقية اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح، الذين ضيّقوا عليهم وازدروا بهم وأخرجوهم من المجمع والهيكل ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم كما تقول الرسالة:

+ «ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنرتم (تعمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة ... وقبلتم سلب أموالكم بفرح ...» (عب١٠: ٣٢و٣٤)

ومن جهة أخرى، كان الرومان قد بدأوا في مناوأة اليهود: سواء في أيام كلوديوس قيصر الذي طرد اليهود من روما ولاحقهم في أورشليم وغيرها، أو غيره من الحكام الرومان. والمعتقد عن ثقاة المفسرين أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت عشية الحرب السبعينية، أي في الشهور الأولى من سنة ٦٥م، فكانت البلاد آنئذ تتمخض بحركات العصيان والتمرد التي انتهت بتضييق الخناق عليهم حتى انفجرت الحرب بعد ذلك، التي فيها تخرَّبت كل أورشليم وأُحرق الهيكل وقُتل اليهود وطُردوا من كل تخومها على يد تيطس وفاسباسيان.

فلو تفحَّصنا هذا الوضع بعين الروح وبحسب النبوات وأهمها التي أعلن عنها المسيح، نجد المناسبة التي تربطنا بظروف هذه الرسالة شديدة الواقعية.

فأولاً: نجد أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت بعد مرور ألفي سنة من وضع الله لأسس العبادة اليهودية، وها نحن قد أكملنا الألفي سنة بعد أن وضع المسيح أسس العبادة المسيحية.

ثانياً: إن هذه الرسالة كُتِبَتْ لليهود المؤمنين عندما تزعزع إيمانهم بسبب الظروف القاسية التي أحاطت بهم، فالآلام والاضطهادات بدأت تضغط عليهم، ونُذر الحرب قد لاحت في الأفق. وها نحن نعاني نفس الظروف. ولا يخفى على القارىء أن المسيح لما سبق وأخبر التلاميذ عن علامات آخر الزمان، جمع بين علامات أهوال الحرب السبعينية بالنسبة لليهود مع أهوال الحرب الكونية الأخيرة بالنسبة لكل المؤمنين في آخر الزمان، بلا فارق زمني وعن حكمة بالغة السرية والعمق، لأن ما كان هو **«آخر الأيام»** بالنسبة للعبادة اليهودية يطابق بحد ذاته ما هو **«لآخر الأيام»** بالنسبة للعبادة المسيحية. فبالنسبة لليهود الرافضين للإيمان بالمسيح كانت الحرب السبعينية انتهاءً

لزمن صبر الله على الذين رفضوه. أما بالنسبة للذين قبلوه من اليهود فأتتهم هذه الرسالة «إلى العبرانيين» لتشد من أزرهم وتقوّي إيمانهم، حتى لا يخوروا من هول ما عانوا وما كانوا مزمعين أن يعانوه!

وهكذا ينكشف لنا سر المناسبة التي تجمعنا الآن مع المؤمنين الأوائل من جهة قصد ومضمون هذه الرسالة عينها، وما تحويه من جهة شد أزر إيماننا وتقوية رجائنا فيما نعانيه الآن وما هو مزمع أن نعانيه من أهوال الأيام الأخيرة. لأن انحدار التقوى وانفلات زمام الإيمان عند غالبية المسيحيين الآن وفي كل العالم صار يشير بقوة إلى واقع الأيام الأخيرة بحسب نبوة المسيح: «متى جاء ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان على الأرض!» (لو١٨: ٨)

إن علامات آخر الزمان قد صارت ملموسة: «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يَخلُص، ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى» (مت٢٤: ١٢—١٤). أما الإحساس بتباطؤ مجيء الرب حسب وعده، فأصبح يعصف بإيماننا كلما ازداد العالم ضلوعاً في الابتعاد عن الحق والعدل والرحمة، وتوغّل في ظلام الخطيئة رسمياً، وفاحت رائحة النجاسة في كافة أرجائه بلا حياء، حتى صارت علّة الزنا هي مرض العالم الأخير الذي يتقدّمه إلى القضاء المحتوم.

أما الأتقياء في هذا العالم الآن والذين يخافون الله ويحفظون طهارة السيرة فقد تمّ فيهم قول الوحي المبارك على لوط البار في سدوم وعمورة:

+ «وإذ رمّد مدينتي سدوم وعمورة، حكم عليهما بالانقلاب واضعاً عِبْرةً للعتيدين أن يفجُروا. وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة. **إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذّب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة.** يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين مُعاقَبين.» (٢بط٢: ٦—٩)

أما انتهاء الألفي سنة فقد كملت الآن بحساب القديس بطرس، حينما أشار إليها بحساب أحجيته المشهورة، كما في لغز، إذ جعل الألف الأولى بحساب الله والألف الثانية بحساب الإنسان هكذا:

+ «عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في "آخر الأيام" قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة. لأن هذا يخفى عليهم **بإرادتهم** ... ولكن لا يخفَ عليكم هذا الشيء الواحد أيها

الأحباء أن يوماً واحداً (أول) عند الرب **كألف** سنة (+) **وألف** سنة كيوم واحد (ثاني). لا يتباطأ الرب (عن ذلك) عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنّى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقْبِلَ الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي، كلص في الليل، يومُ الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها.» (٢بط٣: ٣-١٠)

ثم يعود القديس بطرس ويكلمنا على مستوى الرسالة إلى العبرانيين في ذلك الزمان، بقوله:

+ «فبما أن هذه كلها تنحل، أيّ أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر. لذلك أيها الأحباء إذ أنتم منتظرون هذه اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام. واحسبوا أناة ربنا خلاصاً.» (٢بط٣: ١١-١٥)

وسوف يرى القارىء كيف أن الرسالة إلى العبرانيين تستحث اليهود الذين انفصلوا عن الهيكل والمجمع، بعد أن آمنوا بالمسيح، ونالوا ما نالوا من الآلام والتعذيب والتشريد وسلب أموالهم ومقتنياتهم، إذ تخاطبهم هكذا:

+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد.» (عب١٠: ٣٥و٣٦)

ولأن الخوف كان مُحْدِقاً بهم، لئلا ينكروا الإيمان بالمسيح ويرتدوا إلى اليهودية من ثقل الاضطهاد والملاحقة، فقد بدأت الرسالة بتقييم بارع لتفوّق الإيمان بالمسيح وتقديم شخص الرب يسوع في صفاته الجوهرية الإلهية باعتباره ابن الله الفائق على كافة الأنبياء والملائكة وموسى، ثم في صفاته الشخصية التجسدية كرئيس كهنة وراعي الرعاة العظيم والملك الأبدي على طقس «ملكي صادق»، وترجمتها ملك البر وملك ساليم أي ملك السلام، بلك غير مُقتنى من أب أو أم: «بلا أب بلا أمٍّ»! (عب٧: ٣)

وهكذا تسترسل الرسالة في أوصاف المسيح الفائقة الوصف والإبداع لإقناع اليهود الذين آمنوا بالمسيح ليكونوا على وعي وثيق بإيمانهم، فلا ترهبهم الاضطهادات والآلام، ولا يَفُتُّ في عَضُدِهم سَلْبُ الأموال وثقل العوز والضيق، فلا يفرّطوا في إيمانهم بالمسيح أو يرتدّوا. وهكذا يحذّرهم:

+ «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشرَّ

تظنون أنه يحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله، وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً، وازدرى بروح النعمة؟ فإننا نعرف الذي قال: لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب. وأيضاً: الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي!!» (عب١٠: ٢٨ـ٣١)

ثم تزيد الرسالة في تحذيرها لهم من خلع ثوب المعمودية الروحي وجحد الإنسان الجديد، فيسقطوا عن النعمة، ومن الارتداد إلى السيرة القديمة والانغماس في حمأة الطين ثانية:

+ «لأن الذين استُنيروا مرَّةً، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا (عن المسيح)، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه.» (عب٦: ٤ـ٦)

وتعود الرسالة وتشدِّد على خطورة الارتداد عن المسيح:

+ «أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتدّ لا تُسَرُّ به نفسي. وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس.» (عب١٠: ٣٨و٣٩)

وروح الرسالة كلها هو للعزاء، وتشديد الإيمان، وإذكاء الثقة والرجاء، ورفع مستوى الاحتمال لقبول كل أصناف الآلام والتعذيب حتى الدم!:

+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله. فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية، وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب ولا تَخُرْ إذا وبَّخك ... ولكن كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيعطي الذين يتدرَّبون به ثمر برٍّ للسلام. لذلك قوِّموا الأيادي المسترخية (برفعها للصلاة) والركب المخلَّعة (للسجود والسعي للخدمة).» (عب١٢: ٢ـ٥ و١١و١٢)

والآن بنظرة واحدة عميقة نرى أن هذا الكلام بروحه وحروفه ينطبق على وضعنا الحالي فيما صارت إليه أمورنا وأمور العالم حولنا، وكأن الرسالة إلى العبرانيين يمكن وضع عنوان جديد لها باسم: «رسالة إلى أبناء نهاية هذا الزمان» أو «رسالة ختام الألفين»!!

لذلك، ونحن نجوز معاً تعاليم وموحيات هذه الرسالة، علينا أن لا يتوه وعينا عن أننا مقصودون من الروح بحكم الواقع الذي نحياه والنهاية التي لاحت في الأفق.

المدخل إلى شرح الرسالة إلى العبرانيين

الفصل الأول
ظروف كتابة الرسالة إلى العبرانيين

١ ــ كاتب الرسالة ومدى قانونيتها:

بحسب التقليد الإسكندري والتسليم الكنسي، فإن كاتبها هو القديس بولس الرسول، وأول مَنْ قال بذلك هو العلاّمة كلمندس الإسكندري (١٥٠ ــ ٢١٥م)(١)، مبيِّناً أن بولس الرسول كتبها باللغة العبرانية كونها مرسلة إلى العبرانيين، والذي قام بترجمتها إلى اللغة اليونانية هو القديس لوقا الإنجيلي، وذلك بسبب وجود تعبيرات لغوية وكلمات لم ترد قط في رسائل بولس الرسول(٢). أما قول العلاّمة كلمندس أن الذي ترجمها هو القديس لوقا الإنجيلي بالذات، فذلك بسبب تواجد كثير من التعبيرات اللغوية في الرسالة مطابقة لإنجيل القديس لوقا وسفر الأعمال، مما حدا بكثير من العلماء، الذين أقلعوا عن فكرة كون ق. لوقا هو مجرد مترجم إلى أنه قد يكون هو الذي كتبها أصلاً وذلك بسبب أنهم لم يجدوا ما يثبت أنها مترجمة. ولكن ينفي هذا القول ــ أي أن ق. لوقا الإنجيلي هو كاتبها الأصلي ــ أن ق. لوقا لم ينشغل أصلاً باللاهوتيات أو شرحها بل كانت مواهبه مقتصرة على جمع وتثبيت الحقائق والتسجيل الوثائقي فيما يخص سيرة المسيح.

ومعروف أن قول العلاّمة كلمندس الإسكندري بأن بولس الرسول هو الكاتب الأصلي للرسالة إنما هو مأخوذ عن أستاذه العلاّمة السابق عليه وهو العلاّمة بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية(٣). والمحقق عندنا والمعروف أن العلاّمة كلمندس الإسكندري تعلّم على يدي بنتينوس حوالي عشر سنوات (١٨٠ــ١٩٠م)، لأن بنتينوس تُوفي بعد سنة ١٩٠م(٤)، بقليل إذ يقول عنه: "إن القس المطوّب (لقب بنتينوس) يؤكد ويصِرُّ على أن ق. بولس هو كاتب الرسالة إلى

1. Euseb., *H.E.* 6.14.
2. H.W. Montefiore, p. 1.
3. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 17.

(٤) العلاّمة بنتينوس بعد أن علّم في مدرسة الإسكندرية، ذهب إلى الهند وبشّر بالإنجيل هناك، وذلك بحسب تحقيقات المؤرخ يوسابيوس: H.E. V.X.2، وتعيِّد له الكنيسة القبطية في ٢٢ يونيو من كل عام.

العبرانيين"، علماً بأن العلاّمة كلمندس الإسكندري استمر محافظاً على التقليد السابق عليه بكونه استشهد بآيات من الرسالة إلى العبرانيين على أنها منسوبة لبولس الرسول.

وبعد كلمندس الإسكندري جاء أوريجانوس(٥) ليرى، ليس في اللغة فقط، بل أن الأسلوب نفسه ليس مطابقاً لأسلوب بولس الرسول، ولكنه قال بأن الأفكار فيها هي أفكار بولس الرسول، وانتهى إلى القول بأن: "الله وحده يعلم مَنْ هو كاتب هذه الرسالة". وقد ظل أوريجانوس متمسكاً بالتقليد الآبائي السابق عليه، فقد استشهد في كتاباته بآيات من الرسالة إلى العبرانيين لتأكيده على قانونية الرسالة، ولكنه لم ينشغل بالتعليق على قول العلاّمة كلمندس كون الرسالة إلى العبرانيين كُتِبَتْ أصلاً بالعبرية ثم ترجمت إلى اليونانية. كما جاء أيضاً في تعاليم أوريجانوس أن رسائل بولس الرسول هي أربع عشرة رسالة(٦)، وبذلك يضم الرسالة إلى العبرانيين إلى بقية رسائل بولس الرسول.

كما ينقل لنا المؤرخ يوسابيوس القيصري نص رأي العلاّمة أوريجانوس — من مخطوطة شرحه للرسالة إلى العبرانيين — كالآتي:

[إذ كنت أقول رأيي — (في الرسالة إلى العبرانيين) — فإني أقرر أن الأفكار فيها هي أفكار بولس الرسول، ولكن اللغة والتركيب اللغوي هما لواحد يسترجع من الذاكرة، أو كأنه يعود إلى مذكراته التي دوّن فيها ما قيل بفم معلمه. لذلك فإن كانت أية كنيسة تقرر أن هذه الرسالة لبولس الرسول فهذا حسن وموافق في هذا الأمر لأنه يخص حقيقة لا يُناقَش فيها، لأنه لم يكن بدون سبب أن الآباء السابقين في الأزمنة السالفة سلّموها لنا باعتبارها أنها لبولس الرسول، إذ هي تشرح في جوهرها آراء بولس الرسول، أما فيما يخص كتابة الرسالة على وجه التأكيد فالله وحده يعلم ذلك. فالتقرير الذي وصل إلينا هو على وجهين، وجه يقول إن كلمندس الذي صار أسقفاً على روما هو الذي كتبها وآخرون يقولون من وجه آخر إنه لوقا هو الذي كتبها والذي كتب أيضاً الإنجيل وسفر الأعمال. أما عن هذا الأمر فأنا لا أقول أكثر من ذلك](٧).

كما يضيف يوسابيوس عن أوريجانوس قوله [إن الأفكار في الرسالة عجيبة وباهرة = θαυμάσια وليست من دون كتابات بولس المعترف بها].

5. Donald Guthrie, *op. cit.*, p. 17.

6. Westcott, *Hebrews*, p. *lxix*.

7. Euseb., VI.25; cited by Westcott., *op. cit.*, p. *lxwi*.

كذلك يضيف يوسابيوس عن أوريجانوس قوله [إن الأسلوب والتركيب في الرسالة هما لشخص يستحضر من الذاكرة تعاليم الرسول بولس ويكتب مذكراته المختصرة لما قاله معلّمه](٨).

وهذه الشهادة التي لأوريجانوس هي ذات وزن عالٍ جداً كمكملة لشهادة كلمندس الإسكندري السابق عليه، لأن بهما معاً يتكون لدينا التقليد الإسكندري منذ ما قبل العلاّمة كلمندس وأوريجانوس.

ولقد حسم القديس أثناسيوس الرسولي هذا التردد في خطابه الفصحي لسنة ٣٦٧ إذ حسبها ضمن الأسفار المقدسة القانونية وجعل رسائل بولس الرسول أربع عشرة رسالة وحسبها ضمن [الأسفار القانونية الإلهية](٩)، مؤكّداً أن هذا بحسب أقدم المخطوطات المتوفرة لديه في ذلك الوقت. ومنذ أيام ق. أثناسيوس حتى اليوم، وكنائس الشرق و بالأخص مصر تقول بقوله.

والآباء في الشرق الذين جاءوا بعد أوريجانوس تجنّبوا التشكك في كاتبها وأخذوا بأن بولس الرسول هو صاحب الرسالة إلى العبرانيين(١٠). وكانت قد استقرّت في التقليد الكنسي منذ القديم قانونية الرسالة إلى العبرانيين، فقد وُجدت مسجّلة ضمن رسائل بولس الرسول وكان ترتيبها بعد الرسالة إلى أهل رومية مباشرة في مجموعة مخطوطات تشستر بيتي Chester Beatty (في مجموع ٨٦ ورقة خاصة برسائل بولس الرسول) التي اكتشفت في مدينة هرموبوليس (الأشمونين)، وتاريخ كتابة رسائل بولس الرسول في هذه المخطوطات هو أوائل سنة ٣٠٠م(١١).

هذا في الشرق وفي كنيسة الإسكندرية بالذات. أما في الغرب، فبالرغم من أن كلمندس الروماني استشهد في خطاباته بآيات مطابقة تماماً لآيات الرسالة إلى العبرانيين، إلاّ أنه لم يتطرق إلى الحديث عنها. وقد تأخر الغرب كثيراً في قبول قانونية الرسالة إلى العبرانيين، ففي القرن الثالث، أي في أيام ق. كبريانوس (استشهد سنة ٢٥٨م)، الذي يُعتبر خير مَنْ يمثل الفكر الغربي، لم يأخذ بقانونية الرسالة إلى العبرانيين(١٢)، وكذلك رفضها ترتليان (١٥٥ــ ٢٢٠م)، وإيرينيئوس رفض أيضاً قانونيتها، وكذلك هيبوليتس.

---

8. Ibid.
9. Athanasius, *Paschal Letter XXXIX*,3,5. NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 552.
10. D. Guthrie, p. 18.
11. *Oxford Dict. of Christian Church*, s.v.
12. D. Guthrie, p. 18.

وأول مَنْ قَبِلَ قانونية الرسالة إلى العبرانيين في الغرب هو القديس **هيلاري** أسقف بواتييه (٣١٥ــ٣٦٧م) المعتبر أنه «**أثناسيوس الغرب**»، وكان بالفعل أكثر لاهوتيي اللاتين علماً وأعلاهم شأناً وقدراً.

وقد حذا حذو هيلاري كلٌّ من القديس جيروم (٣٤٢ــ٤٢٠م) والقديس أغسطينوس (٣٥٤ــ٤٣٠م)(١٣). ولكن القديس أغسطينوس لم يكن قاطعاً في وجهة نظره من جهة الرسالة إلى العبرانيين، ففي بداية كتاباته أخذ بقانونيتها وأصالتها كونها لبولس الرسول، ولكن في نهاية أيامه فرَّق بين كونها قانونية وبين كونها للقديس بولس إذ حسبها لمجهول(١٤).

وكذلك فكل علماء الغرب ولاهوتييه الذين جاءوا بعد أغسطينوس أخذوا بقانونيتها وتردَّدوا كثيراً في نسبتها لبولس الرسول.

وهكذا ظلَّ الغرب مصمِّماً على إغفاله لقانونية هذه الرسالة لمدة أربعة قرون كاملة، علماً بأن قانون موراتوري (وهو من مدوَّنات القرن الثاني) أغفل ذكرها بالمرة(١٥).

أما في الشرق، كما سبق وقلنا، فالرسالة إلى العبرانيين أخذت وزنها العالي منذ القرن الأول ودخلت ضمن الأسفار القانونية بوضوح منذ أيام العلاَّمة بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية، الذي عاش وعلَّم حتى سنة ١٩٦م، كما سبق القول، كما سلَّم ذلك للعلاَّمة كلمندس الإسكندري. وقد اقتبس منها البابا ديونيسيوس الإسكندري(١٦) المدعو بالكبير الذي تنيح سنة ٢٦٤م، وكان بدوره عالماً لاهوتياً بارزاً ومديراً للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية منذ سنة ٢٤٧م(١٧). وقد أكَّد قانونيتها ونسبها للقديس بولس. كذلك العالم اللاهوتي ثيئوجنوستس Theognostus(١٨)، وكان أيضاً مديراً للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية خلفاً للقديس ديونيسيوس الإسكندري. كما اقتبس منها واعترف بقانونيتها القديس بطرس بابا الإسكندرية المعروف بخاتم الشهداء(١٩) (استشهد سنة ٣١١م)، وقد اعتلى الكرسي الإسكندري سنة ٣٠٠م. وقد مدحه المؤرخ يوسابيوس معتبراً إياه

---

13. Ibid.
14. Ibid.
15. Everett Ferguson, *Canon of Muratori, Date and Provenance*, cited by Attridge, *Hebrews*, p. 3 n. 20.
16. Westcott, p. *lxiv*.

(١٧) نُفي مرتين تحت اضطهاد الإمبراطورين ديسيوس وفاليريان، وتعيِّد له الكنيسة القبطية في الثالث عشر من برمهات من كل عام.

18, 19. Ibid.

كنموذج للأسقف الوفي التقي الحاذق في دراسته للأسفار المقدسة(٢٠).

وقد اعترف مجمع أنطاكية(٢١) سنة ٢٦٤م بقانونية الرسالة إلى العبرانيين ونسبتها للقديس بولس.

كما اعترف بقانونيتها ونسبتها للقديس بولس أيضاً القديس ثاؤفيلس الأنطاكي(٢٢) (عاش في نهاية القرن الثاني) وكان من كبار المدافعين عن الإيمان القويم.

كذلك القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٦ــ٣٧٣م) الذي جلس على كرسي الإسكندرية سنة ٣٢٨م، فقد احتسب الرسالة إلى العبرانيين ضمن الأسفار المقدسة، كما احتسب عدد رسائل بولس الرسول أربع عشرة رسالة، وقد أعطاها ترتيبها بحسب أقدم المخطوطات حيث جاءت الرسالة إلى العبرانيين في ترتيبها هكذا (الرسالتان إلى كورنثوس ثم الرسالة إلى العبرانيين ثم تيموثاوس الأولى ...). وما أن وضع القديس أثناسيوس هذا الترتيب والتقنين حتى أخذ به الآباء والكتّاب اليونانيون، وطبعاً ذلك لا يفترق عما وضعه العلاّمة كلمندس الإسكندري وأوريجانوس من بعده.

وقد كانت هذه الاعتبارات عينها ثابتة عند البابا ألكسندروس الذي اعتلى الكرسي الإسكندري سنة ٣١٣م وتنيح سنة ٣٢٨م. وكذلك العلاّمة ديديموس اللاهوتي الضرير (٣١٨ــ٣٩٨م) الذي ترأس إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وهو صاحب الرسالة «على الروح القدس» و«على الثالوث». والمعروف أن من أشهر تلاميذه القديس غريغوريوس اللاهوتي (النزينزي) والقديس جيروم والعلاّمة روفينوس.

ومن الآباء الرهبان المشهورين المتضلّعين في شرح الأسفار المقدسة القديس إيسيذوروس الفرمي أو البيلوزي الذي قال أيضاً بقانونية الرسالة إلى العبرانيين ونسبتها إلى ق. بولس (تُوفي سنة ٤٥٠م)، وقد كان مترئساً على ديره ببيلوزيوم (شرق بالوظة ــ بالقرب من بورسعيد الآن)، وهو صاحب الألفي رسالة في العقيدة والشرح والتعاليم الأخلاقية.

كذلك، فإن القديس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية، الذي اعتلى الكرسي سنة ٤١٢م وتنيح سنة ٤٤٤م، قد استخدم الرسالة إلى العبرانيين باعتبارها رسولية وقانونية.

---

(٢٠) عاش تحت اضطهاد دقلديانوس واستشهد تحت اضطهاد مكسيمين Maximin، وتعيّد له الكنيسة القبطية في التاسع والعشرين من هاتور من كل عام.

21, 22. Ibid.

وحذا حذو مصر في ذلك كل من القديسين كيرلس الأورشليمي، ويعقوب أسقف نصيبين وأفرآم السرياني، وآباء الكبادوك الثلاثة القديسون باسيليوس وغريغوريوس النيسي وغريغوريوس النزينزي، وإبيفانيوس أسقف قبرص والقديس يوحنا ذهبي الفم.

وقد أجازت المجامع في هيبوسنة ٣٩٣ وفي قرطاجنة سنة ٣٩٧ أولاً ثلاث عشرة رسالة للقديس بولس فقط، وأما في مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩ فقد نُصَّ على أربع عشرة رسالة للقديس بولس. وهذه المجامع الثلاثة كانت بقيادة القديس أغسطينوس.

وبعد ذلك بقيت الرسالة إلى العبرانيين حافظة لقيمتها القانونية ونسبتها الرسولية لبولس الرسول في الغرب وفي روما حتى قيام الإصلاح.

وبدخول عصر النهضة الأوربية القائمة على الدراسة اليونانية العلمية للأسفار على خلفية العقل الناقد اعتماداً على المنطق واللغة معاً، كان أهم مَنْ رفض نسبتها لبولس الرسول هو لوثر Luther إذ نسبها لأبلّوس، وتبعه كلفن Calvin الذي شكّ في رسوليتها بالدرجة الأولى ونسبها لكلمندس الروماني وللقديس لوقا الإنجيلي.

وهكذا تمزق الفكر الغربي وتعددت النظريات ولم يعد يجمعها فكر واحد ولا نريد أن نربك القارىء بالآراء المتضاربة، حيث رأيٌ ينسخ رأياً، وبالنهاية نسخت الآراء بعضها البعض. فالذي قال إن القديس برنابا هو كاتبها، عارضه غيره، والذي قال بل لوقا، وقف قبالته مَنْ ردّ كل براهينه، كذلك فيما قيل عن كلمندس الروماني وأبلّوس الإسكندري وحتى برسكلا قالوا إنها هي التي كتبتها، وكان هذا الرأي للعلاّمة الألماني هارناك نفسه، ويا للعجب! ولكن الذي بقي حتى الآن في الفكر الغربي هو أهميتها اللاهوتية العظمى، وكفانا!!

أما في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ففي ٢٤ يونية سنة ١٩١٤ اجتمعت اللجنة البابوية الخاصة بالأسفار المقدسة وقررت أن كل الشكوك التي كانت سارية سابقاً بخصوص نسبة الرسالة إلى العبرانيين لبولس الرسول هي ليست بذات أهمية ولا ترتقي إلى مستوى القانون حتى لا تحسب بين الرسائل الأصيلة لبولس الرسول. ولكن في سنة ١٩٥٥م صرّحت سكرتارية هذه اللجنة أن كل القرارات التي صدرت والخاصة بأزمنة تدوين الأسفار المقدسة للعهد الجديد ومدى قانونيتها لا تلزم العلماء الكاثوليك(٢٣).

23. A. Miller, *Benediktinische Monatschrift*, XXXI, 1955, 49ff; cited by H.W.Montefiore, *op. cit.*, p. 1.

وبهذا القرار الأخير لسكرتارية اللجنة فتحت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الباب على مصراعيه للعلماء النقاد ليقولوا كل ما يريدون، وهكذا أصبح من المستحيل تكوين رأي ثابت في هذا المجال يعبّر عن الفكر الرسمي الكاثوليكي.

أما الشرق فقد بقي ثابتاً على ما استلمه منذ التقليد الأول من القرن الأول، باعتبارها الرسالة الرابعة عشرة لبولس الرسول. ولعلّ أعظم ما قرأت عن تاريخ قانونية هذه الرسالة ونسبتها للقديس بولس هو ورودها في قانون الأسفار المقدسة في مجموعة مخطوطات تشستر بيتي (سنة ٣٠٠م)، والتي اكتُشفت في هرموبوليس بصعيد مصر، وكان ترتيب الرسالة ضمن مجموعة رسائل بولس الرسول يلي الرسالة إلى أهل رومية مباشرة، وهذا بحد ذاته يوحي إلينا بمكانة هذه الرسالة العالية القدر عند الآباء الأوائل في مصر، مما جعلني أتشجع في الإقدام على شرحها بعد أن انتهيت من شرح الرسالة إلى أهل رومية.

وبحسب رأيي، فإنه إن لم يكن بولس الرسول هو كاتبها فلا بد أن يكون كاتبها مَنْ هو أعلى شأناً من بولس الرسول، وليس في جعبة الكنيسة حسب ظننا مَنْ هو أعلى من القديس بولس، وإلاّ فلماذا يغفل هذا الرسول الجليل الشأن اسمه أو لا يكتب إلاّ هذا السفر؟ على أي حال فهي الرسالة الرابعة عشرة لبولس الرسول حسب التقليد الكنسي.

٢ ــ عنوان السفر كما وجد في المخطوطات القديمة:

بحسب أقدم المخطوطات وُجد عنوان الرسالة هكذا: πρὸς Ἑβραίους أي «إلى العبرانيين»، وهذا واضح في كل المخطوطات المفيسية أي المصرية البحيرية.

أما المخطوطات السريانية فتضيف كلمة «الرسالة» هكذا: «**الرسالة إلى العبرانيين**» وبعضها يضيف: «**الرسالة إلى العبرانيين لبولس الرسول**». أما المخطوطات اليونانية فتعطي العنوان هكذا: «بولس الرسول إلى العبرانيين». ولكن المعروف في علم المخطوطات أن العنوان لا يكوِّن جزءاً من صميم الرسالة في الأصل، وذلك بحسب الأصول في التحليل الوثائقي. لذلك يعتبر أن هذه العناوين إنما وضعت للرسالة في وقت مبكر جداً حينما بلغت فعلاً إلى يد من أرسلت إليهم لتكون على مستوى الاستخدام الليتورجي العلني للشعب وخاصة عند بدء جمع الرسائل في مجموعة واحدة. وهذه العناوين هي مرتبطة أصلاً بالرسالة العامة لمجموعة الأسفار كإنجيل. وكل سفر إنما يُعطى العنوان الذي يعبّر تعبيراً صحيحاً معتمداً على ما يحتويه من استعلان.

فالرسالة إلى العبرانيين بحسب عنوانها تنبىء عمّا فيها، وما فيها هو واضح بكل مقياس أنه

لرجال عبرانيين حقاً امتلأت قلوبهم بأفكار ثابتة متوارثة ورجاء وعزاء مستمد من العهد القديم، وقد عبَّر عنهم القديس بولس في رسائله كيهود مسيحيين **«بأهل الختان»**.

+ «فاندهش المؤمنون (المسيحيون) الذين من أهل الختان كل مَنْ جاء مع بطرس لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً» (أع١٠:٤٥)،
+ «ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان» (أع١١:٢)،
+ «لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل (بطرس) مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان.» (غل٢:١٢)
+ «يسلِّم عليكم أرسترخس ... ومرقس ... ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان، هؤلاء هم وحدهم العاملون معي لملكوت الله الذين صاروا لي تسلية.» (كو٤:١٠و١١)

واضح هنا مدى علاقة ق. بولس بهؤلاء اليهود المسيحيين الذين سمّاهم ق. بولس «أهل الختان» أو «المؤمنين من أهل الختان» أو «الذين هم من الختان» باختصار، وهؤلاء هم المسمّون في هذه الرسالة بـ «العبرانيين».

٣ ــ طبيعة هذا السفر وهل هو رسالة؟

الذي يهمنا في البداية من كل هذه العناوين هو أنها معتبرة منذ البدء أنها **«رسالة»**، بالرغم من أنها بدون فاتحة الرسالة كباقي الرسائل، ولكن نهايتها واضحة أنها رسالة بالرغم من أن مضمونها يكاد يكون إنجيلاً بحد ذاته كالرسالة إلى أهل رومية. ولكن إذا تأملنا في الآية الأولى من الأصحاح الثاني نحس في الحال بأنها خطاب مباشر يستنهض همّة المرسل إليهم:

+ «لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته.» (عب٢:١)

كذلك في بداية الأصحاح الثالث:

+ «من ثم **أيها الإخوة** القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب٣:١)
+ كذلك: «انظروا **أيها الإخوة** أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي.» (عب٣:١٢)
+ كذلك: «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى **أحد منكم** أنه قد خاب منه.» (عب٤:١)
+ «الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ **قد صرتم** متباطئي

المسامع.» (عب٥: ١١)

+ «ولكننا قد تيقَّنا **من جهتكم** أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص — وإن كنا نتكلم هكذا — لأن الله ليس بظالم حتى ينسى **عملكم** وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم.» (عب٦: ٩و١٠)
+ «فإذ لنا **أيها الإخوة** ثقة بالدخول إلى الأقداس ... لنتقدم بقلب صادق ...» (عب١٠: ١٩و٢٢)
+ «**اذكروا** مرشديكم الذين **كلَّموكم** بكلمة الله، **انظروا** إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم.» (عب١٣: ٧)
+ «**وأطلب إليكم أيها الإخوة** أن تحتملوا **كلمة الوعظ** لأني بكلمات قليلة كتبت إليكم.» (عب١٣: ٢٢)

هذه الآيات تعطينا الانطباع أنها رسالة عزاء (كلمة وعظ) تحمل كل مشاعر الأُبوة والأُخوَّة معاً، الأُبوة من الوجهة الإيمانية المسيحية والأُخوَّة من الوجهة اليهودية. وكاتبها لا يدّعي أنه رسولٌ لهم ولا أبٌ عليهم، فهم قد تقبَّلوا الإيمان كمسيحيين ربما قبله، لذلك نسمعه يقول: «لاحظوا **رسول** اعترافنا ورئيس كهنته (أي رئيس كهنة اعترافنا) المسيح يسوع» (عب٣: ١). لذلك فهو يتودد إليهم كأخ، كواحد منهم، حتى يبلِّغهم رسالة العزاء هذه ليشدد إيمانهم بالمسيح كما أعطاه الله. كذلك نسمعه بوضوح في هذه الآيات السالفة وهو يضع نفسه معهم وكأنه يتقبَّل التوجيه الإيماني معهم: «يجب أن نتنبَّه ...»، «لاحظوا رسول **اعترافنا** ...»، «**فلنخف** ...»، «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة ...»، «**لنتقدم** ...». والرسالة كلها تسير على هذه الوتيرة، فهو يستحي جداً أن يظهر وكأنه رسول أو معلم عليهم، ليس عن ضعف أو خوف ولكن عن لياقة الدعوة التي دعاه بها الله أن يكتب لليهود. لذلك نسمعه ينتقل بسرعة من «نحن» إلى «أنتم» حتى يُخفف من ضغط الروح الرئاسي الذي يتكلم به: «**فلنَخَفْ** ... يُرى **أحد منكم أنه قد خاب منه**» (عب٤: ١)، «**فلنجتهد** أن ندخل ... **لئلا يسقط أحد**.» (عب٤: ١١)

٤ — موضع هذا السفر (الرسالة إلى العبرانيين) بين بقية الأسفار (الرسائل):

بحسب أبحاث العلاّمة وستكوت[٢٤]:

أ — في المخطوطات المرموز إليها بالحروف (C وB وA و א) وهي بالترتيب السينائية

24. Westcott, *op. cit.,* p. xxx, xxxi.

والإسكندرانية والفاتيكانية والأفرايمية، تأتي الرسالة إلى العبرانيين قبل الرسائل الرعوية مباشرة (الرسالتين لتيموثاوس والرسالة إلى تيطس) وبعد الرسالتين إلى تسالونيكي. وهو الترتيب الذي أخذ به معظم الآباء الأوائل.

ب ــ في المخطوطات الطيبية والبشمورية(٢٥) تقع الرسالة إلى العبرانيين بين الرسالتين إلى كورنثوس والرسالة إلى غلاطية.

ج ــ في المخطوطات السريانية تأتي هذه الرسالة بعد الرسائل الرعوية والرسالة إلى فليمون أي في نهاية الرسائل الثلاث عشرة.

وهكذا نجد أنه في أقدم المخطوطات التي جُمعت فيها كل رسائل بولس الرسول وُجدت الرسالة إلى العبرانيين إما ضمن الرسائل أو بعد الثلاث عشرة رسالة. ولكن في مجموعة مخطوطات شستر بيتي (٣٠٠م) وُجدت الرسالة إلى العبرانيين بعد الرسالة إلى أهل رومية مباشرة(٢٦). وواضح من هذا الترتيب مقدار علو شأن هذه الرسالة لدى الأقباط قديماً.

٥ ــ لمن كُتبت هذه الرسالة؟:

إن العنوان الذي وُجد مُصدَّراً به هذه الرسالة منذ القدم، ولو أنه لا يُعتقد أنه دوِّن بيد كاتب الرسالة، فإنه يعبِّر على أي حال عن اعتقاد الآباء الأوائل الذين اضطلعوا بنسخ هذه الرسالة وضمِّها للأسفار المقدسة الرسولية في مجموعة واحدة. وفي الحقيقة فإن هذا العنوان يكشف عن صفة الأشخاص الذين كُتبت لهم هذه الرسالة، كما توضحه محتوياتها التي تنطق بأنهم يهود بالمولد وورثة العهد القديم بلا نزاع.

عبرانيون Ἑβραῖος(٢٧):

هذا اللقب يأتي في الأسفار المقدسة للعهد الجديد على معنيين:

الأول بمعنى لغة اليهود كما جاءت في (أع٦: ١): «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين ...». هنا يلاحظ أن كلًّا من اليونانيين والعبرانيين هم يهود

(٢٥) أي طيبة (الأقصر) وبشمور هي منطقة شمال الدلتا: البرلس والمنزلة، لأن المنزلة التي هي بحيرة الآن كانت أصلاً من أخصب بقاع مصر ولكن فتح عليها البحر الأبيض عند مضيق «الجميل» وأغرق الشعب البشموري القبطي الساكن في هذه المناطق لأسباب حربية في القرن التاسع. وكان بهذه الأرض الواطئة نحو أربعين كنيسة.

26. *Oxford Dictionary of Christ. Ch.* under: Hebrews.

27. Westcott, *op. cit.*, p. xxxv.

أصلاً، ولكن اليونانيين هم يهود تركوا وطنهم وفقدوا لغتهم لأنهم عاشوا في الشتات في بلاد اليونان، فصاروا يتكلمون باليونانية مع أنهم يهودٌ تماماً من نسل إسرائيل. لذلك فلقب العبرانيين جاء لا لكي يصف جنسهم أنهم يهود بل **ليصف لغتهم بالدرجة الأُولى**.

أما المعنى **الثاني** فيفيد النسل اليهودي:

+ «أهم عبرانيون؟ فأنا أيضاً، أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضاً. أهم نسلُ إبراهيم؟ فأنا أيضاً.» (٢كو١١:٢٢)
+ كذلك: «من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين.» (في٣:٥)

أما معنى كلمة «عبراني» أو «عبرانيون»، فهي إفادة عن الدعوة التي دعا بها الله إبراهيم أن يترك وطنه وعشيرته **ويعبر نهر** الفرات ويتغرّب في أرض فلسطين. فهنا عبور إبراهيم نهر الفرات بما يشمل من معنى الدعوة والطاعة والغربة والإيمان معاً أصبحت كلها تحتويها كلمة **«عبراني»**. فهي في الحقيقة كلمة ذات معانٍ عميقة للغاية! وقد أصبحت لقباً قديماً **«شعبي»** لجنس اختاره الله ودعاه.

أما لقب **اليهود** Ἰουδαῖος كما جاءت في الأناجيل والرسائل، فهو لقب شعب بني إسرائيل كأُمّة مجتمعة المصالح واللغة والرجاء مهما تفرقت وانقسمت إلى مجموعات وفي بلاد عديدة. وأول مرة أُعطيت هذا اللقب كان بعد رجوعهم من السبي. فقبل السبي كان بنو إسرائيل منقسمين إلى مملكتين: إسرائيل في الشمال؛ ويهوذا في الجنوب وكانت تسمى باليهودية، ولكن بعد عودتهم من السبي أخذوا لقباً عاماً هو **«اليهود»**، وكان يفيد ضمناً تيهانهم في أرض الغُربة البعيدة. ثم بعد خراب أورشليم تفرقوا مرة أخرى في سبيٍ، على وجه الأرض على مدى دهور للتأديب، فعاد إليهم لقب التيهان على الأرض أي اليهود Ἰουδαῖος .

ويلاحظ في إنجيل ق. يوحنا أنه عندما كان يشير إلى الشعب في مواقفه العدائية للمسيح كان يلقبهم **باليهود**، وعندما كان يتحدث عنهم في قبولهم وإعجابهم بالمسيح كان يلقبهم بالشعب أو الجموع:

+ «وتبعه جمع كثير.» (يو٦:٢)
+ «جمعاً كثيراً مُقبل إليه.» (يو٦:٥)
+ «فكان اليهود يتذمرون عليه.» (يو٦:٤١)

+ «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل.» (يو٦: ٥٢)

+ «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلَّم إلى اليهود.» (يو١٨: ٣٦)

+ «أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت ...» (يو١٩: ٧)

وهكذا كان لقب **اليهود** عند ق. يوحنا يمثِّل الشعب غير المؤمن التائه في ضلاله، بعكس لقب **إسرائيل** في إنجيل ق. يوحنا فهو يمثل الامتياز: «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (يو١: ٤٧). ولكن يلاحظ حساسية اليهود لهذا اللقب الذي بدأوا ينسلخون عنه بعد ما اجتمعوا في فلسطين مرة أخرى ليستعيدوا لقبهم الأول القديم **«بني إسرائيل»**، فأعطوا لأنفسهم لقب **«الإسرائيليين»** Ἰσραηλίτης، ودولة إسرائيل التي تعني ضمن ما تعني أن زمن التيه قد مضى وعبر وجاء زمن الاستيطان مرة أخرى. ولقب «إسرائيل» كان ولا يزال يعبِّر عن الامتياز عند الله والفخر والكرامة عند الشعب:

+ «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال.» (أع٢: ٢٢)

+ «الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد.» (رو٩: ٤)

+ والآن علينا أن نعود إلى لقب «العبرانيين» لنفحصه من مضمون الرسالة إليهم.

واضح مما سبق أن كلمة «عبرانيين» لا تفيد انحصاراً محلياً في مكان أو دولة معينة، ولكنه لقب عام شعبي يفيد صفة الجنس واللغة وليس صفة السكنى أو الوطن.

+ ومن مضمون الرسالة لا نجد أي أثر لوجود اختلاط مع الأمم الذين قبلوا الإيمان المسيحي.

+ إذاً، فالرسالة مرسلة لكنيسة لا يوجد بها أي اختلاط مع مسيحيين من الأمم لأنها تخلو من أية توجيهات أو توصيات خاصة بالأمم، بل وأيضاً لا يُعتقَد أنها مرسلة خاصة ليهود مسيحيين ضمن كنيسة فيها أُمميُّون ومسيحيون، بل هي خاصة بيهود مسيحيين يعيشون معاً في عزلة عن أُمميين متنصِّرين، وهذا يجعلهم منحصرين في فلسطين على أغلب الظن.

+ كذلك لا نجد أية توصيات خاصة بما يجب أن تكون عليه العلاقات بين هؤلاء اليهود المسيحيين والأمم المتنصرين، فهنا يتضح غياب الأمم كلية، أي أن موطن أصحاب هذه الرسالة بعيد تماماً عن بلاد الأمم جميعاً.

ومن تركيز الرسالة على موضوع الكهنوت يتمثل في ذهننا في الحال أن بين هؤلاء اليهود المتنصرين كثيراً من الكهنة السابقين في الهيكل ذوي الوجاهة والمركز المرموق، حيث آل حالهم إلى ضياع المجد الدنيوي عنهم:

+ «لذلك يجب أن نتنبَّه أكثر إلى ما سمعنا (عن مجد المسيح الابن ... الأصحاح الأول كله) **لئلا نفوته ... فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً** هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا.» (عب٢: ١و٣)
+ «وأما المسيح فكابن على بيته، وبيته نحن **إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**.» (عب٣:٦)
+ «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان **في الارتداد عن الله الحي** بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم **لكي لا يقسَّى أحد منكم بغرور الخطية**، لأننا قد صرنا شركاء المسيح **إن تمسَّكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية**.» (عب٣: ١٢—١٤)
+ «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته **يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه**.» (عب٤:١)
+ «فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة **لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها**.» (عب٤:١١)
+ «... وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه.» (عب٦:٦)
+ «**فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله** وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب١٠:٢٩)
+ «وأما نحن فلسنا من **الارتداد للهلاك** بل من الإيمان لاقتناء النفس.» (عب١٠:٣٩)
+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة.» (عب١٠:٣٥)

ثم بعد هذه التحذيرات المرعبة عن الارتداد عن الإيمان المسيحي تعود الرسالة وتعطيهم تشجيعات وحثاً على الصبر والتمسك بالرجاء:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار ... فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب٤: ١٤و١٦)
+ «ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية،

لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد.» (عب٦: ١١و١٢)

+ «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب١٠: ٢٣)
+ «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد.» (عب١٠: ٣٦)
+ «لذلك نحن أيضاً، إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا.» (عب١٢: ١)
+ «فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية ...» (عب١٢: ٣و٤)
+ «لذلك قوِّموا الأيادي المسترخية والركب المخلَّعة ...» (عب١٢: ١٢)

كما يبدو من الرسالة أن بعضاً من هؤلاء العبرانيين المسيحيين قد قُبض عليهم وألقوا في السجن مقيَّدين بسبب إيمانهم بالمسيح، كما أن البعض الآخر كانوا يعانون الإذلال في المعاملة:

+ «اذكروا المقيَّدين كأنكم مقيَّدون معهم والمذلِّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد.» (عب١٣: ٣)

والرسالة تُذكِّرهم بما عانوه سابقاً منذ بدء إيمانهم بالمسيح واعتمادهم، كيف دخلوا تحت الآلام والضيق والاضطهاد والملاحقة ونهب أموالهم بعد قطعهم من المجمع، أي فقدانهم لحقوق اليهودي في وطنه! وهو إذ يذكِّرهم بتلك الآلام المرعبة يحثُّهم على احتمال الآلام الأقل:

+ «ولكن تذكَّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنرتم (اعتمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصُرِّف فيهم هكذا ... وقبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً.» (عب١٠: ٣٢–٣٤)

كما يذكِّرهم أن يتمثلوا بمرشديهم الذين منهم مَنْ استشهدوا وماتوا:

+ «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. **انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم.**» (عب١٣: ٧)

من هذه الآيات ذات اللون الصارخ في تعبيرها عن هذه الجماعة القليلة المستضعفة يتضح:

١ ــ أن الرسالة مرسلة لجماعة محددة تعيش في مكان محدد وليست رسالة لعامة العبرانيين المسيحيين. والذي يُزيد هذا الترجيح أن الكاتب يَعِدُهم بزيارة خاصة، كما يكشف أنه سبق أن زارهم:

+ «اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً.» (عب١٣: ٢٣)
+ «ولكن أطلب أكثر أن تفعلوا هذا لكي **أُرَدَّ إليكم** بأكثر سرعة.» (عب١٣: ١٩)

٢ ــ كذلك فإن هؤلاء العبرانيين المؤمنين بالمسيح كانوا قد قبلوا الإيمان المسيحي منذ مدة طويلة:

+ «كان ينبغي أن تكونوا **معلّمين** لسبب **طول الزمان** ...» (عب٥: ١٢)
+ «مِنْ ثَمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب٣: ١)

٣ ــ أنهم أهملوا الاجتهاد وبدأوا يتذمرون، فضَعُفَت إيمانهم وفقدوا رجاءهم:

+ «مدعوًّا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ قد صرتم **متباطئي المسامع**.» (عب٥: ١٠و١١)
+ «ولكننا قد تيقنّا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل (الخوف من سقوطهم) ومختصة بالخلاص وإن كنا نتكلم هكذا (أي التحذيرات).» (عب٦: ٩)
+ «ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهِر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية.» (عب٦: ١١)
+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة.» (عب١٠: ٣٥)
+ «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم.» (عب١٢: ٣)
+ «إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين.» (عب١٢: ٧)

من هذه الآيات السابقة كلها نفهم أن هذه الجماعة اليهودية المسيحية كانت تمثل كنيسة مسيحية لا يوجد بها أي عنصر أممي متنصِّر، كما أنه لم يكن لهم أية علائق بكنائس مسيحية أممية أخرى، لغياب أية إشارة عن كيفية التعامل مع مسيحيي الأمم. فواضح أنها كانت كنيسة

منحصرة في فلسطين. كذلك، فالآلام والضيقات وسلب أموالهم لا يمكن أن تتم في مناطق رومانية تحت الحكم المباشر للرومان، حيث حقوق المواطن وأمنه كانت مكفولة، لذلك فإن هذا أيضاً يشير بوضوح إلى أنهم كانوا تحت تعسُّف حكم السنهدريم وأن إيمانهم بالمسيح قد جلب عليهم القطع من المجمع وما يؤول إليه ذلك من حرمان واضطهاد وسلب حقوق.

فإن كان قد مال كثير من العلماء للقول بأن هؤلاء العبرانيين كانوا في كنيسة روما أو كورنثوس أو أفسس أو حتى الإسكندرية فهو قول لا يتمشى مع عزلة هذه الجماعة عزلة شديدة بهذا المقدار، إذ لم يكن لهم أية علائق مع مسيحيي الأمم، وهذا يستحيل أن يوجد في أية كنيسة في العالم آنئذ إلا في أورشليم أو اليهودية. ويوجد تسجيلات تاريخية تثبت هذه الحقيقة أوردها المؤرخ يوسابيوس القيصري: فهو يقرر أن كنيسة أورشليم بقيت يهودية تماماً لا يوجد فيها أي عنصر أممي حتى إلى قيام ثورة هدريان:

[كانت مكوَّنة كلياً من العبرانيين =

συνεστάναι τὴν πᾶσαν ἐκκλησίαν ἐξ Ἑβραίων](٢٨).

كما يُقرر في نفس المكان أن الأُساقفة فيها جميعاً كانوا من أهل الختان.

ويتفق هذا مع العظات المنسوبة لكليمندس الروماني إذ يقول:

[إن يعقوب الذي يقال له أخو الرب كان هو المؤتمن على تدبير كنيسة العبرانيين في أورشليم=

πεπιστευμένος ἐν Ἰερουσαλὴμ τὴν Ἑβραίων διέπειν ἐκκλησίαν](٢٩).

لذلك فالأسقف وستكوت العالم اللغوي والإنجيلي(٣٠) ومعه العالم W. Leunard والعالم Ehrhard (٣١) يقولون إن عنوان الرسالة التي نحن بصددها «إلى العبرانيين» ينص بوضوح أنه لكنيسة أورشليم أو إحدى الكنائس التابعة لها في اليهودية، ويقول إنه ربما يكون العنوان أصيلاً وجزءاً من الرسالة. ولكن لا يدّعي بأن تقريره هذا يمكن أن يقطع نهائياً هذه المشكلة، ثم يستدرك ويؤكد أن الذي يهم القارئ بالدرجة الأولى هو مدى أصالة الروحانية المستقرة في هذه الرسالة. هذا هو الذي يفوق كل شك ويفوق كل اعتبار آخر.

28. Euseb., *H.E. IV*,5.
29. *Clementine Homilies*, XI.35.
30. Westcott, *op. cit.*, p. *xli.*
31. Cited by Donald Guthrie, *op. cit.*, p. 25.

٦ ــ تاريخ كتابة الرسالة إلى العبرانيين:

من مفردات الرسالة تضيق أمامنا المسافة التي يمكن أن نوقّع فيها تاريخ كتابة هذه الرسالة. لأن الذين أرسلت إليهم الرسالة هم من الجيل اللاحق لجيل الرسل مباشرة، وذلك بحسب الآيات: «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به **ثم تثبت لنا من الذين سمعوا** ...» (عب ٢: ٣). فهنا الكاتب كعادته في الرسالة يضع نفسه مع الذين يخاطبهم ويقول: «تَثَبَّتَ لنا من الذين سمعوا»، فالذين سمعوا الرب هم الرسل والتلاميذ. فالكاتب يضع نفسه تواضعاً مع المُرسَل إليهم ويقول: «تثبّت لنا من الذين سمعوا»، ولكن هذا ينطبق فقط على هؤلاء العبرانيين لأن بولس الرسول تقبّل وتثبّت من الرب نفسه وليس عن طريق الخبر. ولكن على أي حال فنحن داخل مرمى الزمن الرسولي، وإنما في ختامه.

+ «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم.» (عب ١٣: ٧)

هنا واضح أن بعض مرشديهم نالوا إكليل الشهادة، وهذا مؤكد، فمعروف أن من أوائل الذين استشهدوا يعقوب أخا الرب المسمى «بأسقف أساقفة كنيسة العبرانيين بأورشليم»، كما يقرر ذلك المؤرخ اليهودي المتنصّر القديس هجسيبّوس Hegesippus الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وهو مواطن فلسطيني ــ في خمسة كتب له تسمى: ὑπομνήματα = Memoirs والتي احتفظ لنا بها يوسابيوس القيصري ولم يتبقَّ منها الآن إلا أجزاء فقط، وهي تؤرّخ للكنيسة الأولى في فلسطين. ويقول إن يعقوب الملقب بالبار والمدعو أخا الرب استشهد في موقف مؤثر للغاية سنة ٦٣م[٣٢].

+ «فإنه لو كان (المسيح) على الأرض (الآن) لما كان كاهناً إذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس الذين يخدمون شبه السماويات وظلها ...» (عب ٨: ٤و٥)

هذا يعني أن الهيكل كان لا يزال آنئذ قائماً، وكانت تُقدَّم فيه الذبائح والقرابين والخدمات، وهذا يعني أننا الآن ــ أثناء كتابة الرسالة ــ في الفترة ما قبل خراب الهيكل وأورشليم، أي قبل سنة ٧٠م.

+ «**الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدَّم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير** أن تكمّل الذي يخدم.» (عب ٩: ٩)

---

32. Euseb., *H.E. II*,23.

+ «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدّمونها على الدوام أن يكمّل الذين يتقدّمون، **وإلاّ أفما زالت تقدّم ...»** (عب١٠: ١و٢)
+ «لنا مذبح لا سلطان **للذين يخدمون المسكن** أن يأكلوا منه (جسد الرب ودمه).» (عب١٣: ١٠)

من هذه الآيات يُفهم تماماً أن الهيكل كان لا يزال قائماً وكانت تقدّم فيه الخدمات والذبائح. وهذا معناه أن الحرب السبعينية لم تكن قد بدأت، والهيكل لم يكن قد تخرّب بعد. إذاً فنحن هنا في هذه الرسالة قبل قيام الحرب، أي قبل سنة ٦٧م.

وفوق هذا كله، كان لا يمكن أن تغفل الرسالة سقوط أورشليم وخراب الهيكل لو كانت قد كُتبت بعد الحرب السبعينية. إذاً **فهي** بالقطع قد كُتبت قبل قيام الحرب بل وقبل بدء علاماتها المروّعة أي قبل سنة ٦٧م. ثم قول الكاتب: «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر **على قدر ما ترون اليوم يقرب»** (عب١٠: ٢٥). فهنا إشارة ضمنية بحساسية روحية فائقة من بولس الرسول أن «اليوم يقرُب»، بمعنى النهاية التي تكلّم عنها الرب فيما يخص أورشليم. وكأن ق. بولس يرى بعين الرؤيا أو النبوة الخراب آتياً سريعاً والخروج من المدينة وشيكاً: **«فلنخرج إذاً إليه خارج المحلّة** حاملين عاره (صليب الآلام) **لأن ليس لنا هنا مدينة** باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب١٣: ١٣و١٤)

من هنا يمكن بشيء من الاطمئنان أن نقول، وبحسب كثير من العلماء المدققين، أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت بين سنة ٦٤ وسنة ٦٥م. وهذا يعطي فرصة جيدة ليكون بولس الرسول هو كاتبها لأنه استشهد بعد هذا التاريخ مباشرة.

٧ ــ مكان كتابة الرسالة إلى العبرانيين:

يقول العلماء النُّقّاد أن ما كُتب في آخر الرسالة هكذا: «إلى العبرانيين كُتبت من إيطاليا على يد تيموثاوس» قولٌ لا يُعتدُّ به، فهو وإن كان مسجلاً في المخطوطات القديمة لكن يرونه أنه إنما دُوِّن من واقع ما هو داخل الرسالة. ونسأل نحن: وما الضَّير في ذلك؟ يقولون إن الكاتب حينما قال: «يسلّم عليكم الذين من إيطاليا»، فهذا لا يشير أنه كان في إيطاليا مباشرة، بل ربما كان الذين من حوله آتين من إيطاليا، ولكن هذا التأويل لا يكفي لكي يلغي ما كتبه الكُتّاب الأوائل في شرح نهاية الرسالة، بل ربما كانوا هم على صحة أكثر لأنهم الأقرب والأكثر فهماً للرسالة.

الفصل الثاني
خصائص الرسالة إلى العبرانيين وأهميتها

أولاً: نبدأ بأهميتها:

ونبدأ بأهميتها لنا نحن الأمم المتنصّرين! ونرجىء قليلاً أهميتها إلى الذين أرسلَتْ إليهم، أي العبرانيين. فأهميتها مشتركة، وهذه هي عظمة الوحي المقدس وقيمة كلمة الله في الإنجيل، فهي مهمة للأمس، كما لليوم، كما إلى الأبد، وهي ليست فقط نافعة ومهمة، بل هي أيضاً نور وحياة.

ولكي ندرك مدى أهمية هذه الرسالة ينبغي أن نتصوَّر الأسفار المقدسة ينقصها هذا السفر، أي هذه الرسالة إلى العبرانيين، فماذا يكون الأمر؟ أو ماذا كانت ستكون عليه علاقة أسفار العهد القديم بأسفار العهد الجديد، و بالتحديد ماذا تكون رؤيتنا للعهد القديم برُمّته، آباء وأنبياء وناموس وأسفار وعبادة وكهنوت وذبائح، خاصة بعد أن سقطت أورشليم وتهدَّمت وخُرِّب الهيكل واحترق بكل ما فيه وسُوِّي بالتراب، وتشتت شعب الله المختار إلى أقصى الأرض! أيُّ معنى عندئذ تستقر عليه أسفار العهد القديم التي كانت تحمل أنظمة العبادة هذه بكل مدَّخراتها وتدقيقاتها وكل تدبيرات الله وتوصياته واهتماماته، وإلى أي مدى تُعتبر هذه بعد ذلك أنها مقدَّسة ومُلْهَمة من روح الله ولازمة للحياة، بعد أن هكذا طُوِّح بها جميعاً وأُلغي عملها وانمحت من على وجه الأرض وتبدد الشعب الذي كان قد اشتغل بها!! هل كان يمكن أن يقوم للعهد القديم قائمة في قلوب المسيحيين؟ وإن قام، فكيف يواجهون التعارض الشديد بين أنظمة الروح في العهد الجديد، والأنظمة القديمة التي أبطلت وأُفرغت من محتوياتها واندثرت معالمها!! وكيف يحتفظون بقدسية أسفار العهد القديم وقد أُفرغت من محتواها هكذا؟؟ إن هذه الأسئلة صادقة وخطيرة وقادرة بحد ذاتها أن تزلزل الإيمان، ليس بالعهد القديم وأسفاره بل بالوحي المقدس ذاته، أي بصدق الله وكلمته!

من أجل هذا ساق الله بالروح القدس مَنْ كتب هذه الرسالة وأملاها، ليلتحم العهد الجديد بالقديم وتلتحم الأسفار بالأسفار، والكلمة بالكلمة، وذلك بالروح الواحد والفم الواحد الذي نطق الاثنين كلًا في زمانه!!

+ **«الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً**، بأنواع وطرق كثيرة، **كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه»!! (عب١:١و٢)**

هنا أعطى هذا السفر سرّ الإلتحام: القديم بالجديد، بالكلمة الواحدة، لأن الذي نطقها واحد وهو الله. هنا الأسفار يمسك بعضها بعضاً بسر الكلمة الواحد والروح الواحد الذي نطقهما، فالقديم منها يحمل في طياته بالكلمة الواحدة صورة الجديد حتماً، والجديد صار هو هو القديم مُستعلناً فيه نفس الكلمة إنما في غايتها واكتمالها.

وعليك أن تتصور إنساناً مثل «ماركيون» وقد سقط من مكتبته سفر العبرانيين، أو هو الذي أسقطه، فماذا صار إيمانه بالنسبة للعهد القديم برُمّته، بأسفاره وأعمال الله فيه، فقد قال ببطلان العهد القديم كُلًّا و بأسفاره، معتبراً أن اليهودية كلها بميراثها الكتابي والعبادي هي ضد المسيحية، وأن المسيح جاء ليلغي هذه القوة المضادة، وتجرأ بالقول بأن إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد بل ضده. وهكذا صار عنده فصل الإنجيل عن الأنبياء وناموسهم أمراً منتهياً لا رجعة فيه ولا استثناء. وهكذا وقف ماركيون الكافر ضد التعاليم الرسولية التي تحمل التراث القديم في صميم كيانها، وضد الروح المسيحية ومجتمعها الحامل لكل مواريث و بركات الآباء والأنبياء. وهكذا وسموه بالكافر! إذ تعثَّر في الوحي الإلهي و بالتالي في اللاهوت المسيحي عثرة قاتلة.

كما يمكن أن نتصور إنساناً آخر مثل المدعو في التقليد الأبوكريفي باسم «برنابا» على أنه رفيق ق. بولس في الأسفار، إذ كتب رسالة سُمِّيت باسمه، زيفاً أو حقيقةً لا نعلم، هذا غابت عنه روح الرسالة إلى العبرانيين. فماذا قال؟ قال: إن الله أعطى رسالة واحدة وأقام عهداً واحداً، وإن هذه الرسالة وهذا العهد هو ما نعرفه الآن بالإنجيل، ولكن اليهود لم يدركوها كما أُرسلَتْ إليهم وتعثَّروا فيها منذ البدء، وهكذا توقف العهد و بالتالي لم يأخذ قوته وعمله، حتى جاء المسيح (رسالة برنابا ٤: ٦).

وهكذا فإن برنابا هذا المزعوم أنه رسول يكون بذلك قد جمَّد كلمة الله وشلَّ حركة الوحي الإلهي، وأفسد عمله، وأبطل حكمة الله في التعامل مع الإنسان على مدى الأزمان، وجعل صبر الله وأناته على الإنسان وهو يعلِّمه ويدرب فكره وضميره وحواسه ــ باطلاً، وجعله لا صبراً ولا طول أناة بل فشلاً وتقاعساً، وحاشا!! ولو اتسع فكرنا وإدراكنا وتعمقنا ما كان يمكن أن تؤدي إليه هرطقة ماركيون أو شطحة برنابا إذا لم تكن الرسالة إلى العبرانيين قد أنارت أفق المسيحية مبكراً وسدَّت هذه المنافذ والثغرات القاتلة قبل أن يتم خراب الهيكل وتتم الكارثة في مظهرها الجارف

الماحق، نعم لكانت العثرة بلا قيام ولاهتزّت أسس المواعيد وارتجت عتبات الاختيار وسقط هيكل التدبير الإلهي وانفصلت الألف عن الياء وانقطعت سُبُل الربط بين البداية والنهاية، ولفقد الآخِرُ ميراثه في الأول.

ولكن، وبعد ذلك، فليتعجّب معي القارىء وليشتد به العجب حينما يعلم أن علماء زمان النهضة، وحتى علماء هذه الأيام، يقولون بأن برنابا هذا عينه هو الكاتب لسفر العبرانيين!! والحجة السديدة عندهم أن ألفاظاً كثيرة وردت متطابقة في الرسالتين والأسلوب يتقارب بين الرسالتين، ولم يدركوا أن «في القِدْر موتٌ يا رجل الله.» (٢مل ٤: ٤٠)

إذاً، فقد وضح سر الروح الذي أوحى للقديس بولس أن يكتب الرسالة إلى العبرانيين أو يمليها نقاطاً على من ترجمها إلى اليونانية. فبهذه الرسالة حدد الروح القدس الخط الإيماني الذي يتحتم أن يسلكه الفكر الرسولي المسيحي في طريقه الصحيح، ليرى المسيح متجلياً في أسفار العهد القديم، ويرى قوة الوحي المقدس وثباته وصدقه قديماً وحديثاً، كما أعلن عنه المسيح بفمه: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.» (مت ٢٤: ٣٥)

+ اسمع كيف يربط سفر العبرانيين أعمال الله وأقواله ووصاياه ربطاً متيناً لا يقوى الجاهل على فكّه حينما يكشف راحة الله في سر راحة السبت، في سر راحة كنعان، في سر راحة المسيح بالقيامة والجلوس عن يمين الله، باتفاق الروح وكأنه نغم سماوي وذلك في الأصحاح الرابع من الرسالة: حيث يكشف أن راحة يوم السبت كانت لربط فكر اليهود براحة الله نفسه الكائنة عنده والمزمعة أن تكون لبني الإنسان. ثم لكي يصوِّر راحة السبت تصويراً أكبر، مثّلها في راحة الشعب الخارج من العبودية والتائه في البرية، بالراحة في أرض تفيض لبناً وعسلاً، أرض كنعان، ثم وعد براحة أفضل إن هم أطاعوا، وهكذا في المسيح انكشفت الراحة الحقيقية راحة الله التي تصوّرت أولاً في السبت ثم في كنعان وهي الراحة التي فقدوها في جوهرها لأنهم كسروا السبت وأفسدوا الأرض:

+ «إذاً بقيت راحة لشعب الله، لأن (المسيح) الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها!!» (عب ٤: ٩-١١)

هكذا جعل سفر العبرانيين راحة الله بعد الخلق هدفاً روحياً وغاية للإنسان، ينتهي إليها بعد أن يكمِّل القصد من خلقته، عبوراً بالسبت كتذكرة زمنية للراحة و بأرض كنعان كاستقرار مكاني

مُريح، ثم للراحة العليا كنصيب للأبرار الذين أكملوا عمل الخلاص بالمسيح ومعه.

فانظر أيها القارىء العزيز كيف ربط سفر العبرانيين بين راحة المسيح التي ننشدها بل نحياها براحة السبت وكنعان ربطاً لا محيص عنه. فماذا إن جحدنا طقس السبت وأصوله؟ أليس هذا يكون جحداً لراحة الله فيه، ثم ماذا لو جحدنا طقس كنعان وتاريخه؟ أليس هذا يكون جحداً لراحة الله العليا في الوطن السمائي، وبعد ذلك كيف نفهم طقس الراحة العليا في المسيح الذي دعانا إليه؟ أليس السبت هو التصوير الزماني لراحة الله الفائقة عن الأزمان؟ ثم أليست أرض كنعان هي التصوير المكاني لراحة الله العليا الفائقة في الوطن المنزَّه عن المكان والكيان؟

+ كذلك حينما يكشف هذا السفر العلاقة الصحيحة بين عمل رئيس الكهنة قديماً، في خطوة دخوله بحسب أمر الله إلى قدس الأقداس حاملاً دم الكفَّارة على يديه ليقدِّمه أمام الله وفي حضرته على غطاء التابوت بين الكاروبين فتُقبل منه الكفَّارة وتُغفر خطايا الشعب وجهالاته، وبين دخول المسيح إلى أقداس السماوات حاملاً دم ذبيحة جسده ليتراءى أمام الله فيجد لنا فداءً وخلاصاً وصُلحاً أبدياً. فلولا هذه الصورة التطبيقية المتقنة التي قدمها سفر العبرانيين بالنسبة لرئيس الكهنة في القديم وعمله والمسيح بدخوله قدس الأقداس، لظلَّ صعود المسيح إلى السماء بعد الصليب والقيامة سرًّا مجهولاً لنا.

هنا يكون سفر العبرانيين قد أدَّى مهمتين عظيمتين:

الأولى: كونه رفع طقس الكهنوت في العهد القديم وذبيحة الكفارة إلى مستوى النور كمثال واقعي ملهم، وقد وُضع بحكمة الله البالغة ليمهِّد تمهيداً عملياً وتصويراً دقيقاً لما هو مزمع أن يكمِّله ابنه المبارك في ذبيحة الخلاص التي أعدها الله لنا منذ الأزل.

أما **المهمة الثانية:** فهي الشرح العملي الذي وضَّح لنا بأجلى صورة ما أكمله المسيح عنا بدخوله إلى الأقداس العليا وهو حامل خطايانا في دم ذبيحته، مكمِّلاً عنا التكفير النهائي على قدر ما لدمه من قوة حياة وقداسة وعلى قدر ما له من دالة البنوة أمام الله أبيه. وهكذا، وكما يقول السفر، صار ضامناً لنا عهداً أفضل (عب٧: ٢٢)!!

وهكذا يمكن أن نلخص سفر العبرانيين في أنه جعل لله صوتاً واحداً وكلمة واحدة وفكراً واحداً وعملاً واحداً لغاية واحدة على مدى العهد القديم كله والجديد إلى النهاية. لقد أحيا هذا السفر في قلوبنا وأنار في فكرنا استمرارية الله الحكيمة في تهذيبه للإنسان وتوسيع وعيه ومداركه بمرحلية متداخلة متماسكة:

+ «الله **بعد ما كلم الآباء** بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، **كلمنا** في هذه الأيام الأخيرة في ابنه!!» (عب١: ١و٢)

وكأن لسان حال سفر العبرانيين: «أنا الألف والباء»!! (رؤ٢٢: ١٣)

ثانياً: خصائص الرسالة إلى العبرانيين:

في البداية ليتنا نضع معياراً واحداً يمكن أن يجمع بين طياته كل الخصائص التي لهذه الرسالة وهو ما تقوله الرسالة بوضوح في هذه الآية:

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ (عزاء) = τοῦ λόγου τῆς παρακλήσεως لأني بكلمات قليلة كتبتُ إليكم» (عب١٣: ٢٢) وعليه يمكن تسمية الرسالة بجملتها: «رسالة عزاء».

أما أولى خصائص هذه الرسالة أو هذا العزاء، فهو أنها تتعامل مع ناموس العهد القديم بصدر رحب أو ترحّب به كبداية عزاء من الله للإنسان، أتى ناقصاً وضعيفاً على قدر نقائص وضعف الإنسان الذي كان يتعامل معه!

ولأول مرة نواجه رسالة تشرح روح النظام اللاوي للناموس القديم بإيجابية واضحة من وجهة نظر مسيحية أو بروح الإنجيل، فتتحاشى النقد أو الهدم، بل تبرز المعاني والإجراءات والمراسيم على ضوء ما تمّ منها أو على مثالها فيما أكمله المسيح، وكأن الرسالة استحوذ عليها قول الإنجيل إزاء كل حادثة كانت تتم بهذه الإشارة المتواترة: «لكي يتم ما قيل بالأنبياء» (مت٢: ٢٣، ١٣: ٣٥، ٢١: ٤، ٢٧: ٣٥)، أو مثلاً: «لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل: عَظْم لا يكسر منه» (يو١٩: ٣٦)، حيث الإشارة هنا إلى ما جاء في الطقس من جهة أكل الفصح في سفر الخروج (١٢: ٤٦). فهذا الربط السرّي بين ما قيل في القديم وما تم في الجديد، أو ما عُمل في القديم وما عُمل في الجديد هو الروح الذي تستمد منه هذه الرسالة إلهامها وكل تعليمها.

ومن وجهة نظر الرسالة إلى العبرانيين غير المُعلَنة ولكن المتضمَّنة حتماً في تصوُّرها، اعتبار أنه إذا كان المسيح كرئيس كهنة قد دخل بعمله إلى الأقداس العليا حاملاً دم ذبيحته كفّارة لخطايانا فوجد لنا فداءً أبدياً يُحتسب أنه رحمة لنا بكل يقين؛ فبكل يقين يكون الطقس اللاوي الذي وضع هذا المثال أصلاً، إذ أقام من بني هارون رئيس كهنة يدخل بدم ذبيحة الكفّارة إلى قدس الأقداس حيث يتراءى فعلاً وبالحقيقة أمام الله وينضح بالدم على غطاء التابوت فتُغفر خطايا الشعب، يكون هذا أيضاً تعبيراً عن رحمة الله لهم وبكل يقين إنما في إطار التعاملات الجسدية.

هكذا يرى هذا السفر العزائي كل الطقوس وكل الأوامر والنواهي التي للناموس الموضوع قديماً أنها كانت تعبيراً عن رحمة الله في حدود الجسديات، بقدر ما هي مثال للرحمة العظمى الآتية في حدود الروحيات الفائقة، أو هي كانت الرحمة والعزاء في حدودهما الناقصة ــ بقدر نقص الوسائل ــ التي أعطيت آنئذ لتمهد للآتي الكامل في مراحمه وعزائه الذي لا يُحد. على أن الله لا يمكن أن يعطي رحمته ناقصة إلاّ على أساس عدم مقدرة استيعاب الإنسان للرحمة في صورتها الكاملة. لذلك كانت الرحمة في نقصانها تمثل على أي حال تدريباً للإنسان ليتأهل للرحمة الكاملة. وهذا هو الناموس في اعتبار الرسالة إلى العبرانيين: **ناقص في عزائه، ولكنه يؤهل على كل حال لكمال العزاء.**

في اعتبار الرسالة إلى العبرانيين أن النظام الناموسي موضوع لتدريب الإنسان كيف يتطهر من النجاسات التي تنجس الجسد، لكي يتدرَّب الضمير على بغضة النجاسة و بالتالي الخطية، التي سمَّاها **الأعمال الميتة في داخل الضمير**: «... دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة» (عب٩: ١٤). ولكن كل التشريعات الناموسية بقيت ناقصة غير قادرة على الوصول بالضمير إلى حالة الرضى الكامل: «لأن الناموس إذ له **ظل** الخيرات العتيدة **لا نفس** صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام، أن يكمِّل الذين يتقدمون وإلاّ أفما زالت تُقدَّم؟ ... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.» (عب١٠: ١ــ٤)

وبهذا يتقدم السفر إلى حتمية التحوُّل من الناقص إلى الكامل، من الظل إلى الصورة عينها، من دم ثيران وتيوس إلى دم المسيح، من تطهُّر من النجاسة بالذبيحة والماء إلى تقديس القلب والضمير بالروح.

+ «لذلك عند دخوله (المسيا) إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيَّأت لي جسداً، بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر ... التي تُقدَّم حسب الناموس، ثم قال ها أنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله. ينزع الأول لكي يُثبِّت الثاني. فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب١٠: ٥و٦ و٨ــ١٠)

+ ولقد ركَّز سفر العبرانيين رؤيته للناموس والأنظمة اللاّويَّة لا من جهة نفعها أو عدم نفعها للإنسان، بقدر ما ركَّز على قيمة وعمل هذا الناموس وهذه الأنظمة بالنسبة لمشورة الله وتدبيره، وتدرُّج الوحي الإلهي في أخذه بيد الإنسان بترقٍّ وامتدادٍ إلى أعلى.

+ ورؤية السفر للناموس غير محصورة في الناموس بحد ذاته، بل في مقدار ارتباطه باستعلان المسيح الآتي وعمله الفدائي العظيم، فهو لا يرى الناموس أنه مجرد خطوة على الطريق منفصلة وقائمة بحد ذاتها، بل ظلاً ملازماً للصورة الحقيقية المختفية في الرمز والآتية في شخص المسيح، يستمد منه اعتباره ولزوميته وكيانه بحيث يكاد المرء يشعر بروح هذا السفر وكأنه يقول لولا المسيح ما كان ناموس! تماماً كما يقول: لولا قيام الشخص في النور ما كان يمكن أن نرى له ظلاً. ولكن الظل، كما يُرى في سفر العبرانيين، وإن كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالصورة إلاّ أنه ليس له قوة الصورة ولا قدرتها.

+ «لأن الناموس إذ له **ظل** الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن **يكمّل** الذين يتقدمون.» (عب١٠:١)

+ كذلك فإن سفر العبرانيين ينشغل بصورة أساسية بالمجتمع أي الجماعة ولا ينشغل بالفرد، كما لا نجده ينشغل بالصراع بين الجسد والروح، ولكننا نجد كل همّه منصباً على المفارقة بين **الظل والصورة**، أو بين **الشبه والحقيقة**، لأن معيار الإلهام الذي يقوم عليه فكر هذا السفر هو الحقيقة الأساسية العظمى التي وضعها الله منذ البداية لتكون الأساس الفكري والوجداني والتأملي لموسى النبي وهو يأخذ وصايا وترتيبات العبادة اليهودية بأكملها، حينما أراه الله **مثال كل شيء**، حيث المثال هنا παράδειγμα اعتُبِر في اللاهوت الكتابي أنه مجرد نموذج أوّلي **توضيحي**، وقد سُمّي بعد ذلك أنه شبه السماويات وظلها: «فيصنعون لي مَقْدساً لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من **مثال** παράδειγμα المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون.» (خر٢٥: ٨و٩)

وقد جاءت كلمة «المثال» بمعنى الظل «ظل σκιά الأمور العتيدة» (كو١٧:٢). وذكرها سفر العبرانيين في موضع آخر باسم «أشباه الحقيقة»:

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد، أشباه الحقيقية ἀντίτυπα τῶν ἀληθινῶν بل إلى السماء عينها ...» (عب٩:٢٤)

وجاء الاصطلاحان معاً هكذا: «الذين يخدمون شبه السماويات ὑποδείγματι وظلها σκιᾷ كما أُوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن، لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي **أظهر لك** في الجبل. ولكنه الآن قد حصل على خدمة **أفضل** بمقدار ما هو وسيط أيضاً **لعهد أعظم** قد تثبّت **على مواعيد أفضل**.» (عب٨: ٥و٦)

وواضح أن الفرق بين العهدين ليس هو الفرق بين الحقير والأعظم بل بين **العظيم والأعظم**،

كذلك الفرق بين الخدمة في الناموس وخدمة المسيح ليس على مستوى الحقير والفاضل بل على مستوى **الفاضل والأفضل!** وهذا في مقابل **الشبه والحقيقة! والظل والصورة! والمثال والأصل! والناقص والكامل، وضوء الفجر المعتم وضوء النهار الساطع**، أو ضوء مصباح وضوء الشمس.

ولهذا يُعتبر المسيح بالنسبة للناموس، في عُرْف سفر العبرانيين، مُكمِّلَ المشورة أو كمال القصد والوعد.

+ «**فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة**، وأما كلمة القَسَم التي بعد الناموس فتقيم **ابناً مكمَّلاً (في المجد) إلى الأبد**.» (عب٧:٢٨)

كذلك، فالهيكل (المسكن) وكل ما يتعلق به، كمقْدِسٍ خاص لله على الأرض، اعتُبِر في سفر العبرانيين أنه المسكن أو المقْدِس **العالمي** الناقص، أما الذي دخله الرب يسوع المسيح في السماء فهو الأكمل والأعظم.

+ «قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن **تكمِّل** الذي يخدم.» (عب٩:٩)
+ «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن **الأعظم والأكمل** غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة.» (عب٩:١١)

+ بسبب هذا الارتباط الوثيق بين عهد الناموس وعهد البر بالمسيح، في منهج سفر العبرانيين، فهو عندما ينتقل من الناموس إلى المسيح لا يحدث بينهما فجوة أو قطع أو مسافة، فالمسيح لا يبرز في سفر العبرانيين فجأة، ولكن السفر يتخذ أسلوب التوضيح التدريجي والممتد بدون فصل، فبينهما وحدة حقيقية، وعندما يرفع الغطاء عن الواحدة يكشف في الحال سرَّ الآخر.

+ «**لأن أولئك** بدون قَسَمٍ قد صاروا كهنة، **وأما هذا** فبقسم من القائل له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (عب٧:٢١)
+ «**وأولئك قد صاروا كهنة** كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء، **وأما هذا** فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول.» (عب٧: ٢٣و٢٤)
+ «فإن الناموس يقيم **أناساً بهم ضعف** رؤساء كهنة، وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابناً **مكمَّلاً إلى الأبد**.» (عب٧:٢٨)

المحاور الأساسية التي تدور حولها المقارنة كلها تمسك بيد عبادة الهيكل وملابساتها، وباليد الأخرى عبادة المسيح في اتصال سرِّي غاية في العمق الإبداعي الذي يوحي بالفعل أن

هذا كلمة الله في الأنبياء وهذا كلمة الله في ابنه، فالمتكلم واحد والسامع واحد!! والكلمة هي الكلمة!!

العوامل الأساسية التي تحرّك الحوار غير المعلن بين الرسالة والمُرسَل إليهم:

فأولاً: من وجهة الإيمان المسيحي:

لقد قامت المناداة بالإيمان المسيحي على أساس رؤية العيان لقيامة المسيح من بين الأموات بقوة وجلال ومجد، فكانت هذه الرؤية شهادة بالغة الأثر شرحت معنى الموت وألغت عثرة الصليب.

كما أن المناداة بعودة المسيح وسرعة مجيئه ثانيةً كانت من العوامل المبهجة التي رفعت من معنويات اليهود الذين تركوا اليهودية غير عابئين بالاضطهاد والخسارات، بل وزاد أيضاً المتحمّسون منهم لأوطانهم بقرب عودة الملك لإسرائيل: «يا رب هل في هذا الوقت ترد المُلْك إلى إسرائيل؟» (أع ١:٦)، ولكن هوذا قد طالت الأيام والسنون ومات منهم من مات واستشهد من استشهد والرب لم يأتِ، وصدى الرؤية العيانية لقيامة الرب بأمجادها انحصرت بموت أصحابها، فبدأ موت المسيح وعثرة الصليب تأخذان شكلاً من الضغط على بهجة القيامة وتضعفها عند هؤلاء العبرانيين، بل وتزعزع الإيمان بالمسيح نفسه.

وثانياً: من وجهة النظر اليهودية:

امتداد رفض اليهود للمسيح وبالتالي للمسيحيين كان يزداد ويتعمق، والفصل في المعاملة بدأ يأخذ نوعاً من العنف ثم المطاردة، فانغلقت أبواب الهيكل أمامهم وتوقفت شركتهم في العبادة العامة الوطنية وممارسة طقوسهم الدينية في هيكلهم بمواعيدها. فبدأ الفراغ يزداد ويزحف على الحياة اليومية الفردية والجماعية، وبدأت العداوة والمقاومة تزداد بين السنهدريم والكنيسة فشقّت اليهود نصفين، بين وطنيين متمسكين بدين وطنهم، ويهود منفيين داخل أوطانهم بلا وطن ولا مدينة ولا هيكل ولا امتيازات يهودية من أي نوع. فبدأ السؤال الحرج يزداد ضراوة في قلوبهم وتحيّر ضمائرهم، هل رفض الله شعبه؟ لماذا هكذا صرنا وكأننا قُطعنا من أمجادنا وميراثنا وتغرَّبنا في بلادنا؟

وهكذا وتحت هذين العاملين الأساسيين: الإخفاق في الرجاء المسيحي والاختناق في الواقع اليهودي، بدأت روح المتنصّرين من اليهود تزداد قلقاً على مدى الأيام، كما بدأت تراودهم إغراءاتُ الارتداد إلى اليهودية للتخلص من الأزمة الفكرية والنفسية التي تسرَّبت إلى الإيمان

المسيحي لترفع منه بهجة الخلاص ومجد الرجاء وحرارة الإيمان وفرح الروح وحقيقة المسيح الحي!

وهنا تحرَّك الروح القدس وخطَّ لهم هذا السفر النفيس سفر العزاء، وكأنه كلمة وعظ في أحرج الأوقات!!

ومرة أخرى، فإن الروح القدس نفسه ومن خلال هذه الرسالة عينها، ومن واقع هذه العوامل بكل نصوصها وحروفها، يخاطبنا نحن المسيحيين في هذه الأيام الأخيرة التي سبق وتنبأ عنها جميع الرسل الملهمين أنها أيام الارتداد التي ستُعجِّل من المجيء الثاني للرب: «لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً» (٢تس٢: ٣). وهكذا تصبح هذه الرسالة إلى العبرانيين هي عينها رسالة الساعة الآن للذين يترجون مجيء الرب.

والآن نأتي إلى كيف تناقش الرسالة هذه العوامل ــ وغيرها ــ وتردّها إلى الرؤية الصحيحة:

١ ــ **فمن جهة قوة القيامة** التي كانت تزكيها في البداية شهادة الذين عاينوها ــ وقد رقدوا ــ ثم كان يلهبها انتظار سرعة مجيء الرب؛ فهذان الأمران كانا يرتكزان على مستوى المنظور فيما حدث في الماضي، أي مشاهدة القيامة؛ وعلى ما يُرجى حدوثه، أي بانتظار رؤية مجيء المسيح المقام، بحسب تصوير الملاك للتلاميذ، فمن جهة كل هذا نرى الرسالة تعالج، بالتركيز الشديد جداً والمتكرر بصورة صارخة، قيمة الإيمان وعمله والتمسُّك به إلى النهاية. هذا الإيمان الذي عاشه الآباء القديسون الأمناء للوعد دون أن يتحقق لهم هذا الوعد أو يروه. وقد أعطت الرسالة ليس مثلاً واحداً بل أمثلة عديدة. فأولاً أوضحت لهم ما هو الإيمان، حتى لا يتعلق اليهود بانتظار مجيء الرب بالرؤية المنظورة والاعتماد على الشعور فقال: **«وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى»** (عب١١: ١). ثم بدأ يعطي النماذج والأمثلة: **«فإنه في هذه شُهِد للقدماء»** (عب١١: ٢). **فأعطى أولاً قيمة الإيمان، وذلك بأننا نؤمن بأن الخليقة المنظورة تكونت أصلاً مما لا يُرى، أي أننا نعيش الآن على أساس إيمان بأن أصل خلقتنا غير منظور. ثم أعطى أمثلة لجلال وعظمة نتيجة الإيمان للذين آمنوا، مبيّناً أنه أساس العلاقة التي تربطنا بالله: «ولكن بدون إيمان** لا يمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه.» (عب١١: ٦)

وأعطى بعد ذلك عشرين مثلاً من الآباء والأنبياء القديسين، وعقَّب على ذلك بأنه بالرغم من إيمانهم الذي عاشوه وعملوا به إلاَّ أنهم لم يروا المواعيد!! **«في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد،** بل من بعيد نظروها (بالروح) وصدّقوها (بالإيمان) وحيّوها (بالثقة) وأقرّوا بأنهم

غرباء ونزلاء على الأرض» (عب١١: ١٣). وهنا يؤكد أن مفهوم الحياة بالإيمان لا يعتمد على الالتصاق **بوطن أرضي!!** «ولكن الآن **يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً** لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم، لأنه أعدّ لهم مدينة (أورشليم العليا).» (عب١١: ١٦)

ثم يزيد لهم التأكيد أن الحياة بالإيمان تحتمل كل أنواع الضيق والظلم والاضطهاد والاستشهاد، وفيها يعتبر الإنسان المظلوم أنه غلب العالم!! بل والعالم نفسه لا يستحق هؤلاء الذين تألموا بالظلم واحتملوا شاكرين ولم يطلبوا الاستعفاء أو يطلبوا النجاة!!

+ «وآخرون عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هزء وجلدٍ ثم في قيود أيضاً وحبس. رجموا، نُشِروا، جُرِّبوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مُذَلِّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض.» (عب١١: ٣٥-٣٨)

ثم يوعّي السفر مرة أخيرة بأن مثل هؤلاء الذين عانوا كل هذا الظلم حتى الموت **لم ينالوا المواعيد التي وُعِدوا بها!!** كل هذا ليرفع من معنويات ومن إيمان وروح ورجاء هؤلاء العبرانيين الذين كانوا يعانون جزءاً يسيراً من هذا الضيق والألم، غير أنهم كانوا قد بدأوا يتزعزعون من جهة الإيمان بالمسيح، إذ ركّزوا على انتظار مجيئه ورؤيته حسب الوعد، وقد تأخّر، ولم يتحقق الوعد بحسب المنظور الذي كانوا ينتظرونه: «**فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا المواعيد.**» (عب١١: ٣٩)

ثم ليت القارىء اللبيب يدرك أن هذا الكلام الموحى به من الله ينطبق على حالنا في هذه الأيام، فهي بالحقيقة رسالة وعظ وعزاء.

٢ ـ من جهة احتمال الضيق والآلام والاضطهادات والتشهير والخزي: بعد أن سجل السفر هذه الحالات العشرين من الذين عاشوا بالإيمان تحت الضيق والألم والاستشهاد، ينبه ذهنهم أن أرواح هؤلاء الذين عاشوا بالإيمان وعُذبوا ورفضوا النجاة وماتوا هي حولهم، تنظر إليهم وتشجّعهم لكي يغلبوا كما غلبوا هم فتقول لهم:

+ «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطّرح كلّ ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر = (نركض) بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا.» (عب١٢: ١)

ثم يستحضر أمام ذهنهم المسيح وهو يعاني أشنع الاضطهاد والآلام أثناء الصليب، باعتبار أنه هو رئيس الإيمان الذي يعيشون به، حتى لا يتزعزعوا ويخوروا في إيمانهم:

+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً **بالخزي**، فجلس في يمين عرش الله. فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه **لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم**.» (عب١٢: ٢و٣)

وليلاحظ القارىء كيف يربط السفر بين إيمانهم المسيحي وإيمان المسيح نفسه كرئيس لهذا الإيمان عينه، ثم يربط بين ما يتألمون به ظلماً من الأشرار وما عاناه المسيح على نفس المستوى. وهكذا يوضّح أن الآلام هي اختبار لقوة الإيمان، وأن الإيمان المسيحي يستمد من المسيح نفس القوة التي احتمل بها المسيح الآلام والخزي، فلا ينبغي أن يخوروا في إيمانهم أو يضعفوا في احتمالهم أو ينوءوا بحملهم.

٣ ــ من جهة كونهم منبوذين من بني وطنهم ومحرومين من امتيازات الوطن، وكأنهم غرباء في مدينتهم:

يوضح لهم سفر العبرانيين أن إيمانهم المسيحي، كما سبق وقلنا، يستمدونه من المسيح رئيس الإيمان، ولذلك فالمسيح بالنسبة لهم هو النموذج الذي ينبغي أن يكون مَثَلَهم الأعلى؛ بل وعليهم أن يدركوا أنه، من أجلهم، ولكي يقدّسهم لله، سفك دمه لا على مذبح أرضي ترابي ولا في هيكل أورشليم بل ولا في أورشليم كلها، بل سفكه خارج أبوابها، بمعنى أن تقديسهم لله في المسيح يتحتم أن يكون خارج «المدينة». **وهكذا فلكي يقبلوا تقديس دم يسوع المسيح، عليهم أن يخرجوا خارج المدينة خروجاً روحياً ونفسياً، أي لا يتمسكوا بأرضها وترابها**، وخروجاً ليس في مجد العبادة الهيكلية بأنظمتها وجلال خدمة كهنتها الشكلي الزائل، بل في انحناء الرأس حاملين الصليب المحبوب أنه العار الذي حمله من أجلنا؛ لكي إذا ما شاركناه في حمل هذا العار والخروج الفاضح من أبواب أورشليم، نشترك أيضاً في مجد قداسته وتقديسه لنا في السماء وندخل إلى الأقداس العليا مُكرَّمين بهذا الدم:

+ «لذلك يسوع أيضاً لكي يقدّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب (باب المدينة)، **فلنخرج إذاً إليه خارج المحلّة**(١) **حاملين عاره، لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة**.» (عب١٣: ١٢ــ١٤)

وواضح من تكميل المسيح ذبيحة نفسه الكفارية خارج الهيكل وخارج أورشليم، أن هذه

(١) «وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنارٍ خارج المحلّة، هو ذبيحة خطية.» (خر٢٩: ١٤)

الذبيحة صارت لتقديس العالم كله وليست هي لإسرائيل فقط. فكل إسرائيل عليه أن يخرج خارج «المحلة» وخارج أورشليم، ليتقبَّل من دم المسيح التقديس الكفاري الأبدي وليس السنوي الجسدي بعد. وهكذا، فإن الإيمان بالمسيح يحمل في طياته التغرُّب الحقيقي عن الوطن الأرضي.

٤ ـ من جهة حرمانهم من عظمة وجمال الهيكل والراحة النفسية من الخدمات فيه:

هذا الإحساس بالنقص والحرمان، أعطى سفر العبرانيين الحل من الأساس بقوله أن العبادة اليهودية بأكملها استلمها موسى بيد ملائكة حسب التقليد العبراني. والآن يشرح لهم أن المسيح هو أعظم من الملائكة جملة وتفصيلاً، ولكن يعتبر أن أخْذَه صورة مستضعفة وتأسيس عبادته على أساس عار الصليب بالخروج من الهيكل والمدينة وكأن لا وطن للمسيح، هذا التواضع الشكلي في العبادة وشخص المسيح تختفي وراءه حقيقة المسيح أنه أعلى من الملائكة، فهو ابن الله الأزلي. فإن كان قد تنازل إلى صورة العبد وقَبِلَ الإخلاء حتى الموت بإهانة وعار الصليب، فهذا كان من أجلنا ليرفع سلطان الموت عنا وليرفعنا إلى مجده. ففي هذا النزول والإخلاء والتواضع، إنّ في شخصه أو عمله الذي صار أساس العبادة المسيحية، يذخر لنا المسيح ـ في ضعف حالنا هذا الذي نشترك فيه معه ـ تعاطفاً وملاطفة وتعزية وشفاعة دائمة حقيقية تغشى حياتنا الداخلية وتقوّي ضمائرنا وتعزّي قلوبنا، لنرى أنفسنا أعظم من الهيكل والمدينة والأرض بكل ما فيها.

أما جمال الهيكل كبيت الله وعظمة موسى الذي كان عليه رجاء إسرائيل، فهذا كله محسوب مجرد بيت مبني بيد إنسان يخدمه إنسان، أما المسيح فهو باني هذا البيت وليس هو خادماً فيه كموسى، بل المسيح هو صاحبه، والبيت الحقيقي هو نحن لو تمسَّكنا بالإيمان به إلى النهاية (عب٣: ٣ــ٦):

+ «صائراً (المسيح) أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم لأنه لمَنْ مِنَ الملائكة قال قط أنت ابني؟ ...

وأيضاً متى أدخَلَ البِكْرَ إلى العالم (بالتجسد) يقول: ولْتَسجُد له كل ملائكة الله ... وأما عن الابن: كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور...

وأنت يا رب (المسيح) في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى (بما فيها أورشليم والهيكل)، وكرداء تطويها فتتغيَّر، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى. ثم لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ ...

لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته، لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم

بها ملائكة (الناموس كله) قد صارت ثابتة، وكل تعدٍّ ومعصية (على وصايا موسى) نال مجازاة عادلة،

فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره.»

(عب ١: ٤—٨ و١٠—١٣ و٢: ١—٣)

+ «ولكن الذي وُضِع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد!!

لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام...

فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما (ليستطيع أن يموت)، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ... لأنه فيما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين.» (عب٢: ٩و١٠ و١٤و١٨)

+ «فإن هذا (المسيح) قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت.» (عب٣: ٣)

إذاً، فالذي يتمسك بالمسيح والإيمان به، يكون له عزاء وراحة ورجاء في خلاص ومجد لا يقارن بما كان لليهودي من جرَّاء صلته بالهيكل والخدمة فيه. فالصلة بالمسيح، بالمقارنة بالصلة بموسى والهيكل، كالصلة بالله والسماء بالمقارنة بالصلة بخادم في بيت من حجارة. والصلة بين مجد المسيح وعبادته بالمقارنة مع مجد الهيكل والخدمة فيه، كالصلة بين المجد الحقيقي والمجد الزائل الذي تطويه السنين.

٥ ــ ثم الأخطر من كل ما سبق، يوعّيهم هذا السفر أن تَزَعْزُع إيمانهم ونظرتهم إلى خلف وإغراء الارتداد هو بسبب عدم اكتشافهم حقيقة المسيح كمنقذ أعظم أو كرئيس كهنة عظيم صاحب الكفّارة الكبرى للإنسان. وهذا أدى إلى ضعف الالتصاق به، وبالتالي إلى عدم اكتساب قوة التقديس بدمه الذي يرفع الإنسان فوق كل الزعازع المحيطة ويُدْخِله الأقداس العليا تحت مظلة الله سالماً آمناً حيث الراحة العليا.

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسَّك بالإقرار.»

(عب٤: ١٤)

+ «**فلنتقدَّم بثقة** إلى عرش النعمة **لكي ننال رحمة** ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب٤: ١٦)
+ «وإذ كُمِّل (بالآلام والصليب) صار لجميع **الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي.**» (عب٥: ٩)
+ «... قد صرتم متباطئي المسامع لأنكم، إذ كان ينبغي أن تكونوا مُعلِّمين لسبب طول الزمان (بعد الإيمان)، تحتاجون أن يعلِّمكم أحد ...» (عب٥: ١١و١٢)
+ «**وأما هذا (المسيح) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول، فمن ثَمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام** الذين يتقدمون به إلى الله، **إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم.** لأنه كان **يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا،** قدوس، بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة، وصار أعلى من السموات.» (عب٧: ٢٤–٢٦)
+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب٨: ١و٢)
+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد ــ أشباه الحقيقية ــ **بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا** ... ليبطل الخطية بذبيحة نفسه.» (عب٩: ٢٤و٢٦)
+ «فبهذه المشيئة **نحن مقدَّسون** بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب١٠: ١٠)
+ «فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة **جلس إلى الأبد عن يمين الله** ...» (عب١٠: ١٢)
+ «لأنه **بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين.**» (عب١٠: ١٤)
+ «فإذ لنا أيها الإخوة **ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،** طريقاً كرَّسه لنا حديثاً، حياً، بالحجاب أي جسده(٢)، وكاهن عظيم على بيت الله، **لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان ...**» (عب١٠: ١٩–٢٢)
+ «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب١٠: ٢٣)

كما تتطرق الرسالة إلى سبب جوهري في ابتعاد هؤلاء اليهود المسيحيين عن جادة الإيمان المسيحي والثبات فيه مما أدَّى إلى خطر إمكانية الارتداد إلى اليهودية، وهو اكتفاؤهم بالسير في موكب المسيحية مع السائرين دون الإمساك بالإيمان راسخاً ورصْد الغاية وطاعة الله، ومن الوجه الآخر ظهورهم بمظهر اليهود في وسط اليهود، وذلك خوفاً أو مجاملة، مع أنهم مسيحيون، الأمر الذي

(٢) عجيب حقاً أن يذكر ذلك إشعياء النبي: «مرَّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه.» (إش٤١: ٣)

من شأنه أن يفتح مجال التأثير عليهم لجذبهم إلى العبادة اليهودية مرة أخرى، أي الارتداد عن الإيمان.

هنا يحذِّرهم الشُّفْرمن السلوك مسلك شعب إسرائيل في البرية الذين تذمروا وعَصَوْا أوامر الله ولم يؤمنوا بوعد الله وفكَّروا في العودة إلى مصر. هؤلاء أقسم الرب أن لا يدخلوا إلى راحته، وراحته بحسب الشكل هي أرض كنعان؛ ولكن سفر العبرانيين يراها، بحسب الحق والروح، أنها راحة الله السماوية، فهم فعلاً طُرِحت جثثهم في القفر ولم يدخلوا أرض كنعان وبالتالي راحة الله العليا:

+ «لذلك كما يقول الروح القدس، اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، ...
حتى أقسمت في غضبي **لن يدخلوا راحتي**؛
انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم **قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي**؛ ...
لأننا قد صرنا شركاء المسيح **إن تمسَّكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية**، ...
فمن هم الذين إذ سمعوا أسخطوا، أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى؟
ومن مَقَتَ أربعين سنة، أليس الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر؟
ولمن أقسم لن يدخلوا راحته **إلاَّ للذين لم يطيعوا؟**
فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان!» (عب٣: ٧—١٩)

ويعود ويقول لهم إننا نحن المسيحيين نقف الآن موقف شعب إسرائيل الخارج من مصر، فنحن نعيش بالإيمان على رجاء وعد الله أيضاً أننا سندخل راحة المسيح في كنعان السماوية وطننا الأبدي ونكون شركاء مجده. هذا إذا تمسَّكنا بالإيمان، أما إذا استهترنا بالدعوة واخترنا العصيان، فالنتيجة أننا سنخيب من وعد الله أي من نصيب الراحة العليا:

+ «لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا (بالمسيح حتى بالإيمان ننال الموعد) كما أولئك، لكن لم تنفع كلمة الخبر (على فم موسى لشعب إسرائيل الخارج من مصر) أولئك **إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان** في الذين سمعوا.» (عب٤: ٢)

+ «لأننا نحن المؤمنين (باسم المسيح) ندخل الراحة ... لأن (المسيح) الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله (أعمال تجديد الخلقة) كما الله من أعماله.» (عب٤: ٣و١٠)

+ «فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها.» (عب٤: ١١)
+ «فلنَخَفْ أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه.» (عب٤: ١)

وعلى القارىء أن يتصوَّر هذا المنظر: شعب إسرائيل بعد **أن تذمَّر على الله وحاول الارتداد والعودة إلى مصر**، فكان أن الله **أبغضهم وأقسم أنهم لن يدخلوا راحته**، وبالمعنى الجسدي لن يدخلوا أرض كنعان. وكان أن ظل الشعب يسير فاقد الإيمان بالله ومتذمراً، وفي الوقت عينه كان قد وقع عليه غضب الله. وهكذا ودون أن يدري الشعب وهؤلاء عن مصيره، ظل يسير وجثثهم تتساقط على الأرض جثة وراء جثة ويوماً بعد يوم، **إلى أن فني الجيل كله تحت التراب، إلاَّ** اثنين كانا قد آمنا وصدَّقا وعد الله، كالب بن يَفُنَّة ويشوع بن نون. منظر حزين وحزين للغاية!

هكذا يوعِّي سفر العبرانيين هؤلاء اليهود المسيحيين لئلا بعد ما آمنوا بالمسيح يرتدون عن الإيمان، فيفقدوا الوعد.

سِرُّ مَلكي صادق:

٦ ــ سفر العبرانيين يتجاوز الانحصار في الناموس ليفك أسر العبرانيين من الاختناق بحدوده الضيقة:

لذلك نجده لا يبدأ من موسى ولا من إبراهيم كما فعلت الرسالة إلى أهل رومية، بل من ملكي صادق باعتباره شخصية دينية أعلى شأناً من إبراهيم، لأن إبراهيم قدَّم له العشور واستلم منه البركة والتعضيد بسر الخبز والخمر. وهذا يعني أن العبادة اليهودية بأكملها بما فيها الناموس هي مرحلة على الطريق نحو الله أو بالنسبة لتدبير الله، حيث يبقى طقس ملكي صادق شامخاً على طقس إبراهيم (الختان) وموسى (الكهنوت اللاوي)، حيث يصرِّح السفر بأن ملكي صادق أكبر من إبراهيم شأناً:

+ «ولكن الذي ليس له نسب منهم ــ (ملكي صادق) ــ قد عشَّر إبراهيم (أي أخذ منه العشور، ممثِّلاً لله) وبارك الذي له المواعيد، وبدون كل مشاجرة (بدون نزاع) الأصغر ــ إبراهيم ــ يُبارَكُ من الأكبر ــ ملكي صادق.» (عب٧: ٦و٧)

وهكذا يتجاوز الناموس إلى ملكي صادق كأعلى، الذي كان في الحقيقة رمزاً للمسيح الآتي كما كشف ذلك الروح القدس بالوحي على فم داود داعياً بقَسَمٍ من نحو المسيح: «أقسم الرب

ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز١١٠: ٤). وهكذا أعطى الكهنوت في المسيحية صورة سريّة سماوية فائقة القدر والوصف لا علاقة لها قط بكهنوت شعب إسرائيل والهيكل. فالكهنوت في الكنيسة ليس كهنوت خدمة مقدّسات أرضية، ولا مذابح مصنوعة بالأيادي ولا هو ينتسب إلى نَسَب بشري، ولا هو من وضع بشر، بل هو كهنوت على طقس ملكي صادق، كهنوت منتسب إلى الله الحي مباشرة، لسِرٍّ فائق لا يُفهم إلاَّ في شخص المسيح ابن الله. يختص بالمقدسات السماوية والمذبح الواحد الناطق السمائي، وذبيحته التي يخدم عليها ومنها هي ذبيحة ابن الله الحي حمل الله السماوي الذي يرفع خطايا العالم، ولا تزال هي كما هي قائمة في سر ملكي صادق بخبز وخمر!! وقد ألمح إلى هذا المذبح وهذه الذبيحة عينها سفر العبرانيين بقوله المملوء سراً: «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون الهيكل (ذبائح اللاويين) أن يأكلوا منه!!» (عب١٣: ١٠)

وهكذا نجح سفر العبرانيين في أن يرفع رؤية الإنسان اليهودي المسيحي من الناموس الأقل في شخص موسى أو حتى إبراهيم إلى شخص المسيح الأعظم. وهكذا و بالتالي رفع درجة الكهنوت في الإيمان المسيحي من الكهنوت اللاوي أو رئاسة الكهنوت الهاروني الزمني للإنسان إلى كهنوت ملكي صادق المعتبر في الوحي المقدس أنه كهنوت إلهي أبدي وليس بشرياً، حاضر فيه سِرُّ الابن:

+ «لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم **كاهن الله العلي** الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك **وباركه**، الذي قَسَم له إبراهيم **عُشراً من كل شيء**، المترجم أولاً ملك البر (صادق) ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، **بل هو مشبَّه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد**.» (عب٧: ١-٣)

وهكذا، وإن بدا أن سفر العبرانيين وكأنه يرجع بالناموس إلى خلف حيث بداية البداية، أي فيما قبل إبراهيم، إلاَّ أنه في نفس الوقت امتدَّ بالناموس عينه إلى المسيح باعتباره في آن واحد مولوداً تحت الناموس؛ وهو أعلى من الناموس، وسابقاً عليه منظوراً في شخص ملكي صادق الرمز الخاص لحقيقة كهنوت المسيح الأبدي.

وهنا لا يغيب عن القارىء أن سفر العبرانيين يكون بهذا قد مجَّد الناموس إذ جعله إجراءً تحضيرياً، ولكن جعل مجد المسيح قبل الناموس وبعده بآن واحد!: «إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي» (يو١: ١٥). هذا السر نطق به المعمدان، ممثِّلاً للعهد القديم، مشيراً إلى المسيح، والذي عبَّر عنه المسيح نفسه للسامرية: «لأن الخلاص هو من اليهود» (يو٤: ٢٢)، مشيراً إلى نفسه!! «أنا الذي أُكلمك هو»!! (يو٤: ٢٦)

٧ ــ وباستعلان المسيح رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق بحكم النبوة وانكشاف الواقع التاريخي، فإن سفر العبرانيين أدخل إلى حيِّز الاستعلان مجد ذبيحة الكفارة حتماً وبالضرورة، ولكن بمفهوم كهنوت ملكي صادق الذي يخلو من الذبائح الحيوانية. وهكذا دخل الصليب وذبيحة المسيح الكفارية موضع الاستعلان والتطبيق، في صورتهما الفعلية والعقلية السرية، أي بالجسد المذبوح على الصليب وبالخبز والخمر المعطى باليد لأكل الفم:

+ «لنا مذبح (عقلي) لا سلطان للذين يخدمون المسكن (الذبائح الحيوانية) أن يأكلوا منه.» (عب١٣: ١٠)

وهكذا دخل سفر العبرانيين في مقارنة شاملة بين كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح، وبين ذبائح القديم وذبيحة المسيح، وبين أثر أو فاعلية ذبائح العهد القديم وفعل ذبيحة المسيح، وبين المسكن في القديم الذي كانت تقدَّم فيه الذبائح والمسكن الجديد الذي قدَّم فيه المسيح ذبيحته.

كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح:

+ «لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس ــ فيما لله ــ لكي يقدِّم قرابين وذبائح عن الخطايا، ... إذ هو أيضاً محاطٌ بالضعف ...، كما يقدِّم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه، ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً.» (عب٥: ١ــ٤)

+ «كذلك المسيح أيضاً لم يمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له ــ أنت ابني أنا اليوم ولدتك ــ كما يقول أيضاً في موضع آخر ــ أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ... مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.» (عب٥: ٥و٦و١٠)

+ «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق؟ ولا يقال على رتبة هرون؟ لأنه إن تغيَّر الكهنوت فبالضرورة يصير تغيُّرٌ للناموس أيضاً ... فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت. وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر، قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول (بقَسَم) لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (بقَسَم).» (عب٧: ١١ــ١٧)

وهنا يعطي النتيجة الحتمية لتغيير الكهنوت والفارق بينهما، فالناموس يَبطُل وكهنوت المسيح يبقى ويكمِّل الفداء إلى الأبد:

+ «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة **من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمّل** شيئاً ولكن (أعطي لكي به) يصير **إدخال رجاء أفضل به تقترب إلى الله.**» (عب٧: ١٨و١٩)

+ «لأن أولئك (الكهنة) بدون قَسَم قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقَسَم من القائل له أقسَمَ الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق،
على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل،
وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين **من أجل أن الموت يمنعهم عن البقاء،** وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب٧: ٢١—٢٥)

ويعقّب على ذلك سفر العبرانيين بقوله أن هذا الامتياز يوضح مقدار اهتمام الله أن يأتي المسيح بعد الناموس ليكمل بذبيحة واحدة مقدسة الغفران والتقديس إلى الأبد:

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات. الذي ليس له اضطرار كل يوم(٣) مثل رؤساء الكهنة أن يقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه ... ابناً مكمّلاً إلى الأبد.» (عب٧: ٢٦—٢٨)

وهكذا يرتفع سفر العبرانيين بحقيقة المسيح كرئيس كهنة إلى قمة المنهج التوضيحي لعمل المسيح هكذا:

+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات.» (عب٨: ١)

ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح المقدسة:

ذبائح العهد القديم:

+ «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، **لا يقدر أبداً، بنفس الذبائح كل سنة التي يقدّمونها على الدوام أن يكمّل الذين يتقدّمون!** وإلاّ أفما زالت تقدّم؟» (عب١٠: ١و٢)

+ «**لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.**» (عب١٠: ٤)

---

(٣) صحة القول تكون «كل سنة».

+ «إذ يقول آنفاً إنك ذبيحة وقرباناً **ومحرقات وذبائح للخطية لم تُرِدْ ولا سررت بها، التي تقدَّم حسب الناموس.**» (عب١٠:٨)
+ «وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدِّم مراراً كثيرة تلك **الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية.**» (عب١٠:١١)

ذبيحة المسيح:

+ «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد **ولكن هيأت لي جسداً.**» (عب١٠:٥)
+ «ثم قلت هنذا أجيء، في دَرْج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله، ... ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني، فبهذه المشيئة **نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة!**» (عب١٠: ٧و٩و١٠)
+ «وأما هذا (المسيح) **فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله** ... لأنه **بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين.**» (عب١٠:١٢و١٤)

ويعقِّب سفر العبرانيين على ذلك مؤكداً أنه إذا كانت المغفرة قد تمَّت وكملت بشهادة النبوات عن ذبيحة المسيح، فإن المعنى الحتمي لهذا يكون توقُّف الذبائح والقرابين، وبالتالي توقُّف خدمة الكهنة وبطلان وظيفتهم:

+ «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً، لأنه بعد ما قال سابقاً هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب: **أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم** (إذاً يبطل الناموس المكتوب على ورق) **ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد** (إذاً تبطل الذبائح ومقدِّموها)، **وإنما حيث تكون مغفرة** لهذه (الخطايا مجاناً) **لا يكون بعد قربان عن الخطية.**» (عب١٠: ١٥—١٧)
+ «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري **يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.**» (عب٩: ١٣و١٤)
+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩:٢٨)

المسكن القديم (القدس العالمي)؛ والمسكن الجديد في السماء:

يعتبر سفر العبرانيين أن الانتقال الذي تم بواسطة المسيح باعتباره رئيس كهنة حاملاً ذبيحة نفسه إلى الأقداس العليا هو قمة التغيير الذي حدث في الانتقال من عبادة الله في المسكن القديم الذي نصبه الإنسان على الأرض إلى عبادة الله في موضع مسكنه في السماء:

+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس **في يمين عرش العظمة في السموات** خادماً للأقداس والمسكن **الحقيقي** ἀληθινῆς الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب٨: ١و٢)
+ «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة ... بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.» (عب٩: ١١و١٢)
+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد **أشباه الحقيقية** ἀντίτυπα τῶν ἀληθινῶν بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب٩:٢٤)

ثم يبدأ السفر ليوضح كيف أن بدخول المسيح إلى داخل الحجاب، إلى قدس الأقداس في السموات مسكن الله، ربطنا ونحن على الأرض ربطاً وثيقاً محكماً بالله في مسكنه في السماء، مشبهاً المسيح بهلب نحن مربوطون فيه كمركب في خضم البحر حيث يُلقي البحّار الهلب في العمق المجهول فتثبت المركب ولا تخشى زعازع البحار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بدخوله افتتح لنا الطريق المغلق للدخول، ولكن بدمه الذي دخل به هو من أجلنا، حاملاً جنسنا فيه:

+ «... **تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذي هو لنا كمرساة للنفس** مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب. **حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا** صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.» (عب٦: ١٨-٢٠)
+ «**فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع**، طريقاً كرسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله. **لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان.**» (عب١٠: ١٩-٢٢)

ثم يعود السفر ليعطينا لمحة من بعيد إلى ما يحويه هذا المسكن السماوي أي القدس الإلهي العجيب الآن الذي هو أورشليم السماوية:

+ «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار (بسبب حلول الله فيه) وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق وصوت كلمات (الله) استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم

كلمة ... وكان المنظر هكذا مُخيفاً، حتى قال موسى: "أنا مرتعب ومرتعد"؛ بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديَّان الجميع وإلى أرواح أبرارٍ مكمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رشٍ يتكلَّم أفضل من هابيل.» (عب١٢: ١٨-٢٤)

والآن نأتي إلى الأغراض الرئيسية من الرسالة برمَّتها

طبعاً واضح أن الغرض الرئيسي في الرسالة هو شد أزر هؤلاء اليهود الذين آمنوا بالمسيح منذ زمن طويل والذين قد بدأ إيمانهم يتزعزع للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

ولكن توجد أغراض دقيقة مطروحة داخل الرسالة.

فموت المسيح القائم في عثرة الصليب الذي اعتبره السفر من وجهة نظر اليهود أنه عار: «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب١٣: ١٣)، والذي كان هو السبب الرئيسي الذي جعلهم يشعرون بالخجل ويضعفون أمام مقاوميهم بل ويضعفون في إيمانهم، هو نفسه القوة السرية الإلهية التي نتقدم بها إلى الله كسبب للشكر وتقديم التسبيح: «**فلنُقدِّم** به (أي بالصليب) **في كل حين لله ذبيحة التسبيح** أي ثمر شفاهٍ معترفة باسمه.» (عب١٣: ١٥)

ثم هو نفسه أي الصليب والدم المسفوك عليه الذي يؤهلنا دائماً للدخول أمام الله لنخدمه بضمير طاهر — عوض الأجساد الحيوانية التي كانت تؤهل لطهارة الجسد بالذبائح الميتة:

+ «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المُنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، **يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي**.» (عب٩: ١٣و١٤)

كذلك فإن الخطية التي على أساسها قامت كل الذبائح قديماً ولم تستطع أن تلغي سطوتها بدليل استمرار تقديم الذبائح كل هذه الأيام والسنين بلا نهاية، قد أبطلها المسيح مرة واحدة بدم ذبيحته، وبه اكتسب لنا كفَّارة دائمة لا تحتاج إلى تكرار ولا تضعف إلى الأبد:

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا؛ ولا ليقدِّم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم

ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور **ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه.**» (عب٩: ٢٤–٢٦)

كما أنه بهذا الدم عينه الذي لذبيحة المسيح، قد حصلنا ليس على تطهير الجسد حتى يمكن أن ندخل هيكل الله، بل على تقديس النفس والروح والجسد جميعاً لندخل إلى قدس أقداس الله لنتراءى أمامه بثقة:

+ «فبهذه المشيئة نحن **مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح** مرة واحدة.» (عب١٠: ١٠)
+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده وكاهنٌ عظيمٌ على بيت الله؛ لنتقدَّم بقلبٍ صادقٍ في يقين الإيمان مرشوشةً قلوبنا من ضميرٍ شرير ...» (عب١٠: ١٩–٢٢)

واضح هنا أن علة ثقتنا كل حين بالدخول إلى أقداس الله التي كان لا يدخلها إلَّا رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة، هي دم المسيح الذي اغتسلنا به وتقدَّسنا. فكما أن علة جرأة رئيس الكهنة للدخول إلى الأقداس كانت هي «**دم**» ذبيحة الكفارة الذي كان يحمله على يديه، **هكذا** أصبحت جرأتنا نحن بالتالي للدخول إلى الأقداس هي بسبب دم المسيح الذي هو دم الكفَّارة العظمى الدائم والحي الأبدي، الذي رُشّ على قلوبنا وضمائرنا، فهو يؤهّلنا للدخول كل حين و بلا مانع؛ بل بيقين وثقة أيضاً.

كذلك، فإننا بهذا الدم وهذه الذبيحة وهذا الصليب حصلنا على أقصى ما يمكن أن نحصل عليه في علاقتنا بالله، وهو ما يسميه سفر العبرانيين **بالكمال أو التكميل**، أي تكميل كل ما كانت تهدف إليه جميع وصايا الناموس وعجزت عنه:

+ «لأنه بقربان واحد (جسده على الصليب) قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين.» (عب١٠: ١٤)
+ «فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد، له كهنوت (على أساس ذبيحته) لا يزول، فمن ثم يقدر أن **يخلّص أيضاً إلى التمام** الذين يتقدمون به إلى الله. إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم (بدمه).» (عب٧: ٢٤و٢٥)

وهكذا قصد هذا السفر أن يحوّل لهم وفيهم أسباب خجلهم من المسيح وعثرة إيمانهم بالصليب وعلة ضعفهم وضعف الإنجيل في نظرهم، إلى قوة حقيقية، بل إلى حقيقة القوة في الإنجيل نفسه والإيمان عينه، ويرفع من نظرتهم إلى المسيح كحامل عار حينما حمل الصليب، إلى حامل تقديس وتكميل بل وكمال الذين آمنوا به ونالوا به الدخول إلى الأقداس العليا بثقة وقلب صادق. وإن

كان هذا فيما يبدو يختص بالخارج من جهة حياتهم وسلوكهم بين أقرانهم ومواطنيهم، فبالأكثر ما يتم لهم بهذا الدم والصليب في الداخل، في سيرتهم الداخلية وأمام قلوبهم وضمائرهم. فالخطية التي حطّمت نفوسهم وأضعفت موقفهم أمام الله ولم تستطع آلاف الذبائح وصفوف الكهنة ورؤساء الكهنة أن يزحزحوها عنهم، هذه الخطية عينها هي التي أبطلها لهم المسيح بالتمام ليعيشوا، ليس بعد بضمير خطية، بل بشعور التقديس والمقدَّسين المكمَّلين أمام الله!

و بهذا التركيز الهائل على عمل ذبيحة المسيح الكفارية وقوة فعل دمه سواء في حياتهم الخارجية وسلوكهم، أو في حياتهم الداخلية وسيرتهم أمام ذواتهم والله، كان القصد الأساسي هو التقليل من لهفة انتظارهم لعودة المسيح وترقُّب مجيئه الثاني لينقذهم من القلق والضعف الذي ألمَّ بهم بسبب عدم اكتشافهم لحقيقة موت المسيح الكفاري وعمله الفدائي العظيم، كرئيس كهنة كل حين قائم ودائم لهم في السماء يشفع فيهم.

كذلك فإن تركيز السفر على ذبيحة المسيح الكامنة في الفداء والغفران، كان القصد منه إلغاء مفهوم الذبائح الحيوانية من وجدانهم وتعلُّقهم بالتطهيرات الجسدية الفاقدة قيمتها من جهة الضمير، كما رفع من سمو عمل المسيح في آلامه وموته.

والآن، وبنظرة عامة فاحصة على هذا الأسلوب التوضيحي للعبادة في وجهها اليهودي السابق وفي وجهها المسيحي الذي انفتح عليهم في المسيح، نجد أن فكر هذا السفر ومنهجه وتنسيقه اللاهوتي يرفع من قدر العبادة ككل كما يرفع من استعلان حكمة الله في تدبيره سواء في الناموس أو المسيح، بنوع من العمق الروحي الذي لا يجاريه سفر آخر من الأسفار المقدسة.

وقد نجح سفر العبرانيين لا في المحيط اليهودي المسيحي الذي كُتب له، بقدر ما نجح في المجال المسيحي الأممي على مدى العصور كلها وحتى اليوم، وقد أصبح له الفضل الأول على كافة الأسفار في شرح وتوضيح أعمال المسيح الفدائية كلها، **موقّعة ليس على النبوات فحسب، بل وعلى كل أعمال الناموس وطقوسه بكل دقائقها، الأمر الذي وسَّع من مدارك الإنسان المسيحي الأممي من جهة شخص المسيح وكل أعماله في أصولها وأسبابها وأهدافها.** وبذلك أصبح موقع سفر العبرانيين بالنسبة لجميع الأسفار في العهدين القديم والجديد هو موضع الفيلسوف أو المايسترو الذي يمسك في يديه سر البداية والنهاية ليقود الفكر بدفع إلهي حكيم، مجنِّباً الإنسان كل الشكوك والعثرات التي تبدو ــ في الحقيقة ــ خطرة، أثناء العبور على آلام المسيح وسفك دمه وموته على الصليب موت العار خارج أسوار أورشليم.

وإلى سفر العبرانيين يُعزَى الآن الفضل العميم في منهج اللاهوت المسيحي **في فهم دقائق معنى** الكفّارة والفداء والتقديس بالدم والصعود وارتفاع المسيح ودخوله فوق أعلى السموات، وليس مجرد فهم دقائق المعاني اللاهوتية فقط، بل وتقديم النموذج العملي التوضيحي الذي سبق أن رسمه الله بالناموس كمثال الله، لكي ينتقل فكر الإنسان نقلاً سهلاً هيناً من الصورة والمثال إلى الأصل والحقيقة.

وبالتالي إذ يسلِّط هذا السفر نور الإنجيل على العهد القديم، يكشف بوضوح صدق نبواته عن كل ما صار بالمسيح يسوع. كما يكشف عن أصالة أحكامه الناموسية وإجراءاته وممارساته كأمثلة وظلال سماوية صامتة خرساء، ولكن قيِّمة، لحقائق المسيح الناطقة الفعَّالة ونوره الإلهي العجيب.

وهكذا، وبعد أن كانت كل ترتيبات طقوس الناموس حركات شبه ميتة يعوزها المعنى، خرساء لا تنطق بما تهدف إليه، جاء المسيح ليستنطقها لتعطي لغة الحقائق الإلهية، فتتجلى جميعاً وتأخذ معناها بل وتلبس ثوب اللاهوت الناطق بروح الله سواء من جهة خيمة الاجتماع بأقداسها وموسى الخادم فيها أو الكهنوت اللاوي أو الذبائح الصامتة أو المذبح الحجري أو راحة السبت الزمني أو المدينة المستعبَدة مع بنيها، أو الجبل الملموس المدخِّن، أو صهيون مدينة الوعد. هذه كلها جاء سفر العبرانيين فرفع في تؤدة وحكمة أستار الظلال عن هذه الأشياء، فإذا هي حقائق السماء عينها منظورة بالروح، وابن الله يخدم فيها الخلاص لحساب الإنسان، حيث الحاجز المتوسط ليس هو الواقع بين القدس وقدس الأقداس المطلوب هدمه، بل هو الكائن في فكر الإنسان وقلبه الذي أُنيط بسفر العبرانيين أن يرفع ظلّه عن قلب الإنسان فيتراءى كل شيء في مكانه ولكن في نور ابن الله، فظهرت الحقائق السماوية دون أن تهتز صور الأشياء العتيقة أو تتحطم! وبثقة الإيمان دخل الإنسان، كل إنسان، إلى ما داخل الحجاب إلى قدس الأقداس عينه وعليه رشُّ دم رئيس الكهنة نفسه ابن الله، ليتراءى أمام الآب ذاته لينال الغفران الكامل برش دم المسيح.

وبذلك يتحقق وعد المسيح لليهود: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم **حياة** وليكون لهم **أفضل**.» (يو١٠:١٠)

لهذا نجد سفر العبرانيين يوضِّح في مقدمته موقع الآباء والأنبياء وكل النبوات مع كل التنظيمات التي نصَّ عليها الناموس بمنتهى التدقيق كيف تحتويها جميعاً «كلمة الله». أما قيمة هذا المحتوى بأجمعه باعتباره كلمة الله، فيقرره المسيح نفسه في القول: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.» (مت٢٤:٣٥)

فإن كان من جهة العهد القديم قد سبق أن «كلَّم (الله) الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة» (عب١:١)، عاد الله وأكمل كلامه: «في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب١:٢)، بمعنى أن ابن الله جاء ليأخذ على عاتقه تكميل كل ما فات ليدخله كله كميراث له ثم بالتالي لنا، وهذا بعينه صَادَقَ عليه المسيح بتأكيد ذاتي: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمِّل» (مت٥:١٧). لذلك، ففي عرف سفر العبرانيين، العهد الجديد هو «الكمال»، ولكن ليس مقتطعاً من لا شيء، بل هو الكمال بمعنى التكميل لعهد سابق كان ينقصه المسيح فقط كوسيط نهائي من الطرفين فوق العادة يتوِّج العلاقات التي طرحها الله قديماً لتربط الإنسان به. فإن كانت قيمة العهد القديم كعهد يرتبط به الله مع الإنسان من طرف واحد؛ وهو الله، بكلمة خرجت من فمه؛ فالعهد الجديد هو عهد أوثق كمالاً دخل فيه الله مع الإنسان بتمثيل متبادل من الطرفين في شخص يسوع المسيح الحامل لبنوة الله و بنوة الإنسان معاً، حيث التحمت فيه ذات الله بذات الإنسان، وتوحَّدت فيه كلمة الله بكلمة الإنسان ومشيئة الله بمشيئة الإنسان، وقداسة الله بعجز الإنسان. وهكذا استعاد الإنسان مكانته الأُولى والعظمى من الله، وورث مع الابن كل معطيات الله، لا في قُرْبى بل في اتحاد.

مقدار التشابه في العناصر الموضوعية بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى:

من الأسفار التي تقترب من سفر العبرانيين في كثير من العناصر الموضوعية، إنجيل القديس يوحنا ورسالة بطرس الأُولى، ورسائل بولس الرسول، ولكن ليس على مستوى النقل وإنما تشابه في الفكر اللاهوتي في إطاره العام، فسفر العبرانيين لم ينقل نصوصاً حتى ولا من أسفار العهد القديم بل كان يقتبس منها ومن الذاكرة.

إنجيل القديس يوحنا وسفر العبرانيين:

+ واضح في ترتيب التسلسل في رواية إنجيل القديس يوحنا أنه يبتدىء بالتعرف على المسيح قبل التجسد، باعتباره «الكلمة» الذي كان في البدء «عند الله»، «وكان الله»! بهذا الترتيب عينه يبدأ سفر العبرانيين. فالمسيح قبل التجسد كان هو ابن الله، وفي هذا الابن «كلَّمنا» الله. وواضح من هذا أن المسيح هو كلمة الله!!

+ كذلك يراه إنجيل ق. يوحنا أن «كل شيء به كان و بغيره لم يكن شيء مما كان» (يو١:٣)، بمعنى الخلق؛ وعلى نفس المستوى يراه سفر العبرانيين أن الله «به أيضاً عمل العالمين»

(عب١: ٢) بمعنى الخلق أيضاً.

+ وكما يراه إنجيل ق. يوحنا أنه «كان (هو) النور الحقيقي» (يو١: ٩)؛ كذلك يراه سفر العبرانيين أنه «بهاء مجده ورَسْم جوهره.» (عب١: ٣)

+ ثم كما يُجمِل إنجيل ق. يوحنا رسالة المسيح بجملتها في تجسده وموته الكفاري وصعوده وجلوسه في الأعالي مبتدئاً بالتجسد «والكلمة صار جسداً» (يو١: ١٤)، كذلك يجمل سفر العبرانيين رسالة المسيح جميعها في قوله: «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب١: ٣)، ومبتدئاً كذلك بالتجسد بقوله: «متى أدخل البِكْر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله.» (عب١: ٦)

+ وكما يقرن إنجيل ق. يوحنا آلام المسيح بمجده: «وأما يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة (الصليب) ليتمجد ابن الإنسان» (يو١٢: ٢٣)؛ كذلك يقرر سفر العبرانيين: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد.» (عب٢: ٩)

+ وقد استطاع إنجيل ق. يوحنا أن يلتقط للمسيح صورة كرئيس كهنة يصلِّي لدى الله أبيه صلاته التشفعية الطويلة من أجل تلاميذه وكل المؤمنين به، معبِّراً عن قيامه بهذه المهمة عن جدارة ذاتية لم يقدِّمها لهم مخلوق: «ولأجلهم أقدِّس أنا ذاتي» (يو١٧: ١٩)؛ أما سفر العبرانيين فقد خصص أصحاحات بكاملها قدَّم فيها المسيح في هذه الوظيفة السرية العظمى التي نالها من قبل الله بقَسَم داعياً إياه رئيس كهنة الخيرات العتيدة، القادر أن يشفع ويخلِّص إلى التمام.

+ وكما يكشف إنجيل ق. يوحنا عن روحانية العبادة وترفُّعها عن مستوى الحسِّيات والزمنيات: «الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤: ٢٤)؛ هكذا ارتفع سفر العبرانيين بالعبادة من «قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمِّل الذي يخدم. وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح» (عب٩: ٩و١٠)، ارتفع إلى «المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل **غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة**.» (عب٩: ١١)

+ كما نلمح في الفكر اللاهوتي لإنجيل القديس يوحنا حقيقة أن المسيح «**كفَّارة**» لخطايا العالم كله: «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو **كفارة** ἱλασμός

خطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢: ١و٢). وهذا هو عمل رئيس الكهنة بالتحديد القاطع؛ كذلك نجد أن الفكر اللاهوتي لسفر العبرانيين يقوم أساساً على عمل المسيح الكفّاري كرئيس كهنة.

+ وفي إنجيل ق. يوحنا يتمركز اللاهوت حول حقيقة أن المسيح يعتمد على الآب كلّية في القول والفكر والمشيئة والعمل: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يو٥: ٣٠)؛ وهذا التمركز اللاهوتي في شخص الآب يسود كل الفكر في سفر العبرانيين بلا استثناء.

الرسالة الأولى لبطرس الرسول وسفر العبرانيين:

+ يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في التركيز الشديد على آلام المسيح كنموذج لما ينبغي أن تكون عليه حياتنا وخلاصنا:

١بط٢: ٢١: «لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته».

عب١٢: ٣: «فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكِلُّوا وتخوروا في نفوسكم».

+ كذلك يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في التركيز على كون ذبيحة المسيح كانت على مستوى الطهارة الكلية فصار دم ذبيحته بلا عيب، ومن هنا يقوم سر قوته في التطهير الكامل!

١بط١: ١٨و١٩: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح».

عب٩: ١٤: «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه بلا عيب بطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي».

+ كذلك أيضاً يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في الاحتفاظ بمفهوم الكهنوت في العهد الجديد على أساس روحي صرف وعلى الذبائح إنما على أساس روحي صرف أيضاً:

١بط٢: ٥: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيّة بيتاً روحياً (عوض هيكل أورشليم) كهنوتاً مقدساً (عوض الكهنوت اللاوي) لتقديم ذبائح روحية (عوض ذبائح الحيوانات) مقبولة عند الله بيسوع المسيح».

عب١٣: ١٥: «فلنقدم به (كرئيس كهنة وبذبيحة نفسه) في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه».

رسائل بولس الرسول وسفر العبرانيين:

يلزم هنا أن نؤكد أن الرسالة إلى العبرانيين معتبرة في التقليد اللاهوتي الإسكندري أنها للرسول بولس. ونحن نأخذ بهذا التقليد، غير أننا نرى أن الرسالة إلى العبرانيين إن كان فيها جديداً بالنسبة لرسائل بولس الرسول فهو لا يتعارض معها، ونعزو هذا إلى تخصص هذه الرسالة في محتواها وهدفها للعبرانيين فقط، لذلك لا عجب أن يكون فيها عناصر جديدة أكثر ملاءمة لليهود المتنصرين مما لمسيحيي الأمم. مثل إعطاء المسيح وظيفة جديدة تماماً لم ترد في كل رسائله الثلاث عشرة الأخرى وهي **وظيفة رئيس الكهنة**، الأمر الذي يصعب على مسيحيي الأمم إدراك عمقه، لأن هذه الوظيفة تأخذ معناها ومبناها وأهميتها وعظمتها من الطقس الذي يدركه اليهود جيداً ولا تدركه الأمم.

كذلك، فبينما نجد المبدأ اللاهوتي الذبائحي وبالأخص الكفاري ــ وهو اختصاص رئيس الكهنة في الطقس ــ سائداً بالدرجة الأولى في الرسالة إلى العبرانيين، نجده مختفياً ومتقلّصاً تماماً في الفكر اللاهوتي لبقية رسائل القديس بولس الرسول، إذ لا يذكر فيها بولس الرسول كلمة «**الكفّارة**» إلاّ مرة واحدة جاءت في الرسالة إلى أهل رومية (٣: ٢٥)، بل وكلمة «**الذبيحة**» لم تأتِ في سائر رسائل بولس الرسول الثلاث عشرة إلاّ مرة واحدة في الرسالة إلى أفسس (٥: ٢)، وفي معنى ذبيحة السرور وليس الكفّارة!! وليس هذا تقصيراً في منهج الرسائل الثلاث عشرة فهي كلها لكنائس الأمم المتنصرين، حيث القيمة الذبائحية معدومة على المستوى التطهيري والتقديسي عند الوثنيين.

والملاحظ أن سفر العبرانيين يخلو من قضيتين لاهوتيتين تقعان في رسائل بولس الرسول موقع العَصَب الذي يشد أزر المنهج اللاهوتي كله وهما: مفهوم «**الحلول**» حيث يحل المسيح في القلب ويملأ الحياة، ومفهوم «**الاتحاد بالمسيح**»، إذ لا تجد أي أثر لاصطلاح «**في المسيح**» و«**مع المسيح**» في الرسالة إلى العبرانيين. ولا غرابة في ذلك، فالرسالة إلى العبرانيين مكتوبة ومرسلة لقوم تخلخل إيمانهم بالمسيح وكانوا على وشك الارتداد إلى اليهودية، فمن أين يحكي لهم عن المسيح الساكن فيهم؟ أو عن اتحادهم بالمسيح؟ فهذه خبرات حرموا نفوسهم منها بسبب ابتعادهم عن الصلاة (عب١٠: ٢٥)، وبسبب انسداد آذانهم عن التعليم: «إذ قد صرتم متباطئي المسامع، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي!!» (عب٥: ١١و١٢)

ولكن إزاء هذه الفروقات، نجد الاتفاق بين فكر الرسائل الثلاث عشرة وفكر الرسالة إلى العبرانيين كثير التطابق:

+ في أمر ضعف الناموس وتوقف سلطانه بمجيء المسيح الذي أفرغه من محتواه:

رو٣: ٢٠:	«لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية».
عب١٠: ١:	«لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة (الكفَّارة) التي يقدمونها على الدوام أن يكمِّل الذين يتقدمون».

+ كل من الرسائل الثلاث عشرة وسفر العبرانيين يضع أورشليم السماوية في مقابل سيناء ليوضح الانتقال من المثال τύπος إلى الأصل ἀρχέτυπος، ومن الشبه إلى الصورة، ومن الظل إلى السموات عينها ومن الرمز إلى الحقيقة:

غل ٤: ٢٤-٢٦:	«وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان، أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية (تحت الناموس) الذي هو هاجر، لأن هاجر جبل سيناء في العربية (إسماعيل) ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبَدة مع بنيها (تحت الناموس). وأما أورشليم العليا التي هي أُمُّنا جميعاً (إسحق والموعد) فهي حرَّة».
عب١٢: ١٨: ٢٢و٢٣:	«لأنكم لم تأتوا إلى جبل (سيناء) ... بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات».

+ كذلك نجد أن الرسائل الثلاث عشرة تتفق مع سفر العبرانيين في وصف طاعة المسيح المنسحقة التي جلبت الخلاص في مقابل عدم طاعة آدم التي جلبت القصاص:

رو٥: ١٩:	«لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً».
عب٥: ٨و٩:	«مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي».

وفيما عدا ذلك، ينطبق الفكر اللاهوتي في الرسائل الثلاث عشرة مع مثيله في لاهوت سفر العبرانيين فيما يخص لاهوت المسيح الكامل، وكل صفاته الإلهية بغير نقصان: من بنوة ذاتية لله، وخلقته للعالم، إلى ارتفاع وتفوُّق فوق الملائكة، وكل خليقة مهما كانت في الأرض والسماء، وتكميله الفداء على الأرض وفي السماء، وجلوسه عن يمين عظمة الله في السموات، وتشفعه الدائم لتكميل الخلاص، ثم قوة دمه الفعّال بالروح الأزلي الذي فيه بصورة دائمة، للتطهير والتقديس وكطريق مكرّس للمفديين به للدخول أمام الله إلى أقداس الله في السموات. ويذكر سفر العبرانيين شركة الروح القدس دون التوقف على عمل الروح القدس. كما يذكر الإفخارستيا ذكراً عابراً باعتبارها الأكل من السر المقدم على مذبح الله، كما يذكر استنارة المعمودية والحصول على مواهب الدهر الآتي هنا في هذا الدهر.

غير أنه يعوز سفر العبرانيين التقنين السري الكامل للفكر اللاهوتي عن الكنيسة كجسد المسيح، غير أنه ألمح إلى كونها بيت الله وذلك في اختصار شديد: «وأما المسيح فكابن على بيته. **وبيته نحن** إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب٣:٦)

كما يخلو المنهج اللاهوتي لسفر العبرانيين من استعلان نوال بر الله في المسيح الذي يُعتبر أساس الفكر الخلاصي في بقية الرسائل. فالتركيز على الله في ذاته هو السمة الغالبة على سفر العبرانيين أكثر من التركيز على المسيح[4]. ولقب يسوع أكثر وروداً من لقب المسيح، فانشغال السفر ينحصر أكثر في العمل البشري للمسيح.

وفي الختام نحن نحمل لسفر العبرانيين الفضل في التفرُّد أكثر من جميع الأسفار في إطلاق صفة «الله» واضحة صريحة على المسيح في بساطة وهدوء دون أي تشكيك: «وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك.» (عب١:٨)

4. H.W.Montefiore, *op. cit.*, p. 6.

الفصل الثالث

دراسة تمهيدية عن النبوة والأنبياء

في الآية الأولى والثانية من الأصحاح الأول تقدّم الرسالة ما يُعتبر مقارنة بين استعلان الله في القديم للآباء بالأنبياء بطرق وأنواع كثيرة، وبين استعلان الله لنا في هذه الأيام في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.

والشيء الذي أحجمت عنه الرسالة إحجاماً كلياً هو أنها لم تعطِ أي بيان عن ما هو الاستعلان الذي قدَّمه الله في القديم للآباء بالأنبياء، وما هي هذه الطرق والأنواع الكثيرة التي قدَّم الله بواسطتها الاستعلان قديماً. ولكن الرسالة محقَّة كل الحق في أن لا تقدم شيئاً بالمرة عن ماهية هذا الاستعلان القديم ولا وسائله ولا ظروفه أو طرقه وأنواعه لأن الرسالة مكتوبة للعبرانيين، أي اليهود أصحاب التوراة وأصحاب هؤلاء الأنبياء، الذين عاشوا حقيقة هذا الاستعلان بكل محتواه التاريخي والإلهي، فهو مضمون عبادتهم ومصدر افتخارهم.

ولكن ما بال حالنا نحن، ونحن لسنا عبرانيين والقليل منّا مَنْ قرأ أسفار العهد القديم عن وعي، ولا نقول دَرَسها، حتى يمكن أن نأخذ بواقع الرسالة ونعبر على موضوع استعلان الله في القديم للآباء بالأنبياء دون أن نناقشه.

لذلك وجدنا أنه لكي يكون القارىء المسيحي المعاصر على وعي باستعلان الله في هذه الأيام في ابنه، يتحتم علينا أن نعطي قدراً كافياً من التوضيح لاستعلان الله بالأنبياء في القديم. لأن مضمون الرسالة ــ كما سوف يراها القارىء ــ يقوم على أساس المقارنة بين نقص الاستعلان في القديم بالأنبياء إزاء كمال الاستعلان في المسيح، وكان ذلك هدف الرسالة عند ق. بولس ليقنع هؤلاء العبرانيين المتزعزعين بأفضلية الإيمان بالمسيح عن موسى والأنبياء.

لذلك نحن نبدأ هنا بتقديم دراسة مختصرة عن استعلان الله في القديم بالأنبياء ليكون لدى القارىء الأساس الذي يمكن أن يستوعب على أساسه المقارنة التي تخوضها الرسالة لتبيان أفضلية الإيمان بالمسيح عن موسى والناموس والأنبياء.

العناصر الأساسية للدراسة:

١ ــ ما هي النبوة؟

٢ ــ مَنْ هم الأنبياء؟

٣ ــ وظيفة الأنبياء.

٤ ــ النبي الصادق، والنبي الكاذب.

٥ ــ علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيا.

٦ ــ الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبواتهم.

٧ ــ توقف النبوة، وانتهاء عصر الأنبياء.

أولاً: ما هي النبوة؟

النبوة προφητεία وتعني ما يُعلن عن مشيئة الله. كذلك، فالنبوة هي أيضاً الاستعلان revelation، وباليونانية: ἀποκάλυψις ، وهي من مقطعين: -ἀπο برفع، καλύπτω وتعني يحيط بـ أو يغطي، حيث يأتي بمعنى حجاب المرأة καλύπτρα .

لذلك فالنبوة هي رفع الغطاء أو القناع عن شيء أو سر مخفي. والنبوة عمل يختص بوعي الإنسان حيث ينفتح الوعي ليكشف ما كان مخفياً عن الفهم الطبيعي للإنسان.

أي أن النبوة هي موهبة فائقة للطبيعة فيها ينفتح وعي النبي لمعرفة الأمور الفائقة عن طبيعة العقل والمدركات البشرية، أو بمعنى أكثر وضوحاً، الانفتاح على المجال الإلهي لمعرفة مشيئة الله. ولهذا فإن سفر الرؤيا الذي يختص برؤيا يوحنا اللاهوتي فيما يخص **عمل الله** في الأيام الأخيرة، دُعي الأبوكاليبسيس ἀποκάλυψις .

ومعروف أن هذه الموهبة، أي النبوة، ليست من أعمال البشر الإرادية بل هي عمل الله المباشر في الإنسان، كما يقول بطرس الرسول بوضوح: «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان؛ بل تكلم أُناس الله القديسون **مسوقين** من الروح القدس.» (٢بط١: ٢٠و٢١)

ونحن إذا أردنا أن نحدد معنى وعمل النبوة التي تأتي بسياق من الروح القدس نجد أن سفر الرؤيا حدَّدها بصورة علنية مبدعة بقوله إنها هي الشهادة للمسيح، هكذا:

+ «فخررت أمام رجليه (الملاك) لأسجد له، فقال لي: انظر لا تفعل، أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم **شهادة يسوع**. اسجد لله. **فإن شهادة يسوع هي روح النبوة!!**» (رؤ١٩: ١٠)

ومنها يتضح أن كل النبوات التي ساقها الروح القدس في الأسفار على يد الأنبياء إنما هي لـ «شهادة يسوع»!! أو بمعنى آخر فإن كل نبوات الكتاب تصبُّ في الشهادة ليسوع المسيح واستعلان شخصه وعمله.

وهنا تصبح المقابلة ويصبح الربط بين ما تكلَّم الله به للآباء بالأنبياء قديماً وبين ما تكلم به لنا في هذه الأيام في ابنه، وحدة واحدة غير منفصمة، كحقيقة مستعلنة قديماً بالأنبياء فيما يخص المسيح جزئياً تمهيداً لاستعلانها كلِّياً في المسيح المستعلن كابن الله. ومن المواصفات المبدعة للعلاقة بين استعلان المسيح بالنبوة في الأسفار القديمة واستعلانه بالتجسد والظهور العلني كإنسان في الإنجيل، ما يقدمه لنا بطرس الرسول أيضاً مشبِّهاً إياها بمصباح كان يضيء في الليل بالنسبة لشمس أشرقت بطلوع الفجر:

+ «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن **ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح** (المسيح) في قلوبكم.» (٢بط١: ١٩)

بمعنى أنه على الذي يريد أن يتعرف على حقيقة استعلان المسيح باعتباره «الله ظهر في الجسد»، أن يتتبع النبوات من البدء بتدقيق ــ وفي خضوع وتقوى وصلاة، وسوف يقوده الروح القدس المتكلم في هذه النبوات خطوة خطوة حتى يشرق في قلبه الإيمان بحقيقة المسيح كانبثاق نور النهار بعد عتمة الليل.

والمسيح يؤكد ذلك ويثبِّته بالتعليم الذي لقَّنه لتلميذي عمواس بعد القيامة عندما وجدهما في الطريق عابسَيْن يتطارحان همومهما كيف مات المسيح الذي كان عليه رجاء إسرائيل وهوذا له ثلاثة أيام في القبر، إذ لم يكونا قد سمعا بالقيامة:

+ «فقال لهما: أيها الغبيَّان والبطيئا القلوب في الإيمان **بجميع ما تكلم به الأنبياء**. أما كان ينبغي (يتحتم) أنَّ المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم **ابتدأ من موسى، ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.**» (لو٢٤: ٢٥ــ٢٧)

بهذا التعليم الإلهي الذي قدَّمه المسيح لتلميذي عمواس تسجَّل منهج الكنيسة اللاهوتي على

مدى العصور في دراسة حياة المسيح، والذي يتلخص بحسب كلام المسيح كالآتي:

١ ـ **الإيمان الواعي المنفتح** بقلوب ناشطة ومجتهدة **للإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء باعتبار أنها تخص المسيح كلياً وبلا شك.**

٢ ـ التعرُّف على أهمية آلام المسيح كما جاءت في النبوات كمدخل حتمي للدخول إلى مجده.

٣ ـ إن أسفار موسى تدخل في مضمونها العملي والتفسيري كجزء أساسي في تفسير حقيقة استعلان المسيح.

٤ ـ إن جميع ما قاله الأنبياء يدخل في صلب اختصاص المسيح باعتبار أنها تنتهي إليه وتأخذ معناها منه.

٥ ـ إن جميع الأسفار المقدسة المعروفة في العهد القديم جزء لا يتجزأ من حقيقة استعلان المسيح.

ما معنى هذا؟

معناه أن تاريخ العهد القديم كله مصوغ على إيقاع النبوات، فلم تأتِ النبوة على هامش التاريخ، سواء تاريخ الحوادث العظمى كالطوفان، ودعوة إبراهيم، وانقلاب سدوم وعمورة، والخروج من مصر، وامتلاك الأرض بما عاصرها من حروب، أو تاريخ القضاة ثم الملوك، أو خراب أورشليم والسبي البابلي الحزين. بل إنه في الحوادث العظمى كالحوادث الصغرى تقف كلمة الله على فم الأنبياء ممسكة بأعنّة الحركات العظمى والصغرى لتصنع منها تاريخاً، وإن تعددت أحقابه وأشكاله وأهواله، فهو يخضع بضغط إلهي فائق لكلمة الله التي ينطقها الأنبياء في حينها لتوجه التاريخ **نحو هدف واحد** يسير نحوها برتابة وانسجام يفوق حد التصور: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤: ١٧)

وعلى طول المدى كانت كلمة الإلهام تتحقق بدقة وثقة في تاريخها الذي سبق وحدّدته، هذا عبّر عنه المسيح بقوله: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون.» (يو١٤: ٢٩)

وهكذا يأتي التاريخ دائماً مصداقاً للنبوة، وهو يوثّقها باعتبار النبوة صانعة التاريخ حقاً وبلا منازع.

•

ولعل من روائع الفكر التقليدي اليهودي القديم الذي لم يكن يخلو من إلهام، أن اعتبر كتبة اليهود **أسفار يشوع والقضاة (صموئيل) والملوك أنها «أسفار الأنبياء الأوائل»**، مع أن التاريخ واضح أنه هو سمتها الأولى بحسب الفكر الساذج. ولكن اكتشف اليهود أنه لم يكن كاتب هذه الأسفار يسجل حوادث للتاريخ بقدر ما كان وجدانه منشغلاً بالدرجة الأولى بالإلهام النبوي الذي

ينسج من حوادثها استعلانات لمراحم الله القدير وسلطانه مع توقيعات متقنة للنبوات وهي تأخذ مجراها ومرساها على مدى الزمن.

وهكذا تأتي أسفار العهد القديم بحسب مظهرها سجلات لحوادث وأسماء طواها الزمن، ولكن بحسب حقيقة صياغتها وجوهر الروح الذي وقَّعها ورتَّبها هي عند أصحاب العيون المفتوحة على كلمة الله والقلوب الواعية لحركات الروح «نبوات»، قالها الله فكانت وبقيت كائنة تشهد في عمق الزمن لعمل الله الفائق عن الزمن. وهكذا يصحُّ لنا القول **أن الكلمة النبوية هي روح التاريخ**، ليس تاريخ إسرائيل وحسب، بل وتاريخ كل الأمم والعالم. فإن استثنينا النبوة من التاريخ مات التاريخ وأصبح مزيجاً من رمم وحجارة، ووثائق محفوظة في المتاحف.

لذلك نحن نعجب من علماء هذا العصر الذين ينادون بـ «مسيح التاريخ»، الذين أرادوا بهذه التسمية أن يحددوا من حجم المسيح فنسبوه للتاريخ، معتبرين أن كل ما يوافق التاريخ عليه من جهة المسيح يكون هو الصحيح في المسيح، غير عالمين ــ بسبب غياب كلمة الإلهام والنبوة عنهم وبالتالي روح التاريخ ــ أن التاريخ هو المنسوب للمسيح، وكل ما يتفق مع المسيح من التاريخ يكون هو التاريخ. فالمسيح كما هو رب السبت هو رب التاريخ برُمَّته، أما إن تعارض فيكون التاريخ قد فقد مضمونه الإلهي والإنساني معاً وتحول إلى سجلات لحضارات قامت وذوت وتاريخ جماعات وأفراد تملأ أضابير (*) المتاحف ودور الكتب.

فإن كان عند مؤرخي العالم أن فلسفة التاريخ تنحصر فيما تؤول إليه من عِبَرٍ وحِكَمٍ ونصائح، فعند دارسي التاريخ على ضوء استعلانات الله في كلماته على فم الأنبياء يكون التاريخ هو الميدان المفتوح الذي يسجل فيه الله عنايته ورحمته وسلطانه ومجده الأسنى، ما يتجه بالتاريخ نحو غاية واحدة هي فداء الإنسان وخلاصه وإلباسه ثوب البرّ ليصير لائقاً لحياة الأبد في ملكوت الله.

من هذا نفهم أن كل نبوة جاءت في القديم على فم نبيٍّ إنما كانت حركةً توقيعيةً حيةً على صفحة الزمن تركت خلفها صياغة تاريخية ذات معنى وذات قصد وذات هدف، وأن النبوات جميعاً هي توقيعات حية على مدى الزمن، صنع منها التاريخ نسيجاً مقروءاً، والذي يُحسن فهمه يبلغ هدفه لا محالة. فإذا أدركنا أن معنى النبوة الصادقة وهدفها هو استعلان الله، أدركنا في الحال أن التاريخ حتماً ينتهي بالمسيح حيث استعلان الله النهائي والكلي، وأن دور الأنبياء هو التوقيع بالحروف الأُولى لاسم المسيح المقروء بالكامل في الإنجيل!

(*) أضابير = ملفات.

ثانياً: مَنْ هم الأنبياء، وعددهم

أ ـــ النبي هو المتكلم بفم الله:

بحسب تعريفنا للنبوة يكون النبي هو الذي يستعلن قول الله أو الذي يتكلم بفم الله، وهذا موافق تماماً لقول إشعياء النبي في نبوته في الأصحاح الأول: «**اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض** ... إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمرَّدتم تؤكلون بالسيف **لأن فم الرب تكلَّم**.» (إش١: ٢و١٩و٢٠)

إذاً فالنبي هو الذي يسمع قول الرب بأذنه الروحية المفتوحة، ويرى رؤيا القدير بعينه المكشوفة، ويتكلم بما يسمع، ويخبر بما يرى، ليعطي رسالة استعلان عن فم الله مسموعة ومنظورة.

وقد ترجمت السبعينية كلمة «النبي» بالعبرية إلى كلمة προφήτης(١)، وهي تعني «واحد يتكلم عن الله»، وجذورها مأخوذة من كلمة φήμη وتعني بحسب القاموس اليوناني: صوت من السماء، أما προ فهي تفيد: نيابة عن. وهكذا تعطينا الترجمة السبعينية المعنى الدقيق المشروح جاهزاً في ترجمتها لكلمة نبي = **بروفيتيس** = أي المتكلم نيابة عن الله. وهذا يطابق تماماً قول الرب لإرميا النبي:

+ «فقال الرب لي: لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل مَنْ أرسلك إليه تذهب، **وتتكلم بكل ما آمرك به**.» (إر١: ٧)

+ «لذلك هكذا قال الرب: إن رجعت أُرَجِّعك **فتقف أمامي**، وإذا أخرجت الثمين من المرذول **فمثل فمي تكون**.» (إر١٥: ١٩)

وهوذا نبي آخر يشهد كيف يتكلم الأنبياء فيقول زكريا النبي.

+ «فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفاً معاندة وثقَّلوا آذانهم عن السمع؛ بل جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة **والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين**. فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود، فكان كما **نادى هو فلم يسمعوا**، كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود.» (زك٧: ١١ـــ١٣)

---

1. Liddell and Scott, *A Greek-English Lexicon*, Oxford, p. 859; Freeman, *An Introduction to the Old Test. Prophets*, p. 39.

على أن النبي حينما يسمع في داخله صوت الله يتكلم، تنحبس كل طاقات فكره وتتوقف مع عقله ومشاعره كأنها أمام أسد قد زمجر فجأة، وهذا بشهادة نبي يشهد بذلك:

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاَّ وهو **يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء**. الأسد قد زمجر فمَنْ لا يخاف، **السيد الرب قد تكلَّم فمَنْ لا يتنبأ**.» (عا٣: ٧و٨)

+ «ويل لي أني هلكت ... لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود.» (إش٦: ٥)

فلما زجر أمصيا الكاهن عاموس النبي لكي لا يتنبأ على الملك فزع فيه ذاك:

+ «فأجاب عاموس وقال لأمصيا: لست أنا نبيًّا ولا أنا ابن نبيٍّ؛ بل أنا راعٍ وجاني جميز، فأخذني الرب من وراء الضأن **وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل**.» (عا٧: ١٤و١٥)

وهنا يُظهر عاموس النبي بتعبير عملي رائع أن النبوة ليست عملاً إرادياً ولا ادِّعاءً؛ بل هي أمر تكليف من الله، لا يملك إلاَّ أن ينفذه صاغراً وطائعاً معاً.

وأظهَرُ ما في النبي هي الأذن المفتوحة التي يسمع بها كلام الله — كرمه — وهذا واضح من حياة صموئيل النبي:

+ «والرب **كشف أذن صموئيل** قبل مجيء شاول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك **رجلاً من أرض بنيامين فامسحه رئيساً لشعبي إسرائيل فيُخلِّص شعبي من يد الفلسطينيين**.» (١صم٩: ١٥و١٦)

ولكن على العموم، فإن حالة النبي حينما تأتيه النبوة لا يكون في وعيه الطبيعي، فالنبوة بصوتها ورؤيتها تأتيه من الخارج كطاقة جارفة تغزو نفسه الداخلية فيتوقف فكره الطبيعي، أي عقله الذي يعمل عن طريق المخ، إذ ينفتح وعيه الروحي النفسي فيلغي حركة الفكر الطبيعي. ومن هنا لا يستطيع النبي الصادق أن يزيد على أو يقلل مما يسمعه أو يراه. فالنبوة ليست موهبة طبيعية؛ بل هي تكليف لا يتبع إرادة أو مواهب الإنسان الطبيعية.

ب — النبي هو «الرائي» أيضاً في اعتبار العهد القديم:

واضح هنا أن الاسم متصل بالعين المفتوحة، فإن كان **«النبي»** يسمع ويتكلم فـ **«الرائي»** يرى ويصف. على أن صاحب الوعي المفتوح على السماع يكون أيضاً مفتوحاً على الرؤيا، وقد اعتاد شعب إسرائيل في البداية خاصة في أيام القضاة أن يقولوا على النبي أنه رائي:

+ «سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى **الرائي** لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً الرائي = ὁ βλέπων .» (١صم٩:٩)

وظلّ أيضاً اسم "الرائي" سارياً حتى آخر عصر الأنبياء، ونحن نسمعه في سيرة عاموس النبي مرادفاً لكلمة النبي:

+ «فقال أمَصْيا لعاموس: أيها **"الرائي"** اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكُلْ هناك خبزاً وهناك تنبأ (يهدده)، وأما بيت إيل فلا تَعُد تتنبأ فيها بعد لأنها مقْدِس الملك وبيت الملك.» (عا٧: ١٢و١٣)

كذلك نجد اسم الوظيفتين معاً هكذا:

+ «ولما قام داود صباحاً كان كلام الرب إلى جاد **النبي رائي** داود قائلاً: اذهب وقُلْ لداود هكذا قال الرب ...» (٢صم٢٤: ١١و١٢)

+ «وأمور داود الأُولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار **صموئيل الرائي**، وأخبار **ناثان النبي**، وأخبار **جاد الرائي**.» (١أي٢٩:٢٩)

أما النبي أو الرائي فلم يكن في استطاعته أن يغيّر حرفاً واحداً مما يسمع أو يحوّل منظراً صعباً يراه بأن يلطفه أو يهوّن من رعبه، لذلك نسمع كيف ملّ الشعب رؤية الرائين ومناظر الناظرين مما ساء في عينيْ الله فتكلّم إشعياء هكذا:

+ «لأنه شعب متمرد، أولاد كذبة، أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب الذين يقولون للرائين لا تروا (حيث الرائي تأتي بالعبرية = Roeh) وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات (حيث كلمة ناظر تأتي بالعبرية = hozeh)، كلمونا (نبوة) بالناعمات انظروا (منظر أو رؤية) مخادعات (كالأنبياء الكذبة)، حيدوا عن الطريق، ميلوا عن السبيل، اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.» (إش٣٠: ٩—١١)

ونحن نقرأ في سفر العدد الأصحاح (٢٢) وما بعده، كيف استدعى بالاق بن صفور ملك موآب نبياً من آرام اسمه بلعام وهو وثني ليلعن له شعب إسرائيل، فكان جواب بلعام:

+ «فأجاب بلعام وقال لعبيد بالاق: ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهباً **لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهي لأعمل صغيراً أو كبيراً ... أما الذي يضعه الرب في فمي أحترص أن أتكلم به ... لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسي، الذي يتكلمه الرب إياه أتكلم** ... ثم نطق بمثله وقال وحي بلعام بن بعور وحي الرجل

"المفتوح العينين" وحي الذي "**يسمع أقوال الله**" ويعرف معرفة العلي، الذي "**يرى رؤيا القدير**" ساقطاً (ممدوداً على الأرض) وهو مكشوف العينين، **أراه** ولكن ليس الآن (المسيح)، **أبصره** ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب ("أنا يسوع ... أنا أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير" رؤ٢٢:١٦) ويقوم قضيب (ملك) من إسرائيل ...» (عد٢٢:١٨؛ ٢٣:١٢؛ ٢٤: ١٣و١٥ــ١٧)

واضح أن هذا النبي كانت له قدرة أن «**يسمع ويرى**»، وهو منطرح على الأرض مفتوح العينين! ومفتوح الأذنين!!

من هذا نفهم أن الأمم لم تخلُ من أنبياء حازوا على درجة كبيرة من الحكمة والقدرة على التنبُّؤ، فالله لم يحرم الأمم من هذه الموهبة ومن معرفتهم إيَّاه، وكانت نبوتهم تخدم بدورها تنوير الشعوب عن حقيقة الله(٢). وأروع مثل لذلك هو أيوب وأصدقاؤه، فهؤلاء جميعاً كانوا على درجة الأنبياء لبني المشرق (أي١:٢٠). واعتماداً على التلمود اليهودي فإنه كان يوجد سبعة أنبياء كانوا يتنبأون للأمم وهم بلعام وأبوه بعور، أيوب الملقب بالصدّيق، أليفاز التيماني، بلدد الشوحي، صوفر النعماني، أليهو البوزي(٣).

ولكن بالرغم من ذلك فقد امتاز شعب إسرائيل عن كافة الأمم بحضور الله معهم بصورة حليّة ملموسة: «فقال (الرب لموسى): وجهي (أقنومي) يسير فأريحك. فقال له (موسى): إن لم يَسِرْ وجهك فلا تُصْعِدنا من ههنا، فإنه بماذا يُعلَم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك، **أليس بسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض**. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة في عينيَّ وعرفتك باسمك.» (خر٣٣: ١٤ــ١٧)

ولكن الذي يلفت نظرنا قول بلعام مرتين: «**لا أقدر أن أتجاوز قول الرب ...**»، كذلك: «**الذي يضعه الرب في فمي أحترص أن أتكلم به**»، «**الذي يتكلمه الرب إياه أتكلم**».

هنا واضح لنا أن دخول النبي في حالة النبوة أو الرؤيا يُفقده كل إمكانياته الشخصية في

2. Arthur Weiser, *The Old Testament, Its Formation and Development*, p. 292-293.

3. Freeman, *op. cit.*, p. 20, v.11.

See John Bowman, "Prophets and prophecy in Talmud and Midrash", *Evang. Quarterly*, XXII, No. 2 (April 1950, 107-108).

التحكم فيما ينطق به الله في فمه، فما يتكلَّم به الله يتكلَّم به النبي قولاً بقول، ولكن عن رضى وخضوع وإذعان واجف، وامتثال محكوم.

ج ــ النبي هو رسول رب الجنود:

حيث كلمة «رسول» بالعبرية هي "مالاك" (malak) وتستخدم للتعبير عن الملاك وعن الرسول سيَّان. فملائكة السماء هم رسل الرب الروحيون. كذلك الأنبياء فهم رسل استعلان لكلمة الله، أي لتوصيل رسالة الله: «حينئذ سمع زربابل بن شألتيئيل ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب إلههم وكلام حجَّي النبي كما **أرسله** الرب إلههم وخاف الشعب أمام وجه الرب. **فقال حجَّي رسول الرب** برسالة الرب لجميع الشعب قائلاً أنا معكم يقول الرب.» (حج ١: ١٢و١٣)

ومعروف أن الأنبياء كانوا معتبرين أنهم رسلٌ من قِبَل رب الجنود، لذلك كانت لهم هيبة، ولكن في الأيام الأخيرة لما استهانوا بقدوس إسرائيل استهزأوا بأنبيائه وضاعت هيبة الرسل: «فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً، ومُرسلاً، لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزأون **برسل الله** ورذلوا كلامه (النبوات) وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاءٌ.» (٢أي٣٦: ١٥و١٦)

وفي نبوة ملاخي النبي يذكر علامة مجيء الرب بإرسال رسوله (إيليا): «هأنذا أرسل ملاكي (رسولي، إيليا النبي) فيهيء الطريق أمامي. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك (رسول) العهد الذي تُسَرون به ...» (ملا٣: ١)

د ــ النبي هو «عبدي»:

العبد هنا هو أقوى تعبير عن الملكية المطلقة، فهو تعبير تكريمي بالدرجة الأولى لشدة وقرب علاقة الإنسان بالله، فإن كان النبي هو رسول رب الجنود فهو المؤتمن على كلمة الله والرسالة للآخرين، وأما النبي كعبد لله فهو المخصَّص لخدمة الله الخاصة وليست للآخرين فهو مِلْك لذات الله، لذلك فهو لقب تقديسي، لأن التخصُّص لله هو القداسة بعينها في إطار المحبة:

+ «لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون قائلين: هكذا قال رب الجنود ارجعوا عن طرقكم الشريرة ... فلم يسمعوا ... آباؤكم أين هم؟ والأنبياء هل أبداً يحيون؟ **ولكن كلامي وفرائضي التي أوصيتُ بها عبيدي الأنبياء** أفلم تدرك آباءكم ...» (زك١: ٤ـ٦)

+ «وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا **عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ** قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الرديئة واحفظوا وصاياي، فرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد **عبيدي الأنبياء**.» (٢مل١٧: ١٣)
+ «فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم **كل عبيدي الأنبياء** مبكراً كل يوم ومرسلاً، فلم يسمعوا لي ولم يميلوا أذنهم بل صلّبوا رقابهم، أساءوا أكثر من آبائهم.» (إر٧: ٢٥و٢٦)

هـ ـ النبي هو «رجل الله»:

رجل الله هو لقب الاختيار عن لياقة وكمال يليق بإنسان ينتسب إلى الله. سمعناه أول ما سمعناه عن موسى الذي كان **يكلّمه الله وجهاً** لوجه!!

+ «وهذه هي البركة التي بارك بها **موسى رجل الله** بني إسرائيل قبل موته ... ولم يقم بعدُ **نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى الذي** عرفه الرب وجهاً لوجه.» (تث٣٣: ١؛ ٣٤: ١٠)

ثم عن صموئيل النبي وإيليا وأليشع:

+ «فقال شاول لغلامه كلامك حسن. هلم نذهب، فذهبا إلى المدينة التي **فيها رجل الله** ... وفيما هما آتيان في وسط المدينة إذا بصموئيل خارج للقائهما ...» (١صم٩: ١٠و١٤)
+ «فقال لهما ما هي هيئة الرجل الذي صعد للقائكم وكلمكم بهذا الكلام؟ فقالوا له إنه رجل أشعر متنطّقٌ بمنطقة من جلد على حقويه. فقال: هو إيليا التشبي. فأرسل إليه رئيس خمسين مع الخمسين الذين له فصعد إليه وإذا هو جالس على رأس الجبل. فقال له **يا رجل الله** الملك يقول انزل. فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين إن كنت **أنا رجل الله** فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلت نار ...» (٢مل١: ٧ـ ١٠)
+ «وانطلقت (المرأة الشونمية لما مات ابنها) حتى جاءت إلى **رجل الله** (أليشع النبي) إلى جبل الكرمل فلما رآها **رجل الله** ...» (٢مل٤: ٢٥)

وبالنهاية نرى أن صفات الأنبياء عموماً تجيء كصورة رمزية باهتة أو كنبوة في حد ذاتها تحمل الإطار الخارجي المنظور من بعيد لجوهر الصفات التي حملها لنا الابن بتجسده كوسيط وحيد بين الله والناس.

جدول بأسماء الأنبياء الواردة في الأسفار المقدسة
مع أزمنة نبواتهم والملوك المعاصرين لهم

التاريخ ق.م.	قبل انقسام المملكة	الأنبياء
١٠٥٠—٩٣٣	في عصر الملوك شاول وداود وسليمان	صموئيل وناثان وجاد وأخيا

التاريخ	ملوك يهوذا	أنبياء يهوذا	التاريخ	ملوك إسرائيل	أنبياء إسرائيل
٩٣٣—٩١٦	رحبعام	شمعيا	٩٣٣—٩١١	يربعام	أخيا
٩١٦—٩١٣	أبيام		٩١١—٩١٠	ناداب	
٩١٢—٨٧١	آسا	عزريا — حناني	٩١٠—٨٨٧	ابعشا	
			٨٨٧—٨٨٦	إيلة — زمري	
			٨٨٦—٨٧٥	عمري	ميخا بن يملة
٨٧٠—٨٤٦	يهوشافاط	ياهو بن حناني	٨٧٥—٨٥٣	أخآب	إيليا
٧٤٨—٨٤١	يورام — أخزيا	عوبديا	٨٥٣—٨٤١	أخزيا — يورام	أليشع
٨٤١—٨٣٥ .	عثليا		٨٤١—٨١٤	ياهو	
٨٣٥—٨٩٦	يوآش	يوئيل	٨١٤—٧٩٨	يوآحاز	
٧٩٦—٧٨٢	أمصيا	يونان	٧٩٨—٧٨٧	يوآش	
٧٨٢—٧٤٠	عُزّيا		٧٨٧—٧٤٧	يربعام الثاني	عاموس
			٧٤٧—٧٤٦	زكريا — شلوم	هوشع
٧٤٠—٧٣٥	يوثام	إشعياء	٧٤٦—٧٣٥	مناحيم — فقحيا	
٧٣٥—٧١٦	آحاز	ميخا	٧٣٥—٧٣٢	فاقح	
			٧٣٢—٧٢٢	هوشع	
			٧٢٢	السبي إلى أشور	
٧١٦—٦٨٧	حزقيا				
٦٨٧—٦٤٢	منسى	ناحوم			
٦٤٢—٦٤٠	آمون				
٦٤٠—٦٠٩	يوشيا	صفنيا — إرميا			
٦٠٩	يوآحاز				
٦٠٩—٥٩٨	يهوياقيم	إرميا — حبقوق			
٥٩٨—٥٨٧	صدقيا	إرميا — حزقيال			

التاريخ (ق.م.)		أنبياء السبي وما بعد السبي
٥٨٧–٥٣٥	السبي إلى بابل	إرميا – حبقوق – دانيال – حزقيال
٥٣٥–٥١٥	العودة إلى أورشليم وبناء الهيكل	حجّاي – زكريا (الحاكم زربّابل)
٤٣٣	بناء أسوار أورشليم	ملاخي (الحاكم نحميا)

وواضح من هذا الجدول الزمني التاريخي[٤] أن الأنبياء ينقسمون إلى أنبياء ما قبل السبي، وأنبياء زمن السبي، وأنبياء ما بعد السبي وواضح أن الحقبة الزمنية التي استغرقتها النبوة في الكتاب حوالي ٦٠٠ سنة. ولكن في التقليد اليهودي ينقسم الأنبياء إلى أنبياء كتبة دوّنوا نبواتهم، بل إن نبواتهم جاءت تحت تأثير الكتابة، وهم ١٦ نبيًّا: أربعة منهم كبار (في حجم النبوّة المدوّنة) وهم إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال. واثنا عشر من الصغار الباقين. وهؤلاء الأنبياء الكتابيون دامت حقبة نبواتهم حوالي ٤٠٠ سنة حتى ملاخي النبي الذي من بعده توقفت النبوة رسمياً حوالي ٤٠٠ سنة أيضاً حتى ظهور يوحنا المعمدان.

ثالثاً: وظيفة الأنبياء

بحسب الكتاب المقدس، الأنبياء لا يمتُّون إلى وظائف الهيكل. ولكن بحسب إرساليتهم الفائقة من السماء مباشرة كمُرسَلين من الله، فلهم هيمنة افتراضية فوق وظائف الهيكل بل وفوق وظائف كل الطوائف حتى الملوك، وذلك من واقع الجهة التي يمثلونها «رسول رب الجنود»، الصفة التي لا يحلم بها ملك أو كاهن أو حتى رئيس كهنة.

ولكن لكي نصحح فكراً سائداً عند الجميع نقول: إن النبي لا يفرضه الله ليعوض نقصاً في أداء الخدمات في وظائف الكهنة أو الحكومة أو الملك، فرسالته الرسمية هي إيجابية حتى ولو جاءت كلماته في صورة نقد وتوبيخ وإنذار، أو اتهام وتهديد. فالقصد الأساسي من رسالة النبي هو استعلان فكر الله الذي هو قائم في الأصل ومسجّل في الشريعة والوصايا والفرائض. لذلك فرسالة النبي تنبع أصلاً من دستور التوراة ومن حقائق الشريعة؛ أي، بمنتهى الاختصار، استعلان حق الله

4. J.Douglas (ed.), *New Bible Dictionary*, second edition, p. 977; Walton, John H., *Chronological and Background Charts of the Old Testament*, Academic Books, Zondervan, 1978.

على كل مسئول في الهيكل أو المملكة حتى الملك نفسه ولكن من واقع ما سبق وفرضته الشريعة.

ولكن بكثير من التمعُّن والفهم، نجد موقع النبي محدداً في صُلب الدستور الموسوي في الأصحاح (١٨) من سفر التثنية. فبعد أن أوجز وظيفة الكهنة اللاويين وموقعهم من الشعب، أكمل الله على فم موسى موقع «النبي» ولمّح على علو إمكانياته بما يفوق قدر الكهنة. ولكي نفهم ذلك علينا أن نقرأ بدقة من هذا الأصحاح:

+ «لا يكون للكهنة اللاويين ــ كل سبط لاوي ــ قسم ولا نصيب مع إسرائيل ... الرب هو نصيبه كما قال له، وهذا يكون حق الكهنة من الشعب ... تعطيه أول حنطتك وخمرك وزيتك وأول جزاز غنمك لأن الرب إلهك قد اختاره من جميع أسباطك لكي يقف ليخدم باسم الرب هو وبنوه كل الأيام ...،

متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك ... من يعرف **عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا مَنْ يرقي رقيَّة ولا مَنْ يسأل جاناً أو تابعة ولا مَنْ يستشير الموتى** لأن كل ذلك مكروه عند الرب ...، يقيم لك الرب إلهك **نبياً** من وسطك من إخوتك **مثلي** له تسمعون ... أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه.» (تث١٨: ١ــ١٩)

واضح هنا من كلام الله على فم موسى أن بدخول الشعب أرضه الجديدة سيجد شعوباً تمارس العرافة أي معرفة الغيب والخفي أو التكهُّن (عائف) أو التطيُّر أو السحر أو استخدام الأحجبة والتعاويذ وهذه كلها محاولة لمعرفة ما هو فوق إدراك الإنسان من الأمور التي هي في سلطان الله وحده. لذلك ولكي يحقق الله لشعبه هذه الأمور الفائقة عيَّن لهم مستقبلاً وعن يد نبي مثل موسى ــ أي من وسط الشعب ــ له هذه القدرات الفائقة، التي توفي بكل مطالب الشعب من جهة معرفة كل ما يعسر عليهم معرفته من أمور الله الخفية وإعلاناته(*).

وواضح هنا أن النبوة الحقيقية أو الحقَّة والكاملة هي كما وصفها الله تماماً: **«أجعل كلامي في فمه»، «فيكلمهم بكل ما أُوصيه به»، «لكلامي الذي يتكلم به باسمي»**. وطبعاً هذه المواصفات لم تتم على وجه الكمال المطلق إلاَّ بمجيء المسيح ابن الله.

(*) «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيّا الذي يُقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء، قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو.» (يو٤: ٢٥و٢٦)

ولكن الذي يهمنا في سياق حديثنا عن **وظيفة النبي عامة هنا هو أنه يحقق ما لا يستطيع أن يحققه الكهنة!**

أما إذا تأمّلنا في وظيفة **«النبي»** هنا، نجد أنها في الحقيقة لا تتناقض مع ما قدّمه موسى الذي أعطى شرائع ووصايا وفرائض من كلام الله ومن فمه وكل ما أوصى به، ونقله للشعب باسم الله. ولكن السؤال هنا إذاً، ما ضرورة النبي هذا، بعد ما أعطى موسى كل ما أعطى؟ واضح هنا بلا لبس أو إبهام أن ما قدّمه موسى بكل ما قدّم يحتاج إلى توضيح وتكميل بل وإلى الكمال! ... هذا سيحاوله الأنبياء الذين سيرسلهم الله تباعاً مبكراً ومؤخراً. ولكن سيبقى عمل موسى وعمل كل هؤلاء الأنبياء ناقصاً نقصاً خطيراً، يشهد بذلك عدم استجابة الشعب وخروجه عن طاعة الله، بانتظار ذلك النبي الذي هو مثل موسى، كونه يأتي مشرّعاً ولكن ليكمّل حتى الكمال ما نقص من موسى ومن الأنبياء!!!

أما إفلاس الأنبياء جميعاً إزاء عصيان شعب إسرائيل وشروره، فواضح جداً من كلام إرميا النبي الذي يضم صوته إلى صوت جميع الأنبياء هكذا:

+ «الكلام الذي صار إلى إرميا عن كل شعب يهوذا ... إلى هذا اليوم، هذه الثلاث والعشرين سنة صارت كلمة الرب إليَّ فكلّمتكم مبكراً ومكلّماً فلم تسمعوا، **وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مبكراً ومرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع.»** (إر٢٥: ١-٤)

وباختصار بالغ استطاع إشعياء النبي أن يلتقط كلمات الله التي تلخص كل عمل الأنبياء هكذا:

+ «نادِ بصوت عالٍ، لا تمسك، ارفع صوتك كبوق، وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم.» (إش٥٨: ١)

وهذه صيحة ملاخي النبي كآخر صوت نبوة سمعه الشعب، حيث انطفأ من بعده مصباح النبوة بانطفاء نور العهد القديم:

+ «اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمَرْتُه بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام.» (مل٤: ٤)

وذلك بانتظار الآتي.

رابعاً: النبي الصادق والنبي الكاذب

+ «وأما النبي الذي يُطغي ἀσεβήση فيتكلم باسمي كلاماً لم أُوْصِهِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يَصِرْ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلَّم به النبي، فلا تخف منه.» (تث١٨: ٢٠-٢٢)

هنا يضع الله علامة لدى الناس لكي يتعرفوا بها على النبي الصادق أي الذي يستمد نبوته من الله فيكون بحسب الحق، من النبي الكاذب الذي أسماه الوحي بالذي يطغي، وقد جاءت هذه الكلمة في السبعينية بمعنى يتوقَّح ἀσεβήση وهو الذي يتنبأ ادعاءً بأنه من عند الله وهو يتنبأ «بروح» الكذب وطبعاً بطغيان من الشيطان الكاذب وأبو كل كذاب. والعلامة هي أن ما يقوله نبي الله الحق تتم في وقتها المحدد بالنبوة.

ولنا في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول مثلاً واضحاً للنبي الصادق المدعو «نبي الرب» وهو «ميخا النبي» إزاء الأنبياء الكذبة وكان عددهم ٤٠٠، وقد طغاهم روح الكذب، حيث كانوا يصدقون بقوة أن روح النبوة عليهم ولكنهم كانوا قد طغوا أي طغاهم روح الكذب. وتأتي القصة في أصولها أن ملك يهوذا وكان يُدعى يهوشافاط اتحد مع ملك إسرائيل المدعو أخآب (الذي جعل إسرائيل يخطىء) لكي يحاربا معاً ملك آرام، فاستدعى أخآب أنبياءه الكذبة لكي يتنبأوا له هل يحارب أم لا كعادة الملوك قبل القتال آنئذ، فقالوا له: اصعد وحارب والرب قد دفع آرام ليدك. وتكمل القصة كالآتي:

+ «فقال يهوشافاط: أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه؟ فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط: إنه يوجد بعد رجل واحد **لسؤال الرب به**، ولكني أبغضه لأنه لا يتنبأ عليَّ خيراً بل شراً وهو ميخا بن يَمْلَة، ....، وأما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا فكلمه قائلاً: هوذا **كلام جميع الأنبياء بفم واحد** خير للملك، فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير. فقال ميخا: **حي هو الرب أن ما يقوله لي الرب أتكلم** ... فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها!! ...»

فلما راجعه أخآب عاد ميخا وكشف للملك عن رؤيا رآها في الحال وهي عجيبة حقاً وتكشف كيف يطغى الشيطان بالكذب على الأنبياء.

+ «وقال (ميخا) **فاسمع إذاً كلام الرب:** قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب: مَنْ يُغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد (*) ... ثم خرج الروح (الشيطان) ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال (الرب): إنك تغويه وتقتدر **فاخرج وافعل هكذا.** والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشرٍّ».

وكان واحد من هؤلاء الأنبياء الكذبة اسمه صِدِّقيا بن كَنْعَنَة قد صنع لنفسه قرْني حديد وقال لأخآب: «هكذا قال الرب: (كذا) بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا». فما أن انتهى ميخا النبي من سرد رؤياه عن كيف سيغوي الروح الأنبياء بروح كذب يلبسهم جميعاً حتى «تقدّم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال: مِنْ أين عبر روح الرب (كذا) مني ليكلّمك؟ فقال ميخا: إنك سترى في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبىء. فقال (أخآب) ملك إسرائيل: خذ ميخا وردّه إلى آمون رئيس المدينة وإلى يوآش ابن الملك وقل: هكذا قال الملك ضعوا هذا في السجن وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى آتي بسلام. **فقال ميخا: إن رجعت بسلام فلم يتكلم الرب بي. وقال: اسمعوا أيها الشعب أجمعون».**

ومات أخآب في المعركة «فلحست الكلاب دمه ... حسب كلام الرب الذي **تكلّم به**».

وليتأمل القارىء في مدى وثوق نبي الله من صدق كلامه أنه هو بالفعل كلام الله! وكيف تمّ بالحرف الواحد.

وهنا نريد أن نوجه نظر القارىء نحو تشديد المسيح المستمر في كلامه نحو الشعب بقوله: «الحق الحق أقول لكم»، ليفهم الشعب من أين كان المسيح يتكلم وبأي كلام: «لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم ... فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم.» (يو١٢: ٤٩و٥٠)

كذلك علينا أن ننتبه جداً في قول المسيح مراراً: «أقول لكم الآن، قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون أني أنا هو» (يو١٣: ١٩)، لأنه قصد بهذا أن يتحقق تلاميذه ونحن بالتالي أن المسيح كان يتكلم بكلام الله. وهي العلامة التي أعطاها العهد القديم ليتعرف بها الشعب على النبي

(*) مدينة شرق الأردن، في تخوم نصف سبط منسى، استولى عليها الأراميون وحاول أخآب استعادتها.

الصادق. وهذا ما تم لتلاميذه بالفعل: «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات **تذكر تلاميذه أنه قال هذا**، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع.» (يو٢: ٢١و٢٢)

لقد جاء المسيح أعظم من موسى ومن كل نبي، لأنه إن كان موسى أعلى من بقية الأنبياء بحسب قول الرب لمريم وهرون: «فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هرون ومريم (اللذين كانا قد تكلما ضد موسى) فخرجا كلاهما. فقال اسمعا كلامي، إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له في الحلم، أكلمه؛ وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي، فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين ...» (عد١٢: ٥-٨)؛ أما من جهة الرب يسوع، فالله الآب لم يتكلم **معه** فماً لفم بل **تكلم فيه**، ولم يعاين «شبه الرب» بل **كان هو الرب**، ولم يعاين الله معاينة بل يقول المسيح عن نفسه: «ليس أحد (ولا موسى) صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان (المسيح) الذي هو في السماء» (يو٣: ١٣). وأيضاً ينفي المسيح نفياً قاطعاً أن يكون أحد ما قد رأى الله قط إلاَّ هو باعتباره الابن الوحيد: «الله لم يره أحد قط، **الابن الوحيد** الذي هو في حضن الآب هو خبَّر (أعلن).» (يو١: ١٨)

خامساً: علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيَّا
«شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ١٩: ١٠)

[«الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.» (١بط١: ١٠و١١)]

لعلَّ من أوائل مهام أنبياء العهد القديم بحسب إحساسنا الروحي واستقرائنا للأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد أنها كانت الإعلان والإشارة للمسيا الآتي ومحاولة الإعداد له بالقلب والروح، وبذل كل الجهد ليجعلوا الشعب يعيش في وعي دائم بحتمية مجيء المسيا. وللتدليل على ذلك وفوق كل ما كُتب في الأناجيل نقرأ:

+ «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأحفظك وأجعلك **"عهداً" للشعب ونوراً للأمم.**» (إش٤٢: ٦)

ثم اسمع كيف حفظ الآباء القديسون الأوائل هذه النبوة وآمنوا بها وعاشوا على رجائها وانتظروها حتى أتت فهتفوا بكلماتها هي هي:

+ «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه ... وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب، **نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.**» (لو٢: ٢٥و٢٧-٣٢)

وهنا جدير بنا أن نوضح ترجمة هذه الآية على النسخة السبعينية، فهي كما جاءت تماماً في إشعياء مرتين (٤٢: ٦، ٤٩: ٨): **«عهداً للشعب»** وليس **مجداً**، حيث كلمة «العهد» جاءت هكذا: διαθήκην بمعنى «العهد» تماماً. وتعني هنا العهد الجديد، بخلاف العهد الأول. لذلك تُحسب آية إشعياء النبي هذه من أدق الآيات التي تستعلن المسيا والعهد الجديد. ويعود إشعياء ويوضح نوع هذا العهد فيصفه بأنه **«عهد سلام»**:

+ «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنكِ وعهد سلامي δıαθήκης τῆς εἰρήνης لا يتزعزع قال راحمكِ الرب.» (إش٥٤: ١٠)

وهو نفس ما هتفت به الملائكة يوم ميلاد المسيح (لو٢: ١٤).

ويعود إشعياء النبي ويؤكد أن هذا العهد سيكون عهداً **أبدياً** أيضاً:

+ «وأجعل أجرتهم أمينة **وأقطع لهم عهداً أبدياً** δıαθήκην αἰώνιον δıαθήσομαι.» (إش٦١: ٨)

أما إرميا النبي فيستعلن هذا العهد عهد مسيّا بأنه هو العهد **الجديد** غير العهد الأول القديم!!!

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا (اليهودية والجليل) **عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعتُه مع آبائهم ...» (إر٣١: ٣١و٣٢)**

ويأتي حزقيال ويضم صفة **السلام** إلى صفة **الأبدي** للعهد بصورة مبدعة هكذا:

+ «**وأقطع معهم عهد سلام** فيكون معهم **عهداً مؤبداً**.» (حز٣٧: ٢٦)

ويقول العلامة وستكوت إنه بحسب تعاليم الربيين: [فالأنبياء يحسبون أنبياء فقط لأنهم تنبأوا عن مجيء المسيا.](٦)

لقد سبق أن قلنا (صفحة ٧٦) إن النبوة هي الاستعلان، وعمل النبي هو بالأساس استعلان الله سواء في طبيعته أو في ذاته وبالتالي في عمله. واستعلان الله سواء من جهة الطبيعة أو الذات مفتاحه الوحيد هو استعلان أبوّة الله التي تحققت بمجيء الابن ظاهراً متجسداً ومتأنساً. لذلك فالعلاقة بين قيام الأنبياء وبين المسيا أصلاً وبالأساس هي التنبؤ على كل المستويات اللازمة لتفتيح وعي الإنسان لاستقبال حقيقة مجيء الابن في الوقت المحدد من قِبَل تدبير الآب. وبعبارة تتناسب مع العهد القديم ولغته نقول: إن الدور الذي قام من أجله الأنبياء، هو استعلان المسيا القادم الذي فيه يتركز كل عمل الآب وإظهار تدبيره ومشيئته من جهة محبة الله وتدبيره لعملية الخلاص والفداء بالمسيح يسوع ابنه المتجسد.

لذلك يصبح من الأمور المتحققة عملياً والمفهومة لاهوتياً في وعي الكنيسة وتقليدها، أن النبي لا يكون نبياً إلا بقدر ما يعلن عن المسيّا ويمهّد له الطريق في فكر الإنسان ووعيه الروحي لاستقباله في

6. Sabb. 63a; Wünsche, Altsyn. Theol. s. 355; cited by Westcott, *Hebrews*, p. 6.

الميعاد المجدد.

فإن كان في بداية العهد القديم — وكما ورد في سفر التثنية — قد رتب الله مع موسى نبيّه قواعد الناموس والشريعة والفرائض بكل دقائقها؛ فذلك كله لم يكن أكثر من تمهيد وإعداد لمجيء النبي الآخر الأعلى شأناً والحامل لوصايا جديدة وكلمات جديدة يضعها الله في فمه. فإذا تكلم يكون هو الله نفسه المتكلم: «أُقيم لهم نبياً (آخر) من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ...» (تث١٨:١٨). إذاً فهناك وصايا جديدة غير وصايا موسى قد أُعدّت وترتَّبت من الله لتظهر بعد أن تكون قد استنفدت وصايا موسى عملها.

وواضح غاية الوضوح أنه إن كان هناك نبيٌّ يأتي عوض نبي، فهناك حتماً يكون ناموسٌ آخر يأتي عوضاً عن ناموس، ووصايا أخرى جديدة تأتي عوض وصايا قديمة، الأمر الذي نسمعه بوضوح في مستهل خدمة المسيح: «سمعتم أنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم.» (مت٥: ٣٣و٣٤)

ويكاد يصبح من المفروغ منه أن يُقال إن موسى جاء كنبي ليمهد عن نبي آخر يأتي بعده ليكمِّل ما بدأ. أو باختصار نقول إن غاية نبوة موسى، عملياً ولاهوتياً، هي أن تعلن المسيا وتعدّ له. لذلك أصبح من المحقق لنا أن موسى قد **تبرهنت صدق** نبوّته، عندما جاء المسيح حاملاً اسم الله: «أنا هو» و «كلمة الله في فمه»!! وهذا ما قاله بولس الرسول: «لأن غاية الناموس هي المسيح» (رو١٠: ٤)، و «قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح.» (غل٣: ٢٤)

فإن كانت نبوة موسى هكذا تأسست وهكذا تحددت غاياتها في إطار مجيء المسيا وعمله سواء في مجمل ومضمون الناموس أو في الفرائض والوصايا وبقية التعاليم وأقوال الله، فإن بقية النبوات لجميع الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى تنحصر حتماً في الشهادة للمسيا، وكان منطلقهم سواء في الإنذار أو التوبيخ أو العزاء أو التشجيع هو من واقع هذا **الناموس عينه، وهذه الفرائض والوصايا عينها!!**

هذا نقرأه بوضوح في تقليد الكنيسة الأول على فم بطرس الرسول: «**الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح، والأمجاد التي بعدها.**» (١بط١: ١٠و١١)

بل وليس موسى فقط وناموسه وفرائضه ووصاياه، التي أفرغ كل مضمونها في المسيا «النبي»

الآتي باسم الرب وكلمات الله في فمه، بل وحتى إبراهيم المحسوب أنه رأس جنس اليهود، والذي خرج منه الشعب المختار بأنبيائه، نجد أن أساس دعوته وأساس إيمانه وأساس بركة الله له يتحدد في النسل (بالمفرد)، أي المسيًا الذي سيخرج منه، فتتبارك به كل الأمم بشعوبها.

بل وقد اتسع التقليد الكنسي منذ القديم ليرى كل حوادث العهد القديم حتى الفيضان ونوح مع فُلكه والذي صوَّرته الكنيسة أنه مثال المعمودية التي صارت في المسيح يسوع، ليرى ذلك نجاة من الموت وأداة بلوغ الحياة الأبدية مع المسيح، وهذا يصفه أيضاً بطرس الرسول كالآتي:

+ «الذي (بعد الموت) فيه أيضاً (أي في روح المسيح) ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يُبنى، الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء. الذي مثاله (مثال الطوفان والفلك) يخلصنا نحن الآن أي المعمودية.» (١بط٣: ١٩-٢١)

والآن يعوزني الوقت، والمجال ضيق، لكي أقدِّم للقارىء جميع الأنبياء وهم يشيرون إلى المسيا في عتمة الرؤيا من وراء الدهور (*)، الذين بحسب قول بطرس الرسول كان روح المسيح الذي فيهم يستعلن لهم الآلام التي سيعانيها المسيح والأمجاد التي ستأتي بعدها حتماً، وكيف وُلد من عذراء، وأين سيولد، وأين يعيش ويتربى، وأين يهرب من وجه القاتلين ثم يعود، وكيف سيُهان في موته ويتعذب، وفي عطشه يُسقى خلًّا، وبالحديد تُثقب يداه ورجلاه ولكن عظماً من عظامه لا يُكسر، وكيف سيكون فصحنا المذبوح، وكيف يقوم؟ وأين يجلس في الأعالي ويتكرَّم عن يمين الله! وداود يسمع بأذنيه قَسَماً من فم الله أن هذا هو المسيا عينه الذي يكون رئيس كهنة إلى الأبد يطهِّر الخطايا ويحمل كفَّارة الشعوب، ثم يجلس ملكاً للسلام (مز ١١٠)، يراه إشعياء يفتح السماء ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح (إش٢٢: ٢٢)، ويراه دانيال قد «أعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا٧: ١٤)

وهكذا انشغل جميع الآباء والأنبياء بالمسيا الآتي فكان شاغلهم الأول وشغلهم الوحيد، وهكذا بآية مختصرة غاية الاختصار يطلق ملاك سفر الرؤيا وصفاً يجمع كافة النبوات في بؤرة الشهادة للمسيح: «اسجد لله **فإن شهادة يسوع هي روح النبوة.**» (رؤ١٩: ١٠)

(*) بشأن هذا الموضوع انظر للمؤلف الكتب الآتية:

ــ «قصة الإنسان حول الخطية والخلاص»، ص٥٢-٦٢.

ــ «النبوات الخاصة بالمسيح "المسيا" في العهد القديم»، مجلة مرقس عدد يناير وفبراير ١٩٨٥، ص١-٢٠.

سادساً: الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبواتهم

يضيق بنا المقام أن نسرد للقارىء كل الأنواع التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن مقاصدهم من النبوة، فقد استخدموا كافة الوسائل في التعبير، سواء التشبيه أو الكناية، أي الرمز، أو المجاز أو المبالغة أو التشخيص، كأن يجعل الأشجار تتكلم. كل ذلك ليتناسب مع السامع أو الحال أو الزمان.

كما استخدم الأنبياء بوحي من الله أعمالاً تشخيصية وتشبيهية عديدة للغاية لشرح القضاء المتنبأ به على الشعب أو البلاد.

+ **فارميا** النبي عمل بتوصية من الله أنياراً (جمع النير الذي يوضع على عنق زوج البقر للحرث) وسار بها في الشوارع وأرسلها للملوك تعبيراً عن سقوطهم تحت نير نبوخذ نصر: «هكذا قال لي الرب: اصنع لنفسك رُبُطاً وأنياراً واجعلها على عنقك ...» (إر٢٧: ٢)

+ **وبهوشع** أمره الرب أن يتزوج بزانية حتى يشبّه ويصوّر أعمال زناها، وهي تحت زوج، بإسرائيل التي زنت من وراء إلهها (هو ١ــ٣).

+ **وإشعياء** سار عرياناً وحافي القدمين ليصوّر ما سيحدث لمصر وأثيوبيا وهما تحت عبودية ملك أشور (إش٢٠: ١ــ٦).

+ **وحزقيال** أمر أن يصنع حصاراً على قالب من الطوب ويسيّج حوله بسور من حديد ثم ينام على جنبه الأيسر ٣٩٠ يوماً، ثم على جنبه الأيمن أربعين يوماً. أما الحصار فهو تصوير لما صار من أمر الله لحصار أورشليم، وأما النوم على الجنبين فهو يوم عن كل سنة سبي لإسرائيل ثم يهوذا: ولكي يضمن الرب أن لا يتحرك حزقيال وهو على جنبه هذه المدد المديدة قال له: «وهأنذا أجعل عليك رُبُطاً فلا تُقلب من جنب إلى جنب حتى تتمم أيام حصارك.» (حز٤: ١ــ٨)

+ **وحزقيال** أيضاً أمر أن يأكل أكلاً نجساً تصويراً عملياً على حرمان إسرائيل الذي سيعانيه في السبي (حز٤: ٩ــ١٧).

+ وحزقيال النبي أيضاً أمر أن يحرق جزءاً من شعره ليصوِّر حريق وخراب أورشليم هي وشعبها (حزه: ١ـ٤).

+ وحزقيال أيضاً أمر أن يخاطب الجبال والآكام والأودية يخبرها بأمر الله أنه جالب عليها سيفاً للإبادة: الأصنام مع جثث بني إسرائيل (حز٦: ١ـ٧).

+ وحزقيال أيضاً أمره الرب أن يمثل مَنْ هو راحل عن مكانه صباحاً ومساءً، ثم أمره أن ينقب الحائط ويخرج منه ثم يغطي رأسه ويمشي في العتمة، فإذا سألوه يقول: هكذا سيخرج إسرائيل للسبي، وينقبون الحائط ليهرب الملك، ويغطون وجهه حتى لا يتعرَّف عليه الأعداء والشعب من ورائه، ولكنهم يقبضون عليه هو والشعب ويُؤتى بهم إلى بابل أرض الكلدانيين (حز١٢: ١٢).

ومن هذه التشبيهات العملية والأمثال المصوَّرة والمنفَّذة بين الأنبياء الشيء الكثير، بجوار الأسماء التي أمروا أن يُسمُّوا بها أولادهم تعبيراً عن مصير الشعب (إش٧: ٣؛ ٨: ١، هو١: ٤ و٦ و٩). لذلك جاءت هذه الرموز الحية والتشبيهات لتضيف إلى النبوات تأثيراً قوياً بليغاً في نفوس الشعب ليرعَوُوا، فلم يرعَوُوا أبداً.

ولكن أهم ما يُلفت نظرنا في طرق التعبير التنبؤي هو إعطاء المثال " τύπος " في صورة ضبابية ليعبِّر عن الأصل " ἀρχέτυπος " المخفي الذي لم يأتِ ميعاد استعلانه بعد، إنما بإتقان شديد للغاية، حتى إن النبي نفسه كان يظن أن هذا المثال ينتهي عند ذاته مع أنه ينتهي باستعلان الأصل المأخوذ عنه المثل " τύπος ". والأمثلة في ذلك كثيرة جداً.

فخروف الفصح كطقس الخروج صار عند اليهود أقصى تعبير عن الخلاص مع أنه كان مجرد مثال ضعيف أو تقريبي للمسيح الذي سيقدم جسده للموت ذبيحة حيَّة للخلاص الحقيقي للعالم. وانكشف المثل عندما استعلنه يوحنا المعمدان في نبوَّته: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو١: ٢٩)

وقس على ذلك كل الذبائح والهيكل نفسه باعتباره الخيمة التي يجتمع الله فيها مع شعبه، هذا المثل أو المثال Type المأخوذ عن الأصل ἀρχέτυπος الذي انكشف فعرفناه أنه هو حلول الله في جسد إنسان أي التجسد الذي تحقق باتحاد المؤمنين بالمسيح، الأمر الذي بلغ استعلانه النهائي بالكنيسة.

كذلك رئيس الكهنة الذي بتقديم ذبيحة الكفَّارة عن الشعب يصبح له حق الدخول بدم

الذبيحة إلى الأقداس ليتراءى أمام الله للحصول على حق تطهير خطايا الشعب الجسدية والتي عن السهو. وإذ بنا نرى هذا الطقس المهيب مجرد مثال في ضباب عما قام به المسيح من تقديم ذاته ذبيحة كفّارة من أجل خطايا العالم، لا عن خطايا الجسد فحسب بل وأيضاً خطايا القلب والفكر والضمير التي قتلت نفسية الإنسان وأورثته الموت الأدبي والروحي، وليس عن خطايا السهو فقط بل وكل الخطايا: خطايا العالم أجمع بكل صنوفها المرعبة، ثم قام بجسده من الأموات ودخل إلى الأقداس العليا وتراءى أمام الله من أجلنا فوجد لنا فداءً أبدياً. وهكذا استُعلِنَ المسيح أنه هو رئيس الكهنة الحقيقي فيما لله.

وقس على ذلك طقس خروج الماء من الصخرة ورفع الحية النحاسية على العصا وطقس الختان والسبت. هذه الأمثلة التي تشبث بها اليهود وكأنها قمة العبادة ونهاية التقرُّب إلى الله ورباط العهد الأبدي مع الله، إذا بها مجرد أمثلة أخذت وقتها وعبرت؛ وحينما جاء المسيح تحققت كل الأمثلة فيه إذ هو الأصل لها جميعاً. فانكشفت الصخرة، وإذا هي المسيح؛ والضربة التي أخرجت الماء هي الحربة التي فتحت جنب المسيح فخرج منها ماء المعمودية مع الدم بروح أزلي لميلاد الإنسان من جديد للحياة الأبدية؛ والحية النحاسية إذا بها هي الخطية التي قتلها المسيح بالجسد لما ارتفع على الصليب وكل مَنْ رأى وآمن نال الحياة من بعد الموت؛ والختان إذ به هو خلع الخطية من الجسد بالموت مع المسيح؛ والسبت وإذا به هو الراحة الحقيقية التي دخلها المسيح بعد أعمال الخلاص المضنية الخاصة بالخليقة الجديدة للإنسان، والذي بعد أن أكملها على الصليب يوم الجمعة المحسوب أنه آخر أيام شقاء الإنسان استُعلِنَتْ الراحة العليا، السبت الروحي الأبدي مع شركة المجد مع ابن الله.

والواضح أن عين الأنبياء المفتوحة لم تقف أبداً عند هذه «الأمثلة» Types في ذاتها، بل كثيراً ما تخطتها لترى، ومن على بُعد، الأصل ذاته ἀρχέτυπος في صورته البهية. ولكن إذا دققنا في هذه الأمثلة بالأنواع والطرق الكثيرة التي عبَّر بها الأنبياء عن مقاصد الله الأزلية لخلاص الإنسان وفدائه وإعلان ملكوته ودعوته، نجد أنها تدور كلها حول شخص المسيا الآتي، وبعض هذه الأمثلة جاء واضحاً والآخر كلغز في غموض ينتظر الاستعلان: فهو **الكوكب** الذي يظهر من يعقوب، وهو القضيب المشرِّع أي الملك صاحب التشريع الجديد، وهو سلم يعقوب الذي على الأرض ورأسه تمس السماء، وهو ابن الإنسان وابن داود، والصخرة التي تابعت إسرائيل، وعمود النور الذي سار بإسرائيل في البرية، وهو ملاك العهد وملاك الله وملاك حضرته، ونسل المرأة ونسل إبراهيم ونسل داود، وعبدي الغصن وعبدي داود وعبدي البار وعبد المتسلِّطين، ورجل الأوجاع

وأصل يشي وقضيب من جذر يشّي وغصن من أصوله، وغصن البر وغصن الرب، والغرس الذي غرسته يمين الله، ونرجس شارون، وسوسنة الأودية، ونور عظيم، ونور للأمم، وشمس البر، وحصن البر، وحصن المساكين، وحصن البائس في ضيقه، وملجأ من السيل ومختبأ من الريح، وصخر الدهور، وصخرة ملجأي وصخرة قلبي وصخرة خلاصي، وظلٌّ من الحر، والأساس المؤسس وحجر امتحان وحجر رأس الزاوية وحجر قُطع بغير يدين، ومختاري الذي سُرَّتْ به نفسي، الفادي ومخلّص ابنة صهيون، وسيكون (أماناً) وعهداً للشعب، وشارع الشعوب، وقدوس إسرائيل ورئيس جند الرب، وراية للشعوب، ومُعلَم بين ربوة، وسهم مبري ومجنٌّ. وهو المسيح الرئيس، ورئيس السلام ورئيس الرؤساء، والملك، وملك يهوذا، وملك المجد، والملك ببهائه، مُكلّل بتاج من إبريز، ومثل نار المحص، ومثل أشنان القصار، كعِرق من أرض يابسة، مثل المطر على الجزاز، مثل الغيوث الجارفة على الأرض، كسواقي ماء في مكان يابس، كظل صخرة عظيمة في أرض معيبة، كمخبأ من الريح، اسمُكَ دُهنٌ مهراق، أبرع جمالاً من بني البشر، إكليل جمال، تاج بهاء، حجر عظيم، وتد مثبَّت في موضع أمين، محب ألزق من الأخ، طلعته كلبنان، كله مشتهيات، مظلوم، محتقر، مخذول، مجروح، مسحوق، مصاب، مضروب، متروك، متمجِّد، عظيم، حبيبي، راعيَّ، فاديَّ، ابن، عجيب، إله، مشير، رئيس السلام، قدير(٧).

وواضح في هذه الاصطلاحات جميعاً كرموز وأمثلة وكنايات وأوصاف في أشخاص وأشياء وأعمال وحوادث، أنها وُضعت بإحكام النبوة كأضواء وأشعة من بعيد رُئيت في العهد القديم متفرِّدة متفرقة لا يجمعها فكر ولا تحددها معالم، ولكنها رُئيت جميعها في العهد الجديد متجمِّعة جميعاً في بؤرة واحدة، وإذا هو وجه يسوع المسيح الذي أشرق في قلوبنا، جامعاً هذه النبوات بل وكلّ من نطقوها بل وكل أسفارها، في وحدة عضوية حية ناطقة بالروح القدس الذي صوّرها جميعاً وهي تلمع بجمال لا يمكن أن يعبِّر عنه فكر وبالتالي يَقْصُر من دونه القلم.

ولكن الشيء الذي يشد انتباهنا من واقع مدخل الأصحاح الأول لسفر العبرانيين أن هذه الأوصاف تربط ربطاً بديعاً بين المثل والأصل. وهكذا فالعهد القديم بهذه الأمثال يحوي كل محتوى العهد الجديد دون أن يحتويه، كلغز يحمل كل تفاصيل الحقيقة ولكن يقف حائراً لا يعرف ما هي.

(٧) انظر كتاب: «مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين»، ص٤٣٦ــ٤٥٦.

مستوى كلمة الأنبياء

كلمة الله (وبالعبرية debhar Yahweh) أو "كلمة الرب أو السيد":

ما هي كلمة الله؟

في اللاهوت العبري تعتبر كلمة الله قوة ديناميكية، أي ذات قوة فعّالة متحركة ذات فعل محتم وذا تأثير حتمي: «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررتُ به وتنجح في ما أرسلتُها له.» (إش٥٥: ١٠و١١)

وكلمة «كلمة» بالعبرية (دافار dabhar) لا تفيد «كلمة» فقط بل و «فعل» أيضاً. فمثلاً «الأفعال الطيبة» هي بالعبرية «دفاريم طوفيم».

نفاذ كلمة الله "كأمر مقضي به على الأرض" (إش١٤: ٢٦):

من أهم وأخطر التقليدات في اللاهوت اليهودي أن «كلمة اللعن» أو «كلمة البركة» حينما تُقال فإنها تُعتبر فعلاً قد نفذت في الحال. هذا واضح في بركة إسحق ليعقوب الذي تزيّف بشخصية عيسو البكر وأبوه لا يعلم، لأن عينيه كانتا قد كلّتا عن الرؤيا. فبالرغم من أن البركة قيلت على عيسو، ولكن لأن يد إسحق كانت فوق رأس يعقوب فقد حلّت البركة على يعقوب، ولم يَعُدْ في الإمكان تغييرها بعد أن انكشف تزييف يعقوب:

+ «وحدث عندما فرغ إسحق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده. فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال له إسحق أبوه: مَنْ أنت؟ فقال: أنا ابنك بكرك عيسو، فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً. وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليَّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته؟ نعم ويكون مباركاً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرّة جداً. وقال: لأبيه باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال: ألاَ إن اسمه دُعي يعقوب، فقد تعقّبني الآن مرتين. أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي. ثم قال: أما بقيت لي بركة؟ فأجاب إسحق وقال لعيسو: إني قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعضّدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع إليك يا ابني.» (تك٢٧: ٣٠-٣٧)

كذلك نقرأ في قصة بلعام مبدأ اللعنة وكيف يمكن أن تعمل عملها لدى الأنبياء، إن كانت قد صدرت بأمر الله:

+ «فالآن تعال والعن لي هذا الشعب لأنه أعظم مني لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض، لأني عرفت أن الذي تباركه مُبارَكٌ والذي تلعنه ملعونٌ.» (عد٢٢: ٦)

وقد أعلن الله مراراً في العهد القديم أن ما ينطقه الأنبياء والذين يرسلهم باسمه هو متكفِّل شخصياً بتنفيذه خاصة في أمور الفداء، كما هو متكفِّل بإبطال تنبؤات المخادعين ومحمِّق العرَّافين:

+ «هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن، أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السموات وحدي، باسط الأرض، مَنْ معي، مُبْطل آيات المخادعين ومحمِّق العرافين، مُرجع الحكماء إلى الوراء ومجهِّل معرفتهم، مقيم كلمة "عبدِهِ" ومُتمم رأي رُسُله.» (إش٤٤: ٢٤–٢٦)

ويؤكد الرب، على فم حزقيال، نفاذ كل ما يتكلم به في حينه، وهو لا يسوِّف في قضائه:

+ «وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم هوذا بيت إسرائيل قائلون: الرؤيا التي هو رائيها هي إلى أيام كثيرة، وهو متنبيء لأزمنة بعيدة. لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب: لا يطول بعد شيء من كلامي. الكلمة التي تكلمت بها تكون، يقول السيد الرب.» (حز١٢: ٢٦–٢٨)

وتوجد نبوات في العهد القديم نفذت علاماتها في الحال بمجرد نطقها، وكانت مرعبة:

+ «وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل ويربعام واقف لدى المذبح (مذبح الأوثان) لكي يوقد. فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال: يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتُحرق عليك عظام الناس. وأعطى في ذلك اليوم علامةً قائلاً: هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب، هوذا المذبح ينشق (الآن) ويذرى الرماد الذي عليه. فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح في بيت إيل، مدَّ يربعام يده عن المذبح قائلاً امسكوه. فيبست يده التي مدَّها نحوه ولم يستطع أن يردها إليه. وانشق المذبح وذُرِّي الرماد من على المذبح حسب العلامة التي أعطاها رجل الله بكلام الرب.» (١مل١٣: ١–٥)

كما تمَّت لعنة أليشع التي لعن بها الأطفال في الحال عندما نطق بها كعقاب لأنهم هزأوا به:

+ «ثم صعد من هناك إلى بيت إيل، وفيما هو صاعد في الطريق، إذا بصبيان صغار خرجوا

من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع. اصعد يا أقرع. فالتفت إلى ورائه **ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب.** فخرجت دبّتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولداً.» (٢مل٢: ٢٣و٢٤)

وهكذا مرتين طلب إيليا أن تنزل نارٌ من السماء وتأكل الذين جاءوا من طرف الملك ليقبضوا عليه:

+ «فأرسل إليه رئيس خمسين مع الخمسين الذين له، فصعد إليه وإذا هو جالس على رأس الجبل. فقال له: يا رجل الله، الملك يقول انزل. فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له.» (٢مل١: ٩و١٠)

وهكذا انشق نهر الأردن عند كلمة إيليا في الحال، وكذلك من بعده على يد أليشع بعد أن حصل على بركة إيليا. بل وجميع الضربات التي حصلت على مصر تمت في الحال بعد أن نطقها موسى من فمه.

وليس على الأفراد والجماعات وحسب، بل وعلى الأمم برُمّتها والشعوب أعطى الله كلمته لينطق بها الأنبياء:

+ «ومد الرب يده ولمس فمي، وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك. أنظر، قد وكّلتُك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس.» (إر١: ٩و١٠)

هكذا كان الأنبياء على يقين أن الكلمة التي ينطقونها حينما يسمعونها من فم الرب هي نافذة المفعول لا محالة، بل وخالقة من العدم، وأن الكون كله خُلِقَ بالكلمة: «بكلمة الرب صُنِعَتْ السموات وبنسمة فيه كل جنودها» (مز٣٣: ٦)، «وقال الله ليكن نور فكان نور» (تك١: ٣)، «لتُسبّح اسم الرب، لأنه أمر فخُلِقَت.» (مز١٤٨: ٥)

وهكذا تحوّل يقين الأنبياء إلى إيمان ثابت وطيد نعيشه الآن: «بالإيمان نفهم أن العالمين قد أُتقنت بكلمة الله حتى لم يتكوّن ما يُرى مما هو ظاهر.» (عب١١: ٣)

وقد تقبّلها حزقيال النبي من الله كقضية مسلّم بها على المستوى الحتمي:

+ «لأني أنا الرب أتكلم، والكلمة التي أتكلم بها تكون. لا تطول بعد لأني في أيامكم أيها

البيت المتمرد أقول الكلمة وأجريها يقول السيد الرب.» (حز١٢: ٢٥)

وقد دُعي الربُّ الإله «الساهر القدوس» وذلك من واقع سهره على كلمته ليُجريها في وقتها كما نطق بها أنبياؤه: «لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها.» (إر١: ١٢)

كذلك عمله لا يسهى عليه فهو يحييه بحسب وعده، هذا ما كان يدعو به أنبياؤه: «يا رب عملك في وسط السنين أحْيِه.» (حب٣: ١)

والآن نهيب بالقارىء أن يرفع اعتباره وتقديسه وتكريمه لكلمة الله التي نطقها بفم أنبيائه في القدم. أما التي نطق بها الابن الوحيد فسوف نرى، عندما نأتي إلى المقارنة، كيف أنها هي بحد ذاتها روح وحياة، فهي ليست كلمة الله وحسب؛ بل هي هي الله الكلمة الناطق بروحه. فإن كانت النبوة قديماً هي كلمة الله المنطوقة، ففي المسيح هي الله الناطق بكلمته. وإن كانت كلمة الله قديماً بموسى والأنبياء، السماء والأرض تزولان وأما هي فلا تزول، فإن كلمة المسيح اللوغس تخلق سماءً جديدة وأرضاً جديدة حيث السماء الأولى وأرضها تكون قد زالتا بالفعل.

الفعل النبوي «المستقبلي» ينطق به الأنبياء
في الحال «الماضي» توكيداً لتكميل قضاء
وعد الله المبارك رغماً عن الزمان:

كان هذا شأن بعض النبوات الخاصة بالمسيَّا التي جاءت على فم الأنبياء، والقصد الأساسي من هذا أن نفهم ونتيقَّن ونؤمن ونصدِّق ونهتف ونسبِّح بكلام الله الذي قاله والذي يقوله كل يوم، إنه كائن بذاته كالله الذي ينطقه، فوعود الله لا تحتاج إلى الزمن لتحقيقها فهي محقَّقة بالإيمان. اسمع ما يقوله إشعياء النبي عن ميلاد المسيح باعتبار أنه أمر صادر في الأزل، وما على الزمن إلاَّ أن يحققه صاغراً مُرغماً. فهو لا يرى المسيح المولود أنه حدث زمني بل حقيقة أزلية سُخِّر الزمان لاستعلانها في الوقت المحدَّد لها بالنسبة لاحتمال الإنسان في استعلانها!

وهنا نأسف أشد الأسف على الترجمة البيروتية التي أخفقت أن تستجلي هذه الحقيقة الهامة للغاية فأوردت الفعل في المستقبل مع أنه في الترجمة السبعينية يقع في الماضي هكذا:

+ «لأنه وُلِدَ لنا ولد ὅτι παιδίον ἐγεννήθη ἡμῖν وأن ابناً أُعطي لنا υἱὸς καὶ ἐδόθη (وحسب السبعينية الإسكندرانية تكمل النبوة قائلة:) والرئاسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً (ملكاً) رئيس السلام أب الدهر الآتي.» (إش٩: ٦ حسب النسخة السبعينية الإسكندرانية)

سابعاً: توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء

بدء قيام النبوة والأنبياء في إسرائيل:

معروف في التقليد اليهودي والكتابي أيضاً أن النبوة في إسرائيل قامت بقيام موسى ودعوته لقيادة الشعب وتوصيله إلى أرض ميعاده. وأول وعد عملي بالنبوة استلمه موسى من فم الله نفسه حينما سأل الله:

+ «فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأمة هي شعبك. فقال وجهي يسير فأريحك. فقال له: إن لم يسر وجهك فلا تُصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يُعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا. فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله.» (خر٣٣: ١٣—١٧)

ومن موسى ابتدأ عصر أنبياء العهد القديم، وواضح أن بقاء الأنبياء كان رهناً ببقاء الناموس والوصايا.

انتهاء عصر أنبياء العهد القديم بظهور النبي الآخر نظير موسى:

لقد حدد الله لموسى أن تعضيد الله لشعب إسرائيل بالأنبياء، الذين يحملون مشيئة الله وصوته للشعب، سينتهي بظهور نبي آخر مثل موسى يخرج من الشعب يحمل وصايا جديدة من فم الله ويحمل اسم الله، وطبعاً واضح أنها كانت إشارة إلى ظهور ربنا يسوع المسيح:

+ «أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم **مثلك**، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع **لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه**.» (تث١٨: ١٨و١٩)

حال شعب إسرائيل الذي انتهت عنده النبوة وتوقف الأنبياء:

معروف في معاملات الله مع الإنسان أن كلمته تقوى وتتعظم بالطاعة لها والالتزام بتوجيهاتها وتتوقف وتنتهي عند رفضها:

+ «الرب معكم ما كنتم معه وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم.» (٢أي١٥: ٢)

وواضح أنه ما أن جاء عصر نحميا ومن بعده ملاخي النبي حتى كانت حالة الشعب الروحية قد بلغت أدنى مستوياتها . والأمثلة على ذلك كالآتي :

ذبائح مشوّهة :

صار الكهنة مستبيحين في واجباتهم من جهة استيفاء شروط الذبائح فحلّلوا تقديم الأعمى والأعرج والسقيم ذبائح ليهوه (مل ١ : ٦ــ١٤) واعتبر الله هذا أنه إهانة واحتقار لاسمه :

+ «الابن يُكرم أباه والعبد يُكرم سيده . فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي وإن كنت سيداً فأين هيبتي ، قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمي ... إن قرّبتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شراً؟ وإن قرّبتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شراً؟» (مل ١ : ٦ــ٨)

+ «ملعون الماكر الذي يوجد في قطيعه ذكر وينذر ويذبح للسيد عائباً لأني أنا ملك عظيم ، قال رب الجنود ، واسمي مهيب بين الأمم .» (مل ١ : ١٤)

نقص التقوى ، التلاعب بالشريعة ، فساد الكهنوت :

استهان الكهنة بالشريعة وفسروها حسب هواهم وحابوا في فتاويهم فأعثروا الشعب عوض أن يقودوهم للتقوى :

+ «كان عهدي معه (لاوي ــ الكهنة) للحياة والسلام وأعطيته إياهما للتقوى فاتّقاني ومن اسمي ارتاع هو . شريعة الحق كانت في فيه وإثم لم يوجد في شفتيه . سلك معي في السلام والاستقامة وأرجع كثيرين عن الإثم ، لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود . أما أنتم فحِدْتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة . أفسدتم عهد لاوي قال رب الجنود فأنا أيضاً صيّرتُكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب ، كما أنكم لم تحفظوا طرقي بل حابيتم في الشريعة .» (مل ٢ : ٥ــ٩)

الزنا والطلاق :

انحلت أخلاق الشعب وحلّل الكهنة الطلاق لكل علة ، وزنوا على زوجاتهم فجلبوا على أنفسهم بغض الله :

+ «فقلتم لماذا؟ من أجل أن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك ... فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل .» (مل ٢ : ١٤ــ١٦)

سرقة العشور:

احتجز الشعب العشور لنفسه، فاعتبر الله ذلك أنهم سرقوا الله وأهملوا التقدمة لله فسلبوا حقوق الله، وذلك جشعاً منهم:

+ «أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتموني. فقلتم بمَ سلبناك؟ في العشور والتقدمة. قد لُعِنتم لعناً وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها. هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجرِّبوني بهذا، قال رب الجنود، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع.» (مل٣: ٨—١٠)

احتقار السبت:

+ «في تلك الأيام رأيت في يهوذا قوماً يدوسون معاصر في السبت ويأتون بحزم ويحمِّلون حميراً وأيضاً يدخلون أورشليم في يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يُحمل فأشهدتُ ...» (نح١٣: ١٥)

إهمال نصيب اللاويين وهروب اللاويين من الخدمة:

+ «وعلمت أن أنصبة اللاويين لم تُعط بل هرب اللاويون والمغنُّون عاملو العمل كل واحد إلى حقله.» (نح١٣: ١٠)

جحد الإيمان وعدم مخافة الله وإهمال العبادة:

+ «أقوالكم اشتدت عليَّ قال الرب. وقلتم ماذا قلنا عليك؟ قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود. والآن نحن مطوِّبون المستكبرين وأيضاً فاعلو الشر يُبنون بل جرَّبوا الله ونجوا.» (مل٣: ١٣—١٥)

وهكذا انحدرت جماعة إسرائيل في ممارسة المحرَّمات وإغاظة الله بأعمالهم وأقوالهم وباتت الجماعة مهدَّدة بالانحلال والتفكك وانحطَّت الأخلاق الفردية والجماعية.

الأغنياء استعملوا الربا واستعبدوا الفقراء،

فباعوا حقولهم ورهنوا أولادهم فأكلتهم الديون:

+ «وكان صراخ الشعب ونسائهم عظيماً على إخوتهم اليهود. وكان مَنْ يقول: بنونا وبناتنا نحن كثيرون. دعنا نأخذ قمحاً فنأكل ونحيا، وكان مَنْ يقول: حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى نأخذ قمحاً في الجوع، وكان مَنْ يقول: قد استقرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا ... وهنا نحن نُخضِع بنينا وبناتنا عبيداً ويوجد مِنْ بناتنا مُستعبدات

وليس شيء في طاقة يدنا وحقولنا وكرومنا للآخرين.» (نح٥: ١—٥)

سلب أجرة الأجير، الإشتغال بالسحر، والفسق، وحلفان الزور:

+ «وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومَنْ يصدُّ الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود.» (ملاخي ٣:٥)

التزاوج من الشعوب المحيطة وفقدان الهويَّة الإسرائيلية:

+ «وفي تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يُحسنون التكلُّم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً.» (نح١٣: ٢٣—٢٥)

وهكذا انتهت إسرائيل إلى ما تنبأ عليها إشعياء في أيامه:

+ «اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. ربَّيت بنين ونشَّأتهم. أما هم فعصوا عليَّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مُفسدين. تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء. على مَ تُضربون بعد، تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وأحباط وضربة طريَّة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلَيَّن بالزيت.» (إش١: ٢—٦)

فلما بلغ الشعب برؤسائه إلى حالة انعدام القدرة على السماع وطاعة الله، وفقدوا مخافة الله واحتقروا وصاياه وضعفت عيونهم وأسماعهم عن التمييز بين الحق والباطل، انعدمت الحاجة إلى الأنبياء وفقدت النبوة لزومها وأهميتها فكفَّ الله عن دعوة الأنبياء ليتنبأوا ولم يكن مَنْ يليق ليحمل نير النبوة.

وفي كلام إرميا النبي ما يكشف عن إخفاق الأنبياء بسبب عصيان الشعب لصوت الله:

+ «وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مُبكراً ومُرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع.» (إر٢٥:٤)

وهكذا ظل إسرائيل بلا صوت أصيل من الله، من بعد ملاخي وحتى صوت الصارخ في البرية أربعمائة سنة والسماء صامتة.

شرح الرسالة إلى العبرانيين

الأصحاح الأول

ديباجة الرسالة: (١:١ــ٤)

أولاً: الاستعلان في القديم بالأنبياء
والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن (١:١و٢).

ثانياً: طبيعة وعمل الابن (٣:١).

ثالثاً: الانتقال من التقديم إلى الموضوع (٤:١).

ختام الديباجة:

الدفاع الأول: تفوق الابن على الملائكة (٥:١ ــ ١٨:٢).

ديباجة الرسالة

١:١ «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة،

٢:١ «كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين».

٣:١ «الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي».

٤:١ «صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم».

كلمة عامة:

هذه الفقرة الأولى من الأصحاح الأول تحمل لنا موضوعاً كاملاً بحد ذاته، وهو أن الله أكمل الاستعلان في المسيح بعد أن مهّد له باستعلانات كثيرة في العهد القديم. وبالتدقيق في هذه الأربع الآيات نجد أنها ذات تركيب لغوي منسّق ومتصل ومتقابل. فالآيتان الأولى والثانية تختصان بالله، ثم الآيتان الثالثة والرابعة تختصان بالابن.

ثم نجد أنه في الآية الرابعة يفتح المجال للدخول في جسم الرسالة كلها، حيث يبدأ الحوار في كيفية أن الابن أعظم من الملائكة بقدر عظم اسم ابن الله وأفضليته على اسم ملاك (أي مُرسَل). أما إذا أردنا أن نسبق الحوادث ونسأل لماذا المقارنة مع الملائكة هنا بالذات، فالجواب سيأتي في معرض الرسالة، إذ أن المعروف في التقليد اليهودي أن الناموس تُسُلِّم لموسى بيد ملائكة (عب٢:٢ وأع٥٣:٧). والمعنى واضح أن الخلاص الذي أتى به «الابن» هو بالتالي أعلى وأعظم من الناموس الذي أتى به «خادم» على يد ملائكة مُرسَلين أي «خُدَّام».

فإذا بدأنا نفحص موضوع الأربع الآيات الأولى نجد:

١ ــ أن الآية الأولى والثانية تنحصران في المقارنة بين الاستعلان في القديم والاستعلان في الجديد (في هذه الأيام الأخيرة).

٢ ــ والآية الثالثة تنحصر في طبيعة الابن وفي عمله.

٣ ــ والآية الرابعة تنحصر في المقارنة بين الابن والملائكة كمنطلق للحوار بأفضلية المسيح وبالخلاص فوق موسى والناموس، وهو ما سيستغرق موضوع الرسالة برمتها.

أولاً : الاستعلان في القديم بالأنبياء والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن [١:١و٢]

هنا نجد المقارنة قائمة على ثلاثة أركان:

أ ــ الواسطة التي تم بها الاستعلان وهم «الأنبياء» في مقابل «الابن».

ب ــ الزمن، فالاستعلان الأول تم في عصور تأديب الإنسان وتعليمه، وسمّاه بالزمن القديم؛ والاستعلان الثاني في هذه الأيام الأخيرة بانفتاح عصر آخر.

ج ــ الاستعلان الأول، وهو جزئي، تم في مراحل قصيرة متعددة، جاءت متتابعة من داخل الزمن، وتم بطرق متعددة بما يتناسب مع المُعلَن لهم فكرياً واجتماعياً وزمنياً؛ أما الاستعلان الأخير فهو كلي وكامل ومرة واحدة ليتناسب مع الإنسان ككل، وعلى مدى الزمن كله وكل الظروف. وهذا ما يشرحه القديس يوحنا في إنجيله بقوله: «والكلمة صار جسداً، وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب» (يو١: ١٤)، «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو١ :١٨)

وفي هذه المقارنة بين الاستعلان الأول والاستعلان الأخير نجد كل كلمة يقابلها كلمة، ذلك إذا استثنينا البادئة الأولى في الآية الأولى التي جاءت في اليونانية غير الترجمة العربية هكذا: «بأنواع وطرق كثيرة قديماً، الله كلَّم الآباء بالأنبياء، في هذه الأيام الأخيرة كلمنا في ابنه». لذلك تصبح المقابلة:

قديماً	←	في هذه الأيام الأخيرة
الله كلَّم الآباء	←	الله كلَّمنا
بالأنبياء	←	في ابنه

بهذه المقابلة الموضحة أعلاه يتضح القصد مباشرة من هاتين الآيتين، وهو أنَّ في المسيح كَمُلَ الاستعلان الذي بدأه الله قديماً. فالاستعلان الذي جاء مجزَّءاً على أزمنة ممتدة وبطرق متعددة الأشكال والأنواع وجاء من على بُعد، هو غير واضح وله صفة المرحلية التي تشير إلى الآتي دائماً ولا يحمل صفة الوحدة المتكاملة. هذا الاستعلان انتهى مرة واحدة بدخولنا في عصر الأيام الأخيرة أو

الأخروية، حيث «الابن» كشخص واحد ووحيد، كامل في كل شيء، استُعلن مرة واحدة في ذاته الاستعلان الكلي والنهائي.

وهذا ينصبُّ في ظهور الابن متجسداً، لأن التجسد هو الاستعلان الكلي والكامل بحد ذاته الذي به تم كل تعريف الإنسان بسر الله والخلاص أو سر علاقة الله بالإنسان، بأعظم وأعمق وأعلى صورة واقعية منظورة وملموسة ومشاهدة. **«فالتجسد»** هو المقابل الواقعي الحقيقي لكون الاستعلان الأول جاء في القديم **«بأنواع وطرق كثيرة»**.

وهذا يوضح مدى صعوبة الاستعلان في القديم، ولماذا جاء مجزءاً وعلى أوضاع وأوصاف ورموز ذات مواصفات وتعبيرات لا نهاية لها. ذلك لأن هذه كانت تحاول أن تعطي فكرة عن التجسد وذبيحة الصليب في ذلك الزمان، ويا لها من صعوبة بالغة! لأننا ونحن الآن في ملء الاستعلان الكامل والكلي للخلاص الذي أكمل، لا زلنا بحسب قول بولس الرسول: «نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ ولكن متى جاء الكامل فحينئذٍ يبطل ما هو بعض، ... فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذٍ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة ولكن حينئذٍ سأعرف كما عُرفت.» (١كو١٣: ٩—١٢)

والسؤال الآن: لماذا بعد أن تم الخلاص وأخذنا كامل حرية أولاد الله ونعيش في ملء نعمة الإيمان ولنا سلام مع الله يفوق العقل، لماذا نقول إن هذا بعض العلم وكأننا ننظر في مرآة وكأننا أمام لغز؟

ذلك لأننا نعيش الخلاص الآن ونعيش حرية أولاد الله ونعيش السلام الذي يفوق العقل، نعيش كل هذا ونحن في الجسد. فهذه المواهب والنعم كلها مقصورة على حياة الجسد، غير منظورة في كامل واقعها الروحي، وغير عاملة على مستواها الكلي والمطلق الذي هو مؤخر لنا في الحياة الأبدية. فالآن نحن نعيش في شحّ العربون وليس في ملء العطية!

لهذا نحن نعذر الآباء الذين كانوا قبلنا والذين ذاقوا الاستعلان قديماً في أضعف معناه وصوره، في ذبيحة خروف وتطهير بالدم وكاهن يدخل قدس الأقداس من وراء الحجاب، حاملاً دم خروف يسترضي به الإله المحتجب!!

ولكن الاستعلان الذي تم لنا بواسطة الابن شيء لا يُستهان به، فهو الذي عمل العالمين والذي له ميراث كل القديم والجديد. فكل ما قاله الأنبياء ينصبُّ فيه، بل كل ما في العالم ومَنْ في

العـالم، سواء الأرض أو السماء، الكل ينتهي إليه، به خُلق وله أيضاً خُلق، والكل كائن بكيانه وقـائمٌ محـمولٌ بـكلمة قدرته. فأي استعلان كامل وكلي صار هذا الاستعلان؟ أما إن كان هناك قصورٌ في شيء ــ حتى إننا لا نراه ونعرفه مستعلناً في كلية كيانه الروحي ــ فالقصور قائم فينا، فنحن محبوسون في الجسد.

ولكن الذي لا يُبعدنا عن هؤلاء الذين كانوا قديماً يتطلعون حائرين في استعلان مشيئة الله من وراء صور ورموز غاية في الانحصار في الشكلية المادية والحرف، مع التمادي في الأحكام والعقوبات، هو أنهم ونحن إنما نسمع كلانا لصوت واحد، وإن اختلفت نبراته ولغته، فهو الله الواحد سواء بأنبيائه أو في ابنه على حدٍّ سواء.

فالذي تكلم في القديم هو الذي تكلم في هذه الأيام الأخيرة. ولكن ببراعة مدهشة، يضع سفر العبرانيين الفارق الهائل بين كلمة الله في القديم وكلمة الله في هذه الأيام هكذا: «فانظروا أن لا تستعفوا من المتكلم، لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من **المتكلم على الأرض** (على جبل سيناء)، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدّين عن **الذي من السماء**» (عب١٢: ٢٥)، بمعنى أن الذي تكلم بالأنبياء ــ أي بموسى ــ على الجبل واستعفى الشعب من سماع الصوت بل ومن طاعته دلالة على عدم لياقتهم للسماع، هو نفسه الذي يتكلم الآن ــ في ابنه يسوع المسيح ــ من السماء. وهذا ينقلنا إلى موضوع الرسالة، بمعنى أن استعلان الله بالأنبياء قديماً صار عبرة لنا بعد وضوح الاستعلان وبلوغ كماله ومنتهاه. لذلك يقول أيضاً مكمّلاً: «الذي صوته (على الجبل) زعزع الأرض حينئذٍ، وأما الآن فقد وعد قائلاً إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً» (عب١٢: ٢٦)، بمعنى أن الشعب الذي استعفى من صوت الله وارتدوا عنه، أرعبهم بزلزلة الأرض، أما نحن فإن ارتدادنا عنه سوف يزعزع لنا الأرض والسماء فلا يكون لنا راحة على الأرض ولا رحمة من السماء. نعم حينما تميد الدنيا بالخاطىء الذي دخل في خصومة مع الله، حينئذ سوف يرى صدق هذا الكلام، فالأرض يحسها وكأنها تميد من تحته والسماء مكفهرة تشيح بوجهها، فلا سلام على الأرض ولا رحمة من السماء.

الشرح:

[«كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت فرأيت رؤى الله.»
(حز١:١)]

١:١ **«الله بَعْدَ مَا كلَّمَ الآباءَ بالأنبياءِ قديماً بأنواعٍ وطرقٍ كثيرةٍ».**

في النص اليوناني لا يأتي ترتيب الكلام هكذا كما هو في الترجمة العربية ولكن يُقرأ هكذا:
Πολυμερῶς καὶ πολυτρόπως πάλαι ὁ θεὸς λαλήσας τοῖς πατράσιν ἐν τοῖς προφήταις

وترجمته الصحيحة حرفياً هكذا: «على أجزاء كثيرة وبطرق عديدة كلم الله قديماً الآباء بالأنبياء».

بهذا التقديم المتعمَّد، وعلى غير هوى رصانة النحو في أصول تركيب الكلام باللغة اليونانية نفسها، قدَّم الكاتب شبه الجملة هذه: **«على أجزاء كثيرة وبطرق عديدة»**، بقصد منه، لكي يُبرز لذهن القارىء معلومة هي في عُرْفِهِ خلاصة الرسالة بجملتها، وهي:

إن الاستعلان الذي قدَّمه الله قديماً للآباء بالأنبياء كان غير كامل في ذاته ولا في أجزائه، لسبب ضمني أنه لم يكن ممكناً تقديمه واضحاً، ولهذا تعدَّدت الطرق في التعبير عنه. بل وبنوع من الحذق في إيضاح قيمة ما سيأتي من الكلام قدَّم هذه الآية بحالها. فالنقصان الواضح الذي كان يكمن في الاستعلان سابقاً إنما قدَّمه ليخدم التكامل في الاستعلان الآتي المزمع أن يعبِّر عنه الذي تم في المسيح. وقصد الكلام أن الاستعلان القديم قدَّمه الله كأساس تحتي ليبني فوقه الاستعلان الجديد الكامل والنهائي.

هذا نحن ننعي قصور المترجم إلى اللغة العربية ونسأل كيف فاتته هذه اللفتة الواعية من الرسالة بتقديم ما يجب تقديمه الذي يُحسب أنه قمة الرؤيا وقلب الموضوع؟

[«وكلَّمتُ الأنبياء، وكثَّرتُ الرؤى،
وبيد الأنبياء مثَّلتُ أمثالاً.» (هو١٢:١٠)]

«بأنواع وطرق كثيرة»: πολυμερῶς καὶ πολυτρόπως

يُلاحظ أن اليونانية قدَّمت بتكرار «الكثرة» -πολυ لتكون صفة الأنواع بمفردها، ثم

«الكثرة» -πολυ عينها لتكون صفة الطرق أيضاً، وهذا إمعاناً في الوصف الدقيق أن الله استخدم فعلاً الكثير من الأنواع والكثير من الطرق.

«أنواع كثيرة»:

وكلمة «أنواع» هي في اليونانية μέρος المعروفة عند الرهبان «بالمِرْس» أي الجزء. وهي التعبير الصحيح الذي يفيد التجزيء، وليس الأنواع، في الاستعلان. فالاستعلان القديم بواسطة الأنبياء قُدّم على أجزاء كثيرة في مقابل الاستعلان في المسيح الذي قدّمه الله كلًّا ومرة واحدة: «الله ظهر في الجسد» (١تي٣:١٦). فبالعودة إلى كيف بدأ الاستعلان في العهد القديم بخروف الفصح، ثم عمود السحاب وعمود النور الهادي في طريق التيه، ثم الصخرة التي أخرجت الماء، ثم المن الذي نزل من السماء، ثم حلول الله في خيمة الاجتماع، ثم الحية النحاسية المرفوعة على عصاة، وبعد كل ذلك يأتي المسيح فيقول عنه المعمدان: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١:٢٩)، ويقول المسيح: «أنا هو نور العالم» (يو٨:١٢ و٩:٥)، ثم: «أنا هو الطريق» (يو١٤:٦)، ثم: «إن عطش أحدٌ فليُقبِل إليَّ ويشرب» (يو٧:٣٧)، ثم: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء» (يو٦:٥١)، ثم: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤:٢٠)، ثم: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢:٣٢)، وهكذا نرى أن كل ما استعلن **مجزَّءاً في أجزاء جمعه المسيح في ذاته استعلاناً واحداً كاملاً: «أنا هو ἐγώ εἰμι».**

[«وإذا بالرب عابرٌ وريحٌ عظيمة وشديدة قد شقَّت الجبال وكسّرت الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح. وبعد الريح زلزلة، ولم يكن الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول: مالك ههنا يا إيليا.» (١مل١٩: ١١—١٣)]

«طرق كثيرة (أو متعددة)»: πολυτρόπως، manners و Fashions = باللاتينية: Modis.

والكلمة اليونانية تميل إلى وصف الحالة التي كان يتم بها الإعلان أو الاستعلان بالنبوات العديدة الأنواع والحالات ثم بالرؤى أو الأحلام أو التشبيه بالرمز أو الكلام وجهاً لوجه مثل حالة موسى أو الكلام المكتوب، إنْ بأصبع الله ذاته، أو بالوحي المؤثر للتدوين على قرطاس، أو الأوريم

والتميم (عد١٢: ٦و٨). فهذه هي الطرق والحالات التي حاول الاستعلان أن يوضح فيها ما يريد الله أن يعلنه للآباء بالأنبياء. ثم هذه الطرق جميعاً وهذه الحالات العديدة والمحاولات الكثيرة تتجمع مرة واحدة لنراها: «**والكلمة صار جسداً وحل بيننا (ورأيناه)**» (يو١: ١٤)، «**ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا**» (١يو١: ٢)، «**الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة.**» (١يو١: ١)

وهكذا انتهى الاستعلان القديم بمحاولاته العديدة المتنوعة إلى استعلان واحد حيٍّ منظور ملموس مُشاهَد، كامل وكلي ونهائي، في شخص ابن الله الذي يستعلن الله ليس بالكلمة وحسب بل وفي ذاته.

وعلى سبيل المثال لذلك، نقدم محاولة حزقيال النبي في استعلان مجد الله فقال:
«وفوق المقبَّب الذي على رؤوسها **شبه عرش** كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش **شِبْهٌ كمنظر إنسان عليه من فوق.** ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نارٍ داخله من حوله من منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نارٍ ولها لمعانٌ من حولها ... هذا منظر شبه مجد الرب. ولما رأيته خررت على وجهي وسمعتُ صوتَ متكلِّمٍ.» (حز١: ٢٦-٢٨)

هذا يسميه سفر العبرانيين جزءاً (Fragment) من الاستعلان، أما استعلان مجد الله فقد رُئي بحسب القديس يوحنا في الابن الوحيد: «(ونحن) رأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب» (يو١: ١٤)، أو كما يسميه سفر العبرانيين نفسه في الآية القادمة: «(الابن) الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته».

ثم يجيء إشعياء النبي ويحاول أن يستعلن غفران الله وتجديده للإنسان بالكلمة فيقول: «هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (الأبيض)» (إش١: ١٨). فيرد عليه الاستعلان الكامل عن الغفران والتطهير في سفر العبرانيين عن الابن فيقول: «الذي بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب١: ٣)

ثم يجيء إرميا النبي ويحاول أن يستعلن قدرة الله المتفوقة فيقول:
«صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه بَسَطَ السموات.» (إر١٠: ١٢)

ويرد عليه الاستعلان الكامل في سفر العبرانيين عن الابن: «الذي به أيضاً عمل العالمين ... وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ... جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب١: ٢و٣). يسير على الماء وينتهر البحر فيسكت والريح تطيعه، يقيم الميت من القبر بعد أربعة أيام ويُحيي مَنْ يشاء.

وهكذا تعطي جميع النبوات الاستعلان في القديم متعدد الصور والمناظر والتعابير وكأنها تمهد للاستعلان الكلي؛ وهكذا تنتسب إليه كمنظر بعد منظر إنما من خلال ضباب، ضباب المعرفة التي كان عسيراً عليها أن تدرك الحق أو تحقق فيه.

ولكن روح الرسالة بل وحتى روح الآية الأُولى منها توضح أن الاستعلان بالكلمة التي تكلم بها الله للآباء بالأنبياء قديماً، يكوِّن مع الاستعلان الذي أكمله الله لنا بالكلمة في الابن، استعلاناً آخر نستشفه الآن لحكمة الله التي وضعت الأساس وبَنَت عليه. ويكفي لكي ندرك مدى التلاحم الحادث بين ما كلم الله به الآباء بالأنبياء وما كلمنا نحن في ابنه، أن نقرأ الأصحاح الحادي عشر من سفر العبرانيين لنتعرف على الكثرة الهائلة من هؤلاء الآباء العظام القديسين الأوائل، كيف أكملوا الإيمان إلى أقصى حدٍّ من حدود رضا الله، وصاروا أعظم مثال لنا ــ ونحن في ملء نور المسيح ــ لنحتذي به، إن شئنا أن نعيش بالإيمان!!

فإن كانوا قد صاروا هكذا نماذج عليا لإيمان يُحتذى، فيا له من استعلان في القديم كريم ومبارك وعظيم هكذا، حتى صاروا لنا بإيمانهم ليس نماذج فحسب بل وسحابة شهود تستحثنا على الجهاد للنصرة.

«قديماً»: πάλαι

الكلمة تفيد الماضي المنتهي تماماً. قيل وانتهى القول وخُتم عليه في خزانة الذاكرة وصار ماضياً.

إلاَّ أنه بالرغم من وقوع مفهوم كلمة «هذه الأيام الأخيرة» في مقابل مفهوم كلمة «قديماً»، لكن هذا الفاصل بين الماضي وما بعد الماضي، سواء اعتبر مستقبلاً للماضي أو حاضراً لنا، فهو لا يوجد عند الله المتكلم.

«كلَّم الله الآباء»:

«هذه هي أطراف طرقه،
وما أخفض الكلام الذي نسمعه منه،
وأما رعد جبروته فمن يفهم.» (أي٢٦: ١٤)

الله يتكلّم:

بديع حقاً أن نسمع هذا ويملأ وعينا ويحرّك مشاعرنا أن الله يتكلّم، ويتكلّم مع الإنسان المحروم من العزاء، والذي يشقى على وجه هذه الغبراء منذ البدء. فصمت الله بالنسبة للإنسان هو الغضب بعينه، هو عقاب لا يدانيه عقاب، هو الغربة الحزينة بل هو صورة قاسية من صور الموت الأدبي. فأن يتهاون الإنسان في حق الله ويقاطعه ولا يتحدث معه شيء؛ ولكن أن يهمل الله الإنسان ويرفض أن يتحدث إليه، فهذه كارثة. إنه شبه حكم بالإعدام يتجدد كل يوم. «وأنا أهملتهم، يقول الرب» (عب٨: ٩). لذلك فاستهلال الرسالة بأن الله كلّم الآباء، فهذا يشيع في قلبنا الدفء ويهيّىء وعينا لاستقصاء ما قاله الله، لأنه حتماً يحمل رسالة ودّ وصداقة وألفة وحياة. لقد صدق أيوب وهو يقول مُثبتاً أن كلام الله في الأول للآباء كان خفيضاً ما يكاد يُسمع، وهو الذي كان بفم الأنبياء، أما الكلام الذي أرعد به في عمله الذي في المسيح، فمن يسمعه تطنُّ أذناه.

والكلام في الماضي بالنسبة للآباء لم يخرج عن كونه وعداً وما أجمله وأبهاه من وعد، وبعد الوعد يجيء التحقيق وما أسعده: «وإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله.» (رو٥: ١)

فالكلام هو هو واحد لأن المتكلّم هو واحد. فإن كان المصدر للكلمة واحد لا يتغير، فالماضي كالحاضر كالمستقبل بالنسبة للكلمة، فالكلام واحد وإن تغيّرت الأذن التي تسمعه، والفكر والقلب والروح التي تعيه: «لأنه مَنْ وقف في مجلس الرب ورأى وسمع كلمته؟ مَنْ أصغى لكلمته وسمع ... ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردُّوهم عن طريقهم الرَّديء وعن شر أعمالهم.» (إر٢٣: ١٨و٢٢)

فكون الله يتكلم، فهذه هي البشارة بعينها وهي واحدة لا تتغيّر، هذا أمر مؤكد عند القديس بولس كاتب سفر العبرانيين: «لأننا **نحن أيضاً قد بُشّرنا** = εὐηγγελισμένοι **كما أولئك**، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان ... والذين **بُشّروا** εὐαγγελισθέντες **أولاً** لم يدخلوا لسبب العصيان» (عب٤: ٢و٦). وبالنهاية فنحن وإن بُشّرنا بالجديد، فذلك لا يزيد عن كوننا نكمل ما بدأوه، هناك أساس وهنا تكميل وبناء. فإن كانت بشارتهم قد نقصت شيئاً فهذا ليس قصوراً في البشارة، حاشا! ولكن هذا النقص كان عن قصد حتى لا يُكمّلوا بدوننا. وهذا عجب في اتساع رحمة الله: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد، **إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا**» (عب١١: ٣٩و٤٠). **والأفضل** لا يجيء بعد السيء، إنما **الفاضل** هو الذي ينتهي بالأفضل.

والقديس بولس يُزيد من عمق هذا المعنى، معتبراً أن حتى بشارتهم قديماً والخاصة بهم، والتي كانت قائمة بتحذيرات وإنذارات وتوعية، فهذه لم تكن لهم وحدهم بل وُضعت بعناية وقصد ممتد لتكون ذات سلطان، نفس السلطان، علينا نحن أيضاً:

+ «ولا تتذمَّروا كما تذمَّر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك. **فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا** نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (١كو١٠: ١٠و١١)
+ «لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تُقسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط **يوم التجربة في القفر**، حيث جرَّبني آباؤكم.» (عب٣: ٧-٩)
+ «فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحدٌ في عبرة العصيان هذه عينها.» (عب٤: ١١)

يقول بطرس الرسول في هذا: «**الذين أُعلِنَ لهم أنهم ليس لأنفسهم ـ بل لنا ـ كانوا يخدمون بهذه الأمور** التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها.» (١بط١: ١٢)

وكما رأينا أن البشارة بالكلمة هي واحدة، البشارة لنا كما البشارة لهم، ولا يزيد الأمر عن كون هذه تكميلاً لتلك: نحن نكمِّلهم، وهم لا يُكمَّلون بدوننا؛ كذلك نفس العهد الذي هو خلاصة كلام الله، هكذا يعتبره سفر العبرانيين أن الجديد يكمِّل القديم تماماً كما قالها المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل» (مت٥: ١٧)، «لأنه يقول لهم لائماً هوذا أيامٌ تأتي يقول الرب حين **أُكمِّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً**.» (عب٨: ٨)

هنا نتوقف لكي نوضح أن التكميل في الحقيقة لا ينبع من نقصان في العهد بل نقصان في السمع والتنفيذ، فإن أعطى الله عهداً جديداً ليكمل به خطته فقد أضاف على ما أعطى في القديم ما يضمن سماعه ويضمن تنفيذه، وهذا واضح من بقية الآية: «لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكتُ بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر ـ **لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب** ـ لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: **أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم** (وليس على ألواح حجرية حتى لا ينسوها) وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلِّمون كل واحدٍ قريبه وكل واحدٍ أخاه قائلاً اعرف الرب لأن **الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم**، لأني **أكون صفوحاً عن آثامهم** [في القديم: "مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي" (خر٣٢: ٣٣)] **ولا أذكر خطاياهم** [في القديم: "أفتقد ذنوب

الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مُبغضيّ" (خر٢٠: ٥)] وتعدياتهم في ما بعد.» (عب٨: ٩–١٢)

ولكن الذي يركِّز عليه سفر العبرانيين منذ البدء ـــ وهو ما يعنينا بالدرجة الأولى ـــ أن ما كلم الله به الآباء بالأنبياء كان في أهم مكوناته تقديم العناصر الأولية والأساسية عن ابنه بالذات الذي فيه سيَكمُل الاستعلان ويتجلى العهد، وذلك بأن أعطى للابن مواصفاته الكثيرة التي تستقطب الفكر والاهتمام والوعي، تمهيداً لاستعلانه. لذلك نجد السفر ينشغل في الأصحاح الأول بقدر كبير من هذا التركيز:

+ «أنت ابني أنا اليوم ولدتك.» (عب١: ٥)
+ «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (عب١: ٥)
+ «متى أدخل البِكْر إلى العالم، يقول: ولتسجدْ له كل ملائكة الله.» (عب١: ٦)
+ «وأما عن **الابن**: كرسيُّك **يا الله** إلى دهر الدهور، قضيب استقامةٍ قضيب مُلكك.» (عب١: ٨)
+ «أحببتَ البرَّ وأبغضتَ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من رفقائك.» (عب١: ٩)

عن الابن أيضاً:

+ «أنت **يا رب** في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك، **هي** تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغيَّر ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب١: ١٠–١٢)
+ «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (عب١: ١٣)

ثم يكمل سفر العبرانيين في الأصحاح الثاني:

+ «ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده، وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجدٍ وكرامةٍ كلَّلته وأقمته على أعمال يديك.» (عب٢: ٦و٧)
+ «أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أُسبِّحك.» (عب٢: ١٢)
+ «لأن ملكي صادق هذا **ملك ساليم، كاهن الله العلي** ... المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أمٍّ، بلا نسب، لا بداءة أيامٍ له ولا نهاية حياة، بل هو مشبَّهٌ بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب٧: ١–٣)

+ «عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِد ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسرَّ. ثم قلت ها أنذا أجيء ــ في دَرْج الكتاب مكتوب عني ــ لأفعل مشيئتك يا الله.» (عب١٠: ٥ــ٧)

هذه الأقوال التي جمعها القديس بولس من أسفار العهد القديم لم يسجلها بالنص حسب المكتوب أمامه في النسخ السبعينية أو العبرانية، ولكن كتبها من الذاكرة وسوف نعرض إليها في الشرح ونوقِّع مواضعها في الأسفار.

ولكن الذي نلفت إليه نظر القارىء هو أن ق. بولس جمع لنا قدراً لا بأس به من النبوات التي كلَّم الله الآباء بها قديماً، معطياً أضواءً من على بُعْدٍ زمني سحيق ليُمهِّد لاستعلان شخص الابن الوحيد في الأيام الأخيرة:

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلَّا وهو يعلن سِرَّه لعبيده الأنبياء.» (عا٣: ٧)

فهذه هي عيِّنة ما تكلم الله به **قديماً** بالأنبياء، فانظر في قيمة هذه الأقوال بالنسبة لنا الآن وكيف أنها تجعل لاستعلان الابن الآن في هذه الأيام الأخيرة قاعدة نبوية راسخة تُزيد من استعلانه قوة وتأكيداً ورسوخاً. ثم انظر بعد ذلك أيها القارىء السعيد في مدى الارتباط بين ما تكلم الله به بالأنبياء قديماً وما تكلم به في هذه الأيام، الارتباط الذي يستحيل فصله، الذي كان بالنسبة للآباء قديماً نوراً بهياً، رأوه من على بُعدٍ فآمنوا به وأحبُّوه فكان لهم عزاءً ورجاءً:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيُّوها وأقرُّوا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعدَّ لهم مدينة.» (عب١١: ١٣و١٦)

وأما بالنسبة لنا، فإنه يكفينا ما قاله الرب بنفسه بعد القيامة لتلميذي عمواس: «فقال لهما: أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من **موسى ومن جميع الأنبياء، يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.**» (لو٢٤: ٢٥ــ٢٧)

أما كل ما أسسه موسى ورسمه في العبادة، فلخصه سفر العبرانيين: «**الذي هو رمز للوقت الحاضر** الذي فيه تُقدَّم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمِّل الذي يخدم.» (عب٩: ٩)

أما كل أعمال الناموس فيلخِّصه سفر العبرانيين أيضاً:

+ «لأن الناموس إذ له **ظل الخيرات العتيدة** لا نفس صورة الأشياء ...» (عب١٠: ١)

«الآباء»: τοῖς πατράσιν

هنا يقصد بولس الرسول نوعية خاصة من رجال العهد القديم وهم الآباء الذين كلَّمهم الله بالأنبياء فسمعوا وقبلوا الكلمة. وكلمة «الآباء» صفة لا تخصهم في أنفسهم، وإلَّا كان قد قال: «رجال الله القديسون». ولكن بقوله: «الآباء»، فهنا الصفة تخصنا نحن؛ فهم آباؤنا. لذلك فهم نخبة المختارين بالروح الذين حُسبوا بسبب إيمانهم وصلة الأبوة لنا أنهم أعضاء في الكنيسة التي هي نحن:

+ «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن **آباءنا جميعهم** كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح.» (١كو١٠: ١-٤)

على أن بولس الرسول سواء في سفر العبرانيين أو في الرسالة إلى كورنثوس، ولو أنه أطلق كلمة «الآباء» على كل الشعب الذي عبر البحر أو الذي كلَّمه الله سواء بموسى أو الأنبياء، إلَّا أنه إن كان قد عاد واستثنى منهم الذين عصوا، إلَّا أن كلمة «الآباء» بقيت برنينها الإيجابي، مُعتبراً أنهم آباؤنا الروحيون أعضاء الكنيسة الأُولى، كنيسة البرية بخيمتها العتيقة! وقد ذكر منهم سفر العبرانيين الكثيرين (عب١١). ولو شئت توضيحاً أكثر أيها القارىء العزيز، فالضمير **«نحن»** في **«كلمنا في هذه الأيام»** يشمل منا في الواقع المختارين بالدرجة الأُولى، لأن الله لا يكلِّم إلَّا الذين يسمعون: «مَنْ له أذنان للسمع فليسمع» (مت١١: ١٥). ولكن مَنْ ذا يستطيع أن يقسِّمنا إلى مختارين ومرفوضين؟

«بالأنبياء»: ἐν τοῖς προφήταις

حرف الباء ἐν هنا يماثل في التركيب حرف الجر الذي جاء في الآية الثانية بخصوص المسيح ἐν «في». لذلك، وبحسب الأصول اللغوية، لا يوجد أي فرق بين «كلَّم بالأنبياء»، و«كلَّم في ابن». والذين حاولوا التفريق في المعنى خرجوا عن المضمون اللغوي. وفي الحالين ἐν تفيد الوساطة لغوياً، ولكن لاهوتياً هناك فارق هائل لأنه لا يوجد لنا إلَّا وسيط واحد: «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (١تي٢: ٥). على أن الوساطة الوحيدة القائمة بالمسيح الابن بين الله والناس هي وساطة قائمة بالنسبة لله، لا من الأعلى إلى الأقل نحونا،

بل قائمة في الله كالمثيل للمثيل. فالابن يمثل الآب دون نقصان بأي حال من الأحوال:

+ «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠)،
+ «أنا في الآب والآب فيَّ» (يو١٤: ١٠)،
+ «الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال» (يو١٤: ١٠)،
+ «كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي.» (يو١٧: ١٠)

وهذا المستوى من الوساطة بالنسبة لنا، هو أيضاً على مستوى التساوي، لأن الابن الوحيد تجسَّد وصار مشابهاً لإخوته في كل شيء. ولكن الحال في الوساطة بالنسبة للأنبياء ليس كذلك. فالنبي في أحسن أحواله هو بالنسبة لله عبد، وليس ابناً، يسمع فيطيع غير مختار، وإذا لم يُطِع يقع تحت العقاب الشديد:

+ «فقال الرب لي لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل مَنْ أرسلك إليه تذهب وتتكلَّم بكل ما آمرك به ... لا تخف من وجوههم ... أما أنت فنطِّق حقويك وقم وكلِّمهم بكل ما آمرك به ولا ترتَعْ من وجوههم لئلا أريعك أمامهم.» (إر١: ٧و٨و١٧)

كذلك فوساطة النبي بالنسبة للناس لا تقوى، من جهة فضائل النبي مهما كانت، أن تفيد شيئاً، ففضائله لا تكاد تخلِّص إلاَّ نفسه فقط:

+ «وكانت إليَّ كلمة الرب قائلة يا ابن آدم إن أخطأتْ إليَّ أرضٌ وخانت خيانة فمددت يدي عليها وكسرت لها قوام الخبز وأرسلت عليها الجوع وقطعت منها الإنسان والحيوان، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب، فإنهم **إنما يخلِّصون أنفسهم ببرِّهم يقول السيد الرب ... إنهم لا يخلِّصون بنين ولا بنات. هم وحدهم يخلصون** والأرض تصير خربة ... أو ... إنهم لا يخلِّصون ابناً ولا ابنة إنما يخلِّصون أنفسهم (وحدهم) ببرِّهم.» (حز١٤: ١٢—٢٠)

إذاً، فالنبي وسيط ليس له أن يغيِّر في قضاء الله، فهو يحمل رسالة لا تمتُّ إليه بصلة، ولكن المسيح بحد ذاته، كما سنرى، هو الرسالة بعينها. فإن كانت رسالة الله في المسيح كلمة الله، فالمسيح نفسه هو كلمة الله!! **فالرسالة** بواسطة الابن أي المسيح إن كانت **هي الخلاص** الذي أرسله الله للإنسان، **فالمسيح نفسه هو المخلِّص**، ومضمون الرسالة اللاهوتي إن كان **هو توصيل بر الله** للإنسان، فالمسيح الابن هو **«البار»** الذي ببره يتبرر الكثيرون. وإن كان القصد النهائي من رسالة الله للخلاص بتوسط المسيح الابن هو أن يصفح عن خطايا الإنسان فتُغفر خطاياه، فالمسيح الوسيط هو الكفَّارة بدمه ثم للتكفير وغفران الخطايا. وإن كانت مشيئة الله الأخيرة من رسالة

الفداء بتوسط المسيح أن يتبنى الله الإنسان، فالمسيح وسيط الفداء هو الابن الذي ببنوّته نلنا التبني لله!

فانظر أيها القارىء وتمعّن، فالوساطة من جهة الاسم واللغة واحدة. فالأنبياء وسطاء بين الله والناس والمسيح وسيط بين الله والناس. أما الأنبياء فنقلوا من الله للآباء كلمةً، أما الابن المسيح فنقل لنا من الله ذاته! لذلك حق أن يُقال:

+ «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح.» (١تي٢: ٥)

أما من هُم الأنبياء الذين في ذهن كاتب الرسالة ــ أي بولس الرسول ــ فنستشف من واقع استشهاداته من خلال المواضع أنهم يشملون الجميع، حاسباً البطاركة الأولين ثم موسى ويشوع وداود وبقية الأنبياء الرسميين، الكتابيين وغير الكتابيين، باعتبار أن كل مَنْ كلّمه الله فهو نبيٌّ، مع كل مَنْ حمل كلمة الله للآخرين.

وعلى القارىء إن أراد أن يتعرّف على معنى النبوة وهوية الأنبياء وأسمائهم ووظيفتهم فعليه أن يرجع إلى الدراسة التمهيدية التي قدمناها عن ذلك من صفحة ٧٦ إلى صفحة ٩٢.

٢:١ «كلّمنا في هذه الأيامِ الأخيرةِ في ابنه، الذي جعلَه وارثاً لكلِّ شيءٍ. الذي به أيضاً عَمِلَ العالمينَ».

«كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء»:

هنا يقدّم بولس الرسول المقابل للآية الأُولى: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً».

«كلمنا في ابنه»:

هذا القول في حدوده الضيقة والمباشرة يفيد أنه استعلان نبوي، فهل المسيح وهو ابن يمكن أن يُدعى نبياً؟ نعم، فكل استعلان حقيقي لله سواء في شخصه أو صفاته أو أقواله أو مشيئته هو نبوة، لأنه بحسب تحليل كلمة «نبي» بروفيتيس = προφήτης المكوّنة من البادئة -προ التي تفيد هنا «عن»، و φημι وتعني «صوت من السماء»[1]، والتي تفيد بالنهاية التكلّم نيابة عن الله، يكون المسيح هو أحق وأصدق مَنْ يُدعى نبياً، لأنه تكلم بالفعل نيابة عن الله.

1. Liddell and Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon*, Oxford, p. 859.

ولكن لأن المسيح هو ابن الله، يصبح كلامه ليس فقط نيابة عن الله بل شخصه بالأساس. فهو في المنظور التجسدي يتكلّم نيابة عن الله، ولكن في واقعه الإلهي يكون هو الله متكلّماً، أو كما عبَّر عنه القديس يوحنا في إنجيله هو الله الكلمة بقوله: «وكان الكلمة الله.» (يو١:١)

وهنا نأتي إلى أول مقارنة هامة جداً وخطيرة بين استعلان الله متكلماً للآباء بالأنبياء قديماً، وبين استعلان الله متكلّماً لنا في ابنه.

ففي استعلان الله متكلّماً للآباء بالأنبياء قديماً بواسطة نقل الكلمة فقط، ظلّ الله فيه مختفياً عن الأنبياء أنفسهم ومختفياً في الكلمة. فكانت كلمة الأنبياء للآباء قديماً تحمل أمراً أو فكراً عن الله ولكنها كانت عاجزة تماماً عن أن تكشف الله في ذاته: «حقاً أنت إلهٌ مُحتجبٌ يا إله إسرائيل المخلّص.» (إش٤٥: ١٥)

أما الله متكلّماً في ابنه، فهنا استعلانٌ لله في ذاته. فـ «الابن» هو من ذات الله، باعتبار أن الله آب وابن ذات واحدة، فعندما يتكلّم الله في ابنه يكون المتكلّم هو الله الآب في ابنه كآب وابن معاً. وهذا هو الاستعلان الكلي والكامل لله في ذاته وصفاته الجوهرية. وهذا هو الفارق الهائل بين استعلان الله متكلّماً للآباء والأنبياء قديماً واستعلان الله متكلّماً لنا هذه الأيام في ابنه.

أما المقارنة الثانية بين استعلان الله بالأنبياء قديماً واستعلانه لذاته متكلّماً في ابنه في هذه الأيام فهي منبثقة من كون الأنبياء كانوا بشراً واقعين تحت الخطية؛ فمهما انفتحت آذانهم لسماع كلام الله ومهما انفتحت عيونهم لرؤية مناظر يستحضرها الله لهم ليعبّروا عنها للشعب، فإنهم ظلوا لا يرون الله في ذاته قط ولا يسمعونه متكلّماً بذاته قط، وهذا كان مأخذ المسيح على اليهود حينما انحصروا في كلمات موسى ورفضوا كلامه هو، بقوله لهم:

+ «وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا (المعمدان النبي)، لأن الأعمال التي أعطاني **الآب لأكملها**، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني والآب نفسه الذي أرسلني يشهد (شهد في الأسفار المقدسة) لي. **لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمته ثابتة فيكم.**» (يو٥: ٣٦ـــ٣٨)
+ «الذي أرسلني **هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني.**» (يو٧: ٢٨و٢٩)

أما القديس يوحنا الإنجيلي فقالها بوضوح: «الله لم يَرَه أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر = ἐξηγήσατο (أعلن حقائق).» (يو١:١٨)

والله قال لموسى حينما أراد أن يراه في ذاته: «فقال (موسى) أرني مجدك ... وقال (الله) لا تقدر أن ترى وجهي (أقنومي) لأن الإنسان لا يراني ويعيش.» (خر٣٣: ١٨—٢٠)

وكان أقصى ما يمكن أن يحصل عليه نبي في القديم، حصل عليه موسى، وكان هو: «شبه الرب يعاين.» (عد١٢: ٨)

وإشعياء النبي لما ظنّ أنه رأى الله في الرؤيا وهو بهيئة الجالس على كرسي عالٍ قال: «ويل لي إني هلكت ... لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود.» (إش٦: ٥)

أما المسيح الابن فقال لفيلبس بكل قوة ووضوح حينما أراد هذا أن يرى الآب:

+ «لو كنتم قد عرفتموني، لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه!! فقال له فيلبس: يا سيد أرنا الآب وكفانا. فقال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن إني أنا في الآب والآب فيَّ؟» (يو١٤: ٧—١٠)

وواضح من هذا الكلام أنه إن كان الذي يرى المسيح (بالروح والإيمان) يكون قد رأى الآب، فبالأحرى أن المسيح نفسه رأى الآب ورآه في ذاته، لأنه يقول: «أنا في الآب والآب فيَّ» (يو١٤: ١٠). فكلٌّ من الآب والابن لهما رؤية واحدة بعضهما لبعض، لأن لهما ذات واحدة منظورة كآب وابن. والذي يعود علينا هنا بقوة وجمال رائع هو أن الذي يرى الابن يكون قد رأى الله الآب في ذاته. إذاً، فاستعلان الله في المسيح الابن، سواء بالكلمة أو الفعل أي العمل، يكون هو استعلان لذات الله.

وهنا يتضح لنا الفارق الهائل إذا قارنّا استعلان الله بالنبوة بواسطة الأنبياء بالكلمة، حيث كانت تعبِّر الكلمة النبوية عن أمر الله ووصيته دون أن تعبِّر عن «ذاته» أو شخصيته، وبين استعلان الله في المسيح يسوع متكلّماً أو فاعلاً، حيث يستعلن المسيح ذات الله متكلّماً وفاعلاً.

وهذا ما كان يقوله المسيح لليهود مرات ومرات:

+ «فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ... لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَنْ يشاء.» (يو٥: ١٩—٢١)

ويا للفارق الهائل بين النبي الذي يسمع الكلمة من الله ويرددها كما هي — فيُعلن مشيئة الله من بُعد — وبين المسيح الذي يعمل عمل الآب سواءً بسواء، وكل ما يعمله الآب يعمله الابن كذلك. فهنا المسيح الابن **يستعلن ذات الله الآب بأعماله.**

والمسيح يعلّق على أعماله التي عملها أنها أعمال الآب بالتالي ولم يعملها أحد غيره قط:

+ «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني **أنا وأبي**. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني بلا سبب.» (يو١٥: ٢٤و٢٥)

أما من جهة الكلام فيقول المسيح:

+ «**الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب** الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم.» (يو١٤: ٢٤و٢٥)

+ «**الكلام الذي أكلمكم به لستُ أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيَّ** هو يعمل الأعمال. صدقوني إني في الآب والآب فيَّ وإلاَّ فصدقوني لسبب الأعمال نفسها.» (يو١٤: ١٠و١١)

لذلك اعتبر المسيح أن الذي لا يقبل كلامه يكون قد رفض الله **المتكلّم فيه:**

+ «لو لم أكن **قد جئت وكلَّمتهم** لم تكن لهم خطية، وأما الآن **فليس لهم عذر في خطيتهم.**» (يو١٥: ٢٢)

لذلك فإن الفارق الهائل بين استعلان الله بالكلمة على فم الأنبياء، وبين استعلانه في المسيح، كالفرق بين أن نعرف شيئاً عن الله وبين أن نراه ونسمعه ونلمسه. وهذه هي معجزة المسيح الفائقة على الطبيعة والفائقة على العقل والتصوُّر. فالمسيح يقول عن كلامه هكذا: «الروح هو الذي يحيي... **الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة.**» (يو٦: ٦٣)

ولكي نتحقق أن كلام المسيح هو بالحقيقة **«روح وحياة»** وأنه كالمسيح نفسه لأن المسيح هو «روح محيي ... **والرب من السماء**» (١كو١٥: ٤٥و٤٧)؛ يقول القديس يوحنا الإنجيلي عن المسيح كالآتي:

+ «الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.» (١يو١: ١و٢)

هكذا ساوى القديس يوحنا بين المسيح، **وكلمة المسيح، والحياة**، وكيف أن كلمة الحياة هكذا ظهرت بعد أن كانت عند الآب وتجسدت فرآه يوحنا مع بقية التلاميذ وشاهدوه ولمسوه لمس اليد في عشرتهم مع المسيح. بهذا يعطينا القديس يوحنا أروع صورة لاستعلان الله في المسيح يسوع بالكلمة وبذاته. فأين هذا من استعلان الأنبياء لله بالنبوة؟

وقد رأينا أن طريقة استعلان الله بالأنبياء كانت بوسائل وأنواع كثيرة فعلاً كما درسناها (من صفحة ١١٦ إلى صفحة ١١٩)، وعن قصد الله من ذلك، حتى بهذه الطرق والأنواع الكثيرة يمكن أن نجمع معاً صورة مقرَّبة للحقيقة من بعيد. كذلك رأينا في الناموس كيف قدم المثالات (جمع مِثال) كرموز باهتة عن المخلِّص وعن الخلاص، سواء بخروف فصح أو رئيس كهنة أو خيمة اجتماع أو ذبائح أو ختان أو سبت أو صخرة تُخرج الماء أو المن من السماء. ثم جاء المسيح الابن ليعلن الحق نفسه إعلاناً، ويُجمِعه في ذاته إجماعاً، بكل أصوله وفروعه، وبلا تشبيه ولا تمثيل ولا تقسيم: «**أنا هو الطريق والحق والحياة.**» (يو١٤: ٦)

وهكذا قدَّم لنا الله منظوراً في ذاته ومسموعاً بكلماته ومرئياً بأعماله: «الذي **رآني** فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، «الذي **يقبلني** يقبل الذي أرسلني.» (يو١٣: ٢٠)

وقدَّم لنا الخلاص والقيامة من الأموات والحياة الأبدية في ذاته، مأكولاً ومشروباً من جسده ومن دمه: «مَنْ يأكل **جسدي** ويشرب **دمي** فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٥٤)

وقدَّم لنا الحرية بمعنى التحرر من العبودية بكل أنواعها والسخرة بكل مآسيها، للناس أو الخطية أو الشيطان، لا بوسائل ولا بفروض بل بذاته: «إن حرركم **الابن** فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو٨: ٣٦)، وذلك بأن وهبنا بُنوَّته لله عوض عبوديتنا للخطية والعالم والشيطان.

«كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه
الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين»:

والترجمة الصحيحة الحرفية حسب اليونانية تكون: «في هذه الأيام الأخيرة كلمنا في ابنه ...». أي أن الآية تبتدىء مباشرة: «في هذه الأيام الأخيرة».

«في هذه الأيام الأخيرة»: ἐπ' ἐσχάτου τῶν ἡμερῶν τούτων

هذا الاصطلاح مأخوذ من لغة العهد القديم كما جاءت أولاً في سفر التكوين: «ودعا يعقوب

بنيه وقال اجتمعوا لأُنبئكم بما يصيبكم **في آخر الأيام**.» (تك٤٩: ١)

— وقالها إرميا النبي، وكان يقصد بها أيام المسيح بوضوح: «لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه، في آخر الأيام تفهمون فهماً.» (إر٢٣: ٢٠)

— وقد جاءت في سفر التثنية بوضوح لتشير إلى أيام المسيا: «عندما ضُيِّق عليك وأصابتك كلُّ هذه الأمور **في آخر الأيام ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله. لأن الرب إلهك إلهٌ رحيمٌ لا يتركك ولا يُهلِكُكَ ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه.**» (تث ٤: ٣٠و٣١)

— ويذكره إشعياء باعتباره تكميل الخلاص بالمسيا: «ويكون **في آخر الأيام** أن جبل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم.» (إش٢: ٢)

— ويذكره دانيال النبي باعتباره سيأتي بعد الأيام الأخيرة: «... وجئت لأُفهِمَك ما يصيب شعبك **في الأيام الأخيرة** لأن الرؤيا إلى أيامٍ بعدُ.» (دا١٠: ١٤)

ويشرح ذلك العالم وستكوت:

[ولكي نفهم ونحصر معنى «هذه الأيام الأخيرة»، يلزم أن نعرف أن معلمي اليهود كانوا يميِّزون بين «الزمن أو الوقت الحاضر» أو «هذا الدهر» ὁ νῦν καιρός, ὁ αἰών οὗτος وبين «الدهر العتيد» أو «ذلك الدهر» أو «الدهر الآتي»

ὁ μέλλων αἰών, ὁ αἰών ἐκεῖνος, ὁ αἰών ἐρχόμενος

على أنه كان في عُرْف اليهود العلماء أن الزمن الحاضر هو زمن العجز والقصور وعدم الكمال والتجارب، وأن الدهر الآتي هو زمن الحكم الكامل لله، ثم يضعون **«أيام المسيا»** إما تبع هذا الدهر أو الدهر الآتي. وأحياناً كانوا يضعونه بمفرده كزمن متميِّز عن الزمانين الآخرين.

ولكن الأمر الذي ساد على فكر علماء اليهود أنه بين الانتقال من **هذا الدهر إلى الدهر الآتي**، ستكون فترة زمنية مملوءة بالأحزان والأوجاع كآلام المخاض قبل الولادة الجديدة. وهذا الوصف نجده وارداً على لسان المسيح في إنجيل القديس متى: «لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع ... ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مت٢٤: ٧—١٣)

لذلك فإن الآباء الرسل كانوا يستشعرون بهذه الضيقة الروحية التي كانوا يعبرونها، وكانوا يصفون أيامهم باعتبارها «الأيام الأخيرة»: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع

صوته وقال لهم (في يوم الخمسين) ... هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار (٩ صباحاً) بل هذا ما قيل بيوئيل النبي: يقول الله **ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي ...**» (أع ٢: ١٤—١٧)

«ولكن اعلم هذا أنه **في الأيام الأخيرة** ستأتي أزمنة صعبة.» (٢تي ٣: ١)

كما عبَّر عن ذلك القديس يوحنا الرسول أنها الساعة الأخيرة: «أيها الأولاد هي **الساعة الأخيرة...**» (١يو ٢: ١٨)

ويدعوها بطرس الرسول **الأزمنة الأخيرة** ἐπ' ἐσχάτων τῶν χρόνων (١بط ١: ٢٠)، كما يدعوها أيضاً: «**آخر الأيام** ἐπ' ἐσχάτων τῶν ἡμερῶν.» (٢بط ٣: ٣)

كما يسميها يهوذا الرسول: «فإنهم كما قالوا لكم إنه **في الزمان الأخير** ἐν ἐσχάτῳ χρόνῳ سيكون قوم مستهزئون سالكون بحسب شهوات فجورهم.» (يه ١٨)

ومن هذه التعبيرات المتعددة التي جاءت في أقوال الرسل عن وصف الزمان الأخير، يُفهم فكران واضحان:

الأول: هو تعبيرهم حينئذ عن آخر النظام الحالي.

والثاني: عمل مقارنة بين الحاضر الزمني والنظام في المستقبل = (في تلك الأيام)] [2].

أما المعنى المباشر للتعبير الوارد في سفر العبرانيين «**هذه الأيام الأخيرة**»، فواضح أنه يقصد أيام المسيا = «**كلمنا في ابنه**»، وهو نفسه بحسب الفهم اليهودي الزمن الوسط بين **القديم**، «**هذا الدهر**»، وبين «**الدهر الآتي**». أما بحسب الفهم المسيحي، فإن هذه الأيام الأخيرة التي هي بعينها أيام المسيح، فهي ما عبَّر عنها بطرس الرسول في سفر الأعمال، إنها أزمنة دخول المسيح إلى السماء، إلى أن تنتهي أزمنة رد كل شيء، أو على وجه الأصح، تكميل كل شيء ويأتي المسيح:

+ «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج (الدهر الآتي / ملكوت الله / الحياة الأبدية) من وجه الرب، ويُرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى **أزمنة رد كل شيء** التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع ٣: ١٩—٢١)

2. Westcott, *op. cit.*, pp. 6, 7.

إذاً فهي في عرف بطرس الرسول «**أزمنة التوبة**» و «**أزمنة رد أو تكميل كل شيء**»، وهذا في الحقيقة تعبير عملي وصادق وجيد ونافع.

بهذا نفهم أن زمن المسيا ينقسم إلى ثلاث مراحل:
المرحلة الأولى: الظهور الأول ويتسم بالتعليم والصلب والقيامة وتكميل عمل الخلاص.
المرحلة الثانية: زمن المناداة بالإنجيل والتوبة ورد كل شيء.
المرحلة الثالثة: الظهور الثاني للدينونة واستعلان الميراث للقديسين.

ولكن بحسب واقع الحياة الروحية المسيحية، كما عاشها ويعيشها الآباء القديسون المسيحيون، ومن واقع روح الإنجيل والرسل، فالكنيسة تعيش منذ الآن الإسخاتولوجي أو الدهر الآتي أو ملكوت الله أو الحياة الأبدية، إنما ليس بواقع العيان والجسد ولكن بالروح كالعربون. فالمسيح نفسه عبّر جيداً عن ذلك:

+ «هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)
+ «ها ملكوت الله داخلكم.» (لو١٧: ٢١)
+ «مَنْ كان حيًّا (بالإيمان بالقيامة) وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو١١: ٢٦)
+ «أنا هو القيامة والحياة.» (يو١١: ٢٥)

فالذي يتحد بالمسيح، والكنيسة متحدة بالمسيح حقاً في أشخاص قديسيها، فهو يكون في حالة القيامة والحياة لأننا جسده (أف٥: ٣٠ وكو١: ٢٤). ويقول بولس الرسول بقوة الواقع الحي الذي يحياه: «**أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات**» (أف٢: ٦). فالمسيحي الصادق، الحي بالروح، يحيا الخلود من الآن كعربون ولن يجوز الموت. فالقديس استفانوس رأى منظر الخلود رؤيا العين: «أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع٧: ٥٥و٥٦)، بل والقديس يوحنا عاش صورة الآخرة في رؤياه، وعاصرها، حتى اكتمال حوادث الدينونة النهائية وتغيُّر العالم، ورأى الأرض الجديدة والسماء الجديدة وعرش الله.

لذلك نعود ونؤكد أننا نعيش الآن سبق تذوُّق الدهر الآتي، **بالرجاء**، ونراه بالروح. لذلك يقول بولس الرسول معبّراً عن ذلك: «**بالرجاء خَلَصنا**» (رو٨: ٢٤)، أي الخلاص الأخير **الاستعلاني**.

لذلك أيضاً، فالكاتب يعتبر أن بولس الرسول في قوله في سفر العبرانيين: «في هذه الأيام **الأخيرة** ἐσχάτου (إسخاتو)» يقصد بهذه الكلمة «الأخيرة» روحياً هذا المعنى، أي أنها أيام الآخرة، أو أنها أيام الدهر الآتي، أي أن الاسخاتون قد اقتحم الزمان، **لأن بظهور الابن يكون قد بدأ عصر الله على الأرض، والكنيسة الآن هي استعلان ملكوت الله على الأرض،** وكل الذين عاشوا بالإيمان الحقيقي يتيقَّنون من هذا. وليس أدلّ على ذلك من قول المسيح: **«ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»** (مت٢٨: ٢٠)، بمعنى أننا في المسيح يسوع نحيا مع الله في ملء الآخرة، أي في ملء الحياة الأبدية، متغرِّبين على الأرض، حتى ينتهي هذا الدهر.

وهذا يكون منتهى إيماننا وواقع رجائنا الحي وسبب حرارة قلوبنا وعلة تشوُّقنا الذي يتحرَّق كل يوم لرؤيا الرب، فنراه ولكن في مرآة الزمن إلى أن يُرفع الزمن فنراه كما هو!...

«في ابن»: ἐν υἱῷ بدون ألْ التعريف:

الترجمة العربية تصرَّفت تصرُّفاً أخرجت به المعنى عما يقصده بولس الرسول في الرسالة، فقالت **«في ابنه»، إذ** نسبته لله، مع أن الكاتب قصد أن يعمل **مقارنة** لأن روح المقارنة يغطي المعنى من أوله إلى آخره. والمقارنة التي يقصدها هي بين وسطاء أنبياء هم **عبيد**، وبين وسيط هو **ابن** بدون «ألْ» التعريف. فالمقارنة في طبيعة الوسيط وليس في شخصه، إمعاناً من ق. بولس في إظهار الفارق الهائل الذي يفرِّق بين طبيعة وقدر وأهمية الوسيط، وبالتالي يكون حتماً أن الاستعلان في القديم كان مناسباً لهؤلاء الوسطاء، فجاء ناقصاً، فماذا كانت تستطيع عين عبد أو أذن له أن ترى مَن هو الله ثم تعبِّر عن سماعها ورؤيتها؟ والله لم يَرَهُ أحد قط؟ من هنا قصد الكاتب بهذه المقارنة في طبيعة الوسيط أن يعلن عن نقصان الاستعلان القديم واكتمال الاستعلان في هذه الأيام الأخيرة بما يتناسب مع طبيعة ابن في إخبارها عن الآب!!

وإسقاط «ألْ» التعريف لم يكن سهواً، أو عن إقلال في المعنى والوصف، لأن في نفس الآية يقول إن به خَلَق العالم «عمل العالمين»، وأنه بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا، جلس عن يمين العظمة في الأعالي كما يحق للابن.

«الذي جعله ὃν ἔθηκεν **وارثاً لكل شيء»:**

«وارثاً لكل شيء» = باليونانية κληρονόμον πάντων، وتأتي باللاتينية القديمة O.L. واضحة أكثر = Heredum universorum. **«جعله»** هنا تفيد التعيين في المقاصد الأزلية.

ونحن نقرأ قوة هذه الكلمة في المزامير عن مشيئة الله المعلنة في الابن هكذا: «هو يدعوني أبي

أنت إلهي وصخرة خلاصي، أنا أيضاً **أجعله** بِكْراً أعلى من ملوك الأرض.» (مز٨٩: ٢٦و٢٧)

كذلك نقرأها في وعد الله لإبراهيم: «وأنا جعلتُك أباً لأمم كثيرة» (رو٤: ١٧؛ تك١٧: ٥)، حيث يوضح الله المستوى الذي سيُستعلن فيه إبراهيم عندما ترث الأمم بركة إبراهيم في بذرته، أي المسيح.

وكذلك في المزمور: «أُعطيك الأمم ميراثاً لك وسلطانك إلى أقصى الأرض.» (مز٢: ٨)

أما قوله عن الابن: «جعله وارثاً لكل شيء»، فهنا **استعلان العلاقة** التي ستنتهي إليها الخليقة كلها بالنسبة لله، وذلك حينما تؤول كلها للابن، بالإضافة إلى ميراث بنوّته في كل ما لله!

وهنا ننبه ذهن القارىء أن القيمة العظمى المتحصِّلة **من وراثة الابن لكل شيء لا تعود** بالكرامة على الابن، فالابن هو بالأساس خالقها جميعاً وهو الكل في الكل، وإنما القيمة العظمى حينما يؤول كل شيء إلى الله في الابن، فيكون هذا عائداً بالحري على **هذه الأشياء**، إذ تصبح منتمية ليس لذاتها ولا للعالم بل لله في المسيح.

وهكذا ينبغي أن ننتبه أيضاً وبالتالي أن الله عندما يستعلن لنا ذاته في ابنه كاملاً في المسيح، فليس هو الرابح بل نحن، لأن الله لا يتعظم بنا، بل نحن الذين نتعظم به ونربح بمعرفته. والعالم حينما يصير بالنهاية للرب ولمسيحه (رؤ١١: ١٥)، يكون قد بلغ منتهى القصد من خلقته، إذ يكون قد صار عالماً صالحاً بصلاح الله.

كذلك نودّ أن ينتبه القارىء لعمق معنى **وراثة الابن لكل شيء**، إذ تشمل في طياتها كل ما سبق وأن استعلنه الأنبياء، فالنبوات تبدأ وتنتهي بالابن، فكل علائق الله بالشعب وكل مَنْ ارتقى وتقدَّس وتبرر باستعلان الله من كافة القديسين، فهذا يدخل بالنهاية في ميراث الابن، الأمر الذي أعلنه ق. بولس سابقاً: «كي **يعطيكم** إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة **والإعلان في** معرفته، **مستنيرة عيون** أذهانكم، **لتعلموا ما** هو رجاء دعوته، **وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين.**» (أف١: ١٧و١٨)

كذلك نرى هنا علاقة سرية بين قول داود النبي في المزمور: «أنا أجعله **بكراً** أعلى من **ملوك** الأرض» (مز٨٩: ٢٧)، وبين ما يقوله هنا سفر العبرانيين: «وجعله وارثاً لكل شيء». فالبكر الأعلى من ملوك الأرض عند داود، يرث بمفهوم سفر العبرانيين كل شيء، على مستويين: مستوى البنوّة البكر أي الوحيدة لله، ومستوى الملوكية الأعلى من كل ملوكية على الأرض.

وهذا الميراث الفائق **«لكل شيء»** تعبّر عنه بدقة الترجمة اللاتينية للكلمة «كل شيء» universorum مقابل πάντων باليونانية، فهي تعني باللاتينية «بلا حدود و بلا استثناء»، وفي كل مكان وتحت كل الظروف في محيط كل بشر وكل حال وكل أعمال(٣).

وبخصوص «وراثة كل شيء» في المفهوم الخلاصي يعود بنا الفكر إلى سفر التكوين، كيف خلق الله الإنسان ــ آدم ــ **وأخضع كل شيء تحت قدميه**، الذي كان سينتهي إلى وراثة العالم، لو أفلح **«الإنسان»** فيما أعطي، ولكن لما سقط أخذت منه وأعطيت لـ **«ابن الإنسان»**. وداود النبي يطرح هذا بلغة نبوية سرية، كيف انتقل هذا الميراث من الإنسان إلى ابن الإنسان، من آدم الأول إلى آدم الثاني ــ أي المسيَّا مسيح الرب، حيث يلمّح داود إلى خلقة العالم بسمائه وأرضه ثم إلى ملوكية المسيح التي أعلنها مُسبقاً قبل أن يعلنها المسيح عند دخوله أورشليم راكباً على أتان والأطفال تصرخ: «مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل»، والأعداء إذ يحتجُّون، تسكتهم الأطفال بصراخهم. وأخيراً تهتف بالنبوّة للمسيَّا كيف جعل الله كل شيء تحت قدميه، بعد أن أنقصه قليلاً عن الملائكة بقبوله الموت لقيامة المجد: «مِنْ أفواه الأطفال والرُّضَّع أسَّسْتَ حمداً بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنتقم. إذ أرى سمواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها، فمن هو **الإنسان**، حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده، وتُنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء تُكلله، تُسلِّطه على أعمال يديك. **جعلت كل شيء تحت قدميه**.» (مز ٨: ٢ــ٦)

كذلك جميل حقاً أن نتتبع هذا «الميراث لكل شيء» من آدم (مز ٨)، إلى إبراهيم، إلى المسيح:

+ «فإنه ليس بالناموس كان الوعد **لإبراهيم** أو لنسله (مفرد أي المسيح) أن يكون **وارثاً للعالم**، بل ببرّ الإيمان.» (رو ٤: ١٣)
+ **«فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة.»** (غل ٣: ٢٩)

ولكن وإن ظهر هذا التسلسل الميراثي وكأنه في محيط الزمن، ولكن داود النبي يرفعه بالنبوة إلى مستوى مشورة الله في الأزل: «اسألني فأعطيك الأمم **ميراثاً لك** وأقاصي الأرض **مُلكاً لك**.» (مز ٢: ٨)

3. Webster's New Collegiate Dictionary.

أما المسيح فقد كشف علناً عن هذا الميراث في مَثَل الكرَّامين الأردياء، إنما باستعلانٍ غاية في السريَّة: «أما الكرَّامون، فلما رأوا "**الابن**"، قالوا فيما بينهم: **هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه.**» (مت ٢١ : ٣٨)

والرسالة إلى العبرانيين تكاد تكون مختصَّة بموضوع الوراثة والميراث والتوريث. **فكما وجدناها في** صدر الرسالة (١ : ٤)، **يعود ويلمِّح كيف سينتقل ميراث الابن إلى الذين نالوا الخلاص**: «أليس جميعهم (الملائكة) أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن **يرثوا الخلاص.**» (عب ١ : ١٤)

ثم يربط الإيمان بالميراث: «لكي لا تكونوا متباطئين، بل متمثلين بالذين **بالإيمان والأناة يرثون المواعيد**» (عب ٦ : ١٢)، **ثم يلمِّح كيف يضيع الميراث من يد الابن المستهين بالبركة**: «لما أراد (عيسو) أن **يرث البركة**، رُفض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً (لأنه استهان بالبكورية التي هي صاحبة الميراث) مع أنه طلبها بدموع.» (عب ١٢ : ١٧)

وموضوع «**الميراث السماوي**»، أراد الله أن يُشغل به بال الإنسان منذ البدء، فصوَّره تصويراً حسناً يجتذب فكر الإنسان ويستحوذ على مشاعره ويستقطب اهتماماته. وكان أول تصوير مادي له هو في آدم ــ لو أطاع ــ لأنه سلَّمه الأرض حين خلقه لتكون ميراثاً له: «وباركهم الله (آدم وحواء) وقال لهم أثمروا واكثروا، **واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا** ...» (تك ١ : ٢٧)، وكان فيها كل المشتهى من الأشجار والمخلوقات ثم حدَّد الله فكرة الميراث في وضعها المحدد لإبراهيم: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين **ليعطيك هذه الأرض لترثها.**» (**تك ١٥ : ٧**)

ثم حدد الله «الميراث» في أرض كنعان: «وقلت لكم **ترثون أنتم أرضهم وأنا أُعطيكم إياها لترثوها، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً**» (لا ٢٠ : ٢٤). وهكذا أضاف إلى **فكرة الميراث الزمني الخيرات المشتهاة**، ليخطَّ بمفهوم الميراث ومضمونه خطوطاً عميقة وشديدة في نفسية الإنسان، تمهيداً لينطلق بهذا التعلُّق والمشتهى النفساني من وضعه الأرضي إلى وضعه السماوي بعدئذ. وهكذا بدأ ميراث كنعان كـ «عهد» تعهَّد الله أن يتممه لهم بقوة واستمرارية، فازداد تعلُّق الشعب بالميراث، حتى صار جزءاً من كيانه. وهوذا نحميا وقف يتكلَّم مع الله ليعدِّد مراحمه على شعبه: «وأعطيتهم خبزاً من السماء لجوعهم، وأخرجت لهم ماءً من الصخرة لعطشهم، وقلت لهم أن يدخلوا **ويرثوا** الأرض التي رفعت يدك (تعهَّد) أن تعطيهم إياها» (نح ٩ : ١٥). وأكمل

لله بالفعل وعده: «فدخل البنون، **وورثوا الأرض**، وأخضعتَ لهم سكان أرض كنعان ... وأخذوا مدناً حصينة ... **وورثوا بيوتاً**[٤] ...» (نح٩: ٢٤و٢٥)

ثم ابتدأ الرب يرتفع بمفهوم ميراث الأرض أنه مقابل أعمال الصلاح والبر، وإلاّ فالطرد من الميراث جاهز: «لأن المباركين **فيه يرثون الأرض** والملعونين منه يُقطعون» (مز٣٧: ٢٢). ثم ارتفع بشروط الميراث لتكون على مثال صفات ابنه: «تعلَّموا مني **لأني وديع** ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩)، هكذا: «**طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.**» (مت٥: ٥)

ثم بدأ الرب يعطي الأرض التي كانت هي موضوع الميراث لمسة روحية باعتبارها «جبلُ قدسه»: «أما المتوكِّل عليَّ فيملك الأرض **ويرث جبل قدسي.**» (إش٥٧: ١٣)

ثم يعطي الأرض والميراث جميعاً صورة سماوية، حيث ساكنوها كلهم أبرار: «**وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض**، غُصن غَرْسي عمل يدي لأتمجد» (إش٦٠: ٢١). وهنا يبدأ ينقل الأرض من صورتها القديمة إلى صورة جديدة حيث شعبها كلهم أبرار، وهذا ينبيء بالنقلة الأخيرة من ميراث الأرض إلى ميراث السماء: «والآن أستودعكم، يا إخوتي، لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم **ميراثاً مع جميع القديسين**» (أع٢٠: ٣٢). وسفر العبرانيين يصف هذا الانتقال بأسلوب تصويري غاية في العمق: «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس ... وهتاف بوق ... بل أتيتم إلى جبل صهيون (السمائي) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم مَحْفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديَّان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رشٍّ يتكلم أفضل من هابيل.» (عب١٢: ١٨—٢٤)

والآن، إذا جمعنا الوعد المقدس الذي تم لإبراهيم فيما يخص نسله (بالمفرد sperma)، أي المسيح، في نبوّة داود: «أُعطيك الأمم ميراثاً لك» (مز٢: ٨)، بالإضافة إلى الميراث الروحي الإلهي الذي استُعلن لنا في الابن بتجسد الكلمة: «والكلمة صار جسداً ... ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو١: ١٤)، ثم بارتفاعه إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين أبيه، يكون الابن قد جُعِل حقاً: «**وارثاً لكل شيء universorum**».

والمسيحية تركِّز بشدة على أنه بقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين أبيه، استُعلن ميراثه الأبدي وتثبَّت، وفتحه على مصراعيه للذين آمنوا واعتمدوا واتحدوا به، أي

(٤) «في بيت أبي منازل كثيرة.» (يو١٤: ٢)

الكنيسة. فالكنيسة ورثت بالابن في ملكوت الله: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا المُلك المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥: ٣٤)؛ «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وَرَثَة الله ووارثون مع المسيح» (رو٨: ١٦و١٧). والإيمان المسيحي الرسولي بالنسبة لممارسة حقوقنا منذ الآن كوَرَثة، يؤكده بطرس الرسول على أساس أن الميراث قد تسجَّل لنا في نفس يوم تسجيل ميلادنا الجديد. ونحن نحيا الآن عربونه بالرجاء وبالآلام الحتمية، ولكن ونحن مبتهجون لأن الميراث نفسه محفوظ لنا في عهدة الله، مختوم عليه لا يتزعزع؛ فنحن نمتلكه وكأنه في أيدينا: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة، وَلَدَنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان، لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزَنون يسيراً بتجارب متنوعة.» (١بط١: ٣-٦)

«الذي به أيضاً عَمِل العالمين»:

«الذي به δι' οὗ عمل»:

«الذي» هنا تكني عن المسيح، وكلمة «به» تعني «فيه وبواسطته **through whom**». وهنا الكلام كثير، فالمسيح كـ «ابن» حينما يُقال أن **بواسطته عمل الله العالمين**، فالأمر أعمق من كونه مجرد شخص، بل يتطرق إلى **قوة الكلمة λόγος** المعبِّرة عن فكر الله الفعّال. كذلك يتطرق إلى قوة **الحكمة σοφία**: «أنا الحكمة ... لما ثبَّت السموات كنتُ هناك أنا ... لما رسم أسس الأرض كنتُ عنده صانعاً ...» (أم٨: ١٢و٢٧و٢٩و٣٠)

فهنا الابن كخالق العالم مع الله، كان هو كما قال ق. بولس: «**قوة الله**، وحكمة الله» (١كو١: ٢٤)، وكما قال القديس يوحنا: «كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو١: ١و٣). واضح هنا، إذاً، مفهوم كلمة «به» أي «**بواسطته**»، أنها تحمل من المفهومات الإنجيلية اللاهوتية الشيء الكثير، وهي تعبِّر عن أعماق قوة الابن اللانهائية في الحكمة والفهم والمعرفة والتدبير. لأنه معروف ما هو «العالمين» في قوامه المنظور وغير المنظور، الزمني والأبدي، بكل خلائقه من أصغر خليقة إلى أعظم خليقة، من التي تُرى والتي لا تُرى، الجسدية الزمنية والروحية الأبدية، حيث أن الابن خلقها ليس فقط حسب مشيئة الآب بل وأيضاً تولَّى تدبيرها وضبطها: «وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٧)، بمعنى أن دوام واستمرار كيانها هو على عاتق الابن. لذلك وبعد أن خلقها، صارت تتبعه، فإنه

«به وله قد خُلِقت» (راجع كو١: ١٦). لذلك قيل سابقاً أن الابن جعله الله «وارثاً لكل شيء»، أي وارثاً لِما خَلَق وراثة المسئولية التي حَدَثت به بعد ذلك (في الآية القادمة) أن يقول إنه «صنع تطهيراً لخطايانا».

وهذا كل يعبِّر عنه سفر العبرانيين بآية مختصرة: «بالإيمان نفهم أن العالمين أُتقِنَت بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر.» (عب١١: ٣)

«العالمين» τοὺς αἰῶνας :(5)

هي جمع كلمة αἰῶν . وتعني أصلاً حقبة من الزمن إما محدودة أو غير محدودة. وجمعها معاً يهدف للتعبير عن العالم بمضمونه الزمني وبكل ما يشغل هذا الزمن من أحقاب متتالية. وقد عبَّر سفر الحكمة عن العالم بهذه الكلمة τὸν αἰῶνα (حك١٣: ٩). وكذلك القديس بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: «أين مُباحِث هذا الدهر (العالم) τοῦ αἰῶνος» (١كو١: ٢٠)، وهي تأتي هنا بالمفرد ولكنها حينما تأتي بالجمع كما في آية سفر العبرانيين والتي تُرجمت إلى «عالمين»، فالقصد هو: «عالم هذا الدهر، والدهر الآتي»، فهما العالمين بالجمع. وهذا ميراث من التقليد العبراني القديم، وقد استخدمها بولس الرسول، ولكن ذكرها على مرحلتين: «... فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في **هذا الدهر** ἐν τῷ αἰῶνι τούτῳ فقط، بل في **المستقبل** أيضاً ἐν τῷ μέλλοντι » (أف١: ٢١). فهذا الدهر والدهر الآتي هما «العالمين».

وبسبب أن التعبير عن العالم يأتي بجمع الـ «أيون» αἰῶν، وأن «**الإيون**» الدهر الحاضر هو زمني، و«**الإيون**» الدهر الآتي غير زمني، لذلك يمكن أن يعبَّر عن العالم بالتعبير الزمني والتعبير غير الزمني معاً.

لذلك حينما تقول الآية: «الذي عمل العالمين»، فالقصد المباشر هو الدهر الحاضر بكل مفهومه الزمني وكل ما هو داخل هذا الزمن، والدهر الآتي بكل خلائقه غير الزمنية وغير المنظورة. وقد وضعت الأسفار المسيحية العلاقة بين الله والدهر بالجمع هكذا: «**وملك الدهور** βασιλεῖ τῶν αἰώνων الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة والمجد إلى **دهر الدهور**» (وصحة الترجمة: "دهور الدهور"، فهي في صيغة الجمع في الكلمتين:

---

5. Westcott, *op. cit.*, p. 8; Harold W. Attridge, *The Epistle to the Heb.*, p. 40, 41.

τοὺς αἰῶνας τῶν αἰώνων) (١تي١: ١٧)

والقديس بولس يقصد هنا مقارنة بين الله **كملك الدهور** وبين أي ملك في الحاضر، حيث يعتبر القديس بولس ملوك هذا الدهر **أنهم يبطلون** بمعنى «يموتون» في مقابل «ملك الدهور الذي لا يفنى ...» هكذا: «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر **ولا من عظماء (حُكّام) هذا الدهر الذين يبطلون.**» (١ كو٢: ٦)

وحكماء اليهود هم أول مَنْ فرّقوا بين العالم الكبير Macrocosm وهو العالم الحاضر، وبين العالم الصغير الميكروكوزم Microcosm وهو الإنسان(٦).

فإن كان الله قد عمل العالمين بواسطة الابن، **فهل** علاقتنا بالمسيح مُحدثة هكذا من داخل العالم، وكأننا كنا قبل الخلق نَسْياً منسياً؟ القديس بولس الرسول يستشف من فكر المسيح حقيقة كياننا قبل أن نكون هكذا: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السموات، في المسيح، **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم ...**». إذاً، فسَبْق اختيار الله لنا تم قبل تأسيس العالم، أي أننا كنا موجودين في فكر الله والمسيح قبل خلقة العالم ــ كأساس في خطة الخلق ــ ولكن ليس كل إنسان، بل كل الذين **تعيَّنوا أن يكونوا قديسين**. ويذكر القديس بولس هذا بالتأكيد: «كما **اختارنا فيه** قبل تأسيس العالم **لنكون قديسين** وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف١: ٤)

6. Westcott, *ibid.*

ثانياً ــ طبيعة وعمل الابن

١ : ٣ **«الذي وهو بهاءُ مجدِهِ ورَسْمُ جوهَرِهِ وحامِلٌ كلَّ الأشياءِ بكلمةِ قدرتِهِ، بَعْدَ مَا صنعَ بنفسِهِ تطهيراً لخطايانا، جَلَسَ في يمينِ العظمةِ في الأعالي».**

أراد كاتب الرسالة هنا أن يكمّل ما جاء في الآيتين الأولى والثانية من جهة المسيح الابن في علاقته بالله، الذي هو موضوع الرسالة: فأولاً تكلّم الله في ابنه، ثم جعله وارثاً لكل شيء، ثم عمل به العالمين.

والآن ما هي طبيعته الشخصية بالنسبة لله؟ ثم ما هو عمله الذي جاء ليكمّله؟

«الذي وهو بهاء مجده»:

والقديس بولس يبتدىء هنا بالصفات الطبيعية الأزلية أو اللانهائية في الابن، كما سبق وكتب:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو١ : ١٥)

+ «الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل.» (كو١ : ١٧)

ويقول في ذلك القديس يوحنا:

+ «الله لم يَرَه أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو١ : ١٨)

ويقول المسيح نفسه:

+ «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤ : ٩)

+ «ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، **ابن الإنسان الذي هو في السماء.**» (يو٣ : ١٣)

«الذي وهو»:

«الذي» ὅς ، «هو» ὤν

ولكن للأسف «هو» لا تفي بالمعنى الذي يحويه الضمير « ὤν ». فهو هنا يعني الكينونة Being على مستوى اسم الله الأزلي: «أنا هو ἐγώ εἰμι ὁ ὤν » (خر٣ : ١٤)، حيث تترجم: «أنا هو **الكائن بذاتي**»(٧).

(٧) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢١ــ٢٢٢.

فالضمير «هو» هنا ليس ضميراً في اليونانية بل اسم في صيغة اسم الفاعل «الكائن». وقصد الكاتب هنا أن يضع الاسم في هذه الصيغة لتؤمّن **ديمومة** كينونة «البهاء»(٩) الصادر عن مجد الله أو الخارج منه. فهو ليس ابناً متبنىً، بل ابناً كائناً مع الآب وفيه، وهذا للتعبير عن ديمومة جوهر الابن الذي نزل به ليعمل عمله الفدائي في صميم العالم والتاريخ.

«الذي وهو بهاء مجده ورَسْمُ جوهره»:

القديس بولس هنا لا يصف الابن في ذاته بعيداً عن فكرنا كأنه يراه في ذاته. هذا مستحيل! ولكن لأن الابن تجسد وتحدد كيانه بالمنظور والمسموع والملموس، فهنا أمكن أن توصف صفاته الإلهية هذه بلغة البشر، فتدخل في مجال التصوير الذهني بالمحدود، حتى يمكن التقاط صورتها بالفكر، فقال إنه «بهاء» أو شعاع منطلق أو منعكس من الله، وإنه «رَسْم» ــ كريكاتير ــ للجوهر غير المرسوم ولا المتصوَّر أصلاً الذي لله.

أما الصفة الإلهية الأُولى **«بهاء مجده»** أو شعاع مجده، فتفيد مباشرة فعل انبعاث النور من النور وهما باتصال كوجدة = φῶς ἐκ φωτός «نور من نور»، وعلى التساوي كجوهر ὁμοούσιος فهو، من الوجهة العملية، «نور الله» الذي يضيء قلوبنا بنور الآب.

أما الصفة الإلهية الثانية: «رَسْمُ جوهره»، حيث كلمة «رَسْم» في اليونانية تُنْطق «**كاراكتير**» لتفيد التحديد العام الخارجي الظاهر لجوهر غير محدود ولا ظاهر إطلاقاً، فتفيد مباشرة صورة الشخص المنظور للشخص غير المنظور: «لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله εἰκὼν τοῦ θεοῦ». (٢كو٤:٤)

فالمسيح متجسداً وإن كان محدوداً أو ظاهراً أو منظوراً، فهو هكذا بالنسبة لنا فقط وبسبب تجسده فقط: «**قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبُّس؟ الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرِنَا الآب؟ ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ**» (يو١٤: ٩و١٠). واضح هنا بكل جلاء الرؤيا والإيمان أن المسيح يقدِّم نفسه لنا كصورة حقيقية مُطابقة تمام التطابق مع الله الآب. بل إنه عند قوله أن الآب فيه وأنه في الآب صار التداخل بين الآب والابن تداخلاً **غير قابل** للانفصال إطلاقاً، لا بالبُعد الزمني ولا بالبعد الكياني ولا بالبعد الذاتي ولا بالبعد التخيُّلي الفكري. لذلك تحتم أن يقال: إن الابن هو الله وإن الآب هو الله، لأنه يستحيل أن

---

(9) ...atti, *op. cit.*, p. 9.

يوجد أحدهما بدون الآخر والاثنان هما الله. غير أن الابن صار ظاهراً بالتجسد والآب باقٍ غير منظور إلّا بالابن وغير مُدرَك إلّا بالابن.

والتساوي **المطلق** (والمطلق هنا ضرورة حتمية لأن الآب والابن واحد) بين المسيح الابن وبين الآب ــ فالمسيح صورة لجوهر الله غير المنظور ــ هو الذي دعا اللاهوتيين بالقول بالتساوي في الجوهر = هوموأوسيوس ὁμοούσιος، التي تترجم بالإنجليزية co-essential أي الجوهر المتحد المتساوي.

كذلك فهذا البهاء المنبعث أو المنعكس من جوهر الله والمتصل به ــ كما من ينبوع ــ والملازم والمساوي والكائن بكيان الجوهر، هو الذي حدا باللاهوتيين إلى القول بالابن الوحيد = مونوجينيس μονογενής، لأنه يحوي كل مجد الآب ولا آخر سواه.

لذلك فمجد الله يأخذ طريقه إلينا بالابن، أي شعاع مجد الآب، ليعبِّر عنه **بأعماله** التعبيرَ الكلي والمطلق بقدر ما نؤمن. وجوهر الله غير المحدود قط يأخذ طريقه إلينا بالابن ليعبِّر عنه **بشخصه** المحدود والمنظور والملموس التعبيرَ الكلي والمطلق بقدر ما نؤمن.

كذلك فمن الصفة الإلهية الأُولى للمسيح، كونه «بهاء مجد الله»، استطاع الإنسان وبأعمال المسيح أن يرى مجد الله غير المنظور: «والكلمة صار جسداً ... **ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب**» (يو١: ١٤). ومن الصفة الثانية كونه رَسْم جوهر الله، استطاع الإنسان، بتجسد الابن، أن يدرك الله في رؤية شخص ابنه.

وبالرغم من أن التجسد مكَّننا من أن نرى مجد الله في أعمال المسيح، ومكَّننا من أن ندرك جوهر الله في شخص المسيح أيضاً، إلّا أن المسيح في ذاته ــ كابن الله ــ لم يُضِف إليه الزمن شيئاً عندما دخل مجاله، ولا اللحم والدم اللذين اشترك فيهما ليشبه إخوته في كل شيء أنْقَص من ذاته شيئاً. فسفر العبرانيين تمسَّك بما استعلنه الله سابقاً في شخص ملكي صادق في أسفار العهد القديم عن شخص ابنه حال تجسده قبل تجسده هكذا: «لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم (أورشليم) كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم ... المترجَم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام: بلا أب، بلا أم، بلا نَسَب، **لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة**، بل هو **مُشبَّه بابن الله**، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب٧: ١ــ٣)

فغاية التجسد كانت استعلان ذات الله، في المسيح، في الظاهر المنظور والمسموع، حسبما، وبقدر ما، يستطيع الإنسان أن يرى ويدرك ويؤمن.

لهذا حينما قال بولس الرسول، مُضيفاً على هاتين الصفتين الإلهيتين الصفة الثالثة الفعلية: «**الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته**»، فهو إنما يرجع بالتوثيق والتأكيد والشرح فيما يخص أن «الله جعله وارثاً لكل شيء وبه عمل العالمين».

والآن عودة إلى مفردات الآية:

«**الذي وهو بهاء مجده**»: ἀπαύγασμα τῆς δόξης

وباللاتينية Splendor gloriae (الفولجاتا).

هنا كلمة «بهاء» لا تفي بالمعنى الذي أتت به الآية باليونانية، وهو قريب من المعنى باللاتينية وإن كان ليس مطابقاً تماماً لليونانية. فاليونانية تراه شعاعاً، والفعل من ἀπαύγασμα هو ἀπαυγάζω وله معنيان:

الأول: الإشعاع الخارج، وبالإنجليزية تأتي الكلمة radiate = effulgence.

الثاني: الإشعاع المنعكس، وبالإنجليزية تأتي الكلمة reflect = refulgence.

وقد استقر العلماء على أن المعنى الثاني أكثر قبولاً[9]، ولكن في عُرفنا أن كلا المعنيين يعطي نفس الحقيقة كون المسيح شعاع مجد مرتبط بالمجد ومتحداً به ونابعاً منه سواء صدوراً أو انعكاساً. أو هو في الحقيقة الاثنان معاً، فهو شعاع صادر ومنعكس، وصدوره طبيعي ذاتي، وانعكاسه استعلاني. فهو شعاع مجد صادر من عمق مجد الله، وهذا الشعاع يعكس هذا المجد لنا، فنراه.

ولكن علينا هنا أن نحذر من خطورة فهم أن الشعاع منعكس من الله في المسيح، لأن هذا المعنى قد يؤدي إلى أن نتصور كون المسيح يُرى منفصلاً عن الله، وهذا شطط. لذلك يلزم فهم الصدور والانعكاس أنهما مجال اتصال، ومجد يعلن عن مجد ونور يعلن عن نور باتحاد مطلق.

وربما انعكاس الشعاع هو الذي يعطي رَسْم الآب الذي للمسيح في إدراكنا حدوده وملامحه: «إن لم تؤمنوا بي فآمنوا **بالأعمال**»، حيث الإيمان به متعلق **بالصورة** (الكاركتير)، **والأعمال متعلقة ببهاء المجد**: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه» (يو١٠:٣٨). بمعنى أنه إن كان «رسم جوهر الله»، أي شخص المسيح، ليس كافياً بسبب كونه في صورة مستضعفة لإنسان، فكان عليهم أن يؤمنوا بالأعمال الإعجازية الفائقة التي تستعلن مجد الله «شعاع مجده»: «هذه بداية الآيات (الأعمال) فعلها يسوع في قانا الجليل **وأظهر مجده**،

9. Westcott, *op. cit.*, p. 10.

فآمن به تلاميذه.» (يو٢: ١١)

لذلك كان المسيح يقول باستمرار: أنا لست أعمل من نفسي: «الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك» (يو٥: ١٩)، «الآب الحالُّ فيَّ هو يعمل الأعمال» (يو١٤: ١٠). لأنه بحسب الشرح الذي قدمناه، يكون المسيح، الذي هو بشخصه **شعاع مجد الله**، إذا عمل عملاً فهو لحساب مجد الله. وهذا هو استعلان الله الذي تجسد ابن الله ليتممه بجميع أعماله. لذلك كان المسيح يؤكد: «مجداً من الناس لست أقبل» (يو٥: ٤١)؛ «مَنْ يطلب مجد الذي أرسله (الشعاع) فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو٧: ١٨)؛ «أنا لست أطلب مجدي» (يو٨: ٥٠)؛ «أنا **مجَّدتُك** على الأرض، **العمل** الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُهُ» (يو١٧: ٤). هنا ارتباط المجد بالعمل واضح.

ولينتبه القارىء، فالمقولة اللاهوتية التي قال بها آباء مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وسجلوها كقانون إيمان أن المسيح هو **«نور من نور»** **Lumen de Lumine**، هي الشرح المباشر لقول سفر العبرانيين أنه «شعاع مجده». وفكرة الشعاع لا تفي بحق المسيح، لأن المسيح شخص، وهو بهاء كليٌّ فعَّال مساوٍ لكل بهاء الآب! كما أن الشرح الذي يلتجيء إليه اللاهوتيون(١٠) في توضيح الثالوث من جهة كونه ثلاثة أقانيم متحدة بجوهر واحد بأن الآب يُقيِّم بقرص الشمس والابن بالشعاع والروح بالحرارة والثلاثة شمس واحدة هو مأخوذ أيضاً من مقولة سفر العبرانيين أن المسيح هو «شعاع مجده». ولكن هذا المثل محاولة فلسفية يعوزها الحيوية الشخصية للأقانيم.

ولكن القول بأن المسيح «**شعاع مجده**» لا يعني الشعاع بمفرده، فالمعنى الثاني هنا يسند المعنى الأول، فهو «بهاء مجده». لأن المقصود من الكلمة هو استعلان كل مجد الله. فمن شعاع وبهاء المجد نبلغ إلى مصدر المجد ذاته «النور الذي لا يُدنى منه» (١تي٦: ١٦). فمجد الله المُحتجب صار مُستعلناً في المسيح.

«بهاء مجده»: (١١) τῆς δόξης αὐτοῦ

المقصود بالمجد، في الواقع، هو طبيعته التي يمكن التعرف عليها باستعلان كل صفاته على قدر

---

(١٠) أول من قال بهذه المقولة هو لكتانتيوس في مؤلفه: Div. Instit. IV.29، وهو فيرميانوس لكتانتيوس Firmianus Lactantius (٢٤٠ـ٣٢٠م) من نيقوميديا. وقد عيّنه الإمبراطور قسطنطين معلّماً لابنه كريسبوس Crispus وله مؤلّف لا يزال موجوداً واسمه: «المعاهد اللاهوتية».

11. Westcott, *op. cit.*, pp. 11f; Attridge, *op. cit.*, pp. 41f.

ما يدركها الإنسان. ولقد عبَّر الله عن مجده لموسى النبي بأنه «**جُودُهُ**»، أي خَيريَّته، وهو الصلاح المُطلق لله: «فقال (موسى) أرني **مجدك**. فقال (الله) أجيز **كل جودتي** قدامك ...، ويكون متى اجتاز مجدي، أني أضعك في نُقرة من الصخرة (أجعلك متحداً بجسد المسيح الصخرة)، وأستُرك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يُرى.» (خر٣٣: ١٨و١٩ و٢٢و٢٣)

ولقد جاء هذا في النسخة السبعينية بأكثر وضوح: «**فقال موسى أرني ذاتك** καὶ λέγει Ἐμφάνισόν μοι σεαυτόν = بالإنجليزية manifest Thyself to me، وقال الله: سأمرُّ بمجدي أمامك، وسأنادي باسمي: الرب أمامك، وإني أرحم مَنْ أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف. وقال الرب: أنت لا تستطيع أن ترى **وجهي** πρόσωπόν μου (وهذا التعبير يُعرف في اللاهوت بـ "**الشخص**" أو "**الأقنوم**")، لأن الإنسان لا يرى وجهي ويعيش».

ومن مقابلة النسختين، يتضح أن **مجد الله هو ذات الله**، بمعنى **طبيعته**، والتي عبَّر الله نفسه عنها بأنها هي **الرحمة والرأفة** على الإنسان، وهذا هو المعبَّر عنه في النسخة الأولى بـ «**جودي**».

وإخفاء الله لموسى في نُقرة من صخرة، يرمز بوضوح إلى عملية إدخالنا في جسد المسيح حتى نقوى على رؤية مجد الله، وبالتالي نوال رحمته ورأفته. وواضح منتهى الوضوح أن ظهور مجد الله يعوض عن رؤية ذات الله. ومجد الله بنوع ما هو جود الله، وصفاته من رحمة ورأفة التي تظهر بأعماله، والتي أظهرها المسيح بأعماله، وأخصها الفداء والمصالحة ونوال التبني التي هي هي رحمة الله ورأفته. وهكذا، فبالفداء، الذي هو العمل الذي يعبِّر عن رحمة الله، توصَّلنا إلى رؤية الله والحياة معه.

وهنا يتضح جداً معنى أن المسيح هو «شعاع مجده»، إذ يُفهم في الحال أنه المعلِنُ عن طبيعة الله أو عن ذات الله أو عن مجد الله أو عن جود الله، وذلك بإعلان رحمة الله ورأفة الله على الإنسان، والتي أظهرها المسيح بأعماله قائلاً بتأكيد أنها «أعمال الله»، أي استعلان مجد الله، أي ذاته، أي طبيعته التي يحملها المسيح!

وكم تغنَّى الأنبياء القديسون بهذه الحقيقة:

إشعياء: «**فيُعلَنُ مجد الرب، ويراه كل بشر معاً**، لأن فم الرب تكلم.» (٤٠: ٥)

«قومي استنيري، لأنه جاء نورك (المسيح) **ومجد الرب أشرق عليك**...

أما عليك فيشرق الرب (الشعاع)، **ومجده عليك يُرى**.» (٦٠: ١و٢)

«وأجعل في صهيون خلاصاً، **ولإسرائيل مجدي.**» (٤٦: ١٣ السبعينية)

ويأتي العهد الجديد ويؤكد أن المسيح هو هو «مجد الله»:

+ «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة **إنجيل مجد** المسيح الذي هو **صورة الله.**» (٢كو٤: ٤)
+ «لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق (شعاع مجد الله) في قلوبنا لإنارة **معرفة مجد الله** في وجه (بروسوبون) يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٦)
+ «التعليم الصحيح حسب **إنجيل مجد الله** (الإنجيل نور، شعاع مجد الله) المبارك الذي اؤتمنتُ أنا عليه.» (١تي١: ١٠و١١)
+ «قال لها يسوع: ألم أقُلْ لكِ إن آمنت **ترين مجد الله** (تتعرف على المسيح شعاع مجده).» (يو١١: ٤٠)
+ «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا **مجده مجداً كما لوحيد من الآب** مملوءاً نعمة وحقاً.» (يو١: ١٤)
+ «والمدينة (أورشليم السمائية) لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن **مجد الله قد أنارها** والخروف سراجها (شعاع مجده).» (رؤ٢١: ٢٣)
+ «منتظرين الرجاء المبارك وظهور **مجد الله العظيم ومخلّصنا**، يسوع المسيح» (تي٢: ١٣). المسيح هو مجد الله العظيم ومخلّصنا. [راجع شرح الآية في كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله»، للمؤلف، ص١٩١و١٩٢].

وهنا يأتي استخدام كلمة «**مجد الله**»، باعتبار أنها: (١) طبيعته أو (٢) ذاته أو (٣) جوده أو (٤) عمله أو (٥) رحمته ورأفته، أو استعلان عمله على وجه العموم، ليشرح لنا آيات كثيرة كان المعنى فيها مُخفى علينا مثل:

+ «ودُفِنّا معه في المعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات **بمجد الآب**، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة.» (رو٦: ٤)

هنا المسيح **أُقيم بمجد الآب**. فإذا عدنا إلى الخمس الصفات عاليه المشتركة في نفس معنى مجد الآب، تكون القيامة قد تمت بطبيعة الله (التي في المسيح أيضاً)، أو بذات الله (التي المسيح فيها أيضاً)، أو جود الله (الذي يمثله المسيح ويعبِّر عنه بعمله)، أو بعمل الله (الذي هو اختصاص المسيح)، أو رحمته ورأفته (التي جاء المسيح ليعلنها). وهكذا تصير قيامة المسيح معبِّرة عن كل صفات الله وطبيعته. وهذا في الواقع إبداعٌ ما بعده إبداع، خاصة وأن قيامة الرب قد صرنا نحن

شركاءً فيها. وهكذا يتم قول بطرس الرسول: إننا وُلدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات (١بط ١: ٣)، لأن إقامتنا مع المسيح هي نفسها إقامتنا من موت الخطية، وهي تحمل معنى ميلاد جديد لحياة جديدة لطبيعتنا، بل وتحمل شركة في الطبيعة الإلهية التي أقامت المسيح من الأموات وأقامتنا معه. فإن صرنا شركاء قيامة، صرنا شركاء طبيعة إلهية بالتالي.

+ «متقوّين بكلِّ قوة بحسب **قدرة مجده** لكل صبرٍ وطول أناةٍ بفرح.» (كو١: ١١)

هنا قدرة مجده هي بعينها قدرة طبيعة الله التي يحملها باعتباره «شعاع مجده». وعليك يا عزيزي القارىء، أن تتصور حينما **يشرق المسيح بمجده** أو بنور وجهه من السماء على إنسان مثل بولس الرسول كيف يتقوّى بكل قوة. لأن النور الإلهي الذي هو بعينه قوة طبيعة الله المنبعثة منه، حينما يدخل الإنسان ليملأ فكره وقلبه وروحه، ماذا يكون هذا الإنسان وماذا سيصير؟ يصير كارزاً بإنجيل المسيح للعالم كله! لا يهدأ حتى يُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح لله، ويصير مُصالِحاً العالم كله لله!

+ «لكي يعطيكم بحسب **غنى مجده** أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف٣: ١٦و١٧)

هنا غنى مجد الآب: هو غنى ــ أو منتهى قوة ــ عمل طبيعة الله أو عمل جود الله أو عمل رحمة ورأفة الله الآب، أو هو ما يساوي شعاع مجده الذي هو المسيح بعينه. فالمعنى يكون أن بولس يركع ويسجد لدى الآب لكي يتفضل ويمنحنا بحسب رحمته ورأفته، التي توازي في عملها المسيح نفسه، وتوازي في طبيعتها طبيعة المسيح نفسه، وتوازي في جودها المسيح نفسه؛ نعم، يطلب أن يمنحنا بحسب غنى مجده هذا استحقاق حلول المسيح في قلبنا، الذي هو بعينه شعاع مجد الآب.

بمعنى أن بولس الرسول يتوسل إلى الله الآب أن يمنحنا، بقوة مجده، شعاع مجده ليحل في قلوبنا. فطلبة بولس هنا وإلحاحه وسجوده لدى الله الآب منسجمة أشد الانسجام مع طبيعة الله والمسيح. ومن واقع عمل الله يطلب عمل الله، ومن واقع طبيعة الله يطلب لنا استعلان طبيعة الله في قلوبنا. لذلك، ليس مغالاة من القديس بولس أن يقول مكمِّلاً: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (كو٣: ١٩)؛ لأنه إذا حلَّ **شعاع مجد الآب**، أي المسيح، في قلوبنا، فإنه يستحضر لنا «**كل مجد الله**»، أي ملء طبيعته. ولكن ما معنى هذا عملياً؟ معناه أننا حينما ندخل بالصلاة في حضرة الله متوسلين ومتمسكين ومتحدين بالروح في المسيح، فإن حضرة الله ستحل في قلوبنا حتى الملء: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو١٤: ٢٣)

وبالنهاية، لا يفوتنا أن الرسالة إلى العبرانيين تقارن بين مجد الله الذي كان يظهر في حلوله في الضباب فوق الخيمة أو فوق غطاء التابوت أو في الحديث مع موسى على الجبل بنور، حيث كان النور يسطع على وجه موسى، وبين مجد الله الآن في هذه الأيام الأخيرة حيث يُستعلن لنا استعلاناً كاملاً في ابنه، بكل جوده وكل رحمته وكل رأفته وعظمة قدرة قوته، في أعمال لم يعملها أحد غيره قط: «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى **مجد ميراثه في القديسين،** وما هي **عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة** قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة ...» (أف ١: ١٨-٢٢)

«ورَسْمُ جوهره»: χαρακτὴρ τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ

وتترجم بالإنجليزية The expression of his essence

رسم: χαρακτήρ (١٢):

وباللاتيني القديم O.L. imago =

واللاتيني (الفولجاتا): Figura =

وبالسريانية تعني: صورة جوهره Image of His essence

وتعني التعبير عن الملامح العامة للشخص أو للشيء، لتمثيله. وهذا التعبير χαρακτήρ غير موجود في بقية أسفار العهد الجديد، ويقابله تعبير εἰκών . غير أن العلاّمة بروس يرى أن كلمة «كاراكتير» باليونانية هي أكثر تعبيراً من كلمة «إيكون» εἰκών لإعطاء طبعة ذهنية عن الحقيقة غير المنظورة(١٣).

وقد جاءت بهذا المعنى في الأسفار تحت كلمة εἰκών : «لمن هذه **الصورة** (وكانت لقيصر)» (مت٢٢: ٢٠، مر١٢: ١٦، لو٢٠: ٢٤). وقد استطاع العلاّمة والفيلسوف اليهودي فيلو Philo أن يرتفع بمفهوم الكاراكتير (الرسم) إلى المستوى الروحي قائلاً:

[إن روح الإنسان ــ وهي جوهره ــ الذي فيه هي كاراكتير أو طبعة القوة الإلهية فيه](١٤).

هنا يقصد التعبير العام عن ملامح القوة الإلهية في الإنسان. وهكذا أيضاً يقول القديس

12. Westcott, *op. cit.*, pp. 12f; Attridge, *op. cit.*, pp. 43-46.
13. F.F.Bruce, *The Epist. to the Heb.*, p. 6.
14. Westcott, *op. cit.*, pp. 12f; Attridge, *op. cit.*, pp. 43-46.

كلمندس الروماني عن الإنسان بجملته:
[إنه طبعة impress لصورة الله] (١٥).

ولكن على العموم، فإن كلمة «كاراكتير» في المفهوم الكتابي العام تفيد إدراك الشيء مباشرة من خلال علامات ذات صلة بالأصل تعطي انطباعاً عنه بقصد إعطاء الملامح التي يمكن أن يلتقطها الوعي الروحي المفتوح، وليس العقل أو الفكر أو الحواس، ليأخذ صورة كاملة عن الله.

علماً بأن اختيار سفر العبرانيين لكلمة «كاراكتير» كان دقيقاً للغاية ليعبِّر بها عن تمثيل المسيح **«الكلمة الأزلي»** لطبيعة الله الإلهية غير المنظورة قط.

«رَسْم جوهره»(١٦) τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ

«الهيبوستاسيس» المعروفة بـ **«الجوهر»**

الكلمة لغوياً مكونة من مقطعين: الأول -ὑπο بمعنى: «تحت» أو «أسفل»؛ والثاني من أصل الكلمة ἵσταμαι (١٧) وتعني «يقف». وقد استُخدم هذا اللفظ في الطب عند اليونان بمعنى «الترسيب في القاع». ثم استخدمه الفلاسفة للإفادة عن قاعدة الإنسان أو أصل قوامه(١٨). كما استُخدم للتعبير عن **قاعدة** أي نظرية وأساسها المبنية عليه(١٩). وعُرف عند الفلاسفة أيضاً بالأساس essence = **كحقيقة أساسية**(٢٠).

و«الهيبوستاسيس» استخدمها الفلاسفة في وصف النفس الإنسانية في عصر أفلاطون بأنها «الجوهر» essence(٢١) = οὐσία هكذا:

οὐσία νοητὴ ἀμετάβλητος τὴν ὑπόστασιν

وترجمتها أن النفس البشرية هي: [جوهر عاقل مدرك غير متغيِّر **في حقيقته الأساسية**]، حيث **الهيبوستاسيس** جاءت هنا **كحقيقة أساسية**، كما عبَّر عنها فيلو الفيلسوف اليهودي في تفسيره لمفهوم العالم هكذا(٢٢)، باعتبار أن العالم يُدرَكُ فقط بالفكر. فالعالم **حقيقة** مُدرَكة

15. Ibid.
16. Ibid.
17. Ibid.
18. Ibid.
19. Ibid.
20. Attridge, *op. cit.*, p. 44f, n. 111-118.
21. Ibid.
22. Ibid.

هكذا: ὁ δὲ νοητῆς ὑποστάσεως κόσμος حيث «الهيبوستاسيس» **هو الحقيقة.**

ولكن في العصور المسيحية المتأخرة شرح اللاهوتيون هذه الكلمة في العقيدة المسيحية حيث اعتبروا أن «البهاء» ἀπαύγασμα الإلهي يعود على الطبيعة الإلهية التي يشترك فيها الآب والابن. ولكنهم اعتبروا أن الكاراكتير يختص فقط بالابن كأقنوم قائم بذاته(٢٣).

وقد جاءت كلمة «هيبوستاسيس» في سفر حزقيال النبي بمعنى «رسم» أو «قاعدة رسم» أو «خطة البناء» أي «البلان» Plan بالإنجليزية، هكذا:

+ «وترسم لهم البيت ومداخله ومخارجه وشكله καὶ τὴν ὑπόστασιν (the plan = بالإنجليزية).» (حز٤٣: ١١ السبعينية)

وجاءت في سفر المزامير بمعنى «وقوف» أو «قيام» أو «مقر»:

+ «غرقت في حمأة عميقة وليس مقر καὶ οὐκ ἔστιν ὑπόστασις.» (مز٦٩: ٢)

والمعنى المفهوم: «**ولا أرضية تحمل**».

وجاءت في سفر إرميا على فم الله حسب ترجمة R.S.V. «مجلسي»، أو «مشورتي» حسب ترجمة A.V.، ولكنها تعني في اليونانية «حضرتي» أو «أمامي»، والمعنى واضح، حيث الرب هو المتكلم:

+ «ولو وقفوا في **مجلسي** (مشورتي في الإنجليزية) = ὑποστάσει لأخبروا شعبي بكلامي وردُّوهم عن طريقهم الرديء وعن شرِّ أعمالهم.» (إر٢٣: ٢٢)

وواضح هنا أنها تفيد الوقوف في حضرة الله أو أمامه أو في وجوده الشخصي.

ومن مجمل ما فات من معانٍ يأتي هذا المعنى في نفس سفر العبرانيين لكلمة «**هيبوستاسيس**» ليفيد **التأكيد** (الوقوف على أرضية ثابتة)، (الوقوف أمام الله أو في حضرته):

+ «لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة **الثقة** τῆς ὑποστάσεως ثابتة إلى النهاية.» (عب٣: ١٤)

وواضح من معنى «الهيبوستاسيس» هنا أنها تفيد «التأكيد» **assurance** حسب الترجمة الإنجليزية، أو ربما **firmness** أي الثبات أيضاً.

---

23. Ibid.

كذلك جاءت في الرسالة الثانية إلى كورنثوس لتفيد الجسارة:

+ «... ووجدوكم غير مستعدين (بجمع العطايا)، لا نخجل نحن ــ حتى لا أقول أنتم ــ (أي تخجلون بالحري)، في جسارة ὑποστάσει الافتخار هذه» (٢كو٩: ٤). والمعنى وإن كان مختلاً، ولكن يُستفاد منه «الثقة» أيضاً.

+ «الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة، في **جسارة** ὑποστάσει ...» (٢كو١١: ١٧)

وهي تجيء واضحة جداً في مزمور ٨٩: ٤٧ هكذا: «اذكروا كيف أنا زائل»، وتجيء باليونانية هكذا: μνήσθητι τίς ἡ ὑπόστασίς μου

وترجمتها الصحيحة على السبعينية هكذا:

«تذكَّر ما هو كياني» أو «تذكَّر كياني ما هو».

والترجمة الإنجليزية توضح أكثر: **Remember what my being is**.

وهذا يذكِّرنا بلقب يهوه الذي اتخذه المسيح لنفسه «أنا هو» ἐγώ εἰμι ، وترجمتها الحرفية الصحيحة: «أنا الكائن بذاتي»، وبالإنجليزية تجيء «**I am the being**». لذلك، فإن ما جاء في المزمور ٨٩: ٤٧ يفيد أن «الهيبوستاسيس» تعني **الكيان الذاتي** أو «**الذات الكائنة**».
وهنا يستقر بنا المعنى للهيبوستاسيس أنه **الكيان الذاتي**.

وحينما بدأ اللاهوتيون يستخدمون كلمة essence = الجوهر للتدليل على الكيان الإلهي، حدث الآتي:

[وهنا يلزم للقارىء القبطي الاحتراس في تتبُّع الشرح القادم لأنه يخالف عقيدتنا، ولكننا سنورده لتوضيح السبب في الخلاف اللاهوتي الذي احتدم بين الشرق والغرب في أمر «الهيبوستاسيس»(٢٤)]:

يقول العالم الأسقف وستكوت:

[إذا الإنسان نظر الثالوث الأقدس بمنظار وحدانية الله، فإنه يوجد هيبوستاسيس واحد

(٢٤) الرواية والشرح والتحليل العلمي هنا هو للعلاَّمة الأسقف وستكوت (أنظر بالتفصيل مؤهلاته وصفاته وأعماله في كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص٣٧٣). وهو من أكبر رواد الأبحاث والكتابات الآبائية وتصحيح ترجمة الكتاب المقدس باليونانية وشرح أسفار الكتاب المقدس.

فقط، جوهر إلهي واحد. ومن وجهة نظر رؤية كل أقنوم = شخص (بمفرده) في الثالوث الأقدس، فإن كل ما هو للأقنوم من حيث مَنْ هو في ذاته، فإنه الهيبوستاسيس الذي له، ويلزم أن يُعتبر واضحاً. ففي الوضع الأول من حيث وحدة الله (أو اللاهوت)، فإن كلمة «الهيبوستاسيس» استُخدمت مُعادِلة للكلمة οὐσία (الجوهر). وفي الحالة الثانية الخاصة بكل أقنوم، فإن الهيبوستاسيس اعتُبرت مساوية لكلمة πρόσωπον أقنوم (وجه) أي شخص.

ولكن الذي حدث أن آباء الكنيسة الشرقية بزعامة الإسكندرية، أخذوا بوجهة النظر الثانية للهيبوستاسيس للثالوث الأقدس(٢٥).

والذي حصل أن كثيراً من آباء العصور الوسطى والحديثة أخذوا بالتفسير الإسكندري باعتبار أن الهيبوستاسيس هو أقنوم حقيقي].

وينتهي الأسقف وستكوت موضحاً أن هذا الاعتبار لدى الآباء المتأخرين هو غريب عن مفهوم عصر الرسل. لهذا، إذا أخذنا بالمعرفة السائدة عن الهيبوستاسيس، فإنه يحدث عدم انسجام معنا هنا في شرح الهيبوستاسيس (في سفر العبرانيين): فالابن هو صورة التعبير عن «**شخص الله**». ولكنه هو التعبير عن جوهر essence الله، بمعنى أنه يُحضر «اللاهوت» إلينا مباشرة، كاملاً محدداً وواضحاً، ولكن على قدر قدرتنا (ووعينا)(٢٦).

ولكي يدرك القارىء العزيز مدى التورط الذي وقع فيه لاهوتيو الغرب بسبب عدم إتقانهم لفهم الهيبوستاسيس مثل الإسكندريين، نقرأ في الإنجيل المترجم عن اليونانية إلى الإنجليزية في الطبعة الأولى المعبَّر عنها Authorized Version = A.V. والتي أُنجزت سنة ١٦١١م. عن الهيبوستاسيس في الآية التي نحن بصددها، حيث تقول:

«وهو رَسْمُ **شخصه**» Image of his Person ثم عُدِّلت في النسخة المنقَّحة R.V. = Revised Version إلى Express of his substance = «رَسْمُ جوهره».

وقد انتهى اللاهوتيون المحدثون إلى تعريف الهيبوستاسيس هكذا: Personal Subsisrance

(٢٥) ارجع لخطاب البابا ديونيسيوس الإسكندري في خطابه إلى ديونيسيوس بابا روما:
Routh, Rell Sacrae i II,390ff; cited by Westcott, op. cit., p. 13.

25. Westcott, *op. cit.*

26. Westcott, *op. cit.*, p. 13.

المترجم «الكيان الشخصي». وهو تعبير جيد على كل حال، وإن كنا نترجمه نحن الأقباط باختصار إلى «أقنوم» أو «شخص»، وهذا لا يعطي جيداً الفهم الصحيح بحسب الأمثلة العديدة التي قدمناها، سواء في آيات العهد القديم أو الجديد التي انتهت بنا إلى تحديد المعنى بكل دقة أنه **«الكيان الذاتي»**.

علماً بأن ما يطلق عليه اللاتين «بِرْسونا persona» = أقنوم، هو عند اليونان وعندنا هيبوستاسيس ὑπόστασις . كذلك فإن ما يطلق عليه اللاتين: طبيعة Substantia ، جوهر Essentia ؛ هو عند اليونان وعندنا οὐσία (أوسيا) جوهر.

والذي حدث قبل مجمع نيقية، أن الأوسيا οὐσία (الجوهر) كانت تعني أحياناً عند اللاهوتيين خاصة في الغرب ما يخص الشخص persona . وكذلك كانت الهيبوستاسيس ὑπόστασις (الأقنوم) تعني Substance (طبيعة) فيما يخص الله. وهذا ما أحدث بلبلة في الجدال مع الأريوسيين لا يُستهان بها، وكان ذلك في مجمع نيقية (٢٧)، ثم احتمرت حتى تفجّرت في مجمع خلقيدونية.

ولكن في أيام كتابة سفر العبرانيين، كانت الهيبوستاسيس محدودة المعنى في مفهوم Substantia ، أي الطبيعة، ونقصد الجوهر. لذلك لزم التنبيه (لأنه مخالف لمعرفتنا كأقباط، لأن الهيبوستاسيس عندنا هو الأقنوم).

والآن، حينما ننظر إلى كلمتي «شعاع» و «رسم» اللتين تفيدان ما هو للمسيح، ثم إلى كلمتي **«مجد»** و **«جوهر»** اللتين تفيدان ما هو لله، نستخلص أن المسيح الابن يمثل القوة **الظاهرة والخفية لله**؛ ولكن بالنسبة لما يفيدنا ويخصنا وحسب. فاستعلان الله في المسيح كامل أقصى الكمال بقدر ما يحتمل وعينا الروحي أن يبلغه من إدراك الكمال. فالله حقاً مُدْرَك كامل في ذاته، ولكن لا يُدْرَك منتهى كماله!

ونظرة عابرة سريعة إلى القديسين الذين اشتغلوا بالحب الإلهي والتهبوا بالروح وأضاعوا نفوسهم وكل حياتهم في حب الله، قضوا الليالي والأيام تباعاً جرياً وراء ذلك المحبوب، عيونهم إلى السماء لا ترتدّ، وقلوبهم يقظة لالتقاط استعلاناته التي تأتي بغير ميعاد. فبعد أن استوعبوه بملء قلوبهم وأسماعهم، ورأوه رؤيا العين بالروح، واحتووه، ولم يَعُدْ فيهم مكان لمزيد، وهتفوا في نشوتهم:

27. Bull. Def. Fid. Nic., II.9.11; cited by The Pulpit Commentary, vol. 21, p. 5.

هذا ملء الله، هذا هو الملكوت المُعَدُّ، عادوا يصرخون ويتأوّهون: ماران آثا (= تعال أيها الرب)، وكأنهم لم يأخذوا شيئاً، فهذا شأن كمال الله، وهذا شأن قصور الإنسان بالنسبة لله.

«وحاملٌ كل الأشياء»: φέρων τε τὰ πάντα

«اسمعوا لي يا بيت يعقوب، وكل بقية إسرائيل المحمَّلين عليَّ من البطن، المحمولين من الرحم،
وإلى الشيخوخة أنا هو، وإلى الشيبة أنا أحملُ. قد فعلتُ، وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجّي.» (إش٤٦: ٣و٤)

«حاملٌ»: φέρων، وباللاتينية portans.

هنا كلمة «يحمل» لا تفيد في معناها اليوناني مجرد الفعل السلبي، وهو الحمل فقط؛ بل فيها ديناميكية دافعة. فالابن لا يحمل العالم كما تحمل الخريطة رسم العالم، فهذا يُسمى "الحمل الميت"(*)؛ بل الابن يحمل العالم حملاً فيه استيعاب همّ الدنيا وغمّها وهمّ الآخرة بأفراحها، وفيه حركة وفيه ثقل واندفاع نحو غاية مُحْكَمة محدّدة للعالم. وهو لا يحمل هموم الدنيا وأفراح الآخرة كما هي؛ بل هو يحمل همَّها ليرفعه في الوقت المحدّد، يشارك فيه ويتألّم به، لذلك لا يقوى أن يترك على كواهل متّقيه: «لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمّلها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً» (إش٥٣: ٤)؛ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم، بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش٦٣: ٩)؛ «فلنخرجْ إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره (الذي حمله من أجلنا).» (عب١٣: ١٣)

وهو يحمل أفراح الآخرة كمَنْ يفرح بحصيد تعبه ومَنْ يجني مكافأة أحزانه، فهو كما يقول إشعياء بالروح على فم الله نفسه إنه يحملها كما تحمل الأم ابنها في بطنها تغذيه من دمها ومن لحمها، ثم تحمله على الكتف، تحمل عجزه وقصوره وأوجاعه وأقذاره. وكما لا تشمئز الأم من وسخ ابنها، لا يشمئز مَنْ يحملنا على كتفيه ويحمل معنا الدنيا بأسرها. وهو لا يحملها وحسب؛ بل وليُحضرها إلى نفسه وليُدخلها إلى راحته: «أنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ» (خر١٩: ٤)؛ «وفي البرية حيث رأيت كيف حملَكَ الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان» (تث١: ٣١). وجاءت هذه الآية الأخيرة في

(*) اصطلاح ميكانيكي.

السبعينية: «كيف حملك الرب إلهك كما يُحمل الرضيع nursling، كإنسان يحمل ابنه الرضيع...».

«حاملٌ كل الأشياء»:

«كل الأشياء» τὰ πάντα . «كل شيء به كان»، في مفهومها المتجمع كواحد. وكما جاءت في المزمور ٨: ٦: «أخضعتَ كل شيء تحت قدميه» (الترجمة السبعينية)، وكما جاءت في الرسالة إلى رومية: «لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد آمين.» (رو١٠: ٣٦)

لذلك، فمن روح الكلمة نفهم أن تعبير «شيء» غير موفَّق، لأن الكلمة اليونانية πάντα تحمل مفهوم الإنسان والملائكة والخلاص والفداء والميراث، مع أن «الشيء» لا يجوز إلا على ما هو عديم الروح والفكر. لذلك كنا نودّ أن لا تكون الترجمة «حاملٌ كل الأشياء»؛ بل «حاملٌ الجميع» أو «حاملٌ الكل»، فربما كان ذلك أقرب إلى المعنى كما جاءت في ترجمة رسالة كولوسي ١: ١٦: «فإنَّه فيه خُلق الكل τὰ πάντα ».

«بكلمة قدرته»: τῷ ῥήματι τῆς δυνάμεως αὐτοῦ

بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي يفسِّر قوله: «كل الأشياء بكلمة قدرته» هكذا: «فإنه فيه خُلق الكل ... الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء (قبل الخليقة) وفيه يقوم الكل (بعد الخلق)» (كو١: ١٦و١٧). هنا قوله: «فيه يقوم الكل» يعني أن كل الخليقة تأخذ فيه قوامها وقيامها وحركتها وبدايتها ونهايتها، وفيه تتقدَّم وتترقَّى، تتصحَّح وتتجدَّد، وتتطوَّر من حال إلى حال أعلى، حتى تبلغ منتهى قصد خالقها ولمجد الله. وهذا هو المعنى الذي يختفي وراء «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته».

«بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا»: καθαρισμὸν τῶν ἁμαρτιῶν ποιησάμενος

«بعد ما صنع»: ποιησάμενος، وباللاتيني القديم factio.

هنا تبلغ المرحلة الثالثة في استعلان الابن:

المرحلة الأُولى: جاءت في وصفه «الذي وهو» ὃς ὢν، بمعنى هذا الكائن بذاته:

أ ــ شعاع مجده، ب ــ رسم جوهره.

المرحلة الثانية: في وصفه بالنسبة لعمله خارجاً عن ذاته، «الذي به خلق العالمين»، «الحامل كل الأشياء».

المرحلة الثالثة: نزول إلى عمق عالم الإنسان وحمله خطايا الخطاة: «**بعد ما صنع تطهيراً خطايانا**».

وهذه المرحلة الثالثة يقدِّمها سفر العبرانيين هنا كحالة تمّت وكملت، فهو يصفها بعد انتهاء فعلها بقوله: «بَعْدَ مَا»، لأنه مشغول في وصف موقع الابن النهائي في جلوسه عن يمين العظمة في الأعالي. فعملية التطهير تجيء في هذه الآية لتؤهل الابن للجلوس عن يمين العظمة، لأن غاية الرسالة بجملتها هي إعلاء شأن الابن فوق كل الأنبياء والملائكة وموسى والكل. لذلك عَبَّرَ على عملية التطهير هنا دون أن يصفها، بل ألمح تلميحاً أنها أهّلته ليجلس عن يمين العظمة عن جدارة عمله الذي أعاد له ما سبق أن تنازل عنه من مظاهر مجده ليستطيع أن ينزل إلى وحل العالم ويحمل على نفسه كل خطايا الإنسان، تماماً كرئيس كهنة كلَّف نفسه بتقديم ذبيحة خطية عن العالم، فلكي تكون قادرة بالفعل على رفع كل خطايا العالم ولمرة واحدة، قدَّمها من جسده ثم حمل دمها الذي هو دمه على يديه، ودخل إلى قدس الأقداس ليتراءى أمام الجالس على غطاء التابوت (عرش الرحمة)، ثم يجلس معه عن يمينه: «من ثَمَّ، كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب.» (عب ٢: ١٧)

هنا يلاحظ أن الله الآب غير ظاهر في هذا «العمل» أو «الصنع»، ولكنه معمول لحسابه وطاعة لمشيئته التي أعلنها بالحب لابنه كتكليف محبة. فالمسيح صنع التطهير بنفسه من لحمه ودمه، ولكنه كان بالنهاية مُصالِحاً العالم لأبيه، لأن الآب كان «في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه.» (٢كو ٥: ١٩)

«**تطهيراً لخطايانا**»: καθαρισμὸν τῶν ἁμαρτιῶν

وباللاتيني القديم purifactione (purgatione) peccatorum.

التطهير من الخطايا اصطلاح قانوني ناموسي استُخدم في القديم دون أن تُدرَك طبيعة الخطية في مستواها الروحي. لأن كل الخطايا التي كان ينبغي التطهير منها كانت محصورة في خطايا السهو فقط أو النجاسة الجسدية. أما خطايا العمد، فلم يكن لها تطهير قط، لا بالأعمال ولا بالأقوال ولا بالذبائح؛ بل عقوبة الموت حتمية: «مَنْ خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة (أي بدون استئناف)» (عب ١٠: ٢٨). لهذا، يأتي هنا اصطلاح «**تطهيراً خطايانا**» وهو الأول من نوعه دون جميع التطهيرات الأخرى، أما وسيلته فلم يكن لها شبيه ولا مثيل ولا معادل قط في جميع تطهيرات الناموس. فهنا دم ابن الله، بروح أزلي، ليس فقط يرفع الخطية كأنه

مجرد تطهير جسد، بل ويمحو آثارها في الروح والضمير وفي السماء أيضاً ـ فيرفع عنها الدينونة. وليس ذلك فقط، بل عِوَضَ الخطية وعقوبة الموت عنها، يترك الدم أثره على النفس والروح، كختم إلهي، فيقدسهما ليصيرا مؤهلين للاتحاد بالطبيعة الإلهية.

هنا التطهير يشمل التقديس، بل يشمل التبرير، بل يشمل التبنِّي لله الآب، بل يشمل الميراث في ميراث الابن في غنى مجد الآب والحياة الأبدية: «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلُّوا، لا زناة، ولا عَبَدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون، ولا طمَّاعون، ولا سكيرون، ولا شتَّامون، ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (عماد)؛ بل تقدَّستم (بالدم)؛ بل تبرَّرتم (بالروح) باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو ٦: ٩–١١)

ولكن لا يزال في قوله: «صنع تطهيراً لخطايانا» عدداً المجموع، أي خطايانا نحن جميعاً، فيه إشارة إلى التطهير الجماعي الذي كان يقوم به رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة بتقديم الكفَّارة عن الشعب ككلٍّ. هذا تشمله هذه الآية. لذلك، فإن هذه الآية توحي إلينا بما يُفهم أنه فعل ذلك (الجلوس عن يمين العظمة) بعد ما صنع «كنيسة»، لأن المؤمنين المطهَّرون من خطاياهم في العهد الجديد هم «الكنيسة»: «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهِّراً إياها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة.» (أف ٥: ٢٥و٢٦)

ويلاحَظ أن سفر العبرانيين، إذ يقدم هذه الآية: «بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة في الأعالي»، سوف يفرد لها الأصحاحين التاسع والعاشر، ليقارن بين تطهير بدم حيوان وتطهير بدم ابن الله. وكلمة «تطهير» في وضعها المصدري καθαρισμός التي يستخدمها سفر العبرانيين هنا لم ترد في أسفار العهد الجديد إلاَّ في رسالة بطرس الثانية ١: ٩: «لأن الذي ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر، قد نسي تطهير καθαρισμός خطاياه السالفة».

«جلس في يمين العظمة في الأعالي»:

باليونانية: ἐκάθισεν ἐν δεξιᾷ τῆς μεγαλωσύνης

وباللاتينية: Sedit ad dexteram majestatis.

«جلس»: ἐκάθισεν

عملية **الجلوس** عن يمين الله لها في ذهن الرسالة إلى العبرانيين نوع من التسلط الذي يبرز نفسه

باستمرار، وذلك بنوع من التمايز المطلق الذي لا يجرؤ عليه نبي أو ملاك أو رئيس ملائكة أو مخلوق مهما علت رتبته. لأن الجلوس عن يمين الله، وبالأكثر عن يمين عظمة الله فيه تشديد وتوعية للإنسان للنظر إلى المساواة مع الله أو التكافؤ أو الوحدانية الذاتية. لأنه لا يتساوى مع الله إلَّا الله، وأي عدم «**تساوٍ بمعناه المطلق**» بين الجالس في العظمة والجالس عن يمينه يُحدث انشقاقاً في اللاهوت، وهذا يستحيل تصوُّره. لذلك نرى هذا الإصرار بكافة الوجوه: «وأما رأس الكلام، فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد **جلس في يمين عرش العظمة في السموات**» (عب٨:١)، «وأما هذا، فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، **جلس إلى الأبد عن يمين الله**» (عب١٠:١٢)، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مُستهيناً بالخزي، **فجلس في يمين عرش الله**.» (عب١٢:٢)

من هذا نفهم أن الجلوس في يمين الله في نظر سفر العبرانيين هو قمة المرافعة التي تأهل لها سفر العبرانيين لإثبات منتهى أفضلية الابن على كل مَنْ عداه في أحقية أن يكون **هو رئيس الإيمان ومُكمِّله!!**

علماً بأنه في قوله «جلس» في الآية «بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا **جلس** في يمين العظمة في الأعالي»، لا يقصد هنا فعل الجلوس في ذاته، ولكن أحقِّية الجلوس عن جدارة واستحقاق وسلطان بسبب قيامه بهذه العملية العظمى «تطهير خطايا العالم». فبين كاتب السفر مسلَّطه هنا على الاستحقاق الذي فاز به من جراء العمل العظيم الذي عمل. فعظمة الفداء هي التي أهلته لعظمة الجلوس عن يمين الله.

والجلوس في يمين الله شيء مرهوب غير متصوَّر ولا معقول. فالمعروف أن كل ملائكة الله وقوف قدامه يغطُّون وجوههم من عظمته: «نهر نار جرى وخرج من قدامه، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات **وقوف** قدامه» (دا٧:١٠)، «قد رأيتُ الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء **وقوف** لديه عن يمينه وعن يساره.» (١مل٢٢:١٩)

ويعطينا داود النبي صورة مبدعة بين ما تمَّ بين الآب والابن عند عودة الابن بعد الصليب حاملاً دم كفَّارة كل الشعوب على يديه، والآب يقدِّمه إلى كرسيه كمَنْ يعيده إلى مقامه ومجده الأول والدائم: «قال الرب لربي **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مز١١٠:١)

ويزيد سفر العبرانيين توثيقاً لهذا المقام ولهذه الكرامة التي تأهَّل لها الابن، وهي أصلاً له وهو

لها، لولا تغرُّبه على الصليب ـ فيقول وعلى لسان داود النبي بالوحي الإلهي: «أما عن الابن ـ فيقول داود ـ كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلكك (مز٤٦: ٦).» (عب١: ٨)

فإذا جمعنا الآيتين الأخيرتين اللتين لداود معاً، تكون: «قال الرب لربي اجلس على كرسيك عن يميني ...». فالعرش الإلهي واحد، وما هو للآب هو للابن، وما للابن هو للآب!!

«في يمين»: ἐν δεξιᾷ

نحن لسنا هنا بصدد مكان بل كرامة. ولكن لا مفرّ من الخضوع لمعنى اللغة. فالموقف تصوير مكاني، هكذا يبدو لعين الإنسان؛ بل ولكي يتفق أيضاً مع فكر الإنسان. وليس هنا فقط بل في كل مقارنة في أي منظر مع الله. فالسيرافيم **يقفون** للخدمة، وكل جند السماء **وقوف** ليقبلوا التدبير. أما الابن ففي اليمين **جالس**. كلها تعبّر عن الموضع التقويمي للكرامة، وكل ما يعرفه الإنسان عن ذلك هو أن الخدّام وقوف يكونون، أما الأسياد (الأرباب) فجلوس دائماً.

والجلوس عن يمين العظمة ظل رمزاً في الرؤيا النبوية إلى أن تحقق في الواقع الإلهي كحقيقة تملأ السماء كلها والأرض أيضاً. وهذا أدركناه من فم الرب بعد أن قام واسترد هذا المقام وتملّك فوق كل رياسة وسلطان في هذا الدهر والدهر الآتي طُرّاً!! فاسمع من فم المسيح: «دُفع إليّ **كل سلطان** في السماء وعلى الأرض.» (مت٢٨: ١٨)

وهكذا فإن كلمة «جلوسه» عن يمين الله تفيد مقرّ ملوكيته ومصدر سلطانه الفائق على كل خليقة في السماء وعلى الأرض. وليس هذا يقف عند مجرد التكريم؛ بل ويمتد إلى ما سبق وتكلّمت الآية الثانية عنه: «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته»، والتي جاءت أيضاً: «وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٧). فمن عرش الله يسوس ويدبّر، وليس ذلك فقط، فهذه الملوكية الإلهية وهذا السلطان في التدبير يمتدان إلى الدينونة، وليس إلى الدينونة فقط بل وتوزيع الأنصبة: «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد **متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده** θρόνου δόξης αὐτοῦ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل» (مت١٩: ٢٨). وبولس الرسول يعبّر عن جلوس المسيح عن يمين الله بتعبير لاهوتي واضح وصريح: «إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» (في٢: ٦). وكذلك القديس بطرس يوضح معنى يمين الله هكذا: «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مُخضَعَة له.» (١بط٣: ٢٢)

والآن هو جالس حسب القول بانتظار إخضاع كل أعداء الخلاص: «وآخر عدوٍّ يبطل هو الموت.» (١ كو١٥: ٢٦)

«العَظَمة»: τῆς μεγαλωσύνης ، وباللاتيني Majestatis.
الصفة الملازمة لله للتعبير عن تفوُّق جلاله فوق كل مجد دنيوي.

داود النبي يستغيث بهذه العظمة بحد ذاتها، أي بالتفوق الكلي لله من أجل صنع شيء يوقف زحف الموت على بني الإنسان ويردع الموت ويوقف حصيده للأرواح بلا اكتراث هكذا: «ليدخلْ أمامك أنين الأسير **كعَظَمة** ذراعك κατὰ τὴν μεγαλωσύνην ، استَبْقِ بني الموت» (مز٧٩: ١١)، «إني باسم الرب أنادي **أعطوا عَظَمة لإلهنا** δότε μεγαλωσύνην τῷ θεῷ.» (تث٣٢: ٣)

بمعنى ارفعوا أفكاركم وقلوبكم وعيونكم وأصواتكم عالياً جداً لتتقابل مع العظمة الحقيقية المستحقة لله. فنحن لا نعطي عظمة من عندنا لله، بل نعطي الله العظمة التي له ولا نختلسها بصَمْتِنا وبُعْدنا عنه بينما هو يستحق التعظيم كل لحظة. والذي يسبِّح ويمجِّد الله ويعطيه ما له من العظمة هو كمَنْ يصلي بلا انقطاع. والذي يعرف التسبيح وقد وُهِبَ سرَّه الإلهي يقول في هذا: «وبارك داود الرب أمام كل الجماعة. وقال داود: مباركٌ أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد، **لك يا رب العَظَمة** σοί κύριε ἡ μεγαλωσύνη والجبروت والجلال **والبهاء** والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض، لك يا ربُّ المُلك، **وقد ارتفعت رأساً على الجميع.**» (١أي٢٩: ١٠و١١)

«في الأعالي»: ἐν ὑψηλοῖς
اصطلاح للخروج من ربقة الأرض ومستوى فكر الإنسان ووجوده وشقائه. وهو يعبِّر عن الحياة العليا والوجود الأسمي وكل ما هو فوق طبيعة الإنسان.

وهو، على قدر فكر الإنسان، وجودٌ تصوُّري، يُستخدم تحت ضغط الحاجة للوصول إلى التعبير عن اللامحدود واللامنظور وغير المحوى، حيث يُشبع روح الإنسان في تصوُّر الله وهو فوق الجميع ويحوي الكل. هكذا وبهذه الرؤية، يرى سفر العبرانيين المسيح بعد أن أكمل مهمته على أرض الشقاء وفكَّ رُبُط حبسنا وأطلق أرواحنا إلى الرحب السمائي هكذا:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة **عظيم قد اجتاز السموات**، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار.» (عب٤: ١٤)

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرّ ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار **أعلى من السموات**.» (عب٧:٢٦)

وارتفاع المسيح إلى الأعلى من السموات، بقدر ما كان رؤيا واقعية رآها التلاميذ، صار عقيدة ثابتة تشدُّ إيماننا إلى فوق من حيث يأتي عوننا.

+ «ولما قال هذا **ارتفع وهم ينظرون**، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون **إلى السماء وهو منطلق**، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي **ارتفع عنكم إلى السماء**، سيأتي هكذا كما **رأيتموه منطلقاً إلى السماء**.» (أع١: ٩–١١)

والعجيب والمفرح في هذه الآية أنه بعد مشاهدة التلاميذ لارتفاع المسيح بمنظره البديع الأخّاذ، أراد الله أن يؤكد لهم أن ما رأوه صحيح، فأمّن على رؤيتهم بقوله: **«كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء»!** وهكذا دخل الارتفاع إلى أعلى من السموات في الإيمان الرسولي بثبات، وربط قلوبنا به.

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في **السموات** فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه.» (أف١: ٢٠–٢٣)
+ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح **فاطلبوا ما فوق** حيث المسيح جالس عن يمين الله.» (كو٣:١)
+ «الذي هو في يمين الله، **إذ قد مضى إلى السماء**، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضَعة له.» (١بط٣:٢٢)
+ «الذي نزل، هو الذي صعد أيضاً **فوق جميع السموات لكي يملأ الكل**.» (أف٤:١٠)
+ «فإن سيرتنا نحن هي في **السموات التي ننتظر منها أيضاً** مُخلّصاً هو الرب يسوع.» (في٣:٢٠)

آمين تعالَ أيها الرب يسوع!

أما بولس الرسول، فكان هو الرسول الوحيد الذي لم يَرَ قيامة الرب ولا صعوده إلى السماء، لكنه حصل على رؤية فائقة للرب نفسه يظهر له في السماء، وأثناء الظهر، بوجه يلمع أشد من

الشمس، ويتكلم معه باللغة العبرانية ذاتها ويختاره للرسالة، فكان هذا الظهور آخر وأهم شهادة لصعود المسيح إلى السماء وبقائه هناك:

+ «رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي ... سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدني، صعبٌ عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، ولكن قُمْ وقِفْ على رجليك، لأني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأُظهره لك.» (أع٢٦: ١٣-١٦)

أما القديس إستفانوس فله شهادة حية برؤية عينية لابن الإنسان، بمعنى ابن الله متجسداً قائماً عن يمين الله هكذا:

+ «أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس. فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع٧: ٥٥و٥٦)

ثالثاً ـــ آية الانتقال إلى موضوع الرسالة

١ : ٤ «صائراً أعظمَ من الملائكةِ بمقدارِ ما وَرِثَ آسماً أفضلَ مِنْهُم».

بهذه الآية يفتتح ق. بولس موضوع الرسالة، وهو قائم على أفضلية التدبير الإلهي بيد الابن عن التدبير الإلهي بيد موسى بتوسط الملائكة. أما مناسبة دخول الملائكة في بدء الحوار في هذه الآية، فهو ملتقط من الارتفاع الذي حصل عليه المسيح بعد أن أكمل التطهير بالفداء، وجلوسه في السماء موطن الملائكة، حيث يطرأ السؤال: وما هي درجة المسيح في السماء بالنسبة لمواطنيها الأصليين أي الملائكة؟ ثم من هذا السؤال يبدأ المدخل إلى الحوار الذي نجده يمتد من ١:٥ إلى ٢:١٨ دون انقطاع.

المسيا في التقليد الرباني اليهودي أعظم من الملائكة:

ليس من فراغ يبدأ سفر العبرانيين الحوار مع اليهود المتنصرين الذين يوَدُّون الرجعة والارتداد إلى اليهودية. فهو يخاطبهم من واقع وحي الربيين في دراستهم لشخصية المسيا، وهي دراسات كان كل الشعب على علم بها. يقول الربيون:

[«هوذا عبدي يعقل (يتصرف بحكمة)» هذا القول لإشعياء النبي يفيد شخصيةَ مسيا الملك الآتي، وبقوله: «يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً» يفيد أنه سيرتفع فوق إبراهيم، ويرتفع فوق موسى، ويرتفع عالياً فوق الملائكة الخادمين] (٢٨).

كذلك:

[المسيا هو أعظم من الآباء وأكثر من موسى وأكثر من الملائكة الخدّام.] (٢٩)

ولكن سفر العبرانيين ـــ من وجهة نظر مسيحية ـــ يتجاوز أفضلية المسيا أي المسيح المتجسد فوق الملائكة، كونهم مجرد رتبة أو وظيفة خدمة، ولكن يقصد توسلهم في نزول الناموس. وهذا نستشفه من أقوال الآيات الأخرى هكذا:

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل (مفرد أي المسيح) الذي قد

28. Yalkut Sim. 2. fol. 53.3 on Is. LII,13. Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 16.
29. Yalkut chadesh, f. 144,2. Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 16.

وُعِد له (أي أعطي الوعد له وهو المسيح) ـ (هذا الناموس جاء) **مرتباً بملائكة** في يد وسيط.» (غل٣: ١٩)

+ «الذين أخذتم الناموس بترتيب **ملائكة** ولم تحفظوه.» (أع٧: ٥٣)
+ «لأنه إن كانت **الكلمة (الناموس) التي تكلم بها ملائكة** قد صارت ثابتةً وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة ...» (عب٢: ٢)

أما تدخل الملائكة في توجيه الشعب وقيادته وربما توصيل مفردات الناموس إليه، فواضح من الآتي:

+ «ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، احترز منه **واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه ... ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به ...**» (خر٢٣: ٢٠ــ٢٢)

والقديس بولس سيخرج من ذلك أن الناموس نفسه هو دون بشارة الإنجيل بالمسيح.

«صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم»:

«أعظم»: κρείττων

هذه الكلمة تُعتبر من خصائص سفر العبرانيين المميزة، وقد وردت ١٣ مرة في الرسالة، وهذا ليس غريباً. فالرسالة تقوم على المقارنة بين كل ما كان في العبادة القديمة، وما صار في العبادة الجديدة. وهي بمعنى الأسمى، إما في الكرامة، أو الاستحقاق، أو المنفعة، ولكن التشديد ليس على طبيعة الصلاح، ولكن على مستوى القوة.

ولكن في دفاع الآباء عن سمو المسيح، أو عظمته الأكثر، لم يأخذوا هذه الكلمة بمعنى القوة أو التأثير، ولكن ركزوا على الطبيعة ونوعيتها. ونجدها في المواضع الآتية من الرسالة:

(٦: ٩) بمعنى «**أموراً أفضل**» (كلمة «أموراً» زائدة في الترجمة العربية):

«ولكننا قد تيقَّنا من جهتكم أيها الأحباء (أموراً) **أفضل**» τὰ κρείσσονα

(٧: ٧) بمعنى «**الأكبر**»:

«وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من **الأكبر**» κρείττονος εὐλογεῖται

(٧: ١٩) بمعنى «**أفضل**»:

«إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء **أفضل**»

κρείττονος ἐλπίδος

(٢٢:٧) بمعنى «أفضل»:
«على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً **لعهد أفضل** »: κρείττονος διαθήκης
(٦:٨) مرتان بمعنى «أفضل»:
«خدمة أفضل ... عهد **أعظم** (أفضل): κρείττονος διαθήκης
... **مواعيد أفضل** »: κρείττοσιν ἐπαγγελίαις
(٢٣:٩) ذبائح **أفضل** : κρείττοσιν θυσίαις
(٣٤:١٠) **مالاً أفضل**، والترجمة غير صحيحة والأصح **مِلْكاً أفضل** : κρείσσονα ὕπαρξιν
(١٦:١١) وطناً **أفضل** (كلمة الوطن مضافة) : κρείττονος
(٣٥:١١) **قيامة أفضل** : κρείττονος ἀναστάσεως
(٤٠:١١) **شيئاً أفضل** : κρεῖττόν τι
(٢٤:١٢) **يتكلم أفضل** : κρεῖττον λαλοῦντι

ونحن إن كنا قد اعتنينا هكذا بصبر أن نسجل هذا السفر المبارك إلحاحه المثير حقاً على استخدام كلمة أفضل — κρείττων — في كل أمر، وكل حالة، وكل وضع، وكل عمل، فذلك لكي نبيِّن للقارىء مدى إصرار هذا السفر على أفضلية العهد الجديد على العهد القديم. وذلك إن كان في زمانه، فلكي يقتنع اليهود أن لا يرتدوا عن المسيح إلى ما هو أقل وأتفه، أو إن كان في زماننا فالأمر يخصنا الآن بالدرجة الأُولى؛ لأن غواية هذه الأيام وهذا العالم وشيطان هذا العصر لا يكف عن أن يغوينا بالخيانة من أجل مال أو جمال أو شهوة ولذة خسيسة أو وظيفة أفضل، أو راحة نفسية، أو هروب من ضيقة أو تعيير أو فقر.

«صائراً أعظم من الملائكة»: τῶν ἀγγέλων

كهيئة أو طغمة، وليس كأفراد، وليس من جهة طبيعتهم، وإنما من جهة وظيفتهم عند الله. وذلك واضح من قوله: «فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه.» (عب٢:٥)

وعلو شأنه ودرجته عن طغمة الملائكة لم تأته من أعماله سواء في الخليقة أو تقويم العالم المخلوق، أو تطهير الخطايا، ولكن هذا السمو والتعالي والتفوُّق هو بالدرجة الأُولى في كونه «ابناً»، وهذا الاسم لم يُخلع عليه بل هو بحكم ميراث أزلي، شأن الابن بالنسبة لله الآب. أما قوله «صار» في الأول، فهذا فعلاً ما تحقق وما صار، بعد أن عرفنا أنه جلس عن يمين العظمة في الأعالي بعد أن أدَّى أعمالاً، وهي أعمال لا يأتيها إلاَّ الابن. فالأعمال التي أودعته على العرش في

يمين أبيه هي تحصيل حاصل، كونه الابن الذي كان ــ دون أن ندري ــ في حضن الله قبل أن ينزل ونراه.

فالابن الذي كان في حضن الآب منذ الأزل، مخفيًا عن عيوننا بسرٍّ لم يُعرَّف به أحد، لما تجسَّد ورأيناه، ولما أكمل الطاعة لأبيه، عاد إلى مكانته: «خرجتُ من عند الآب وقد أتيتُ إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يو١٦: ٢٨). إنما تغيَّر وضعه من حضن الآب إلى يمين العرش، ومن الوضع السري غير المدرك ولا مستعلن إلى الوضع المستعلن والمنظور لنا (يراه إستفانوس)، وذلك بحسب الجسد الذي حمله عائداً إلى أبيه ممثلاً البشرية بأجمعها.

إذاً، فعلو شأن الابن بقوله: «صائراً» γενόμενος ، فهذا لأنه صار مُدرَكاً لنا فقط بعد التجسد. فكلمة «صائراً» لا تفيد تغيُّراً أو زيادة أو إضافة للابن، ولكن تفيد استعلان علو شأن الابن الذي كان مخفياً، ثم «صار» مُدرَكاً لنا بسبب التجسُّد، كقوله: «تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤). فهذا التعيين هو لنا وفي وعينا وليس له ولا لشخصه، لأنه الابن الأزلي لله.

أما علو شأن الابن «بالميراث» فلا يفيد حصوله على الميراث كجائزة وهدية لما أتاه من أعمال، وإنما هو الاستعلان الحتمي الذي أدركناه لما أدركنا أنه الابن الوحيد. هذه بديهية بنى عليها بولس الرسول بديهية ميراثنا نحن أيضاً معه، عندما أعلن الروح القدس أننا صرنا أبناء الله الحي بالميلاد الجديد قائلاً: «فإن كنا أبناءً فنحن ورثة» (رو٨: ١٧). وكأنها قضية مسلَّم بها، فلأننا صرنا أبناء الله الحي، لذلك تحتَّم أن نصير ورثةً مع الابن لله.

«اسماً أفضل منهم»:

باليونانية: διαφορώτερον παρ' αὐτούς

وباللاتينية: excellentius ab his : O.L.

اسم الملائكة هو جيد لذاته ومحترم، ولكن إذا قارنا بين اسم الملائكة واسم الابن في الجودة والحسن والاحترام، فاسم الابن أفضل ــ لأن كلمة «الأفضل» تعتبر أن الآخر فاضل، أما هذا فهو أفضل ــ وبولس الرسول يوضح سمو اسم الابن فوق كل اسم هكذا:

+ «وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ٨-١١)

لذلك وإن كان اسم «الابن» هو بحد ذاته اسم فوق كل اسم، إلاَّ أنه بطاعة الابن المتجسد حتى الموت أخذ عن جدارة، في المنظور والمُعلن للناس، اسماً أعلى من كل اسم، تماماً كما سمعنا المسيح يصلي: «مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧: ٥). فالمجد الذي أخذه بالقيامة من الأموات هو مجد مُستردٌّ، وليس مجداً مُستجداً. كذلك الاسم الأعظم والمتعالي فوق كل اسم الذي أعطاه له الآب بعد أن أطاع ومات على الصليب وقُبر وقام وصعد إلى الآب ليس اسماً مستجداً ولا مضافاً إليه مجدٌ بل هو اسمه الأعظم المُستردُّ.

وليلاحظ القارىء أن «المجد الذي كان للابن عند ذات الآب» هو ميراث أزلي. كذلك وبنفس الوضع، فالاسم الذي ورثه الابن أزلي هو مع ميراث مجد البنوة الأزلي. فهو وإن كان قد تجسَّد وتغرَّب على الأرض وصُلب ومات وقام فهو بذات الاسم. لذلك تحتم أن يتمجَّد الموت به وتتمجد القيامة فيه، فالموت موت الابن والقيامة قيامة الابن، وحتماً يعود به (أي بذات الاسم) إلى السماء، فهو ميراثه الأزلي. ولكن الذي كسب والذي أضيف إليه ما هو ليس له، والذي ورث ما لا يتناسب مع حقارة جنسه، هو نحن بني البشرية، أي البشرية التي في المسيح التي ارتفعت برفعته وتمجَّدت بتمجُّده، وجلست في المواضع السماوية العليا بجلوسه. فإن كان «أنا» المسيح الابن قد اكتسب شيئاً فليس المسيح الابن الذي اكتسب بل «نحن في أنا» المسيح [٣٠]. «في ذلك الوقت تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)

(٣٠) القديس أثناسيوس الرسولي يوضِّح هذه الفكرة بجلاء في مقالته الأولى ضد الأريوسيين، فصل ١٢و١٣: NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, pp. 330f.

الدفاع الأول
تفوُّق الابن على الملائكة
[١ :٥ ـ ٢ :١٨]

القسم الأول: شهادة الأسفار لرفعة شأن المسيح فوق الملائكة (١ :٥ـ١٤).
القسم الثاني: خطر إهمال استعلان الله لابنه (٢ :١ـ٤).
القسم الثالث: تكميل التدبير الإلهي لمستقبل الإنسان بتأليم الابن (٢ :٥ـ١٨).

إذاً فلينتبه القارىء أن تحت هذا العنوان بأقسامه الثلاثة سوف نقدِّم معاً الأصحاح الأول والأصحاح الثاني كله.

القسم الأول: شهادة الأسفار لرفعة شأن الابن فوق الملائكة:
(١ :٥ـ١٤) أي يستغرق بقية الأصحاح الأول كله.

هنا يقدِّم السفر **سبعة شواهد** من الأنبياء، وبدراستها يتبيَّن لنا أنه اختارها بدقة متناهية؛ لتؤكد وتشرح ما قدَّمه في الديباجة آية بآية. فإن كان قد قدَّم آيات الديباجة من عنده، فهو الآن يردها إلى أصولها الأولى توثيقاً وإثباتاً لما قاله:
أولاً ـ آية (٥ و٦): يقدِّمهما تدعيماً لما قاله عن المسيح **«كابن»**.
ثانياً ـ آية (٧ و٩): يقدِّمهما تدعيماً لما قاله إنه **«وارث لكل شيء»**.
ثالثاً ـ آية (١٠ـ١٢): يقدِّمها تدعيماً لقوله إنه خالق العالم **«عمل العالمين»**.
رابعاً ـ آية (١٣ و١٤): يقدِّمهما للمقارنة بين الابن والملائكة في تدبير مهام الخلاص.

فبينما الملائكة منهمكة في الإعداد للحظة الخلاص ومنشغلة بالأدوار التي ستؤديها غير عالمة بما سيحدث، انسلَّ الابن من ورائها ونزل دونها آخذاً صورة عبد، أي تجسَّد استعداداً لأن يرتقي فوقها مرة أخرى ويرتفع إلى أعلى السموات ليسود عليها، وهو لابس جسد إنسان، فتخضع له وتنحني وتقدِّم السجود والعبادة.

أولاً ــ آية (٥ و٦): تفوُّق الابن على الملائكة باعتبار بنوته لله:

نجد أن الشواهد التي اختارها لتثبيت قوله بخصوص تفوُّق «الابن» على الملائكة هي ثلاثة شواهد:

الشاهد الأول: من المزمور الثاني لداود النبي هكذا:

+ «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي:
أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك،
اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك.» (مز٢: ٦ــ٨)

الشاهد الثاني: وهو من سفر صموئيل الثاني:

وقد اقتبسه من ٢صم٧: ١٣و١٤ ومتكرر في ١أي١٧: ١٢و١٣:

+ «هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أُثبِّت كرسي مملكته إلى الأبد،
أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً».

الشاهد الثالث:

وقد أجهد العلماء في البحث عن الأصل(٣١) الذي اقتبس منه هذا الشاهد واتفقوا على الآتي، وعلينا أن نوضح ذلك.

فالكلام في هذا الشاهد يشبه إلى حد كبير ما جاء في المزمور ٩٦: ٧ النسخة السبعينية:
«اسجدوا لله يا جميع ملائكته».

ثم وُجِد النص الذي اقتبس منه واضحاً تماماً في النسخة الفاتيكانية لسفر التثنية ٣٢: ٤٣ وهي نسخة خاصة للنسخة السبعينية، وكانت سائدة أيام الرسل.

ولكن يقول العالم ج. بارمبي(٣٢) إن النسخة الماسورية لسفر التثنية ٣٢: ٤٣ جاءت هكذا أيضاً: **«اسجدوا لله يا جميع ملائكته»**، في ختام تسبحة موسى النبي مشيراً إلى نهاية الأيام حينما أهاب بالأمم أيضاً قائلاً: **«تهللوا أيها الأمم مع جميع شعبه».**

ونحن نرى في هذا الكلام صورة تنبؤية عن يوم ميلاد المسيح، فهذا الكلام يأتي متفقاً مع ما

31. Westcott, *op. cit.*, p. 19-20.
32. J. Barmby, The Pulpit Comm., Vol. 21, p. 12-13.

صار معلوماً لدى الرسل وشاع عند كل الشعب كما جاء في إنجيل القديس لوقا يوم ميلاد الرب هكذا:

+ «فإذا **ملاك** الرب وقف بهم **ومجد الرب أضاء حولهم** فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك: لا تخافوا فها أنا **أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب**، **إنه ولد لكم اليوم** في مدينة داود **مخلص هو المسيح الرب**.
وهذه لكم العلامة تجدون **طفلاً** مقمَّطاً مضجعاً في مزود.
وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي **مسبحين الله** وقائلين:
المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.» (لو٢: ٩-١٤)

فبتحليل ما تم على فم الملائكة يتضح ما يلي:

أولاً: في لحظة ميلاد المسيح وهو البكر: «فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود» (لو٢: ٧)، ظهرت الملائكة وجند السماء للرعاة المتبدِّين وأعطوهم بشارة الميلاد والعلامة.

ثانياً: إن الملائكة قدَّموا تسبحة للمسيح، وواضح **فيها إعطاء المسيح المجد في الأعالي والسلام على الأرض**، وهذه هي **العبادة** بعينها والتي تُسمى تجاوزاً السجود.

لذلك جاء قول سفر العبرانيين: «متى أدخلَ البِكْرِ إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله». وواضح هنا أن القصد من السجود هو «التسبحة»، التي هي بعينها **العبادة التي قدَّمها** الملائكة يوم ميلاد المسيح باعتباره يوم دخول البِكْر إلى العالم.

وكذلك نجد أن الاستشهاد بهاتين الآيتين مترادفتين معاً وهما: «أنت ابني **أنا اليوم ولدتك**» و«عند دخول البكر إلى العالم ...»، يوضِّح ما في ذهن كاتب الرسالة أنه يقصد بالفعل ما قدَّمته الملائكة من التسبحة يوم ميلاد المسيح في بيت لحم.

ومن قول سفر العبرانيين أن الملائكة تسجد للابن يوم دخوله إلى العالم، **حيث التركيز على المفارقة**، فإن القصد الأساسي من ذلك هو توضيح تفوُّق المسيح وتساميه فوق رتبة الملائكة. **ففي** الوقت الذي يتنازل فيه الابن مُخلياً ذاته ومتجسداً في صورة إنسان بهذا الاتضاع، تقف الملائكة تخدمه وتسبح له وتعطي المجد لله في الأعالي وتبشِّر الأرض بالسلام. فإعطاء المجد لله في الأعالي لحظة نزول الابن على الأرض معناه تماماً أن هذا العمل التنازلي هو لمجد الله أو هو هو مجد الله!! كما تقول الآية: «إن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله.» (في٢: ١١)

أما إعطاء الابن صفة «**البكر**» هنا عوض الابن **فهي** إشارة إلى أنه صار «**بكراً للإنسان**» وليس بكر الله. لأنه المقابل لآدم **الأول**، والمعنى أنه أول مولود للإنسان في خليقته الجديدة «**ابن الإنسان**» **فهو** أبو كل المولودين جديداً لله، أو رأس الخليقة الجديدة أو آدم الثاني، وقد وضعها بولس الرسول هكذا: «بكراً بين إخوة كثيرين.» (رو٨: ٢٩)

إذاً، **فالبكورية** هي لحساب خليقة البشرية الجديدة. فالبكر أخ أكبر لبقية الإخوة المولودين من الروح القدس. كذلك هو بكر القيامة أي أول مَنْ قام من الأموات بالنسبة للذين سيقومون فيه «بكر من الأموات» (كو١: ١٨). فإن كان المسيح يُدعى المولود **الأول** (البكر) **πρωτότοκος** **فهذا** يعني بالدرجة الأولى **«ابن الإنسان»، أي آدم الثاني**، رأس الخليقة الجديدة فهو بكر بالنسبة للبشر.

أما كونه يُدعى الابن الوحيد μονογενής فهذا معناه أنه وحيد الجنس، أي الابن المنفرد ببنوته لله. فوحدانية بنوته هنا هي بالنسبة لله.

ولا يصح الخلط بين الصفتين: **فالصفة الأولى «البكر»** هي صفة زمنية بشرية نسبية إنما أخذت وضعها المطلق بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت المولود، فهو بكر الإنسان الذي وُلد على الأرض، وفي عمق الزمن، ومن عذراء، وعاش بين بني البشر «كابن الإنسان»، ولكنه بآن واحد هو قائم في السماء عن يمين الآب. وواضح جداً من هذه الآية مفهوم البكر: «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض» (مز٨٩: ٢٧). فكلمة «**أجعله**» θήσομαι تفيد ما بعد التجسد بكل وضوح، إذ هنا يستحيل أن يستقيم فعل «**جعل**»، الذي يفيد استحداث كرامة وامتياز، إلّا إذا كان بحال الجسد القابل للازدياد.

أما الصفة الثانية المونوجانيس: فهي صفة إلهية جوهرية من ذات طبيعة الله ومن طبيعة ذاته، فلا يوجد في الله إلّا ابن واحد لآب واحد هما ذات واحدة وهما الله.

فالمسيح يُعتبر ــ بسبب تجسده ــ بحسب الكتب «بكر كل خليقة» (كو١: ١٥)، لأنه رأسها وهو بآن واحد «وحيد الآب.» (يو١: ١٤)

٥:١ «لأنه لِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ: أنت آبني أنا اليومَ وَلَدْتُكَ، وأيضاً أنا أكونُ له أباً وهو يكون لي آبناً»؟

«لأنه لمن من الملائكة قال قط؟»:

معروف أن الكتاب يدعو الملائكة بأسماء تكريمية مثل «أبناء الله»: «لأنه مَنْ في السماء يعادل الرب (يهوه = أنا هو = ابن الله) **مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله؟**» (مز٨٩:٦)، هكذا يمكن أن يُقال عن طغمة الملائكة القديسين معاً إنهم «أبناء الله»، ولكن ليس لفرد من الملائكة قط قيل إنه ابن الله خلاف «المسيا».

كذلك قيل عن شعب إسرائيل: «من مصر دعوت ابني» (هو١١:١)، أو ما قيل لفرعون: «إسرائيل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني ليعبدني» (خر٤: ٢٢و٢٣). ولكن ليس لفرد من الشعب قيل أنت ابني إلاَّ فيما يُقصد به المسيا سواء من جهة داود أو سليمان: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني.» (هو١١:١)

أما في كل ما دُعي به المسيا «كابن» في العهد القديم فكان النطق من الله. وكان ذلك دائماً ينمُّ عن الفرادة والتمايز الذي لا يدانيه تمايز، ويمكن ملاحظة ذلك في الإحساس بالتملُّك والفخر في نطق «أنت ابني» وقوله: «أكون له أباً». فهو ليس لقباً مخلوعاً على صاحبه بنوع الهدية، ولكن لقب الابن هنا يجيء للإعزاز والتباهي والاستعلاء.

«ابني»: υἱός μου

هنا يجيء اللفظ بنوع من الضغط والتشديد لإظهار وحدانية البنوة وفرادتها. وكما سبق وقلنا وأكَّدنا، فإن البنوة في الله صفة جوهرية على مستوى صفة الأبوة والاثنان متحدان في الجوهر والذات فهما جوهر واحد وذات واحدة. وهنا الذات هي الذات العظمى الكاملة المتكاملة في ذاتها حبّاً، فالله كامل ومتكامل، حبه منه وفيه. الآب يحب الابن، والابن يحب الآب، مكتفياً بذاته كلّي الاكتفاء. وكل ذات في الوجود تستمد وجودها الذاتي من الله، وتستمد اكتفاءها الذاتي من الله، وبدون الله لا تكتفي أي ذات في الوجود بذاتها، فكل ذات لا تكتمل أبوتها إلاَّ بالاتصال بذات الآب، ولا تكتمل بنوتها إلاَّ بذات الابن. هذا هو قمة ارتقاء الذات البشرية، وهذا نسمعه بكل وضوح وبكل توضيح يكاد ينطق: «في تلك الساعة تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤:٢٠). فاكتفاء الآب والابن معاً هو مصدر اكتفائنا؛ لأننا من الآب نأخذ عن طريق الابن ومن الابن نأخذ عن طريق الروح القدس: «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم.» (يو١٦:٢٣)

من هنا فاستعلان سر الآب والابن في الله أصبح هو سر اكتفاء الإنسان وارتقائه.

فلو عُدنا إلى تفكيرنا في سفر العبرانيين، نجد أن عُلو شأن الابن عن الملائكة ليس مجرد امتياز ذاتي يوجِّه إليه بولس الرسول نظر العبرانيين، بل إن امتياز الابن وعلو شأنه هو المصدر الوحيد لارتقاء البشرية فوق ذاتها، وسر ارتفاعها وجلوسها في السموات. فأي ملاك يمكن أن يقترب من هذا المجال ؟!

«أنا اليوم»: σήμερον

«أنا اليوم ولدتك». في الحقيقة وقبل أن نخوض في المعنى القريب والمعنى البعيد لكلمة «اليوم»، فإن هذه الكلمة في موضعها هنا تشكِّل **نقطة حرجة بلغت ذروتها حينما استدعت هذه الولادة!** فهي في الحقيقة قمة اللحظة الحرجة **على المستوى الزمني** (اليوم)، بل هي أيضاً نقطة نهاية صراع كل الدهور والأزمان في مواجهة الخلود.

بولس الرسول يشرحها في اختصار وإنما بحذق مدهش:

+ «ونحن نبشِّركم بالموعد (اليوم) الذي صار لآبائنا **إن الله قد أكمل هذا لنا (اليوم) نحن أولادهم إذ أقام يسوع** (هنا بلوغ أقصى الصراع الذي حدث بين الإنسان والله، بين الزمن والخلود، بين الموت والحياة، بين الظلمة والنور) كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: **أنت ابني أنا اليوم ولدتك، إنه أقامه من الأموات...**» (أع١٣: ٣٢ـ٣٤).
+ «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات **لا يموت أيضاً**، لا يسود عليه الموت بعد.» (رو٦: ٩)

أما كشف بولس الرسول بهذا الحذق الفائق من قول المزمور: **«أنت ابني أنا اليوم ولدتك» أنه هو حقاً يوم قيامة المسيح من بين الأموات**، فيؤكده في موضع آخر بما لا يترك مجالاً للشك بقوله في مطلع الرسالة إلى أهل رومية: **«وتعيَّن ابن الله بقوة** من جهة روح القداسة **بالقيامة من الأموات»** (رو١: ٤). إذاً فهو أمر مقطوع به من جهة الفكر الرسولي المؤيَّد بالروح القدس أن قول الله مخاطباً المسيا: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» هو يوم أن قام الرب من الأموات بقوة الروح القدس ومجد الله الآب.

ولكن عودة إلى التقليد الرسولي: فهنا في تقليد بولس الرسول تتمركز الولادة التي يقول بها المزمور بفم الله حول كلمة **تعيَّن**: **«وتعيَّن** ابن الله بقوة ...».

أما بقية التقليد الرسولي الذي ساد أيضاً الكنيسة وامتد إلى آباء الكنيسة أن استعلان بدء هذه «البنوة» تم:

+ **إما قبل التجسد** في الأزل، كما قال أوريجانس وأغسطينوس[٣٣]، ولكن مردود على ذلك أن الخطاب أصلاً موجّه لداود، وهنا يستحيل القول بالميلاد في الأزل: «أيها الرجال الإخوة يسوغ أن يُقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود أنه مات ودُفِنَ وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه **يقيم المسيح حسب الجسد** ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن **قيامة المسيح** ...» (أع ٢: ٢٩ـ٣١)

+ **وإما بالتجسد** ويتفق في هذا معظم الآباء، ولكن مردود على هذا أيضاً أن المتكلم هو الله والوالد هو الله، فلا احتمال هنا لشركة البشر أي العذراء، لذلك وجب أن يكون مفهوم الولادة متجمعاً كلياً في الله، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلاَّ:

+ **إما في العماد** حيث الميلاد الجديد هو للبشرية فيه بالروح القدس. وهنا يكون إعداد للميلاد الجديد بالروح القدس: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً: **أنت ابني** الحبيب بك سررت.» (لو ٣: ٢١و٢٢)

+ **أو في القيامة** من الأموات بالروح القدس أيضاً حيث ميلاد الإنسان الجديد يتم فيه حقاً وبالكامل: «... وَلَدَنا ثانية لرجاء حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣). وبالأقوى جداً يُفهم ذلك من آية بولس الرسول إلى أهل كولوسي: «الذي هو البداءة **بكر** (أول مولود) **من الأموات** لكي يكون متقدِّماً في كل شيء (رأس كل المولودين بالقيامة من الأموات).» (كو ١: ١٨)

ولكن نحن نرى أنه يصعب جداً تحديد أي اليومين كان هو المقصود في المزمور: «أنا اليوم ولدتك»، **هل هو العماد؟ أم هو القيامة من الأموات؟** كما يقول العالمان وستكوت[٣٤] وموفات[٣٥]، حيث العماد هو بداية الاستعلان للميلاد الجديد: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان

33. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 73.
34. Westcott, *op. cit.*, p. 21.
35. Moffatt, *op. cit.*, p. 9.

صوت من السماء قائلاً: **أنت ابني الحبيب بك سررت**» (لو٣: ٢١و٢٢). وبعد العماد مباشرة، أي بعد إعلان بنوة المسيح لله إعلاناً بلغ السموات كلها، جاء الشيطان ليشكك في هذه البنوة قائلاً: «إن كنت ابن الله» (مت٤:٣). والقيامة هي نهاية وقمة الاستعلان للميلاد الجديد للإنسان. لذلك نرى أن قول المزمور: «**أنا اليوم ولدتك**» **هو إشارة لتغطية الزمان، و«اليوم» هنا هو التعبير عن عمق الزمن؛** لأن «**اليوم**» معروف عند الله أنه كألف سنة أو كهزيع الليل (٣ ساعات): «لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل» (مز٩٠:٤). لذلك فإشارة اليوم في المزمور هي حدوث «استعلان الابن» في عمق الزمن (اليوم) بالروح القدس في المعمودية، واستعلان تعيين الابن في عمق الزمن (اليوم) بالروح القدس بالقيامة من الأموات. وهكذا يكون **في المعمودية قد تمّ استعلان بدء الخليقة الجديدة** (الامتلاء من الروح القدس)، **وفي القيامة من الأموات اكتمال ليافتها للصعود إلى أعلى السموات. وفي** هذه وتلك، **فالذي وُلد هي البشرية الجديدة في شخص الابن الأزلي** المنزَّه عن الولادة بلاهوته.

علماً بأن التأكيد على بنوة المسيح لله يُعتبر حجر الزاوية في دفاع بولس الرسول لدى العبرانيين في هذا السفر، وأن هذه البنوة التي أُعلنت بيقين وتعيَّنت جهاراً بقيامة المسيح من الأموات هي حجر المحك للخلاص. فبنوة المسيح لله مربوطة ربطاً مُحكماً بقيامته من الأموات، وعقيدة البنوة والقيامة اللتين للمسيح هما كل لاهوت الخلاص في المسيحية.

«اليوم ولدتك»: γεγέννηκά σε

من هذا التعبير الوارد في هذا المزمور دخل في العهد الجديد مفهوم الولادة الجديدة بالروح.

فكما رأينا في الشرح عاليه، أن بالمعمودية اعتُبرت بداية استعلان الولادة الجديدة للبشرية في المسيح ابن الله، وذلك بالروح القدس العامل الأساسي في الميلاد من فوق؛ كذلك بالقيامة من الأموات تمَّ استعلان أو تعيين ابن الله، وذلك أيضاً بالروح القدس. فالروح القدس هو العامل الأساسي في الميلاد الجديد للبشرية الذي أُكمل — أي الميلاد الجديد — **في المسيح** يسوع حسابياً.

وعلى القارىء أن لا يخطىء قط فيفهم أن ميلاد المسيح تم في المعمودية ليكون ابناً لله، ولا حتى في أية لحظة زمنية. فالآية تقول: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك»، فهو ابن الله أولاً وبالدرجة الأولى وبالأساس، ثم تمت فيه ولادة البشرية الجديدة هكذا في الزمن (اليوم). وإلاَّ لو كانت قد تمت لابن الله ولادة لكان القول، أنا اليوم ولدتُك فأنت ابني، ... ولكن العكس هو الذي قيل!! وعن الولادة الجديدة في المسيح يقول بولس الرسول: «وإن كان لكم ربوات من المرشدين في

المسيح لكن ليس آباء كثيرون، **لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل.**» (١كو٤: ١٥)

ومعروف أن ولادتنا في المسيح تتم بأن نعتمد لموته ولقيامته في جرن المعمودية.

والولادة تعني في أبسط معانيها حياة جديدة. فإن كان المسيح قد اعتمد ليمنحنا إعداداً للحياة الجديدة، فهو بالأكثر وبالأولى قام من الأموات ليعطينا هذه الحياة الجديدة بمعناها ومبناها وقوتها وطبيعتها. لذلك وبمنتهى البساطة نقول: إن نبوة المزمور القائل بفم الله مخاطباً مسيا الدهور: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، كان يخاطب فيها المسيح حاملاً البشرية التي حل، لكي يغسلها في الأردن ويعدها للذبح على الصليب؛ ليقوم بها بشرية جديدة **مولودة لله محمولة في شخص ابنه الأزلي.**

«وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً»:

هنا انتقال من المزامير إلى سفر صموئيل الثاني الأصحاح السابع حيث ينقل ناثان النبي رسالة لداود أيضاً يخبره بما يقوله الله له من جهة بناء البيت الذي اشتهى أن يبنيه لله، ولكن الذي سيبنيه هو سليمان ابنه، وأضاف الله: «هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبّت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (٢صم٧: ١٣و١٤)

ويُلاحَظ مدى الإحكام بل الحكمة الإلهية التي جعلت سفر العبرانيين يضم آية المزامير الموجهة لداود: **«أنت ابني أنا اليوم ولدتك»**، إلى آية صموئيل النبي الموجهة لسليمان: **«أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً»**، ليستخلص منهما استعلان علاقة الابن «المسيا» بالله. ففي الآية الأولى يقرر حقيقة تختص بالمسيا في علاقته بالله في عمق الزمن كعمل يتم له **«اليوم»**، ثم يردفها بالآية الثانية ليقرر العلاقة الدائمة بين الله والمسيا ــ الابن حال تجسده ــ على مستوى الأبدية أي بصورة دائمة خالدة، فالله يظل له أباً أبدياً وهو يبقى له ابناً أبدياً. هنا في الحقيقة روعة التعبير عن لحظة القيامة من الأموات التي **تعيَّن** ــ أي تحقق ــ فيها المسيح **ابناً لله** وهو حامل البشرية **في جسده**، ثم كيف امتدت العلاقة بعد ذلك بجلوس الابن عن يمين الآب بجسد بشريته في حالة كينونة دائمة.

على أن السفر هنا لا يبحث أبداً في الواقع اللاهوتي لابن الله قبل التجسد، **لأن هذا لا يدخل** في موضوع الرسالة ولا يهمُّ العبرانيين الذين يتحدث إليهم. إنما هو يصف المسيح الذي صنع لهم خلاصاً بتجسده وموته وقيامته وجلوسه عن يمين الآب، وهكذا يتحقق مدى سمو رسالة الابن في مدى سمو شخصيته، من واقع ما صار له وفيما أصبح عليه بالنسبة لله في مقابل الملائكة التي

كانت تخدمه على طول المدى سواء في ميلاده أو عماده أو صومه في البرية أو في جثسيماني أو على الصليب أو حتى في القبر!! مستخدماً النبوات التي وردت عن المسيا وكانت محفوظة بل مدروسة لدى كافة الربيين وعلماء اليهود الذين اعتبروا هذه الآيات بالذات آيات مسيانية. وقد وجدت هذه الآيات في مجموعة مخطوطات وادي القمران في قسم خاص بـ «المسيا» بالمغارة رقم ٤ (٣٦).

فإن كانت هذه الآيات تبدو جديدة على أي إنسان أممي يريد أن يؤمن بالمسيح، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لليهود الذين كانوا يعيشون في ترقُّب لتكميلها، وكانت لهم جزءاً من تراثهم من جهة المواعيد التي كانوا يترجَّونها بفارغ الصبر.

أما لنا نحن المسيحيين فقد صارت هذه الآيات جزءاً من حياتنا وإيماننا ولاهوتنا، فالآية **«أنت ابني أنا اليوم ولدتك»** صاغ منها القديس يوحنا أنشودة المجد التي تغنَّى بها في بدء إنجيله: «ورأينا مجده مجداً **كما لوحيدٍ من الآب** مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو١ : ١٤)، بل صاغ منها إيمانه وبنوته لله بالتالي: «وأما كل الذين قبلوه (قبلوا المسيح على أنه ابن الله) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا (هم بالتالي) **أولاد الله أي المؤمنون باسمه**» (يو١ : ١٢). ثم يكشف القديس يوحنا معنى **الولادة لله** هكذا: «الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل **بل من الله**» (يو١ : ١٣). أما وسيلتها فيكشفها بولس الرسول: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨ : ١٤). ثم يتسامى القديس يوحنا بالولادة من الله، ويكشف لنا بالتالي سر البنوة والأبوة في الله، السر الفائق على كل إدراك وتصوُّر(٣٧) هكذا: «كل مَنْ يحب فقد وُلد من الله» (١يو٤ : ٧). هذا هو غاية سر اللاهوت. ويعود المسيح ويكشف بدوره عن سره الأزلي مع الآب هكذا: «الآب يحب الابن» (يو٣ : ٣٥ و ٥ : ٢٠)، «إني أحب أبي.» (يو١٤ : ٣١)

والروح القدس يتحرك مع المحبة ويشهد لمن يشهد لها: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو٨ : ١٦)

---

36. Montefiore, H.W., *op. cit.*, p. 45.

(٣٧) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص١١٣ هامش(١)، وص ٢١٦.

١ : ٦ «وأيضاً متى أدْخَلَ البِكْرَ إلى العالمِ يقولُ: ولْتَسجُدْ له كلُّ ملائكةِ الله».

«وأيضاً متى»: ὅταν δὲ πάλιν

هذه الآية ليست استطراداً لنوع الآيات السالفة، التي كانت تخص العلاقة بين الابن والآب، فهنا ينقل القارنة إلى علاقة الابن بالملائكة مباشرة. لذلك فكلمة «أيضاً» لا يصح أن تأتي في البداية(٣٨)، بل كان من الواجب أن تتبع دخول البكر إلى العالم هكذا: «ومتى أدخل البكر إلى العالم أيضاً ...». وهنا يحدث تغيير جوهري في معنى الآية بجملتها إذ يصير هنا دخول البكر إلى العالم «أيضاً» يعني مجيئه الثاني.

ولكن هنا يختلف الشراح، ونحن لا نميل إلى القول مع العلماء الذين يقولون بأن هذه الآية تختص بالمجيء الثاني(٣٩). لماذا؟ لأن هذا لا يستقيم والمعنى المقصود إذ لا يفيد العبرانيين المزعزعين آنئذٍ في إيمانهم بشيء على الإطلاق. فما القيمة ــ بالنسبة للعبرانيين ــ كون الملائكة ستسجد للمسيح في مجيئه الثاني وهم رافضون مجيئه الأول؟ لذلك فقصد السفر المُلحّ والمباشر أن يوضح أهمية وعلو شأن المسيح الذي جاء بالجسد، وبالتالي العمل الذي أكمله من أجل خلاصهم.

«ومتى أدْخَلَ البكر إلى العالم»:

واضح أن الفاعل هنا هو الله، وهو في حال الفعل الماضي. وفي الآية المشابهة التي اقتبسها السفر من المزامير أيضاً: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأت لي جسداً» (عب١٠: ٥). هنا نجد أن الابن يدخل بمشيئته الذاتية. ولكن في الأول حيث يتولى الله إدخال الابن إلى العالم، يتضح أن الدخول ــ أي التجسد ــ هو عمل إلهي بالدرجة الأولى، بحسب ما تنص عليه بقية الآية: «فلْتسجدْ له كل ملائكة الله». لذلك تُحسب هذه الآية ضمن التراث اللاهوتي الغالي ــ في اعتبارنا ــ لأنها تشير إلى أن فعل التجسد إلهيٌّ هو، وتسنده المقولة: «الله ظهر في الجسد.» (١تي٣: ١٦)

ويعتقد معظم العلماء أن المصدر الذي نقل عنه ــ غيباً ــ سفر العبرانيين هذه الآية هو سفر التثنية أصحاح ٣٢: ٤٣ بالسبعينية. والقطعة أصلاً هي نبوة موسى عن آخر الأيام بالنسبة لشعب إسرائيل، وهو يصف وصفاً مبدعاً دخول الأمم مع شعب إسرائيل (في الإيمان بالمسيح) وحصول الأمم على تهليل وفرح في شركة مع الشعب. وهنا ينطلق موسى بالروح في غُلواء الرؤيا العالية

38. Westcott, *op. cit.*, pp. 22,23.

39. Westcott, *op. cit.*, p. 37; Käsemann (wantering people 98-101); Michel p. 113, Braun, p. 37.

والتنبؤ فيرى ملائكة الله تشترك في فرحة مجيء المسيا وهي تسجد له تعبيراً عن علوّ مكانته اللاهوتية فوق الملائكة. وسفر العبرانيين مُحقٌّ وصادقٌ جداً في استشهاده بهذا النص: «افرحي أيتها السموات معه، ولتسجد له كل ملائكة الله. افرحوا أيها الأمم مع شعبه ...». وواضح جداً من هذه النبوة لموسى أنه يصف حالة دخول ابن الله إلى العالم بالتجسد لبدء المصالحة العظمى: الأمم مع الشعب، والسماويون مع الأرضيين، وهكذا تفرح السماء بمن فيها وتفرح الأرض أيضاً معه!!

ونحن نجد أن هذا المنظر تم بالفعل ليلة ميلاد المسيح في بيت لحم، وظهور الملائكة وجند السماء يسبِّحون (يعبدون) مبشرين وداعين الرعاة (وربما كانوا كنعانيي الأصل أي أمم) أن يفرحوا فرحاً عظيماً: «لأنه وُلِد لكم "اليوم" مخلِّصٌ هو المسيح الرب»، ثم تسبحتهم الخالدة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.» (لو٢:١٤)

لم يجد سفر العبرانيين ضرورة أن يصف الميلاد الإعجازي بحد ذاته، ولكن التقط من حوادث ذلك اليوم العظيم موقف الملائكة فقط وهم يفرحون وينشدون ويخدمون تعبيراً عن علو شأن الابن فوق الملائكة حتى وفي حال اتضاع تجسده، ذلك من أجل العمل الجليل والفائق أي الخلاص الذي استؤمن عليه الابن دون الملائكة أو رؤساء الملائكة: «وُلد لكم اليوم ... مخلِّص.» (لو٢:١١)

هنا عبَّر سفر العبرانيين عن الميلاد «بالدخول إلى العالم» توضيحاً لسبق وجوده قبل التجسد، كذلك لإعطاء عملية الميلاد وزنها الإلهي كرسالة هامة حيث ترك فيها الابن موقعه في الأعالي وانحدر داخلاً العالم مُرسَلاً من الله:

+ «متى أدْخَلَ البكر إلى العالم.» (عب١:٦)
+ «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً.» (أف٤:١٠)
+ «وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان (الذي على الأرض) الذي هو في السماء (أيضاً).» (يو٣:١٣)

«البكر»: πρωτότοκον

كان من العسير أن يقول: «لما أدْخَلَ الابن إلى العالم»، لأن في البداية لزم أن يُخلي الابن ذاته ليأخذ هيئة الإنسان ليستطيع الدخول إلى العالم. ففي لحظة دخول الابن إلى العالم دخله في هيئة ابن الإنسان، ولتمييزه عن أي إنسان سُمِّي بـ «البكر»، أي الإنسان الأول، وذلك من واقع أنه أول الخليقة الجديدة للإنسان، فهو بكر الإنسان بالدرجة الأولى والذي سُمِّي عن جدارة بآدم الثاني أي رأس الخليقة البشرية الجديدة.

ولكنه يقول هنا: «متى أدخلَ البِكْرَ إلى العالم»، بمعنى أن الله هو الذي أدخله إلى العالم، أي أن الله هو صاحب تدبير التجسد، الأمر الذي استطاع بولس الرسول ــ بجرأة الروح والعين المفتوحة ــ أن يقول: «الله ظهر في الجسد ... **تراءى لملائكة**» (١تي٣:١٦). بمعنى أن الملائكة صارت بدورها مطّلعة على التجسد وتخدمه. فالتجسد عمل إلهي بالدرجة الأولى، كما أدركه بولس الرسول على حقيقته: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو٢:٩)

لذلك حينما يقول سفر العبرانيين: «متى أدخلَ **البِكْرَ** إلى العالم» فهو يصف الابن الوحيد بمنظار بشري كبكر الإنسان، الأمر الذي عبَّر عنه المسيح فيما يخص شخصيته بقوله عن نفسه إنه «ابن الإنسان»!! وماذا تعني ابن الإنسان إلاَّ بكر الإنسان؟ ولكنه عاد ينبِّه المعثرين بسبب هيئته البشرية بقوله:

+ «فإن رأيتم **ابن الإنسان، صاعداً، حيث كان أولاً** (حينئذ تعرفون مَنْ أنا).» (يو٦:٦٢)
+ «ومتى رفعتم ابن الإنسان حينئذ تفهمون أني أنا هو.» (يو٨:٢٨)

«العالم»: οἰκουμένην

الكلمة اليونانية لا تفيد العالم **بل المسكونة كلها**، والفارق يهمنا جداً هنا. فالعالم **هو عالم الإنسان** بأرضه وسمائه وشقائه، ولكن المسكونة تفيد **الأرض والسماء** المأهولة بساكنيهما. فالإيكوميني أي المسكونة هنا تُدخل عنصر الملائكة في المضمون. والحقيقة أن نجد المسيح اهتزت له السماء قبل الأرض، لأن تأثير التجسد وعمله الذي أكمله المسيح على الأرض وأنهاه بالصليب والقبر والقيامة والصعود لم يتوقف تأثيره على الأرض فقط، ولا أهل العالم فقط، بل نسمع بكل وضوح:

+ «**لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات "بواسطة الكنيسة"** بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ١٠و١١)
+ «لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي **تجثو باسم يسوع كل ركبة ممّن في السماء** ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض (الأموات)، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ٩ــ١١)

ولقد استخدم بولس الرسول كلمة «المسكونة» وليس «العالم» في سفر الأعمال هكذا: «لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة οἰκουμένην بالعدل» (أع١٧:٣١). وهنا يلاحظ أنه سيدين الملائكة أيضاً.

إذاً، فالملائكة لها دور أساسي في دخول البكر إلى العالم. فالملائكة القديسون يُسبِّحون ويخدمون ويسجدون، والساقطون يُدانون.

ومعروف أن الملاك يسجد لله ولا يسجد لهُ أحد: «فخررت أمام رجليه لأسجد له فقال لي: انظر لا تفعل، أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع، اسجد لله، فإن شهادة يسوع هي روح النُّبوَّة.» (رؤ١٩: ١٠)

«ولتسجد له كل ملائكة الله»:

القول هنا مأخوذ ــ بالإضافة إلى الاقتباس من تثنية ٣٢: ٤٣ ــ من المزمور السابع والتسعين (٩٦ بحسب السبعينية): «اسجدوا لله يا جميع ملائكته». وقد جاءت في الترجمة العربية: «اسجدوا له يا جميع الآلهة»، وهذا هو الأصل فعلاً في النسخة العبرانية، ولكن حكماء اليهود الذين ترجموا التوراة والمزامير إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)، كانوا يدركون أصل المعنى المعروف والمدروس عند الربيين وهو أن «آلهة الأمم شياطين»[40]، أي ملائكة ساقطون، حينئذ عدّلوها على أساس المعنى الحقيقي أنهم ملائكة وليسوا آلهة.

والمزمور هنا يدعو «جميع» الملائكة، والقصد من كلمة «جميع» هو إضافة الملائكة الساقطين مع الملائكة القديسين، الأولون يدعوهم مرغَّبين: «أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز١١٠: ١)، والآخرون مهللين. ونحن رأينا في سجود المجوس للمسيح، وهو في حِجْر أمه في بيت لحم صورةً فعلية لسجود الأمم الذين كانوا يعبدون الشياطين، اعترافاً منهم، وهم صاغرون، بـ «ملك اليهود»، وذلك نبوة عن دخول الأمم في عبادة الله الحي بالإيمان بالمسيح.

أما الملائكة القديسون، فنراهم يظهرون للرعاة ليلة ميلاد المسيح ليخدموا بشارة الخلاص الأولى من السماء، ويقدمون تسبحة المجد لله في الأعالي، ويبشرون بالسلام لساكني الأرض. وهم لم يفارقوا الرب بعد ذلك، إذ نسمع عن مرافقتهم للمسيح وخدمتهم له في صومه المقدس، وفي جثسيماني، وفي القبر، وفي القيامة، وحتى الصعود. لأنه إن كان الملائكة «معيَّنين لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب١: ١٤)، فكم تكون خدمتهم للمخلِّص نفسه؟

40. Westcott, *op. cit.*, p. 24.

ثانياً : آية (٧ ـ ٩) : علو كرامة الابن باعتباره ملكاً ممسوحاً من الله :

تقديم:

لو عدنا إلى الآيات السالفة (٥و٦) التي اقتبسها هذا السفر من العهد القديم ليُثبت بها علو شأن الابن عن الملائكة، لوجدنا أنها اختيرت من مواضع ذات اتجاهات واضحة تفيد أن الـما الابن المقصود هو ملك رفيع الشأن، وأن له سلطاناً فائق القوة، وأنه باني هيكل الله الدائم إلى الأبد، وأن ملكوته لا يزول (انظر ٢صم ٧:١٣). وهذه الأمور لم تتحقق لملك أرضي ظهر في الوجود، ولكنها تحققت بكل عظمتها وثقلها في المسيا المسيح الابن المتجسد، وبالتالي فهي لا تنطبق على ملاك مهما كان.

هكذا يبتدىء السفر هنا أيضاً يضع المقارنة بين ملوكية الابن عالية القدر إزاء وظيفة الملائكة التي للخدمة، أما الابن في ملوكيته فجاء ليؤسس البر الأبدي (٨)، لذلك أُعطي مسحة من القدوس فائقة (٩).

مصادر استشهاد السفر في الآيات ٧و٨و٩:

أولاً: المزمور ١٠٣: ٤ (النسخة السبعينية والنسخة الإسكندرانية).

ثانياً: المزمور ٤٤: ٧و٨ مع اختلافات طفيفة عن النسخة السبعينية.

واستخدام هذين المزمورين يعتبر هاماً جداً، لأن المزمور الأول ١٠٣ هو المزمور الخاص بخَلْق الخليقة، والمزمور الثاني هو مزمور مديح «المملكة الإلهية» **في صورة نشيد في زفاف ابن الملك!** وكلا المعنيين فائق القيمة من جهة موضوع الاقتباس.

فالتشبيه العام محكم والمناسبة غاية في الإبداع تجعلنا مذهلين من براعة الاختيار، علماً بأن أسفار العهد الجديد برُمّتها لا تشير إلى شيء من المزمور ٤٤، مما ينبه ذهننا نحو الرسالة إلى العبرانيين كيف أن الوحي الإلهي أرادها لتكميل صورة الابن لدى كنيسة الدهور، وبالأخص هذه الكنيسة التي نعيشها، التي اهتزت فيها القيم العليا التي للمسيح بسبب كثرة الإثم وبرودة المحبة.

الآيات: بالسبعينية وهي لا تختلف كثيراً عن المترجمة في النسخة البيروتية:

مز ١٠٣: ١ ـ ٤ «باركي يا نفسي الرب. أيها الرب إلهي قد عَظُمْتَ جداً، مجداً
(مز ١٠٤ بالبيروتية) وجلالاً لبستَ. اللابس النور كالثوب ... المسقِّف علاليه بالمياه.

الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح، **الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتهبة ...»**.

مز ٤٤ : ١ ــ ٧ (مز ٤٥ بالبيروتية)

«فاض قلبي بكلام صالح: متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد، ... **كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الاستقامة قضيب ملكك.**

أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل هذا مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك».

الشرح:

٧:١ «وعن الملائكةِ يقولُ الصَّانِعُ ملائكته رياحاً وخدَّامَه لَهيبَ نارٍ».

هنا الأصل في المزمور يعطي انطباعاً عن الملائكة، لا عن تكوينها بل عن خدمتها وعملها، فهي في السرعة وفي عدم رؤيتنا لها وفي قوتها كالريح، وفي رهبتها ونقمتها وعُلُوها وشدة بأسها كالنار الملتهبة. أما نية سفر العبرانيين في اختياره لهذه الآية بالذات فهي محاولة ردّها إلى قوى الطبيعة العادية، فهي لا تزيد عن كونها كالريح أو كالنار في عملها وأدائها، قاصداً من ذلك أن يضعها في المقارنة أمام الابن، الذي يصوره ملكاً مهيباً جالساً على عرشه ثابتاً إلى الأبد.

فإن كانت الملائكة في عملها كالريح وكالنار، فالريح والنار تتغيّر وتتحوّل وتزول. فعملها غير دائم ولا ثابت، أما الابن فهو هو الله على عرشه، السماء تزول وكلمته باقية إلى الأبد لا تزول، والأرض تُطوى وتتغيّر وأحكام الابن تدوم وتبقى. وفي أدب التوراة نرى الملائكة ذات علاقة وطيدة بالريح والنار فنقرأ:

+ «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب، وظهر له **ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلَّيقة،** فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق.» (خر٣: ١و٢)

والذي يُلفت نظرنا هنا أن **«الملاك ظهر بلهيب نار»**، ولكن الجديد علينا أن النار ليست ناراً للحريق **فهي نار الله.** هي قوة سرية من قوى القدير المصنوعة لخدمة الخلاص: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟» (لو١٢: ٤٩)

+ «وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس.» (أع٢: ٢و٧)

هنا واضح اقتران **الريح والنار معاً**، ولكن الملاحظ أن هذه الريح ليست ريحاً معهودة بمعنى الهواء، ولا النار هي نار بمعنى النار المحرقة: «**كما** من هبوب ريح عاصف» (أع٢:٢)، «**كأنها** من نار.» (أع٢:٣)

هذه هي «**ريح الله**»، وهذه هي «**نار الله**»، قوية عاصفة ملتهبة ولكن عملها ليس على مستوى المادة ولا هي مصنوعة من المادة. وهنا نجد الريح الإلهية والنار الإلهية تمهد لحلول الروح القدس **فهي** تخدم الله وتعدُّ لحلوله.

+ «**نهر نار جرى، وخرج من قدامه** ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه.» (دا٧:١٠)

هنا الصلة بين **نهر النار الإلهية** الخارجة من قدام الله وبين ألوف وربوات **الملائكة** والجند السماوي الذين **يخدمون** حضرته، توضح أن هناك علاقة قوية بين عمل النار الإلهية وعمل الملائكة. وهكذا نقترب جداً من فهم قول سفر العبرانيين: «الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار». صحيح أن المعنى والعلاقة يلفها الغموض، ولكن هذا شأن عمل الروح كما أوضحه المسيح تماماً.

+ «الريح تهبُّ حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح.» (يو٣:٨)

إذاً، فعمل الملائكة الذي يمثَّل بالريح يخدم ميلاد المؤمنين من الروح القدس.
لذلك سنسمع سفر العبرانيين يقول في الآية ١٤ : «أليس جميعهم أرواحاً (رياحاً) خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟».

نخرج من هذا بأن الآية (٧) المشار إليها تعطي انطباعاً قوياً أن الملائكة لها صفات تقترب جداً من الريح والنار، ولكنها ليست ريح هواء، ولا نار وقود، بل ريح الله وناره. وهي بهذا وتلك تخدم أعمال الله بل وتخدم خلاص المفديين **فهي** أقل من الفادي والمخلِّص.

٨:١ «وأمّا عن الابن: كرسيُّك يا الله إلى دَهرِ الدُّهورِ، قضيبُ استقامةٍ قضيبُ مُلكِكَ».

إن كلمة الأساس في هذه الآية التي تبرق من وسط الكلام وكأنها شمس وهّاجة توقظ العين المتغافلة هي «يا الله»، يسبقها «الابن»!!

هنا بعد أن قدَّم الملائكة بصفتها مرسلة بخفة الرياح وقوة النار، يلتفت إلى الابن ليخاطبه: «يا الله كرسيك قائم إلى الدهر»!! بمعنى أن الكل يتغيّر ويتحوّل، وأما أنت أيها الابن فعرشُك عرش الله باقٍ إلى الأبد. أيّ ملاك يُساوى بك وأنت الله وهم خدامك، أنت الابن المتجسد استويت على العرش في يمين الله وأُعطيت مُلْك الدهور، قصبة الملك التي بها تحكم هي برُّك واستقامة عدلك.

ويلزم أن نتذكر هنا دائماً أننا بصدد مزمور نشيد في زفاف ابن الملك داود ـ أي سليمان ـ والتعظيم مزدوج كونه جالساً على عرشه يملك باستقامة، وكونه تُوِّج عن جدارة برّه ومُسح بمسحة الابتهاج. ولكن الأوصاف كلها رُفعت مرة واحدة من فوق هامة سليمان لتوضع بالنبوة على هامة المسيح، فعوض عرش سليمان صار عرش الله. وهنا لا يمكن أن يغيب عن بالنا مزمور داود الذي تمسَّك به المسيح ليحقق به لليهود أنه هو رب داود، وإن كان ابنه، هكذا: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ قالوا له ابن داود. قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربّاً قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه؟» (مت ٢٢: ٤١ـ٤٥). ففي هذا المزمور حقائق أساسية هامة للغاية تفيدنا هنا ودائماً، أن المسيح ابن داود حقاً بالجسد وهو ابن الله ورب داود وكل الناس أجمعين، وهو معادل لله في الكرامة: «قال الرب لربي» دون أي تفريق في اللقب، ثم: «اجلس عن يميني»، فهو معادل لله كياناً ووجوداً ومُلكاً ومجداً، وأن عرش الله عرشه، وأنه سيسود في النهاية على كل أعدائه.

إذاً، ففي استشهاد سفر العبرانيين بهذا المزمور ٤٥ تكميلٌ وتحقيقٌ لمزمور ١١٠ الذي استشهد به المسيح لنفسه. فإن كان داود سمع من فم الله بالوحي القول: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني» كعمل آتٍ، حتماً آتٍ، فهنا بالنبوة وبالروح يخاطبه «جالساً» كعمل أُكمل، ولكن بالرؤيا ومن بعيد، وأعداؤه تحت قدميه!! يباشر مُلْكَه باستقامة قلبه. وفي الاثنين أين يمكن أن توضع الملائكة إلاّ لتسبيح الملك وخدمته؟

وليس سفر العبرانيين فقط الذي قالها صراحة وبقوة ويقين مدروس وموثّق أن المسيح هو

الابن، والابن والآب واحد «**فهو الله**». فبولس الرسول في رسالته إلى رومية يقولها أيضاً صراحة وبقوة:

+ «ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد **الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين**.» (رو٩: ٥)
+ وأيضاً: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور **مجد الله العظيم ومخلّصنا**، يسوع المسيح.» (تي٢: ١٣)
+ والقديس يوحنا يبدأ بها إنجيله: «في البدء كان الكلمة ... **وكان الكلمة الله**.» (يو١: ١)
+ «أجاب توما وقال (للمسيح): **ربي وإلهي**.» (يو٢٠: ٢٨)
+ «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر **إلهنا والمخلّص يسوع المسيح**» (٢بط ١: ١). (يُلاحظ في اليونانية أنه لا توجد أداة التعريف «أل» لكلمة «**مخلّص**»، لهذا يتحتّم أن تكون الترجمة: «ببر إلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح»).

١: ٩ «**أحببتَ البرَّ وأبغضتَ الإثمَ، من أجلِ ذلكَ مَسَحَكَ اللهُ إلهُكَ بزيتِ الابتهاجِ أكثرَ من شركائكَ**».

«أحببت البر وأبغضت الإثم»:

هنا يُلقي الوحي أمامنا برسالة، وما أعظمها رسالة! فهو يلهمنا أن بغضة الإثم لا تأتي من ذاتها ولا تأتي أولاً، بل تأتي محبة البر أولاً وبالأساس. ومحبة البر هي التي تعطينا، لا بغضة الإثم وحسب، بل وتحصّننا ضده. وهذا في الحقيقة أساس منهج الأخلاق في المسيحية وكل الفضائل. فإن أحببت القداسة أبغضت النجاسة، وإن أحببت الصدق أبغضت الكذب، بل وإن أحببت الله أبغضت العالم، بل وإن شبعت من الله صُمت عن الطعام. وهكذا فالمسيحية لا تؤمن بأن السلبيات لها وجود إلاّ في غياب الإيجابيات. فإن حضر النور غابت الظلمة، وإن ظهر الحق ولّى الغش والخداع. لذلك فمبتدأ طريق النسك المسيحي هو محبة الله. ويقول في ذلك القديس أغسطينوس: «أعطني المحبة واصنع بي ما شئت». وهي على التوازي مع: «**أعطني الحياة وألقني في البحر**». فالتحصُّن ضد الخطية هو بالتمسك بالله.

ومن هنا يصير كريماً في أعيننا أن يكون المسيح حبيب البر، من أجل ذلك كان باراً ويبرِّر الكثيرين. **أما بغضة الإثم فلم يُعْلَنَ عنها بالفم، ولكن أُعلِن عنها على الصليب!** وكل إنسان إذا أبغض الإثم كفّ عنه، أما هذا الملك الفادي الذي ملأ البر حياته فأعلن عن بغضة الإثم بأن

حمله في جسده ومات، فأمات الإثم وأسس البر كحياة. فالبر والإثم معاً هما المضادة التي أنشأت معادلة الصليب التي أخرج منها المسيح نصرة القيامة وسيادة الحياة الأبدية. وهل ننسى أن رمز المسيح منذ القديم هو ملكي صادق أي **ملك البر**!

+ «ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. **ولذّته تكون في مخافة الرب**، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون **البر منطقة** (حزام) **متنيه** (وسطه) والأمانة منطقة حقويه.» (إش١١: ١ــ٥)

«مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج»:

«مسحك»: Ἔχρισέν σε

هنا نأتي إلى **كلمة السر**، إذ من خلال الألفاظ والأفعال يبرز اسم المسيح ولقبه. فإن كان الأنبياء والملوك ورؤساء الكهنة يُمسحون بزيت المسحة على يد الأنبياء ليكونوا مسحاء الله، وإن كان زيت المسحة لا يخرج في تركيبه عن زيت الزيتون المطيّب بالعقاقير والأفاويه، فإنه هنا هو **زيت البهجة** أو الابتهاج ἔλαιον ἀγαλλιάσεως.

+ «روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب مُنكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. لأنادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا. لأعزي كل النائحين، لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد **ودهن فرح** ἄλειμμα εὐφροσύνης عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة، فيُدعون أشجار البر، غرس الرب للتمجيد.» (إش٦١: ١ــ٣)

ويلاحظ هنا أن الذي مسحه هو الرب، فهي مسحة من العُلا، ومن يد العلي، وإن كانت في مظهرها على يد المعمدان.

أما متى مُسح المسيح وبأي زيت مُسح، فالمعروف في اللاهوت أنه مُسح على نهر الأردن، والذي مسحه نبي الأنبياء «الأعظم من نبي» يوحنا الصابغ السابق. وكما كان بمجرد مسح الملك أو النبي أو رئيس الكهنة يحل عليه روح الله ويُعلَن ملكاً أو نبياً أو رئيس كهنة، فالرب مُسح على

يد المعمدان فحل الروح القدس جهاراً من السماء وبصوت مسموع وأعلن الآب أن: «**هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت**» (مت٣:١٧). وهكذا **استُعلن** المسيح أنه ابن محبة الله، واستُعلنت المسحة أنها مسحة لسرور الله، وهكذا نُصِّب المسيح ملكاً ونبياً ورئيس كهنة معاً، فكانت مسحة ولا كل أنواع المسحات، ومسيحاً ولا كل المسحاء، وكان نبيًّا ولا كل الأنبياء، وملكاً أعلى من كل ملوك الأرض!

وهكذا صحَّ فيه القول: «**مسحك الله إلهك أكثر من شركائك**»، فكل أنبياء العهد القديم وكل ملوكه الأتقياء ورؤساء كهنته الشرفاء هم شركاؤه حقاً؛ إذ خدموا مجيئه وأعدوا له وأعادوا قلوب الآباء على الأبناء. فكلهم خدموا وظيفتهم، وفوق وظيفتهم لم يخدموا إلاَّ هذا المسيح العجيب، إذ بمسحته مسحنا معه ملوكاً وكهنة لله أبيه. فأي نبي وأي ملك وأي رئيس كهنة وأي ملاك يدانيه؟

+ «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة **وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة**.» (رؤ٥:٩و١٠)
+ «وأما أنتم فجنس مختار، **وكهنوت ملوكي**، **أمة مقدسة**، **شعب اقتناء**، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط٢:٩)
+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين **البِكْر من الأموات ورئيس ملوك الأرض**، الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه **وجعلنا ملوكاً وكهنة** لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين.» (رؤ١: ٥و٦)

هكذا تفجَّرت مسحة المسيح لتملأ وجه الأرض بهجةً وعزاءً وسروراً وتحقَّقت رؤيا إشعياء وأكثر.

ثالثاً: آية (١٠ــ١٢): علو كرامة الابن باعتباره الأزلي خالق الكون ومقارنته بالفانيات:

١٠ : «وأنت يا رب (المسيح) في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك»،
١١ : «هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى»،
١٢ : «وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى!»

تقديم:

في كلمة بسيطة للغاية يريد سفر العبرانيين أن يقول: إن مسيحنا هذا الذي نعبده وإن بدا في هيئة إنسان، فهو هو الابن الذي اضطلع بخلقة الكون بسمائه وأرضه، لذلك وجب علينا أن لا نغرق قط في عمل أية مقارنة بين هذا الإنسان الذي تعالى فوق السموات وجلس على عرش العلي عن جدارة فهو الابن، وبين أيٍّ من المخلوقات طُرّاً، إنْ في السماء أو في الأرض أيّاً كان:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكلُّ به وله قد خُلق.» (كو١: ١٥و١٦)

وهذا هو المسيح الذي تسجد له كل ملائكة الله، ويعبده كل لسان وأمة، وتنحني له كل ركبة ما في السموات والأرض: «إذ أقامه (الله) من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه ...» (أف١: ٢٠ــ٢٢). وهذا كله ليس ترقيةً له مما هو الدون إلى الأعلى حاشا، لأنه: «**الذي نزل** (أولاً) هو الذي صعد أيضاً.» (أف٤: ١٠)

+ «إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب! **لذلك رفّعه الله أيضاً**، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب.» (في٢: ٦ــ١١)

وسفر العبرانيين جمع هذه الآيات الثلاث (١٠و١١و١٢) من مزمور ١٠٢: ٢٥ــ٢٧ التي جاءت هكذا:

+ «من قِدَمٍ أسست الأرض والسموات هي عمل يديك.
هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيّرهن فتتغيّر،
وأنت هو، وسنوك لن تنتهي!»

هذا المزمور ١٠٢ الذي اختاره سفر العبرانيين لينتخب منه هذه الآيات ١٠و١١و١٢ عنوانه: «صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه لدى الله» وهو في الحقيقة يطرح أنينه نحو الله، وهو كواحد من المسبيين، ليتراءف الله ويعود وينجي صهيون جبل قدسه ... ثم ينتقل من انسحاق حاله وذلّ سؤاله وزوال مآله إلى مديح الرب وتمجيد جلاله ودوام بقائه. وهذا يُحسب أنه أدب صلاة. ولكن في صلاته وهو يدعو الرب لكي يتحنن ويأتي ليعيد مجده في صهيون جبل قدسه، أعطى للرسل القديسين مدخلاً ليروا في المسيح ــ لما أتى بالفعل وأعلن مجده ورفع شأن شعبه ــ أنه هو هو الرب الذي دعاه صاحب المزمور وغيره من الذين ترجّوا في القديم وجه الرب «يهوه» ليأتي ويصنع مثل هذا الخلاص. وإليك الأمثلة:

+ «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله **جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربّاً ومسيحاً** (مسيا).» (أع٢:٣٦)

بمعنى أن كل ما وعد به الأنبياء في كافة الأسفار أن «يهوه» الرب سوف يأتي ويخلّص شعبه، قد تمَّ في يسوع الذي صلبتموه إذ «جعله» أي استعلنه أنه هو هو الرب وهو المسيّا. كذلك فإن كل ما جاء على لسان «**يهوه الرب**» أنه سيخلّص وسيفدي إسرائيل، وأنه سيتمجّد في الأمم، أو أن الشعوب ستخضع ليهوه، فلما أكمل هذا كله يسوع المسيح أدرك التلاميذ والرسل جميعاً أن يسوع المسيح هو هو «يهوه الرب» بكل يقين وتأكيد.

+ «فلما سمعوا (الرسل) رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا: أيها السيد أنت هو الإله صانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها **القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكّر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً "على الرب وعلى مسيحه"، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك "القدوس يسوع" الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل** ...» (أع٤: ٢٤-٢٧)

واضح هنا أن الرسل لما طبّقوا ما فعل هيرودس وبيلاطس ورؤساء الكهنة بالمسيح وصلبوه على ما سبق وقاله الله أنه سيحدث ويتم في **الرب ومسيحه**، أدركوا أن يسوع هو المسيح وهو الرب بكل يقين.

والآن نرى في هذا المزمور ١٠٢ أنه صلاة بالروح بانسحاق قلب لنبي في السبي يطلب من الرب أن يعود ويرحم صهيون أو بالحرف الواحد: «أنت تقوم وترحم صهيون لأنه وقت الرأفة لأنه جاء الميعاد» (مز١٠٢: ١٣). ويرى هذا الرائي المتنبىء والمصلي أن الرب إذا فعل هذا وقام ورحم صهيون، فإن كل الأمم سيخشون اسمه وكل ملوك الأرض يخشون مجده: «فتخشى الأمم اسم الرب وكل ملوك الأرض مجدك.» (مز١٠٢: ١٥)

ثم عاد في صلاته يخاطب الرب نفسه بالآيات ٢٥و٢٦و٢٧ باعتباره أنه خالق الكون، وأن الكون يتغيّر أما هو فباقٍ يدوم إلى الأبد.

فلما كان من سفر العبرانيين إلاَّ أنه لما طبّق هذه الصلاة على واقع يسوع المسيح باعتباره أنه هو الذي تحنن ونجّى صهيون وخضعت له الأمم والشعوب، ومجّده ملوك الأرض، ثم وجد أنه تم التطابق بالحرف الواحد، أضاف بالتالي وبالضرورة الحتمية بقية الصلاة عن صفات الرب، وذلك لحساب المسيح أي الابن أنه الخالق والدائم إلى الأبد.

الشرح:

١٠:١ «وأنتَ يا ربُّ في البدءِ أسستَ الأرضَ والسمواتُ هي عملُ يديْكَ».

«و»: καί

هنا الواو كحرف عطف تربط الآتي بالسالف ربطاً وثيقاً مع أن الكاتب يدخل في موضوع جديد للابن، لأن ما فات كان بحسب الابن بعد تجسده، أما هنا فيرتفع مرة واحدة ليرى الابن قبل تجسده خالقاً مبدعاً الكون بسمائه وأرضه. وكأنما يأخذنا إلى بداية سفر التكوين: «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك١: ١). ولكن هنا باعتبار الابن هو الفعل الذي أكمل فكر الله الآب.

«أنت يا رب»: σὺ κύριε

هنا يتحتم علينا أن نفسّر هذه المقولة لأنه يوجد سؤالٌ ملحٌّ:

مَنْ الذي يتكلم؟

يقول العالم وستكوت(٤١): إن الروح هنا يتكلم على فم مؤلف المزمور (نبي من السبي)، وفي

41. Westcott, *op. cit.*, p. 27.

الحقيقة الأكثر قدماً وعمقاً أن لا «واو» الإضافة ولا كلمة «الرب» كانت واردة في الأصل العبري بحسب أدب اللاهوت العبري القديم أنه لا ينبغي أن يذكر اسم الله(٤٢). ولكن المترجمين السبعين أشفقوا على اليهود المتغربين الذين جهلوا هذه الأصول اللاهوتية القديمة، ولم يعودوا يقرأون العبرية وصارت اليونانية لغتهم، لذلك أضافوا كلمة «الرب» للإفادة عن المخاطب في ذهن النبي بالروح. أما الواو فهي إضافة من كاتب سفر العبرانيين.

«في البدء»: κατ' ἀρχάς

وفي اللاتيني الفولجاتا = in principio ، وفي اللاتيني القديم initiis = O.L. .

«أسست الأرض والسموات هي عمل يديك»:

يلاحظ هنا أن «في البدء» تحاكي بداية سفر التكوين، كما تطابق بداية إنجيل يوحنا. ففي «البدء» في سفر التكوين واضح أن الله هو خالق السموات والأرض، وفي «البدء» في إنجيل يوحنا واضح أيضاً أن خالق «كل شيء» السموات والأرض وكل ما فيها هو الكلمة «الله» الابن.

هذا التقابل اللاهوتي البديع لم يَغِبْ عن فكر سفر العبرانيين، فهنا ينسب إلى الابن خَلْق السموات والأرض. هذا كله ليوضح طبعاً ارتفاع شأن الابن فوق الملائكة وكل مخلوق حي! لأن في قوله: «والسموات هي عمل يديك»، ينخرط تحتها بالضرورة كل الملائكة ورؤساؤها. ولكن لا ينبغي أن ننسى أنه أوضح في الآية الثانية عمل الله والابن معاً في الخلقة العامة لكل العالمين هكذا: «في ابنه ... **الذي به عمل العالمين**». هنا خلقة العالم موضحة **كإرادة وفعل، كمشيئة وعمل، كفكر وتنفيذ**، الآب والابن. فالآب بالابن خلق العالم، والابن خلق العالم بتدبير الآب حسب ما عبَّر عنه المسيح تماماً: «كما أوصاني الآب هكذا أفعل» (يو١٤: ٣١)، «ولست أفعل شيئاً من نفسي» (يو٧: ٢٨)، ثم: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو٥: ١٧)، وأخيراً: «أنا والآب واحد.» (يو١٠: ٣٠)

لذلك لا يستغرب القارىء أن كل ما قيل في العهد القديم عن أن الله عمله، يأتي العهد الجديد و ينسبه إلى الابن، وليس ذلك فقط بل كل أوصاف وألقاب «يهوه» في القديم بل واسمه

(٤٢) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢٠ و ٢٢١.

الشخصي «أنا هو» تُنسب في العهد الجديد للابن بلا حرج. وهذا ما حدا ببولس الرسول، ذلك الفريسي المتمرِّس في أسفار العهد القديم وأسراره، أن يقول بكل اختصار وكل قوة الاستعلان أن: «الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦). وما معنى هذا إلاَّ أن كل ما عمل الله ووعد الله أن يعمله في القديم صار يُنسب للابن المتجسِّد بكل ارتياح وتأكيد.

ثم ينتقل هذا السفر البديع نقلة جدًّا مثيرة لذكائها الذي يُبهر الدارس. إذ كأنه يقول لك: وما رأيك في هذه السموات والأرض بأُسسها الثابتة القوية التي تبدَّل عليها وتغيَّر مئات الأجيال وأُلوفها وهي قائمة كما هي؟

انظر هذه كلها، فالتغيير يعتريها والزوال مآلها حتماً، أما الابن خالقها فيبقى!!

١١:١　　«هي تبيدُ ولكن أنت تبقَى وكلُّها كثوبٍ تَبْلَى».

هنا يعقِّب على الأرض والسماء ولكن السماء بالأكثر. فيقول هذه التي تراها وكأنها ثابتة ثبوت الدهر، هي في حقيقتها تَحُول كما يَحُول الدهر، فتلتفت ولا تجدها:

+ «ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأُولى والأرض الأُولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد.» (رؤ٢١: ١)

+ «لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم (الجديد) واسمكم (الجديد).» (إش٦٦: ٢٢)

«تبيد»: ἀπολοῦνται من أصل كلمة يحلُّ أو يفك.

أتت في الترجمة الإنجليزية بمعنى تهلك perish، ولكن من المقابل الذي جاء لها وهو أنت «تبقى» يُفهم منها معنى الانحلال أو عدم الديمومة بشكلها الحاضر. فالذي يبيد منها هو مظهرها المادي الذي يعطيها طبيعة الفناء أو الزوال أو عدم الديمومة.

ومن الآيات أعلاه (رؤ٢١: ١، إش٦٦: ٢٢) يُفهم أن الأرض ستتغيَّر إلى أرض جديدة، والسماء ستتغيَّر إلى سماء جديدة. وهذا يعني في المفهوم الروحي الفائق للطبيعة في المحيط التصوفي الرؤيوي أنه سيحدث لها تجلٍّ Transfiguration[43] («تغيَّرت هيئته» ــ مت١٧: ٢)، فلا يُرى منها إلاَّ جوهرها الحقيقي أي الحق والحب والبر، وتذهب اللعنة منها، ويذهب منها الموت أيضاً.

43. Westcott, op. cit., p. 28.

اسمع إشعياء النبي وهو يصف هذا التغيُّر العجيب:

+ «ويسمي عبيده اسماً آخر، فالذي يتبرّك في الأرض يتبرّك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نُسيت ولأنها استترت عن عينيَّ، لأني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هأنذا خالق أورشليم بهجةً وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.» (إش ٦٥: ١٥ـ١٩)

هذه المعاني المشوّقة للأرض الجديدة والسماء الجديدة لم تبقَ مغلقاً عليها في عالم الخيال، بل حدث في حياة القديسين أن رأوا بالروح وعاشوا وعايشوا الطوباويين في أرض الطوباويين، وتمتعوا بنسمات هذه الحياة في هذه الأرض التي يسكن فيها البر. وقد أتحفنا كتاب بستان الرهبان بقصة مقارة الكاتب وهو قديس رؤيوي عاش حقبة زمنية لا يُدرك مداها مع هؤلاء الطوباويين وعمل معهم في «الحديقة الكونية» التي بعد أن خرج منها لم يعثر لها على مِدَقّ يصل إليها، بعد أن عرف الطريق الذي انتهى به إلى الأسقفية.

وهذه التطلعات التي هي أشهى عند القديسين من شهد العسل ليست خيالات رهبان متصوفين، بل هي حقائق عاشها بطرس الرسول وتطلّع إليها بأشواق مماثلة:

+ «فبما أن هذه كلها تنحل λυομένων ، أيَّ أناسٍ يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى منتظرين، وطالبين، سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات ملتهبةً والعناصر محترقةً تذوب (صحتها بحسب النص اليوناني هكذا: السموات تشتعل وتنحل οὐρανοὶ πυρούμενοι λυθήσονται والعناصر تحترق وتذوب καὶ στοιχεῖα καυσούμενα τήκεται) ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدةً وأرضاً جديدة يسكن فيها البر.» (٢بط٣: ١١ـ١٣)

وهذا الوصف العلمي الذري المبدع للقديس بطرس الذي عالج به كيفية زوال مظهر الكون بالانفجار الذري، ربما بعمل إنسان أو بإرادة خالقه، هذا الوصف العلمي يراه الرؤيويون الصوفيون ذوو الجلاء البصري والانفتاح بالوعي الروحي أنه تجلٍّ Transfiguration، حيث تتلاشى منه الأقنعة الظاهرية التي صُنعت من المادة التي ستذوب وتنحل، لكي يبقى جوهره المنظور بالعين الروحية حيث جماله سيكون أضعافاً مضاعفة.

ولكن نعتقد أن القديس بطرس استمار تعليله العلمي لانحلال الكون من نبوة إشعياء النبي:

+ «ارفعوا إلى السموات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت. **فإن السموات كالدخان تضمحل والأرض كالثوب تبلى** وسكانها كالبعوض يموتون. أما خلاصي فإلى الأبد يكون وبِرِّي لا يُنقض.» (إش٥١: ٦)

هنا يوضح إشعياء النبي بأية صورة ستضمحل السموات، مشبِّهاً ذلك بالدخان الذي هو الحصيلة الأخيرة للحريق.

ولكن الذي يسترعي نظرنا في هذه النبوة هو نهاية الأرض التي تضمحل كما يضمحل الثوب من القدم، هنا التغيُّر يتضح فيه اضمحلال الشكل والمظهر.

ثم يعود إشعياء ليصف كيفية قيام السماء الجديدة والأرض الجديدة كما يغرس الإنسان بذرة، ثم يراها وإذا هي تنمو كغرس جديد. تماماً كما يصف بولس الرسول الجسد الجديد للإنسان:

+ «الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت، والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد.» (١كو١٥: ٣٦ـ٣٨)

يقول إشعياء النبي ــ الله يخاطب المسيا:

+ «قد جعلتُ أقوالي في فمك وبظلِّ يدي سترتُك، **لغرْس السموات وتأسيس الأرض ...**» (إش٥١: ١٦)

وأخيراً يعطي سفر الرؤيا المنظر الأخير للسماء الجديدة والأرض الجديدة والرب جالس على عرشه، ولا سماء أحزان ولا أرض شقاء بعد:

+ «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع.» (رؤ٢٠: ١١)

«ولكن أنت تبقى»: διαμένεις

هذا التعبير الأخروي عن دوام الرب، المسيح المتجسد، هو مأخوذ أولاً من روح العهد القديم بأجمعه ثم صار أساس التقليد اليهودي عن المسيح: «قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت. فأجابه الجمع **نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى** μένει إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان. مَنْ هو هذا ابن الإنسان؟» (يو١٢: ٣٣و٣٤). ومعنى

«البقاء» هنا يأتي في المصطلح اللاهوتي عند القديس يوحنا بمعنى **الثبوت** الدائم، كما يقول بطرس الرسول: «وأما كلمة الرب **فتثبت** μένει إلى الأبد» (١بط ١: ٢٥). وبطرس الرسول استعارها من إشعياء النبي: «كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. ييبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه، حقاً الشعب عشب. ييبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد μένει εἰς τὸν αἰῶνα.» (إش ٤٠: ٦–٨)

أما المزمور فهو يرى في الرب غير ما يرى في كل خلائقه بما فيها السموات ومَنْ فيها. فهذه كلها تتغيَّر وتتحوَّل، والأرض تفنى وتزول، أما الرب فهو في عُرْفه «**يبقى**»، بمعنى أن ثبوته مُحقَّق إزاء كل تغيير وزوال!

أما سفر العبرانيين في اقتباسه هذا **البقاء** بالنسبة للرب فسوف يعبِّر عنه بعد ذلك أنه «بقاء عمل»، كرئيس كهنة إلى الأبد. حيث عمله الذي أتمه في عمق الزمن هو الكفَّارة عن كل بني الإيمان وحيث عمله الدائم هو الشفاعة حتى التمام:

+ «فمن أجل أنه **يبقى** τὸ μένειν αὐτὸν **إلى الأبد**، له كهنوت **لا يزول**، فمن ثم يقدر أن يخلِّص أيضاً **إلى التمام** الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب ٧: ٢٤و٢٥)

«وكلها كثوب تبلى»:

«تبلى» أي «تتقدم وتتهرأ» παλαιωθήσονται. هنا تشبيه، جزؤه الأول غائب وهو يصف الرب: «اللابس النور كالثوب» (مز ١٠٤: ٢). وفي المقابل، فالخليقة وخاصة الأرضية وإن ظهرت لابسة أثواباً من الجمال والإبداع المخلوق، فهي تخلع سريعاً جمالها وتطرحه أرضاً في التراب، وحتى قبل أن تخلعه يشيخ عليها ويفقد كل حسنه وجماله. فإن قال الرب واصفاً زنابق الحقل: «ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها» (مت ٦: ٢٩)، ولكن يرد عليه المزمور: «بالغداة كعشب يزول، بالغداة يزهر فيزول» (مز ٩٠: ٥و٦)، فتُطرح الزنابق والعشب كلاهما غداً في التنور (مت ٦: ٣٠).

بل والأرض بكل ملئها يقول المزمور عنها: «المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الأبد إلى الدهر والأبد. كسَوْتها الغمر كثوب» (مز ١٠٤: ٥و٦). ولكن كم من نهر جف، وكم من مياه انحسرت فجفت الأرض وتعرَّت. بل والأرض نفسها تبلى: «**والأرض كالثوب تبلى.**» (إش ٥١: ٦)

وأيوب يصف حاله بعد أن مسته يد القدير بالتجربة فصرخ: «وأنا كمتسوِّس يبلى، **كثوب أكله العُث**.» (أي١٣: ٢٨).

وهكذا نرى وصف الخليقة بكل صنوفها في الأدب القديم كالثوب الذي يبلى.

وقد استخدم سفر العبرانيين هذا المعنى أي «البلى» من «القِدَم» و «العتق» أو «الشيخوخة» في مواضع أخرى منها:

+ «فإذ قال جديداً (عهداً جديداً) «عتَّق» الأول πεπαλαίωκεν وأما ما عتق παλαιούμενον وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.» (عب٨: ١٣)

وقد استخدم الرب في إنجيل القديس لوقا هذا المعنى في وصف عدم البلى أو عدم الفناء للكنز الذي يحفظه الإنسان بدموعه وصومه وصلاته ومحبته وخيريته وبذله في السماء هكذا: «بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة، اعملوا لكم أكياساً لا تفنى μὴ παλαιούμενα وكنزاً لا ينفد في السموات ...» (لو١٢: ٣٣)

ولعل أعنف وصف عن بلاء الناس وفنائهم جاء بفم المسيا في نبوة إشعياء وهو يتحاجج مع مقاوميه في مستقبل الأيام بقوله: «هوذا السيد الرب يعينني. مَنْ هو الذي يحكم عليَّ؟ هوذا كلهم كالثوب يبلون يأكلهم العث» (إش٥٠: ٩). انظر الآن، عزيزي القارىء، وتفكَّر أين هيرودس؟ أين بيلاطس؟ أين شيوخ إسرائيل ورؤساء الكهنة الصارخون اصلبه اصلبه وأطلِق لنا باراباس؟ كيف طوت السنون ذكرى هؤلاء وأبلى التراب لحمهم وفخرهم وصار اسمهم خزياً للعالمين؟ ثم انظر الآن أيضاً وتفكَّر في الجالس عن يمين العظمة في السموات يهب العطايا ويصفح عن الخطايا ويشفع في المذنبين!

١٢:١ «وكرداءٍ تطويها فتتغيَّرُ ولكن أنتَ أنتَ وسِنُوكَ لن تَفْنَى».

«كرداء تطويها»: ὡσεὶ περιβόλαιον ἑλίξεις

هنا المزمور في الأصل يستهين بثبات السماء وثبات الأرض في أعيننا وإحساسنا، ويعطيها مثلاً يوضح مدى الاستخفاف بهذا الثبات الراسخ في أعيننا فيصوِّرها كرداء وهو ما يُلبس من الخارج ويكون ذا مظهر جذَّاب لامع كلباس الملوك، ثم تقع تحت يد الزمن واليد العليا التي تنهي مصيرها الشكلي الكاذب فيطويها الله كما يطوي الإنسان الرداء إذا بلي وتهرأ ليُلقيه في الإهمال والنسيان.

وتصوير طيِّ السماء وتغيُّرها يصفه إشعياء بوضوح هكذا: «ويفنى كل جند السموات **وتلتف السموات كدَرْج** ἑλιγήσεται ὁ οὐρανὸς ὡς βιβλίον » (إش٣٤:٤). (والدرج في القديم هو الكتاب من ورقة واحدة **يطوى** على هيئة ملف).

وهنا الطي قد يكون بمعنى الزعزعة أيضاً أي الفناء الأخير، ولكن يفيد هنا التغيير من قدم الزمن. والجيولوجيون يخبروننا أخباراً عجيبة عن شكل الأرض قديماً كيف كانت الهند ملتصقة تماماً بساحل أفريقيا الشرقي، والأمريكتان كانتا ملاصقتَيْن لأوروبا وأفريقيا من غرب، ووسط المحيط الأطلسي كانت هناك قارة عظمى تسمى «أطلنتا»، التهمها المحيط إثر زلزال مريع أخفاها في باطن المحيط، كذلك مجرَّات السموات منها ما زال واضمحل منذ آلاف السنين ولا تزال أنوار نجومه تصل إلينا مع أنها احترقت وتركت مكانها، بل ويقولون إنه لا يزال إلى الآن جزر جديدة تظهر من باطن المحيطات ثم يخضر وجهها بالمزروعات بعد أن كانت في عالم اللاموجود. وهكذا صحَّ قول المزمور وقول إشعياء النبي إن العالم كثوب جميل يطويه الرب ἑλίξεις **فيُطوى** وكل ما فيه يتغيَّر.

وواضح أن فكر سفر العبرانيين هنا يرتبط بمعنى التغيير في مقابل عدم التغيير بالنسبة للرب.

«ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى»:

كلمة **«ولكن»** مضافة في الترجمة العربية إذ ليس لها وجود في الأصل اليوناني.

«أنت أنت»: σὺ ὁ αὐτός

يُلاحَظ أن **«أنت»** غير مكررة في الأصل — وترجمتها الحرفية جميلة جداً وذات قوة ومعنى لاهوتي إذ تُترجم: «وأنت هو» التي هي بدورها مردودة إلى أصلها «أنا هو ἐγώ εἰμι »، وهذا هو اسم يهوه الله في القديم الذي تفسيره «أنا الكائن بذاتي»(٤٤). وهكذا تصبح «أنت أنت» معناها أنت يهوه أنت الله الكائن بذاته. حيث الكينونة الذاتية تعني أنه يستمد وجوده من ذاته لا من زمن ولا من قوة خارجه، وبالتالي وبالضرورة فهو يستحيل أن يتغيَّر أو يؤثِّر فيه الزمن أو أية قوة خارجة عنه. هنا إبداع حقاً. وفي هذا يقول إشعياء:

+ «مَنْ فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء أنا الرب الأول ومع الآخرين **أنا هو**.» (إش٤١:٤)

(٤٤) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص٢١٨–٢٤٦.

+ «أنتم شهودي يقول الرب وعبدي (المسيا) الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا **هو.**» (إش٤٣: ١٠)
+ «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوتُه، **أنا هو،** أنا الأول وأنا الآخِرُ ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات.» (إش٤٨: ١٢و١٣)

هذا الثبات الذي يقصده الوحي من جهة الابن ظهر لنا في العهد الجديد بوضوح في المسيح الذي عبَّر عنه هو نفسه: «أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به» (يو٨: ٢٥)، بمعنى أن كلمتي لا تتغيَّر. ثم: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» (مت٢٨: ٢٠)، «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤: ٣٥). وهو أيضاً ما عبَّر عنه سفر العبرانيين: «يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.» (عب١٣: ٨)

ونحن في الحقيقة لا نريد أن تفوت علينا هذه الفرصة لنعبِّر عن هذا الثبات العجيب والديمومة السعيدة التي لابن الله ليس في ذاته فحسب بل ومعنا. فإن كان المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، وأنه أيضاً وبحسب وعده معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر، فأي مكسب نكسبه من هذا الثبات وهذه الديمومة؟ أليس أن طبيعة الابن الكائنة بذاتها تكون قد نضحت علينا من ثباتها؟ فلماذا نتزعزع في وجه الصعاب ونرتعب من عنف العواصف الهوجاء التي يثيرها علينا العالم ورئيس هذا العالم مع أن يد المسيح ممسكة بنا؟ ثم أليس هو القائل لا يستطيع أحد أن يخطفكم من يدي (يو١٠: ٢٨)؟ أمَّا كيف ندخل مجال هذه اليد الإلهية الفائقة القوة والوصف، فهو اختبار واحد نطرحه أمامك، أيها القارىء العزيز، وهو أن نلقي بكل أنفسنا مرة واحدة بكل إيماننا وكل ثقتنا وكل عزيمتنا على هذه الذراع الممدودة واليد القادرة أن تلتقط من فوق هوة هذا العالم. هذا لو صحَّ إيماننا وطرحنا أنفسنا عليه دون شك أو ارتياب أو حساب للمخاطر!

رابعاً: الآيات (١٣و١٤): تفوُّق الابن وعلو كرامته بجلوسه على العرش (عن يمين الآب) في جلال الملوكية، تعبيراً عن النصرة:

١٣ : «ثم لمَنْ من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».
١٤ : «أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مُرسَلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص!».

تقديم:

هنا يقتبس سفر العبرانيين من المزمور الشهير ١١٠ الذي صار معتمداً لدى كافة الأسفار في العهد الجديد، كونه أُخذ كقضية مسلَّمة من فم الرب نفسه، بكل ما فيه من النبوات المسيانية التي تحققت: **ميلاده، كهنوته، جلوسه** عن يمين الله:

+ «قال الرب لربي **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يُرسل الرب قضيب (قصبة الملك) عزِّك من صهيون، تسلَّط في وسط أعدائك. شعبُك مُنتدَب في يوم قوتك في زينة مقدسة **من رحم الفجر لك طلُّ حداثتك** (وصحتها بحسب الترجمة السبعينية: من الرحم قبل الصبح ولدتك: ἐκ γαστρὸς πρὸ ἑωσφόρου ἐγέννησά σε). **أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد** على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك يحطِّم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم ...» (مز١١٠: ١ــ٦)

هنا ولو أن سفر العبرانيين استشهد فقط في هذا الموضع، أي في الآية ١٣، التي تخص جلوس المسيح عن يمين الآب بالمقابل لما في المزمور ١:١١٠، إلاَّ أن بقية المزمور تملأ كل فكر سفر العبرانيين. وسوف نرى أن وظيفة المسيح كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق هي بمثابة العمود الفقري الذي يقوم عليه جسم الرسالة بأكملها.

لذلك اكتفى السفر بالآية الأُولى فقط من المزمور ١١٠، للتدليل على سمو الابن فوق الملائكة. إذ بينما الابن يجلس على عرش الله في يمينه، يكون الملائكة يخدمون مقاصد الله عامة ويخدمون الذين تعيَّنوا لميراث الخلاص.

١٣:١ «ثم لِمَنْ من الملائكة قال قطّ: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

«قال ... اجلس»: εἴρηκεν κάθου

لقد سبق أن سجّل السفر في الآية ١:٥:

«لمَنْ من الملائكة **قال** قط أنت ابني τίνι εἶπέν ποτε ».

وهنا «لمَنْ من الملائكة **قال** قط اجلس πρός τίνα εἴρηκέν ποτε ».

الفعل «قال» واحد في الآيتين ولكن في الآية (١:٥) جاء في الماضي «البسيط» أي المنتهي εἶπεν = قال. ولكن في الآية التي نحن بصددها (١٣:١) جاء الفعل في الماضي «التام» أي غير المنتهي: «قد قال» بما يفيد الاستمرارية، فهو قول لا يزال يَسْري، لأن جلوس المسيح هو فعل ما زال يسري، وهكذا سيأتي الفعل «جلس» في الآية (٢:١٢) أيضاً في الماضي غير المنتهي: κεκάθικεν

واستخدام الأفعال في الماضي غير المنتهي هو إحدى مميزات سفر العبرانيين[45] للتأكيد على أعمال الابن الدائمة سواء «جلس» (٢:١٢)، أو «ورث اسماً» (٤:١)، أو «تألم مجرّباً» (١٨:٢)، أو «مُجرَّب في كل شيء (تجرَّب)» (١٥:٤)، أو «ابناً مكمَّلاً (قد تكمَّل) إلى الأبد.» (٢٨:٧).

ويلزم أن نلاحظ أن هذا المزمور ١١٠ كان أكثر النبوات التي اعتمد عليها كُتّاب أسفار العهد الجديد: أعمال ٣٤:٢ـــ٣٥، ٥٥:٧ـــ٥٦؛ ورومية ٣٤:٨؛ وأفسس ٢٠:١ـــ٢٢؛ وكولوسي ١:٣؛ وبطرس الأولى ٢٢:٣؛ وسفر العبرانيين ٣:١و١٣، ١:٨، ١٢:١٠و١٣، ٢:١٢. بل وأدخلته الكنيسة في صميم قانون الإيمان: «وجلس عن يمين أبيه»، وركّز عليها المسيح بنفسه كبرهان **على أنه «رب»، وأنه جلس بالفعل عن يمين الله** وبالتالي أنه والآب واحد!

والحوار جاء في الثلاثة الأناجيل، وهذا يؤكد الصورة القوية التي انطبعت في أذهان الإنجيليين الثلاثة عن مدى أهمية هذا المزمور لاهوتياً:

إنجيل القديس متى: ٤١:٢٢ـــ٤٥.

إنجيل القديس مرقس: ٣٥:١٢ـــ٣٧.

إنجيل القديس لوقا: ٤١:٢٠ـــ٤٤.

45. Vanhoye, *Situation*, p. 208, n. 65; cited by Attridge, *op. cit.*, p. 61.

ولكن يمتاز إنجيل القديس متى بأن المسيح حصر المعنى حصراً في أنه ابن الله، بما لا يمكن أن يتطرق إليه التأويل، حتى من أول لحظة في تقديمه هذه النبوة إذ يقول الرب: «سألهم يسوع قائلاً: **ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَنْ هو؟**». فلما حاولوا أن يراوغوا ويؤوّلوا قالوا: «ابن داود»، فاعترض عليهم المسيح، وبهذا الاعتراض يكون قد حصر المعنى حتمياً في كونه أنه «ابن الله»، وأنه «هو رب»، إذ يكمّل ويقول: «قال لهم وكيف يدعوه داود بالروح ربّاً؟؟ قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه؟». ثم إذا عدنا تواً إلى مبدأ الكلام حيث يسأل المسيح: «ابن مَنْ هو؟»، نجد المسيح يلحّ في رفع قلوبهم إلى أن يحصروا المعنى في كونه «ابن الله»، ثم في بقية الآية حتماً وبالضرورة: «اجلس عن يميني»، وهنا يحق لنا أن نرفع قيمة هذه النبوة المسيّانية إلى أعلى مستوى من التقدير والإعجاب.

ثم يضيف لنا المسيح امتداداً لمعنى وغاية جلوسه عن يمين الله متمماً نبوة دانيال النبي: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء **مثل ابن الإنسان** (عن يمين الله)، **أتى** وجاء إلى قديم الأيام، فقرّبوه قدامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ...» (دا٧: ١٣و١٤)

وقالها الرب لرؤساء الكهنة لما طالبوه بأن يُعلن لهم عن نفسه جهاراً فقال ملمّحاً لنبوة دانيال:

+ «وأيضاً أقول لكم: **من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء.**» (مت٢٦: ٦٤)

بهذا القول يكون المسيح قد ربط بين جلوسه عن يمين الله وبين مجيئه الثاني المرهوب والممجَّد.

وعلى العموم فإن هذا الإعلان من أقوى وأخطر الإعلانات التي أعلنها المسيح عن نفسه وعن مجيئه الثاني، والذي لما سمعه رئيس الكهنة مزّق ثوبه (مر١٤: ٦٢ــ٦٤).

أما تحقيق هذا الوعد الذي وعده المسيح (من الآن ترون ...)، فقد تمّ على يد إستفانوس أول شهيد للمسيح حيث رأى السماء مفتوحة **وابن الإنسان قائماً عن يمين الله** (أع٧: ٥٦).

وعلينا أن ندرك أن موضوع كهنوت المسيّا الأبدي وجلوسه كملك على كرسيه، وسلطانه وملكوته الذي لا ينقضي، كان مسرة الأنبياء. فكما كانت رؤية داود المتكررة، هكذا كانت رؤية إشعياء (إش٩: ٦و٧) ودانيال، كذلك كانت لزكريا النبي بوضوح وإجماع مضيفاً عليها بناء هيكله السري العجيب: «هكذا قال رب الجنود قائلاً: **هوذا الرجل** الغصن اسمه، ومن مكانه

ينبت ويبني هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهناً على كرسيه ...» (زك٦: ١٢و١٣)

وما أعجب قول القديس بطرس وهو يحصر لنا مدة جلوس المسيح عن يمين القوة في السموات ويحدد ميعاد مجيئه هكذا: «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبَشَّر به لكم من قبل، **الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شيء** التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه.» (أع٣: ١٩—٢١)

فانظر، أخي الحبيب: لقد حصر بطرس الرسول أزمنة بقاء يسوع المسيح جالساً عن يمين الله **إلى زمان اكتمال توبة الإنسان وخلاصه**، وحيث «ردُّ كل شيء» هنا تحمل سر عودة إسرائيل أيضاً. فطوبى لمن أكمل توبته وتهيأ ليرى وجه الرب بفرح وبشرى. آمين تعال أيها الرب يسوع.

«حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»:

الرب ليس له أعداء، فالعداوة ليست من طرفه وليس لها فيه من سبب: «أبغضوني بلا سبب» (يو١٥: ٢٥). فالذي قال: «أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٤)، قالها بعد أن أعدَّ نفسه ذبيحة لكل إنسان على وجه الأرض. وعلى الصليب قتل العداوة!!: «بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف٢: ١٦)، وبالصليب صالح المسيح العالم لله: «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو١: ٢٠). والشيطان أبو كل عداوة وصانعها، فقد قوته لمَّا ذُبح الابن على الصليب، وغفر للذين صلبوه (لو٢٣: ٣٤)، حتى لا تبقى عداوة منتسبة لصليبه.

والذي يشك في قولنا هذا أن لا أعداء للمسيح قط، فليقرأ ما يقوله المسيح: «أنا لست أدين أحداً» (يو٨: ١٥). فكيف أن الذي لا يدين أحداً وهو ديَّان الأحياء والأموات يكون له عدو؟ والذي قال: «لم آتِ لأدين العالم بل لأخلِّص العالم» (يو١٢: ٤٧) كيف يكون له في العالم أعداء؟

يهوذا مُسلِّمه، والمسيح عالم بما جاء به وما رتَّب له وما قبض، حينما أتاه في جثسيماني مختفياً وراء قبلة باردة قال له: «يا صاحب (يا صديقي) لماذا جئت؟» (مت٢٦: ٥٠)

والمعروف في لاهوت الصليب أن المسيح ذُبح من أجل أحبائه، وأحباؤه هم كل خطاة الأرض: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)، وبصليبه ملأ ملكوت الله أصنافاً من أعتى عتاة الأرض، لصوصاً وقتلة ومتمرسين بكل صنوف

قبائح الإنسان. وكعربون، أدخل معه إلى الفردوس، يومَ دَخَلَ، لصاً قاتلاً! إذاً، فمن هم أعداء المسيح؟ يقول بولس الرسول إن: «آخر عدو يبطل هو الموت» (١كو١٥: ٢٦). هذا أخطرهم. فلقد أرعب قلوب عديمي الإيمان في كل عصور الإنسان. أما أول عدو للمسيح الذي يناصبه العداء بلا هوادة، فهو «عدم الإيمان»، وهو يهين اسم الله كل يوم ويعيِّر الناس بمسيحهم ويسخر من العلي ومن الجالس عن يمينه. ومن بعد عدم الإيمان يأتي «الكذب» الذي يصوِّر للناس عبادات كاذبة يطوِّح بها بعيداً عن الحق، فيهان الله في أقدس ما هو له ويقف الباطل يناصب الحق العداء علانية وبلا هوادة. وبعد الكذب تأتي «الغيرة الكاذبة» على الله وعلى مقدساته، فيقتل الناس بعضهم بعضاً باسم الله ومن أجل الله بلا رحمة، وتصوِّر لهم أن هذا القتل هو أحلُّ الحلال، فيتمادون ويزدادون غيرة، ويا ويل مَنْ يهوِّن من غيرتهم.

وبعد الغيرة الكاذبة يأتي «الانحلال الخلقي» وأخته «الإباحية» فيحصد المرتدين عن الغيرة الكاذبة ليصنع منهم دين العصر الجديد حيث يعبدون الجمال والفن والشهوة واللذة وحرية الفكر والخمور والمخدرات والجنس.

هذه هي أعداء المسيح الجالس في يمين الله، بانتظار أن تُنهي على نفسها بنفسها لأن: «كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع، اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة (الهاوية).» (مت١٥: ١٣و١٤)

١: ١٤ «أليسَ جميعُهُم أرواحاً خادمةً، مُرسَلَةً للخدمةِ لأجل العتيدينَ أن يرثوا الخلاصَ».

«أليس جميعهم»: οὐχὶ πάντες

هنا ينفي وجود شاذة واحدة، بمعنى حصر جميع الملائكة بكل رتبها ودرجاتها وأصحاب السيادات والسلطان منهم، فكلُّهم سواءٌ، كونهم مخلوقين على أساس الخدمة. وخارجاً عن الخدمة لا يكون لهم عملٌ. وهذا الاصطلاح، وهو نفي الاستفهام، ميزة ينفرد بها سفر العبرانيين: «أليس الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر؟» (عب٣: ١٧)

«أرواحاً خادمة»: λειτουργικὰ πνεύματα

وباللاتيني الفولجاتا: administratorii spiritus

هذه هي المرة الوحيدة في أسفار العهد الجديد التي يركِّز فيها في كلامه عن الملائكة على صفتهم الطبيعية المخلوقين عليها أساساً. وهذا يفسِّر لنا في الحقيقة سراً من أعظم الأسرار الخاصة بالملائكة

والخليقة ككل. فهنا خلقة الملائكة محصورة في عمل محدّد لها. لذلك إذا أخلّوا بحدود عملهم يكونون قد خرجوا عن حدود خلقتهم، فوجب العقاب أو الإسقاط المباشر، وليس من توبة أو صفح، لأن طبيعة خلقتهم مربوطة ومحددة بالطاعة المطلقة، كما أنه ليس في طبيعتهم حرية أو قدرة أو مجال للتصحيح.

وذلك ليس كالإنسان الذي خُلق على طبيعة الخلود وعلى صورة الله في الحرية. فالأمر بالوصية جاءه بعد الخلقة وليس من صميمها، ولأن طبيعة الإنسان مجبولة على الخلود، فأي معطّل للخلود يرفعه الله حتماً حتى يكمّل الله عمل خلقته في الإنسان. ثم لأنه مخلوق على صورة الله في معرفة الخير والشر، لذلك إذا سقط في الشر فالله يتكفّل برفعه ـــ إن أراد الإنسان ـــ من ورطة الشر إلى حياة الخير ليكمّل جمال صورته فيه. ثم لأنه ليس مخلوقاً أصلاً على الوصايا والأوامر إنما هذه جاءت له بعد الخلقة كواسطة للترقي في المعرفة ومحاكاة الله، لذلك حينما يخفق الإنسان في طاعة وصية الله، فإنه يؤدَّب حتماً لكي يرتفع بالتأديب إلى ما كان ينبغي أن يرتفع إليه بالطاعة.

أما الملائكة فلأنهم مخلوقون بكل رتبهم على أنواع الخدمة التي هي من صميم طبيعتهم، فإنهم إذا عصوا وخرجوا عن حدود خدمتهم يكونون قد فقدوا الغاية النهائية من خلقتهم. هنا يصبح سقوطهم عبرة وتمهيداً لانتهاء وجودهم: «لأنه إن كان الله لم يُشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلّمهم محروسين للقضاء ...» (٢بط٢: ٤). يلاحظ هنا القول أن الله لم يُشفق عليهم، وهذا ليس لأن الله عديم الشفقة على الملائكة، حاشا، ولكن لأن طبيعتهم ليست مهيأة لعمل الشفقة، لأنها أصلاً ليست مهيأة لعمل التوبة، لذلك فالحكم الساقط عليها من الله هو بمقتضى عدم وجود قدرة على التصحيح في صميم طبيعتها وذلك لأن ليس لها إلاّ عمل محدد. وهذا يوضحه القديس يهوذا هكذا:

+ «والملائكة الذين **لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم** حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام.» (يه ٦:)

كل هذا في الحقيقة ينبّه ذهننا إلى أية نعمة خُلقنا نحن، إذ أُعطينا فرصاً لا تنتهي للرجوع إلى الله وتقديم التوبة حتى لا نُدان مع العالم والملائكة الأشرار.

«مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص»:

مرسلة للخدمة = ἀποστελλόμενα εἰς διακονίαν

في الآية السابقة واضح للغاية أن الخدمة بالنسبة للملائكة هي طبيعتهم، وبالتالي عملهم بصورة

...سانية حيث العمل هو طبيعتهم. ولكنه بقوله هنا: «**مرسلة للخدمة**»، يصبح نوع العمل الذي يُرسل له هو كأداء وظيفة أو **خدمة خاصة**. وواضح أيضاً أن قوله السابق «أرواحاً خادمة»: هو خدمتها الأساسية أمام الله.

أما قوله: «**مرسلة للخدمة لأجل العتيدين** أن يرثوا الخلاص»، فهو يقصد الوظائف الخاصة بخدمة المفديين المعيَّنين للحياة الأبدية التي يكلِّفهم بها الله دون أن يفقدوا موقفهم أمام الله على الدوام. فخدمة المفديين جزء لا يتجزأ من خدمة الله.

ويلاحظ هنا استخدام «**الإرسال، والخدمة**» بالنسبة للملائكة حيث كلمة «الخدمة» تأتي διακονίαν . وهنا تدخلنا هذه الآية في جو طقسي، وهذا حقيقي، لأن المعروف حسب التقليد الشفاهي الموروث من الآباء أن في «**المعمودية**» التي هي خدمة المعيَّنين للميراث السماوي يعيِّن الله ملاكاً حارساً للإنسان يرافق الإنسان مدى الحياة(*):

ينجيه وقت الضيقة:

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم.» (إش٦٣: ٩)
+ «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، **الملاك الذي خلَّصني من كل شرٍّ يبارك الغلامين** ...» (تك٤٨: ١٦)

ويرشده:

+ «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، أنصحك عيني عليك.» (مز٣٢: ٨)
+ «ها أنا **مُرسِلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته.**» (خر٢٣: ٢٠)
+ وقصة المغبوط طوبيا والملاك روفائيل معروفة (انظر سفر طوبيا).

ويفسر له ما عسر عليه فهمه من أمور الله ووصاياه:

+ «وقال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذي أكلِّمك به ... لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك، سُمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك.» (دا١٠: ١١و١٢)

(*) يقول القديس مقاريوس الكبير: [فأجاب (الملاك) وقال لي ... إن الله يعيِّن لكل إنسان مسيحي وقت المعمودية، ملاكاً من لدنه يحفظه ويشيِّع حوله ...] (P.G. XXXIV, 221B).

+ «فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله.» (لو١: ٣٤و٣٥)

وينقذه من المخاطر المحدقة:

+ «ولما كان هيرودس مزمعاً أن يقدمه (يقتله)، كان بطرس في تلك الليلة نائماً بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين. وكان قدام الباب حرَّاس يحرسون السجن. وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت. فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً: قُم عاجلاً. فسقطت السلسلتان من يديه. وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك. ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه. وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن أنه ينظر رؤيا. فجاز المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت فارقه الملاك. فقال بطرس وهو قد رجع إلى نفسه الآن علمت يقيناً **أن الرب أرسل ملاكه وأنقذني.**» (أع١٢: ٦ــ١١)
+ «فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا وأرسل ملاكاً وأخرجنا من مصر.» (عد٢٠: ١٦)

بل ويعد طعاماً للخائر ويصنع كعكة ويحضر ماءً في القفر:

+ «ثم سار إيليا في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال: قد كفى الآن يا رب خُذ نفسي لأنني لست خيراً من آبائي. واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا بملاك قد مسّه وقال: قُم وكُل. فتطلّع وإذا كعكة رَضف (من دقيق قمح) وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال: قُم وكُل لأن المسافة كبيرة عليك. فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب.» (١مل١٩: ٤ــ٨)

وغير ذلك فإن العهد القديم وكذلك الجديد مزدحم بأعمال الملائكة في خدمة أولاد الله.

ويختمها داود النبي بحسب خبرته وبالروح: «ملاك الرب حالٌ حول خائفيه وينجيهم.» (مز٣٧: ٧)

وواضح القصد الأساسي من هذه الآية: كيف يضع سفر العبرانيين المقارنة صارخة بين ابن الله الجالس على عرش مجده، وبين الملائكة تخدم المفديين في الأمور الصغيرة.

الأصحاح الثاني

استمرار الدفاع الأول

بخصوص تفوُّق الابن على الملائكة

القسم الثاني: خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن (٢: ١-٤).

القسم الثالث: تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه (٢: ٥-١٨).

ما بين الأصحاح الأول والثاني:
القسم الثاني من الدفاع الأول:
خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن: (٢: ١ــ ٤)

١:٢ «لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته».

٢:٢ «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة».

٣:٢ «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به، ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا».

٤:٢ «شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوِّعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته».

كلمة عامة:

هنا يقف السفر وقفة فجائية جادة ينبِّه القارىء والسامع. إذ بعد أن أوضح علو شأن الابن في طبيعته الإلهية، وفي عمله كخالق العالمين، وكفادٍ بعد أن طهَّر خطايانا مرة واحدة، وفي جلوسه عن يمين الله. مع إثبات قاطع من النبوات عن كل صفة من هذه الصفات، وذلك بالمقارنة مع الملائكة الذين هم مخلوقون خُداماً بطبيعة تشبه طبيعة الرياح والنار، قابلين للتغيير بل والسقوط؛ يزيد السفر هنا إضافة ــ سوف يأتي إليها بالتفصيل فيما بعد ــ أن الناموس قد تبلَّغ بواسطة ملائكة، وبالرغم من أنه تبلَّغ هكذا بوساطة ملائكة إلاَّ أنه صار ذا ثبوت ووقار حتى إن المتعدِّي على فرائضه كان يتعرض للقصاص والمجازاة بحكم العدل.

ثم يزيد على كل ما قاله عن الابن، أنه هو الرب وأنه صار بدوره وسيطاً للخلاص العظيم الذي يعلو مقداره فوق كل عمل عُمِل بالنسبة للإنسان على الأرض، وقد صار إنجيلاً تثبَّت بيد الذين استلموه والذين سمعوه، ثم قدَّم الله نفسه شهادته بصدقه، فأعطى المعجزات والعجائب والآيات والمواهب الخاصة بهذا الخلاص من قِبَل الروح القدس، ثم يعقِّب على ذلك: فكيف ننجو إن أهملنا مثل هذا الخلاص الذي بهذا القدر؟ ويضع هنا مقارنة من جهة العقوبة أيضاً. لأنه إذا كان التعدي على ناموس موسى الذي استلمه على يد ملائكة له عقاب بحكم العدل، فكم يكون العقاب إن أهملنا خلاصاً صنعه الرب وشهد له الله الآب وتثبَّت بمعجزات وآيات ومواهب الروح القدس؟

ولكن ما هو قصد السفر تماماً من هذا الكلام؟

هنا إشارة هامة إلى قدرة الإنسان على النسيان وإهمال دروس وتعاليم الماضي، لذلك يريد أن يعود بذاكرتنا ووعينا إلى مدى الرعبة والفزع والشدة التي كان يقع فيها مَنْ يُخطىء ويتعدَّى الناموس إذ يقولها في موضع آخر: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (عب١٠: ٢٨). علماً بأن خطايا السهو كانت هيِّنة إذ لها ذبائح للغفران ولكن خطايا العمد كالقتل والزنا وإهانة اسم الله وكسر السبت كانت عقوبتها الموت حتماً وبلا رحمة، فكاتب السفر يريدنا أن نتذكَّر هذا، بل نعيه جيداً، بل نتأمله ونضعه أمام عيوننا مع عقد المقارنة: إن كانت هذه عقوبة الله بالنسبة لناموس تُسلِّم بيد ملائكة، **فماذا تكون العقوبة بالنسبة لإهمال خلاص أكمله ابن الله بالدم؟**

وهو يبدأ الكلام مؤكداً ضرورة أن نفتح عيوننا وأذهاننا لنتقبل هذه الأخبار السارة التي هي هي إنجيل خلاصنا، وألاَّ نسمح أن تفوتنا كلمة واحدة منها.

وهو بهذا التنبيه يوقظ وعينا للفهم، ليطمئن، ثم يبتدىء يكمِّل ما قاله عن علو شأن الابن عن الملائكة.

الشرح:

١ : ٢ «لذلك يجب أن نتنبَّه أكثرَ إلى ما سَمِعنا لئلا نفوتَهُ».

«لذلك»: διὰ τοῦτο

أي **من أجل هذا**، و«**هذا**» تشير إلى علو شأن الابن عن الملائكة، وبالتالي إلى علو شأن رسالة الخلاص التي تمَّ بها تطهير خطايانا على يد الابن فوق الناموس الذي تُسلِّم بيد ملائكة.

«نتنبَّه أكثر»: περισσοτέρως προσέχειν

وباللاتينية (الفولجاتا): abondantius observare : (Vulg.).

واضح من الترجمة اللاتينية الفولجاتا مستوى كلمة «أكثر»، فقد جعلها بمعنى «الكثرة الغالبة»، وهنا بيت القصيد، **إذ يرى السفر أن هنا يتمحور جهده في تركيز ذهن سامعيه لا كرجاء بل بوجوب وتحتُّم. وتحتيم الانتباه** بهذا التركيز والتشديد يقع موقع ضرب العصى بالنسبة لصبي يتعلم الدرس. وهي صيغة لم تأتِ قط في أسفار العهد الجديد. وهذا التحتيم منشأه **عُلُو شأن الابن** الذي يجعل عمله لازمَ الاتباع والطاعة والانتباه وذلك لخطورة مركزه.

«إلى ما سمعنا»:

يقصد هنا الكلمة المنطوقة بالله عن طريق الابن الكلمة، حيث الأذن التي تسمع ليست أذن اللحم والدم ولكن أذن القلب، أي الوعي الروحي المسيحي، حيث كلمة الله بمثابة حضرة الله.

ويلاحظ هنا أن هذا السفر لم يستخدم لفظ «الإنجيل»، لأنه يبدو أن هذه الكلمة لم تكن قد شاعت بعد لأن كتابة الأناجيل بدأت متأخرة عن الكرازة به. علماً بأن الكلمة العادية التي للبشر تُسمع وتُنسى لأن وراء الأذن اللحمية ذاكرة على مستواها قابلة للنسيان. أما كلمة الله التي صنعت السموات والقادرة أيضاً أن تزلزلها، **فهي** تُسمع بالكيان الروحي ووعي الروح، لذلك **فهي** تبقى بقاء الروح لا يفنيها الزمن. لذلك لم يقل «ننساه» بل «نفوته». بمعنى أن بقاءه بقاء الله، ولكن نحن الذين نعبر عليه ونفوته، فيفوت علينا الخلاص و بالتالي الحياة الأبدية.

«لئلا نفوته»: παραρυῶμεν

وتعني **يفلت من** كما تفلت المركب من مسارها وتتجاوز الميناء، أو «ينزلق بعيداً عن الحق»، كما وضعها العلاّمة كلمندس الإسكندري في عظته عن المرأة: «لا تلبس الأزياء المبهرجة لئلا **تنزلق بعيداً** عن الحق»(١)، أو بمعنى أن يُغمر الإنسان بهموم وغوايات العالم ويفقد المسار العام الثابت للكنيسة وهي تسير نحو الملكوت.

وقد جاءت في العهد القديم في موضع مُحكَم يشرح الكلمة بدقة في الأمثال بخصوص التمسك بالحكمة وكلام الله حتى لا تبرح من عينيك:

+ «يا ابني **لا تبرح** = παραῤῥυῇς هذه (الحكمة) من عينيك، احفظ الرأي والتدبير» (أم٣: ٢١)،
+ كذلك: «يا ابني اصغ إلى كلامي، أمِل أذنك إلى أقوالي، **لا تبرح** μὴ παραῤῥυησάτωσαν عن عينيك» (أم٤: ٢١). (ترجمة سيماخوس اليونانية وليست السبعينية الإسكندرانية)(٢).

من هذا يكون المعنى في الآية التي نحن بصددها أن الكلام الذي سمعناه فيما يخص طبيعة المسيح وعمله الفدائي وجلوسه عن يمين الله الذي هو الإنجيل أو البشارة، يلزم أن يكون ثابتاً في القلب ثبوت الهلب للمركب، وهو الوصف الذي أعطاه سفر العبرانيين هكذا:

1. Clem. Alex. *Paedag.* 3.11.58.
2. Westcott, *op. cit.*, p. 37.

+ «الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة ...» (عب٦: ١٩)

هذه الكلمة «نفوته» ذات أهمية كبيرة في تعاليم الآباء للمؤمنين(٣)، وليس أدل على ذلك من قول العلامة أوريجانوس الذي يصوِّر لنا خطورة هذه الكلمة في حياتنا اليومية وهمومنا المادية بالنسبة للتعليم الإنجيلي والوجود في حضرة الله هكذا:

[إن الاحتفال الكبير (يوم الأحد) بالقداس بالنسبة للمؤمنين البسطاء الذين لا يستطيعون أن يحتفظوا بكل يوم عيداً إلهياً، يحتاج عرض مواضيع ذات معانٍ منيرة للذهن في أيام هكذا مقدسة حتى **لا يفوتهم كلياً** = ἵνα μὴ τέλον παραρρυῇ الاحتفاظ بالواجبات العبادية المنتظمة بسبب التأثيرات الشعبية](٤)، لأن المفروض في المؤمنين الحارين بالروح أن يعيِّدوا كل مساء بالإنجيل إذا اجتمعوا بالصلاة والتسبيح وكلام الوعظ. هنا يشرح لنا أوريجانوس أهمية كلمة «يفوتهم» التي تفيد الانسلاخ من الواقع المسيحي الحار **كانسلاخ الخاتم من الإصبَع**.(٥)

ولكي نتنبه προσέχειν **لئلا يفوتنا** ما يُقرأ ويُعمل أمامنا في القداس، يمكن للقارىء العزيز أن يعود بذاكرته إلى القداس الإلهي ويتذكر الشماس وهو يصرخ من حين إلى آخر بصوت عالٍ: «**بروسخومين، بروسخومين**»، وتعني أكثر من «انصتوا» كالترجمة العربية في الخولاجي، إذ تعني **انتبهوا وألصقوا عقولكم** بالآتي، كذلك تعني **أعطوا كل نفوسكم لسماع الآتي، أو امسكوا بالكلام الآتي** ... إلخ(٦).

وقد جاءت في سفر الأعمال: «**يصغون** προσεῖχον بنفس واحدة» (أع٨: ٦)، «ففتح الرب قلبها **لتصغي** προσέχειν إلى ما كان يقوله بولس» (أع١٦: ١٤). كذلك في رسالة بطرس الثانية هكذا: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثْبَتُ، التي تفعلون حسناً **إن انتبهتم إليها** προσέχοντες .» (٢بط١: ١٩)

وقد جاءت في سفر العبرانيين الأصحاح السابع بمعنى **يلازم**: «**لم يلازم** προσέσχηκεν أحد منه المذبح» (عب٧: ١٣). وقد جاءت في الترجمة الإنجليزية الحرفية: to devote himself to أي يكرس نفسه له.

---

3. Westcott, *op. cit.*, pp. 36,37.
4. Ibid.
5. Ibid.
6. Liddell and Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon*, Oxford, *sub voce*.

وهكذا جاءت في مواضع مختلفة بمعنى الإصغاء بقلب مفتوح، ويلازم أو يكرس نفسه له!!

والآن وبعد هذا الشرح والتوضيح يمكن للقارىء العزيز أن يراجع نفسه كيف فاتت عليه مناسبات العبادات الكبيرة نفسها التي وضعتها الكنيسة للتعويض عن عدم التواجد في العبادة الحارة كل يوم وكل مساء. من هنا نرى خطورة هذه الرسالة، ليس بالنسبة إلى العبرانيين، بل بالنسبة لحياتنا المسيحية نحن الذين بلغنا من الانسلاخ من واقع العبادة الحقيقية مبلغاً يمكن اعتباره أكثر بكثير من معنى «فاتنا» و «فُتْناه» إلى معنى الإهمال الكلي بل **والازدراء**:

+ «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله ... وازدرى بروح النعمة.» (عب١٠:٢٩)

٢:٢و٣ **«لأنه إن كانت الكلمةُ التي تكلَّمَ بها ملائكةٌ قد صارت ثابتةً وكلُّ تعدٍّ ومعصية نالَ مجازاةً عادلةً، فكيف ننجو نحن إن أهمَلنا خلاصاً هذا مقدارُهُ قد ابتدأ الربُّ بالتكلُّم به ثم تَثَبَّتَ لنا من الذينَ سَمِعُوا».**

يلاحظ هنا أنه يستعرض لنا كلمتين لله: كلمة تُسُلِّمت بواسطة ملائكة وتثبَّتت وتحتَّم الانتباه لها، وكلمة الله التي تكلم بها بواسطة ابنه أو في ابنه وتثبَّتت وتحتَّم الانتباه لها أيضاً وبالأولى. ولكن الفارق هو أن التثبُّت والانتباه للكلمتين صارا في مقارنة من جهة الوسيط. فإذا كان الوسيط أعلى كان التثبُّت أقوى ولزم الانتباه أكثر، وبالتالي صارت عقوبة عدم الانتباه أكثر.

وفي هذا العرض المنطقي البلاغي لم يتعرض الرسول إلى الكلمة ذاتها لأنها كلمة من الله، مع أنها هي أيضاً في مقارنة، لأن **كلمة الله بواسطة الملائكة كانت كلمة من الله تحمل فكراً مناسباً لسامعيها. وأما كلمة الله بواسطة ابنه فهي كلمة الله ذاتها وكلمة الله ذاته، وهي تحمل فكراً مناسباً لله ذاته وفعلاً مساوياً لله ذاته، لأن المسيح نفسه استُعلن في ذاته أنه هو هو كلمة الله وفعله!!**

«الكلمة التي تكلَّم بها ملائكة»:

(وأصلها في اليونانية: الكلمة التي تُكلِّم بها بواسطة ملائكة).

يلاحظ أن الترجمة العربية أخفت الفاعل الحقيقي أي المتكلم الأصلي وهو الله، فظهر من الأسلوب أن الملائكة تكلموا وكأنه من عندهم. لذلك تصرفت الترجمة اللاتينية لتوضح هذه الحقيقة أن الملائكة وسيلة فقط أو آلة استخدمها الله لتوصيل الكلام فجاءت كالآتي:

(Vulg.) : qui per angelos dictus est sermo وترجمتها في الفولجاتا أنه «بملائكة أمليت الرسالة»، وترجمتها باللغة الإنجليزية هكذا: message declared by angels.

كما يُلاحظ أن الآية تقول: «إن كانت **الكلمة** λόγος التي تكلَّم بها ملائكة»، فذكرت «الكلمة» بدل «الناموس νόμος». والرسول يقصد مجمل التوراة باعتبارها كلمة الله بما فيها من أقوال الأنبياء والمزامير أي **«استعلان الله»** في العهد القديم على مستوى النعمة، وهكذا وضع الرسول مبدأ أن **«الناموس» هو استعلان مشيئة الله في القديم**، وذلك من وجهة نظر تهذيبية أكثر منها قوانين صارمة جامدة في ذاتها(٧).

أما موضوع علاقة الملائكة بالناموس الذي أُعطي لموسى، فهو يُذكر أيضاً في بعض الأسفار المقدسة للعهد الجديد الأخرى هكذا:

+ «هذا هو (موسى) الذي كان في الكنيسة في البرية مع **الملاك** الذي كان يكلمه في جبل سيناء ومع آبائنا.» (أع٧: ٣٨)
+ «الذين أخذتم **الناموس بترتيب ملائكة** ولم تحفظوه.» (أع٧: ٥٣)
+ «فلماذا الناموس؟ ــ (قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعِد له) ــ **مُرتَّباً بملائكة** في يد وسيط.» (غل٣: ١٩)

«صارت ثابتة»: ἐγένετο βέβαιος

الأصل اليوناني يعني أكثر من «صارت ثابتة»، فهي تترجم «تحقق ثبوتها»، والفرق بين الترجمتين كبير، فالترجمة العربية «صارت ثابتة» يُفهم منها أن ثبوتها جاء من خارجها، ولكن **الأصل اليوناني يعني أنها تحمل إثباتها أو ثبوتها من داخلها**. أي أنها هي حققت دعواها، وهذه حقيقة واضحة جداً أن الناموس يحمل قوة تنفيذه مع عقوباته بنفسه، الذي يقابله في العهد الجديد قول الرب: «إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه ... الكلام الذي تكلَّمْتُ به هو يدينه ...» (يو١٢: ٤٧و٤٨)

والكلمة «ثابتة» تُحتسب ذات صياغة قانونية، كما يُقال في المحكمة «ثبوت» البراءة و «ثبوت» الاتهام و «ثبوت» الشهادة، وقد استخدمها سفر العبرانيين بهذا المعنى هكذا: «لأن الوصية ثابتة βεβαία على الموتى إذ لا قوة لها البتة ما دام الموصي حيًّا.» (عب٩: ١٧)

7. Westcott, *op. cit.*, p. 37.

لذلك يأتي معناها في الآية التي نحن بصددها أن: «الكلمة (الناموس) التي تكلم بها ملائكة صارت ثابتة»، على مستوى الالتزام القانوني للذين تسلَّموا هذا الناموس وعاشوا تحته، وهكذا صار أي تعدٍّ أو عدم طاعة مستوجباً العقوبة قانوناً.

«كل تعدٍّ ومعصية»: παράβασις — παρακοή

هما فعلان متخصصان في شئون الخطية. فالفعل الأول **التعدي** هو في أصله اليوناني يشرح ذاته، إذ يعني παρα = تجاوز، βασις تعني خطوة أو خطوات، فالمعنى الكامل هو الخروج عن الحدود أو المخطط الذي ينبغي السير فيه وعدم تخطّيه. لذلك فالمعنى **تعدَّى** كما جاء في العربية يفيد تماماً عملاً أو فعلاً متعدياً، فهو «**فعل**» ظاهري. أما **المعصية** فهي أيضاً في أصلها اليوناني تشرح ذاتها وهي من كلمتين παρά = تجاوز، و ἀκοή من فعل «يسمع». والمعنى الكامل «يتعدى السمع» أو «يتجاوز ما يجب سماعه»، وهنا يأتي مباشرة مفهوم «عدم الطاعة» وهي «المعصية» من «عَصَى الأمر»، فهنا لا تُعتبر كلمة «معصية» أنها تعبِّر عن حالة فعل ظاهري بل حالة استعداد داخلية. وبهذا يكون قد حصر الخطية في الداخل والخارج، أي أنها عصيان قلبي وضميري داخلي، وتعدٍّ فعلي ظاهري، وهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً.

وأوضح شرح لمعنى التعدي جاء عن آدم في الرسالة إلى أهل رومية:

+ «لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدِّي آدم παραβάσεως Ἀδάμ.» (رو٥: ١٤)

هنا التعدي هو تعدٍّ على وصية الله لآدم أن لا يأكل من الشجرة التي حرَّمها عليه. كذلك فإن أوضح شرح لمعنى المعصية يأتي هكذا:

+ «لأنه كما **بمعصية** παρακοῆς الإنسان الواحد (آدم) جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً **بإطاعة** ὑπακοῆς الواحد (المسيح) سيُجعل الكثيرون أبراراً.» (رو٥: ١٩)

وهكذا جاءت المعصية ضد الطاعة، حيث في اليونانية أصل الكلمة واحد وهو السمع، فالمعصية تجاوز أو مخالفة السمع -παρα والطاعة النزول تحت السمع -ὑπο، والسمع ἀκοή.

والحقيقة نحن لسنا في درس لغة يونانية ولا محاضرة في أصول الكلمات، ولكن همَّنا أيها القارىء العزيز هو أن نشرح أولاً معاني الكلمات التي جاءت في اللغة العربية بدون توضيح، وثانياً ــ وهو همُّنا الأكبر ــ أن نشرح منشأ العصيان كحالة داخلية في القلب تنمو وتكبر حتى تنتهي بالتعدِّي. فآدم بسبب صورته الجميلة التي تحاكي الله في الخير، نشأ في قلبه شعور أن يصير

كالله في معرفة الشر أيضاً إثر النصيحة المشئومة التي طرحها عليه الشيطان: «يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر» (تك٣: ٥). فاستحسنت حواء ومعها رجلها ذلك، وهكذا أمالا سمعهما للشيطان فدخلا في الحال في التخطي أو تجاوز السمع لوصية الله. هذه هي المعصية. فالمعصية سبقت التعدي، وكان أساس المعصية محاولة في معرفة الشر، الأمر الذي هو نفسه سبب بلاء الإنسان منذ الطفولة المبكرة جداً، فكل ممنوع على الطفل يصبح منتهى مُشتهاه، فيعمل المستحيل ليعرف هذا الممنوع، ويجلب على نفسه الشقاء منذ طفولته بسبب هذا الميل لمعرفة الممنوع. ويظل ينمو فيه هذا الشعور الذي هو بعينه العصيان، أصل كل مصائب الإنسان، فيخرج من مصيبة ليدخل مصيبة أكبر، إلى أن يتوفق ربما من الطفولة أيضاً، لتتربى في داخله فضيلة الطاعة ويكرم السماع للنصيحة ثم الوصية. وهكذا يتهيأ لمواجهة الحقيقة العظمى وهي معرفته لصاحب الوصية الأُولى، فيستقي منه معرفة الخير وبغضة الشر، فينصلح حاله ويعود بنعمة المسيح إلى الطاعة المذعنة السعيدة لصوت الله، وحينئذ يأتي المرشد الأعظم للإنسان وهو الروح القدس ليلقِّنه الحكمة ليرتفع بالطاعة إلى حالة بنوة لله تحفظه في بر الله ومشورة الحق وتحصِّنه ضد الشر.

«نال مجازاة عادلة»:

هنا المجازاة العادلة هي الرد القانوني (الناموس) على العصيان والتعدي، والمعنى ينصبُّ ليس على العاصي أو المتعدي كفاعلَيْن، بل المجازاة هي المقابل للعصيان والتعدي كمصدرين، كما توضحه الآية: «وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة» (كو٣: ٢٥). أي بمقدار الظلم يكون مقدار الجزاء. هذا من جهة الظلم، أما من جهة الخير فيقول: «عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حرًّا» (أف٦: ٨). أي مقدار الخير يكون مقداره من الله ولكن مكيال الله دائماً أكثر خيراً وأكثر فضلاً، وفي مكان آخر يقول المسيح: «يأخذ مئة ضعف.» (مت١٩: ٢٩)

المجازاة العادلة: ἔνδικον μισθαποδοσίαν

هنا يتجهَّم الناموس في وجه المعصية والتعدي، ويُشهر سيف القضاء الصارم في قوة وإنما بحسب العدل.

وكلمة **مجازي** μισθαποδοσίαν قليلة الاستخدام في أسفار العهد الجديد وقد وردت في سفر العبرانيين في المواضع الآتية:

+ «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه **يجازي** μισθαποδότης **الذين يطلبونه.**» (عب١١: ٦)

+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة μισθαποδοσίαν عظيمة.» (عب١٠: ٣٥)
+ «حاسباً عار المسيح غِنًى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة μισθαποδοσίαν.» (عب١١: ٢٦)

وقد استخدم القديس بولس في الرسالة إلى كولوسي كلمة مشابهة لها في معنى المجازاة من وجهة الخير:

+ «عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاءَ ἀνταπόδοσιν الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح.» (كو٣: ٢٤)

وهنا في الآية القادمة تجيء من وجهة العقاب المساوي:

+ «وداود يقول: لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة ἀνταπόδομα لهم.» (رو١١: ٩)

وهكذا يتضح أن الكلمة التي أمامنا هي كلمة قضائية تعني المحاسبة الدقيقة، سواء عند الناموس أو عند المسيح، حيث يكون الجزاء من جنس العمل. فالعصيان والتعدي لهما مجازاة من التأديب والعقاب؛ ولكن الطاعة والبذل لهما المجازاة من عطاء الله الذي لا يُحدُّ. ولكن المجازاة من قِبَل الله على العصيان والتعدي يكون على مستوى الدقة المتناهية بالعدل، حتى لا يسع المتعدّي حينما يرى المجازاة إلاَّ أن يقول: آمين يا رب أنا مستحق هذا. أما في المجازاة من جهة الطاعة والبذل، فهنا تتبارى مراحم الله ونعمته لتعطي بالكيل الملبّد المهزوز في أحضانكم ثلاثين وستين ومائة وكُوَى السماء مفتوحة باندفاق الرحمة، حتى يصرخ الآخذ ويقول: كفى كفى.

«عادلة»: ἔνδικον

العدل هنا هو عدل الناموس، فهو عدل موازين ــ سنٌ بسنٍّ وعينٌ بعينٍ ــ أما العدل عند المسيح فهو مأخوذ أصلاً من كلمة «البار» δίκαιος : «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة δικαία لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يو٥: ٣٠). ففي الحقيقة وصف دينونة المسيح هنا أنها عادلة «just» لا يمكن أن ترقى إليها عدالة قضاء الناموس، لأن الديان هنا أي المسيح هو «بار»، والبار إذا أدان فهو يدين أي يحكم بحسب برّه وليس بحسب الإنسان. لذلك فعدل المسيح الذي سيدين به الأحياء والأموات سيكون من نوع لا يتصوّره الإنسان ولا يخطر على قلبه، لأن صفة الدينونة عنده ملتحمة بالشفاعة.

هكذا يصفه إشعياء بالنبوة: «فلا يقضي بحسب نظر عينيه (شاهد الناموس) ولا يحكم بحسب

سمع أذنيه (شهادة اثنين أو ثلاثة) بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض» (إش١١: ٣و٤). أي أن عدل الناموس والناس هو حسب الظاهر بالسمع والنظر، أما عدل الله فهو حسب سرائر الناس: «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح.» (رو٢: ١٦)

وإليك أيها القارىء العزيز مقارنة بين عدل الإنسان وعدل المسيح وكيف أن حكم الإنسان ضيّع عليه معرفة الحق بل وأوقعه في التجديف عليه:

+ «أفتسخطون عليَّ لأني شفيتُ إنساناً كله في السبت، لا تحكموا حسب **الظاهر**، بل احكموا **حكماً عادلاً**.» (يو٧: ٢٣و٢٤)
+ «مَنْ هو الذي **يدين**. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً ... الذي أيضاً **يشفع فينا**.» (رو٨: ٣٤)

لذلك حينما يقول سفر العبرانيين أن: «كل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة»، فهو يقصد هنا عدل بنود الناموس وليس عدل المسيح البار. فالناموس له عدله: «إذاً الناموس مقدس، والوصية مقدسة **وعادلة**، وصالحة.» (رو٧: ١٢)

وقصارى القول فهذا هو عدل الناموس:

+ «النفس التي تخطىء هي تموت» (خر١٧: ٢٠).
+ «لأني لا أبرِّر المذنب» (خر٢٢: ٧).
+ «من أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي.» (خر٣٢: ٣٣)

«فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا».

«فكيف ننجو نحن»: ἐκφευξόμεθα

هنا يطرح السفر هذا السؤال، وطَرْحُ الأسئلة ميزة ظاهرة في هذه الرسالة، لأنها توبيخية إلى حد كبير. وهو يقطع خط الرجعة على الذين بدأوا يهملون رسالة الإنجيل، بأن وضع لهم أولاً ما يساوي ذلك في الناموس من عقوبة حتمية صارمة وبحسب العدل، فماذا الآن إزاء إهمال المسيح والإنجيل؟ هنا يغلق على الذين أهملوا قائلاً: بأنه لا نجاة. والقطع هنا بأنه لا يوجد فرصة للنجاة ليس هو بسبب الإهمال بحد ذاته، بل بسبب علو شأن مَنْ أهملنا في حقه. لأن الدينونة هنا تكون

بلا مقدمات: «لأنه حينما يقولون سلام وأمان (كذباً وخداعاً) حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحُبلى فلا ينجون οὐ μὴ ἐκφύγωσιν.» (١تس٥: ٣)

«إن أهملنا»: ἀμελήσαντες

هذه كلمة لم ترد في أسفار العهد الجديد إلَّا قليلاً جداً، ولكن لكي ندرك خطورتها وأعماقها وما تنتهي إليه، اسمع هذه الآية:

+ «هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمِّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. لا كالعهد الذي عملتُه مع آبائهم يوم أمسكتُ بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا في عهدي، وأنا **أهملتُهم** ἠμέλησα يقول الرب.» (عب٨: ٨و٩)

«إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره»:

هنا التحذير من خطورة الإهمال يأتي لسببين: الأول **الخلاص** في مقابل الناموس كنوعية عمل الله، وثانياً **مقدار** ما استلزمه هذا الخلاص من بذل حتى الموت، ومقدار ما سيؤول إليه من حياة أبدية في حضرة الله.

ولكي نُلقي نظرة على **قيمة هذا الخلاص** عند الرسل الأوائل نقرأ من رسالة القديس يهوذا: «إذ كنت **أصنع كل الجهد** ـ (هنا الترجمة غير موفقة على الإطلاق فقد قلبت المعنى. فالترجمة الصحيحة بحسب النص اليوناني "إذ كنت **في غاية اللهفة** very eager") ـ أن أكتب إليكم عن **الخلاص** المشترك ...» (يه ٣). لأن الكلمة اليونانية هي σπουδὴ [٨] وتعني σωτηρίας بالإنجليزية very eager و earnest أي هِمَّة، غيرة؛ أو serious أي هام جداً؛ أو zealous أي بغيرة شديدة. فقوله: «يصنع جهداً» ليكتب «أصنع كل الجهد لأكتب»، فهي تعني أن القديس يهوذا كان يجاهد ليكتب وكأن الكتابة كانت صعبة أو شاقة. فـ «الجهد» يرجع إلى شخص الكاتب، أما الغيرة والاهتمام والاشتياق الشديد فهذه موجَّهة إلى المُرسَل إليهم وتعود على أهمية المكتوب وهي البشارة، وشتان الفرق في المعنى!

أما المسيح فقد وصف لنا إهمال الخلاص بهذا التصوير المرعب: «ثيراني ومسمَّناتي قد ذُبحت وكل شيء مُعَدٌّ تعالوا إلى العرس، ولكنهم **تهاونوا** ἀμελήσαντες، ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم. فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك

8. Liddell and Scott, *op. cit., sub voce.*

أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم ثم قال لعبيده: أما العُرس فمُستَعَدٌّ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين.» (مت ٢٢: ٤ــ٨)

هذا الكلام خطير بالنسبة لنا، فإهمالنا الخلاص هو هو إهمالنا وازدراؤنا بالداعي إلى الخلاص وبالتالي إلى ما بذله ودفعه من دمه وحياته. فإهمال الخلاص هو ازدراء بدم ابن الله، هل يمكن؟ هل يُعقل؟ أنظر أيها القارىء، فالرسالة تضيِّق علينا الخناق، والروح يبدو وكأنه يعظ اليهود المزعزعين في إيمانهم بالمسيح، والحقيقة أن السهم مُعبأ ومُهيأ ليخترق هذه الألفي سنة ليستقر في صدورنا!

ويا ليت المعنى في قوله «خلاصاً هذا مقداره» يتوقف عند مفهوم ما تكلَّفه الخلاص من سفك دم ابن الله، بل المعنى يتعدى من «هذا مقداره» إلى غاية الخلاص الذي من أجله ذُبح ابن الله ومات على الصليب، فغاية الخلاص هي التبني لله وقبول الحياة الأبدية. فإهمالنا الخلاص يحمل احتقار التبني لله وامتهان الحياة الأبدية.

إذاً، **فإهمال خلاص بهذا المقدار** هو دعوى مرفوعة علينا من سفر العبرانيين للتوجه إلى محكمة الضمير لمواجهة القاضي وتقديم التماس التأجيل لإصلاح الحال، ونكتفي الآن بهذا القدر.

«قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به»:

هنا سيقدم الرسول ثلاثة عوامل ترفع من شأن الإنجيل وسلطانه: الأول شخصية الداعي به، وقناعة دعواه، والشهادة له، من عدة مصادر. ويبتدىء بشخصية الداعي بالإنجيل، باعتبار أن أساس الإنجيل قام على الخبر بالكلمة المنطوقة وعلى فم الرب نفسه، قاصداً بذلك أن أساس الإنجيل هو الرب، في مقابل الناموس الذي تكلم به ملائكة وأعدَّ نصوصه موسى. والرب هنا هو المتكلم بنفسه والمعلِّم بالكلمة.

ويلاحظ من زمن الفعل «التكلم به λαλεῖσθαι » أنه في زمن المضارع المستمر ليفيد أن البشارة بالإنجيل ومن فم المسيح لا تزال كما هي مستمرة، وإن كانت بواسطة مُرسَلين كثيرين. معنى هذا أن الإنجيل الذي نسمعه الآن، إنما نسمعه من فم الرب دون النظر إلى القارىء كان من كان، فالكل سيان طالما الكلمة المسموعة هي صادرة من صاحب الجلالة، لها قوتها ولها جلالها.

وما أروع طقس قراءة الإنجيل في الكنيسة حينما يهتف الشماس بالشعب للتوعية: "قفوا بخوف الله وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس، يارب ارحم"، يقرأه الكاهن حافي القدمين عاري

الرأس (حسب الطقس الأول الأصيل)، فهو واقف في حضرة الله الذي تحفّ به الملائكة، والأرض الواقف عليها أرض مقدسة، والشماس بيده الشمعة المضيئة مشيراً إلى الملاك عن يمينه والملاك الآخر عن يساره، والشعب كله وقوف وكلهم آذانٌ وكلهم عيونٌ، بل وربما كلهم دموعٌ، والكاهن يرتل بصوته الرهيب قول الرب لتلاميذه: «طوبى لعيونكم لأنها تُبصر ولآذانكم لأنها تسمع!»

وهنا يتحتم علينا أن نذكر ألوف وربوات الشباب الأتقياء الذين تكرّسوا في هذه اللحظات المهيبة وسلّموا حياتهم لله، ومنهم من انطلق بعد القراءة مباشرة ليسلّم نفسه لله، وظلّ الإنجيل زاده كل أيام حياته. وهل ننسى أنطونيوس الغني كيف سمع الإنجيل وكيف أطاع الكلمة وكيف خرج ليفتتح عصور النسك، لا في براري مصر وحدها بل وفي كل أصقاع العالم؟

هذا هو سلطان الإنجيل!! بل سلطان المسيح، الذي إنْ مَلَكَ الآذان، مَلَكَ القلوب ووقع الإنسان صريع حبه لا يقوى على الفكاك.

إنه قول حق، كلُّه صدق، قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ولا يزال يتكلم، ومن كان له أذنان للسمع فليسمع: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء **ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه** كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب.» (أف ٢: ٢٠)

«ثم تثبّت لنا من الذين سمعوا»:

الذي تثبّت لنا ليس الإنجيل أو الكلام الذي تكلّم به المسيح، بل الخلاص نفسه. فليس إثبات يكون أعظم من حصولنا على الخلاص هذا الذي ابتدأ الرب بالتكلم به. لقد انتقل إلينا الكلام كخبر، ولكن الخبر انتقل فينا إلى فعل خلاص نعيشه في ملء حضور الرب وعلاماته. الذين سمعوا الخبر خلصوا، ولما نقلوا إلينا الخبر، خلُصنا، فتثبّت الخبر وتثبّت الخلاص كحق نعيشه ونكرز به.

والقديس لوقا يعرِّفنا كيف تقبّل العالم الإنجيل كخبر منقول من الذين **عاينوا** بل **خدموا** الكلمة أي المسيح وبالتالي الإنجيل، وخدمة الإنجيل هي قبول الروح وتسليمه. وكلمة المسيح روح وحياة تؤخذ للحياة وتُعطى للحياة: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور "المتيقنة عندنا" **كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة.**» (لو ١: ١و٢)

ثم يزيد القديس يوحنا في رسالته كيف عاينوا الكلمة وشاهدوها ونظروها ولمسوها وهي بعينها

«الحياة الأبدية» التي كانت عند الآب وأظهرت في يسوع المسيح: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسْتهُ أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت (في يسوع المسيح) وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا (في الابن).» (١يو١: ١و٢)

إذاً قول الرسول: «تثبّت لنا من الذين سمعوا» هو الحصيلة النهائية للإنجيل، أي كلمة الرب في وضعها العملي، أي حياة الخلاص ببر المسيح التي يشترك فيها هؤلاء العبرانيون المرسَلة إليهم هذه الرسالة. **فإذا لم يكونوا قد تثبّتوا في الخلاص**، فهذا أمر آخر تماماً، وهو مزمع أن يتكلم عنه في الأصحاح السادس معطياً كلاماً موجعاً لا تطيقه النفس ولا تحتمله الروح، إن كان لا يزال يتبقى روح: «لأن أرضاً شربت المطر (التعليم الإلهي) الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فُلِحت من أجلهم تنال بركة (الذين سمعوا وخلصوا وثبتوا) من الله. ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً(٩) τριβόλος فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق.» (عب٦: ٧و٨)

على أن في قول الرسول هنا: «وتثبّت لنا من الذين سمعوا» هنا لا يُحسب الثبوت في الكلام والخلاص أنه عمل شخصي يمكن أن يبلغه الإنسان بكفاءته بل لا يمكن إغفال عامل آخر هو المعتبر أساساً في تثبيت الخلاص في قلب الإنسان وهو عمل الله الخفي: **«والرب يعمل معهم ويثبّت الكلام بالآيات التابعة»** (مر١٦: ٢٠). بمعنى أن الذي يريد ويشتهي أن يثبت في الخلاص فالرب حتماً يثبّته: «الرب معكم ما كنتم معه، إن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم» (٢أي١٥: ٢)، «مَنْ يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً.» (يو٦: ٣٧)

٢: ٤ «شاهداً الله معهم بآياتٍ وعجائبَ وقواتٍ متنوعةٍ ومواهبِ الروح القدس حَسَبَ إرادتِه».

لأن الخلاص هو تدبير الآب، لذلك فمن الأمور المسلّم بها أن الله كان يساند البشارة بقوة إلهية فائقة، وهو لا يزال يساندها من الخارج بآيات وعجائب وعمل قوات، ومن الداخل بمواهب الروح القدس بطرق متعددة ظهرت شخصية، فلكل واحد صارت له شهادته الخاصة بقوة خاصة من الله

(٩) الحسك هو نبات القرطم البرّي، وهو كثير الشوك وزهرته ذات دوائر شوكية، وهو من عائلة Carduus من نوع Circium (Webster's N. Col. Dict., "Thistle").

حسب إرادة الله في توزيع هذه الآيات والمواهب. فبدأت الشهادة قوية إعجازية وظلت مستمرة وإلى الآن. فالخلاص يسانده الله كما في الخارج من أجل إيمان الآخرين كذلك من الداخل لتثبيت الخلاص في القلوب.

«شاهداً الله معهم»:

باليونانية: συνεπιμαρτυροῦντος

و باللاتينية (الفولجاتا): Contestante.

الشهادة هنا تجيء من الله حتمية وتحصيل حاصل، لأن الذين كانوا يشهدون للخلاص كانوا يشهدون للمسيح شخصياً في موته وقيامته، فهم كانوا يشهدون «للحق» = «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥). فكيف أن الله وهو مصدر الحق لا يشهد للحق معهم بإرادة حاضرة مستعدة وقوية ودائمة؟ فطالما يوجد نداء بالخلاص فحتماً سيشهد له الله!! هذا قانون من واقع العمل الإلهي الذي لا يهتز.

لذلك جاءت الترجمة اللاتينية في الفولجاتا بمعنى «يشارك الشهادة Contestante»، بمعنى أن كل شهادة للخلاص يكون الله شريكاً فيها: «لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن **لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.**» (مت١٠: ١٩و٢٠)

وجاءت في اليونانية -συν بمعنى الاتفاق والمشاركة المتحدة. لذلك اعتُبِر هذا الاصطلاح أنه **تعبير شرعي يفيد التدعيم المطلق الذي يكْفُله الله شخصياً!!** «الذي يسمع منكم يسمع مني.» (لو١٠: ١٦)

ولكن لا يزال المعنى يحوي كنزاً ثميناً للقارىء، فهنا التدعيم بالشهادة ينصبُّ أساساً على السامع أكثر مما على المتكلم، على الذي يطلب الخلاص وقد فتح قلبه له أكثر مما على الذي فتح فمه ليتكلم عن الخلاص. وهذا في الواقع غنيمة لنا ينبغي أن نضعها في اعتبارنا جداً. فحينما نكرز، فالله سيؤيد الكرازة، ولكن بالأكثر سيدعمها في قلوب السامعين. فالقول الإلهي هنا: «شاهداً الله معهم» أعظم بكثير مما تحمله الكلمات، ويكفي أن نستخلص منها أن الله يرهن نفسه إزاء صدق دعوى الخلاص في قلب السامع.

إن كلمة «شاهداً الله معهم» هي اصطلاح فني شرعي قانوني. و بذلك يبلغ التأكيد الذي قصده كاتب سفر العبرانيين من أهمية وعلو شأن سماع الإنجيل أقصى درجة في تصوُّرنا.

«بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته»:

هذه الآيات والعجائب والقوات المتنوعة التي عُملت بيد الكارزين هي هي إمضاء الله وختمه الظاهري الذي تراه العين وتتحقق منه لتقول آمين.

علماً بأن الرب كان لا يرى مُستحَباً أن يكون الإيمان قائماً على مشاهدة الآيات ورؤية المعجزات، ولكن نعلم أن المسيح أجراها ليس لكي يؤمنوا بالمسيح بل لكي يؤمنوا بأن الله هو الذي أرسله! «فإن لم تؤمنوا بي **فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه**» (يو١٠: ٣٨)، ثم يعود ويقطع خط الرجعة عليهم: «**إن كنت لست أعمل أعمال أبي** فلا تؤمنوا بي» (يو١٠: ٣٧). لذلك حرص المسيح على أن يؤكد ويُطمئن قلوب تلاميذه أنه سيستمر يُجري على أيديهم الآيات والعجائب حتى يؤمن الناس أنهم مُرسَلُون من الرب: «وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبّت الكلام بالآيات التابعة آمين.» (مر١٦: ٢٠)

ولكن كما سبق، وقلنا أن شهادة الله التي آزر بها الكارزين لم تقتصر على الكارزين فقط بل كانت بالأكثر لمؤازرة الذين قبلوا الشهادة وقبلوا الخلاص: «**وهذه الآيات تتبع المؤمنين** (لاحظ هنا «المؤمنين») يُخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.» (مر١٦: ١٧و١٨)

والملاحظ في ترتيب الآيات ثم العجائب ثم القوات المتنوعة ثم مواهب الروح القدس أنها تتبع خط التأثير والتأكيد من الخارج إلى الداخل في القلب.

فالآية: لها خاصية تحطيم خط التفكير التقليدي المتسيطر على الإنسان، مثل أن الميت لا يقوم، فلما أقام المسيح لعازر من الموت تحطمت خرافة أن الموت ذو سلطان لا يُقهر.

والعجائب: لها خاصية تحطيم سلطان الطبيعة القاهر كالسير على الماء.

والقوات المتنوعة: كتفتيح أعين الأعمى المولود هكذا من بطن أمه لها خاصية تحطيم القضاء والقدر.

ومواهب الروح القدس: للإعلان عن الخليقة الجديدة السماوية التي حصلنا عليها بالخلاص.

بهذه الشهادات تثبّت الخلاص أنه من الله، وأنه فوق الموت وفوق الطبيعة وفوق كل قضاء

وقدر، وأنه من السماء من الروح القدس لخلقة إنسان جديد.

وهكذا تظل شهادة الروح القدس في قلب الإنسان للخلاص الذي عمله المسيح حسب مسرة مشيئة الله أبيه هي المعيار الأقوى والقياس المُعلَّى الذي يقيس به الإنسان مقدار علو شأن النعمة التي نحن فيها مقيمون. وكفى أن الشهادة التي يشهد بها الإنسان الجديد للخلاص الذي حاز عليه هي من الروح القدس، فالله يشهد فينا لِمَا له!

القسم الثالث من الدفاع الأول (بخصوص تفوق الابن على الملائكة)

قدمنا في **القسم الأول** (١:٥ــ١٤) شهادة الأسفار لرفعة شأن المسيح فوق الملائكة. وفي **القسم الثاني** (٢:١ــ٤) قدمنا خطر إهمال استعلان الله لابنه.

وها نحن هنا في **القسم الثالث** نقدم:

تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه
(٢:٥ــ١٨)

وهو كموضوع واحد ينقسم إلى فكرين:

الفكر الأول:

أن السلطان الأول الذي أعطاه الله للإنسان ليُخضِع كل شيء تحت قدميه وفَقَدَهُ، استردَّه المسيح له (٢:٥ــ٩).

الفكر الثاني:

ولكن لكي يحقق الله للإنسان سلطانه الأول الذي فقده بسبب الخطية، كانت الآلام التي قَبِلَها الابن ثمناً لرفع الخطية، الأمر الذي استلزم التجسد، والذي به صار الابن ــ إلى حين ــ أقل من الملائكة ولكنه تُوِّج بعدها بسابق مجده (٢: ١٠ــ١٨).

الفكر الأول
في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه
(٢:٥ــ٩)

مضمون الفكر الأول:

٢: ٥ «فإنه لملائكة لم يُخضِع العالم العتيد الذي نتكلم عنه».

٢: ٦ «ولكن شهد واحد في موضع قائلاً: ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده».

٢: ٧ «وَضَعْتَهُ قليلاً عن الملائكة، بمجد وكرامة كلَّلته وأقمته على أعمال يديك».

٢: ٨ «أخضعت كل شيء تحت قدميه. لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضَعاً له».

٢: ٩ «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

تقديم:

يستأنف السفر هنا وصفه للمسيح بعد أن توقَّف قليلاً في الأربع الآيات السابقة التي قدَّم فيها نصيحته أن ننتبه لهذا الكلام لئلا نفوته، لأنه يختص بخلاص عظيم هذا مقداره حتى لا نقع في العقوبة التي تتناسب مع خطورة إهمال هذا الخلاص.

ثم يعود هنا إلى الابن، بعد أن استعلن علو شأنه بما لا يُقاس فوق الملائكة، فيعرض هذا العلو في المجد الذي للابن المستوي على العرش مع أبيه، حيث نراه يتبنى قضية الإنسان، الإنسان الذي كان قد أقامه الله على كل عمل يديه وسلَّطه على الجميع حتى صار الكل تحت قدميه، ولكن بسبب الخطية فقد الإنسان هذا السلطان وصار الكل غير خاضع له، حتى تبنَّى ابن الله قضية الإنسان، فتجسد كابن للإنسان وصار بذلك أقل من الملائكة، ولكن لزمن قليل، أكمل فيه إخضاع كل شيء تحت قدميه لحساب الإنسان، وذلك بقبوله حكم الموت من أجل خطية الإنسان التي حملها كرئيس كهنة، وذاق الموت فعلاً، ولكن بنعمة الله، وليس بغضبه أو نقمته. الأمر الذي نال بسببه مرة أخرى إكليل المجد والكرامة كابن يجلس عن يمين أبيه في المجد.

الشرح:

٢ : ٥ **«فإنه لملائكةٍ لم يُخضِع العالمَ العتيد الذي نتكلَّم عنه».**

ما هو العالم العتيد الذي تكلم عنه هذا السفر سابقاً؟

العالم العتيد: οἰκουμένην τὴν μέλλουσαν

هنا تتعدد وجهات نظر العلماء بخصوص هذا العالم العتيد. فبالرغم من أن الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) تعبِّر عن أرض المستقبل orbem terrae futurum، إلاّ أن العالم وستكوت يرفض فكرة عالم المستقبل عموماً أو السموات — ولكنه يكتفي بالنظرة إلى أنها تعبِّر عن **الدهر الآتي**(١٠)، وبالنسبة لله تكون هي **ملكوت الله**(١١) أو **ملكوت السموات**(١٢) أو مضمون **نتيجة عمل المسيح الخلاصي**(١٣).

أما العالم موفات فيرى أنها تعبِّر عن **الوضع الجديد للأشياء الذي فيه يتحقق الخلاص**(١٤) والذي نحن ننعم الآن بإنعاماته.

أما العالم أتردج فيرى أنه يعبِّر عن **حقائق العالم الجديد**(١٥)، **الدهر الآتي** الذي عرفنا منه الآيات والعجائب التي تشهد لرسالة الخلاص التي أكملها الرب، وعموماً هو عالم الأُخرويات.

كذلك فالعالم مونتفيور يرى أنه **«العالم الآتي»** أو **«المدينة العتيدة»**(١٦). والعالم دونالد جوثري يرى أنه الحياة **ما بعد الحياة الحاضرة**(١٧) أو **النظام الجديد الذي أنشأه المسيح** الذي **بدأنا نعيشه** نحن من الآن باعتباره ملكوت الله، أو ربما هي **نهاية هذا الدهر.**

أما العالم بارمبي فيرى أنه هو ما سبق وقال عنه سفر العبرانيين **«هذه الأيام الأخيرة»** مع الاعتبار بأنها **تحمل أيضاً مجيء المسيح الثاني**(١٨).

10. Westcott, *op. cit.*, p. 40.
11. Ibid.
12. Ibid.
13. Ibid.
14. ICC by Moffat, p. 21.
15. Attridge, p. 70.
16. Montefiore, p. 55.
17. Guthrie, p. 84.
18. J. Barmby in The Pulpit Commentary, p. 45.

وبهذه الأفكار مجتمعة ربما يكون القارىء قد أخذ صورة عامة عن مقصد السفر في قوله: «العالم العتيد».

وبحسب رأينا، ومن مسار حديث السفر عن كيف أن الله أخضع في البداية العالم الأرضي للإنسان لمّا خلقه واضعاً كل شيء تحت قدميه كما يقول المزمور بإسهاب:

+ «إذ أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كوّنتها،
فمَنْ هو الإنسان حتى تذكره أو ابن آدم حتى تفتقده،
وتُنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلِّله،
تسلِّطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه،
الغنم والبقر جميعاً وبهائم البَرِّ أيضاً وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه ...» (مز ٨: ٣ــ٨)؛

ففي مقابل هذا العالم الأرضي الذي وصفه بعد ذلك بأنه كثوب يبلى ويتغيّر، يقع هنا **«العالم العتيد»** الذي هو ميراث **«العتيدين أن يرثوا الخلاص»**، والذي سبق وأوضح أن دور الملائكة فيه هو للخدمة فقط وليس السيادة أو التدبير.

فواضح أن العالم العتيد الذي كان يملأ فكر الرسول كاتب سفر العبرانيين **هو عالم الخلاص الذي فيه الكل مُخضَع لصاحب الخلاص.** أما حدود هذا العالم فلا تخضع للزمن ولا للمكان، فلا هو مستقبلي من جهة الزمن ولا هو منسوب للعالم الحاضر في شيء، فلا هو بعده ولا هو ضده؛ بل إن العالم العتيد هو بعينه الحياة الأبدية التي كانت مخفية في الآب وأُظهرت بظهور المسيح في ملء الزمن، وحيث دور الملائكة هو الخدمة سواء بالنسبة لله أو بالنسبة للمعيَّنين للحياة الأبدية.

ولكن ما كان يملأ فكر الرسول هو التدرُّج والانتقال من إخضاع ما في العالم عند خلقته تحت سيادة الإنسان، ثم إذ دخلت الخطية أنهت على سيادته وسلطانه، ثم بتجسد المسيح وموته وقيامته عاد الإنسان ــ ومن خلال المسيح الذي اتحد ببشريتنا ــ واسترد سيادته في المسيح، لا على عالم المخلوقات الأرضية بل وعلى العالمين أجمعين، حتى الملائكة أيضاً وكل من في السموات:

+ «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، **وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا** نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، **وأخضع كل**

شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٨—٢٣)

واضح هنا **أن المسيح، ونحن فيه، قد بلغنا** إلى هذا الحد الفائق في السلطان على الأرض والسماء، لأن إخضاع كل شيء تحت قدميه صار له ونحن فيه، هو الرأس ونحن الجسد الذي له. هذه العملية العظمى التي نقلت الإنسان هذه النقلة الفائقة من سيادة مفقودة على الأرض إلى سيادة مع المسيح وفيه على كل الأرض والسماء في شخص يسوع المسيح، هي التي كانت تملأ ذهن الرسول وهو يضع المقارنة بين سيادة المسيح على **«العالم العتيد»** — ونحن معه — بالنسبة للملائكة التي لا يزيد دورها فيه عن مجرد خدمة الخلاص والمخلَّصين.

+ «ألستم تعلمون **أننا سندين ملائكة**.» (١كو٦: ٣)
+ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه.» (رؤ١: ٦)
+ «وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة **فسنملك على الأرض**.» (رؤ٥: ١٠)
+ «ورأيت **عروشاً فجلسوا عليها وأُعطوا حكماً** ... وملكوا مع المسيح ألف سنة ... هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة.» (رؤ٢٠: ٤و٦)

في كل هذه الآيات لا نرى دوراً للملائكة من جهة التملك أو السيادة أو إخضاع أي شيء لسلطانهم. بل على النقيض نسمع أن للإنسان سلطاناً أعلى من بعض الملائكة، وأن المسيح هو وحده الذي يملك على الكل «وله على ثوبه وعلى فخذه اسمٌ مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب.» (رؤ١٩: ١٦)

٢: ٦ **«لكن شَهِدَ واحدٌ في موضعٍ قائلاً: ما هو الإنسانُ حتى تذكره أو ابنُ الإنسانِ حتى تفتقدَهُ».**

إن عدم ذكر هذا الشاهد مع أنه معروف جداً وأنه لداود النبي في المزمور الثامن، وهو المزمور الأساسي الذي اختاره سفر العبرانيين كمرجع لمعظم تحقيقات هذا القسم، يوضح لنا أن كاتب السفر إنما هو مشغول بالأسلوب الوعظي أكثر منه بالبحث والتدقيق الكتابي. وهذا يزداد وضوحاً عندما نعرف أنه قلّما أورد آية بنصِّها، فكان يذكر الآية من الذاكرة دون الرجوع إليها في موضعها، على أنه كان يضع في الاعتبار دراية هؤلاء العبرانيين وتمرُّسهم في معرفة هذه الآيات في مواضعها،

وهو ما يبدو لنا غريباً نوعاً ما وذلك يرجع إلى عدم إتقاننا حفظ كلمة الله، خاصة المزامير، والتي كانوا يتلونها عن ظهر قلب.

والغريب أيضاً أن كل الربيين لم يعتبروا هذا المزمور أنه يحمل إشارات ماسيانية وإنما هو قطعة تسبيح لله تبدأ بعظم جلاله في خلقته السموات وخلقته للقمر والشمس والنجوم في أفلاكها، ثم يعود ويقارن ذلك بحقارة الإنسان وأنه ليس كفؤاً أن يعتبره أو يذكره. ولكن كاتب سفر العبرانيين يلتقط هذا، وعوّض أن يكون الإنسان أو ابن الإنسان هكذا متواضعاً بالنسبة لعظمة الله وغير مستحق أن يكون له اعتبار لدى الله، يراه، ومن مستوى النبوة وروحها التي كتب بها داود، أن هذا الإنسان أو بالحري ابن الإنسان هو الرب يسوع، وعوّض الاتضاع يراه متنازلاً، و بدل الافتقاد الذي افتقد به الله الإنسان كونه جعله سيداً على الأرض التي خَلَق، يصبح هذا افتقاداً فيه السيادة على كل الخليقة في الأرض والسماء جميعاً، إذ هو ليس ابن إنسان فحسب بل هو هو ابن الله الذي تجسّد.

«تذكره، تفتقده»: μιμνῄσκῃ, ἐπισκέπτῃ

يستكثر داود على الله العظيم خالق السماء والأرض والنجوم والأفلاك في سموّها أن يضع الإنسان في فكره ويذكره؛ بل ويزيد على كونه يتذكر الإنسان بأن يفتقده أيضاً، هنا التذكار فعل فكري والافتقاد عمل شخصي، حيث **الافتكار** أو التذكار ارتباط من على بعد، **والافتقاد** أو العيادة ارتباط على القُرْب. ولكن كلا العملين النظري والعملي يغطيان ألفة فريدة من نوعها بين الله العظيم والإنسان المتواضع ويهدفان إلى تقريب الإنسان من العزّة الإلهية، كل ذلك من طرف واحد وهو الله. الأمر الذي لم تحظَ به خليقة أخرى إن في السماء أو في الأرض طراً. وهنا موضع تعجُّب كاتب المزمور ورفعه إلى مستوى تسبيح وشكر يدوم.

أما فيما يخص داود النبي فتسبيحه وشكره لعظمة الله يقوم أساساً على كون الله أخضع تحت قدمي الإنسان الطيور والدواب والأسماك السالكة في مسالك البحار. أما كاتب سفر العبرانيين فرأى ومن واقع الحال أن التسبيح والشكر الحقيقي لله يقوم على أساس تذكُّر الله للإنسان حال سقوطه، فلم يتخلَّ عنه بل جاء شخصياً ليعود الإنسان أي يفتقده ويطيِّب جراحه.

٢ : ٧ **«وضعتهُ قليلاً عن الملائكةِ، بمجدٍ وكرامةٍ كلَّلْتَه وأقمته على أعمالِ يديك».**

هنا داود يتكلّم بالرؤيا والروح عن الإنسان المخلوق، الذي يبدو في مظهره وجوهره بائساً وشقياً

في دنياه المخلوقة له. ولكن لا يزال الإلهام يلمع في فكر داود ليرى في الإنسان ما لا يُرى، فهو يحمل كياناً سريًا عالياً وخطيراً، وإن كانت الخطية قد لوَّثته، أما صورته التي خلقه الله عليها لتحاكي صورته، وإن كانت قد تمزقت هكذا بالتعدّي والبُعاد عن الأصل والمصدر الذي يغتذي به ويتشكَّل، إلاَّ أنه، أي الإنسان، لا يزال يحمل عنصر الخلود وظلّ الصورة الإلهية خلف واقعه المر.

ولكن لا تكتفي النبوة بالوقوف على واقع الإنسان في دنياه يشقى فيها وتشقى به، إذ يمتد الروح وتمتد الرؤيا لترى في الإنسان، أو بالحري في ابن الإنسان، الصورة النهائية عبر الأزمنة، الصورة الأخروية حيث تُستعلن طبيعة الإنسان مرة أخرى لا في واقعها الدنيوي المزْبل في واقعها الأخروي الإلهي في دائرة مشيئة الله الذي «اختارنا فيه (المسيح يسوع) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف١: ٤)

«وضعته قليلاً عن الملائكة»:

«وضعته قليلاً» ἠλάττωσας βραχύ وترجمتها الصحيحة «جعلته **أقل قليلاً**»، وقد تجاوزت الترجمة العربية في حذف **أقل** حيث الأقل قليلاً لا تفيد الزمن بل الدرجة(١٩). أما القياس الذي قيست عليه درجته فهنا يذكر المزمور الملائكة، ولكن القياس في النص العبري هو «إلوهيم» = «آلهة» (٢٠)، بما يُفهم من ذلك أن درجته وُضعت أقل قليلاً من طبيعة لاهوتية. وقد ترجمها جيروم بالكلمة اللاتينية: a deo (= من إله)، وكذلك السريانية(٢١). وهذا المفهوم نراه معروضاً بصورة ما في هذه القصة:

+ «فقالت المرأة: مَنْ أُصعد لك؟ فقال: أصعدي لي صموئيل (وكان قد مات). فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلَّمت المرأة شاول (الملك) قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ فقال لها الملك لا تخافي. فماذا رأيتِ؟ فقالت المرأة لشاول: **رأيت آلهة يصعدون** من الأرض، فقال لها: ما هي صورته، فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مُغطَّى بجبة. فعلم شاول أنه صموئيل فَخَرَّ على وجهه إلى الأرض وسجد.» (١صم٢٨: ١١ــ١٤)

19. Westcott, *op. cit.*, p. 44; The Pulpit Commentary, vol. 21, *Heb.*, p. 46.
20. Ibid.
21. Ibid.

ولكن السبعينية خففت من ثقلها وجعلتها «أقل من الملائكة». لذلك فهنا تنصبُّ النبوة على المسيح وليس على الإنسان البسيط، حيث أن تجسُّد المسيح صيَّره إنساناً في صورة أقل شكلاً من الملائكة وهو في حقيقته الله «الله ظهر في الجسد» (١تي٣:١٦). إذاً، فهذا مزمور ماسياني بالدرجة الأُولى، وعلى هذا الاعتبار اتخذه كاتب السفر للتدليل على سمو المسيح.

وقد كشف كاتب السفر بمنتهى الوضوح في الآية التالية عما يراه بخصوص العلّة التي جعلته «أقل من الملائكة قليلاً»، وهي الموت الذي جازه المسيح. على أن سبب الانخفاض في مستوى الدرجة سنراه كيف أصبح هو بعينه سبب الكرامة والمجد اللذين استُعلنا له جزاءً وفاقاً لاتضاعه وطاعته، وذلك لأخذه دور «الأقل قليلاً» ليرتفع بالمجد والكرامة فوق الملائكة وكل خَلْق السماء طُراً. إذاً، فوضع درجة المسيح أقل قليلاً من الملائكة كان في حقيقة الأمر هو **«الدور»** الذي قام به المسيح بلبس الجسد وتقديم نفسه ذبيحة خلاص، الأمر الذي لا يجوز لملاك أن يأتيه بل ولا يستطيع.

«بمجد وكرامة كلَّلته وأقمته على أعمال يديك»:

داود النبي لا يزال مشغولاً بالإنسان في واقع حاله كونه مخلوقاً على صورة الله أصلاً، فهو وإن زلَّ وعصى وتعدَّى الوصية إلاَّ أنه بقي هو هو في صورة الله. وأما المجد الذي يراه داود مع الكرامة التي للإنسان فهذان متأصلان في النبوات على مستوى الرؤية الأخروية للإنسان، قالها داود وهو يرى ما لا يُرى وقد انطلق بروحه ليرى ما سيكون وما خبأه الله للإنسان يوم يفوز برضاه وينعم ببره بعد نوال الفداء وقبول المصالحة والتبني، اسمعه وهو يصف الله وسط مختاريه من بني البشر:

+ «الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي!!!، ... أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم.» (مز٨٢: ١و٦)

واعلم أيها القارىء العزيز أن الوحي هنا يتكلم بغاية الوضوح والإتقان عن الإنسان وهو لابس حلَّة المعمودية وفي يده بطاقة العرس ومدعو للوليمة ... وإلاَّ فاسمع المسيح نفسه يقرر ذلك ويوثِّق:

+ «أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم (مز٨٢) ــ **أنا قلت إنكم آلهة ــ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله (الإنجيل والخلاص) ولا يمكن أن يُنقض المكتوب،** فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدِّف لأني قلت إني ابن الله.» (يو١٠: ٣٤ــ٣٦)

وحينئذ، وقد أخذوا هذا الوصف «إنكم آلهة»، يكمل هذه الفكرة مزمور آخر، إذ وهم

«أبناء العلي» أصبح عليهم تقديم المجد والكرامة والعزة والسجود:

+ «قدِّموا للرب **يا أبناء الله، قدِّموا للرب مجداً وعزاً، قدِّموا للرب مجد اسمه**، اسجدوا للرب في زينة مقدسة.» (مز٢٩: ١و٢)

حيث إكليل المجد والكرامة مقدَّم هنا للرب يسوع المسيح، الذي قال له الآب علناً رداً على طلبه «مجِّدني»: «مجَّدت وأمجِّد أيضاً» (يو١٢: ٢٨). وهكذا نال المسيح إكليل المجد والكرامة لحساب الإنسان المُفدَّى.

ويعوزنا الوقت وتعوزنا القدرة على الخوض في استعلان ما قد صار إليه الإنسان في المسيح يسوع، بعد أن نلنا التبني لله وصرنا بحسب قول بطرس الرسول: «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤)، وبحسب بولس الرسول: نمتد عبر النعمة وفعالية الروح القدس إلى أن نصل «**إلى قياس قامة ملء المسيح**» (أف٤: ١٣)، هذا الإنسان الجديد العجيب والمتعجَّب منه «**المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف٤: ٢٤)، و«**الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.**» (كو٣: ١٠)

فإن كان داود النبي محصوراً في هيئة الإنسان عامة بحسب الواقع المؤلم المسيطر على ذهنه الجسدي، إلَّا أن روحه كانت تؤاخي الإنسان الجديد الذي يشبه الآلهة عن حق: «الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بي **فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها.**» (يو١٤: ١٢)

ويا لقصور فكرنا ويا لمحدودية رؤيتنا فيما سيؤول إليه الإنسان الجديد هناك، هناك عندما نكون حيث المسيح كائن، ونكون معه ونراه كما هو: «**فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**» (كو٣: ٤). هذه كانت تعزية بولس الرسول:

+ «الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون **المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية**» (رو٢: ٦ــ٨)،

+ «**مجد وكرامة وسلام لكل مَنْ يفعل الصلاح ...**» (رو٢: ١٠)،

+ «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا **ليكون على صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)

وهي بعينها رؤية بطرس الرسول من جهة إنسان الإيمان:

+ «لكي تكون تزكية إيمانكم ــ وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار ــ **توجد**

للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط١: ٧)

وهكذا وبوضوح يكون الإنسان في المسيح قد تكلّل يوم تكلّل المسيح بالمجد والكرامة:

+ «إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا مُعاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب **كرامة ومجداً**، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررتُ به.» (٢بط١: ١٦و١٧)
+ «ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة.» (رؤ٥: ١١و١٢)

٢: ٨ **«أخضعتَ كلَّ شيءٍ تحت قدمَيْهِ. لأنه إذ أخضع الكلَّ لهُ لم يترك شيئاً غيرَ خاضعٍ له، على أننا الآن لسنا نرى الكلَّ بعدُ مُخضَعاً لهُ».**

هنا مواجهة واضحة بين الإنسان، عندما خلقه الله بطبيعة نبيلة وسامية فوق الطبائع الأخرى حتى أنه لم ينتقص في **درجته** ــ بحسب المزمور ــ إلاَّ قليلاً عن الدرجة الإلهية أو تجاوزاً عن الملائكة، وبين العالم والمخلوقات التي فيه، إذ أن الله أخضع كل شيء تحت قدميه ولم يترك شيئاً غير خاضع له. هذا بحسب مشيئة الله وحسب واقع الخلقة الأُولى.

ولكن يعود سفر العبرانيين وينظر إلى الإنسان في واقعه الحالي، فيجد أنه ليس الكل مُخضَعاً له، وذلك بسبب تعدّيه وصية الله وسقوطه عن النعمة التي كانت هي السبب الأساسي في هيبته ورهبته لدى كافة المخلوقات، وسبب استنارة وعيه لإدراك غوائص الأمور، وقوة روحه وسلطانه في مواجهة الطبيعة وإخضاع كل قوانينها بل وفي قدرته على الإبداع. كل ذلك فقده بفقدان النعمة، فبدل أن كان الكل خاضعاً له صار هو، ويا للحزن والأسى، خاضعاً لكل هذه وبالكاد يفلت من سطوتها.

وهنا يرتفع كاتب السفر إلى أَوْج الرؤية النبوية، وإنما من حكم الواقع، ويكمّل في العهد الجديد بالوحي، الوحي الذي أملى المزمور في العهد القديم محدداً حتمية حدوث طفرة في طبيعة الإنسان لرفع درجته لإعادة سيادته وسلطانه، ليس على طبائع العالم المخلوق وحسب بل والعالم العتيد أيضاً (٢: ٥). هذه الطفرة لابد أن تُزال من أمامها الخطية التي أوقعت الإنسان من مجد كرامته بل وطردته من أمام حضرة الله، ويلزم له أن يتخلص من عار عصيانه ومن حكم الموت

الذي أصابه حتى يسترد سابق درجة مجده: **«وأنا قد أعطيتُهم المجد الذي قد أعطيتني»** (يو١٧: ٢٢)، ويسترد سابق مجد طبيعته: «الذي **سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)

وهكذا أدخلنا كاتب السفر في صميم عمل الفداء وآلام الصليب، لابن الإنسان الذي تبنَّى قضية الإنسان ليعيده إلى درجته الأولى وأكثر حيث يخضع الكل له، ليس في الدهر الحاضر بل والآتي أيضاً في شخص ربنا يسوع المسيح.

٢: ٩ **«ولكنَّ الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكةِ يسوع نراهُ مُكلَّلاً بالمجدِ والكرامةِ من أجلِ ألمِ الموتِ لكي يذوقَ بنعمةِ الله الموتَ لأجلِ كلِّ واحدٍ».**

هنا الإبداع الحقيقي لهذا الرسول الملهم، إذ ربط بين المزمور الذي انحصر فيما للإنسان بصورته العامة وحسب، وتوقف عند «الكل غير مُخضَع له»، وبين الإنسان يسوع المسيح في صورته الفدائية التي أكملت ما كان أصلاً للإنسان من سيادة وسلطان ومجد، كمشيئة الله الأولى من خلقته وأكثر، الأمر الذي «تشتهي الملائكة أن تطّلع عليه» (١بط١: ١٢)، الذي هو سر المسيح الفادي، إذ أعطى للإنسان المجد الذي له بل وسقاه وغذّاه من سر طبيعته الإلهية ليكون شريكاً فيها، بل ومنحه صك شركة في ميراث بنوّته لله فصار الإنسان ابناً عوض أن كان عبداً، ووارثاً لله ومُلك السماء عوض أن كان عبد المتسلطين.

ولقد عبّر الرسول على التجسُّد دون أن يشير إليه إلاَّ بقوله: **«ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة»** حيث جمع البشرية كلها في شخص يسوع، وفي شخص يسوع جمع كل النقص وسببه الذي أحطّ بالإنسان دون درجة الملائكة. وهكذا أظهر الرسول شخص يسوع المسيح مثلاً للبشرية كلها في نقصانها من كل الوجوه وتدنّيها عن درجة الملائكة، لا كقائد يقود الإنسان ككل، ولا كبطل يدافع عن الإنسان، ولكن ــ كما سنرى ــ كرئيس كهنة يحمل في جسده الفدية، ويعالج النقص والتعدي بذبيحة نفسه، ويرفع العار عن الإنسان بصليبه، ويخلّص الإنسان من لعنة الموت، ويرفعه مكلَّلاً بالمجد إلى السموات بقيامته من الأموات. وهكذا صار بالمسيح يسوع ــ ويا للعجب العجاب ــ أن كُلِّل الإنسان بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت الذي ذاقه الإنسان الواحد يسوع المسيح، الواحد من أجل الكل، فالكل ذاقوه، وذلك لا كنقمة من الله أو عقاب بعد، بل بالحب الغامر والنعمة لأجل كل واحد.

هكذا استطاع هذا الرسول بعمق الإلهام الذي فيه أن يَعبُر بالبشرية كلها من خلال الرب يسوع المسيح وفيه من درجة نقصانه الأقل قليلاً عن الملائكة، بسبب كثافة الجسد وسقطة الخطية، ذلك إنْ وضعنا الإنسان الساقط في الحسبان، وبسبب آلام الموت وعار الصليب إنْ كان يسوع المسيح ابن الإنسان هو الذي في الحسبان، ليتخلص الإنسان من هذه وتلك بالقيامة من الأموات مكلَّلاً بالمجد والكرامة لا فوق الملائكة وحسب بل وفوق العالمين! إذ صار ابن الإنسان، والإنسان فيه، جالساً في السموات عن يمين الله.

وبهذه الآية الواحدة استطاع أن يجمع رسول سفر العبرانيين كل اللاهوت المسيحي في مقولة واحدة، حيث احتوى الخطية والغفران في مفهوم الفداء، كما احتوى الموت والقيامة في مفهوم النعمة والمجد، واحتوى الكنيسة في مفهوم سر احتواء الواحد **للكل**، واحتوى سر الخلاص كله في مفهوم النعمة الفائضة من الله داخل ذَوْق الموت وآلامه. ولعلها أول مرة نواجه مثل هذا الزخم اللاهوتي المركَّز للغاية الذي فيه يخرج الرسول من الإنسان إلى المسيح، ثم يدخل بالمسيح إلى الإنسان، فنرى الإنسان في المسيح والمسيح في الإنسان وحدة عجيبة، فيها النقص كل النقص والكمال كل الكمال، فيها ألم الموت وفيها إكليل المجد، فيها فقدان السلطان على الأرضيات وفيها كل سلطان مما في السموات وعلى الأرض.

إن الإنسان يكاد يُذهل من هذا الخلط الإبداعي الذي يجمع المتناقضات فإذا هي الانسجام في أكمل وجهاته، يجمع ما للإنسان وما لله، فلا يفنى ما للإنسان أو يحترق ولا ينتقص ما لله أو يتدنس، فالكل يدخل الناقص فيصير إلى كمال، والله يغشي الإنسان فيسمو الإنسان فوق نفسه وفوق طبيعته ويصير فيما لله: «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١ كو١٢: ٢٧)، «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠)، أولاد الله وأهل بيت الله، خاصته المفتداه الوارثة كل ما لله.

«الرؤية والنظر» بين الآية (٨) والآية (٩): تعليق للعالم وستكوت(٢٢):

الآية (٨): «لسنا نرى الكل بعد مُخضَعاً له» = ὁρῶμεν

الآية (٩): «يسوع نراه مكللاً بالمجد» = βλέπομεν

22. Westcott, *op. cit.*, p. 45.

ليس جزافاً أن يعطي الرسول كلمة يونانية خاصة تعبِّر عن الرؤية الأولى وأخرى تعبّر عن الرؤية الثانية:

+ ففي «لسنا **نرى** الكل بعد مُخضعاً له»، **هنا الرؤية تعني النظر أو المشاهدة بصورة دائمة ومستمرة، فالنقص الذي يعاينه الإنسان واضح ودائم ومستمر.**
+ أما في الثانية: «**يسوع نراه** مكللاً بالمجد» **هي تعبير عن هبة الرؤية التي تلمح الحقيقة مرة واحدة لتبقى حقيقة.**

هنا لا يسعنا إلاَّ الإعجاب بدقة الكاتب وروعة اللغة اليونانية في التعبير عن الحقائق.

أما الأمثلة التطبيقية فواجبة لكي ندرك عمق الفارق. ففي الرؤية الأولى وهي النظرة الدائمة والمستمرة على الدوام يعطي العالم وستكوت المثل الآتي:

+ «بالإيمان ترك (موسى) مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدد كأنه **يرى** = ὁρῶν **ما لا يُرى.**» (عب١١: ٢٧)

هنا الرؤية الروحية عملية مستمرة داخل قلبه بصورة عامة.

أما الرؤية الثانية التي تعبِّر عن هبة الرؤيا بحد ذاتها في وضع خاص منفرد:

+ «**وفي الغد نظر** βλέπει يوحنا **يسوع** مقبلاً **إليه فقال**: هوذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو١: ٢٩)

هنا النظرة نظرة كاشفة خاطفة.

وهكذا يُسلِّحنا هذا العالِم اللغوي بمعرفة دقيقة عن **قول** الرسالة: «لسنا نرى الكل بعد مُخضَعاً له»، أي الرؤية الداخلية المستمرة، نعايشها ونعيشها بواقع مؤلم ينتظر الخلاص.

«لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد»:

واضح هنا غاية الوضوح عملية الفداء العظيم لأجل العالم كله: «**كل واحد**». كما أنه واضح أيضاً وبغاية الوضوح أن موت المسيح لم يكن غضباً أو عقاباً أو جزاءً يستحقه، بل «**بنعمة الله**» ذاق الموت. **أي لم يكن الموت مصدره توقيع عقوبة من الآب على المسيح عوضاً عن الخطاة** كما يفهمها كثيرون، بل كان دافعها الحب والمحبة تعمل **بالنعمة. فهو قَبِلَ** أن يدخل الموت بمسرة مشيئته وحسب مسرة مشيئة الآب بدافع المحبة، محبة الآب للعالم ومحبة الآب للمسيح الابن الذي «بذله لأجلنا أجمعين» (رو٨: ٣٢)، ثم محبة المسيح للآب ومحبة المسيح لكل الخطاة الذين أوّلهم أنا

كما يقول القديس بولس! «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢:٢٠)، «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥:١٣). «فنعمة الله» خططت لموت الابن، «ونعمة الله» رافقت الابن على الصليب، «ونعمة الله» كانت هي قوة القيامة من بين الأموات؛ ولكن «نعمة الله» لم تخفف ألم الموت ولا هي رَفَعَت قسوته ورعبه وعمقه وحتميته حتى التراب.

فللأسف بدا لبعض الشراح، حتى العِظام منهم، أن كلمة «ذاق» كلمة مخففة لحقيقة الموت فوصفوها وصفاً أخرج معنى الموت من عمقه وسطوته وشموله حينما قالوا: [كما أن الطبيب لا يحتاج إلى أن يذوق الطعام الذي يحضره للمريض، ولكن من واقع العناية به يذوقه أولاً بنفسه حتى يقنع المريض ويجعله يثق بالطعام، هكذا ولأن كل الناس كانوا يخافون الموت فلكي يقنعهم حتى يتشجَّعوا قبالة الموت، ذاقه هو أيضاً بنفسه مع أنه كان في غير حاجة لذلك].

ولكن الحقيقة أنه ذاق الموت متعمداً الموت ذاته، ومُنقضّاً عليه كعدو، وهو عدو الإنسان كافة وعامة وهو الموت ومن له سلطان الموت أي إبليس، فقد نزل الابن خصيصاً من السماء ليصارعه ويصرعه في هذه المعركة المهولة التي وقفت الدهور كلها ترقبها، وتترقبها كل الأجيال. ثم هو لم يذُقه لنفسه، ولا ليقنعنا أن نذوقه، كما هو ذاقه، بل ذاقه مرة واحدة من أجلنا جميعاً ومن أجل كل واحد ونحن فيه، ففي بشريته كنا كلنا قائمين فذُقنا الموت لمّا ذاق، لأنه لمّا ذاقه كنا فيه. أما موتنا الآن فهو غير موجود، فعلى مَ نتشجع تجاه الموت والموت صريع تحت أقدامه وأقدامنا؟

+ «مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو١١:٢٦)
+ «أين شوكتك يا موت، أين غلبتكِ يا هاوية.» (١كو١٥:٥٥)
+ «بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية».

(لحن يُقال في دورة عيد القيامة والخمسين المقدسة).

أما موت الجسد فيشاركنا فيه كل حيوان الأرض فعلى مَ تكون الشجاعة؟ بل وبسبب أنه رفع من الموت (الأبدي) غُصَّته القاتلة ورُعبته كعقوبة أبدية شملت كل كياننا الآدمي، كما رفع منه آلامه النفسية المرعبة التي كانت تواجه الجحيم وصاحب مفاتيح الجحيم، نقول: لأن المسيح رفع من الموت الأبدي كل رعبته صرنا في المعمودية نجوزه فرحين مهللين وكأنه المجد بعينه، ومعه إكليل الخلاص: «وعلى رؤوسهم فرح أبدي.» (إش٥١:١١)

ويلزمنا هنا أن نحذِّر من أن نعتبر الموت الذي ماته المسيح مجرد موت جسدي، يخلو من اللعنة

التي حلّت على آدم وبنيه بسبب الخطية، بل إنه «صار لعنة لأجلنا» (غل٣:١٣)، وذاق الحرمان عينه الذي كان يعانيه آدم وبنوه: «إلهي إلهي لماذا تركتني.» (مت٢٧:٤٦)

«لأجل كل واحد»: ὑπέρ παντός

هنا هبة الموت التي أعطانا ابن الله أن نجوزها معه في بشريته التي حملّنا فيها كلنا واحداً واحداً هي، بجوار أنها عمل عام، فهي أيضاً عمل يخص كل واحد بمفرده. لذلك حينما نعتمد، فنحن لا نعتمد جماعات جماعات ولكن فرداً فرداً كل واحد في دوره، ليأخذ كل واحد شركته الخاصة في موت المسيح الذي ماته لكل واحد فيه. كذلك هذا التفرُّد عينه الذي نناله في المعمودية بالموت والدفن والقيامة معه كل واحد في دوره هو الذي يعطينا ويهيئنا لنوال كل واحد منا عطية الله كما قسَّم الله لكل واحد من إيمان، فنصير أعضاءً متمايزة في جسده، كل عضو بمفرده يعمل على قدر ما وُهب من نعمة والكل يعملون معاً مرتفقين أعضاءً بعضها ببعض ولبعض. فالكنيسة أخذت أول ما أخذت كيانها، أخذته من المسيح وهو على الصليب وفي القبر ثم بالقيامة، فبشرية المسيح العامة والحاملة كل واحد هي أصل الصورة الحية للكنيسة ونحن نوقّعها عملياً في المعمودية والإفخارستيا فيأخذ كل واحد منا نصيبه في بشرية المسيح كلٌّ باسمه.

لذلك فبقول السفر هنا: «لأجل كل واحد» يكون قد شكَّل جسد المسيح والكنيسة، متجمعاً، وكأفراد. فإذا أمعنّا النظر في هذه المقولة المشحونة بالمعاني الإلهية، لا يسعنا إلاَّ أن نعترف ونمجد هذه النعمة الفائقة التي جمعتنا في المسيح مائتاً ومُقاماً، لهذا سبق ووصفها بالنعمة وهذا حق كل الحق: «لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد»، هكذا صار أننا نحن أيضاً وكل واحد فينا ذاق، بذوق بشرية المسيح، نعمة الله في هذا الموت المملوء نعمة.

وهكذا تحوَّل نقصان المسيح قليلاً عن الملائكة بسبب الموت الذي ذاقه إلى نعمة لنا فيه، فمن داخل لعنة الموت وعار الصليب بآلامه استُعلن مجد القيامة وقوة الخلاص والحرية والتبني والحياة الأبدية والسلطان الكامل في السماء والأرض: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت٢٨: ١٨و١٩)

كذلك من قوله: «لأجل كل واحد» يكون الخلاص فردياً والدخول إلى السماء فردياً، فطريق الحياة الأبدية لا يسع اثنين معاً فهو ضيق للغاية، كذلك الباب:

+ «لأن كل واحد يُملَّح بنار وكل ذبيحة تُملَّح بملح» (مر٩:٤٩). هذا ملح التجارب.

+ «ومن ذلك الوقت يُبشَّر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه إليه» (لو١٦:١٦). وهذا عمل التوبة.

كذلك يلاحظ القارىء أنه لم يقل «عن كل واحد» بل «لأجل ὑπέρ كل واحد»(*)، وهذا أمر خطير في مفهوم الفداء، فالمسيح لم يمت عني بل مات لأجلي؛ لأنه لم يمت وحده بل أنا وأنت متنا معه: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢:٢٠)، وموته الغالي جداً هو موتي، ولا أزال مطالباً أن أمارس موته كل يوم، وإذا لم أمت معه كل يوم «من أجلك نُمات كل النهار» (رو٨:٣٦)، يصير موته بلا فائدة وحياتي بلا ثمر.

وفي هذه المقولة أيضاً: «يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» يختزن لنا الروح علاقة فردية مع المسيح فريدة من نوعها، فهو فداء ذاتي وخلاص شخصي يقدِّمه المسيح عربون محبة معك ومعي؛ لمَّا أدركه بولس الرسول اعتبره أعظم نعمة وهدية من المسيح له شخصياً: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢:٢٠)، نفشت إلى أعماق نفسه فاستعبد نفسه للمسيح وصار يفتخر بهذه العبودية كل حياته، يذكرها أول ما يذكر في كل رسالة: «بولس عبد ليسوع المسيح»! (رو١:١؛ في١:١؛ تي١:١) كما صار يفتخر بهذا الموت ويرى فيه، لا علاقة مودّة وحب وعبودية وحسب، بل وعربون علاقة ثقة ورجاء لا يُحد: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في٤:١٣)

ونودُّ أن يشعر القارىء بالفارق الهائل بين أن يحس أن خلاصه هو عمل عام يناله بالسؤال والإيمان والاجتهاد، وبين أن يحس أن خلاصه عمل شخصي مُهدًى بالمحبة له من المسيح شخصياً وذاتياً كلَّفه سفك دمه على ذمته بالاسم، مودع لحسابه هنا ومحفوظ له في السموات لا يتدنس ولا يضمحل، كخاتم عرس منقوش عليه اسمه بالكامل يلبسه هنا كعربون في يده اليمنى وهناك في اليد اليسرى كاتحاد سري إلى الأبد: «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتُكم لرجل واحد، لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢كو١١:٢)

(*) لمعرفة الفرق بين «عن كل واحد» و«لأجل كل واحد»، يمكن القارىء الرجوع إلى كتاب: «القديس بولس الرسول، حياته. لاهوته. أعماله»، للمؤلف، ص ٢٨٥–٢٨٩.

الفكر الثاني
في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه
[٢ : ١٠—١٨]

لكي يحقق الله للإنسان سلطانه الأول الذي فقده بسبب الخطية، فكانت الآلام التي كان يجب أن يقبلها الابن ثمناً لرفع الخطية، مما استلزم التجسد الذي أنقص درجة الابن عن الملائكة قليلاً، وبعدها تُوِّج بسابق إكليل مجده الذي له.

هذا العنوان أعلاه يمكن أن نجعله على خطوات ليتضح أمامنا أكثر، فهو تمّ على درجات متوالية وذلك من واقع ترتيب الآيات.

الخطوة الأولى: علاقة ابن الله بالأبناء الذين سبق وعيّنهم لميراث المجد (٢: ١٠—١٣).
وذلك من واقع أنه هو الابن الوحيد، وهم نالوا التبني فصاروا أبناء الله بالنعمة.

الخطوة الثانية: أن التجسد جمعهما معاً: ابن الله الوحيد، وهم كبشر (٢: ١٤—١٦).

الخطوة الثالثة: لماذا التجسد جاء كضرورة حتمية لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا (٢: ١٧و١٨).

الخطوة الأولى
علاقة ابن الله بالأبناء الذين سبق فعيَّنهم لميراث المجد
(٢: ١٠—١٣)

٢: ١٠ «لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام».

٢: ١١ «لأن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد (الله)، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة».

٢: ١٢ «قائلاً أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبِّحك».

٢: ١٣ «وأيضاً أنا أكون متوكلاً عليه. وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله».

في هذه الآيات يُعقِّب السفر على ما سبق قوله بخصوص دخول المسيح الابن في ألم الموت. فكَوْن المسيا يتألم ويُصلب ويموت، فهذه أمور مرعبة بالنسبة للرجل اليهودي، وقد سمعنا أحد التلاميذ، وهو بطرس، يرد بسرعة وحماس وعقيدة على ما قاله المسيح مرة إن ابن الإنسان ينبغي أن يُصلب ويموت، فبادره بطرس: «حاشاك يا رب»!! (مت١٦: ٢٢). ومرة أخرى يرد الجموع على قول المسيح أنه: «إن ارتفعتُ عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت، فأجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان» (يو١٢: ٣٢—٣٤). فالآن وبعد أن ذكر السفر أن المسيح ذاق الموت وعَبَرَ آلامه، أصبح من المحتم أن يعطي شرحاً وتوضيحاً لماذا يموت المسيا ويتألم مع أن هذا مخالف لكل توقعات اليهود!

٢: ١٠ **«لأنه لاقَ بذاكَ الذي من أجلِهِ الكلُّ وبه الكلُّ، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرينَ إلى المجدِ أن يُكمِّل رئيسَ خلاصِهِم بالآلامِ».**

ملاحظة هامة:

من بدء هذه الآية نعتقد أن الرسول بولس يبدأ بصف هنا العلائق التي سبق المسيح وأدركها قبل التجسد وارتضى بها أولاً. والقديس بولس يتدرج في سرد هذه العلائق حتى يأتي إلى نقطة التجسد، تماماً كما صنع القديس يوحنا في بداية إنجيله، حيث وصف الابن قبل التجسد وأحاط بمؤهلاته وأعماله ثم انتهى إلى القول: «والكلمة صار جسداً» (يو١: ١٤)، هكذا نرى هنا هذا التدرج حيث يبتدىء بتدبير الآب كونه راغباً في إتيان أبناء كثيرين إلى المجد، فرأى أنه يلزم أن يتكمل رئيس خلاصهم بالآلام. أما الابن فلم يستح أن يأتي إلى الأرض ويلبس جسداً كجسد هؤلاء الأبناء المطلوب رفعهم إلى المجد وبالتالي يدعوهم إخوة له، لأنهم سيُدعَوْن للشركة معه في ذات بنوّته وميراثه للآب. كذلك تحدّدت أمامه معالم الإنجيل أي البشارة باسم الآب بين هؤلاء «الإخوة»، ثم كيف أنه سيكون محور العبادة «في وسط الكنيسة»؟ وكيف ستكون كل أعماله وأقواله معتمدة على ما يقوله ويعمله الآب «أكون متوكلاً عليه»؟ وبالنهاية سيخرج الابن ومعه هؤلاء «الأبناء» المدعوون إلى المجد في هيئة كنيسة هو قلبها ورأسها: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب٢: ١٣). وإلى هنا تنتهي المقدمة، ثم يبدأ الكلام عن التجسد هكذا: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما»!! لذلك لزم التنبيه.

«لأنه لاقَ»: Επρεπεν γάρ

حرف **«لأن»** يرد مباشرة على آخر ما قيل وهو أن «يسوع نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

ثم يعطي السبب مباشرة: **لأن** هذا الموت الذي ذاقه المسيح لأجل كل واحد هو أمر يليق بالله. وكلمة **«لاقَ»** في وضعها الماضي تفيد منتهى المناسبة والواجب والأصول معاً وكلها منسوبة لله، لا كأننا دخلنا في أصول تفكير الله أو معرفة تدبيره، ولكن هذا اتضح من النتائج التي تنطق بأن ما عمله الله في تأليم ابنه من أجل كل واحد هو عمل لائق جداً بعظمة الله وسعة قلبه ورحته بل ومناسب غاية المناسبة لأُبُوَّته الحانية، لأن ما حصلنا عليه من خلاص ومصالحة وسلام وقداسة وبر وتبني، هذه كلها تشهد لمنتهى فطنة الله وحكمته التي تفوق الحد:

+ «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب (يسوع) الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا **حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة.**» (أف١: ٥–٨)

+ «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان **لكي يرحم الجميع، يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه.**» (رو١١: ٣٢و٣٣)

هكذا حينما بلغنا ما بلغنا من النعمة التي نحن فيها مقيمون، أدركنا مدى لياقة العمل الذي عمله الله في ابنه من جهة آلام الموت ليصل بنا إلى ما وصلنا من مجد وميراث في السماء مُعَدٌّ!!

وأما بخصوص جرأة الرسول في قوله عن الله أنه «لاقَ به» — **وهي كلمة لا ينطقها إلاَّ ناقد أو حَكَم يحكم على التصرفات — فهي أيضاً تقع في اختصاص الإنسان** وحده دون أي ملاك أو مخلوق آخر كون الإنسان مخلوقاً على صورة الله، بل ومُعادةٌ خلقتُه على ذات الصورة في القداسة والحق (أف٤: ٢٤)، فأصبح هو أقدر مَنْ يحكم على عمل عاد بالمجد والكرامة على ذات صورته، فكيف لا يكون عمل الله هذا لائقاً **في عين الإنسان** كل اللياقة؟

بل ولنا من الله نفسه شهادة عن لياقة تأليم ابنه، نطق بها الروح على فم إشعياء النبي بقوله: «أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش٥٣: ١٠)، إذاً، فهي ليست لياقة وحسب، بل وعلى مستوى المسرَّة، دخل الابن في محنة آلامه تحت نظر الآب ورضاه!! بل والابن نفسه رأى في محنة آلامه نوعاً من المسرَّة لم يعرفها سابقاً قط، وقعت منه موقع الرضا واللياقة أيضاً: «يسوع الذي من أجل **السرور** الموضوع أمامه احتمل الصليب.» (عب١٢: ٢)

فالآلام التي يجوزها ابن الله ليست كأي آلام يجوزها بشر، فهي آلام على قاعدة من البر والقداسة والبراءة والطهارة المطلقة، ليس فيها حزن على تفريط ولا تأنيب ضمير على تعدٍّ ولا إحساس بالاستحقاق على سيئة أو ظلم أتاه، بل رؤية نافذة إلى مستقبل البشرية كلها التي بآلامه نالت عتقاً من آلامها، وبموته فازت بالحياة الأبدية. وإن كانت آلام المسيح أنشأت مجداً ورفعة له فوق جميع السموات، ومِلئاً لنا بالتبعية، فكيف لا يكون هذا العمل برُمّته لائقاً بالله الذي بذله عن حب؟

«ذاك الذي من أجله الكل وبه الكل»:

هنا أيضاً عودة على كيف يسمح الله بتأليم ابنه ليذوق الموت من أجل كل واحد. فالرسول هنا ينزّه الله عن أية عشوائية في تصرفه، فهو العلّة الأولى والوحيدة لكل ما هو موجود، والموجود موجود له، فمن هذا السلطان المطلق واللانهائي الذي لا ينحرف له رأي، ولا يقصر له قصد، انطلق منه التدبير بتأليم الابن عن لياقة الرأي ولياقة القصد، فجاء عمله بتأليم الابن منسجماً تمام الانسجام سواء من جهة ابنه أو من جهة الذين أرادهم الله لنفسه. فاللياقة عائدة حتماً لله بقدر ما هي عائدة علينا.

وبولس الرسول يوضّح في موضع آخر كيف أن "به" ينتهي كل قصد فيما يخص الغاية والنهاية من تأليم ابنه: «أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو١: ٩). فالذي ألّم ابنه دعانا لشركة آلام ابنه!!

«وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد»:

يقدّم الرسول هنا القاعدة الأساسية التي بُنيت عليها خطة الخلاص بكل مشتملاتها من بذل الابن الوحيد حتى الموت بكل ما أحاطه من إهانات وإذلال وتعذيب وسفك الدماء. فالأساس الذي قامت عليه هذه المأساة العظمى التي لم يشهد لها تاريخ الإنسان مثيلاً، هو أن الله شاء أن «يأتي بأبناءٍ كثيرين إلى المجد» في شركة مع الله ومع ابن محبته لينعم الإنسان بنعمة الله ويحيا معه حياة البنوّة إلى الأبد: «سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه ... لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف١: ٥و٦)، فهذه العلّة التي بلغت في قلب الله قمة اهتماماته، أي أن «يأتي بأبناءٍ كثيرين إلى المجد»، هي التي وازنت وتساوت مع بذل الابن الوحيد المحبوب لمهانة الصليب والموت وكل ما لابسه من تعذيب.

ونحن نود بكل الطرق الممكنة أن ننبّه ذهن القارىء إلى أن خلاصنا تثمّن بثمن رهيب،

ولكن — يا لشدة الحزن والأسى! — نحن نريد أن نُدخل ذلك في صميم وجداننا. ونحن نعتقد أن هذا التهاون في تقدير فداحة قيمة الثمن المدفوع لخلاصنا راجع إلى مستوى التدمير الذي أحدثته الخطية في ميزان وعينا الروحي. والدليل على ذلك أنه كلما تقدَّم الإنسان في سيرة التقوى والقداسة ودخل في علاقة عملية مع الله والمسيح، كلما ارتعب من تصوُّر الآلام التي جازها المسيح، بمعنى أنه كلما تخلَّص الإنسان من تشويش الخطية على الوعي الروحي والإحساس النفسي، كلما أدرك فداحة الثمن المدفوع لخلاصنا وبالتالي ازداد الحب لله والمسيح وازداد الإخلاص والتقوى والتعبُّد الشديد.

وهكذا يتبيَّن مدى ارتفاع قيمة خلاصنا في نظر الله الذي من أجله بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به. إذاً، فأن يأتي الله بأبناء كثيرين إلى المجد، لاقَ به بل ورأى أنه من الحكمة والفطنة التي تفوق حد تصوُّرنا أن يسلِّم ابنه للآلام التي تُوازن أو تُساوي في مضمونها السري ما يكفي لتكميل خلاصنا. وهكذا بلغ المسيح كمال الآلام لنبلغ نحن بها كمال الانعتاق من الخطية وكمال الخلاص!

«أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام»:

واضح بعد الذي قلناه أعلاه أنه بقدر عظم ما دمَّرته الخطية من صورة الله في الإنسان وبقدر خطورة انحداره في مستوى الطهارة والبراءة والقداسة التي خلقه الله عليها فانحطَّ إلى ما دون كل المخلوقات الأخرى بعد أن كان سيداً عليها جميعاً، نعم بقدر هذا بقدر ما عظمت وكبرت فداحة الثمن والوسيلة التي يمكن أن يعود بها إلى سابق مجده مضافاً إليها تأمين عدم السقوط والموت مرة أخرى.

بهذا، وبهذا فقط، نفهم هذه الكلمة الأخيرة: «**يكمِّل**» رئيس خلاصهم «**بالآلام**». وواضح إذاً أن القصد من هذه الآلام هو أن المسيح، الذي ترأس عملية خلاص الإنسان، أوجبت عليه محبته أن يبلغ من الآلام **أكملها** وأعلاها وأشنعها لتتعادل مع كمال ما بلغه الإنسان من الفجور والتعدي والانحطاط. وقد رضي بذلك رئيس خلاصنا عن طيب خاطر وأعلنها مدوِّية بعد عذاب الصليب وهو على عتبة الموت: «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠). وفي هذا المعنى تماماً يقول السفر في الأصحاح الخامس: «**وإذ كُمِّل** صار لجميع الذين يطيعونه **سبب خلاص أبدي**.» (عب٥: ٩)

وهكذا إذ «أكمل» رئيس خلاصنا مستكملاً كل الآلام اللائقة بخلاصنا، صرنا نحن

مكمَّلين فيه وبه: «وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة (آلام) واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله ... لأنه بقربان واحد قد **أكمل** إلى الأبد المقدَّسين.» (عب ١٠: ١٢و١٤)

هنا نفهم ونسعد أيضاً أنه إذ «أكمل» الله "رئيسَ خلاصنا بالآلام، ارتد علينا كمال آلامه بكمال تقديسنا. فيا لعظم حكمة الله ورحمته العجيبة على بني آدم. فبقدر ما تكمَّل المسيح بالألم تكمَّلنا نحن بالقداسة، نعم يا لفداحة الثمن! ولكن يا لسعادة الإنسان بحكمة الله وطاعة المسيح!

إذاً، فكان الرسول على صحة وعلى وعي مكين حينما حذرنا سابقاً: «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره.» (عب ٢: ٣)

ونودُّ هنا أن نعي توزيع الأدوار بين الله الآب والابن في هذه المأساة الفادحة. فالله الآب وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، سلَّمهم إلى الابن رئيس خلاصهم، وهذا قادهم عَبْر آلام ذبيحته إلى الآب مطهَّرين بالدم ومقدَّسين: «الله وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام».

كذلك نودُّ لو نلفت نظر القارىء إلى أن فداحة الآلام التي قَبِلَها المسيح **حمَلها** لبشريته، وهكذا حُمِّلَ في بشريته كمال الآلام وبآنٍ واحد كمال خطية الخطاة. ولكن بسبب قداسته ولاهوته، فاقت الآلام في قيمتها ــ وهي في جسد الابن الوحيد القدوس ــ قيمة الخطايا لبني الإنسان مجتمعة في جسده على الخشبة. ومن هنا كانت القولة اللاهوتية الصادقة أنه: «دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣)، وبموته داس الموت!!

١١:٢ «لأن المُقدِّسَ والمُقدَّسين جميعهم من واحدٍ فلهذا السبب لا يستحي أن يدعُوَهم إخوةً».

مفتاح فهم هذه الآية موجود في الآية السابقة: «الله وهو آتٍ **بأبناء** كثيرين **إلى المجد**». هذا الآب قد أفرز له «**أبناءً**» خاصة، وقد أعدَّ لهم نصيباً في «**المجد**» (الخليقة الجديدة)، فواقع هؤلاء المؤمنين هنا هو **أنهم أبناء معيَّنون للمجد**.

ثم الدرجة الثانية في كشف عمق هذه الآية هي في قوله: «**المقدِّس والمقدَّسين**»، هنا وَضَعَ الرسول بولس المسيحَ حال سفْكه لدمه مع الذين سفك دمه لأجلهم.

وهكذا جمع معاً المقدِّس أي المسيح والمقدَّسين أي المسيحيين، وهذه ضرورة تحتمها حالة

الذبيحة أي واقع المسيح المصلوب والذين صُلب لأجلهم.

وقوله أن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد يفيد أن عملية الخلاص، أي التقديس بشقيها أي المخلِّص والمخلَّصين أو المقدِّس والمقدَّسين، هي من الله، حيث المقدِّس هو المسيح الابن الوحيد لله المبذول والمقدَّسون هم الأبناء الجدد الآتي بهم الله إلى المجد. هنا الجمع بين الابن المتجسد والأبناء المفديين يُظهِر أنهم في العُرف اللاهوتي **واحدٌ**، فهم الكنيسة وهذا الواحد، أي الكنيسة، هي في العُرف اللاهوتي من الله بل ومتحدة بالله:

+ «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو١٧: ٢٣)
+ «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو١٧: ٢١)

والذي ينبغي علينا الالتفات إليه مليًّا هو أن الابن الوحيد لأبيه بعد أن ارتضى التجسد وأن يصير بشراً سويًّا، قد ارتضى من واقع تأنسه أن يدعو الذين يؤمنون به ويتحدون إخوةً؛ بل وارتضى الله ذلك لابنه قبل أن يأتي به إلى التجسد، أو بالحري لقد جاء به إلى التجسد واضعاً في اعتباره هذا النسب الجديد للإنسان:

+ «لأن الذين سبق (الله) فعرفهم، سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.» (رو٨: ٢٩)

«فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة»:

أما «**هذا السبب**» الذي يقصده الرسول هنا، فهو أن الله سبق بالفعل وعيَّن الأبناء الذين كان آتياً بهم إلى المجد في ذات المشورة الأزلية التي حددها لتكميل الخلاص بالتجسد والصليب. فقبل التجسد كانت أسماء المختارين للتبني معروفة لدى الله الآب والابن بالضرورة:

+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه (الله) في المحبة.» (أف١: ٤)
+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.» (٢تي١: ٩)
+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً مُعيَّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف١: ١١)
+ «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (أف١: ٥)
+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف٢: ١٠)

لذلك احتسب الذين آمنوا بالمسيح واتحدوا به في شركة موته وقيامته أنهم إخوة له، بالعُرف اللاهوتي الكتابي، إذ احتُسب المسيح في قيامته أنه «بِكرُ الراقدين» أي الأخ الأول لكل مَنْ وُهِبُوا القيامة السعيدة: «هو البداءة بِكرٌ من الأموات.» (كو١: ١٨)

«لا يستحي أن يدعوهم إخوة»:

[«ثم مدَّ يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي، لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت١٢: ٤٩و٥٠)].

«لا يستحي»: οὐκ ἐπαισχύνεται

لماذا لا يستحي ابن الله القدوس أن يدعو المخلَّصين الذين فداهم إخوة له؟

واضح من لاهوت الخلاص بالإيمان بالمسيح أن «كل الذين قبلوه أعطاهم (الله) سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو١: ١٢). فالمؤمنون بالمسيح الابن نالوا البنوة بسلطان الله. فكيف يستحي المسيح أن يدعوهم إخوة؟

ثم إن «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو٨: ١٦)، وقد «أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا الآب» (رو٨: ١٥). فإن كنا نصرخ بالروح القدس إلى الله باعتباره أباً لنا كما يدعوه المسيح فكيف يستحي أن يدعونا إخوة؟

فمن واقع روح البنوة الواحد لله الذي يصرخ فينا بالنعمة، وهو فيه بملئه جوهرياً، فنحن إخوة للمسيح لكن يظل المسيح بيننا كالرأس بالنسبة لبقية الأعضاء.

ومن واقع الجسد الواحد الذي اشترك فيه معنا في كل شيء، فنحن إخوة للمسيح. ولكن يظل المسيح بيننا كالقدوس بالنسبة للقديسين.

فمن قول المسيح في إنجيل القديس متى (١٢: ٤٩و٥٠)، يتضح أن المسيح سبق ورأى نفسه وهو جالس في وسط عائلة روحية على أعلى مستوى من التجلي، وأمهات وإخوة وأخوات حوله، كلهم فيه ذوو قرابة ونَسَب روحي. أخي وأختي وأمي والمسيح بينهم أب وأخ معاً بل وإله، فيكون لهم أقرب من أنفسهم، فكيف يستحي بلحمه وعظامه؟ كيف يستحي بمن قدَّسهم وطهَّرهم وغسلهم بدمه وقرَّبهم إليه كنيسة مقدسة لا عيب فيها ولا دنس. وفي قوله: «مَنْ يصنع مشيئة أبي» رفع مستوى الأسرة المسيحية إلى آفاق العالمين(٢٣).

23. Rev. Daniel Shepherdson, *Stud. in Ep. to Heb.*, p. 149.

ومن واقع الآلام التي جازها والموت الذي انحنى تحته إلى التراب، فنحن إخوة، إخوة آلام وموت. ولكن يظل المسيح بيننا هو المحوّل الآلام إلى مجد والموت إلى حياة أبدية: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم.» (يو٢٠: ١٧)

هو حقاً لا يستحي بنا أن يدعونا إخوة، ولكن بالرغم من ذلك فنحن نستحي كثيراً أن ندعو أنفسنا له إخوة. فيكفينا ما كان يكفي لبولس أن يحسبه لنفسه أعظم شرف أن يُدعى عبداً ليسوع المسيح. فلقد تآخى المسيح معنا باتضاعه ولكن استعبدنا بحبه.

أما القصد الذي دعا الرسول أن يكشف هذه الأمور الخاصة باتضاع الرب، فهو لكي يتدرج معنا ليصل في النهاية (عب٢: ١٧و١٨) إلى تعريفنا بوظيفة الرب أنه رئيس كهنة، ورئيس الكهنة يُقام دائماً من الشعب لكي يكون على دراية بتجارب المجرَّبين.

٢ : ١٢ **«قائلاً أُخبرُ باسمكَ إخوتي وفي وَسَطِ الكنيسةِ أُسبِّحُكَ».**

الآية منقولة بالنص من المزمور ٢٢: ٢٢: «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبحك». وهو مزمور ماسياني من الدرجة الأولى وقد أدخلته الكنيسة آية آية في احتفال الصليبوت، ففيه ثَقْب اليدين والرجلين واقتسام الثياب.

لا نستطيع أن نأخذ المعنى هنا من موقف منفرد، بل إن هذه الآية هي خلاصة المزمور أو بالحري خلاصة الخلاص الذي أكمله الابن بذبيحة نفسه، وتداعي المعاني هو آتٍ من علٍ. فنحن هنا أمام «**رئيس خلاصنا**»، لهذا فإن «**الاسم**» الكريم الذي يتكلم عنه هنا هو اسم الآب الكلي الكرامة والمجد، «**والخبر**» هنا ليس حَكْياً على مستوى الكلام بل هو استعلانٌ ما لم يكن مُستعلَناً قط: «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو "خبَّر"» (يو١: ١٨). إذاً «فالخبر» هنا هو بعينه الإنجيل ككل، والبشارة واستعلان الاسم هما بعينهما استعلان كل ما عند الآب. وهنا صحَّ قول المسيح لتلاميذه: «لا أعود أُسميكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، **لكني قد سمَّيتُكم أحباءَ** (إخوة)، لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو١٥: ١٥). وآخر مشهد سجلناه للمسيح ابن الله قبل الآلام مباشرة هو مشهد تسبيح المسيح وسط كنيسة الرسل التلاميذ الأخصاء: «وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي، ثم **سبَّحوا** وخرجوا إلى جبل الزيتون.» (مت٢٦: ٢٩و٣٠)

هذه الآية تشمل ضمن ما تشمل وحدة المخلِّص والمخلَّصين، وحدة الكنيسة بقيادة الرأس. ولعل هذه الآية تلقي أضواءها الباهرة على خورس المسبِّحين في الكنيسة كل يوم وعلى الدوام، والمسيح يقود القلوب، قبل الأصوات، والروح من داخل الألحان، حيث لا يفوت علينا هنا المركز السري للمسيح في خورس التسبيح فهو **«في الوسط»** لأنهم ليسوا فقط اثنين أو ثلاثة اجتمعوا معاً للتسبيح بل **«أكون في وسطهم»** (راجع مت ١٨ : ٢٠)، هم أبناء النور، عذارى وبتوليون، وفي قلوبهم مشاعل الزيت يصرخون: «العريس قد أقبل» (مت٢٥ : ٦)، إنها وليمة كل يوم، باستعداد المجيء الوشيك لوليمة الأبدية.

١٣:٢ **«وأيضاً أنا أكون متوكِّلاً عليه، وأيضاً ها أنا والأولادُ الذين أعطانيهم الله».**

هذا اقتباس من سفر إشعياء في النسخة السبعينية (٨ : ١٧، ١٢ : ٢) وقد ذهب الشُّرّاح والمفسرون في هاتين الآيتين كل مذهب.

وفي اعتقادي أن عدم وضوح الرؤية لدى الشراح جاء نتيجة لكونهم حاولوا تحديد الآيتين بمواقف المسيح في حياته على الأرض. في حين أنه من بدء الآية (٢ : ١٠) وسفر العبرانيين يصف خطة الخلاص في وضعها النبوي قبل تحقيق التجسد كما سبق ونبَّهنا فجاءت الآيات هكذا:

١ — بالنسبة لله، أنه لاق به أن يكمِّل بالآلام رئيس خلاص الأبناء الذين قصد الآب أن يأتي بهم إلى المجد.

٢ — بالنسبة للابن، وإذ علم أنه سيقوم بتقديس الأبناء الذين قصد الآب أن يأتي بهم إلى المجد ليكونوا أبناءً لله أبيه، فقد وضع في نفسه قبل أن يتجسد أن لا يستحي أن يدعوهم إخوة له، لأنه هو الذي سيقدِّسهم ويجعلهم أبناءً لأبيه، ولأنهم سيكونون مقدَّسين وأبناءً لله الحي ويشاركونه البنوة والميراث إذ أصبحوا جميعاً أبناءً لله الواحد.

٣ — رسالة الابن وضحت له قبل التجسد أنها ستكون لاستعلان اسم الله، أي تمجيد الآب كما أكملها تماماً: «أنا أظهرتُ اسمك للناس.» (يو١٧ : ٦)

٤ — الابن سيكون له مركز العبادة في الكنيسة: «أنا مجَّدتُك على الأرض.» (يو١٧ : ٤)

٥ — الابن لن يعمل بمفرده، فرسالته من أولها إلى آخرها هي بتوكيل من الله أبيه فيكون متوكلاً عليه كلية: «ولستُ أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي.» (يو٨ : ٢٨)

٦ — نهاية رسالة الابن أن يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ويقدمهم إلى الآب ويكون هو

على رأسهم حيث «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله»، وهكذا ستكون الكنيسة في نهاية المطاف: «كانوا لك وأعطيتهم لي ... ولم يهلك منهم أحد ...» (يو١٧: ٦و١٢)

هذا هو المشروع الذي كان مطروحاً أمام الابن قبل التجسد وارتضى به.
وهنا قرر الابن عملية الإخلاء وبدأ التجسد.

الخطوة الثانية
أن التجسد جمعهما معاً: ابن الله الوحيد، وهُم كبشر
(٢: ١٤—١٦)

٢: ١٤ **«فإذْ قد تشارَكَ الأولادُ في اللحمِ والدمِ آشترَكَ هو أيضاً كذلكَ فيهما لكي يُبيدَ بالموتِ ذاكَ الذي لهُ سلطانُ الموتِ أي إبليسَ».**

وهكذا بدأت المشورة العلوية في التنفيذ، وأخذ الابن على عاتقه أن يكمّل ما قصد الآب أن يعمله، وهو أن «يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد»، وذلك بأن يكمّل خلاصهم كرئيس يحمل من أجلهم الآلام الكفيلة بأن تصنع تطهيراً لخطاياهم. وهكذا اتخذ أول عمل يؤهّله لعملية الخلاص العظمى وهو أن يشترك في بشريتهم آخذاً ما لهم من دم ولحم.

هذه أول وأهم خطوة في طريق رفع الأبناء الكثيرين الذين اختارهم الله قبل تأسيس العالم للمجد، وهي بأن يشترك فيما لهم من دم ولحم ليستطيع أن يمنحهم ما له من ملء لاهوته: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ١٠). أي يأخذ منهم الخطية في الجسد ويعطيهم البر بالروح، يأخذ منهم موت الهلاك الأبدي ويعطيهم الحياة الأبدية "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبّحه ونمجده ونزده عُلواً" (مرد ثيئوطوكية الجمعة)، وهو هو لا يزال ابن الله كما هو.

«فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم»:

«فإذ»: ἐπεὶ οὖν هي المفتاح أو العلة التي على أساسها بدأ الابن يؤدي عمله؛ فهي تأتي بمعنى **كما أن**، كما أن الأولاد تشاركوا أي أخذوا جميعاً وبلا استثناء طبيعة واحدة جسدية، كذلك دخل الابن هذه الشركة عينها في اللحم والدم ملتحماً بالأبناء الكثيرين المطلوبين للمجد. وهكذا صار وكأنه واحدٌ منهم: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله». هنا في الحقيقة «ميلاد

الكنيسة»، ظهور شعب الله الجديد في بذرة أي نسل تعيَّن منذ الدهور لإبراهيم.

«فإذ قد تشارك ... اشترك»: κεκοινώνηκεν — μετέσχεν

هنا يتضح أمام القارىء مدى دقة وعمق الكلام والتعبيرات اللاهوتية في هذا السفر، الأمر الذي ليس له مثيل، فهنا يعطي السفر للتعبير عن اشتراك الأولاد في اللحم والدم كلمة κεκοινώνηκεν التي تفيد تقاسموا معاً في الدم واللحم في زمن الفعل المضارع التام أي المستمر فترة زمنية طويلة، ثم يعطي للمسيح كلمة μετέσχεν لتفيد الاشتراك بزمن الفعل الماضي البسيط ليوضح حدوثه في نقطة زمنية معيَّنة أي في ملء الزمن(٢٤).

المعنى العملي اللاهوتي هو أنهم كما دخلوا بالميلاد من الجسد إلى عالم الجسد، هكذا(٢٥) قرر الابن أن من ذات الباب يدخل إلى ذات عالم الجسد: «مولوداً من امرأة (عذراء) مولوداً تحت الناموس.» (غل٤:٤)

«الدم واللحم»: لأنها في اليونانية: αἵματος καὶ σαρκός

هنا ينفرد سفر العبرانيين بذكر الدم قبل اللحم على غير عادة اليهود والمسيحيين على السواء، وواضح لدينا السبب، فهو مشغول بدم المسيح لأنه عنصر الكفارة ورأس مال رئيس الكهنة الذي يستحيل عليه أن يدخل قدس الأقداس أو يتراءى أمام الله على غطاء التابوت إلاَّ وعلى يديه دم ذبيحة الكفارة. فهي في الحقيقة بادرة ذكية تنبىء عن حضور بديهة، وسبق رؤيا، ودراية بتدرج الكلام ليلائم القصد، والتنبير عليه مسبقاً. اسمعه بعد ذلك وهو يقدِّم الدم أيضاً على الجسد هكذا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده.» (عب١٠: ١٩)

والمعنى المباشر للدم واللحم هو الطبيعة البشرية، حيث الأبناء المدعوون للمجد لهم هذه الشركة الواحدة العامة في اللحم والدم، أما اشتراك الابن فيهما أي في الدم واللحم فهي إضافة لأنه أخذهما في طبيعته الإلهية ليبقيا فيها ومعها إلى الأبد، حيث دخل ملء اللاهوت في ملء الجسد ليصير اللاهوت في الجسد والجسد في اللاهوت ملتحمين دون امتزاج ولا اختلاط ولا افتراق ولا تغيير، الجسد يعمل باللاهوت واللاهوت يعمل بالجسد بانسجام مطلق منقطع النظير. ليسا إنساناً

---

24. Guthrie, *op. cit.*, p. 92.
25. Bruce, F.F., *op. cit.*, p. 49.

وإلهاً بل «إله متأنِّس»، لأن الكلمة «صار» جسداً، **فالصيرورة هنا تمنع التفرُّد** مهما حاولنا التحايل على تفريدها كأن نقول: إنسان كامل وإله كامل لأن في هذا تفريداً يقسم الأقنوم كما يقسم الطبيعة، ولكن إن أردنا التعبير عن الكمال نقول: إله كامل الناسوت وناسوت كامل في اللاهوت، كما قالها بولس الرسول بحذق لاهوتي متقن لا تشوبه شائبة معبِّراً عن كمال الاتحاد أعظم تعبير: «فإنه فيه يحل **كل ملء اللاهوت جسدياً**» (كو٢: ٩). هنا استحالة تفريد اللاهوت أو الناسوت بأي حال من الأحوال. فنحن هنا أمام سر الأسرار الذي لا يحيطه علم مهما علا وسما، فهذه معجزة المسيح التي تتصاغر أمامها كل معجزات الدنيا.

«اشترك هو أيضاً "كذلك" فيهما»:

«كذلك»:

باليونانية = παραπλησίως

وباللاتينية (فوجانا) = Similiter

هذه الكلمة ذات وزن لاهوتي عالٍ وتعني **بالمثل كمًّا وكيفاً**. وقد شدَّد الآباء[٢٦] اللاهوتيون على هذه الكلمة إذ هي تعبِّر عن حقيقة كمال تأنُّس المسيح. لذلك كنا نود أن تأتي الترجمة العربية بدل كلمة «**كذلك**» تكون «**بالمثل**» **لأنها** كلمة حارسة لمستوى اشتراك الابن في الدم واللحم على مستوى الإنسان كمًّا وكيفاً.

على أي حال، فسفر العبرانيين غير مشغول باللاهوت في دقائقه ولكنه دقيق جداً في التعبيرات عنه. والذي وصل إليه إلى الآن هو أن ابن الله أخذ طبيعة الإنسان كإنسان تماماً لكي يستطيع أن يتعامل بلاهوته مع نقاط الضعف والهوان في جسد الإنسان كما تقول الرسالة إلى أهل رومية: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ **أرسل** ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية في الجسد**.» (رو٨: ٣)

«لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس»:

[ما أعظم ما أتاه هذا الموت الصالح.][٢٧] **القديس يوحنا ذهبي الفم**

هنا يظهر هدف اشتراك الابن في الدم واللحم أي تمام التجسد، إذ باتخاذه جسد إنسان حسب

26. Westcott, *op. cit.*, p. 53.

27. Chrysost. *On Hebrews*, IV.6.

التدبير يكون قد أخذ الوسيلة المؤدية إلى الموت الذي هو غاية التجسد لابن الله، حتى من داخل الموت يستطيع أن يتعامل مع الموت ومَنْ له سلطان الموت الذي أذلّ الإنسان.

أما الموت فهو العقوبة التي حاقت بالإنسان إزاء عصيانه الله وتعديه على الوصية، والموت في حد ذاته كانطفاء الحياة بالجسد معروف في سفر الحكمة أنه ليس من صنع الله: «فإن الله ما صنع موتاً، ولا يطرب بهلاك أحياء» (حك١: ١٣). ومعروف في التقليد اللاهوتي الليتورجي أن الموت دخل إلى العالم «بحسد إبليس»، «وبحسد المحتال دخل الموت إلى العالم =

φθόνῳ δὲ διαβόλου θάνατος εἰσῆλθεν εἰς τὸν κόσμον

... ولكن أرواح الأبرار في يد الله» (حك٢: ٢٤، ٣: ١ السبعينية).

أما الإنسان فقد خلقه الله أصلاً على غير فساد: «لأن الله خلق الإنسان على غير البِلَى وصنعه على مثال صورته» (حك٢: ٢٣). والليتورجية القبطية تستهلّ صلاة الصلح في القداس بهاتين الحقيقتين، إعلاناً عن إيمانها وتذكيراً للرب برحمته وشكراً للصلح الذي تمّ من الله بواسطة المسيح الذي هدم الموت: [يا الله العظيم الأبديّ الذي جبل الإنسان على غير فساد، والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ...] (صلاة الصلح، القداس الباسيلي). وبولس الرسول يضيف أن الموت هو العدو الأخير للإنسان الذي يبطله المسيح: «آخر عدو يبطل هو الموت» (١كو١٥: ٢٦) حيث يبطل تأتي باليونانية καταργεῖται بمعنى ينمحي (abolished) أو يتحطم (destroyed).

ومعروف أن الموت دخل بدخول الخطية، والخطية ملكت على الإنسان فأعطت الموت فرصة أن يملك هو الآخر على الإنسان: «أما شوكة الموت (السامة) فهي الخطية» (١كو١٥: ٥٦). فالحياة في معناها اللاهوتي هي الوجود مع الله أو تحت طاعته وعنايته، أما الموت فهو الحرمان من الله أو الوجود دون الله ودون طاعته ورعايته: «اطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت٢٢: ١٣)، لأن من لا يحظى بالنور فالظلمة مقرُّه.

ولأن ذبيحة المسيح الكفارية ألغت كل خطايا الإنسان، فهي تكون بنفس اللحظة قد ألغت الموت: «أين شوكتك يا موت، أين غَلَبَتكِ يا هاوية» (١كو١٥: ٥٥)، وبالتالي ألغت مَنْ له سلطان الموت وذلك بالنسبة للإنسان، وبهذا تكون قد أعطت الحياة وأنارت الخلود:

+ «بحسب قوة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل **بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية**، وإنما أُظهرت الآن **بظهور**

مخلّصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.» (٢تي١: ٨—١٠)

+ «أما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس، ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.» (١كو١٥: ٥٦و٥٧)

ومن روائع التعبيرات الإنجيلية التي عبَّر بها المسيح عن سلطانه القاهر للشيطان مهما بلغت قوته، هذا التعبير الذي قاله لليهود الذين توقّحوا عليه بقولهم أنه ببعلزبول كان يُخرج الشياطين:

+ «إن كنت (أنا) بإصبع الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. حينما يحفظ القوي (الشيطان) داره متسلحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه.» (لو١١: ٢٠—٢٢)

فنعم وألف نعم: «شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.» (١كو١٥:٥٧)

عزيزي القارىء ليست هذه الغلبة وعداً آتياً بل هي سلاح في يدك وفي قلبك: «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا. مَنْ هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله» (١يو٥: ٤و٥). بهذا الإيمان، بل بهذا السلاح الغالب، واجه الشهداء أعتى حيل الشيطان وقهروه وداسوا سلطانه وارتفعوا إلى أعلى السموات: «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم.» (رؤ١٢:١١)

والذي قهر الموت فهو قهر في الحال سلطان الموت وحطّم مصاريع الجحيم وقادنا في موكب نصرته. لقد سلَّم ابن الله يديه ورجليه بكل رضى على خشبة الصليب حتى أكمل نزف دمائه، فلما أتاه صاحب سلطان الموت كانت الموقعة الفاصلة إذ وجده أنه هو رب الحياة لا أحد الخطاة، فبدل أن يقبض على روحه ظفر المسيح به وجرّده من سلاحه أي الخطية والموت، فلم يَعُدْ سيد الموت بعد: «إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب. إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو٢: ١٤و١٥). وبهذا ولهذا صار الصليب علامة الظفر على الشيطان، والقيامة فرحة الانتصار على الموت: «لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١يو٣:٨). وإبليس في عرف المسيح هو القتّال للناس منذ البدء: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق، متى تكلَّم بالكذب فإنه يتكلَّم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب.» (يو٨: ٤٤)

١٥:٢ «ويُعتِقَ أولئكَ الذين خَوفاً من الموتِ كانوا جميعاً كلَّ حياتِهم تحتَ العبوديةِ».

ما هذه القبضة الحديدية التي ملكت عليهم «جميعاً» و «كل حياتهم»، وأية «عبودية» هذه التي وقع تحت برائنها البشر؟

إن هذه الآية تحوي سر جبروت أخطر عناصر الشيطان سيطرة على الإنسان، كل الإنسان، ودون أن ينتبه وفي غفلة منه يصير تحت خيوط شبكةٍ مُحكمة من الإرهاب المنقطع النظير. ألا سمعت أيها القارىء العزيز عن الذين يبيتون والسلاح تحت وسادتهم؟ لماذا هذا الرعب الذي يملك على الحياة هكذا وينكّد على صاحبها فلا يذوق للسلام معنى ولا للاطمئنان طعماً وتصير الحياة كلها رعباً في رعب؟ خوفاً من الموت!!

ألا سمعت عن الذين يعيشون في بيوت محصّنة ويركبون سيارات محصّنة ويسيرون ومعهم حراسهم ويبيتون والكلاب تنبح طول الليل من حولهم؟ لماذا هذا الرعب الذي حوّل الحياة إلى معركة وهمية وحرب بلا توقف؟ خوفاً من الموت!!

أو الذين يكنزون المال فوق المال وفوق كل ما تقتضيه أعواز الحياة ويغرقون في اهتمامات لا حصر لها من طلعة النهار إلى ما بعد منتصف الليل للحصول على المزيد من المال. لماذا هذا كله؟ خوفاً من العوز بل خوفاً من الموت!!

أو الذين ينشغلون بصحتهم الليل والنهار، أطباء وأدوية حرصاً على صحتهم خوفاً من الموت!!
والذين يرتعبون من الأمراض رعبة الموت خوفاً من الموت!!
والذين يغيرون أشكالهم وأسماءهم وذممهم وأوطانهم خوفاً من الموت!!
والذين يكذبون ويحلفون زوراً ويسرقون خوفاً من الموت!!
والذين يجحدون إيمانهم وعقائدهم وإلهم خوفاً من الموت!!

هؤلاء وهؤلاء كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية خوفاً من الموت. عبودية الخوف وعبودية المال وعبودية الجسد وعبودية الكذب والسرقة والتزوير ثم بالنهاية عبودية الشيطان إزاء جحد الله.

«يعتق»:
باليونانية = ἀπαλλάξῃ
وباللاتينية = Liberaret.

هنا العتق أو التحرير أو الخروج من الاستعباد يكشف مدى بؤس الإنسان الواقع تحت الخوف

من الموت، سواء خوفاً من موت حقيقي أو وهمي بسبب انزعاج النفس الكاذب ووقوعها تحت عوامل مرضية قاسية كلها من صنع ضعف البناء النفسي الإيماني والعقائدي وانهيار العلاقة الروحية بالله صخر الدهور. فهؤلاء يكون الموت الحقيقي لهم أهون من الحياة في رعبة الموت الوهمي الذي صنعوه لأنفسهم بعدم التصاقهم بمصدر الإيمان والأمان وسلّموا ضعفهم للشيطان ليستبد بهم.

ويضيق بنا المقام هنا أن نعدد صور الأمراض النفسية والجسدية والعقلية والعصبية التي تنشأ من الخوف من الموت، فهي ربما استوعبت غالبية المطروحين على أسرّة المستشفيات العامة والخاصة، أو حبساء بيوتهم لا يرون النور ولا يتمتعون بالحياة ولا هم يُحسبون في عداد الأحياء.

ثم ننبه ذهن القارىء أن بولس الرسول يخاطب هنا العبرانيين المتنصّرين وهم واقعون في نفس المستنقع وعلى شفا جحد الإيمان بسبب تضييق الخناق عليهم من اليهود الآخرين ومن السنهدريم وأعوان الهيكل، وعدم ظهور بارقة أمل لمعونة سمائية معجزية واضحة لهم ترفع عنهم هذه الرعبة التي يعيشونها وهماً وخداعاً.

ولهؤلاء ولنا ولكل الأجيال التي استُهدفت وتُستهدف كل يوم لمثل هذه المرعبات يكتب بولس الرسول رسالته هذه مؤكداً أن المسيح بموته داس الموت وظفر من له سلطان الموت على الصليب. على أن هذا لا يعني أنه أوقف الموت الجسدي، بل أبطل رعبته وجرّده من حقيقته الكاذبة كموت، إذ قام من الموت دائساً الموت، حيًّا بملء قوة الحياة الحقيقية ومجدها، لا يسود عليه الموت بعد بل حياة وحياة إلى الأبد. حياة لا يشوبها حزن ولا بكاء ولا تنهُّد، بل فرح وابتهاج أبدي وعيد وأعياد لا تنتهي: «أين شوكتك يا موت أين غلبتكِ يا هاوية.» (١ كو١٥: ٥٥)

هذا هو المسيح قاهر سلطان الموت ودائس رعبته تحت قدميه بقيامته الأبدية ظافراً بسلاطين الظلمة وأعوان الشر. شوكة الموت المسمومة كانت هي الخطية التي ضُبط كل إنسان متلبِّساً بها، سجَّلها المشتكي علينا في صك مكتوب بيدنا وإمضائنا، وهذا هو الصك الذي مزَّقه المسيح على الصليب فانتهى كل رباط يربطنا بالشيطان وانتهى حكم الموت الأبدي، وعوضاً عنه أخذنا حكماً بالحياة الأبدية:

+ «**وإذ كنتم أمواتاً** في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط (بيننا وبين الشيطان)، مسمِّراً إياه بالصليب (مع جسد الخطية الذي لنا)، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (**على ذات الصليب**).» (كو٢: ١٣—١٥)

انظر أيها القارىء وتفهَّم: نحن الآن أحياء بالحياة التي وهبها لنا المسيح بقيامته لما قمنا معه، فلن يسود علينا الموت أبداً. سنموت بالجسد ولكن نبقى كما نحن الآن أحياءً لملء الحياة الأبدية:

+ «مَنْ كان حيًّا (بالروح الآن بالإيمان والشركة في قيامة الرب) وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو١١: ٢٦)

وأيضاً ليتك يا قارئي العزيز تثق بالرب أنك لن تذوق الموت حينما يموت الجسد. ألا يكفيك ما قدَّمه المسيح من معجزة لعازر لكي يحقق هذا الوعد وهذا الكلام؟ فبعد أن مات لعازر وأنتن جسده لأربعة أيام في القبر، كان لعازر الحقيقي حيًّا كما هو في زمرة الأحياء فاستدعاه المسيح ليأخذ جسده من جديد فأخذه وقام.

وها هي الكنيسة تقول وتعيد القول على كل ميت: [لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال] [أوشية الراقدين، الخولاجي المقدس). كان الموت مدخلاً للهلاك عَبْر الجحيم، فصار باباً مفتوحاً للحياة الأبدية. من هنا انتهت رهبة الموت وانتهت العبودية بكل أصنافها بتأثير الخوف من الموت. وإن أنسى لا أنسى ما قصَّه عليَّ طبيب مشهور أن أباه، وكان رجلاً فاضلاً متديِّناً، سار وراء الموكب الحامل لنعش زوجته الفاضلة، وفي الطريق كان يودِّعها بعد كل عدة خطوات بهتاف جهوري: هلليلويا!

١٦:٢ «لأنه حقًّا ليس يُمْسِكُ الملائكة بل يُمْسِكُ نَسْلَ إبراهيمَ».

«لأنه»: οὐ γάρ

هنا تعقيب مباشر على الآية (١٤) الخاصة بالتجسد: «فإذ قد تشارك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما». مع ضرورة إسقاط الآية (١٥) حتى يستقيم ويرتبط المعنى. فيكون المعنى أنه اشترك في الدم واللحم لكي يمسك نسل إبراهيم وليس الملائكة.

يبقى علينا أن نفسر كلمة «يمسك»، وقد أعيت الشُّرَّاح والمفسرين قديماً وحديثاً.

«يمسك»: ἐπιλαμβάνεται

لقد تباينت الآراء بين معنى «مَنْ يجري وراء آخر "يمسك" به»، كما جاءت في شرح ذهبي الفم، وبين «المسك للمعونة» كما جاءت في شرح وسكوت عن كثير من الآباء القدامى، وبين «المعونة» فقط كما جاءت عند العالم موفات مستنداً على أنها جاءت في (عب٨: ٩) بمعنى «أخذ باليد»: «لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم **أمسكت** ἐπιλαβομένου بيدهم لأخرجهم من

أرض مصر ...». ولكن بحسب رأينا هذه الكلمة ذات معنى كبير وعميق للغاية ولا يشرحها إلا قول جاء لإشعياء النبي هكذا:

+ «أما أنت يا إسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي الذي **أمسكْتُه** من أطراف الأرض (أور الكلدانيين)، ومن أقطارها دعوتُه، وقلت لك أنت عبدي اخترتُك ولم أرفضك.» (إش٤١: ٨و٩)

وحسب آية إشعياء النبي يستضيء ذهننا لندرك المعنى الحقيقي وهو، كما أن الله مسك بإبراهيم وهو في أور الكلدانيين، حيث «مسك» **تفيد الاختيار لبدء عملية الخلاص العظمى وكأنه وضع يده عليه** ليلد ابن الموعد إسحق، كذلك فالله هنا يمسك بنسل إبراهيم بواسطة التجسد **لينفّذ تكميل الخلاص**. فاستثناء الملائكة وارد في البداية والنهاية في عملية الخلاص، وهذا بدوره يكشف أن دور الملائكة قد انحصر فقط في إعطاء الناموس ـ وكان قد زيد بسبب التعديات ـ وانتهى بانتهاء الناموس، أما الخلاص العتيد فهو بين الله والإنسان مباشرة، كما مع إبراهيم ميلاد إسحق كذلك مع العذراء التي من نسل داود ابن إبراهيم لميلاد المسيح، وهذا توضحه الآية القادمة مباشرة.

الخطوة الثالثة
لماذا جاء التجسُّد كضرورة حتمية لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا
(٢: ١٧و١٨)

١٧:٢ **«من ثمَّ كان ينبغي أن يُشبِهَ إخوتَهُ في كلِّ شيءٍ لكي يكون رحيماً ورئيسَ كهنةٍ أميناً في ما لله حتى يكفِّرَ خطايا الشعبِ».**

هنا ختام المطاف ويمكن وضع اختصار تسلسل الآيات السالفة هكذا:

[فإذ تشارك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو أيضاً فيهما، لأنه ليس القصد أصلاً أن يمسك الملائكة بل نسل إبراهيم، من ثم كان ينبغي أن لا يكون ملاكاً بل أن يشبه إخوته في كل شيء].

أما المعنى فيكون أنه تجسد ليحقق الوعد لإبراهيم أن بنسله (مفرد) Sperma تتبارك الشعوب والأمم، لذلك لزم أن يكون نسله Sperma هذا يشبه بقية النسل ـ إخوته ـ في كل شيء. أما بركة الشعوب والأمم فلا تأتي إلا بالتكفير عن خطاياها، لذلك تحتم أن يكون عمله هو عمل رئيس

كهنة أميناً فيما لله، من وسط الشعب لكي يكون رحيماً عليهم.

وهنا ولأول مرة يُفصِح السفر عن وظيفة الابن الأساسية بالنسبة لبركة الشعوب والأمم وخلاصهم بغفران خطاياهم، وهي وظيفة رئيس كهنة أمين في ما لله.

وهكذا سيتدىء السفر يبرز صفة رئيس الكهنة ثم يعطيه طقس ملكي صادق بحسب المزمور المئة والعاشر الذي عليه تقريباً بنى هذه الرسالة. ولكن قبل الخوض في الرسالة نسبق وننبه ذهن القارىء ليتأمل في هذا الانسجام النبوي العجيب الذي في هذه الرسالة، والذي يربط بين موقع ملكي صادق كاهن الله العلي الذي عضّد إبراهيم بخبز وخمر وبين ابن الله المتجسد يسوع المسيح رئيس كهنة الخيرات العتيدة الذي عضّدنا بجسده خبزاً ودمه خمراً.

«مِنْ ثَمَّ» = ὅθεν «كان ينبغي» ὤφειλεν = يتحتم:

«مِنْ ثَمَّ» تعني «**لذلك**»، وتوضح نتيجة طبيعية آتية مترتبة على حقيقة سابقة، وهذه النتيجة واقعة في حيِّز «**المحتَّم**»، أي عن ضرورة مفروضة. «كان ينبغي» تحتمها الخطة أو تحتمها النتيجة المطلوبة!! أو المشيئة.

«أن يشبه إخوته في كل شيء»:

هنا نكشف عن الخطأ الذي جاء في الترجمة العربية لهذه الآية إذ أُخِذت بالتقديم الذي جاء في اللغة اليونانية ووضعته الترجمة العربية في البداية وهو أصلاً وبحسب الأصول النحوية واقع في النهاية. وبذلك تصبح **الترجمة الصحيحة للآية هكذا:** «ولكي يكون رئيس كهنة رحيماً وأميناً في ما لله، من ثَمَّ (لذلك) كان ينبغي (يتحتم) أن يشبه إخوته في كل شيء ...». وهنا يتضح وضع «من ثَمَّ» وبالأكثر «يتحتم»، لأن مجيء «من ثَمَّ» في أول الآية جعلها وكأنها واقعة ومترتبة على آية سابقة، مع أنها مترتبة على نصف الآية الذي جاء بعدها. كذلك كلمة «يتحتم»، فإن مجيئها في الأول يُعتبر تجديفاً لأنه يوقع الله تحت الحتمية وهذا مستحيل، وهنا لزم التصحيح، في حين أن الذي يتحتم هو تنفيذ مشيئة الله في أن يكون الابن رحيماً، بمعنى أن مشيئة الابن أن يكون رحيماً حتمت عليه أن يلبس لحماً ودماً!!

وبذلك يصبح معنى «أن يشبه إخوته في كل شيء» سهلاً وواضحاً جداً، وقد أوضحته أكثر الآية التالية بقولها: «لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً (مُشابهاً إخوته في كل شيء) يقدر أن يعين المجرَّبين». بل إن السفر يعود ويوضح ذلك في الأصحاح الرابع بقوله: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل **مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية.**» (عب ٤ : ١٥)

«في كل شيء»: κατὰ πάντα

أي «لا أن يشبه إخوته شكلاً أو ظاهرياً، بل في كل شيء»، بمعنى «بالكمال والتمام»، لهذا فإن هذا الاصطلاح هو لاهوتي عقائدي على أعلى ما يمكن من الخطورة وقادر أن يردّ بشدة على بدعة الشَّبَهيِّين Docetics والأوطاخيين. فالمسيح بكونه يشبه إخوته في كل شيء قطع خط الرجعة على احتجاز أي شيء يُنقِص من تجسد المسيح تجسداً كاملاً ليصير إنساناً له كل ما للإنسان (ما خلا الخطية وحدها التي ذكرها السفر في ٤: ١٥).

لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب:

> [لأنه لا يوجد أي تدبير آخر غير هذا، لأنه رآنا مطروحين على الأرض هالكين مطغيًّا علينا بالموت، فأخذته الشفقة علينا وآل على نفسه أن يكفِّر عن خطايا الشعب] ذهبي الفم (العظة ٤: ٢).[٢٨]

أن يأخذ ابن الله لحماً ودماً لكي يكون شريكاً فيما اشترك فيه إخوته، فهذا هو أحكم وأعظم عمل عمله الله، وهذا هو جوهر التجسد. لأنه باشتراك الابن في لحم الإنسان ودمه، بمعنى مَلْء بشريته بأضعف ما فيها، استُهدف لكل أحزان الإنسان وأوجاعه إذ صار مرتبطاً بنا ارتباط الماضي والحاضر والمستقبل، ارتباط واقع المرارة التي يذوقها الإنسان، كل الإنسان، تحت نفس المجرِّب والمعاند الشرير، وانطوى تحت عَوَز اللحم والدم من جوع وعطش وجهد وتعب وهمٍّ وألم وضيق وحزن، وأي حزن؟ «نفسي حزينة جداً حتى الموت»!!! (مت٢٦: ٣٨)، «بكى يسوع»!!! (يو١١: ٣٥)، «أنا عطشان»!!! (يو١٩: ٢٨)، «أنتم تهينونني»!!! (يو٨: ٤٩) «يا يهوذا أبِقُبلة تسلِّم ابن الإنسان»!!! (لو٢٢: ٤٨)

لهذا يقول السفر بكل حكمة وكل وعي: «من ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء»!!! ... «لكي يكون رحيماً»!!! من هنا نشأت أقوى دالة ــ فيها رحمة وحنان وحب ــ حدثت بين الإنسان والله ممثَّلاً في ابنه المتجسد مثلنا.

وبهذه الكفاءة الممتازة التي اكتسبها المسيح من دخوله تحت آلامنا وهمومنا وثقل خطايانا، اعتلى وظيفة الشفاعة الرقيقة العاطفية التي تعيَّن لأن يمارسها لأجلنا أمام أبيه إلى الأبد، هذه التي عبَّر عنها في الآية القادمة (١٨): «يقدر أن يعين المجرَّبين»، ثم أيضاً في الأصحاح (٧: ٢٥):

---

28. Chrysost., *op. cit.*, IV.2.

«فمن ثَمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله **إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**».

لذلك يقول هذا السفر أيضاً بكل حكمة وفطنة مشجِّعاً قلوبنا الضعيفة: «... مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. **فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه**.» (عب ٤: ١٥و١٦). أما لماذا، فسبق أن قالها: «لأنه في ما هو قد تألَّم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين»!!! هذا لأنه تجسَّد آخذاً لحماً ودماً مثلنا! تجارب من أهله، من إخوته، من تلاميذه، من أعدائه المتربصين، في البرية، في الهيكل، في وطنه، في جثسيماني. ولكن بالأكثر جداً وفوق كل هذا قد تعيَّن، وهو حامل كل تجاربنا، رئيس كهنة لنا آخذاً على عاتقه مغفرة خطايانا وهذه وظيفة رئيس الكهنة وحده أمام الله. أي لم يكفِهِ أن يتألم مثلنا ويتألم معنا بكل آلامنا، بل زاد عليها أن يتألم من أجلنا، هذا يفوق العقل في ثقل المعاناة واتساع دائرة آلامه بما لا يمكن لأي عقل أن يتصوَّره. بل وفوق أنه يتألم معنا ويتألم من أجلنا، فقد قَبِلَ دون احتجاج أن يموت ثمناً لخطايانا!

فانظر عزيزي القارىء معنى أن يحمل الله — في ابنه — جسدنا: لحماً ودماً، فيدخل طواعية في محيط كل تجاربنا وآلامنا وأحزاننا جميعها (ما خلا الخطية لأنه قدوس). ثم يأخذ على نفسه أن يكون رئيس كهنة لنا لدى الله، وأن يتحمَّل، وبوسيلته الخاصة، مغفرة خطايانا بتقديم جسده على الصليب ذبيحة كفارة.

وهكذا بلغ المسيح بالنسبة لنا أعلى مقدرة وكفاءة على الرحمة، وأقصى درجة في الأمانة في تتميم كل ما علينا فيما لله!!

لذلك حق لنا كل الحق أن نتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة مؤكدة ونعمة حاضرة وعوناً في كل حين. ثم أيّ رجاء يكون لنا وأية راحة قلب وضمير، حينما ندرك أنه تولَّى قضيتنا بنفسه وهو القاضي والمحامي معاً؟

«رحيماً ... أميناً في ما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب»:

واضح أن الرحمة، التي بلغت منتهى كفاءتها فيه، هي تخصُّنا نحن، لأنها حصيلة مشاركة في كل آلامنا وأوجاعنا وضعف طبيعتنا وهوان لحمنا ودمنا بكل غرائزهما مع قداسة ونُبْل طبيعته وقدرته على العفو ومسح الدموع!

أما أمانته فهي أمانة فيما لله، لأنه الابن الوحيد المحبوب الذي أطاع حتى الموت لإرضاء قصد أبيه في مصالحتنا وإرجاعنا إلى قلب الآب، قديسين وبلا لوم في المحبة.

ولكن «أميناً في ما لله» تعني أيضاً وبالضرورة أن كل مطاليب عدل الله بحسب الأصول الإلهية المفروضة على رئيس الكهنة ليكفِّر عن خطايا الشعب وقد وفَّاها تماماً بكل أمانة، فلم يفرِّط في حق الله علينا، وحق الله هو في تنفيذ كل شروط وواجبات القداسة التي يتطلبها بر الله من الإنسان حتى يستحق الإنسان هذا البر استحقاقاً قانونياً، ودون تفريط في حقوق الله.

ولو أن كل هذا أمر مجهول لدينا تماماً، ولكن يكفي أن يستخرج لنا المسيح استحقاق بر الله ويسلِّمه لنا مختوماً بدمه ونحن أموات بالذنوب والخطايا لندرك ماذا تم بين المسيح والله!! هذا سر خطير للغاية وفوق طاقة تصوُّرنا، إذ كيف نتصوَّر، ونحن مثقَّلون بخطايا وشرور ونجاسات لا تطيق ضمائرنا البشرية احتمالها، أن نتقدَّم أمام الله ونتخاطب معه كبنين؟ أين ذهبت نجاساتنا وشرورنا وكيف منحنا المسيح ضمائر مطهَّرة وشجاعة أن نقف أمامه كقديسين وبلا لوم كيف، كيف؟؟

أليس أن المسيح تحمَّل في جسده عملية إحراق كل وثائق خطايانا وعارنا، فكانت ذبيحة جسده بالحقيقة الإلهية غير المنظورة «مُحرَقة» كاملة خرجت من نار الله الممحِّصة طاهرة نقية بيضاء كالنور، لا يمكن أن يعثر فيها الإنسان على أي أثر لخطيته؟

١٨:٢ «لأنه في ما هو قد تألَّم مُجرَّباً يقدرُ أن يُعينَ المُجرَّبين».

[هذا معناه أنه إذ قد ذهب في اختبار الأمور التي نعانيها، لم يَعُدْ يجهل آلامنا وهو لا يعلمها بصفته إلهاً فقط، ولكن كإنسان قد أدرك التجارب إذ تجرَّب بها، فلأنه تألَّم كثيراً هكذا يعرف كيف يعطف ويتعاطف ... وهو يدرك التجارب ليس بأقل مما نعانيه لأنه هو نفسه عاناها] ذهبي الفم (العظة ٥ : ١٨)[٢٩].

هنا استعلان «بشرية» المسيح في أقصى وأعمق معناها وطبيعتها، بل وإعلان عن مدى ضرورتها وأهميتها القصوى. نعم لقد صار بشراً ليذوق كل ما يذوقه البشر من الآلام، حتى يكون

29. Ibid., V.18.

كطبيب مارَسَ الألم، فأصبح يعرف كيف يعالج الألم، وكمحام ذاق الظلم، فيعرف كيف يحامي عن المظلوم، وكقائد ذاق الأسْر ومذلّة الأسْر فيعرف كيف يصرُّ على فك المأسورين وكأنه واحد منهم، وكملك ذاق مذلّة العبيد، لكي حينما يجلس على عرشه يرفع العبيد رفقاءه للجلوس معه. هنا المعونة بمفهوم الشفاعة العملية تدخل في أعمق مفهوم لها، فهي ليست معونة من على بُعْدٍ، بل معونة من داخل التجربة، لا كمنقذ يمد يده من فوق ليرفع غريقاً بل كغوّاص نزل إلى العمق ليرفع الغريق على كتفه، لا كطبيب يشفي مرضاً درسه بل كطبيب أخذ العدوى بإرادته ليمرَض بإرادته بذات المرض، ليذوقه، ويذوق آلامه، ثم يستخدم خبرته الفائقة ليشفي المريض، عن شركة في ذات الألم وعن عطف فائق الوصف وكأنه يقول للمريض عن حق: لا تخَفْ! جسمي كجسمك، ونفسي كنفسك، وألمك ألمي، وحزنك حزني، وشفاؤك عندي!!

وهكذا تماماً وبالتالي يقول للخاطىء: خطيتك أنا أعرفها، لقد قِسْتُ طولها وعرضها وعمقها وارتفاعها، لقد حملتُها معك دون أن تدري فثقّلها عليك ثُقّلها عليَّ، ومرارتها في حلقك مرارتها في حلقي، كَرْهك لها كَرْهي لها، ودموعك عليها محفوظة في حِرْز عندي، أنت رازح تحتها مغلوباً، هذا أنا أعلمه، وأنا نزلتُ تحتك وحملتُك على صليبي ورفعتُها من على كتفك ووضعتُها على كتفي. فثِقْ وتشجّع، فأنا معك بل أنت فيَّ، وخطيتك صارت خطيتي، وقد أمتُّها بموتي وأحْيِيتُك معي، وها أنا أقدِّمك إلى أبي مطهّراً وبلا لوم، مغسولاً ومقدّساً بدمي، هكذا فليَكُن لك من اليوم جراءة وقدوم إلى الله بإيماني. فلقد وهبتُك اليوم شركة في محبة أبي لي وأعطيتُك ميراثاً في بنوّتي: «ليكون فيهم الحبُّ الذي أحْبَبْتني به وأكون أنا فيهم»!! (يو١٧: ٢٦)

فانظر، يا عزيزي القارىء، كيف أهّلت بشرية المسيح باللحم والدم أن يكون هكذا زميل آلام وشفيع تجارب ورئيس كهنة معاً، خبيراً بشئون خطايانا بأعمق وأقبح ما فيها، فلا يخفى منها عليه خافٍ، ولا يقوى شيءٌ منها أن يقف إزاء سلطان كهنوته الإلهي الفائق القوة والفاعلية في التكفير، وهو مسلّح في دفاعه بذبيحة الجسد عينه!! وهكذا نجح الآب أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام.

«لأنه في ما هو قد تألم مجرباً»:

توضيح ما بعده توضيح أن التجارب التي عبرها المسيح لم يَعْبر عليها بل عَبَرَها من تحت الآلام! ولكن باتساع وشمول مذهل.

ثم انظر إلى هذا المسلسل:

«يشبه إخوته في كل شيء»،

«مجرَّب في كل شيء»،

«يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام»،
«لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

استوعب كل بشريتنا بكل معنى، وفيها ذاق كل تجاربها [ما خلا فعل الخطية، فهو أولاً: «الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكْر» (١بط٢: ٢٣)]، واختبر تجاربها من داخل آلامها بكل اتساعها، حتى أنه أكمل كل آلام البشرية المزمع أن يترأس خلاصها بدمه ثم يجلس يتشفع فيها واحدة فواحدة.

ويلزمنا هنا أن نوضّح أن التجارب التي تجمّعت عليه تجمّعت من كل اتجاه ممكن، فأولاً من الشيطان علناً في البرية، وهي تجارب مخادعة في صورة قوة وعظمة ومجد كاذب يمكن أن تغويه فتفوّت عليه أو تعتقه من محنة الصليب الفادحة. ولا يمكن أن نستهين بقوة هذه التجارب على جسد منهوك إزاء مُخادع متمرس جبار، تركه إلى حين ويقي مقابله كل حين يثير عليه جميع صنوف التجارب الأخرى: تجارب من الأهل والإخوة، تجارب من التلاميذ المخلصين لِيُثْنوه عن الصليب: «حاشاك يا رب» (مت١٦: ٢٢)، تجارب من تلميذ يتجسس ويرسل الأخبار أولاً بأول لرؤساء الكهنة ليضيّقوا عليه الحصار ويزيدوا من نار التجارب، تجارب من علماء الناموس، وتجارب من رؤساء الكهنة، وتجارب من الشعب الذي أراد أن يختطفه ويجعله ملكاً، وتجارب نعرفها وتجارب لا نعرفها، وتجارب لا تخطر لنا على بال احتملها بصبر وخرج من تحت آلامها خبيراً أعظم في تجارب بني الإنسان، «مختبر الحزن ...» (إش٥٣: ٣)، ومتمرساً في كل صنوف الآلام النفسية والجسدية.

«يقدر أن يعين المجرَّبين»:

الكلام هنا يتجاوز مفهوم الفداء الذي اختص بالخطايا ليرفعها من فوق ظهر الإنسان مرة واحدة إلى الأبد، ولكن الكلام هنا على التجارب والآلام التي يواجهها الإنسان المفدي والمؤمن والتي يزيد من كيلها الشيطان ضعفين لزلزلة إيمانه.

هنا قول الرسول: «يقدر أن يعين» هي قدرة ذات مصدرين، **الأول** خبرة المسيح الفائقة في قياس تجاربنا بكل عمقها وقساوتها مع شعوره الإنساني الكامل بنفس أحاسيسنا؛ أما المصدر **الثاني** فهو ما وراء ناسوته من قوة إلهية مستعدة لعمل الأعاجيب في كل زمان ومكان ومع كل إنسان.

ولكن نود أن ننبه ذهن القارىء إلى دقة التعابير اليونانية التي جاءت في الفعلين، **الأول** عن المسيح: «مُجرَّباً»، والثاني عن الإنسان: «المجرَّبين»، لأن اللغة العربية قصرت عن التفريق.

«مجرَّباً، مجرَّبين»: πειρασθείς, πειραζομένοις

الفعل الأول: «تألم **مجرَّباً**» جاء في زمن الماضي البسيط بالنسبة للمسيح،

الفعل الثاني: «**المجرَّبين**» جاء في زمن المضارع المستمر والمعبِّر عن المستقبل أيضاً.

هذه الصورة تحقق مدى استيعاب المسيح لكل التجارب التي يمكن أن يواجهها إنسان ما في الوجود، استوعبها في حياته على الأرض بالكامل وصدق القول: «أكمل رئيس خلاصهم بالآلام».

أما البشرية المفدية والتي رُفعت خطاياها مرة واحدة وإلى الأبد، فقد وُهب لها أن تظل تتألم من أجله بكل الآلام والتجارب، وهذا حُسب لها هبة ونعمة، لأن التألم هنا ليس من أجل خطية بعد لئلا يُهان دم المسيح، بل تألم من أجل المسيح بمعنى **الاشتراك في آلامه** كعربون للاشتراك في مجده: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه» (رو٨: ١٧). إذاً، فهي آلام ذات عائد يفوق كل أمجاد هذا الدهر: «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو٨: ١٨). وبالرغم من ذلك، وحتى في هذه الآلام والضيقات الحاضرة والتي لها ثمن يفوق صعوبتها، فالمسيح لا يتركنا نجوزها وحدنا: «لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجرَّبين»، ويعيد الرسول القول مرة أخرى: «**لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا** بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية.» (عب٤: ١٥)

ولكن يهمنا أن نؤكد أن الآلام التي نجوزها مع كل الضيقات بعد أن آمنا بالمسيح واتحادنا به وفُزنا بالخلاص، لم تَعُدْ علامة هجران أو بُعاد عن الله، بل هي آلام وضيقات لحساب الملكوت كما يخاطب بولس الرسول أهل تسالونيكي مشجعاً: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملونها، بيِّنة على قضاء الله العادل **أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.**» (٢تس١: ٤و٥)

كذلك، فكل أنواع التجارب المصوَّبة للمؤمنين بقصد إحياء الخطية الميِّتة في أعضائهم والتي يتأذى منها الأتقياء ويصرخون، فلنا شفيع ذاق **قوة الخطية القاتلة** حتى **الموت**، وعرف جوانبها المؤذية للضمير والقادرة أن تحجب وجه الله، كما ذاق هو على الصليب. لذلك فهو يسمع الأنين والصراخ ويتصدَّى، فهذا من صميم أعمال الصليب. فالذي دان الخطية في الجسد مرة دافعاً ثمنها من دمه لن يصمَّ أذنيه عن الطالبين المعونة. فكل تجربة يجوزها المؤمنون باسمه، هي تجربته. فالذي اشترك في اللحم والدم، اشترك في كل آلام وتجارب اللحم والدم. وهو يقيناً قادر أن يعين المجرَّبين. ولا يبقى إلاَّ الإيمان ليتحقق الإنسان من صدق الله!

الدفاع الثاني
تفوُّق المسيح على موسى ويشوع
وتفوُّق الراحة التي يقدّمها المسيح على راحة العهد القديم

الأصحاح الثالث والرابع

ملخص ما سبق:

انشغال السفر في الأربع الآيات الأولى من الأصحاح الأول، كان بقصد أن يقدّم عناصر الرسالة بأكملها، وهذا ما سميناه ديباجة الرسالة.

الدفاع الأول: ثم من الآية الخامسة من الأصحاح الأول مع بقية الأصحاح الأول برُمَّته والأصحاح الثاني برُمَّته، ينشغل برفع قدر المسيح فوق الملائكة الذين كان يُظَنُّ أنهم سلّموا التوراة والناموس لموسى.

الدفاع الثاني: ثم ينشغل السفر على مدى الأصحاح الثالث والرابع كله بعمل موازنة بين تدبير الله القديم على يد موسى ويشوع وبين تدبير الله الجديد بيسوع المسيح.

مقدّمة الأصحاح الثالث والرابع:

انتهى الأصحاح الثاني بالإعلان عن ظهور المسيح في اللحم والدم مُشبهاً إخوته في كل شيء، لكي يقوم بوظيفته بين إخوته كرئيس كهنة يكفّر عن خطايا الشعب معبّراً ضمناً عن ذبيحة كفارته.

وإلى هنا توقّف السفر عن الاستطراد في شرح أعمال رئيس الكهنة والدخول في ذبيحة التكفير التي سيخصص لها الأصحاحات من الخامس إلى العاشر (وحتى آية ١٠:١٨)، والتي هي صُلْب اللاهوت المسيحي الخلاصي.

ولكنه ارتأى بالروح أن ينتهي أولاً من رسم موازنة بين خطة التدبير الإلهي التي نفذها الله على

يد موسى ويشوع وكل ما تبعهما من عصور في التطبيقات الناموسية، وبين خطة التدبير الإلهي التي نفَّذها الله بواسطة ابنه يسوع المسيح.

وقد ألمح السفر في الآية الخامسة من الأصحاح الثاني إلى أن هناك في تدبير الله عالمين، عالم سمَّاه «العالم العتيد» الذي هو محور اهتمام ومضمون ما قصد أن يتكلَّم عنه في هذه الرسالة بقوله: «فإنه لملائكة لم يُخضِع العالم العتيد الذي نتكلَّم عنه» (عب٢:٥). بمعنى أنه إن كان الملائكة قد اشتركوا كوسطاء في توصيل الناموس لموسى وربما المعاونة في تنفيذه، وهذا هو العالم القديم في عرف الرسالة، ولكن الله لم يُخضع، ولا حتى سلَّم مهام العالم الجديد العتيد ــ وهو ملكوت الله ــ لأيٍّ من الملائكة، بل كان محفوظاً طبعاً لسيادة ابنه:

+ «الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مُكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحدٍ ... ويكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام ... لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب (ويفتتح ملكوت الله = العالم العتيد).» (عب٢: ٩و١٠و١٧)

وهكذا كان هناك ضرورة في اعتبار السفر لأن تُعقد مقارنة بين موقع موسى ويشوع من تدبير مملكة يهوه على الأرض التي كان الله «يهوه» فيها ملكاً وحيداً وخاصاً لشعبه الخاص، وبين موقع المسيح الابن في المقابل في تدبير ملكوت الله السماوي «العتيد» واستعلانه على الأرض بالنسبة للعالم كله.

وقد قسَّم القديس بولس الأصحاحين الثالث والرابع هكذا:

أولاً (٣:١ــ٦):

موسى الخادم لبيت الله ــ خيمة الاجتماع ــ في تدبير الله القديم مقابل المسيح ابن الله السيد وصاحب البيت، وبيته نحن أي الكنيسة جسده.

ثانياً (٣:٧ــ٤:١٣):

تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم وتذمُّرهم المتواصل وقلَّة إيمانهم، مما جلب عليهم الغضب والهلاك في البرية وحرمانهم من دخول أرض الراحة كنعان التي لم تكن لهم للراحة أبداً بسبب خطاياهم وعنادهم: «بسطت يديَّ طول النهار إلى شعب متمرِّد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره» (إش٦٥:٢)، في مقابل وعد جديد بالراحة العليا الأبدية التي دخلها المسيح، ودعانا إليها لنمتلكها من الآن.

ختام الأصحاح الرابع (٤: ١٤ــ١٦):

بعد ذلك، وبعد أن أكمل هذه المقارنة غير المتوازنة بين التدبير الأرضي الجسدي القديم على يد موسى وبين التدبير السماوي الروحي الجديد بواسطة المسيح، وعند الآية (١٤) من الأصحاح الرابع، يعود بدون سابق إنذار ليواصل الكلام الذي أنهاه في نهاية الأصحاح الثاني عن المسيح باعتباره رئيس الكهنة، ليبتدىء يتكلّم بالتفصيل عنه كرئيس كهنة، كعقيدة لاهوتية قائمة بذاتها، يطرحها لأول مرة في أسفار العهد الجديد، وتستغرق الآيات ١٤و١٥و١٦. وبذلك ينتهي الأصحاح الرابع، ليعود في الأصحاحات من ٥ــ١٠: ١٨، ويكمّل عقيدة المسيح كرئيس كهنة أعظم بصفتها موضوع الدفاع الثالث، أي تفوُّق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم.

الأصحاح الثالث

أولاً: بين موسى خادم خيمة الاجتماع، والمسيح الابن على بيته، وبيته نحن (الكنيسة) (٣:١ــ٦).

ثانياً: الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله (٣:٧ــ١٩):

أ ــ التذمُّر في البرية (٣:٧ــ١١).

ب ــ تطبيق درس التذمُّر في البرية (٣:١٢ــ١٥).

ج ــ الدرس المُستفاد من المزمور كله بتدقيق (٣:١٦ــ١٩).

أولاً:
بين موسى خادم خيمة الاجتماع
والمسيح الابن صاحب البيت وبيته نحن الكنيسة
[٣:١-٦]

يبدأ الكلام بتقديم المسيح بصفته صاحب الدعوة السماوية (العالم العتيد): (٣:١و٢).

ثم يبدأ بالموازنة رافعاً المسيح على أساس اعتبارين:

الاعتبار الأول: أن موسى كخادم البيت؛ يمثّل مجرد نظام لهذا البيت، في حين أن المسيح هو باني البيت، أي صانع التدبير بأكمله، وتدبيره نحن أي الكنيسة (٣:٣و٤).

الاعتبار الثاني: موسى يعمل على أساس مستقبل زمني، آتٍ كمجرد خادم لمقاصد الله. على أن موسى أخفق إخفاقاً شخصياً كان مسئولاً فيه عن توصيل شعب الله إلى راحته، أي أرض الميعاد، مما اضطر الأمر إلى اختيار يشوع لتكميل العمل.

أما المسيح الابن فهو يحقق خلاصاً ويقيم حاضراً (٣:٥و٦)، إذ أن المسيح بعد أن أكمل العمل الخلاصي على الصليب، وقام، ارتفع إلى السموات ودخل الأقداس العليا، وجلس عن يمين الله تعبيراً عن كمال الكمال، بعد أن افتتح الطريق **إذ دخل إلى راحته كسابق من أجلنا فوجد فداءً أبدياً** وراحة أبدية أيضاً.

ولا يخفى على القارىء أن هنا تورية رقيقة مختبئة وراء الكلام، تصوّر هذه المقارنة من خلف. فإبراهيم وخادمه لعازر الدمشقي، ثم ظهور الابن إسحق الوريث، يعطيان صورة خاطفة بديعة لله وموسى الخادم والمسيح الابن الوريث.

وطبعاً إن بدت هذه الصورة بعيدة نوعاً ما عن وعي القارىء، فهي حاضرة ومنظورة عند هؤلاء العبرانيين وهو يخاطبهم بها. إن موسى الذي كان عليه رجاؤهم، ليس هو أكثر من لعازر الدمشقي على مسرح أحداث الحقائق الإلهية، التي كما أبرزت إسحق ليلغي دور لعازر الخادم في وراثة

كاذبة لبيت إبراهيم: «فقال أبرام: أيها السيد الربُّ ماذا تُعطيني وأنا ماضٍ عقيماً ومالك (وارث) بيتي هو أليعازر الدمشقي (خادمي)» (تك١٥: ٢)؛ هكذا أظهرت نعمة الله المسيح الابن ليلغي دور موسى خادم البيت لأن صاحبه حضر: «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه.» (ملاخي ٣: ١)

وليلاحظ القارىء في الآية المذكورة أن إبراهيم يقول عن أليعازر الدمشقي إنه: «**مالك بيتي**»، أي صاحبه، هكذا ظهر أليعازر قبل أن يظهر الابن الوريث المالك الحقيقي للبيت إسحق، فبمجرَّد ظهور إسحق انسحب أليعازر إلى مكان الخادم الذي لا يبقى في البيت إلى الأبد!!! هكذا يريد أن يقول السفر للعبرانيين، إن موسى إن كان قد ظهر في أفق حياتكم السابقة كأنه مالك لبيت الله وصاحبه، فهذا لغياب الحقيقة عنكم قبل إيمانكم واستعلان الابن الحقيقي المسيح يسوع كالسيد والرب ليُنهي دور الخادم المؤقت. أما هذا الابن الوريث فهو يبقى، ويبقى صاحباً للبيت إلى الأبد لأنه هو بانيه.

الشرح:

٣: ١ و٢ **«مِنْ ثَمَّ أيها الإخوةُ القديسون شُركاء الدعوةِ السماوية (العالم العتيد) لاحظوا رسولَ اعترافِنا ورئيسَ كهنتِهِ المسيحَ يسوعَ، حالَ كونه أميناً للذي أقامَهُ كما كان موسى أيضاً في كلِّ بيتِه».**

«مِنْ ثَمَّ»: ὅθεν

وتعني «**لذلك**» وهذا يجعل ما يأتي من الكلام محمولاً على ما سبق ومترتباً عليه. والذي سبق ويقصده هو أن المسيح أخذ لحماً ودماً وقد اشترك فيما لنا، أي طبيعتنا البشرية، ونحن صرنا بذلك إخوة له، ويترتب على ذلك أنه أصبح عالماً بحاجاتنا وقادراً على العونة في كل شيء وتكميل كل أعوازنا.

«أيها الإخوة القديسون»:

واضح أن وصف الرابطة التي تربط المتكلِّم بالمخاطبين جميعاً بأنها رابطة أخوَّة، هو نتيجة مباشرة لتجسُّد المسيح الذي كان تجسُّده السبب الأول في أن يصيِّرنا جميعاً إخوة له، وبالتالي فإن مجرد توجيه نظر السامعين أنهم «إخوة» بهذا الوضع المسيحي الجديد يجعل الكلام القادم ذا غاية من نفس الموضوع بل ومبنياً أيضاً عليه.

أما قوله: «القديسون»، فتُشير إلى مستوى الرابطة الأخوية أنها تأسست على عمل التقديس الذي تمَّ بسر المسيح الكُلي، سواء معمودية أو اشتراك في الجسد والدم أو موهبة الاتحاد في جسد واحد. ولكن إطلاق كلمة «الإخوة القديسين» على كل السامعين لا يعني أبداً أن كلهم قد صاروا قديسين كأفراد واحداً واحداً. والشاهد على ذلك أن المسيح كان يُطلق على أتباعه كلمة «التلاميذ الاثني عشر»، ويا لعظمة وقداسة كلمة تلاميذ المسيح، وبالرغم من ذلك قال مرة وهو يخاطبهم وإصبعه يشير إلى يهوذا: «وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم» (يو١٣: ١٠). وعلى هذا النمط كان بولس الرسول يدعو أهل كل كنيسة بالقديسين من واقع سر المسيح والكنيسة التي تجمعهم ولكن كان فيهم مَنْ وقع تحت توبيخه بسبب زناه وتعدّيه وتمّ قطعه.

وهكذا علينا أن ننتبه أن «قداستنا»، سواء ما يطلقها علينا الآخرون جزافاً أو ما ينبغي أن تكون عليه حقيقة سيرتنا وحياتنا، هي متوقّفة على شهادة المسيح والروح القدس: «الذي مَدْحهُ ليس من الناس بل من الله» (رو٢: ٢٩)، «وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١ كو٤: ٥)، وما يرفضه ضميرنا لا ينبغي أن تقبله أسماعنا.

«شركاء الدعوة السماوية»:

«شركاء»: μέτοχοι

جاءت هنا بمعنى «مشتركين في أمر»، لذلك جاءت باللاتينية participes، وهي تختلف عن الشركة الحقيقية التي فيها ينصهر الأفراد لحساب المسيح، وتجيء باليونانية κοινωνία. فشركة الإخوة القديسين هنا في هذه الآية هي من واقع دعوة المسيح فقط التي يلزمها بعد ذلك الخضوع لها بالقلب والروح لتصبح بعد الدعوة وحدة. فهي شركة في مجرد اختيار أو امتياز عام شكلي، فرباط الشركة غير موجود في الأشخاص ولكن في الدعوة.

وهنا يضطرب قلبنا جداً ونجزع ونرتاع لئلا تكون أُخُوَّتنا وشركتنا وقداستنا المزعومة مجرد شركة في دعوة فقط، ولم تصر بعد شركة وحدة وانصهار قلبي وروحي ونفسي في المسيح بتقديس الروح وطاعة الكلمة؟ «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ ... إن لم تكونوا مرفوضين» (٢ كو١٣: ٥). هل يمكن؟ ويا لفداحة الخسارة ويا لضياع العمر باطلاً!!!

الدعوة السماوية: κλήσεως ἐπουρανίου من κλῆσις:

يلزمنا هنا الانتباه إلى هذا التعريف الجديد: الدعوة **«السماوية»**، فهنا يبدأ الرسول ينطلق إلى الوضع السماوي الذي تعيَّن لنا بنزول الابن من السماء. اسمعه يُكرِّر:

+ «الذين استنيروا (بالمعمودية) مرّة وذاقوا الموهبة **السماوية**.» (عب٦: ٤)
+ «وأما **السماويات** عينها فبذبائح أفضل.» (عب٩: ٢٣)
+ «ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي **سماوياً**.» (عب١١: ١٦)
+ «بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية.» (عب١٢: ٢٢)

هذا يكشف لنا عمّا كان يملأ قلب وذهن الرسول من الفارق بين موسى والمسيح كالفارق بين الأرضيات والسماويات.

وهنا الدعوة السماوية ليس معناها أننا قبلنا مجرد دعوة جاءتنا من السماء وليس من الأرض أو من أوهامنا، ولكنها تعني سماوية حسب القصد والغاية والنهاية والمكافأة، **فهي** دعوة تأتي فعلاً من السماء لتُكمَّل في السماء، تأتي من الله لتتحقَّق فيه معه، دعوة لها شركة عُليا سماوية، وليست كدعوة موسى التي أتته من فوق جبل مدخَّن بالنار وزلزلة وصوت بوق مُخيف، وما أجل وضعها في موضع آخر في نفس هذا السفر: «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ... بل قد أتيتم إلى جبل صهيون (الروحي) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات، وإلى الله ديَّان الجميع وإلى أرواح أبرار مُكمَّلين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل» (عب١٢: ١٨—٢٤). دعوة موسى أتته لتكميل حياة على الأرض ودخول أرض تفيض لبناً وعسلاً لملء البطن والشهوة. أما دعوة السماء **فهي** لتكميل حياة أبدية **مع الله**، ومع شركة القديسين، لتسبيح وتمجيد يدوم إلى الأبد.

«لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع»:

التر‌جمة العربية هنا تصرَّفت في أمرين:

الأول: هو إعطاء لقب «المسيح» وهو غير موجود في اليونانية وجميع المخطوطات القديمة وذلك لسبب هام.

الثاني: هو نسبة رئيس كهنة هاء الغائب مما يُظن معه أنه منسوب لله مع أنه منسوب لاعترافنا.

وصحة ترجمة الآية حسب النص اليوناني هي: «لاحظوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا».
وهنا التشديد على الاسم البشري للمسيح هو ضرورة هامة لأنه موضوع في مقابل موسى بشرياً في الوضعين.

«لاحظوا يسوع»:

هنا الانتباه مركَّز على اسم يسوع أكثر من لقب المسيح لذلك نجد فعل الكينونة المنسوب إليه هو من واقع تجسُّده وليس في ما قبل تجسُّده «حال كونه».

ويأتي في الآية التالية بمعنى أن ننتبه إلى أمانته التي أكمل بها عمله، وهي محسوبة الآن أنها ممتدة ودائمة، أي لم تنتهِ مثل الذي صار لموسى.

«لاحظوا»:

باليونانية κατανοήσατε من الفعل κατανοεῖν
وتعني الملاحقة الفكرية أولاً ثم الانتباه الذهني.

هنا **الملاحظة** مطلوب الاهتمام بها، ليس فقط للفهم عبوراً بالآية، ولكن ملاحظة حياتية تدخل في صميم الإيمان والتصرُّف والسلوك. وقد جاءت هذه الكلمة عينها بعد ذلك لتُفيد هذا المعنى تماماً بقوله: «**ولنلاحظ بعضنا بعضاً** للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة» (عب١٠: ٢٤). إذاً فالملاحظة ليست فكرية أو ذهنية وحسب وإنما التزام عمل وسلوك(١).

وقد استخدمها المسيح أيضاً كدعوة لملاحظة الغربان والزنابق في الحقل لنتعلَّم منها كيف نتَّكل على الله في حياتنا اليومية: «تأمَّلوا κατανοήσατε الغربان، ... تأملوا κατανοήσατε زنابق الحقل ...» (لو١٢: ٢٤و٢٧؛ مت٦: ٢٨). هنا أمر التأمُّل يوضِّح تماماً معنى الكلمة العملي في تحويل المنظور إلى فعل.

ومعلوم، يا عزيزي القارىء، أن قراءة الإنجيل بهذا التأمل في كل ما علَّم به المسيح يحوِّل الكلام إلى عمل والتصوُّر إلى حياة. وعلينا أن نتأكد أنه بدون تأمُّل لا قيمة للمقولة الإنجيلية أو اللاهوتية فالتأمُّل يرفعنا إلى مستوى كلمة الله، لأن كلمة الله لا تهبط إلى الفكر والقلب ونحن صامتون وملشمو الفكر: «أفغِر فاكَ فأملأهُ» (مز٨١: ١٠)، «الذين يُبكِّرون إليَّ يجدونني» (أم٨: ١٧)، «طوبى للإنسان الذي يسمع لي ساهراً كل يوم.» (أم٨: ٣٤)

«رسول ورئيس كهنة اعترافنا»:

هنا وظيفتان ليسوع: كونه رسولاً مُرسَلاً من الله شأنه شأن موسى، وأيضاً رئيس كهنة شأنه

---

1. Westcott, *op. cit.*, p. 74.

شأن هارون، وهما ما سيحاول المقارنة معهما. ولكن في المسيح تنجمع الوظيفتان معاً ولكن بصورة سماوية أعلى بلا قياس. كما نلاحظ أن في هاتين الوظيفتين ينجمع عمل الله وعمل الإنسان بما يتناسب تماماً مع سابق الدعوة التي تعيَّن وتخصَّص لها المسيح قبل تجسُّده، أن يعلن الله للإنسان (عمل رسول) وأن يقدِّم الإنسان إلى الله (عمل رئيس كهنة).

كذلك لو تعمَّقنا مسار الكلمات ومنابعها، فإننا نجد أنه حتى من بدء هذه الآية، وهاتان الوظيفتان حاضرتان في ذهن الرسول، إذ حينما يقول: أيها «**الإخوة القديسون**» فهذا اللقب هو من صنع رئيس الكهنة الذي جمع وطهَّر وقدَّس، وشركاء «**الدعوة السماوية**» هذه هي التي انفتحت علينا من وظيفة المسيح كونه رسولاً من الله، فإنه بهذا يمكن أن نلفت نظر القارىء لمدى الدقة والتتابع في الأفكار من داخل الكلمات والأوصاف والآيات في هذه الرسالة الشديدة التركيز.

«رسول»:

ربما يبدو لأول وهلة أن هذه الوظيفة أقل في الاعتبار والدرجة فيما يتناسب مع المسيح الرب والإله. ولكن الرسالة هنا تنحصر في بشرية المسيح كونه إنساناً مُرسلاً، وهو ما كان يصف به المسيح نفسه دائماً في الإنجيل: «لم **أُرسَل** إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت١٥: ٢٤)، حتى وفي حديث المسيح مع الآب: «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، **ويسوع** المسيح الذي **أرسلته**.» (يو١٧: ٣)

+ «ولكن لما جاء ملءُ **الزمان، أرسل** الله ابنهُ **مولوداً من امرأةٍ** مولوداً تحت الناموس.» (غل٤: ٤)
+ «كما **أرسلتني** إلى العالم أرسلتُهم أنا إلى العالم.» (يو١٧: ١٨)

وهنا كاتب الرسالة **يقصد أن يضع المسيح «أرسل ابنه»** (غل٤: ٤) في الوظيفة التي يتقابل فيها مع موسى: «**هَلُمَّ فأرسلك**» (خر٣: ١٠)، وهذا لا يُقلِّل من شأن الرب بل كما سنرى يوضِّح علو كفاءته في هذا الوضع عينه بمقدار التفوُّق المطلق الذي فيه جعل من رسوليته استعلاناً لظهور الله في إنسان: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، مما جعل كل الرسل الذين أرسلهم الله قبله نُسَخاً باهتة تخدم رسوليته بالنهاية ولا تكمِّل شيئاً بذاتها. أما كل الرسل الذين جاءوا وأرسلهم الله بعده فهم رُسُله هو، يخدمون رسوليته بالدرجة الأولى:

+ «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتُهم أنا إلى العالم.» (يو١٧: ١٨)

+ «الحق الحق أقول لكم الذي يقبل مَنْ أرسِله يقبلني، والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني.» (يو١٣: ٢٠)

والذي يرفع رسولية «يسوع» فوق كل رسولية أخرى أنه رئيس كهنة في نفس الوقت!! فكل رسول يُرسَل من الله للإعلان عن الله، أما يسوع فهو رسول للإعلان والاستعلان معاً بآن واحد، بذاته ثم لتقديم الإنسان إلى الله في ذاته أيضاً كرئيس كهنة.

أما الإرسال فيشير إلى التجسُّد، أما رئاسة الكهنوت فتُشير إلى ذبيحة كفَّارة الصليب التي دخل بها الأقداس العليا وتراءى أمام الله لأجلنا. فهو رسول الله الذي يمثّله لنا، ورسولنا الذي يمثّلنا أمام الله.

«رسول ورئيس كهنة اعترافنا»:

«لاحظوا» هنا تفيد ملاحظة الفكر والوعي لملاحظة عمل المسيح **كرئيس كهنة**، وتعني إيجابياً الاتصال القلبي بمطالب وظيفته كرئيس كهنة تعيَّن لنا، فهو رئيس كهنة **اعترافنا**، وكلمة «اعتراف» هنا (أومولوجيا) ὁμολογίας اصطلاح كنسي ليتورجي اختص به سفر العبرانيين بكثرة، وقد استخدمه القديس بولس مرتين: في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٩: ١٣)، والرسالة الأولى لتيموثاوس (٦: ١٢و١٣). وتعني هنا «يسوع الذي نعترف به» بمعنى التمسُّك الإيماني القلبي والعلني معاً بيسوع أنه هو المسيح، المُرسل ورئيس الكهنة بآن واحد: «لنتمسَّك **بإقرار**(٢) (= **اعتراف** ὁμολογίαν) الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب١٠: ٢٣). هنا الاعتراف سمَّاه «إقراراً»، وهو هنا يشدِّد أن يكون اعتراف إيماننا راسخاً، لأن الإيمان هنا يرتبط بالوعد والوعد مرتبط بالله شخصياً. بمعنى أننا كمسيحيين أعطينا دعوة سمائية بوعد قوامها رسول مُرسَلٌ من الله هو ابنه، وهو بآن واحد تعيَّن لنا رئيس كهنة منوط برفع قضيتنا أمام الله بتقديم ذبيحة نفسه كفَّارة. هذا هو مضمون إيماننا وإقرارنا الذي نعترف به بالقلب واللسان في السيرة والمسيرة.

«رئيس كهنة»:

الرسالة إلى العبرانيين تتميَّز بالدرجة الأولى بإبراز شخصية المسيح كرئيس كهنة. فالرسالة

---

(٢) الإقرار توضيح بديع لكلمة «أومولوجيا» التي ترجمتها أيضاً «اعتراف»، فهي تعني في اللغة اليونانية ضمن ما تعني كلمة «عقد» contract. هكذا كأن الإيمان في حقيقته عقد يحتم الاعتراف به. وهذا الشرح هو للعالم:
Attridge, op. cit., p. 108.

تُقدّمه أولاً ككاهن ἱερεύς على طقس ملكي صادق، وذلك من واقع قَسَم الله في النبوة التي نطقها داود في المزمور: «أقْسَم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز١١٠: ٤)، وقد سجلها هذا السفر في مواضع عدة في: (٦:٥ و ١٠، ٢٠:٦، ١٥:٧ و ١٧ و ٢١). كما سجّل له هذا السفر وظيفة «كاهن عظيم ἱερέα μέγαν على بيت الله» (٢١:١٠). كما سجّل له وظيفة رئيس كهنة رحيم ἐλεήμων، وأمين πιστός (١٧:٢)، كذلك رئيس كهنة اعترافنا τῆς ὁμολογίας ἡμῶν (١:٣)، ورئيس كهنة عظيم μέγαν (١٤:٤)، ورئيس كهنة قادر أن يرثي δυνάμενον συμπαθῆσαι (١٥:٤)، وعلى طقس ملكي صادق (١٠:٥)، ورئيس كهنة قدوس بلا شر ولا دنس ὅσιος, ἄκακος, ἀμίαντος (٢٦:٧)، ورئيس كهنة الخيرات العتيدة τῶν μελλόντων ἀγαθῶν (١١:٩).

ويلاحظ أنه إن قال إنه كاهن فقط فهو كاهن على طقس ملكي صادق، وهو يقصد نفس الصفة التي كانت لملكي صادق وهي أنه ملك السلام وملك البر وكاهن الله العلي!! أما إذا وصفه بأنه رئيس كهنة دخل كسابق لأجلنا فهو المقابل ليشوع، الذي أدخل الشعب إلى أرض الميعاد وقسّم لهم الميراث (الأرضي) وأكمل لهم الوعد (الأرضي). ولكن رئاسة كهنوت المسيح لا تتبع نظاماً كهنوتياً هو يرأسه، بل هو رئيس خلاصٍ أُعطي له كهنوت الكفّارة ليتمّمه وحده بمفرده وبلا مُعين: «دُستُ المعصرة وحدي» (إش٦٣: ٣). ويلزم جداً أن ننتبه أن كهنوت المسيح، سواء قيل إنه كاهن أو إنه رئيس كهنة، فهذا هو استعلان سرّي عالي القدر جداً لشخص المسيح المترتّب على كونه فِصْحاً وبالتالي مُقدِّم الفصح الأعظم والوحيد. فحينما قال المعمدان عن المسيح: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩)، قالها دون أن يدري أنه هو هو الذي سيقدِّم بنفسه هذا الحمل عينه بسكين إرادته الطوعية الفرحة يوم خميس العهد، ثم يسلّم حَمَلَهُ وحيده لأيدي ذابحيه يوم الجمعة. فالمسيح رئيس كهنة حتماً لأنه مُقدِّمُ حَمَلِهِ الوحيد ذبيحة الكفّارة. أما اسم التورية الإلهية الذي التصق به منذ يوم داود أنه على طقس ملكي صادق، فلأنه عمل أيضاً سر الخبز والخمر الذي عضد بهما «إيمان» تلاميذه وكل مَنْ يؤمن به كما عضد ملكي صادق إيمان إبراهيم بخبز وخمر، وكأنه أكل بالنبوة سر الفداء.

وكأنما ابن الله تجسد ليجد أولاً في جسده الذبيحة اللازمة للكفّارة (عب١٠: ٥)، كما تجسّد أيضاً ثانياً ليشبه إخوته في كل شيء ويكون مُجرَّباً مثلهم بلا خطية لكي يؤهّل من بشريته مواصفات وموجبات رئيس الكهنة القادر أن يرثي لضعفات إخوته ويتقدَّم بذبيحته ليرفع عنهم خطاياهم واللعنة وحكم الموت الأبدي. ففي التجسُّد يكمُن سرَّان: سر الذبيحة التي بلا لوم، وسر

مقدِّم الذبيحة المجرَّب في كل شيء: الفصح وقائد الخروج، الكفَّارة ومقدِّم الكفَّارة، القربان ورئيس الكهنة.

وارتباط المسيح بلقب رئيس الكهنة يملأ ذهن وقلب رسول سفر العبرانيين بصورة طاغية ولكن عن صحة ويقين. فاسمع كيف يصوِّره من داخل النبوّة على اعتبار أن ابن الله لمَّا دخل إلى العالم دخل حاملاً دعوة الكهنوت وتقديم جسده محرقة عوض ذبائح العهد القديم كلها هكذا: «لذلك عند دخوله إلى العالم (تجسده) يقول: **ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأتَ لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسَرَّ،** ثم قلت: هانذا أجيء، في دَرْج الكتاب مكتوبٌ عني، **لأفعل مشيئتك يا الله**» (عب ١٠: ٥ ـ ٧). بمعنى أن دخول الابن إلى العالم للتجسُّد كان على أساس التعويض عن الذبائح والمُحرقات بجسد المسيح!! ولكن ينبغي اعتبار هذه المقولة: «هيأت لي جسداً» أنها تشمل مفهوم أن المسيح هو نفسه صاحب الجسد: «هيأت جسداً» الذي سأقدِّمه ذبيحة، بل وهو نفسه ـ «لي» ـ أي أنه سيقدِّم جسده ذبيحة كفَّارة أي باعتباره رئيس الكهنة الذي سيقدِّم جسده محرقة حسب مشيئة الله!

٣ : ٢ **«حالَ كَوْنِهِ أميناً للَّذي أقامه كما كان موسى أيضاً في كلِّ بيتِهِ».**

تأخذ هذه الآية قوتها حين نضعها في ضوء وعد الله بمجيء النبي الآخر مثل موسى، الذي سيضع الله اسمه فيه: «أُقيمُ لهم نبيًّا من وسطِ إخوتهم **مثلك**، وأجعلُ كلامي في فمه فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسانَ الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلَّم به باسمي أنا أطالبه.» (تث ١٨: ١٨و١٩)

لاحظ أن تركيز آية سفر العبرانيين هنا **توجِّه الفكر نحو بشرية المسيح**، مثل هذه الآية في سفر التثنية، باعتباره النبي الثاني بعد موسى ومثله. فالاتجاه هنا هو نحو أمانة المسيح يسوع **كإنسان** أقامه الله لعمل وظيفته الرئاسية على الشعب وكوسيط بينه وبين الله كما كان موسى.

«للذي أقامه»: τῷ ποιήσαντι

الكلمة اليونانية هنا تحتمل مَعْنيَيْن، معنى يفيد بشريته فقط والمعنى الآخر يفيد وظيفته. ولكن لا يحتمل المعنى فكرة الخلقة على الإطلاق[٣]، والآباء عموماً في تفسيرهم لهذه الآية هنا يُركِّزون

3. Westcott, *op. cit.*, p. 75.

على بشرية المسيح، مثل القديس أثناسيوس(٤).

ولكن يُرجِّح العالِم وستكوت أن القصد المباشر هنا هو **على وظيفته**، والكلمة العربية واضحة وصريحة في ذلك، فالذي أقام موسى أقام المسيح من جهة الوظيفة وليس الخلقة أو التجسُّد. وهذا نجدهُ واضحاً في سفر الأعمال: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أنَّ الله **جعل** يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربّاً ومسيحاً» (أع٢: ٣٦)، حيث جاءت كلمة «جعل» هنا باليونانية **ἐποίησεν** وهي نفس التي تُرجمت «أقامه». وقد أوضحها ذهبي الفم:

[إنه لا يتكلَّم هنا من جهة جوهره أو لاهوته ولكن فقط فيما يخص امتيازات بشريته](٥).

«كما كان موسى أيضاً في كل بيته»:

هنا لا يشاء القديس بولس أن يجعل المُقارنة بين المسيح وموسى على مستوى اللاهوت مباشرة لئلا ــ كما يقول ذهبي الفم ــ يسدُّوا آذانهم، طبعاً بسبب تشككهم في الإيمان بالمسيح. ولكنه ينزل إلى مستوى دعوة المسيح في وضعه البشري بالنسبة لدعوة موسى. فموسى كان أميناً في كل بيت الله، والذي يسترعي انتباهنا هنا كلمة «**كل**» (ὅλῳ) فلماذا «كل بيته»؟ هنا المعنى عميق للغاية، فالله دعا مع موسى كهنةً ورؤساءَ كهنة وفيما بعد أنبياء وملوكاً أيضاً، كل هؤلاء كانوا قد **أقيموا** على بيت الله حيث جاءت كلمة «**بيت**» **هنا بمعنى بيت إسرائيل أي الشعب**. وكل واحد من هذه الشخصيات كان منوطاً به خدمة جزء أو ناحية من نواحي خدمة عهد الله مع الشعب. **أما موسى فالله أقامه** على كل بيته بمعنى المسئول عن كل أوجه الخدمة، واستأمنه الله على كل احتياجات الشعب، **وفي نفس الوقت** كان هو الوحيد الذي يتحدث مع الله والله يتحدث معه، كوسيط يمثِّل الله للشعب ويمثِّل الشعب لدى الله. والأصل في الآية هو نص في سفر العدد: «فقال: اسمعا كلامي (يا هارون ومريم)، إن كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلِّمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمينٌ في كل بيتي.» (عد١٢: ٦و٧)

و«كل» (ὅλῳ) هنا تُظهر قوتها وعمقها جداً في حال المسيح بعد ذلك، لأن موسى كان مجرد مثال للسماوي الآتي بعده.

والآن ينبغي لنا أن نوضِّح أكثر المنهج الفكري الذي سيسير عليه بولس الرسول هنا فيما يخص

4. Athanas. (a) *De sententia Dionysii,* 11, NPNF, p. 180.
(b) *C. Arian.* ii,7, NPNF, p. 351.

5. Chrysostom, *op. cit.*, p. 390.

العلاقة بين «يسوع» في حال بشريته الذي أقامه الله على بيته، وبين موسى سابقاً. ومرة أخرى نقول: إن المقارنة ليست بين المسيح وموسى، بل بين يسوع وموسى، لأننا سندخل في تخصصات النظام العادي وعمل المقارنة بين خدمة موسى وخدمة يسوع. لأنه يلزمنا أيضاً أن ننتبه أن الحديث موجَّه للعبرانيين اليهود المُتنصِّرين الذين يقع موسى عندهم موقع صاحب التوراة والناموس والمؤتمن على بيت الله وحياة وخلاص شعبه، فشخصية موسى خطَّت في أعماق الشعور واللاشعور عند العبراني المتنصِّر خطوطاً عميقة من العسير أن يمحوها شيء في الوجود إلاَّ مَنْ كان أعلى وأعظم وأهم وأخطر من موسى على مستوى الأمانة في البيت وعلى مستوى كلمة الله!!!

ولكي نوضِّح مدى عمق بقاء شخصية موسى مُرافِقَةً ومُلازِمةً مع شخصية المسيح حتى بعد تمام استعلان عمله ولاهوته والخلاص الذي أكمل، بل وبعد أن ساد على الناموس نفسه وعلى سبته ووصاياه كما قال المسيح: «قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم» (مت ٥: ٢١)، «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو ٨: ٥٨)؛ نعم بعد هذا كله نقرأ التلازم الحتمي بالروح بين المسيح وموسى هكذا: «وهم يرتِّلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين: عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ ١٥: ٣). وطبعاً يُدهشنا هنا مجيء موسى قبل الخروف، ولكن يلزم أيضاً أن ينفتح وعينا لنستذكر كيف أن موسى هو الذي قدَّم «الفصح» (الخروف)، فذكر الفصح سواء في «التيب» Type (أي الصورة) أو «الأرشي تيب» archetype (أي الأصل) يأتي مرتبطاً بموسى كما يأتي العهد القديم سابقاً على العهد الجديد ومُمهِّداً له.

بل ونجد المسيح نفسه عند ذكره اسم موسى يعطيه أسبقيَّته، بل ويؤمِّن على رئاسته على شعبه بل وعلى مسئوليته عنهم حتى في السماء!!! «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني لأنه هو كَتَبَ عني. فإن كنتم لستم تصدِّقون كُتُب ذاك (؟) فكيف تصدِّقون كلامي؟» (يو ٥: ٤٥ ــ ٤٧). يُلاحَظ هنا أن المسيح يتكلَّم عن موقف بشريٍّ موازٍ لموقف موسى وشخصية موسى: [تصدِّقون موسى: تصدِّقونني]، [كُتُب ذاك (التوراة): كلامي (الإنجيل)!!].

فالقديس بولس هنا في هذه الرسالة يحاول إقناع اليهود المتنصِّرين بارتفاع قدر يسوع المسيح على موسى من نفس المستوى الذي استؤمن عليه موسى الذي كان قد ملأ كل وجدانهم وفكرهم وروحهم. كذلك فالقديس بولس لا يلغي موسى ليبرز المسيح، ولكن يضع دعوة يسوع المسيح على نفس مستوى دعوة موسى وعمله واختصاصه؛ ثم يوضِّح كيف امتاز المسيح جداً فوق موسى كما

يمتاز الابن كصاحب البيت عن الخادم الذي يخدم فيه.

هذه في الحقيقة هي فلسفة الرسالة إلى العبرانيين التي تأخذ بالألباب، فهي دائماً تضع الناموس وموسى والطقوس والذبائح ورؤساء الكهنة في مستواهم التقليدي الصحيح بكل احترام، ولكن تضع أمامها وعلى التوازي معها الإنجيل والمسيح والروح والصليب والفادي، وبهذا تبتلع الثانية الأولى.

«أميناً ... في كل بيته»:

من جهة أمانة موسى نقرأ في سفر الخروج: «ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب هكذا فعل» (خر٤٠: ١٦)، وأيضاً في سفر العدد: «أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو **أمين في كل بيتي**» (عد١٢: ٧). وقد ترجمها الترجوم اليهودي: «أميناً على كل **شعبي**»(٦)، بمعنى أن الشعب هو الجماعة المنتظمة التي يسكن الله في وسطها!! لأن إسرائيل كانت النموذج أو الصورة الابتدائية للشعب المقدَّس من الإنسانية العالمية. هذا يفهمه القديس بولس جيداً فهو يخاطب تلميذه تيموثاوس قائلاً: «ولكن إن كنت أبطيء فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرَّف **في بيت الله** الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.» (١تي٣: ١٥)

موسى لم يخرج عن كونه خادم «أهل بيت الله»؛ ولكن المسيح هو صاحب وسيد أهل البيت.

٣: ٣و٤ **«فإنَّ هذا قد حُسب أهلاً لمجدٍ أكثرَ من موسى بمقدارِ ما لباني البيت من كرامةٍ أكثرَ من البيت. لأن كلَّ بيتٍ يبنيه إنسانٌ ما ولكن باني الكلِّ هو الله».**

بمنتهى الاختصار ومنتهى النعمة يكون الشرح كالآتي: [إنَّ نسبة الصنعة للصانع هي نسبة موسى للمسيح]!!(٧)، هذا هو شرح الآية (٣: ٣). وموسى باعتباره الذي أعطى الناموس، يُحسب أعظم من أي فرد في إسرائيل، هذا أمر مقطوع به. ولكن المسيح هو الذي أعطى موسى أن يعطي الناموس. هذا أيضاً هو الشرح المباشر للآية (٣: ٤). لأن موسى محسوب أنه هو الذي وَهبه الله أن يكون بنَّاءً حكيماً يضع أساس القانون (الناموس) من كافة نواحيه لبناء الشعب اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً وسياسياً وحربياً، ولكن الذي بنى موسى على كل هذه المستويات بل وبنى كل

6. Westcott, *op. cit.*, p. 75.

7. Theodoret, cited by Westcott, *op. cit.*, p. 76.

إنسان، هو الله: «**خالق الجميع بيسوع المسيح.**» (أف ٣: ٩)

هكذا يُرفع الحوار إلى أعلى مستوى منطقي، وهو في نفس الوقت روحي وإلهي، لأن أمانة المسيح على خلاص شعب إسرائيل ومعه كل شعوب العالم، وإن بدت في مظهرها الأوَّلي كأمانة موسى على شعب إسرائيل، ولكن أمانة المسيح فاقت أمانة موسى فوق كل تصوُّر. فموسى لم يقدِّس حضرة الله أمام كل شعب إسرائيل عندما ضرب الصخرة مستهيناً بالله قائلاً: «**أمِنْ هذه الصخرة نُخْرِج** لكم ماءً؟» (عد ٢٠: ١٠)؛ وهكذا عُوقب أن لا يدخل أرض الميعاد، أما المسيح فمجَّد الله بصليبه وموته بعد ما مجَّده بعمله وتعليمه: «أنا مجَّدتُك على الأرض» (يو ١٧: ٤). وهكذا دخل إلى الأقداس العليا كسابق من أجلنا فوجد لنا فداءً أبدياً!!

«**مجد وكرامة**»:

كما نلحظ هنا تورية ذكية مختبئة، إذ يقول: «فإن هذا (أي المسيح) قد حُسب أهلاً **لمجد** ... **من كرامة أكثر من البيت**». هنا المجد استحقه المسيح عن عمل داخلي وهو «**مجد**» **باني البيت**، ولكن الكرامة هي لعمل ظاهري وهي كرامة إتقان مبنى البيت، وموسى لم يخرج عن كونه جزءاً من هذا البيت. وهكذا جعل القديس بولس التمايز بين المسيح وموسى كالذي بين مجد ابن الله وكرامة إنسان موهوب.

أما «**المجد**» فنقترب إليه بخوف ورعدة، وأما «**الكرامة**» فبالاحترام والتقدير. وبالصريح الواضح فإن موسى كان مكرَّماً لدى كل الشعب، هذا حسن، لأنه يستحقه كموهوب، أما المسيح فاستحق من الله الآب بصوت مسموع عن عمله الذي عمله: «**مجَّدت وأُمجِّد أيضاً**»!! (يو ١٢: ٢٨). لذلك صحَّ أن «**تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ** تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ **لمجد الله الآب.**» (في ٢: ١٠ و١١)

+ «أنتَ مستحقٌّ أيها الرب أن تأخذ **المجد** والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقتَ كلَّ الأشياء وهي بإرادتك كائنةٌ وخُلِقَت.» (رؤ ٤: ١١)

ولا يخفى على القارىء أن القديس بولس هنا يُخاطب هؤلاء العبرانيين المتنصِّرين المزعزعين مشجِّعاً إياهم إذ صاروا خارج المجمع أي فقدوا الصلة الظاهرة بموسى وبالبيت، هنا القديس بولس يؤسِّس إيمانهم على أنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح أولاد صاحب البيت، أما البيت القديم فقد نُقِض معنوياً قبل أن يُنقض مادياً وذلك بنطق إلهي، وأما البيت الجديد فهو نحن إنْ ثَبتنا في الإيمان (٣: ٦).

٣ : ٥ «وموسى كان أميناً في كلِّ بيتهِ كخادمٍ، شهادةً للعتيدِ أن يُتكلَّم بِهِ».

بعد أن أكمل المقارنة بين موسى والمسيح كصاحبيْ تدبير بالنسبة لله المدبِّر لهما، وجعل مستوى المسيح البشري في مقابل مستوى موسى كلٍّ منهما مُقام على البيت، وأثبت أن أولهما وهو موسى كان مجرَّد جزءٍ من البيت (أي من الشعب) في حين أن الثاني هو صاحب البيت وبانيه؛ عاد في هذه الآية ليصنع مقارنة بين تدبير هذا وتدبير ذاك، موضحاً أن موسى بكل خدمته الأمينة في كل بيت الله كان مجرَّد خادم يشهد للآتي، وشاركه في ذلك جميع الأنبياء: «ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب» (لو٢٤: ٢٧)، بل وإن كل خدمة موسى الأمينة في كل بيت الله وكل الناموس المُتقَن الذي استلمه وسلَّمه كان لا يزيد عن ممهِّد ومعلِّم للمسيح الآتي بعده:

+ «لأن غاية الناموس هي المسيح.» (رو١٠: ٤)

+ «كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرَّر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدِّب.» (غل٣: ٢٤و٢٥)

ويُلاحَظ أن موسى يأخذ هنا منتهى كرامته كإنسان أولاً ثم بعدها ينزل ليصير مجرَّد خادم لمَنْ له الشهادة، فهو وإن كان أعظم من أي نبي (عد١٢: ٧)، إلاَّ أنه يأتي واحد مجرَّد خادم يشهد مثل كل الأنبياء «للعتيد» أن يأتي، وقد أتى!

خادم شهادة: θεράπων εἰς μαρτύριον

وباللاتيني القديم Servus.

هنا كلمة «خادم» أتت باليونانية θεράπων وهي لا تعني الخادم المعروف باليونانية δοῦλος فهي ليست «خادم»، ولكن ليست «ابن» υἱός، وليس لها في العربية مقابل إلاَّ من مضمون الكلام حيث كلمة خادم قد تأتي بمفهوم قريب من العبد. وقد تأتي بمفهوم قريب من الموظَّف أو المؤتمن.

أما الفارق بين كلمة «الخادم» لموسى، وبين «الابن» للمسيح فقد وضعها السفر سابقاً هكذا:

خادم في بيت θεράπων ἐν τῷ οἴκῳ؛ وابن على بيت υἱὸς ἐπὶ τὸν οἶκον (٨).

وهكذا من تركيب التعبير يتضح الفرق بين الخادم والسيد.

8. Moffatt, *op. cit.*, p. 43.

«شهادة للعتيد أن يُتَكلَّم به»:

واضح أن التعبير يهدف إلى أن موسى يخدم **ما يفوق شخصه وما يفوق زمنه، فهو يعمل** لمستقبل يحمل الحق، الذي تأهَّل هو لخدمة الشهادة له من بعيد.

ونحن لو عُدنا إلى الوعي الروحي الذي بناه فينا العهد القديم، نذكر في الحال أن نفس الخيمة التي نصبها موسى بكل جمالها وخدماتها كانت تُسمى خيمة **الشهادة** = σκηνὴ τοῦ μαρτυρίου (عد١٢: ٥)، وذلك في معنى مختفي ولكن بديع حقاً!! فكل أيام وسنين ودهور خيمة الشهادة وبعدها الهيكل لم يكن فيها أكثر من خدمة **شهادة** للعتيد أن يُتَكلَّم به!!

وكلمة «العتيد» هنا هي في مضمون **«المستقبل»**، أي ما يخبِّئه المستقبل لمن له الاستعلان والشهادة.

٦:٣ **«وأمَّا المسيحُ فكابنٍ على بيتِهِ، وبيتُهُ نحنُ إن تمسَّكنا بثقةِ الرجاءِ وافتخارِهِ ثابتةً إلى النهايةِ».**

هنا ابتدأ السفر يستخدم لقب **«المسيح»** الإلهي لأول مرَّة، بعد أن ارتفع بالاسم البشري «يسوع» إلى الدرجة التي لا تحتمل بعد أن يُدعى «يسوع» فقط، إذ أوضحه بالنسبة لموسى خادم الشهادة أنه هو **صاحب الشهادة**، وبالنسبة لخيمة الشهادة بناموسها وطقوسها أنه هو **«العتيد»** أن يُتكلَّم به، وأنها كانت بكل طقوسها وناموسها **تُعِدُّ الطريق إليه.**

لذلك نعود ونؤكِّد خطأ المترجم العربي الذي أضاف لقب المسيح على اسم يسوع في الآية الأُولى من الأصحاح الثالث الذي نحن بصدده دون أن يكون لها وجود في الأصل اليوناني.

«وأما (المسيح)»: Χριστὸς δὲ = مسيا:

واضح من اللقب الذي يقدِّمه القديس بولس هنا أنه بدون «أل» التعريف في الأصل اليوناني وذلك لحكمة ليست غائبة عنا، فهو هنا يدعوه بلقبه النبوي «مسيَّا»، ومسيَّا لا تأتي أبداً بـ «أل» التعريف عند اليهود في العهد القديم، والذي وضع «أل» التعريف هم المسيحيون الذين حوَّلوا اللقب إلى اسم (ممسوح إلى الممسوح)، من «مسيا الرب» إلى «المسيح الرب».

«فكابن على بيته»:

أما موسى ويسوع فهما، في الأمانة بالنسبة للدعوة كانا سواءً، كما يرى سفر العبرانيين. ولكن

الأول على مستوى خادم الشهادة في بيت الله إسرائيل؛ وأما الثاني فكابن على بيت الله الروحي، شعب الله القديسين أي الكنيسة، وهذا اللقب نتّعلمه من فم المسيح نفسه هكذا في مثل الكرّامين الأردياء: «فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني.» (مت ٢١: ٣٧)

«وبيته نحن»:

انظر أيها القارىء العزيز، ما أصغر هذه الجملة «وبيته نحن» ولكن بقدر صغرها بقدر ما حوت من حوادث وأهوال وتغييرات يشيب من هولها الولدان، فعلى هُداها أُحرق الهيكل وأُفرغت المدينة من هيئتها ولقبها وسُكّانها وصارت عاراً على أصحابها، هذا كله لكي يحوّل الله بيته القديم إسرائيل في معناه الأول كخيمة شهادة أو خيمة الاجتماع مع الله ثم هيكل الله العظيم في أورشليم، إلى «بيته نحنُ» أي الكنيسة حيث انتهت عصور وجاءت عصور، ووقف الصليب بدمه يحجز بين الصفّين.

فموسى كان خادم شهادة في بيت الله الذي كان، أما «المسيح» فكابن على بيته الذي صار والذي بناه من جسده في ثلاثة أيام (يو ٢: ١٩ــ٢١)!! الذي في هذه الأيام الأخيرة كلّمنا فيه!! (عب ١: ٢)، «وبيتُه» بمعناه الأقصى سرّاً هو جسده، حيث فيه هو رأس البيت ورئيس كهنة، وبيتُه أيضاً هو عروسُه وهو عريسها، ومدينة مقدسة مزيّنة في السماء. هكذا صار وهكذا هو كائن الآن أن بيته لم يَعُدْ هم اليهود ولا بنو إسرائيل بل «نحنُ»، ولكن إنْ ...!!

«إن»: ἐάν

هذا هو الشرط الخطير الذي من أجله كُتبت الرسالة برمّتها، والذي لا يزال يقف كالحَكَم الذي يفرّق بين الواحد والآخر حتى اليوم، بين الذين هم له والذين هم عليه، بين الذين حَسَبوا أنفسهم بالاسم أنهم أهل بيته وهو منهم براء والذين حَسَبَهم هو أهلَه:

+ «ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال: ها أُمي وإخوتي، لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت ١٢: ٤٩ و٥٠)

«إن تمسّكنا بثقة الرجاءِ وافتخاره ثابتة إلى النهاية»:

كان هؤلاء العبرانيون الذين كتب لهم القديس بولس هذه الرسالة غير ثابتين، لهم «الاسم» ولكنهم ينكرون قوته، دعوا أنفسهم إلى هذا الرجاء والافتخار ولم يتمسَّكوا به أو يفتخروا، وأصبح الآن الخوف كل الخوف أن لا يبقوا تحت الدعوة إلى النهاية، لأن اليد إذا فرّطت فيما تمسك به فهو لم يَعُد لها.

«تمسَّكنا بثقة الرجاء»: τὴν παρρησίαν τῆς ἐλπίδος

الثقة παρρησία

تعني في اليونانية أكثر من مجرَّد الثقة، فهي تفيد الجهارية، إما الصوت العالي أو الفعل الواضح، وهي تعني الجرأة. لأن الرجاء المسيحي هو واحد من أشجع الأعمال التي ينشغل بها الإنسان في إحساس بالسمو. وقد عبَّر عنه الرسول من جهة نفسه والمؤمنين معه هكذا:

+ «حتى بأمرين عديمي التغيُّر لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا **تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا.** الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب. حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.» (عب٦: ١٨—٢٠)

أما هذان الأمران فهما الوعد والقَسَم: وعد الله الشخصي لإبراهيم، وقَسَمُ الله الذي أقسم به بنفسه لإبراهيم! لأن ما قيل لإبراهيم تسلمناه نحن تسليم يد ليد من الرب يسوع المسيح.

«وافتخاره»: τὸ καύχημα τῆς ἐλπίδος

الافتخار هنا καύχημα هو **افتخار الرجاء**، وهنا يلزمنا أن ندخل أكثر في عمق المعنى. فالكلام هنا لا يرسله القديس بولس جزافاً فكل كلمة لها مقابلها الروحي الإيماني البعيد المدى. فأن يتمسَّك الإنسان بالرجاء فهذا حسن وجيل ويدل على الثقة والشجاعة، ولكن أن يفتخر به فقد دخل في طور العلانية والاعتداد بما تحصَّل الإنسان عليه بالرجاء وصار إلى رسوخ وتباهٍ: «نفتخر على رجاء مجد الله.» (رو٥: ٢)

«ثابتة إلى النهاية»:

بمعنى: إلى أن ينتهي بنا الرجاء إلى المنظور. فنهاية الرجاء تحقق، وثمن الثبوت في رجاء المسيح هو الحصول على المسيح نفسه:

+ «إن حفظتُم وصاياي تَثبُتون في محبَّتي كما إني أنا قد حفظتُ وصايا أبي وأثبُتُ في محبته. كلَّمتُكم بهذا لكي يَثبُت **فرحي** فيكم ويُكمَل فرحكم.» (يو١٥: ١٠و١١)

+ «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٥: ٤)

وليعلم القارىء أن رسالة العبرانيين هي رسالة رجاء، رجاء بإلحاح وتأكيد ووعد:

+ «ولكننا **نشتهي** أنَّ كُلَّ واحدٍ منكم يُظهرُ هذا الاجتهاد عينه **ليقين الرجاء إلى النهاية.**» (عب٦: ١١)

+ «لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمينٌ.» (عب ١٠: ٢٣)

لماذا هذا الإلحاح الشديد على التمسُّك بالرجاء؟

إن الحقيقة المسيحية التي يتحتَّم علينا أن نضعها نُصب أعيننا هي أن الحياة في المسيح تحتاج إلى هذه المواصفات كلها التي قيلت هنا في موضوع الرجاء: الثقة، الشجاعة، الثبوت، الافتخار، الاستمرار، على مستوى الزيادة دائماً وليس النقصان بأي حال. فالحياة المسيحية بمنتهى الصراحة هي انتماء للحق الذي في المسيح، أينما كان ومهما كان، وطالما في الإنسان نسمة حياة. هذا الانتماء إلى الحق المسيحي هو بحد ذاته اختبار وامتحان بل محنة، يكتنفه الضيق والمضايقة والأتعاب التي تلي الأتعاب. فإذا لم تكن النفس مُمسكة بالرجاء الموضوع أمامنا فإن الإيمان يهتز، فلكي لا يهتز الإيمان أبداً يتحتَّم أن يكون رجاؤنا بالمسيح الحاضر والآتي وملكوتنا في الداخل والمُرتَقَب حقائق نعيشها بالروح ونتنعَّم بها تنعُّماً، بل ونعيش في كل وعد المسيح لنا كأنه قد صار. فالرجاء يُحيي الإيمان ويمتد به عبر أهوال الموت!!!

وليس هيِّناً ولا مجرد كلام قولُ المسيح: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مر١٣: ١٣)، فهذه هي قضية اليوم بل قضية كل ساعة في عالمنا الذي صار بحد ذاته محنة إيمان أو امتحاناً متواصلاً!

فإذا أردنا أن نضع الرجاء والتمسُّك به في الحياة اليومية موضع الاختبار ونضع له الحدود، فعندنا الميزان: «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبُّوا حياتهم حتى الموت، من أجل هذا افرحي أيتها السموات ...» (رؤ١٢: ١١و١٢)، ولكن ليس الرجاء عبوسة بل: «فرحين في الرجاء» (رو١٢: ١٢)، فالرجاء نعمة والنعمة لا تعرف الضيق ولا الحزن ولا تعيش مع الخوف أو الهمّ:

+ «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمةِ التي نحن فيها مُقيمُون ونفتخرُ على رجاء مجد الله.» (رو٥: ١و٢)

+ «لأننا بالرجاء خَلَصنا، ولكن الرجاءَ المنظور ليس رجاءً ... فإننا نتوقَّعه بالصبر.» (رو٨: ٢٤و٢٥)

+ «ليُحضركُم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثَبَتُّم على الإيمان مُتأسِّسين وراسخين وغير مُنتقلين عن رجاءِ الإنجيل ...» (كو١: ٢٢و٢٣)

+ «فألقُوا رجاءَكم بالتمام على النعمة التي يُؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط١: ١٣)

ومَنْ هم القديسون؟ إلاَّ هؤلاء الذين صبروا في الضيق حتى النهاية. ولكن لم يكن صبرهم مُرًّا إلاَّ في أعيننا، أما عيونهم فكانت مُثبَّتة في الذي كانت تفيض منه النعمة فتُلذِّذ نفوسهم وتجعل المرَّ حلواً في أفواههم.

ثانياً: تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم (شرح مزمور ٩٥)
[٣:٧ ـــ ٤:١٣]

تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم الخارج من مصر، وتذمرهم المتواصل وعدم إيمانهم الذي جلب عليهم الغضب والهلاك في البرية، وحرمانهم من دخول أرض كنعان أرض الراحة الأرضية؛
ذلك في مقابل الوعد بالراحة العليا الأبدية التي دخلها المسيح ودعانا إليها لنمتلكها من الآن.

تقديم:

ينتقل السفر من موسى إلى المسيح على مستوى الموازنة.

ثم الموازنة بين شعب موسى وشعب المسيح.

ليقدِّم عقوق الشعب الأول تحذيراً وإنذاراً لأولئك العبرانيين المتنصِّرين، حتى يَرعَوُوا ويأخذوا عبرة من هلاك الشعب الذي تذمَّر على نعمة الله وقيادته، فلا يقعوا فيما وقع فيه آباؤهم الذين خرجوا من مصر وطُرحت جثثهم على وجه الصحراء ولم يبلغوا الوعد بالراحة في أرض كنعان بعد **أربعين** سنة تيه في البرية إذ لم يدخلوها بل لم يروها؛ وذلك بسبب عدم إيمانهم.

ولكن العجيب في هذه المقارنة المُتقنة أن الرسالة مكتوبة في حوالي السنة **الأربعين أيضاً** لاستعلان الفصح الجديد أي صلب وموت المسيح وقيامته، مما يضعها في ميزان السنين على المقابل لشعب إسرائيل الخارج من مصر بعد الفصح الأول ومسيرته الحزينة التي صفَّت الشعب المتذمر لآخر رجل عند نهاية الأربعين سنة قبل دخولهم كنعان. فالموازنة جد خطيرة وحزينة إذا أضفنا إليها صوت الوحي المقدس: «ولا تتذمَّروا كما تذمَّر أيضاً أُناس منهم فأهلكهم المُهلك. **فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحنُ الذين انتهت إلينا أواخر الدهور**» (١كو١٠: ١٠و١١)

وينقسم هذا الجزء إلى قسمين:

١ ـــ (٣:٧ـــ١٩): يبرز الإيمان كشرط أساسي لنوال وعد الراحة العليا.

٢ ـــ (٤:١ـــ١٣): وفيه يعرض نفس الوعد بكل قوته الجديدة على المسيحيين كما عُرض على شعب إسرائيل قديماً حتى يحقق المسيحيون الوعد بالإيمان.

١ ــ الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله
[٣ :٧ــ١٩]

«صوت ابن الله»

[«الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات (بالذنوب والخطايا) **صوت ابن الله**، والسامعون يحيون.»] (يو٥: ٢٥)

يبدأ هذا القسم بالآية: «لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تُقسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر» (عب٣: ٧). فلمَنْ هذا الصوت؟ وهل نصَّت النبوات على مجيء هذا الصوت؟ حينما يقول المزمور (٩٥) هذه الآية فإنه ينص على أنه صوت الله إلى الشعب في البرية. إذاً، فكلمة «صوته» التي يقولها المزمور بالروح وهو يخاطب شعب إسرائيل وهو في أرض كنعان، تُعني أن الصوت الذي سيأتي ويسمعه الشعب هو «**صوت الله**» مرة أخرى. وهذا جاء بالفعل بحمله «ابن الله» الرب يسوع: «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي **"الآن"** حين يسمع الأموات (شعب إسرائيل وكذلك الأمم الغارقون في خطاياهم) صوت ابن الله والسامعون يحيون.» (يو٥: ٢٥)

ولكن لما عرض المسيح صوته على أنه صوت ابن الله قسَّى الشعب قلبه ولم يسمع لصوته فتمّ إنذار داود النبي في المزمور (٩٥): «إن سمعتم صوته فلا تُقسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر». وإليك نموذج من هذه القساوة:

+ «لماذا لا تفهمون كلامي؟ **لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي**، أنتم من أب هو إبليس ...» (يو٨: ٤٣و٤٤)
+ «فإن كنت أقول الحق فلماذا **لستم تؤمنون بي؟** الذي من الله يسمع كلام (صوت) الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله.» (يو٨: ٤٦و٤٧)

أما بولس الرسول هنا فيكرر في هذه الرسالة تحذير داود النبي لشعب إسرائيل آنذاك ويطبِّق ما حدث من هذا الشعب عينه مع المسيح نفسه لما رفضوا أن يسمعوا صوته!!! يطبِّقه على جماعة العبرانيين هؤلاء الذين بعد ما سمعوا وآمنوا عادوا يتنكرون للصوت والإيمان وفي قلوبهم نية الارتداد!!

ولكن لا يزال التطبيق سارياً، ولا يزال صوت ق. بولس يستهدفنا نحن أيضاً الذين اعتمدنا وآمنّا، ولكن إيماننا هو الآن في دور تجربة وامتحان ونحن واقعون تحت خطر عظيم: «أنا عارف أعمالك أنك لست بارداً ولا حاراً، ليتك كُنْت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيّأك من فمي، لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان...» (رؤ٣: ١٥ــ١٧)

عزيزي القارىء، هل يمكن أن يكون أكثر من هذا كلاماً شديد الصدق والواقعية لينطبق على حالنا اليوم؟

أ ــ التذمر في البرية: (٣ : ٧ ــ ١١).

٣:٧و٨ «لذلك كما يقولُ الروحُ القدسُ اليومَ إنْ سمعتم صوتَه فلا تقسُّوا قلوبَكم كما في الإسخاطِ يومَ التجربة في القفرِ».

بولس الرسول هنا ينقل عن النص الوارد في المزمور (٩٥)، ويعلّق عليه مُعتبراً أن هذا النطق الذي جاء على فم قائل المزمور هو من الروح القدس.

المزمور (٩٥): « هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا،
لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده،
اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم،
كما في مريبة([9]) مثل يوم مسَّة([10]) في البرية،
حيث جرَّبني آباؤكم، اختبروني، أبصروا أيضاً فعلي،
أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل،
وقلت هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلي،
فأقسمتُ في غضبي لا يدخلون راحتي!» (مز٩٥:٦ــ١١)([11])

---

(٩) «مريبة»: كلمة عبرانية تعني «خصومة».

(١٠) «مسَّة»: كلمة عبرانية أيضاً تعني «تجربة»، كما جاءت في الترجمة السبعينية: πειρασμοῦ

(١١) لهذا المزمور شأن كبير في ليتورجية العبادة اليومية لليهود، فبهذا المزمور تفتتح خدمة السبت توعية للشعب الذي غاب عن وعيه كل تحذيرات الله منذ البدء.

وأيضاً عينتنا أن هذا المزمور أيضاً هو بداية الخدمة في الطقس الرهباني الغربي القديم ومنه انتقل إلى كتاب صلوات الكنيسة الأنجليكانية:

"The Order for Morning Prayer" Anglican Book of Common Prayer: The Invitory.

«لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم»:

«لذلك»: διό

حرف ربط يربط به ق. بولس ما سبق وقاله من أن المسيح هو ابن على بيته وبيتهُ نحن وذلك عوض موسى الذي كان مجرد خادم فيه، ولكن في حذق روحي إبداعي يعتبر أن قوله هذا لهم اليوم هو من الروح القدس تماماً كما قيل في المزمور، و يدعوهم أن تنفتح آذانهم الروحية ووعيهم الجديد الإلهي ليؤمنوا بذلك ومن كل قلوبهم، محذراً أن موقفهم بعد سماع شرحه لهم واستعلان حقيقة المسيح كونه قائد خلاصهم ورئيس كهنتهم الذي يقودهم إلى موطنهم السمائي الأعلى، هو على مستوى موقف الشعب الخارج من مصر يطلب وطناً في كنعان بقيادة موسى، الذين لما سمعوا صوت الله من فم موسى لم يطيعوه وقسّوا قلوبهم ولم يؤمنوا بمقدرة الله على يد موسى أن يوصّلهم أرض الراحة، فلم يدخلوها.

هنا انطباق حالة هؤلاء العبرانيين المسيحيين في ضعف إيمانهم واهتزاز ثقتهم بالإيمان المسيحي نتيجة ما يعانونه من أتعاب ومحاولتهم قطع الطريق والعودة إلى اليهودية، هو فعلاً مطابق لحال هذا الشعب القديم وإليك قصته:

أولاً: التذمر وتجربة الرب من أجل الماء:

«فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني، لماذا تجرّبون الرب. وعطش هناك الشعب إلى الماء وتذمّر الشعب على موسى وقالوا: **لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا** ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني. فقال الرب لموسى: مُرّ قدام الشعب وخُذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. **ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة** («والصخرة كانت المسيح» ١كو١٠: ٤) في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. ودعا اسم الموضع مسّة ومريبة من أجل مخاصمة بني إسرائيل **ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا**.» (خر١٧: ٢–٨)

ثانياً: صنعوا إلهاً من ذهب (عِجْلاً) وعبدوه من دون الله:

«فرجع موسى إلى الرب وقال آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب. والآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحُني من كتابك الذي كتبت. **فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي**. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلّمتُك. هوذا ملاكي يسير أمامك ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم ...» (خر٣٢: ٣١–٣٤)

ثالثاً: التذمر على الرب ومحاولة رجم موسى وهرون من أجل الخوف من شعب أرض كنعان:

«وتذمَّر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: ليتنا مُتنا في مصر أو ليتنا مُتنا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض (كنعان) لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. **أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر.** فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر ... ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما (موسى وهرون) بالحجارة. ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل وقال الرب لموسى **حتى متى يهينني** هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ... **إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها** في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي **لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم، وجميع الذين أهانونني لا يرونها** ... قل لهم: **حيٌّ أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلَّمتم** في أذني (ليتنا مُتنا في هذه البرية). في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً(١٢) الذين تذمَّروا عليَّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي (عهد) لأُسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنَّة ويشوع بن نون.» (عد١٤: ٢—٥ و١٠و١١و٢٢ و٢٣و٢٨و٢٩و٣٠)

وهكذا نرى أن الخطايا البارزة لشعب البرية الخارج من مصر كانت:

أولاً: تقسّي القلب **بعدم الثقة في أن الرب في وسطهم.**

ثانياً: الارتداد عن الله الحي وعبادة آلهة أخرى.

ثالثاً: إهانة الرب بعدم تصديق وعده.

وإذا لاحظ القارىء يجد أن على هذه الخطايا الثلاث ركَّز سفر العبرانيين في توعية هؤلاء المتزعزعين عن الإيمان: تقسّي قلوبهم وعدم الثبوت في الرب، الارتداد عن الله الحي الخطية المباشرة ضد الله، عدم تصديق وعد الله. هذه الخطايا الثلاث صارت المحاور الأساسية لرسالة العبرانيين وهي بعينها التي نراها نحن، بالسوية، الخطايا الثلاث التي تهدد عبورنا برية هذا العالم لبلوغ وعد الله بالحياة الأبدية في ملكوته السماوي، تحت قيادة رئيس خلاصنا ومكمِّله يسوع المسيح. وهكذا فإن الآية القائدة لهذه الرسالة بالنسبة للعبرانيين المتزعزعين في إيمانهم بالمسيح هي نفسها الآية التي يتحتم أن تكون أساس عبادتنا ومسيرتنا بالإيمان كل يوم: «من ثَمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب٣: ١)

(١٢) يبدو أن هذه الحادثة حدثت بعد عشرين سنة من خروجهم من مصر، وهكذا يستثنى الذين وُلدوا في القفر من العقاب.

أما هنا في هذا الوضع بالذات في الآيات من ٧ــ١١ وهو مجمل التاريخ الحزين لشعب إسرائيل الخارج من مصر، والمرتحل تحت قيادة موسى «وملاك الله» السائر أمامهم، حسب قول الرب (خر٣٠:٣٤)، فكما جعله بولس الرسول تحذيراً خطيراً انتهى به إلى وضع نصيحته الهامة جداً لهم، فهي نفسها التي يسوقها الروح القدس لنا نحن أيضاً اليوم: «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي.» (عب٣:١٢)

«فلا تُقَسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر»:

«فلا تُقَسُّوا قلوبكم»: μὴ σκληρύνητε τὰς καρδίας

التقسّي في المعنى الأصلي هو التصلُّب في الفكر والضمير، والكلمة اليونانية مستخدمة في الطب، فمنها السكلروزيس أي تصلُّب الشرايين، ولكنها هنا تعني تصلُّب القلب الإرادي. ومن أخطر مخاطر تصلُّب الفكر والقلب إزاء نداء الله بالصلاح، هو الوقوع في المقابل تحت التقسّي اللاإرادي، حيث الله هو الذي يُقسّي مَنْ يشاء أن يُقسّي نفسه. والآية عند القديس بولس الرسول مشهورة: «كما لم يستحسنوا أن يُبْقُوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض» (رو١:٢٨). فالله قسّى قلب فرعون أكثر مما قسّى فرعون قلب نفسه، وذلك ليُظهر فيه نقمته وبالتالي قوته، والإنسان الذي يُقسّي قلبه إزاء أمور الله يُقسّي الله قلبه بالأكثر ليستوفي الله فيه عمله، فمعروف أن فرعون قسّى قلبه ضد طلب الله للإفراج عن شعب إسرائيل: «فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه ولم يسمع لهما كما تكلَّم الرب» (خر٨:١٥). فكان أن الله قسّى قلب فرعون ليُظهِرَ فيه قوته: «ولكن شدَّد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما كما كلَّم الرب موسى.» (خر٩:١٢)

ولو عدنا للشعب في البرية الذي جاء عليه التطبيق والإنذار، لوجدنا أن الله وعده مرّةً أنه سيسير أمامه وأظهر وجوده بطرقٍ شتّى ومعجزاتٍ باهرة حيث خَدَمَتهم السماء بعمود نور بالليل وكأنه مُصباح الله عندما اضطروا للسير ليلاً، وأمدّتهم الشمس بعمود سحاب للظل لتقيهم حرّها نهاراً، بل وأمر الرب السنين أن لا تأكل من ملابسهم ولا الزمن والأرض من نعال أرجلهم، أليس هذا عجيباً: «فقد سرتُ بِكُم أربعينَ سنةً في البريةِ لم تَبْلَ ثيابكم عليكم ونَعلُكَ لم تَبْلَ على رجلك» !!! (تث٢٩:٥). ولكن لمّا أرسل الله عليهم العطش ليختبرهم، قاموا على موسى وهارون أخيه ليرجموهما ورتَّبوا لأنفسهم رؤساءَ يعودون بهم إلى مصر عِوَض أن يثقوا بالذي يُرسل المطر في حينه ويُفجِّر الينابيع من باطن الأرض. وهم وإن لم يتذمَّروا على لحم وعلى ماء فهل الذي أشبع

خمسة آلاف رجل بعد ذلك من خمس خبزات يعجز عن أن يمنّ عليهم بالشبع بلا أكل، والإرتواء بلا ماء، والذي أمر أن لا تَبلى ثيابهم أربعين سنة يقصر عن أن يُبقي الفصح في بطونهم أربعين سنة؟ ولكن هي قساوة القلب وغشاوة العين: «ولكن لم يُعطِكُم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم (هذا قول موسى لهم)» (تث ٢٩ : ٤)، وهذا بعينه هو شرح كلمة: «فلا تقسُّوا قلوبكم»، بمعنى: «يا ابني أعطني قلبك ولتُلاحظ عيناك طُرقي» (أم ٢٣ : ٢٦). والرجاء من القارىء أن يقرأ مزمور (٧٨).

ونحن نودّ أن لا نعبر على هذه المأساة المروّعة التي عاشها ذلك الشعب الذي تنكّر لقدرة الله على إعانته، واشتهى في زمن لا تجوز فيه الشهوة، وزنى في زمن لا تليق به إلاّ الطهارة. بولس الرسول كان شديد الحساسية لمنظر أولئك الرجال وهم يتساقطون على وجه القفر كل يوم، وفي كل يوم كان عويل ومناحة، وهو يُلفت نظرنا أن ما أصابهم هو لنا تحذيرٌ: «لكن بأكثرهم لم يُسرَّ الله لأنهم طُرحوا في القفر، وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى لا نكون نحن مُشتهين شروراً كما اشتهى أولئك ...» (١ كو ١٠ : ٥ و٦)

٣ : ٩ «حيثُ جرَّبني آباؤكم، اختبروني وأبصروا أعمالي أربعين سنةً».

هنا الترجمة العربية صاغت الآية بتصرُّف بأن أعطت الفعل «جرَّب» مفعولاً به هو ضمير المتكلِّم وهو الله، ولكن الآية في الأصل اليوناني لا يأتي فيها الله مفعولاً به مباشراً، فالآية باليونانية يمكن ترجمتها حرفياً هكذا: «حيث جرَّب آباؤكم واختبروا وأبصروا أعمالي أربعين سنة».

ويقول العالم وستكوت[١٣]: إن التجربة والاختبار لا يقعان بحسب النص الأصلي على الله غير المنظور مباشرة، وإنما على أعماله. وهذا بقصد تأكيد عدم إيمانهم الواقع على أعمال الله المنظورة والملموسة، مما يزيد من جُرم عدم إيمانهم بالله. إذ أعطوا لأنفسهم أن يراجعوا أعمال الله وينتقصوا منها مما أوقع عليهم سخط الله.

ويقول العالم أتردج: إن الله لا يمكن أن يقع عليه فعل التجربة، بحسب تقليد اللاهوت العبري، فهذا يُعتبر خارجاً عن اللياقة، فالله لا يصح ولا يجوز أن يُنسب إليه شيء من عالم المناقص[١٤].

13. Westcott, *op. cit.*, p. 81.
14. Attridge, *op. cit.*, p. 82.

كذلك يقول العالم جوتري أيضاً.

«أعمالي»: τὰ ἔργα μου

في الأصل العبري للمزمور تجيء «عملي» بالمفرد وليس بالجمع وهذا أكثر بلاغة وعُمقاً، فكل الأعمال التي عُملت في البرية مع شعب إسرائيل هي عمل واحد، بحسب التقليد والمشيئة، وينتهي بتتميم وعد الله بإدخال شعب إسرائيل أرض كنعان مع كل ما استلزم ذلك من آيات باهرات ومعجزات وأعمال مهيبة وقصاص وتأديب منظور ومسموع.

«أربعين سنة»:

استهوى ق. بولس هنا في هذه الرسالة بالذات تناسق الأرقام. فالرسالة إلى العبرانيين تُكتب، والكاتب والمُرسَل إليهم في حوالي السنة الأربعين بعد تأليم المسيح، الفصح الحقيقي، وهم على عتبة تخريب الهيكل وحرقه وطرد اليهود. فالرسول هنا يشدِّد على الأربعين سنة محاولاً أن يُلفت نظر العبرانيين إلى شدة المناسبة فيما كان عليه وانتهى إليه شعب إسرائيل من عدم الإيمان بعد أربعين سنة من الفصح الأول والخروج من مصر وفيما هم عليه آنئذ وما انتهوا إليه (من محاولة تجربة الرب) بعد أربعين سنة من إعلان الخلاص والعهد الجديد.

١٠:٣ «لذلك مَقَتُّ ذلك الجيل وقلتُ إنهم دائماً يَضِلُّون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سُبُلي».

«مَقَتُّ»: προσώχθισα

كلمة **مَقَتُّ** بالعربية تجيء في اليونانية غاية في الإحكام للتعبير عن القصد من المعنى، فهي تفيد شدة عدم الرضا، أي **«الغضب الشديد»**. وهنا نقول إنه من الخطر أن ننسب إلى الله انفعالات تخص الإنسان كالغضب، فالله لا ينفعل بالغضب ولكن هذا تعبير عن المظهر الذي يتراءى لنا حينما تقع تأديبات الله على الشاردين عن طريقه وطاعته، وهذا لا يتم إلاَّ بمقتضى العدل الذي تسنده الرحمة حتماً، لأنه من المستحيل أن يحتمل إنسان ما الوقوع تحت عدل الله الكامل لأن الإنسان مُحاط بمآخذ وتعديات تفوق تصوُّرنا.

«ذلك الجيل»:

هو الجيل الذي خرج من مصر والذي تذمَّر على الله، وحسب تعبير الله: «حتى متى **يُهينني** هذا الشعب» (عد١٤: ١١)، والذين بسببهم ظل شعب إسرائيل يدور حول مدينة «قادش برنيع»

٣٨ سنة[١٥] تائهاً، حتى فني الجيل كله ولم يتبقَّ إلاَّ أولادهم الذين وُلِدوا لهم مع كالب بن يَفُنَّة ويشوع بن نون خادم موسى الذين سُمِحَ لهم بالدخول إلى أرض كنعان.

أما لماذا لم يقع هذا الجيل كله صريعاً تحت غضب الله ويموت في الحال مثل قورح وداثان، فهذا بسبب تشفُّع موسى النبي وقبول الله شفاعته بصورة مُبدعة حقاً:

+ «أصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرتَ لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. فقال الرب: **قد صفحتُ حسب قولك**، ولكن حيٌّ أنا فتُملأ كل الأرض من مجد الرب أن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتُها في مصر وفي البرية وجرَّبوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي، لن يَرَوْا الأرض التي حَلَفتُ لآبائهم ...» (عد١٤: ١٩—٢٢)

وعلى القارىء أن يعيد النظر في هذه المقولة ويعيدها ويعيدها حيث موسى يأمر: **«اصفح»**، والله يطيع: «قد صفحتُ حسب قولك»!!! يا لحلاوة صفات الله، يا للطفه، يا لبساطته المتناهية!

«دائماً يضلُّون في قلوبهم»: Ἀεὶ πλανῶνται τῇ καρδίᾳ

التأكيد هنا على **«الدوام»** و **«القلب»**، فالضلالة استوطنت قلوبهم، حيث القلب هو مركز الشعور والعواطف الذي هو كنز الإنسان الذي منه مخارج الصلاح ومخارج الشرور (انظر أم٤: ٢٣، مت١٥: ١٩، لو٦: ٤٥).

فالإنسان في تكوينه العام عند القديس بولس مكوَّن من جسد، ونفس — يتبعها العقل — وروح. ولكن هذه العناصر الثلاثة محايدة في خلقتها الأُولى، غير أنها قابلة للانحياز إما للخير وإما للشر بحسب خطية آدم الأُولى، التي فتحت وعيه لتقبُّل إيحاءات الخير من الله وإيحاءات الشر من الشيطان، ولأيٍّ منهما يميل بالقلب يصير كله إما خيِّراً صالحاً وإما شريراً ضالاًّ. فإذا انحاز قلب الإنسان بوعيه الداخلي إلى الخير صار أول ما صار فيه صالحاً روحه، والروح تؤثِّر في النفس والنفس تؤثِّر في الجسد. أما الضمير فهو مرآة صوت الله في قلب الإنسان. فإذا انحاز القلب لهاتف الخير والصلاح، ارتاح الضمير وفرح وتهلَّل وشعر بانحياز الإنسان كله لله. أما إذا انحاز القلب لهاتف الشر والضلال، اشتكى الضمير واحتج وتألَّم وانقبض تجاه صور الأعمال الباطلة التي تلوِّث القلب وتنعكس على الضمير، فيحمل همَّها ويرزح تحت ملامتها، إلى أن تسعفه أعمال الإيمان وغسل

15. Bruce, *op. cit.*, p. 64.

وتطهير الضمير بروح الله ودم المسيح الذي «يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة» (عب٩: ١٤)، ويعيد إليه راحته وفرحته وشعوره بالانحياز للخير والصلاح في جانب الله والإنجيل.

لذلك نفهم الآن مدى عمق واتساع وصف الله لحال شعب إسرائيل بقوله: **«دائماً يضلُّون في قلوبهم»**، لأنهم أدمنوا التذمُّر على أعمال الله وأهانوا صوته في القلب عن إصرار، مما رفع عنهم إمكانية التوبة والرجوع، فصار قلبهم شريراً وبالتالي نفسهم وجسدهم، واستوطن الضلال في قلبهم استيطاناً، سدَّ آذانهم وأعمى عيونهم عن سماع هاتف الخير والتبصُّر في أعمال الله ورحمته من جهة محبته الكثيرة.

وعلى القارىء أن يفرِّق بين **مجرد العمل الذي ينحرف ناحية الخطأ** والخطية عن ضعف وهوان، في غفلة من الضمير مرة ومرتين، يصحبه الندم الشديد وطلب التوبة والاستغفار، **وبين قلب تمرَّس في الضلال على الدوام!!**

لذلك فإن طَلَبَ التوبة والاعتراف بالخطية والسعي للخلاص والمغفرة هو علامة حياة ورضى الله. أما إذا تقسَّى القلب فإنه يهرب من التوبة ويكره الاعتراف بالخطأ والخطية، ولا يأتي إلى خلاص أو يسعى لمغفرة، وهذه علامة غضب من الله. نجَّانا الله!!

«ولكنهم = αὐτοὶ δὲ لم يعرفوا سُبُلي»:

«ولكنهم» تعني **«أمَّا هُم»** في مقابل أعمال الله الخيِّرة والصالحة معهم، وبالأكثر تحذيراته لهم وتوعيتهم بطرق الله وأفكاره ووصاياه. أي أنهم في مقابل ذلك لم يعرفوا سُبُل الله، ذلك لأن انشغالهم بشرورهم وسيرهم وراء ضلال قلوبهم لم يعطهم فرصة التعرُّف على سُبُل الله المستقيمة لا بالممارسة ولا بالخبرة ولا بالوحي والفهم. وهكذا ابتعدوا عن النور والحق والحياة **فكان نصيبهم الظلمة والهلاك.**

وهنا يهمنا جداً أن نوعِّي القارىء أن بداية مفترق الطرق بين التعرُّف على سُبُل الله وجهالة السير في طريق الخطية والتيه هو انحياز القلب لهاتف الخير أو انحيازه لهاتف الشر والخطية. **فالأذُن المفتوحة لسماع صوت الله هي رأس مال الإنسان في اكتناز الحياة الأبدية وكل خيراتها في الحاضر والمستقبل.**

لهذا كرر الوحي الإلهي: «مَنْ له أذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح» (مت١٣: ٩، رؤ٢: ٧). واقتناء الأذُن المفتوحة على صوت الله يأتي من شغف الإنسان بمعرفة أمور الله سواء في

القراءة أو سماع الإنجيل، فبقدر ما يشتاق الإنسان أن يعرف الله يفتح الله له أذنه ويسكب من روحه في قلبه ويكشف له أسرار حكمته ونعمته:

+ «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المُعْيِيَ بكلمة. **يوقظ كل صباح، يوقظ لي أُذناً لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أُذناً وأنا لم أُعاند، إلى الوراء لم أرتد.**» (إش ٥٠: ٤و٥)

وعلينا أخيراً أن نربط بين «عدم معرفتهم سُبُل الله» و «دائماً يضلون في قلوبهم».

١١:٣ **«حتى أقسَمتُ في غضبي لن يدخُلوا راحتي».**

«أقسمتُ في غضبي»:

إشارة إلى ما تم مع موسى بخصوص نيَّة الرب لإبادتهم لولا تشفُّع موسى لهم طالباً الصفح عنهم فاستجاب الله ولكنه أقسم هكذا: «**حيٌّ أنا** ... جميع الرجال الذين ... لن يروا الأرض» (عد١٤: ٢١و٢٢). وهنا تجيء صورة القَسَم غاية في إبداع المعنى، وهو أن هذا الجيل لن يدخل الأرض: هذه تكون حقيقة كحقيقة حياتي!! نعم، إلى هذا الحد تنتهي قضية مَنْ يهين الله.

كما قالها المسيح على المستوى الإيجابي: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩)، بمعنى أنكم ستحيون، ستحيون حتماً، هذه حقيقة كحقيقة حياتي!! وإلى هذا الحد يبلغ الوعد للذي أحب المسيح.

«غضبي»:

ليس لله غضب كما نعلمه مثل حال غضبنا، حاشا، لأن غضبنا سلبي هو، وكل ما هو سلبي لا يصنع صلاحاً قط: «لأن غضب الإنسان لا يصنع برَّ الله» (يع١: ٢٠). ولكن غضب الله إيجابيٌّ هو، وكل ما هو إيجابي عند الله فهو بالنهاية عدل ورحمة، وطوبى لمن يؤدِّبه الرب. فأن نسقط تحت غضب الله فنحن نُؤدَّب: «ولكن إذ قد حُكم علينا نُؤدَّب من الرب، لكي لا نُدان مع العالم» (١كو١١: ٣٢). ولكن الخطر أن نسقط بعيداً عن الله. «حتى متى يهينني هذا الشعب؟» (عد١٤: ١١)

نُقدِّم هنا شرح هذه الآية (عب٣: ١١) لذهبي الفم في شرحه للأصحاح الرابع من هذه الرسالة الآية رقم (٩)، يقول:

[«إذاً بقيت راحة لشعب الله»، فانظر كيف يسترجع الحوار لأنه قال لهؤلاء القوم: «أقسمتُ ... لن يدخلوا راحتي»، وهم لم يدخلوا بالفعل. ولكن بعد ذلك بمدة طويلة (من

زمن هؤلاء الذين كانوا في البرية) حيث كان يتخاطب مع هؤلاء اليهود، يعود ويقول (على فم داود نبي إسرائيل وهم في أرض كنعان نفسها): «لا تقسُّوا قلوبكم»، مثل آبائكم، موضحاً بذلك أنه توجد راحة أخرى. لأن الكلام هنا لا يختص بفلسطين بعد، لأنهم كانوا فيها بالفعل. كما أن الكلام ليس بخصوص السبت (اليوم السابع)، لأنه يقيناً لم يكن الكلام مختصاً بأشياء قد سبق وحدثت منذ زمن طويل. إذاً، يتبع هذا أن القصد من الراحة شيءٌ آخر. وهذه الراحة تكون بالحق حيث «يهرب الحزن والتنهد» (إش٣٥: ١٠)، حيث لا يكون بعد لا اهتمامات ولا عناء ولا مجاهدة ولا خوف يُرعب أو يُزعزع النفس، ولكن مخافة الله المملوءة سروراً، كذلك حيث ليس «بعرق وجهك تأكل خبزاً» (تك٣: ١٩)، ولا «شوكاً وحسكاً تُنبت لك» (تك٣: ١٨)، ولا «بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجُلكِ يكون اشتياقكِ وهو يسود عليكِ» (تك٣: ١٦)، ولكن يكون الكل سلاماً وفرحاً وسروراً وابتهاجاً وصلاحاً ولطفاً. لا غيرة ولا حسد، لا مرض ولا موت، لا للجسد ولا للنفس، حيث لا ظلمة ولا ليل، بل الكل نهار ونور وكل شيء بهيج، حيث يستحيل أن يكون تعب ولا يمكن أن تكون نقمة؛ بل نبقى كل حين في شوق للأمور الصالحة. ... ولكن نظل اللغة قاصرة أضعف من أن تستزيد، فالخبرة بهذه الأمور مفتقرة وكذلك المعرفة التي لا تأتي إلاَّ بالممارسة، وإلاَّ فأخبرني عمَّا كان عليه آدم في الفردوس؟ في حين أن الحياة العتيدة التي نتكلَّم عنها وهي في السموات أسمى من تلك التي للأرض.][16]

«راحتي»: κατάπαυσίν μου

الراحة: σαββατισμός (٤: ٩).

وبالعبرية: menuhah, monohah = منوحة، والتي أخذنا منها في لغة توديع الأموات في الرب بكلمة «تنيَّح» أي دخل إلى راحته الحقيقية أي الراحة الروحية مع الله.

هذه الكلمة شغلت بال الرسالة إلى العبرانيين كثيراً، فإن حولها يدور الأصحاحان الثالث والرابع، بل وجعلها بولس الرسول الغاية والنهاية التي يحسب حسابها من الآن.

بهذا نرى أنه توجد ثلاثة أنواع من الراحات:

أولاً: راحة السبت وهي الراحة المؤقتة للجسد من الأعمال، التي تعطي في أسبابها الأولى وأصولها صورة من بعيد جداً عن راحة الله التي دخلها بعد أعمال الخلقة، والتي هي بالنسبة لله لا

16. Chrysostom, *op. cit.*, pp. 396f.

تمتُّ للجسد ولا للتعب من العمل بصلة، بل هي في مفهومها الفائق والبعيد المدى تشير إلى مرحلة الخليقة التي سندخلها بعد تكميل ما يناسبها من الأعمال جسدياً، لنكون مع الله في راحته الروحية والأبدية التي سبق وأسسها خليقته المفتداه، فسبتُنا الحقيقي هو في السماء.

ثانياً: الراحة الزمنية والجسدية التي أعدها الله للشعب المُتعب التائه في البرية أربعين سنة: «فمتى عبرتم الأُردن وسكنتم الأرض التي يَقْسِمُها لكم الرب إلهكم **وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليكم وسكنتم آمنين.**» (تث١٢: ١٠)

ويشوع بعد أن أكمل مهمته كما أمرهُ الله اعترف بفضل الله هكذا:

+ «فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها، **فأراحهم** الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار.» (يش٢١: ٤٣ــ٤٥)

كما يذكر هذه الراحة كذلك سليمان وقت تدشينه البيت حسبما رأى في ظروفه المواتية ومعونة الله له: «مبارك الرب الذي أعطى **راحة** لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلَّم به ولم تسقط كلمة واحدة من كلامه الصالح الذي تكلَّم به على يد موسى عبده.» (١مل٨: ٥٦)

ولكن وضح على طول المدى أن هذه الراحة لم تكن كاملة يوماً من الأيام، ولكن كانت مجرَّد مثل للراحة المنشودة التي ظل ينشدها الآباء والأنبياء طول حياتهم من جهة عشرتهم الروحية الموعودة مع الله، وهذه: «من بعيد نظروها وصدقوها وحيُّوها.» (عب١١: ١٣)

ثالثاً: الراحة الحقيقية العليا التي لا تمتُّ للجسد ولا لأعمال الجسد بصلة، لأنه كما استراح الله من أعماله **هكذا** معه نستريح! راحة هي للنفس والروح، وهي بعينها الحياة مع الله التي نلناها بالنعمة بموت المسيح وقيامته، نعيشها الآن بالإيمان ونكمِّلها فوق بلىء الروح والكيان. لأنه بعد أن تنتهي غُربتنا ــ ولابد أن تنتهي ــ وننقطع كل شوط عنائنا وتعبنا، وبعد أن يقع هذا الجسد الذي أنهكه الجهد، وبعد أن تكون النفس قد تضمَّخت بالصلاة (أي تطيَّبت بالصلاة)، نمضي إلى الموطن السعيد، ندخل راحتنا العُليا بعد اكتمال كل أعمالنا بالحب والتقوى كما أكمل الله عمله فدخل راحته!!

+ «**فلنجتهد** = σπουδάσωμεν أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها.» (عب٤: ١١)

فلنجتهد تعني كل الشوق، كل التركيز في الجهد لبلوغ هدف ما:

+ «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط١: ١٣)

فالاعتماد على نعمة الله هو الذي يعطينا كل الشوق وكل التركيز في الجهد نحو الهدف الذي وضعه المسيح لنا ولم نضعه نحن لأنفسنا. فقوة الغلبة التي نغلب بها العالم هي كائنة في الإيمان بالمسيح الذي نحمله بين ضلوعنا. فالقداسة التي بدونها لن يرى أحد الله هي من صنع الروح القدس الذي نقتنيه بالصلاة والدموع والركوع كل يوم. «والحرب هي للرب»، «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٤). أما صمتنا فهو صلاة! وأما راحتنا الآن فهي في دموع التوبة التي من خلالها نرى وجه الرب.

وسوف نرى على مدى الأصحاحين الثالث والرابع كيف يرفع بولس الرسول قلوب وعيون هؤلاء اليهود إلى هذه الراحة العُليا، محذراً بفم الله في مزمور داود النبي أن لا يخيب أحد منها كما خاب يهود الخروج بتذمرهم وعدم إيمانهم من الدخول إلى راحة كنعان الأرضية، فكان هذا تحذيراً لنا في مثال واقعي نفّذه الله بمنتهى الصرامة ليكون رادعاً لنا.

ب ــ (٣: ١٢ــ١٥) تطبيق درس التذمُّر في البرية:

١٢:٣ «أنظروا أيُّها الإخوةُ أن لا يكون في أحدِكم قلبٌ شريرٌ بعدمِ إيمانٍ في الارتدادِ عن اللهِ الحي».

هنا يبني على ما سبق أن قاله المزمور سابقاً في الآية (٧): «لذلك كما يقول الروح القدس، اليوم إن سمعتُم صوتَهُ فلا تقسُّوا قلوبكم ...»، ثم يضيف إليه إتجاهه التعليمي المُستقى من تجربة الشعب في البرية والمعززة بالمزمور حتى ينبّه العبرانيين هؤلاء الذين أصبح حالهم قريباً من حال هذا الجيل الذي ارتد فعلاً عن الله بعدم الإيمان. وفي قوله: «أيها الإخوة» إنما يقرّر حقيقة في فكره أعلنها في الآية (١٤) القادمة في قوله: «لأننا قد صرنا شركاء المسيح ...». فالإخوة هنا هم إخوة شركة في إيمان واتحاد بالمسيح الواحد المحسوب أنه شارك إخوته في كل شيء مما للحم والدم، حتى يستطيع أن يُشركهم فيما له من قداسة وميراث في بنوة الله.

«أن لا يكون في أحدكم قلبٌ شريرٌ بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي»:

«أن لا يكون في أحدكم» تعني حسب ما جاء في اليونانية: «في أي واحد فيكم». هنا

الصيغة تفيد الخطورة، وكذلك التتميم على الجماعة ككل، لأن أي واحد يشذُّ في الجماعة، وهو محسوب في وسطها فإنه يتسبب في ضرر الجماعة كلها شيئاً فشيئاً. والقديس بولس استخدم سابقاً هذه الصيغة عينها هكذا: «فانظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (كو٢: ٨)، أما هنا فالفساد يجيء حسب "تقليد اليهود" و «فلسفة الناموسيين». وهذا عبَّر عنه بعدم الإيمان بسبب قلب انحاز ناحية الشر، فارتدَّ عن الله وعن الحياة مع الله.

هنا يربط بين **الشر، وعدم الإيمان، والارتداد عن الله**. وهذه حقيقة خلاصية في المسيح. فالقلب إذا استوطن فيه الشرُّ والضلال، يستحيل أن يستقر فيه الإيمان بالله والمسيح، وعدم الإيمان لن يبقى بلا فاعلية فهو ينتج ارتداداً تدريجياً عن الله.

ونقول إن هذه حقيقة خلاصية في المسيح، لأن المسيح أمات فينا جسد الخطية بموته: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو٦: ٦)، فالذي يعود فيستعبد جسده للخطية والشر لا يكون قد استفاد من الصليب أي الفداء، بمعنى أنه يكون فاقداً لقوة الإيمان المسيحي. فهنا ارتباط القلب الشرير بعدم الإيمان واضح، ولكن ربما لا يكون ذلك في الظاهر فيسلك الأخ بقلب شرير وسط الإخوة دون أن يُلاحظه أحد وهو في حقيقته لا يسير مع الله بل يُحسب مرتداً عن الله الحي، وهنا تكمن بذرة فساد الجماعة. لذلك يهتم القديس بولس قائلاً: «انظروا أيها الإخوة»، أي افحصوا بالقلب والروح أنفسكم والآخرين معكم حتى لا يكون أيُّ واحد في وسطكم قد ارتدَّ دون أن يعلم ودون أن تعلموا أنتم أيضاً. فالكلام والتوبيخ وإعطاء الأمثلة السابقة هي لإيقاظ القلوب المسبية بالشر والتائهة عن خلاصها والمسيح حتى تستيقظ إلى حقيقة حالها.

وقفة قصيرة

قد يبدو للقارىء أن القديس بولس هنا خرج عن الموضوع الذي يطرحه أمام العبرانيين وهو ارتفاع قدر المسيح عن موسى. ولكن بشيء من التبصُّر نرى أنه إذ يعرض أمانة المسيح كرسول ورئيس كهنة اعترافنا وأنه ليس كموسى باعتباره مجرَّد خادم أمين على بيت الله، بل المسيح أمين كابن على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء فيه والافتخار به ثابتة إلى النهاية، ثم يستطرد من أمانة موسى كخادم البيت وأمانة المسيح كابن على بيته، منتقلاً إلى أمانة الذين كانوا مع موسى في مقابل أمانة الذين هم للمسيح الآن.

أما «**أمانة**» الذين كانوا مع موسى، سواء أمانتهم لله أو لموسى، فثبت أنها ضاعت في الطريق، وفي وسط تذمراتهم وشهواتهم أهانوا موسى والله، وبسبب عدم أمانتهم لموسى والله لم يدخلوا أرض الراحة وبالتالي راحة الله العتيدة. ومن هنا يلتفت القديس بولس إلى العبرانيين بصفتهم مسيحيين وصاروا محسوبين أنهم مؤمنون بالله والمسيح، فيحذّرهم أن لا يكرّروا خطية آبائهم الخارجين من مصر. لأن الارتداد عن الإيمان هنا هو بالنسبة للمسيح وليس بالنسبة لموسى، لذلك سيحرمهم لا من راحة أرض كنعان بل من راحة الله العُليا.

أما تطبيق هذا التحذير بالنسبة لنا نحن الآن فهو أكثر إلحاحاً ولزوماً. فنحن محسوبون أننا في العبور من الأرض إلى السماء في رحلة إيمان تحت اختبار، وحتماً ستنتهي غربتنا ونُستدعى إلى الوطن العتيد. ودليلنا الوحيد الذي نحمله معنا في الارتحال الشاق والمضني جداً عبر العالم هو **إيماننا بالمسيح**، فهو اللوحة السماوية المرسوم عليها كل مراحل المسير بكل مصاعبه وتجاربه وحروبه وأعدائه الكثيرين الخفيين والظاهرين. فما لم تكن أعيننا مُثبَّتة على هذه اللوحة السمائية نقرأها ونستقرئها في كل موقف وكل مسيرة، وأصابعنا موضوعة على وصايا الطريق وأصول السير والتوقُّف حسب كل إرشادات قائد خلاصنا، فإن إمكانية الوصول إلى المدينة المنيرة تكون شبه مستحيلة. أما إذا فلت إيمان المسيح من أيدينا وقلوبنا، فستُطرح جُثثنا في قبورها بلا رجاء في الراحة العتيدة. فتحذير القديس بولس لهؤلاء العبرانيين المتكلين على أعمالهم والمزعزعين في إيمانهم هو أشد انطباقاً علينا. فماذا نصنع أيها الإخوة لأني أرى هذه الرسالة إلى العبرانيين هي رسالتنا بالأولى نحن الذين انتهى بنا القرن العشرين!

١٣:٣ «بل عظوا أنفسكم كل يومٍ ما دامَ الوقتُ يُدعَى اليومَ لكي لا يُقسَّى أحدٌ منكم بغرورِ الخطيةِ».

«**بل**»: ἀλλὰ

هنا تعقيب للرد والتصحيح على قوله السابق: «أن لا يكون في أحدكم قلب شرير»، «بل عظوا أنفسكم». هنا المخاطب كل فرد في الجماعة، الجماعة كلها يخاطبها كوحدة، حتى لا يكون في الجماعة «**أحد**» بقلب شرير ــ كما سبق وقال في الآية السالفة ــ وكما يقول أيضاً في هذه الآية: «لكي لا يُقسَّى أحد منكم». فالكلام مصوَّب للجماعة حتى تنتبه لخلاص كل فرد فيها، ومصوَّب لكل فرد حتى لا يتوه في وسط الجماعة وينحرف عن طريق الله **فيجلب على نفسه والجماعة خسارة وتأديباً**. ونحن لا ننسى خطية عخان بن كرمي وهو فرد واحد كيف بخطيته

الواحدة تسبِّب في انهزام الشعب كله أمام أعدائه، لأن هذه كانت معاملة الله للشعب إذ جاء الصوت: «في وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكَّن للثبوت أمام أعدائك حتى تنزعوا الحرام من وسطكم.» (يش٧:١٣)

هنا يتحقق أمام أعيننا قيمة الفرد عند الله بالنسبة للجماعة بل وقيمة الجماعة كلها بالنسبة للفرد، فالفرد بخطيته يوقع الجماعة كلها في الحرام: «فلم يتمكن بنو إسرائيل للثبوت أمام أعدائهم. يُديرون قفاهم أمام أعدائهم لأنهم **محرومون** ولا أعود أكونُ معكم إن لم تُبيدوا **الحرام من وسطكم**» (يش٧:١٢). هكذا أصبح يهم الجماعة أيّما اهتمام أن لا يكون فردٌ واحدٌ فيها له قلب شرير بعدم الإيمان في الابتعاد عن الله الحي، لئلا تُضار الجماعة وتدفع ثمن خطية هذا الفرد المندسّ وسط الجماعة مثل عخان بن كرمي. إذاً فالفرد مسئول عن سلامة الجماعة كلها بحياته هو وسلوكه وطهارته ومخافته لله. والجماعة مسئولة عن كل فرد فيها لئلا يضل فيموت وتُعاقب الجماعة كلها.

لذلك نجد في قول ق. بولس هنا: «عظوا أنفسكم»، هذا المعنى كله: الجماعة والفرد معاً، حيث تتم العظة في ضمير كل فرد وفرد بنفسه وتجري عظة الجماعة على كل فرد فيها. وقد أوضحها ق. بولس أيضاً في موضع آخر في الرسالة هكذا: «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب.» (عب١٠:٢٥)

كذلك ينبغي أن نلتفت أن الأيام التي يجوزونها عصيبة والاضطهاد واقع عليهم من جهات عديدة، وإغراء الارتداد شديد بسبب المحاجاة والملاججة مع اليهود في الهيكل والمجمع، لذلك فالجماعة مطلوب منها أن تلتئم حول نفسها وأن يشجِّع بعضهم بعضاً ويعزُّوا بعضهم بعضاً بكلام المسيح ليحل الروح القدس ويكمِّل عزاءهم وتشجيعهم. هنا ق. بولس يدعو إلى نهضة روحية لا يكف فيها الوعظ والتوجيه حتى تنكشف القلوب أمام كلمات المسيح، فلا تركن إلى الهرب والضلال. كذلك فإن كلمة الرب تفضح الخطية وتسد منافذها المخادعة فتوقف سطوتها على القلوب اللاهية عن خلاصها: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١:٣)

«عظوا أنفسكم كل يوم»:

«كل يوم»: καθ' ἑκάστην ἡμέραν

ومعناها «يوماً بعد يوم»، حيث القصد هو الاستمرار. وهذا هو توجيه الله لأولاده منذ البدء

منذ أعطاهم وصية حيث قال لهم: «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها **اليوم** على قلبك وقُصّها على أولادك وتكلّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامةً على يدك ولتكُن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث٦: ٦—٩). فإن كان هذا كله قد قيل في كلمات التوراة ووصايا العهد القديم، فكم وكم تكون كلمات المسيح؟ لذلك حينما يقول ق. بولس هنا: «كل يوم»، فكل يوم لا يكفيها لأن عمر الإنسان يقصر عن أن يستوفي حقها وعملها ومعناها: «يا رب إلى مَنْ نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك» (يو٦: ٦٨)، «وأشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة فواحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين» (يو٢١: ٢٥). وفي التقليد الكنسي معروف أن «**اليوم**» في مفهومه اللاهوتي هو «**يوم الخلاص**» (٢كو٦: ٢)، المطروح لنا حتى إلى أن يأتي المسيح: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه» (مز١١٨: ٢٤)، كما أنه في المفهوم الليتورجي التقليدي هو «**يوم الأحد**» حين تُقدَّم ذبيحة الشكر وتُسبِّح الكنيسة به في مطلع القداس.

«ما دام الوقت يُدعى اليوم»: ἄχρις οὗ τὸ σήμερον καλεῖται

ومعناها «**طالما يُقال اليوم**»، أي طالما جاء يوم. والمعنى المقصود هو بطول وعي الإنسان لعمره من حيث الزمن. وفي هذه الآية يربط الوجود الزمني للإنسان بالوعظ. وهذا يذكّرنا بقول القديس بولس أيضاً أن الأيام شريرة: «مفتدين الوقت (بالوعظ) لأن الأيام شريرة» (أف٥: ١٦). فالزمن لا يفتديه إلاَّ الصلاة والوعظ. وقد يكون أعظم تعبير عن معادلة الزمن الشرير بما هو ضده مما لله، ما قاله الله لشعب إسرائيل عن كيفية التعامل مع وصاياه كما كتبناها أعلاه (تث٦: ٦—٩)، بمرافقة كلمة الله للإنسان ليس كل يوم وحسب بل كل لحظة، في النوم واليقظة والجلوس والمشي، على قلبك وبين عينيك وعلى يديك وعلى قوائم بيتك وتحكي بها لأولادك!!

واضح هنا الصراع الخفي بين الزمن والإنسان والله. فالإنسان محصور بين الزمن والله، فلكي يخرج عن جاذبية الزمن يلزم أن يلتصق بالله: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢). هكذا وجد الإنسان في المسيح ملجأه الوحيد ضد جاذبية الأرض وجذب الزمن.

«لكي لا يُقسَّى أحد منكم بغرور الخطية»:

أما عن تقسية القلب كيف تأتي؟ وكيف تُزاد؟ فنرجو الرجوع لشرح آية (٣: ٨).

أما التقسّي هنا فهو يجيء من الخطية وكأنها فاعل مباشر والإنسان يتقبَّل التقسّي في وضع

سالبي أو بالحري مسلوب الإرادة، وبولس الرسول سبق أن فسّر ذلك تفسيراً نفسانياً بليغ العمق حينما قال:

+ «لأني لستُ أفعل الصالح الذي أُريدهُ بل الشر الذي لستُ أُريده فإيّاه أفعل. فإن كنتُ ما لستُ أُريده إيّاه أفعلُ فلستُ بعد أفعلهُ أنا بل الخطية الساكنة فيَّ ... لكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو٧: ١٩و٢٠و٢٣)

ولكن ليحذر القارىء فإن هذا التحليل لصنع الخطية في الإنسان هو في غياب المسيح ونعمته وفعل دمه. وهكذا تكون الخطية فعلاً — في غياب المسيح الذي أدانها وأبطلها بدم ذبيحته — قادرةً أن تهزم إرادة الإنسان وتُقسِّي قلبه وفكره وضميره. وبهذا تكون هذه الآية التي نحن بصددها والتي بمقتضاها يوعّي ق. بولس ويحذّر العبرانيين المؤمنين بالمسيح، أنه في غياب الإيمان الحقيقي العامل بالمسيح تستطيع الخطية أن تأخذ ثوب غرورها وخداعها الذي لبسته في جنة عدن وتعمل في الإنسان كل ما تريد أن تعمل لموته بغواية الحية وحسد الشيطان.

«بغرور الخطية»: ἀπάτῃ τῆς ἁμαρτίας

غرور: ἀπάτη ويقصد بها الثوب الكاذب، والمخادع، والجذاب بآن واحد الذي تلبسه الخطية لتظهر للإنسان كحقيقة وهي كذب، وصديقة وهي مُخادعة، وجذابة وهي بشعة!!!

+ «فرأت المرأة أن الشجرة جيّدة للأكل (وهي مسمومة)، وأنها بهجة للعيون (وهي خداع)، وأن الشجرة شهيّة للنظر (وهي قاتلة).» (تك٣: ٦)

هكذا لبست الخطية أثوابها الثلاثة، ظاهرها جيد وبَهِج وشهي، ومخبَرُها[17] عُري وخوف ولعنة وحرمان وموت!! وق. بولس يفضح هذه الأثواب:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيّة حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١: ٣)

ولعل أعظم اختبار يختبره الإنسان في حياته على الأرض ليرى ويحس ويفهم ويتأكد من قسوة خداع الخطية وغشّها، هو حينما يتصوَّر حاله قبل الخطية ثم بعد الخطية!!!

(١٧) المظهر من الخارج والمخبر من الداخل.

ثم لعلّ أعظم انتصار يمكن للإنسان أن يحوزه في حياته ويرى نفسه أعظم من منتصر، هو حينما يقول للخطية: لا وألف لا!! إنما مستنداً على المسيح ومُتمسكاً بالنعمة!!

والآن، ما هي هذه الخطية التي يوبِّخ ق. بولس العبرانيين المسيحيين عنها؟ ويصف الغرور المحيط بها والتقسّي الذي تُحدثه في القلب والفكر؟ نعم **هي ترك المسيح** والارتداد عن المسيحية، النظر إلى خلف، هي قضية امرأة لوط وعمود الملح! يا للخسارة الأبدية!!

هنا نود أن نكشف عن كيف تتحوّل قضية «الإيمان بالمسيح» إلى قضية خطية وأخلاق وسلوك؟ هذا في الحقيقة أمر عجيب ومريب. فالعدو المجرِّب لا يأتي للمؤمن بالتجربة في محيط الإيمان لأن العدو ليس ساذجاً بهذا المقدار. وهو أصلاً لا يقوى على الدخول في عناصر الإيمان لأنه يخاف على نفسه لئلا يحترق، ولكنه يأتي للمؤمن عن طريق ظروفه الصعبة ومعاناته من جراء الإيمان بالمسيح، ويهوّل له مقدار ما سيحل به من راحة وحرية، وسعة ومتعة، واحترام ومديح، وأمان وتأمين إن هو جحد إيمانه وعاش حُراً من المسيح. وهكذا تتزيّن له الخطية بالأثواب الزاهية والمُبهجة ومن يوم ليوم يزيدها له بهاءً وبهجة حتى يسلب لبّه، وهكذا تتحوّل قضية الإيمان واللاهوت إلى قضية أخلاق وسلوك ونفس وجسد!! بل قضية حزن وندم وموت وهلاك أبدي.

١٤:٣ «لأننا قد صِرنا شُركاءَ المسيح إن تمسَّكنا ببداءةِ الثقةِ ثابتةً إلى النهايةِ».

«لأننا قد صرنا شُركاء المسيح»:

«لأننا» هنا تُفيد تحميل ما فات بكل ما فيه من توجيه ووعظ على الحقيقة الآتية وهي أننا صرنا شُركاء المسيح، مما يعزِّز أن لا يكون في أحد قلب شرير وأن يعظ بعضهم بعضاً كل يوم، لأن ما كان يتمناه الآباء وينتظرونه بفارغ الصبر، وهو «مسيّا»، قد صار إلينا وصرنا نحن شركاءه، بمعنى أننا أصبحنا متحدين به وبالتالي **ارتفعت إمكانياتنا وصرنا في ملء حياته**. وهذا يتضح أكثر من الترجمة اللاتينية التي تعني أننا صرنا **فعلاً** شركاء المسيح participes Christi effecti sumus(١٨). فكل ما كان يتمناه الأوائل من كل الوعود التي قيلت لهم وسبق وتنبأ بها الأنبياء عن هذه الأيام السعيدة للمسيّا صرنا نحياها الآن، ولكن إن كانت مخفيّة عن عيون البعض فهذا بسبب عدم الإيمان!! كما يقول ق. بولس أيضاً:

\+ «إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى

18. Westcott, *op. cit.*, p. 85.

أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله... نكرز... بالمسيح يسوع رباً ... لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٣–٦)

«صرنا شركاء»: μέτοχοι γεγόναμεν

هنا كلمة **«صرنا»** γεγόναμεν تعرض مفهوم الشركة، **فهي** ليست معيَّة أو مجرد شركة اجتماع كخيمة الاجتماع التي كانت تجمع الله مع شعبه بل هنا صيرورة، فكما أن «الكلمة صار جسداً» تفيد حدوث اتحاد فعلي بالطبيعة البشرية، كذلك فهنا صرنا شركاء المسيح تعني أننا اتحدنا فعلاً في طبيعة المسيح — وهذا بعكس ما يقول به كثير من الشراح أنها مجرد زمالة[19] — وبهذا تكون مقدرتنا ومُقدّراتنا وما هو مطلوب منا وما هي غايتنا، تصبح كلها على مستوى المسيح الذي اتحدنا به. صحيح أن الرسالة إلى العبرانيين لم تبلغ مفهوم «في المسيح» ἐν Χριστῷ التي اعتاد ق. بولس أن يتمسَّك بها، ولكن كلمة «شركاء» ليست أقل منها بأي حال. فقول ق. بولس هنا أننا «صرنا شركاء المسيح» تعادل قول بطرس الرسول: «اللذين بهما (دعانا بالمجد والفضيلة) قد وَهَبَ لنا المواعيد العُظمى والثمينة **لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية** هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة» (٢بط١: ٤). غير أن كلمة «شركاء» استخدم لها سفر العبرانيين بنوع خاص لفظ μέτοχοι الذي لم يرد في بقية الأسفار على هذا المستوى، بينما استخدمت لها باقي أسفار العهد الجديد سواء للقديس بطرس أو القديس بولس لفظ κοινωνοί.

ولكي يتضح معنى هذه الشركة هنا أنها اتحاد فعلي بالمسيح، يعود سفر العبرانيين ويقول: إن الشركة في المسيح بالمعمودية تُنشىء شركة في الروح القدس: «لأن الذين استنيروا مرة (بالإيمان والمعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (نعمة الخلاص) **وصاروا شركاء الروح القدس**» (عب٦: ٤). فكيف يمكن أن تكون الشركة في المسيح والشركة في الروح القدس المتحصِّلة من الإيمان والمعمودية مجرد زمالة مع المسيح ومع الروح القدس؟

«إن تمسَّكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية»:

«تمسَّكنا بالثقة»: κατάσχωμεν, ὑποστάσεως

لقد قدَّمنا شرحاً لهذا المعنى في شرح الآية (٣) من الأصحاح الأول فالرجاء العودة إليه.

19. Attridge, *ad. loc.*

هنا جملة شرطية تجعل ما سبق أن قيل وهو: «**أننا قد صرنا شركاء المسيح**»، مشروطاً **بتمسكنا بالثقة** التي أعلناها منذ بداية إيماننا بالمسيح. أي أن «شركة المسيح» هي قائمة طالما ثقتنا الأولى حينما آمنا بقيت ثابتة حتى النهاية. وهنا «حتى النهاية» تفيد نهاية جهادنا على الأرض حيث نحصل على الميراث المعدّ للذين صاروا شركاء المسيح.

وعلينا أن نلاحظ أن ق. بولس يعيد هنا تركيزه على «**التمسُّك بالثقة بالمسيح**»، فقد أوردها في الآية (٦) سابقاً كشرط لبقائنا في علاقة بالمسيح «**كبيت له**» بالمفهوم اللاهوتي عند ق. بولس الذي يعني الكنيسة أي جسده: «**وبيته نحن إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**». ولكن هنا في الآية (١٤) التي نحن بصددها يجعل تمسُّكنا بالثقة الأولى لبدء إيماننا ثابتة إلى النهاية شرطاً لنبقى «**شركاء المسيح**». ومن هذا يتضح أن «شركة المسيح» و«بيت المسيح» مفهوم واحد يتضمن علاقة بالمسيح تصل إلى اتحاد دائم يهيِّىء بالنهاية للدخول إلى راحته العليا وملكوته الأبدي كشركاء في ميراثه، هذا إذا ثبت إيماننا بثقة راسخة وحتى النهاية.

وهنا تلوح لنا حقيقة لاهوتية ذات شأن عظيم في حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا وهي أن الله إنما يطرح أمامنا عمله كاملاً مرة واحدة ثابتاً راسخاً رسوخاً يفوق السماء والأرض والزمن – كالفداء – ونظل نحن نتمثله ونتكامل فيه ننمو ونزداد ونترسَّخ فيه يوماً بعد يوم مدى الحياة ... فبقدر ما نثبت فيه يتحقق لنا كماله، فإذا ثبتنا فيه إلى النهاية تحقق لنا بكماله: «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣:٤)

لذلك كم سمعنا من المسيح تكراراً دعوته وإلحاحه: «اثبتوا في محبتي» (يو١٥:١٠)، «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥:٤). وهل يوجد لنا في هذا الدهر مصدر أمان على الطريق وعون في الضيق سوى الالتجاء إليه سريعاً والثبوت فيه مهما بلغ التهديد حتى الموت؟

١٥:٣ «**إذ قيلَ اليومَ إن سَمِعتُم صوتَه فلا تُقسُّوا قلوبَكم كما في الإسْخَاطِ**».

تكرار للآية (٣:٧).

لقد حاول العلماء الربط بين هذه الآية والآيات السابقة دون فائدة فجاءت كل محاولاتهم مبتورة وغير معقولة. والسبب بسيط للغاية، فالقديس بولس بعد التعليق على الآية (٧) حتى الآية (١٤) توقَّف وابتدأ بتعليق آخر على نفس الآية لا يمتُّ للتعليق الأول بصلة. فالتعليق الأول قَصَدَ منه ما جاء في نهايته في الآية (١٢ و١٣ و١٤) وهي عظة وعبرة. أما التعليق الثاني على نفس

الآية فجاء ليشرح سر المزمور بتدقيق من الآية (١٦) إلى الآية (١٩) لينتهي من شرح المزمور باكتشاف السر الوحيد لمحنة الشعب الخارج من مصر وهي عدم الإيمان.

ج – الدرس المُستفاد من المزمور كله بتدقيق: (٣:١٦–١٩)

١٦:٣ «فمَنْ هم الذين إذ سَمِعُوا أَسْخَطوا؟ أليسَ جميعُ الذين خرجوا من مِصْرَ بواسطةِ موسى».

هذا هو أول تفسير لِما جاء في المزمور (٩٥).

هكذا يوضح أن نفس الأشخاص الذين تعطّف الله عليهم وأخرجهم من تحت عبودية السخرة هم الذين أسخطوا، بمعنى أغضبوا الله. إذاً فالأمر بالنسبة لهؤلاء العبرانيين يُنذر بالخطر، فالمسيحيون أُخرجوا بالفعل من تحت عبودية الخطية وسخرة الشيطان.

ولكن الأصل اليوناني يختلف في تركيبه عمّا جاء هنا في الترجمة العربية، والترجمة الصحيحة يلزم أن تكون كالآتي:

+ «هل بعض الذين سمعوا أسخطوا؟ τίνες γὰρ ἀκούσαντες ولكن أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى؟ ἀλλ᾽ οὐ πάντες».

هنا يركّز بحسب النص اليوناني على اتجاهين: الاتجاه الأول أن ليس جزءٌ من الشعب الذي خرج من مصر هو الذي أسخط الله أي أغضبه بل جميعهم!! أما الاتجاه الثاني فهو أن قيادة موسى هنا موضوعة تحت التعيير لأنه لم يستطع أن يتفادى تذمُّر الشعب كوسيط بينهم وبين الله. وهكذا يستعد القديس بولس ليرفع من مستوى المسيح كوسيط. لأن الخلاص والإيمان بالمسيح ومغفرة الخطايا هي للجميع أصلاً: «وهو كفّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢: ٢). ولكن إن رُفض الإنجيل فهو مرفوض من الهالكين: «ولم يهلك منهم أحد إلاّ ابن الهلاك» (يو١٧: ١٢). ولكن في توسط موسى وقيادته هلك جميع الذين خرجوا من مصر وليس بعضٌ منهم. أما الذين دخلوا أرض الراحة فالمولودون منهم فقط في البرية. فالذين هلكوا إذاً هم جيل كامل بكامله كما يقول الروح على فم كاتب المزمور: «ولا يكونون مثل آبائهم **"جيلاً" زائغاً ومارداً، "جيلاً" لم يثبِّت قلبه ولم تكن روحه أمينة لله**» (مز٧٨: ٨)، وحزقيال النبي يتكلّم بوحي الله الذي فيه يخاطب «المسيا» القادم لشعب إسرائيل المتمرِّد: «وقال لي، يا ابن آدم أنا مُرسلك إلى بني إسرائيل إلى **أُمة متمرِّدة، قد تمرّدت عليَّ هم وآباؤهم عصوا عليَّ** إلى ذات

هذا اليوم، والبنون القساة الوجوه والصلاب الرقاب أنا مُرسلك إليهم ...» (حز٢: ٣و٤)

١٧:٣ **«ومَنْ مَقَتَ أربعينَ سنةً؟ أليسَ الذين أخطأوا الذين جُثَثُهُم سقطت في القَفْرِ».**

هذا هو ثاني تفسير للمزمور.

والقصد من ذكر الأربعين سنة بكاملها هو لإظهار تذمُّرهم وخطيتهم التي لازمتهم من الأول إلى الآخر، والتي قابلها من جهة الله المقت أي عدم الرضى الشديد من الأول للآخر أيضاً. وهكذا تُحسب سنو غضب الله بسني عصيان الإنسان. فانظر كيف يُدخل الإنسان نفسه تحت غضب الله بأعماله، وكيف يلوِّث زمانه ويُفسد أيامه بيده، ويحكم على نفسه بالحرمان الدائم والشقاء الأبدي!

أما ارتباط مدة غضب الله بزمان عصيان الإنسان فيذكر سفر العدد هكذا:

+ «فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم (تعب البنين وشقاؤهم في البرية كان بسبب ذنوب آبائهم: «أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء» خر٢٠: ٥) حتى تفنى جثثكم في القفر. **كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض** (اكتشاف أرض كنعان) **أربعين يوماً، للسنة يومٌ، تحملون ذنوبكم أربعين سنة، فتعرفون ابتعادي.»** (عد١٤: ٣٢—٣٤)

هنا يكشف الوحي عن حجم المستوى الزمني للعقاب، فكل يوم تذمُّر كان حسابه سنة كاملة شقاء مع حرمان من دخول أرض الراحة، أي لا راحة في القفر ولا راحة في أرض الراحة.

وهذا في الحقيقة أمر رهيب ومُرعب! يجعلنا نسترجع مستوى تفكيرنا في كيفية التعامل مع شخص الله، فهو على مستوى التأديب الشديد جداً الذي لا يمكن أن يكون له مثيل في تعاملاتنا مع الناس. فذنب دقيقة أو ساعة تجاه شخص الله، إنْ بلفظ أو فكر أو عمل، نحمل وِزْره فوق ظهورنا حتى ننحني أو تنكسر، وقصد الله هو: **«فتعرفون ابتعادي»**! فمن يطيق خصومة الله؟ فخصومة الله للإنسان كما حملها المسيح أحزنت نفسه حتى الموت وكسرت جسده على الصليب وصرخ منها متأوِّهاً: «إلهي إلهي لماذا تركتني!» (مت٢٧: ٤٦). وبولس الرسول عبَّر عنها: «مُخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). صحيح أن مع المسيح لا خوف من الله بل ثقة وفرح ومحبة ودالة بنوية بل وجراءة وقدوم إلى الآب كل حين، ولكن ماذا يكون بدون المسيح، بدون فادٍ وشفيع؟ فإذا فقدنا عِشرة المسيح تتلقَّانا شياطين الغرور والكبرياء ثم الخطية بكل صنوفها، وبُعدُها

يكون هو البُعد المخيف عن حفظ الله وعنايته، وهكذا تبدأ النقمة وحينئذ يتم القول: «فتعرفون ابتعادي».

والآن يوعّي ق. بولس الشعب العبراني الخارج من عبودية السنهدريم والمجمع وسخرة التمرُّد لحساب الشيطان ليدخل عهد طاعة المسيح وينال الحرية والتبني. فالآن ماذا يكون مصيرهم لو هم جحدوا فاديهم وشفيعهم؟ إنها تكون حتماً رجعة إلى تمرُّد البرية وعصيان مسّة ومريبة وإسخاط من أحسن إليهم، وحينئذ يكون ابتعاد الله، وبعده المقْتُ والحرمان الأبدي.

«ومَنْ مَقت أربعين سنة؟ أليس الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر»:

وصحة ترجمة هذه الآية على النص اليوناني تجيء هكذا:

+ «ومع مَنْ كان الغضب أربعين سنة؟ ألم يكن مع الذين أخطأوا أصحاب الجثث التي سقطت في القفر».

وماذا كانت نتيجة هذه الخطية التي لازمتهم الأربعين سنة؟ يقولها لهم موسى بكل وضوح هكذا: «قد ارتددتم عن الرب فالرب لا يكون معكم.» (عد١٤: ٤٣)

ولكن كلمة «الذين أخطأوا أربعين سنة» تفيد ليس فقط التذمُّر وعدم الطاعة بل وتفيد ممارستهم كل صنوف الخطية اللاأخلاقية والسلوكية أيضاً. وهذا ما أراد بولس الرسول أن يُشعر به هؤلاء العبرانيين المسيحيين المتزعزعين عن الإيمان، كيف أن مجرَّد هذا التردد في الإيمان والتشكُّك فيه أسقطهم في خطايا أخرى لم يشأ أن يذكرها، ولكنه أحالهم إلى هذا الجيل الملتوي الذي انشغل بالزنا الفاحش بعضهم مع بعض أمام عين الرب حول خيمة الاجتماع، فحلّ عليهم غضب الله: «كما هو مكتوبٌ، جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، ولا نزنِ كما زنى أُناسٌ منهم فسقط في يومٍ واحدٍ ثلاثةٌ وعشرون ألفاً» (١كو١٠: ٧و٨). ويؤكد بولس الرسول أن هذه المأساة حلَّت بهم لتكون مثالاً لنا وإنذاراً: «فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحنُ الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (١كو١٠: ١١)

أما ذكر **«جثثهم التي سقطت في القفر»**، فهو مشهد قصد الوحي المقدس أن يسجِّله ليكون أمام أعيننا صورة لمدى البؤس الذي لم يفارق هذا الجيل من تشييع جنازة ستمائة ألف رجل (خر١٢: ٣٧) على مدى أربعين سنة بحساب أربعين جنازة في كل يوم!! عدا الأموات الآخرين.

١٨:٣ «ولمَنْ أقسَمَ لن يدخُلوا راحته إلاّ للذين لم يُطيعوا».

الشرح الثالث للمزمور (٩٥) الآية (١١) منه.

وهنا تنتهي الأسئلة الموجهة المستفادة من مزمور (٩٥) التحذيري، حيث تنصبُّ كل الأسئلة السالفة بشروحاتها على هذا السؤال الختامي الذي انتهى بهؤلاء إلى وقوعهم تحت «قَسَم من الله» أن لا يدخلوا راحته، مع إعلانه سبب هذا الحرمان أنه «**عدم الطاعة**» لصوت الله. هذه الخطية التي جعلها بولس الرسول في هذه الرسالة المحك الأساسي لسوء الحال الذي ألمَّ بهم، وهو وشيك أن يحرمهم بالفعل من الراحة العليا.

«أقسَم»: ὤμοσεν

تكررت كثيراً في هذا السفر، فالملاحظ أن القديس بولس يكتب إلى عبرانيين أصلاً، وكان عندهم أن الله حينما يُقسم فإن الأمر يكون قد بلغ الذروة، إما في هبة ستُعطى حتماً كبركة إبراهيم، وإما في حرمان سيقع حتماً ولا محالة. وكلا الإجراءين تمَّا بالفعل وصارا عِبرة للأجيال كلها ولكل الدهور!! غير أن على القارىء أن يدرك أن الرب حينما يُقسم يقول: «حيٌّ أنا». وقد شرحنا سابقاً أنها تعني صدق ما يقول كصدق أو حقيقة كينونته، فطالما أن الله حيٌّ وهو حيٌّ منذ الأزل وإلى الأبد، فحينما يقول: «حيٌّ أنا» فالأمر مُحقَّق كحقيقة أزليَّة الله. وهي مُرادفة لقوله: «أنا هو»، التي تعني أنا الكائن بذاتي، وقد قال الله أيضاً: «أقسمتُ بذاتي» (تك٢٢: ١٦، إش٤٥: ٢٣، إر٢٢: ٥) وتعني نفس الحقيقة، فذات الله هي الكينونة العُظمى والأزلية!

وق. بولس يذكر قَسَم الله في مواضع كثيرة لتأكيد أقوال الله ومواعيده:

+ «فإنه لمَّا وعد الله إبراهيم إذ لم يَكُن لهُ أعظم يُقسِم به، أقسم بنفسه قائلاً إني لأُباركنَّك بركة وأُكثِّرنَّك تكثيراً.» (عب٦: ١٣ و١٤)

+ «فإن الناس يُقسمون بالأعظم، ونهاية كل مشاجرة عندهم لأجل التَّثبيت هي القَسَم. فلذلك إذ أراد الله أن يُظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد **عدم تغيُّر قضائه، توسَّط بقسم.**» (عب٦: ١٦ و١٧)

+ «لأن أولئك (الكهنة اللاويين) بدون قَسَم قد صاروا كهنةً، وأما هذا (المسيح) فبقسم من القائل له أقسَمَ الرب ولن يندم أنت كاهنٌ إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق.» (عب٧: ٢١)

وقصْد بولس الرسول سواء من إبراز قَسَم الله في غضبه أن لا يدخلوا راحته أو قَسَم الله لإبراهيم

بالوعد للبركة الذي هو الميراث الأساسي الذي تعيش على رجائه إسرائيل، هو لكي يضخّم لهم خطورة فقدان هذا الميراث الموعود بقَسَم ذات الله للذين يعرِّضون أنفسهم لذلك بعدم طاعتهم لصوت الله: أن لا يُقسُّوا قلوبهم كآبائهم وألا يرتدوا عن الإيمان الذي به وحده وعد الحياة!! «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو٣:٣٦). حيث غضب الله هنا هو من واقع خطايا الذي لا يؤمن إذ ليس لها مسيح يرفعها.

لأنه إذا كان هذا الشعب المتمرِّد على الله، الجيل الذي أهان العلي بعدم طاعته وعدم إيمانه معاً، قد تعذَّر دخوله جسدياً إلى أرض راحة، فكم بالحري ــ يقول ق. بولس ــ تكون الاستحالة لِمَنْ هم على هذا المستوى من عدم الطاعة وعدم الإيمان معاً من الدخول إلى راحة الله العليا واكتساب مذخرات الحياة الأبدية؟ والقديس بولس يستعرض الطريق الذي سار فيه هؤلاء القوم فهم لم يستمعوا لصوت الله أولاً، وعدم السماع لصوت الله أدَّى بهم إلى الانزلاق في خطايا أخلاقية، والخطايا قسَّت قلوبهم فأظهروا عدم الطاعة لله جملة، وعدم الطاعة أفرغ قلوبهم من الإيمان. وبالمثل وفي المقابل فإن الله أهملهم أولاً ثم مقتهم، ثم قال بموتهم جثثاً جثثاً على وجه الأرض. ثم القَسَم الحزين بحرمانهم من راحته. سلوك بسلوك وكأن الإنسان يشتري لنفسه بِلَهْوِه غضب القدير دون أن يستشعر مدى الكارثة التي ستحل به في النهاية وسوء المصير!

لذلك أرجوك يا قارئي العزيز أن تتبصَّر دائماً لمصيرك، فأول خطوة تُنبيء بالنهاية الحزينة، وأول خطوة في هذا المُنزلق المُريع هي عدم الاكتراث لصوت تحذير الله في وصاياه!! ولكن أية خطورة وأية كارثة تكمن وراء الازدراء بتحذيرات الله والانسياق وراء شهوة الفكر والقلب؟ «جلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب ...»، وزنوا ... فسقط منهم ٢٣ ألفاً في يوم واحد!

وبعدها تكون عدم الطاعة التي تبلغ أقصى خطورتها السلبية في فقدان الإيمان الذي به وحده الدخول إلى راحة الله. والإيمان لا يحتمل ولا يطيق ولا يتلازم قط مع الأعمال السلبية ولكنه يزدهر في الصلاح.

١٩:٣ **«فنرى أنهم لم يَقدِروا أن يَدخُلوا لعدمِ الإيمانِ».**

المعنى هنا شديد التحذير، فعدم دخولهم ليس مجرد حقيقة بحد ذاتها بل هنا إشارة إلى الضرورة الخُلقية التي حتَّمت عدم دخولهم. فكلمة «لم يقدروا»، أي لم يستطيعوا، تفيد فقدانهم

لمؤهلات الدخول وليس مجرد عقوبة. فالدخول إلى كنعان كان في نظر الله يستلزم شروطاً معيَّنة تتركز في الإيمان به وبكلامه. وهذا المعنى يُبرزه إنجيل القديس يوحنا في حوار اليهود مع المسيح بعد أن ألقى عليهم مثل الراعي الصالح والخراف ومؤهلات الدخول إلى الحظيرة. فالذين يدخلون الحظيرة هم خرافه الخاصة التي يدعوها بأسمائها:

+ «ولكنكم **لستم تؤمنون**، لأنكم **لستم من خرافي** كما قلت لكم. **خرافي تسمع صوتي** وأنا أعرفها **فتتبعني**، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد.» (يو١٠: ٢٦ــ٢٨)

هكذا يكشف لنا هذا السفر المجيد أن «**الإيمان**» هو المؤهِّل المطلوب للدخول إلى الراحة سواء بالنسبة لشعب إسرائيل، حيث الدخول المنظور هو أرض الموعد، أو بالنسبة لمَنْ يخاطبهم ق. بولس. وهذا ينسحب علينا بالضرورة حيث الدخول هو إلى الأقداس العليا بالإيمان بدم المسيح! «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (عب١٠: ١٩). وبدون الإيمان بالدم يستحيل الدخول!!

ولنا ملاحظة للتقابل بين الآية (١٨)، (١٩) في الاصطلاحين:

+ «لمَنْ أقسم لن يدخلوا راحته إلاَّ للذين **لم يطيعوا**» = ἀπειθήσασιν

+ «لم يقدروا أن يدخلوا **لعدم الإيمان**» = ἀπιστίαν

فما علاقة عدم الطاعة بعدم الإيمان؟ ألأنهما هنا يقعان في موضع التساوي؟

ولكن الحقيقة أن الطاعة توصِّل إلى الإيمان، والطاعة أولاً وقبل كل شيء اقتناع بتسليم الفكر والإرادة لله دون فحص أو تحليل أو تجريب، فبمجرد أن يرضى الإنسان ويقبل أن يُسلِّم فكره وإرادته لله بدون شرط وبدون خوف أو احتراس فإنه يحصل على الإيمان، لأن الإيمان هبة وليس اجتهاداً!! لذلك فالإيمان يحتاج إلى جحد الذات ليتسنَّى للإنسان أن يُلقي بنفسه بشجاعة وراء الله دون حساب بل وربما دون تفكير. إنها مخاطرة، ولكنها أنجح مخاطرة يقوم بها الإنسان في حياته: «مَنْ يُهلك نفسه من أجلي يجدها» (مت١٦: ٢٥)، «مَنْ أضاع حياته من أجلي يجدها» (مت١٠: ٣٩). من هاتين الآيتين يتبيَّن أن مخاطرة الإيمان هي مخاطرة بالذات وبالحياة باحتمال الخسارة والموت، ولكن الخسارة يتحقق أنها أعظم ربح والموت يتحقق أنه هو هو الحياة الأبدية.

فالذي يريد أن يؤمن بالمسيح، فلتكن نفسه رخيصة عنده، بل غير محسوبة، بل واحتمال الخسارة حتى الموت وارد، ولكن يستحيل أن يؤول الإيمان بالنهاية إلى خسارة أو موت! بل إلى ربح فوق ربح، وراحة وحياة أعلى من الحياة، ورضى الله.

الأصحاح الرابع

التقسيم: [٤: ١-١٣] نحن هنا لا زلنا في الجزء الثاني من الدفاع الثاني الذي بدأ من ٣: ٧ وينتهي في ٤: ١٣، وهو يندرج تحت تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم الخارج من مصر وتذمُّرهم وعدم إيمانهم الذي جلب عليهم الحرمان من دخول الراحة في أرض كنعان، ذلك في مقابل الوعد بالراحة العليا التي دخلها الرب يسوع ودعانا إليها لندخلها من الآن كعربون، وتقديم ذلك للوعظ. ولكن هنا ومن أول الأصحاح يبتدىء يشرح كيف أنه بقي وعد الله لنا قائماً للدخول في راحته.

ختام الأصحاح الرابع:

[٤: ١٤-١٦] يعود فيه ق. بولس ليواصل الكلام الذي كان قد أنهاه في آخر الأصحاح الثاني عن المسيح كرئيس كهنة، فهو هنا يقدمه بالتفصيل كعقيدة لاهوتية بذاتها يطرحها لأول مرة في أسفار العهد الجديد.

٢ ــ الراحة السماوية باقية لنا
[٤ : ١ــ١٣]

وتنقسم هذه الآيات من ١ــ١٣ إلى قسمين:

أ ــ (٤ : ١ــ١٠): الحديث عن راحة هي سماوية موعودة للشعب، لا تزال قائمة لأنها لم تتحقق بعد.

ب ــ (٤ : ١١ــ١٣): الحديث عمّا يجب أن نعمله للحصول على هذه الراحة بالنسبة للمسيحيين كمسئولية خطيرة تُحاسب عليها، فالإنسان ليس حُرًّا في قبولها أو رفضها.

أ ــ الوعد بالراحة السماوية لا يزال قائماً لأنه لم يتحقق بعد: (٤ : ١ــ١٠).

وتنقسم إلى:

١ ــ كشف حقيقة أن الراحة الموعودة هي محفوظة أصلاً للمسيحيين (٤ : ١ــ٢).

٢ ــ ولقد شدَّد الله على هذه الراحة في موقفين: الموقف الأول بخصوص راحة السبت (٤ : ٣ــ٥).

٣ ــ والموقف الثاني إعادة الوعد بالراحة على لسان النبي في المزمور (٩٥) لنفس الشعب الذي وعده بالراحة بدخوله أرض كنعان، مما يدلُّ على أن هذه الراحة لم تتحقَّق للشعب بدخوله أرض كنعان (٤ : ٦ و٧).

٤ ــ تكرار الوعد بالراحة مرة ثانية يوضِّح أن الراحة الأرضية لا تُحقِّق مقصد الله وتدبيره (٤ : ٨ــ١٠). وبهذا يكشف بولس الرسول أن كل تدبير الله من الأول، سواء مع إبراهيم بالبركة أو مع شعب إسرائيل في البرية بالوعد بالراحة، كان مخططاً ليحققه المسيح ويكمله معتبراً إياه وارثاً لكل شيء للبركة والراحة. وبهذا يكون هو المكمِّل لكل أعواز الإنسان من جهة محبة الله ومقاصده الحميدة.

الشرح:

ق. بولس يحاول أن يثبت أن ما أصاب الشعب الذي نجاه الله من مصر له علاقة وطيدة ومعنى مباشر كمَثَلٍ وتحذيرٍ وإنذارٍ للعبرانيين المتنصِّرين الذين أرسل لهم هذه الرسالة. وفي نفس

الوقت يضع نفسه معهم بقوله أحياناً: «نحن»، مما يتسحب علينا نحن أيضاً وعلى كل المسيحيين لكل الدهور. لأن الشعب الموعود بالراحة لم يدخل راحة الله بل هلك في البرية، وحتى الجيل الثاني المولود لهذا الشعب الخارج من مصر والذين استولوا على كنعان بالفعل اكتشفوا أنهم لم يحقِّقوا وعد الله بالراحة بسبب عقوقهم. فالأنين والصراخ والمعاناة لاحقتهم كل الأيام، وظل الأنبياء يَعِدون الشعب في كل الأجيال أن الراحة قادمة مع «مسيًا» الموعود. وهكذا بقيت الراحة محفوظة عَبْر كل أجيال اليهود حتى مجيء المسيح، ليعلنها أنها من نصيب الذين يؤمنون. فإذا تفحَّصنا حقيقة الجيل اليهودي الذي هلك ولم يحصل على الراحة، نجد أن هلاكهم وعدم حصولهم على الراحة كان بسبب عدم طاعتهم وعدم إيمانهم بالتالي.

وهنا يعود بولس الرسول ويؤكِّد أن جيل المسيحيين صارت لهم فرصة الإيمان أسهل بطاعة المسيح، وبالتالي صار دخولهم إلى راحة الله الموعودة السماوية مؤكداً. وهذا يسرده بولس الرسول بأكثر وضوح مرة ثانية في الأصحاح الثامن بدءاً من العدد السادس. وهنا لا يعود عُذرٌ لهؤلاء العبرانيين المتنصِّرين المتذمِّرين.

٤ : ١و٢ **«فلْنَخَفْ أنه مع بقاءِ وعدٍ بالدخولِ إلى راحتِهِ يُرى أحدٌ منكم أنه قد خابَ منه. لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا كما أولئك لكن لم تنفعْ كلمةُ الخبرِ أولئك إذ لم تكنْ ممتزجةً بالإيمانِ في الذين سَمِعُوا».**

الآية الثانية هنا هي السبب في الآية الأولى.

«فلْنَخَفْ»: φοβηθῶμεν οὖν

الترجمة العربية أسقطت حرف οὖν الذي يفيد «إذاً». وهكذا ينسب هذه الآية كنتيجة لما فات في قوله سابقاً: إن شعب إسرائيل دُعُوا للراحة بعد خروجهم من سُخْرة مصر، ولكنهم خابوا من هذا الوعد بسبب تذمرهم وعدم طاعتهم وفقدان إيمانهم. وهو يستند في هذا التحذير على أمرين هامين خطيرين وهما: **«وعد الله»** الذي ما دام قد قيل، فهو سيُنفَّذ حتماً، وهو قائم ينتظر مَنْ يُنفِّذه؛ والثاني وهو سبب خيبة شعب إسرائيل وحرمانهم، وهو عدم إيمانهم بسبب تذمرهم وعدم طاعتهم «إذاً فلْنَخَفْ». وتحريضه اليهود المتنصِّرين هنا على الخوف يستند على عدم مخافتهم لله فعلاً، لأنه لو كان لديهم مخافة الله لما اضطر ق. بولس أن يحرِّضهم على الخوف من عقوبته. فالذي يخاف الله لا يخاف من أحد أو شيء سواه.

«أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته»:

الوعد الإلهي طالما خرج من فم الله فحتماً يُنفَّذ. إذاً هو باقٍ كما هو، أي ينتظر قوماً يدخلون هذه الراحة. فعدم دخول شعب إسرائيل لا يلغي وعد الله، بل بالحري يُظهر السبب في عدم الدخول ليكون عبرةً للآتين. وهنا يعتمد ق. بولس على أن: «وعد الله بالدخول إلى راحته»، يحمل بحد ذاته وفي طياته دعوةً مُلحَّة للإنسان للدخول، إذ أنه قيل من فم الله ليكون ويتحقق. فمجيء ابنه ينادي بملكوت الله والدخول إليه أنشأ في الحال تجديداً للدعوة وتجلياً للوعد، وبالتالي أنشأ واجباً من جديد لكل مَنْ يسمع الدعوة، بل والتزاماً لكل مَنْ سمع للتحرك والقبول والتنفيذ. وهنا ينشأ الخوف الشديد على الذين آمنوا بالمسيح عند سماع الخبر بالدعوة أن يخسروا هذه الدعوة. والخوف الشديد ليس فقط متأتياً من خسارة الدعوة، بل إن ذلك يوقعنا أيضاً في نفس العقوبة التي آلت على شعب إسرائيل. فمع الحرمان من الدخول، أُضيفت عقوبة الموت تحت المَقْتِ والنقمة، وهذا هو المرعب في الموضوع، لأنه صحيح أن عدم الإيمان هو الذي يحرم من الدخول إلى راحته، ولكن مِمَّ نشأ عدم الإيمان؟ أليس من عدم طاعتهم؟ لأن الإيمان هو بالأساس هبة من الله ونعمة لا ينالها إلاَّ الذي يطيع الله وأوامره ويسير أمامه بخوف. فالذي لا يطيع لا يمكن أن يؤمن أي لا يحصل على هبة الإيمان التي تزكيه للدخول. ومِمَّ ينشأ عدم الطاعة؟ أليس من الانحياز إلى رغبات وشهوات الذات وتنعيم وتلذيذ الجسد واختيار البُعد عن الله بمحض الإرادة خضوعاً للشهوة والذات ومُغريات العالم؟ هنا تتحدد دعوة ق. بولس للخوف. فالخوف من الحرمان من الدخول إلى راحة الله أي ملكوته بل ومن العقوبة اللازمة أيضاً، له فعل إيجابي في قلوبنا، إذ هو الذي يشدُّ أزرنا ويستنفر العزيمة لمقاومة الذات، والتعفُّف عن الخضوع لمغريات العالم وشهوات الجسد وراحته التي ستفضي إلى هلاكه وهلاك الذات معاً!!

ولكن لِيُلاحَظ لماذا جاء المسيح ليجدِّد الدعوة إلى الدخول إلى راحة الله أي ملكوته؟ ذلك لأن الجيل الأول الذي خرج من مصر وتذمَّر سقط وهلك، والجيل الثاني الذي انعقد عليه الأمل أن يسمع ويطيع ويسير أمام الله بخوف، فضَّل أن يسلك سلوك آبائهم إذ عاندوا الله ورفضوا السير بوصاياه وعبدوا آلهة غريبة وصنعوا مفاسد خُلقيَّة لا حصر لها: «طول النهار بسطتُ يديَّ إلى شعب مُعاند ومُقاوم» (رو١٠: ٢١)، لهذا جاء المسيح ليُعطي فرصة جديدة **«للإيمان»** لينال به الإنسان الدخول إلى راحة الله. وهنا يتَّضح أن **طاعة المسيح** هي بداية المسيرة وليس نهايتها وأن الإيمان بالمسيح هو مسوِّغ الدخول وليس هو الدخول. **أما الدخول فيُقاس بمدى الاجتهاد في حفظ هذا الإيمان ثابتاً إلى النهاية.** هذا هو الذي يشدد عليه ق. بولس في هذه الرسالة مراراً وتكراراً!!

«يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه»:

نظرة شمولية: القديس بولس يطلب خلاص الجميع، ينظر إلى «بيت الله»، «وبيته نحن» ككل: «إن تمسّكنا بثقة الرجاء ثابتة إلى النهاية» (٦:٣). ق. بولس لا يودّ أن يخيب أحد من الدخول إلى هذه الراحة أي إلى الأقداس العليا بدم المسيح.

وهنا يومِئ ق. بولس بصورة ملطّفة الذين ينخدعون بمظهرهم أنهم في الصف أو المقدمة وهم في الحقيقة قد انزلقوا بعيداً عن خوف الله وتورّطوا في عدم الإيمان، فهو يقول: إنه يكون أمراً محزناً أن «يُرى أحد»، أي أن يظهر أحد بينهم بعد هذه المدة، إنساناً تاه بعيداً عن الهدف، والكلام هو لنا!!

«خاب»: ὑστερηκέναι

هنا الفعل في حالة **المضارع التام أي الدائم**، بعكس الصيغة في الترجمة العربية، وهو الوضع المحزن جداً لأنه يكون قد صار الآن وإلى الأبد قد خاب، بمعنى أنه **يصير منذ الآن في حالة الخيبة** من راحة الله وسيظل هكذا إلى الأبد. وهي أشد خسارة وإيلاماً من الفعل في حالة المضارع فقط وليس الدائم مثلما جاء في الآية: «إذ الجميع أخطأوا **وأعوزهم** ὑστεροῦνται (في المضارع) مجد الله» (رو٣:٢٣)، وأشد خطورة من حالة الماضي: «لم **أنقص شيئاً** ὑστέρησα عن فائقي الرسل» (٢كو١٢:١١). وهكذا يتضح للقارىء أن هذا الفعل لما جاء في الماضي، أخذ معنى النقص، ولما جاء في المضارع أخذ معنى العوز، ولكن لما جاء في حالة المضارع الدائم في اللغة اليونانية أخذ معنى **«خاب» نهائياً**. ولكن «نهائياً» لم تأتِ في اللغة العربية متضمنة الفعل. من هنا يظهر مدى عجز اللغة العربية بسبب عدم وجود حالة تصريف الفعل في المضارع الدائم وعدم التفات المترجم لها، فأفلتت منه تكملة الفعل **«خاب» بكلمة «نهائياً»**.

ويلزمنا هنا **أن** نوضّح للقارىء أن هذه هي نظرية الرسالة في الذين يفقدون الإيمان بالمسيح **عن تعمّد** واحتقار للمسيح، **فإنهم** بحسب هذه الرسالة يكونون قد «خابوا» **«نهائياً»** من الدعوة الإلهية للدخول إلى الأقداس العليا مع المسيح وبتوسّط دمه الثمين. وعلى هذا الفكر جاءت الآية الخطيرة التي حيّرت الكثيرين وهي:

+ «لأن الذين استُنيروا مرة (المعمودية والإيمان) وذاقوا الموهبة السماوية (الروح القدس) وصاروا شركاء الروح القدس (التقديس بالماء والدم) وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوات الدهر الآتي (مواهب الروح القدس) وسقطوا، **لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويُشهّرونه.**» (عب٦: ٤—٦)

وعلى هذا الأساس هو الآن يحذرهم وينذرهم أن لا يستهين أحد منهم **بالإيمان بالمسيح**، الذي هو أعظم هبة منحها الله للإنسان لتكون صك دخول إلى ملكوت الله في الراحة العليا التي ستعوِّض الإنسان عن كل أتعاب هذا الدهر.

عزيزي القارىء، إن الإيمان بالمسيح هبة ونعمة نلناها مجاناً، وهي تعادل كل أتعاب وضيقات الزمن الحاضر بل توازنه تماماً وتتفوَّق عليه لتلغيه كليةً هنا في هذا الدهر وأبدياً في الدهر الآتي. الإيمان الآن ملك قلبك وفمك، ولكنه يحتاج إلى شهادة ضمير وفعل يتناسب مع علو شأنه وتفوُّق قوته وقدرته. فإذا اهتز اهتزت له الحياة كلها الآن، وفُقِدَ الأمل والرجاء في الآتي. وهذه الرسالة تصمِّم وتزيد من تصميمها لتوعِّي وتحذِّر أصحاب الإيمان المهزوز أن الخسارة فادحة ولا مناص منها، فالاهتزاز الآن يمكن مراجعته الآن بحزم وشدة للخروج من الورطة المُحيقة بالإنسان، فإذا لم يثابر في الجهاد والتمسُّك بالإيمان بكل فكره وقلبه وضميره وفمه ودموعه حتى النهاية بثبات، فإنه يكون قد كَتَبَ دينونته بيديه.

«لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا كما أولئك، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا».

«لأننا نحن أيضاً»: καὶ γάρ ἐσμεν

وترجمتها بحسب اليوناني: «لأنه حقاً نحن»، وذلك من مستوى الأدب اليوناني.

«بُشِّرنا كما أولئك»:

أي تقبَّلنا رسالة الأخبار السارة وهي الوعد بالراحة، ولكنها جاءتنا واستقبلناها كوعد للحياة الأبدية، بمعنى الدخول في الراحة العليا مع الله وهي عين الراحة التي ألمح إليها سفر التكوين أن الله بعد ما خلق العالم في الستة الأيام استراح في السابع. فالسابع هذا هو زمن ما بعد الخلق، وبالنسبة لنا زمن ما بعد حياة الخلقة الأُولى الأرضية أي زمن الحياة الروحية في الخلقة الجديدة هنا وفي السماء وإلى الأبد. أما هم فتقبَّلوا هذه الأخبار السارة عينها ولكن بالنسبة إلى راحة السبت الأرضي في أرض كنعان. ولكنهم، كما يقول بعد ذلك في الآية (٤:٦): «والذين بُشِّروا أولاً لم يدخلوا لسبب العصيان».

«بُشِّرنا»: εὐηγγελισμένοι

وتأتي في الأصل اليوناني في زمن المضارع التام الدائم دلالةً على استمرار الرسالة التي تقبَّلناها

ولا تزال قائمة فهي ليست حدثاً مضى، بل حدثاً تمّ ليبقى دائماً قائماً[١]! هنا الروعة في اللغة اليونانية.

«لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا»:

هنا النص جاء باليونانية محيّراً كافة العلماء فقرأوها على عدة احتمالات، ولكن ما جاء في الترجمة العربية هو أقربها إلى الفهم. والحيرة في كيف تكون كلمة الخبر ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا. والقصد المباشر هو **أن الإيمان كان غائباً عند الذين سمعوا** الخبر فلم تُفِدْهم كلمة الخبر، ولكن الأصح هو **أن يكون الخبر نفسه ممتزجاً بالإيمان!!** فالمعنى المستتر الذي ضاع في الترجمة هو: أن كلمة الخبر أي «الإنجيل» سواء في الماضي أو الحاضر تحمل **«قوة»** هي قوة الله الكائنة والصانعة البشارة أي الخبر أو الإنجيل. فالإنجيل كما يقول بولس الرسول في موضع آخر هو بحد ذاته **«قوة الله للخلاص»**، ولكن هذا الإنجيل عينه بقوته الإلهية **المنبثَّة فيه هو فقط للذين عندهم** قوة إيمان: «لأنه قوة الله للخلاص **لكل مَنْ يؤمن**.» (رو١:١٦)

والرسول في هذه الرسالة أراد أن يضم **قوة الإيمان** في الإنجيل، أي كلمة الخبر، **مع قوة الإيمان** في الذين على استعداد أن يقبلوه فذكرها هكذا: «لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن (الكلمة) ممتزجة بالإيمان، في الذين سمعوا». **هنا كلمة الخبر فقدت قوتها الإلهية**، بسبب **غياب قوة الإيمان في قلوب هؤلاء القوم!!**

وهذا ينير ذهننا من جهة التعامل مع الإنجيل، فيا عزيزي القارىء عندما تقرأ الإنجيل أو تسمعه فأنت لا تقرأ أو تسمع كلاماً عادياً بل هو كلمة الله الحية والأمضى من كل سيف ذي حدين أو كما قالها المسيح: «الكلام الذي أكلمكم به **هو روح وحياة**» (يو٦:٦٣)، بمعنى أن كلام الإنجيل فيه قوة الروح وقوة الحياة، وقوة الروح تفعل فعلها في الروح وقوة الحياة تفعل فعلها في الحياة. ولكن هذا يحدث فقط إذا استقبلها الإنسان بقوة الإيمان من جهته!! وكما نقول دائماً، إن وصية الله تحمل قوة تنفيذها إذا دخلت القلب دخولاً صحيحاً بفرح. فالإنسان لا يحمل همّ تنفيذ وصايا الرب يسوع، فالرب يسوع يتكفَّل بنفسه أن يثبت صحة ونفاذ وصيته فقط لمن يحبُّها ويلتصق بها ويصمِّم على الخضوع لها بكل فكره وقلبه ونفسه وروحه: «إن ثبتُّم فيَّ وثبتَ كلامي فيكم تطلبون ما تُريدون فيكون لكم.» (يو١٥:٧)

1. Westcott, *op. cit.*, p. 93.

هذا، يا قارئي العزيز، يمكن أن نبلغه إن جدّدنا العهد مع الله كل صباح: «لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح» (مرا٣: ٢٢و٢٣). فكما أن كلمة البشارة المفرحة هي جديدة كل صباح بمعنى أنها تحمل لنا معاني جديدة وإلهامات جديدة ومشروعات صالحة للحياة الأبدية جديدة، هكذا ينبغي أن نقابلها كل صباح، بل وكلما نقرُبها قراءةً، بالصلاة، بالاعتراف، بالتوبة، بالفرح، بتجديد الوعد والعهد، وباختصار بشوق متجدّد من قلب وذهن متجدّد: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢). فكلمة الله كالعسل وأحلى (مز١١٩: ١٠٣)، «وُجِدَ كلامك فأكلتُه، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر١٥: ١٦)، «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز٣٤: ٨). أما وقع كلمة الله على الآذان المفتوحة فلا يمكن وصفه بالكلام، فهي كالمطر على الأرض العطشانة تُحييها حياة وتنعشها إنعاشاً، والرب طوَّب الآذان التي تُنقن السمع لكلمته: «طوبى لآذانكم لأنها تسمع!» (مت١٣: ١٦)، بمعنى يا لسعادة الأذن التي نجحت في الاستماع لكلمة الله! لأن مع السمع رؤيا: «وطوبى لعيونكم لأنها تبصر»!! (مت١٣: ١٦)

وهنا يضع الرسول بولس مقارنة بين مَنْ يسمع بإيمان ومَنْ يسمع وليس فيه إيمان. هنا سمع يبلغ الطوبى والمجد؛ وهناك سمع يقع بعيداً عن الله. فالإيمان يمتص الحياة من كلمة الله؛ وعدم الإيمان يصطدم بها ويسقط بعيداً عن هدفها.

قال المسيح إن كلامه حياة (يو٦: ٦٣)، فإن امتنع الفكر والقلب عن قبول كلمة الحياة فلا مناص من أن يقع بعيداً عن الله الحي. هكذا يرتبط **الإيمان والكلمة والحياة والله**، ومفتاحها جميعاً الإيمان!

إن سقوط جثث الذين عَصَوْا الله في البرية يوماً بعد يوم يلفُّهم الحزن والبكاء والعويل دون أن يحقِّقوا لأنفسهم وعد الله لهم بالدخول إلى الراحة في أرض الموعد، **لهو أعنف تصوير قادر أن يُرعب** كل قلب دُعي للإيمان بالمسيح ونال وعد الخلاص للدخول إلى الراحة العليا في ملكوت الله الأبدي ثم ارتد عن الإيمان ليسقط دون تحقيق الوعد. والسبب: تفضيل العالم وكراماته وإغراءاته والخضوع لشهوة الجسد وملذات الدنيا الوقتية، على نصيب الله في ميراث المجد الأبدي.

٤ : ٣و٤ **«لأننا نحن المؤمنين ندخلُ الراحةَ كما قالَ حتى أقسمتُ في غَضَبي لن يدخُلوا راحتي، مع كَوْنِ الأعمالِ قد أُكمِلَتْ منذ تأسيسِ العالمِ. لأنه قال في موضعٍ عن السابعِ هكذا: واستراحَ اللهُ في اليومِ السابعِ من جميعِ أعمالِهِ».**

«لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة»:

وصحتها في الأصل اليوناني: **«لأننا نحن الذين قد آمنَّا»** في الزمن الماضي البسيط، ويكمل بالمضارع الدائم: **«ندخل الراحة»**. وقصد ق. بولس أن يُبرز خبرة الإيمان التي عبرناها كامتحان، فدخلنا في زُمرة المهيَّئين للدخول في راحته. أما وضعه كلمة «ندخل» في صيغة الحاضر الدائم **«الآن نحن ندخل»**، فقد أراد أن يوضح بها أن المسيحي ليس يهودياً تائهاً في برية الأربعين عاماً بل يتقدَّم على طريق حي حديث دشَّنه المسيح بدمه (عب١٠: ١٩و٢٠)، والمسيح فيه قائد مسيرة «دخل كسابق من أجلنا» (عب٦: ٢٠)، «يقودنا في موكب نصرته» (٢كو٢: ١٤). المسيحي يدخل ويخرج كل يوم ويجد مرعى (يو١٠: ٩)، والراعي ضامن سلامته. نحن نمارس حياة في المسيح هي عربون الراحة العليا، فيها دخول محقَّق إنما ينقصه التكميل، يتخلَّله القلق والتوتُّر، ولكن هو قلق التعجُّل لرؤيا وجه الرب أما التوتُّر فبسبب جذب العالم الشديد. نحن ندخل حقاً ولكن بخطى لا يقيسها الزمن، نحن نسير وسيرتنا تتسجَّل في السماء ولكن لا نعثر لها على آثار أقدام تطمئننا. فكلَّما سِرْنا، يمحو الزمن آثار خطواتنا، وهكذا يزداد القلق بأننا لا ندخل مع أننا داخلون. وفي لحظة وفي خطوة نفيق، وإذا وجه الحبيب وزمرة أرواح مكمَّلة وملائكة، ونتلفَّت، فإذا هي مدينة الله الحي أورشليم السماوية مدينة السلام الأبدي وأفراح الأبدية.

«كما قال حتى أقسمتُ في غضبي لن يدخلوا راحتي»:

القصد من هذه الآية هو تقرير حال واقع وهو «راحتي»، فبولس الرسول يريد أن يقول: إنه لولا أن الله هيَّأ راحة للإنسان وأكملها وأعدَّها لما أقسَمَ أن هؤلاء المتذمرين والخطاة لن يدخلوا راحته. فطالما وُجدت هذه الراحة، فلا بد أن يدخلها الإنسان يوماً ما.

«لأنه قال في موضع عن السابع هكذا:
واستراح الله في اليوم السابع من جميع أعماله»:

قصد ق. بولس من هذه الآية هو إثبات أصل هذه الراحة فيما يخص ما هو بين الله والإنسان كمخلوق، فهي ليست راحة في أرض كنعان، بل أعلى وأعظم وأقدس بما لا يُقاس!! فكون الله يقول: **«واستراح في اليوم السابع من جميع أعماله»**، فهذا يعني أن بعد العمل تكون الراحة،

أي أننا بعد أن نكمّل كل الأعمال الخاصة **بخلقتنا الأولى** سندخل بعدها إلى الراحة التي أعدّها الله لتكون بينه وبين خليقته الجديدة التي خَلقَ وفَدَى. وأول مَنْ أكمل أعماله بالفعل ودخل إلى راحته مع الله هو الرب يسوع، كما تقول الآية بعد ذلك: «لأن (المسيح) الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله (الصليب) كما الله من أعماله» (عب٤:١٠)، «أبي يعمل ... وأنا أعمل.» (يو٥:١٧)

هنا يكشف لنا ق. بولس الرسول عن سر جدّ خطير، وهو أن في قول الله في سفر التكوين: «فاستراح (الله) في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل» (تك٢:٢) ــ حيث لا يذكر فيه «وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً واحداً» ــ هذا بحد ذاته استعلان الأبدية أو الدهر الآتي، الذي ليس فيه أعمال خِلْقة بعد بل هو الراحة والسكون الأعلى من العمل، ولكن كونه محسوباً أنه يوم فهو داخل في واقع الكيان الخلقي الذي يمثله الإنسان. ولكن لأنه السابع بعد «السادس»، و«السادس» هو ختام كل أعمال الخِلْقة، فالسابع إذاً هو ما بعد الزمن الخلقي، ما بعد الأعمال الزمنية الجسدية للإنسان. واليوم السابع يمثله في المسيح «سبت القبر» حيث لم يكن له صباح ولا مساء بالنسبة للرب، وحيث داس الموت، وأنهى على زمن شقاء الإنسان جسدياً. إذاً، فسَبْتُنا المسيحي هو الموت مع المسيح حيث الراحة المسيحية الحقيقية من الخطية والجسد والموت: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم» (مت١١:٢٨). ولكن سبت المسيح انتهى بالقيامة والدخول إلى الراحة العليا، وفتح لنا الطريق إلى الأقداس العليا، وأنار لنا الحياة والخلود! وهكذا أصبح السبت في مضمونه الإلهي، ومنذ البدء في التدبير الإلهي، هو رمز الراحة المُعدّة للمؤمنين باسمه.

٤:٥ «وفي هذا أيضاً لن يدخُلوا راحَتي».

هنا إعادة تأكيد أنه بالرغم من حقيقة وجود هذه الراحة ودعوة الله الصريحة إليها، إلا أنه أخفق قوم عن بلوغها، وإخفاقهم هذا لن يُلغي بقاءها ودعوة الله إليها، بل يزكّيها لقوم يؤمنون، وينذر قوماً أُخر يخفقون.

هنا تبلغ المأساة ذروتها، فالله أعد الراحة وهيّأها، واشتاق لمن يشاركه فيها ليَنْعَم به وبها. ولكن: «طول النهار بَسَطتُ يدي إلى شعب مُعاند ومُقاوم» (رو١٠:٢١)، «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفلعلّ عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا» (رو٣:٣و٤)، «إذاً بقيت راحة لشعب الله»!!! (عب٤:٩)

٤ :٦و٧ **«فإذ بَقِيَ أن قوماً يدخلونها، والذين بُشِّروا أولاً لم يدخلوا لسبب العصيان، يُعيِّنُ أيضاً يوماً قائلاً في داودَ "اليوم" ــ بعد زمان هذا مقداره ــ كما قيلَ "اليوم" إن سَمِعْتُم صوتَه فلا تُقَسُّوا قلوبَكم».**

هنا يودّ ق. بولس أن يورد برهاناً آخر ــ غير موضوع السبت ــ على أن راحة كنعان ليست هي الراحة الإلهية المقصودة في قوله «لن يدخلوا راحتي»، حتى وإن كان ظاهرها أرض كنعان. لأن الشعب الذي دخل أرض كنعان وعاش مئات السنين، قام فيه أخيراً داود نبياً وهذا عاد الله ليكرر على لسانه نفس الوعد الذي قاله سابقاً للشعب الذي عصا وهلك ولم يدخل، حتى لا يقسُّوا قلوبهم فيُحرموا من **راحة الله** مع أنهم في أرض كنعان نفسها!! إذاً فوعد الله قائم كما هو بالراحة التي أخفق أن ينالها الجيل الأول وحتى الجيل الثاني الذي دخل وامتلك الأرض. ذلك لأن وعد الله بالراحة المُضمَر في قَسَمِه بأن لا يدخل هذا الجيل العاصي راحته، إنما هو وعد براحة سماوية وليست أرضية. لأن الذين دخلوا الأرض البهيَّة وأكلوا عسلها وشربوا لبنها ما ذاقوا راحة الله قط، بل والقديسون منهم والأتقياء لم يحققوا وعد الله بالراحة، كما تقول هذه الرسالة عينها: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان **لم ينالوا الموعد** إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل (من أرض كنعان) لكي لا يُكْمَلوا بدوننا» (عب١١: ٣٩)، «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون **وهم لم ينالوا المواعيد** بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيُّوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض.» (عب١١: ١٣)

هكذا يكون قصد بولس الرسول هنا، أن الراحة التي أعلن الله عنها في البرية أنه حجزها عن الجيل المتمرد الخارج من مصر ليست في الحقيقة راحة كنعان ولا هي راحة محدودة بالزمان، بل هي راحة ما بعد الزمان، راحة إسخاتولوجية أي أُخروية، راحة ينالها الذين أطاعوا الدعوة وآمنوا وساروا أيام غُرْبتهم بخوف أمامه، وكأنها هي محجوزة للمسيحيين الذين أكملوا العهد بواسطة المسيح الذي أكمل من أجلهم كل شيء وأخضَها الطاعة حتى الموت!!

٤ :٨ **«لأنه لو كان يشوعُ قد أراحهم لَمَا تكلَّم بعد ذلك (في داود) عن يوم آخَرَ».**

هنا لعب بالألفاظ، فنُطْقُ كلمة «يشوع» بالعبرية هو نُطق كلمة «يسوع»، وكأننا أمام مقارنة أخرى كالتي أوردها بين **موسى خادم البيت** ويسوع ابن على البيت وصاحبه. فهنا مقارنة مع **يشوع خادم موسى**. فالموازنة هنا تنخفض عن مستوى خادم وابن، إلى خادم الخادم والابن نفسه. يشوع هنا قائد عبورهم الأردن ومُقسِّم الأنصبة في الأرض البهيَّة، والمنوط به من قِبَلِ الله إراحة شعب إسرائيل في كنعان.

بولس الرسول هنا ينفي أن يكون يشوع قد أراحهم، ولكنه لم يورد الأسباب ولا الأعمال التي قام بها الشعب وحرمتهم أيضاً من وعد الراحة الأولى، بل أورد قولاً لداود الذي جاء بعد يشوع بمئات السنين، يذكر فيه الله على لسانه: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم كما في الإسخاط» (عب٣: ١٥)، وكأنه لا يزال «اليوم» الذي وعد الله فيه براحته، كما هو، قائماً والذي أخفق الشعب في الحصول عليه وعلى راحته. وبقي الوعد بالراحة ينتظر جيلاً لائقاً به، جيلاً يكون قد أكمل أعماله التي وضعها له الله ووضعه لها: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع **لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها**» (أف٢: ١٠). فبعد أن توزن هذه الأعمال ويكمل القصد منها، يدخل أصحابها ليعبروا من اليوم السادس إلى اليوم السابع، من خلقة عتيقة إلى خلقة جديدة، حيث لا شقاء عمل بل راحة الحب في الله. من هموم خليقة الأيام الستة إلى راحة السابع الأبدي، حيث لا شمس ولا قمر، لا صباح ولا مساء، حيث يهرب الحزن والكآبة والتنهد!

٤: ٩ **«إذاً بَقِيَت راحةٌ لشعبِ الله».**

هذا هو قصد الحوار كله ونهاية المطاف. ولكن ولشدة الأسف ضاع المعنى الفاخر والجليل بسبب عجز اللغة العربية هنا. فكلمة «الراحة» هنا تأتي باليونانية خلافاً لكل ما سبقها من كلمة «الراحة» التي جاءت κατάπαυσις. فهنا نجد الكاتب، وبمهارة فائقة، ينحت كلمة هي إلهية حقاً لتعبِّر عن الراحة السماوية، تلك هي سَبَّاتِزْموس σαββατισμός أي راحة سبتية، وهي منحوتة من كلمة «السبت» — بضم التصريف اليوناني على الاسم العبري(٢) — ولم يسبق له ولا لغيره أن ذكرها هكذا، ولا هو ذكرها بعد ذلك إلاَّ تأكيداً لها في الآية التالية، فقد حفظها لموضعها هنا ليعبِّر بها عن حياة الراحة العليا في سبت الله الأبدي بحذاقة منقطعة النظير. ولقد عُبِّر عن هذا السبت الواحد الوحيد في الطقس اليهودي بـ «السبت العظيم»، وذلك عندما يجيء الفصح في يوم السبت وذلك إمعاناً في تقييم السبت. فدون أن يدروا كانوا يتممون الطقس وهم يشيرون إلى ما بعد اليوم السادس للفصح الحقيقي، أي يوم موت الرب، لافتتاح عهد الخلاص الأبدي، الراحة العليا في مُلْك الله.

والعجب العجاب أنه كان هو هو السبت الذي تَلَى اليوم السادس يوم صلب المخلص: «لأن

2. Moffatt, *op. cit.*, p. 53.

يوم ذلك السبت كان عظيماً»!! (يو١٩: ٣١). هذا هو «السبَّاتزموس» في سفر العبرانيين، تعبيراً عن راحة الله الحقيقية التي افتتحها الرب بموته، ليُدخِلَ إليها كل المعيَّنين للحياة الأبدية مع الله. والكلمة لا تعني مجرد يوم السبت بل حياة السبت(٣).

وبهذا فهي (أي راحة الله الحقيقية) تردُّ على حياة الجهاد والعمل في شقاء هذا الدهر حينما تبلغ منتهى توترها ويسقط الجسد!! هو اليوم المعبِّر عن تحقيق استعلان سر الخلق بتكميل سر الفداء!!

«إذاً بقيت راحة لشعب الله»:

والآن وضح الحوار الطويل الذي أضنى فكرنا مع ق. بولس ومع الراحة والسبت. وكأنه يقول لك أيها القارىء العزيز: إن الحياة في سبت الله المعدّ منذ الأزل وقبل خلقة الأيام الستة، براحتها وفخرها ومجدها، هي لك، فهل تقبل؟! كما يقول سفر عزرا الرابع (الأبوكريفا) في تصوير إبداعي:

[الفردوس فُتح من أجلك، وازدهرت شجرة الحياة، والدهر الآتي قد صار، والشيء الكثير الكثير لك قد تهيأ، مدينة (لها الأساسات) وراحة قد أُعدّت.] (٤عزرا ٨: ٦٢)

ولعلها هي بذاتها متضمّنة بإحكام في القول المأثور والمشهور: «أكتب: طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن ... **لكي يستريحوا من أتعابهم** وأعمالهم تتبعهم.» (رؤ١٤: ١٣)

١٠:٤ «لأن الذي دخلَ راحته آستراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله».

واحدة هي خلقة المخلوقات الأُولى؛ وأخرى الخلقة الثانية للخليقة الجديدة. الأُولى من لا شيء لأنها من تراب الأرض؛ والثانية من روحه ومن لحمه وعظامه. تلك أعمال تصاوير وإبداع لصور وأقنعة؛ وهذه رفع الأقنعة وتجلِّي الحقائق والجواهر. الأُولى اضطلع بها الآب بواسطة الابن؛ والثانية اضطلع بها الابن من أجل الآب. بعد الأعمال الأُولى توقَّف الله عن الفعل الزمني خارج ذاته؛ وبدأ الفعل الذاتي واللازمني.

فكما دخل الله بعد الخلقة الأُولى إلى راحته الخاصة الذاتية؛ هكذا الابن بعد فداء الخلقة وأعمال تجديدها بخلقة ثانية من فوق، دخل بها إلى راحته أي مجده الذي له.

---

3. Westcott, *op. cit.*, p. 98.

السبت الأول كان السبت الزمني شكلاً، المنحصر بين الأيام والأسابيع للكف المظهري عن الحركة وللتوقف الانخداعي للزمن؛ والثاني هو السَّبَّاتِزْموس σαββατισμός السبت الذاتي الأبدي لله الآب مع الابن مع الخليقة الجديدة المفدية، الذي لا صباح له ولا مساء ولا شمس ولا قمر (رؤ٢١: ٢٣)، بل يحكمه نور الله ويمتد به نحو أعماقه!!

السبت الأول كان قناعاً تجسيدياً للراحة؛ والسبت الثاني رفع القناع وتجلّت الراحة الحقيقية. السبت الأول كناية عن تكميل وهمي للعمل الذي لا يكمل ولن يكمل إلاَّ بالسبت الثاني؛ أما السبت الثاني فهو الكمال الحقيقي لكل الأعمال حيث تتحتم الراحة لله مع خليقته المفتداة، كفاية ونهاية كل عمل!! التي يصوِّرها المسيح بحسب تصوُّرنا: «فقال له سيده نعمَّا أيها العبد **الصالح والأمين**، كنت أميناً في **القليل** (العمل) فأُقيمك على الكثير (ميراث المجد) **أدخل إلى فرح سيِّدك**» (مت٢٥: ٢١)، حيث يعبِّر المسيح هنا عن «راحة الله» بالفرح حسب تصوُّر الإنسان وخبرته. والفارق بين عمل الله وعمل الإنسان «كما الله من أعماله»، كالفارق بين طبيعة تشقى بالعمل الخَلْقي وطبيعة تُسعد الخليقة بعملها. فالعمل عند الإنسان شقاء، وراحته هي توقُّف عن الشقاء. أما العمل عند الله فهو سعادة، وراحته هي إسعاد المُسعَدين: «أدخل إلى فرح سيدك»، ويصوِّرها بولس الرسول بالنسبة للإنسان: «والغارس والساقي هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه.» (١كو٣: ٨)

ب ــ مسئولية دعوة الدخول إلى راحة الله خطيرة، والإنسان ليس حراً في قبولها أو رفضها (٤ :١١—١٣).

مقدمة:

الإنســان مخلوق ليعيش مع الله حياة سعيدة فيها راحة كاملة لكل كيانه، وقد أخذ هذه الحياة الطبيعية لكي ينتقل منها إلى الحياة فوق الطبيعية، ويرتقي فوق المادة، ويتحوّل الجسد المادي إلى جسد روحاني لائق بالحياة الأبدية. الإنسان لما فقد الحياة مع الله في الفردوس، خرج ليتلقّن درساً وتدريباً في كيف يحافظ على علاقته مع الله، فإن أتقنه رفعه الله إلى الإمكانيات فوق الطبيعية. فالخلقة بحد ذاتها، دعوة إلى الترقّي وهي تحملها في طيّاتها، ولكن الله أفرزها وأوضحها وأعلنها بحد ذاته، وبعد السقوط جعل دعوة الدخول إلى راحته مرة أخرى بمثابة عهد بينه وبين الإنسان، وقد كان يجدّد هذا العهد مراراً كلما ارتقى الإنسان، إلى أن بلغ عهداً جديداً بواسطة ابنه يقوم على الإيمان بالفداء الذي قدّمه عن الإنسان بدمه. فالثمن الذي بذله الله لدخول الإنسان راحته أخيراً ثمنٌ فادحٌ إلى أقصى حدود التصوُّر، إذ رفع الابن كل عوائق الطريق إلى دخوله راحة الله في السماء فلم يَعُدْ للإنسان أيُّ عذر أو أية حجة لأيِّ تعوُّق أو إخفاق يمنعه عن دخول راحة الله أي ملكوته الأبدي. فأصبح الإنسان ليس حراً في قبول أو رفض دعوة الدخول بالإيمان بيسوع المسيح ابن الله، لأن ثلاثة عوامل تتحكّم في التزامه بقبول الدعوة والاجتهاد في تكميلها:

العامل الأول:

كائن في صميم طبيعته التي تنزع نحو السماء وتحمل عناصر التفوّق فوق الطبيعة، وتكشفها كثرة المواهب التي تفوق الطبيعة.

العامل الثاني:

فداحة الثمن المدفوع لإعطاء الإنسان لياقة كاملة تؤهله للدخول إلى راحة الله أي ملكوته، دون النظر إلى أي ضعف أو تخلُّف أو نقص أو خطية. فإن دم المسيح المسفوك من أجل حياة الإنسان هو يقدّسه ويطهّره ويبرِّره وهو كافٍ لكل العالم.

العامل الثالث:

إرسال الله روحه القدوس، ليكون مرشداً ومؤازراً وناصحاً ومعلماً وقائداً في الطريق حتى بلوغ منتهى قصد الله، وذلك من داخل الإنسان ومن خارجه أيضاً.

وهكذا فإن الله من جهته وضع كل الضمانات والإمكانيات لدخول كل إنسان إلى راحته العليا، ليكون شريكاً في راحة الله ينعم بها ويشكر: «لأنه هكذا يُقدَّم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي.» (٢بط ١ : ١١)

٤ : ١١ «فلنجتهدْ أن ندخلَ تلك الراحةَ لئلا يسقُط أحدٌ في عِبْرَةِ العصيانِ هذه عينِها».

[الإيمان عظيم وقادر أن يمنح الخلاص، وبدون الإيمان فلا يمكن أبداً الخلاص!

ولكن الإيمان — من نفسه — لا يكفي أن يجلب الخلاص، بل هناك حاجة إلى «سيرة صالحة»(٤). فالإيمان لا يكفي، ينبغي أن تضاف الحياة إلى الإيمان، واجتهادنا يلزم أن يكون كبيراً لأنه بالحقيقة يوجد حاجة إلى مزيد من هذا الاجتهاد أيضاً لكي نرتفع إلى علو السماء!!

لأنه إن كان الذين كابدوا مثل هذا الإخفاق والحزن في البرية لم يُحسبوا أهلاً للدخول إلى أرض الموعد ولم يستطيعوا أن يحصلوا عليها لأنهم تذمّروا وزلوا، فكيف نُحسب نحن أهلاً للسماء إن عشنا بالإهمال واللامبالاة؟

إذاً، فنحن في حاجة إلى اجتهاد كثير.](٥) ذهبي الفم

هنا يضع بولس الرسول المسيحيين في مقابل الذين سقطوا في عبرة العصيان لندرك كيف ننجو، لأنه «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢ : ٣)، قد وُضع وأُعلن لاقتيادنا إلى راحة الله العليا. أما كيف ننجو من عبرة العصيان هذه فقد حصرها بولس الرسول في الاجتهاد.

«فلنجتهد»: σπουδάσωμεν οὖν

الكلمة خصبة المعاني فهي تشمل التعجُّل، والاهتمام البالغ والنشاط والغيرة، وهي تخصّ ذوي الوقار والأخلاق والغيرة والعزيمة. نعم لأن الجائزة فاخرة القدر والهلاك مرعب!!

فالاجتهاد هنا متوتّر أقصى التوتُّر، إذ يتضمن الأمل والخوف معاً، الرجاء والحذر، عينٌ إلى الأمام وعينٌ إلى خلف. انجذاب لذيذ إلى ما هو قدام وفزع مريع لما يترصّدنا من خلف. فأمامنا راحة الله والله فاتح ذراعيه يستقبل الفائزين في معركة الموت والحياة، ومن خلفنا مَنْ استنفر كل

4. 'right conversation'.

5. Chrysostom, *op. cit.*, p. 398.

قدراته ليجذبنا إلى خلف وقد أنشب أظافره في الهواء لعله يطالنا في موضع!! لذلك فالتقدُّم إلى الأمام يدفعه الفزع من الخلف، وهذا بحد ذاته يزيد من كفاءة الاجتهاد. فعبرة عصيان الذين ابتُلوا بهلاك مريع مثل هذا، جزاءً وفاقاً لإهمالهم لصوت الله وتمرُّدهم، مع منظر جثثهم تتساقط على وجه الصحراء على أصوات العويل، هي أخطر من تحذير. ثم أصوات التشجيع الآتية من فوق من الذين فازوا بالنجاة وصاروا كسحابة شهود، تستحثنا للمجاهدة. أولئك يعطوننا «المعنى العملي لعدم الإيمان» مصوَّراً ومنفَّذاً في هلاك مؤلم وحرمان مقيم، وهؤلاء يعطوننا صورة مُظفرة لمعنى النصرة في الاجتهاد والراحة في بيت الله السماوي: «وهم غلبوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم.» (رؤ١٢: ١١)

لذلك فكلمة «اجتهدوا» توجه الفكر للتمعُّن فيما سلف من إخفاق، وفيما وُعِد به لنا من راحة. لأننا نتعامل هنا مع الله الذي يعرف خفيَّات القلوب ويزن مسيرتنا على ميزان الإنجيل. فهل يخفى على الله نيَّات القلوب؟ أو يغترُّ ــ كإنسان ــ باجتهاد كاذب؟

عزيزي القارىء، إن كان حسب قول الرب: «أقول لكم إن كل **كلمة بطالة**(٦) يتكلَّم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت١٢: ٣٦)، فماذا تكون كل السيرة وكل المسيرة إزاء **كلمة الله الفاحصة**: «وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتم بها.» (١بط١: ٢٥)

١٢:٤ «لأن كلمةَ الله حيَّةٌ وفعَّالةٌ وأمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين وخارقةٌ إلى مَفْرَقِ النفسِ والروحِ والمفاصلِ والمخاخِ ومُميِّزةٌ أفكارَ القلبِ ونيّاتِه».

وضح هنا أهمية **«الاجتهاد»**، فالأمر يتعلَّق أولاً بهيبة كلمة الله الذي دعا، وثانياً بخطورة الدعوة لأنها حياتنا!!

وهنا يبدأ بولس الرسول في تنبيهنا من جهة التعامل مع كلمة الله: وهنا قوام التحذير في التعامل مع الله كونه يدرك أعماق الإنسان وخفيات النفوس والقلوب والضمائر والنيات. فأي إنسان غير مكشوف لدى الله وأي مكان في كياننا يخفى عليه؟ إذاً يستحيل على الإنسان أن يتظاهر بالطاعة وهو يضمر التشرد، أو يتنكَّب (يحيد) عن طريق الخضوع ويدَّعي التقوى، أو يسلك في

(٦) أثبت العلم الحديث أن الكلام الذي نتكلم به في الهواء لا يفنى ويمكن استرجاعه من موجات الأثير، وإن لم يستطيعوا بعد تنفيذ ذلك.

اللامبالاة ويظن أنه بمنأى عن الكارثة، أو يعتاد التذمُّر والشكوى من نصيبه في معاملات الله وينتظر حُسْن المجازاة، أو يستنكف قراءة الإنجيل أو حتى سماعه ويعتقد أنه ينجو من يد صاحبه، أو لا يكُفُّ عن المطالبة بالحقوق وهو يزدري بالواجبات، أو يصم أذنيه عن تحذيرات الله ويثق أنه سيعبر دون انكسار.

وهنا يضعنا ق. بولس في مواجهة «كلمة الله» التي يقصد بها كل ما وعد به الله في القديم أو في الجديد بالأنبياء أو في ابنه، مع وصاياه التي قالها ليردِّد الدهر صداها، والتي وإن تزعزعت السماء والأرض فهي ثابتة ثبوت الله، تبقى ولا تزول، تطالب بما أُرسِلَتْ من أجله، تسري وتحيا في وسط السنين لا تكلُّ ولا تعيا ولا ترتد فارغة.

إذاً، عبثاً نطلب الراحة العليا دون موافقة مع «الكلمة» وصداقة، بل حب وألفة واتحاد، وقلب يشتعل بحرارتها، وفكر يهذُّ في مجالها، وضمير يستضيء بنورها، وحفظ وتلاوة، وتأمل وعشق وافتخار. كان حلول مجد الله وسط شعبه، والشعب جالس في أطراف الجبل يأكل ويشرب في حضرته صورة مبدعة لألفة الله مع الإنسان وتعبيراً عن حب وصداقة، وما كان في القديم مع شخص الله صار لنا الآن مع «كلمته». كان رمز علاقة الله مع شعبه في القديم «خيمة الاجتماع» حيث كان ينزل ويجتمع مع شعبه، أما رمز هذه العلاقة بل واقعها الحي الآن فهو «**الكلمة**»، **الإنجيل!!** هكذا «الكلمة» في الإنجيل تجمعنا، وبالله تسعدنا.

فحينما نحيا مع الكلمة ونتذوَّقها، نعيش مع الله والله معنا، ويتم القول: «إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣)، «أتعشى معه وهو معي» (رؤ٣: ٢٠)، القديم بجلاله والجديد بأمجاده، «أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)

«لأن كلمة الله حية»: ζῶν γὰρ ὁ λόγος

خمس صفات يقدمها القديس بولس لـ «كلمة الله» في هذه الآية:

حية = ζῶν ، فعَّالة = ἐνεργής ، حادَّة (ماضية) = τομώτερος ، وخارقة = διϊκνούμενος ، ومميِّزة = κριτικός

كلمة الله حيَّة، ليس بمعنى أنها باقية إلى الأبد فقط، ولكن أيضاً لأن لها في نطقها المسموع أو المكتوب قوة الحياة فهي حية وتُحيي: «الحق الحق أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد **انتقل من الموت إلى الحياة**» (يو٥: ٢٤).

فمن جهة الأحياء في وضعهم كأموات بالخطية، فإنهم إن سمعوا كلمة الله واستقرت الكلمة في عمق كيانهم فإنها تقيمهم من موت الخطية إلى الحياة مع الله: «الحق الحق أقول لكم تأتي ساعة **وهي الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوه: ٢٥). كذلك وبنفس القوة، فإن كلمة الله إن سمعها الأموات في القبور يقومون: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.» (يوه: ٢٨و٢٩)

هذه هي كلمة الله وهذه هي إيجابيتها المطلقة تجاه المائتين في ذنوبهم أو المائتين في قبورهم، وبالأكثر جداً الأحياء الذين يعشقون الحياة إذ تكون كلمة الله حياةً لهم فوق حياةٍ واستعلاناً لأعماق الله! وبغيرها لا يبقى للحياة معنى!!

ولكن كم نجزع أمام قوة إيجابية الحياة في كلمة الله حينما نواجه فعلها السالبي في الذين يرفضون هذه الكلمة الحية المحيية!؟ فهم كمن يطلبون الموت ويتعاهدون مع الهاوية. لأن الذي يرفض الحياة في جوهر قوتها ماذا ينتظر إلاَّ الموت في أبأس أشكاله؟

من هنا جاء للكلمة بعد ذلك التشبيه بصفة السيف بأنها تفرِّق، نعم تفرِّق بين طالبي الحياة وطالبي الموت، لهؤلاء تعطيهم سرَّها وجوهرها ولأُولئك تحجز عنهم قوتها فلا يكون لهم حياة. وهذه هي كلمة الله ذلك السيف المفرِّق: «قد جعلتُ قدامَك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩). قوة الحياة التي في «الكلمة» تنجذب بشدَّة نحو محبِّي الحياة والعاشقين لمعطيها، تتحسس فيهم صدقهم وتتأثر بدموعهم، تمنحهم دفئها وتطرح عليهم قوتها: «أفغِر فاك فأملأهُ» (مز٨١: ١٠)، «فتحتُ فمي واجتذبتُ لي روحاً.» (مز١١٩: ١٣١ حسب السبعينية)

إن بين كلمة الله ومحبِّي الحياة عهداً، وهما دائماً على ميعاد. وعندما يبلغ العشق مداه تصير كلمة الحياة فيهم هي بعينها مصدر الحياة لأنها تمنحهم قوَّتها. وكلمة الحياة، الحياة فيها ليست كامنةً أو مستورةً بل مُعلَنة، ومعلَنة بقوة تأسر القلوب وتبهر العقول وتفتح الوعي وترفع الروح وتجدِّد الحياة، وقلَّ مَنْ انفتح لقوَّتها واستطاع أن يفلت من أسرها. ولكن نعود لهؤلاء العبرانيين الذين استطاعوا أن يفلتوا من أسرها، أو كادوا، فصاروا في قلق وهمٍّ مقيم! كيف؟ هي الخطية وهي قسوة القلب!! فالخطية عدوَّة الحياة، وقسوة القلب عهد مع الموت.

«كلمة الله فعَّالة»: ἐνεργής

الفاعلية بالنسبة للكلمة ليست من أصل كلمة «الفعل» بل من «النشاط»(٧). فإذا وُصِفت بها الأرض فإنها تعني أرضاً مثمرة ومُنتجة، وإذا وُصِف بها الجندي تعني أنه لائق للخدمة ومؤثر، ومن هذا نستطيع أن نكوِّن معرفة صحيحة لمعنى ἐνεργής، فهو اتساع مجال نشاط الكلمة وتأثيرها في محيط الإنسان لا من جهة الفكر فحسب حيث تستطيع أن تؤثِّر فيه وتغيِّره: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، وهذا طبعاً بالكلمة أي الإنجيل؛ ولكن مجال فعاليّة الكلمة يمتد ليشمل الأخلاق والسلوك. «فكلمة الله» قادرة أن تتغلغل طبيعة الإنسان وتكشف له أعماق واتساع سلوكه، وتضع إصبعها على الرديء منه والمخالف بقوة جبارة أشد عنفاً من أي وسيلة أخرى في العالم، حتى يصير الإنسان وكأن حياته الداخلية ومَنَاقصه مفضوحة أمامه وعريانة فيرتعب منها، وكأنها صارت مفضوحة هكذا للناس، ذلك مهما كان عُتوُّ الإنسان وقدرته على كتمان مناقصه: «وسمع منه عن الإيمان بالمسيح وبينما كان يتكلّم عن البر والتعفُّف والدينونة العتيدة أن تكون ارتعب **فيلكس** وأجاب: أما الآن فاذهب ومتى حصلتُ على وقت أستدعيك.» (أع ٢٤: ٢٤و٢٥)

هكذا تصطدم «كلمة الله» بالحواجز الحديدية التي يضعها الإنسان ليتقوقع فيها بعيداً جداً عن أعين الناس وملاحظاتهم، فتحطمها الكلمة وتواجه المخازي بوجه معبّس، وإصبع ممدودة أمام العين، وكأنها تقول: أنت هو الرجل، فتهتز أسس النفس وتتداعى أمام الكلمة. كل هذا يحدث لنا وأمام أعيننا، ولا نعرف كيف نفذت «الكلمة» إلى أعماق الأعماق المخفيّة؟ وأيّ طريق سَلَكت؟ وبأية قوة وسلطان زعزعت أسس النفس وفضحت أسرارها أمام الذات.

والأكثر فعاليّة هو أن الكلمة بالنهاية وبعد أن تفضح الأعماق المخفيّة، تقود النفس أسيرة لجلالها وسلطانها مستسلمة لها بلا قيود! ماذا صنعت الكلمة بالنفس وبأية قوة قادتها أمامها؟ هذا هو عجب كلمة الله وفعاليّتها.

وأغلب ظني أنها تنتشر بسرعة البرق داخل كيان الإنسان كله فكراً ونفساً وضميراً وتحيط به إحاطة لا يقوى على الانفلات منها، فكلمة الله كما يقول كثير من الآباء في شرحهم لهذا الموضع(٨) **مشخَّصة هي**، لها ما للشخص من القدرات والإمكانيات ولكن على مستوى ما لله.

7. Liddell and Scott, *op. cit.*, *s. v.*

8. Eusebius, Athanas., Isidore, Theophylact, Primasius; cited by Westcott, p. 101.

فهي حينما تفعل، تفعل في جميع الاتجاهات، وهكذا تحاصر النفس حتى تقع في يدها راضية مستسلمة.

«كلمة الله أمضى من كل سيف»: τομώτερος ὑπέρ

لا يتوقف ق. بولس عند حدّة السيف ومَضَائه في وصف حدّة كلمة الله، بل يقول إنها أكثر مَضَاءً، فهي أحدُّ من سيف ذي حدين!! ليس عبثاً يبالغ بولس في وصف قدرة الكلمة بهذا الإمعان في المضاء. فالسيف حاد والسيف ذو الحدين أكثر حديَّة ومَضَاءً ولكن الكلمة أكثر مضاءً من السيف ذي الحدين، لأن السيف له حدود ونهاية يقف أمامها عاجزاً إن كان الحاجز قاسياً صلباً، أما كلمة الله فلا تقف أمامها قساوة حاجز! فكل القساوات في المواد وأكثرها قساوة هو الماس، فحينما تقاس قساوة القلب بها يُقال: إنه أقسى من الماس!! هذا القلب القاسي إذا اصطدم بكلمة الله انحلَّت أوصاله. والسؤال الآن: كيف تنفذ الكلمة خلال القساوة وتذيبها ذوباناً؟ كيف يتداعى أمامها القلب دون أن تلمسه، ما هذا؟ إنها الطبيعة الغلاَّبة والجوهر الإلهي الفائق على كل الطبائع والجواهر.

«كلمة الله خارقة»: διϊκνούμενος

كون الكلمة أكثر مَضَاءً من كل طبيعة كانت، هذا أعطاها خاصية الاختراق لكل ما دقَّ ورقَّ وخفي.

«خارقة إلى مفرق النفس والروح»: μερισμοῦ ψυχῆς τε καὶ πνεύματος

هنا ما أخفي سرُّه عن الإنسان حتى الآن، وهو الصلة بين النفس والروح، أين يفترقان وكيف يلتحمان، هذا تغشاه كلمة الله وتقف بينهما، تُلقي بنورها على كليهما، تفصلهما للتطهير وتوصلهما بالتقديس، وهذا لا يدركه فكر، فهو فعل فائق للطبيعة لحساب الخلود.

فانظر كيف اقتحمت كلمة الله مجاهل التكوين البشري لتعبُر خلال أدقِّ وأرقِّ ما يملك، تفصل وتوصل، تطهِّر وتقدِّس، والإنسان مُمْتثِل للكلمة لأنه يعلم أنها تُصلحُ ما فسد، ولكن لا يعلم كيف انصلح وكيف زال ما فسد.

إنها الطبيعة الإلهية المتفوقة للكلمة، تعمل عملها الفائق لترفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها تمهيداً لدخولها الراحة العليا. فيا لسعادة من ينصاع لمضائها واختراقها، ويا لشقاء مَنْ انصدَّ عنها وصدَّ فعلها، فبات مقهوراً لطبيعته غائصاً في نقائصه.

«والمفاصل والمخَاخ»: ἁρμῶν τε καὶ μυελῶν

هنا الترجمة يجب أن تكون «والمفاصل مع المخاخ» بسبب حرف τε الذي يترجم «كلاهما»، وقد سقط في العربية فهي على مستوى يفرِّق «النفس والروح معاً». والمعنى يكون «ومفرِّق المفاصل والمخاخ معاً»، لأن العظام تنفصل تماماً عند المفاصل فكيف تتصل المخاخ العظمية بعضها ببعض؟ والمعنى العام لا ينحصر في هذه الأحجية، ولكنه يرتفع إلى مفهوم ما ظهر وما خفي في الإنسان، فالعظام تمثِّل ما ظهر، والمخَاخ داخل العظام تمثل ما خفي. هنا سر الإنسان الذي أنهك علماء الطب والنفس، وهو علاقة الظاهر في سلوك الإنسان بما استُبْطِن فيه فاختفى، اختفى عن إدراك الإنسان وعن إدراك الذين يفحصون علل الإنسان وسلوكياته، فما من علّة ظاهرة إلاَّ وتكمن أسبابها في أعماق خفيَّات الإنسان، فيما يسميه علم النفس بالعقل الباطن أو اللاشعور، والذي يسميه ق. بولس «الإنسان الخفي». وما من موهبة طبيعية تظهر في الإنسان إلاَّ وتكمن أسبابها بعيداً عن المنظور منه، فيما يقولونه بالجينات المتوارثة من الأجداد. فهذه الخفيَّات وهذه الظاهرات تجوس خلالها كلمة الله تصحِّح وتعدِّل، وتُزيد وتُنقص، بل وتخلق وتبتر، لتعدل سلوك الإنسان وتضحِّ أخلاقياته وصفاته ويتجدَّد ذهنه بل ويتغيَّر شكله: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، والكلمة هي الوسيلة المثلى!!

«ومميزة أفكار القلب ونياته»:

الإنسان لأنه مخلوق عاقل، فهو مكشوف أمام «كلمة الله» أشد الانكشاف. فهنا الكلمة، وهي العنصر الإلهي العقلي، تقف أمام المخلوق العاقل وما يُضمره عقلياً سواء بفكره أو ضميره، وهذان يقعان في المضمون الأخلاقي ويهيمنان على الأخلاق والسلوك. وماذا ننتظر من العنصر العقلي الإلهي إن هو أشرف على العنصر العقلي للإنسان وميوله العاطفية؟ هنا الاختصاص واضح وفاضح بمقدار علوّ العنصر العقلي الإلهي في الكلمة على العنصر العقلي في الإنسان وهو خاضع للميول الجسدية ومُستهدَف لتجارب الشيطان، الذي هو أيضاً عنصر عقلي ساقط ولكن شُهد له بالخداع والمكر والغواية.

كلمة الله هنا لها نفاذية السيف في عزل ما هو غير متوافق مع قداسة الله في ما يضمره القلب وهو القاعدة الأساسية لكل العواطف والمشاعر والميول وما يضمره الفكر من انحراف عن الحق.

كلمة الله هنا في موضع الديَّان تماماً، كما نص عليها قول المسيح: «مَنْ رذلني **ولم يقبل كلامي** فله مَنْ يدينه. الكلام الذي تكلَّمتُ به هو يدينه في اليوم الأخير.» (يو١٢: ٤٨)

هنا كلمة الله تأخذ سلطان الديان الذي يكشف آراء القلوب ويزن نيَّات الضمائر، وكلمة

«التمييز» التي استخدمها ق. بولس في هذه الآية: «مميِّزة أفكار القلب ونياته» = κριτικός توضِّح القدرة الفائقة للكلمة للفصل بين أفكار القلب ونيّاته كقوتها في النفاذ وخرق الحد بين النفس والروح. فكما أن علاقة النفس بالروح جدُّ دقيقة ورقيقة وتكاد تختفي عن التمييز والتفريق وكثيرون أخفقوا في التمييز بينهما، كذلك هنا فأفكار القلب شديدة الصلة بالنيّات لأن الأفكار ἐνθυμήσεων وبيتُها العقل، والنيّات ἐννοιῶν وبيتُها الضمير هما معاً على قاعدة واحدة وهي القلب. والفرق بينهما هو كالفرق بين «الخاطر» الذي يخطر على القلب «والدافع المحرِّك»، وهو فرق يستحيل تحليله أو توضيحه. ولكن الكلمة، كلمة الله وحدها، تفرِّق بين هذا وذاك وتبني دينونتها على هذا الفارق، وإذ بنا نصطدم مرة واحدة بهذه الدينونة ترنُّ في قلوبنا بعد أن ينفتح الوعي من جراء فعل «الكلمة» الذي ينفذ هكذا إلى الأعماق وينير ما كان مخفياً عن الإدراك، فيكتشف الإنسان نفسه وهو متلبِّس بالتعدِّي، إذ يتضح أن الخاطر مجرد الخاطر انتقل إلى الدافع المحرِّك، فيُضبط القلب وهو يملي نية التنفيذ!! «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه»؟ (مت٥:٢٨) هنا في هذه الآية أوضح مثل لانتقال الخاطر الذي مرَّ بالفكر مروراً من جراء النظر، إلى الدافع المحرِّك الذي أفرزته كلمة الله وحاصرته وأبرزته خارج القلب وألقته في وجه الإنسان كمتعدٍّ!!

الآن يمكننا أن ندرك أهمية وخطورة عمل كلمة الله في توسيع مداركنا ثم في فرز مناقصنا وعيوبنا وتعدِّياتنا الخفيَّة التي تكون قد تاهت بالفعل من محيط تصوُّرنا. فسماعنا لكلمة الله هو بمثابة مَنْ يُحضرنا أمام الديَّان لندرك مدى بُعدنا عنه ومستوى تعدياتنا. فماذا أيها القارىء العزيز، إن صمَّمنا آذاننا عن سماع كلمة الله؟ ألا تبيت تعدِّياتنا في قلوبنا وتداهمنا الدينونة ونحن عنها لاهون؟ هذا هو تنبيه بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين ــ بل لنا ــ الذين أهملوا كلمة الله فصارت حالهم إلى ما صارت إليه من خطية ومن زعزعة الإيمان وقلق وارتداد عن الله الحي أو يكاد!

١٣:٤ «وليست خليقةٌ غير ظاهرةٍ قدَّامه بل كلُّ شيءٍ عُريانٌ ومكشوف لعينَيْ ذلك الذي معه أمْرُنا».

ق. بولس يتدرَّج في إظهار قدرة الكلمة على التشريح والفحص، من النفس إلى الروح إلى العقل إلى الضمير، ثم يرتفع بعد ذلك ليوضِّح أن هذه القدرة عينها هي عاملة وفعَّالة في كل الخليقة حتى أعلى مستوياتها، لأن الذي خلق بالكلمة، بالكلمة يفحص دقائق محتويات المخلوق فحصاً لكشف وإبراز الأخطاء والعيوب، لأنه خالق وديَّان «بالكلمة». وهو بهذا الفحص والتمييز

والتفريق، يصفّي خليقته من الشوائب لتبقى دائماً قائمة في حدود خِلْقتها. وليس الإنسان وحسب، بل وكل خليقة، هي من خلال «الكلمة» مكشوفة دائماً ولا يخفى منها شيء عن عينيه، لأن الخليقة قامت بالكلمة ولا تزال بالكلمة قائمة: «وفيه يقوم الكل.» (كو١: ١٧)

وقصد ق. بولس أن يبرز قدرة «الكلمة» في الكشف، وسموّها الذي يفوق في ذلك محيط الإنسان ليشمل كل خليقة كانت، هذا لكي نقتنع أننا تحت مَرْمى بصره ولا يمكن أن نضمر في أنفسنا شيئاً لا يعرفه ويقيسه ويحكم عليه.

«بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا»:

عريان = γυμνά

ومكشوف = τετραχηλισμένα

هذان المصدران «عريان» و«مكشوف» استهدفا لشرح كثير من أجل الوصول إلى المقصود منهما. ويبدو من كل ما أورده المفسّرون أن الأمر هنا تشبيهي بالذبيحة التي تُعرّى أولاً من جلدها ثم تُكشف محتوياتها على مستوى الفحص والاختبار.

والقصد البعيد من ذلك أن المسيحي هو في الواقع الليتورجي ذبيحة، كونه يقدّم نفسه لله في الخضوع الكلي للفحص والحكم: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مَرْضِيَّة عند الله، عبادتكم العقلية» (رو١٢: ١). فكما أن الذبيحة تُعرّى وتُكشف لتُفحص ثم تُقدَّم لله، هكذا نحن في المفهوم الليتورجي الإيماني نحسب أنفسنا ذبائح حقيقية. فسواء رضينا أو لم نَرْضَ، فإن كل شيء فينا يتحتّم أن يتعرّى ويُكشف أمام عين الله الديّان الذي له الكلمة الأخيرة، فهي حتماً دينونة، ولكن إما أن تكون إلى جانبنا: «فلا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو٨: ١)، بمعنى أن نجوز الفحص ونعبر، إذ يكون علينا ختم الدم الإلهي؛ وإما للحزن والعار حيث تفرز الكلمة ما يتعارض فينا مع صلاحها. وقصد القديس بولس أن يُنذر هؤلاء العبرانيين، ونحن معهم، أن «كلمة الله» التي هي لنا الآن للتوعية والتعليم والتوبة هي هي ذاتها التي سنقف أمامها عرايا مكشوفي الأفكار والضمائر: «ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى **وعريان**، أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفّىً بالنار (الإيمان القويم) لكي تستغني، وثياباً بيضاً (برّ المسيح) لكي تلبس، فلا يظهر خزي عُريتك.» (رؤ٣: ١٧و١٨)

ختام الأصحاح الرابع

الانتقال إلى موضوع الدفاع الثالث

تقديم لعقيدة المسيح كرئيس كهنة

[٤: ١٤-١٦]

يقدِّم القديس يوحنا ذهبي الفم الآية (١٤) تقديماً جيداً مبيِّنا ارتباطها بما يسبقها إذ يقول ما يُفهم منه: إنه بينما موسى كقائد خلاص الشعب القديم تعثَّر في الله وعوقب بأن لا يدخل أرض الراحة كنعان، بالإضافة إلى أنه اشتكى مرة شعب إسرائيل إلى الله، نجد أن المسيح يقود خلاصنا كرئيس كهنة استطاع أن يدخل السماء ذاتها ليفتتح راحة الله العليا، وليتراءى أمام الله أبيه لا ليشتكي، بل دخل كسابقٍ **من أجلنا**، فوجد لنا فداءً أبدياً.

فبعد ما علّق على قول ق. بولس في الآية (١٣) يقول ذهبي الفم:

[لأن موسى لم يدخل راحته؛ بينما المسيح دخل بالفعل ... لا لكي يقدِّم اتهامات ضد الإنسان ... إلاَّ أنهم (اليهود) هم الذين قدَّموا عليه هو هذه الاتهامات قائلين: هذا الإنسان يتكلَّم ضد موسى وضد الناموس (أع٢١: ٢١و٢٨).][٩]

وفي هذه الآيات افتتح بولس الرسول موضوعه الأساسي في هذه الرسالة، وهو تقديمه يسوع المسيح ابن الله باعتباره رئيس كهنة الله، واستمر في هذا الموضوع حتى الآية (١٨) من الأصحاح العاشر.

وفي اختصار شديد يتركَّز في هذه الآيات الثلاث ١٤و١٥و١٦ عمل المسيح كرئيس كهنة، إنه مصدر صلة لنا بالله فائقة القوة، فهو ضَمَنَ لنا الدخول إلى راحة الله التي وعد بها. وفي الوقت نفسه، فلأنه أخذ ما للإخوة من اللحم والدم (عب٢: ١٤)، فقد أصبح رئيس كهنة له عواطف كعواطفنا، وبها استطاع أن يرثي لضعفاتنا ويقدِّمنا إلى الله أبيه هكذا، فنقترب إلى الله الذي هو

9. Chrysostom, *op. cit.*, p. 399.

له كابن (ابن الله) كما هو لنا (ابن الإنسان). بمعنى أنه إن كان قد صار ابناً لنا فهو أصلاً ابنٌ لله، وهكذا استحدث لنا صلة بالله فائقة القُربى فائقة الصلة فائقة العطف. وطبعاً معروف أصلاً أن وظيفة رئيس الكهنة هي التكفير عن الخطايا، كذلك معروف بالتأكيد أن المسيح كفَّر عن خطايانا: «وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت٢٦: ٢٧و٢٨). لهذا فإن وظيفة رئيس كهنة بالنسبة للمسيح ليست هي تحصيل حاصل بل هي أساساً في صميم لزومية أو حتمية التجسُّد. لأنه لمَّا صمَّم الله أن يعفو عن خطايا الإنسان، لزم بحسب سابق تدبير الله أن يكفِّر عنها، والذي يُناط به التكفير عن خطايا الإنسان كافة يلزم بحسب التدبير السابق أن يكون «رئيس كهنة من وسط الشعب»، وهكذا تحتَّم التجسُّد. فالتجسُّد تمَّ ليتمَّ التكفير. وهذا يبرزه بولس الرسول في هذه الرسالة بوضوح شديد مستعيناً بنص النبوة: «لذلك عند دخوله (الابن) إلى العالم (التجسُّد) يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأت لي جسداً» (عب١٠: ٥). أي أن الجسد الذي دبَّره الله لابنه بالتجسُّد هو بديل لكل الذبائح والقرابين. فالمسيح تجسَّد ليكون رئيس كهنة، وهو تعيَّن لكي يكون رئيس كهنة ليكفِّر عن خطايا الشعب.

٤: ١٤ «فإذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السَّمواتِ يسوعُ ابنُ الله، فلنتمسَّك بالإقرارِ».

«فإذ»: οὖν

هنا تعقيب في محله، يبني فكرة جديدة على أفكار سابقة، فما هي؟

أولاً: هو يعقِّب على ما توقَّف عنده في الأصحاح الثاني الآية (١٧) عندما قال: «مِنْ ثَمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب» (عب٢: ١٧)، وهذا بدوره كان تعقيباً على قوله: إنه لم يأتِ من أجل الملائكة بل جاء من أجل تكميل وعد الله لإبراهيم من جهة نسله والأمم أيضاً. لذلك أخذ جسداً مثل إخوته من لحم ودم: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويُعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب٢: ١٤و١٥). وهكذا يستطرد هنا في الآية التي نحن بصددها قائلاً: «فإذ لنا رئيس كهنة ...».

ثانياً: يبرز هنا شخصية رئيس الكهنة العظيم بهذا المقدار لكي يسند قلوب هؤلاء العبرانيين المتزعزعين في إيمانهم بالمسيح، والذين زاغت أبصارهم نحو موسى ورؤساء الكهنة والكفَّارة إلى آخره ...

كما يستطرد في شرح وظيفة المسيح وكيفية دخوله السماء وجلوسه عن يمين الله، ليؤمّن لهم إيمانهم بالمسيح أنهم محفوظون من السقوط الذي داهم آباءهم في البرية، إذ لهم في المسيح شفيع دائم في السموات. وهكذا يَبْرُز المسيح كوسيط يُعتمد عليه قائم دائم في السماء، قادر أن يخلّص إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله.

«لنا رئيس كهنة عظيم» : ἀρχιερέα μέγαν

ولماذا عظيم μέγαν ؟ هذه الصفة لم تُمنح ــ عادة ــ لرؤساء كهنة الطقس اليهودي لأنهم كلهم سواسية ورئيس الكهنة هي رتبة الترئّس على الكهنة وحسب. مثل الأساقفة ورئيس الأساقفة، فإذ لا يوجد رؤساء أساقفة بالجمع، لذلك تحتّم أن لا يكون هناك رئيس أساقفة عظيم(١٠) (إلاّ المسيح بكل تأكيد). ولكن المسيح هو عظيم، عظيم بين رؤساء الكهنة بنوع ممتاز لأنه لا يتبع الطقس الهاروني (أي التدرّج الهيرارشي ــ الرئاسي)، ولم يأخذ هذه الوظيفة من إنسان بل من الله وبقَسَم منه. ويلزم أن نلاحظ أن صفة «العظيم» تأتي أيضاً للمسيح في هذا السفر خلواً من لقب رئيس كهنة مثل: «**راعي الخراف العظيم** τὸν μέγαν » (عب١٣ : ٢٠)، فالعظيم صفة خاصة به، كما تأتي بالنسبة للراعي كذلك بالنسبة لرئيس الكهنة.

وهذا السبب يكمّله بولس الرسول بقوله: «قد اجتاز السموات». فرؤساء الكهنة كان عليهم أن يجتازوا الحجاب المادي ــ الستارة التي تحجب قدس الأقداس مكان حلول الله عن القدس مكان تواجد الكهنة. أما المسيح فلم يَجْتز حجاباً مادياً، بل السموات وسماء السموات العُلا، ليدخل إلى قدس أقداس السماء حيث عرش الله. والذي أهّله إلى هذه العظمة الرئاسية حقاً هي ذبيحته، فهي ليست من الحيوانات بل ذبيحة نفسه «كابن الله»، فعظمته منبثقة من كفاءته، وكفاءته تستندها ذبيحة حبه الفائقة القداسة بجسده الفائق القداسة وبُنوّته لله الوحيدة والفريدة التي السموات لها أصلاً وموطناً!!

وحينما نقول: «اجتاز السموات» فليس كما يتشدّق علماء هذا العالم أن مكاكيك الفضاء أيضاً بمَنْ فيها مِنْ روّاد تجتاز السموات (هكذا). فالقول بأن المسيح اجتاز διεληλυθότα السموات لا يعني أنه اخترقها أو مرّ فيها وحسب، بل تجاوزها بنجومها ومجرّاتها إلى ما هو أعلى

---

(١٠) لا نعثر في الطقس اللاوي على رئيس كهنة عظيم ولكن يوجد فقط تعبير «أعظم» بالنسبة للكهنة، وليس تعبير «رؤساء» الكهنة، فيقول الطقس: «الكاهن الأعظم» (لا٢١ : ١٠) كناية عن رئيس الكهنة. ولكن تعبير «رئيس كهنة عظيم» أطلق أخيراً في عهد المكابيين ١مك١٣ : ٤٢ على شمعون، ليس حسب التقليد.

منها. لذلك نقول إنه دخل السموات وبآن واحد صار أعلى من السموات!! وحينما نقول: صعد إلى السماء، فهنا الأمر لا يتعلّق بالفضاء المحيط، بل القصد هو تجاوز المنظور قاطبة والمحدود كلية. وأبسط تدليل على هذا المعنى للصعود هو قول سفر الأعمال: «وأخذته سحابة عن أعينهم» (أع١: ٩). وهذا كله محاولة للتعبير عن الدخول في اللامحدود والفائق السمو: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠)، ويعبِّر عن ذلك سفر التثنية بـ «سماء السموات» (١٠: ١٤). وبخصوص إعطاء السموات بالجمع، فالعلاّمة كليمندس الإسكندري يقول إن السموات التي عبرها المسيح عددها سبعة ἑπτὰ οὐρανοὺς (*)، وبولس الرسول أُخذ إلى السماء الثالثة فقط (٢كو١٢: ٢).

والمعنى العام أن كل السموات المخلوقة عبرها المسيح ليستقرَّ في السماء عينها: «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد، أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها αὐτὸν τὸν οὐρανόν ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب٩: ٢٤). وواضح من هذه التعبيرات كلها أن القصد هو توضيح قدرة وعظمة المسيح و«صفة كلية الحضور» التي استُعلنت بقيامته من الأموات. فهو موجود في كل الوجود وفوق كل وجود!! وصحَّ فيه القول أنه: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠). فارتفاعه وسموُّه فوق كل الوجود هو بعينه خاصية قدرته أن يملأ كل الوجود وبالتالي يملأ الإنسان! «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف١: ٢٣). وهنا وبهذه العقيدة المسيحية الأساسية ندرك سر وجوده الكامل والمالىء في الإفخارستيا، فهو موجود بملئه في مواد السِّرّ، وهو بنفسه الذي يعطيه!! ويملأ آكليه. ويلزمنا الانتباه إلى أن الذي اجتاز السموات هو بحسب الآية التي نحن بصددها «يسوع ابن الله»، حيث «يسوع» تشير إلى بشريته وجسده الذي صعد به وجاز السموات واعتلاها جميعاً ليظهر به أمام الله من أجلنا ونحن فيه ممثَّلون!!

«يسوع ابن الله»:

هنا يعطي ق. بولس للمسيح الألقاب التي تتطابق مع رئيس كهنة يجتاز السموات، فهو كإنسان اسمه يسوع. ولأنه اجتاز السموات، فهو حتماً ابن الله وبالضرورة. وهكذا نجد في هذه الرسالة تَطابُق الألقاب المنتقاة مع الوظائف المختارة للمسيح. ولكن إذا انتبهنا إلى بقية الآية حيث يقول: «فلنتمسَّك بالإقرار» أي الاعتراف بالإيمان بالمسيح، نرى أنه في وصفه المسيح: بـ «يسوع ابن الله» يعطي لنا بنود الاعتراف بالمسيح أنه ابن الله المتجسِّد أو يسوع المستعلَن أنه ابن الله، لأن

(*) Clement of Alexandria, *Stromata*, Book IV, xxv, ANF, vol. II, p. 438.

التقليد الإنجيلي يضع دائماً هذه التسمية في موضع الاعتراف: «مَنْ اعترف أن "يسوع هو ابن الله" فالله يثبت فيه وهو في الله.» (١يو٤: ١٥)

«فلنتمسَّك بالإقرار»:

«فلنتمسَّك»: κρατῶμεν

هنا المسك κρατέω لغاية الامتلاك — أي لكي نمتلكها — وهي غير المسك فقط κατέχω — لما قد امتلكناه — كما جاءت في ٣: ٦، ١٠: ٢٣: «إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية». لأن القصد من **التمسُّك بالإقرار** يعني امتلاك الإيمان وإعلانه، أما **«التمسُّك بثقة الرجاء»** فتعني **الوقوف عندها بثبات**[11]. لذلك فهذه الكلمة التي تفيد «المسك لكي نمتلك» تفيد الخطورة والخوف من أن تنفلت من أيدينا، وهذا هو وضع هؤلاء العبرانيين المتنصرين.

«الإقرار»: ὁμολογία

وهي صيغة الاعتراف التي تُلَقَّن للمعمَّد لينطقها **كإقرار** منه بالإيمان علناً بالمسيح، وتصير بعد ذلك جزءاً لا يتجزأ من تلاوته اليومية سواء في الصلاة العامة أو الخاصة. ولكن بولس الرسول يقصد بالتمسُّك بالإقرار هنا الاعتراف العلني به كلما دُعي المؤمن إلى ذلك، حتى يرسخ في وعيه. والخوف هو من الاستحياء به الذي يؤدي إلى إنكاره.

١٥:٤ «لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يَرثي لضعفاتِنا بل مجرَّبٌ في كلِّ شيءٍ مثلُنا بلا خطيةٍ».

هنا يحاول بولس الرسول أن يشدَّ من أزر إيمان هؤلاء العبرانيين وإيماننا أيضاً، وذلك بتنبيه ذهننا إلى أن رئيس كهنتنا لأنه ابن الله فهذا يجعله غير بعيد عنا ولا غير عالم بضعفاتنا، سواء خطايانا أو عدم لياقتنا، مما يمنعه عن أن يتنازل إلينا ويرثي لحالنا. ولكنه إذ أخذ اللحم والدم، أصبح على دراية حقيقية وشعور صادق بما نجوزه نحن البشر من الآلام والضيقات وما يلابسها من خطايا وهفوات. فإن كان كرئيس كهنة قد وضع على نفسه أن يحمل خطايانا، فذلك عن إحساس صادق بما نعانيه. لذلك أصبح علينا ضرورة أن نثق فيه ونتمسَّك به، وإن إيماننا الواثق به يأتي عن جدارة من جهة أنه يعمل لنا فوق ما نحتاج، ويرفع عنا ما لا نطيق، ويعزي قلوبنا في كل ضيق.

---

11. Attridge, *op. cit.*, p. 139 n. 34.

ونقدّم لك أيها القارىء العزيز مثلاً لذلك: فإنك لو ظُلمت ظلماً فادحاً، فإن لك في المسيح العون المباشر الأعظم، لأنه ليس من بين البشر قاطبة مَنْ ظُلم بما ظُلم به المسيح، فهو يشاركك في الحزن والقهر عينه، فهذا هو عمله، ولكن لأنه غَلَبَ أصل الظلم ومحرّكه فهو الوحيد الكفيل بأن يردّ الظلم عنك، وإلاّ فهو يعدُّ المكافأة لك في ذات المكافأة التي جازاه بها أبوه إذ رفَعه وعلاّه ومجّده فوق كل مجد لمَّا ظُلم. لذلك إن كنّا نتألم بأي نوع من أنواع الألم، فهو عنده رصيد من خبرة الآلام ما يؤهله أن يتألم معك بل يتألم من أجلك، بل يرفع كل آلامك، بل وقد رفعها على الصليب من أجلك. فما عليك إلاّ أن تطرح آلامك عليه كخبير لتجد راحة صادقة وحقيقية: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم ... فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيِّن وحِملي خفيف.» (مت ١١: ٢٨—٣٠)

فهو رئيس كهنة خبير، قادر مُقتدِر، مجرَّب بكل تجارب الحياة، ويعرف كيف يشترك فيها مع المتمسِّكين به، فهذا عمله، بل هذا اختصاصه، بل هذه هي مسرّة قلبه.

«قادر أن "يرثي" لضعفاتنا»:

«يرثي»:

باليونانية: συμπαθῆσαι، باللاتيني (الفولجاتا): Compati.

ومعناها الحرفي أن يشترك بمشاعره، وهي نفس الكلمة التي نقولها بالعربية المفرنجة: «سيمباثي» وقد جاءت على لسان بطرس الرسول هكذا: «وبالنهاية كونوا جميعاً متحدي الرأي بحسٍّ واحد (سيمباثي) συμπαθεῖς ذوي محبة أخوية، مُشفقين، لطفاء» (١بط ٣: ٨).

فكلمة «يرثي» هي أقوى تعبير عن الاشتراك في المشاعر، فهو ليس «حسًّا واحداً» أو اشتراكاً فقط في المشاعر، بل **الانحياز إلى المتألم وتقدير ألمه والاشتراك فيه بكل المشاعر الصادقة، والعمل على تلطيفه، كل ذلك معاً!!** وهذا نراه في الأب وفي الأم وفي الأخ الصدوق والصديق الوفيّ. ولكن لما يأتي ذلك من المسيح، يكون «الرثاء» له قوة تطبيب، ومعه دواء، ويسنده اقتدار بالرفع، بل استعداد لتبنِّي الألم عن المتألم، فهذه صنعة المسيح وقوة الصليب.

فالمسيح كرئيس كهنة عندما يرثي للخاطىء حاله، فهو يستمد رثاءه من دمائه، فقد دفع ثمن خطيتنا فكيف يتركنا نئن تحت جبروتها وسحقها؟ فهو ولو أنه لم يعرف خطية، ولكن له إحساس بالخاطىء بالغ العمق والأصالة، كذلك ولو أنه لم يفعل خطية، ولكنه يعرف طولها وعرضها وعمقها، ويعرف شناعة أثرها المدمِّر والحاجب لوجه الله عن مؤتيها، كما يعرف بل وقد

ذاق مرارة عقوبتها. ولكن الأعجب من هذا كله أنه وهو القدوس، قادر أن يحملها في جسده، وبهذه القدرة الفريدة يحملها ولا تؤثر فيه، يحاصرها ويدينها ويمحوها محواً بنار قداسة لاهوته، لذلك فهو على استعداد دائماً أن يحملها معنا. فنحن حينما نعترف بخطيتنا أمامه، في صدق الاعتراف وانسحاق القلب، يرثي لضعفاتنا وينبري كهنوته ليحمل معنا حِمْلنا لحظة أن نحمل صليبه في قلبنا، فتقع الخطية عن كاهلنا لمّا تذوب وتتلاشى عن كاهله.

بولس الرسول يهيب بالعبرانيين المتضرّرين المزعزعين في إيمانهم، ويهيب بنا أيضاً، أن نثق أن لنا رئيس كهنة مجرَّباً مختبراً جاز كل صنوف الآلام، وأخيراً حمل كل صنوف خطايانا في جسده على الخشبة، حتى نتقدَّم إليه بثقة واطمئنان بأن لنا مَنْ يرثي حقاً لضعفنا أيًّا كان ضعفنا.

«مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية»:

في دائرة الأخلاقيات معروف أن الإنسان يُجرَّب بسبب الخطية، فالخطية تسبق التجربة: «كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع١: ١٤و١٥). لذلك استدرك ق. بولس سريعاً قوله أنه: «مجرَّب في كل شيء مثلنا» بقوله «بلا خطية»، وهذا يعني أن الإنسان يُجرَّب بسبب الخطية التي تعمل في أعضائه أي في داخله، فالتجارب هنا مصدرها الإنسان نفسه ومن داخله؛ أما المسيح فقد تجرَّب مثلنا ولكن ليس من داخله، ليس بدافع الخطية أو بأثرها، ولكن تجارب المسيح كلها أتته من خارجه!! الإنسان حينما يخطىء إلى الله، يخرج من دائرة العناية الإلهية، وحينئذ يقع في مجال المجرِّب الذي لا يرحم، وهنا تتوالى التجارب فيكون الإنسان نفسه سبباً لها.

أما المسيح فليس هكذا، فهو لم يكن قط سبباً في تجربة أتت عليه. ولكن نعلم علم اليقين أن الله أباه هو الذي أدخله التجارب، أي سمح للشيطان أن يقارعه وذلك في قول الإنجيل: «ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرَّب من إبليس» (مت٤: ١). هنا الذي أصعد «يسوع» إلى البرية بالروح ليُجرَّب من إبليس هو الله أبوه؛ كذلك: «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان» (مر١: ١٢و١٣)، وواضح هنا أن «الروح» وهو «الروح القدس» هو الذي أخرجه إلى البرية ليُجرَّب من الشيطان؛ كذلك: «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من إبليس» (لو٤: ١و٢). وهنا أيضاً نرى «يسوع» يُقتاد بالروح ليُجرَّب من إبليس. واضح من كل هذه الآيات أن دخول المسيح في التجارب كان خطة موضوعة من الله الآب نُفِّذت بقيادة الروح، وكان الشيطان هو المجرِّب بسماح من الله ليصير الابن في تجسُّده مجرَّباً في كل شيء كالإنسان

العادي، ولكن دون أن تكون الخطية داخلة في أسباب هذه التجارب قط.

ولم تكن تجارب البرية هي وحدها التدريب كله في مواجهة التجارب، ولكن بعد تجارب البرية مباشرة يقول الإنجيل: «ولما أكمل إبليس كل تجربةٍ فارقه إلى حين.» (لو٤: ١٣)

وواضح من ذلك أنه عاد إليه متزعماً وقائداً لليهود المقاومين بل والتلميذ الخائن في تسليمه له، بل والتلاميذ في تخلِّيهم عنه وفي الذين اتهموه وقاوموه وأثاروا عليه الجموع وصادروه في كل ما يقول، والذين عارضوه في أعمال مراحمه على المرضى والعُمْي، وبالأكثر في رؤساء الكهنة والفريسيين الذين أحكموا التهم وقدّموه حتى الصليب. كل هذه التجارب تمّت تحت سمع وبصر الله أبيه وبرضى منه: «وقد سُرَّ الله بأن يسحقه بالحزن» (إش٥٣: ١٠). إذاً، فكل تجارب الرب «يسوع» جاءت عليه، وقَبِلها هو كجزء من مهمته العظمى، أهّلته بالنهاية للصليب، وهو لم يكن سبباً في أية تجربة واحدة منها، ولكنه قَبِلها بحُكْم اللحم والدم اللذين اشترك فيهما ليشبه إخوته في كل شيء، وذلك حتى يتأهّل أن يحمل كل ضعفاتهم عن جدارة وخبرة ومشاركة صادقة، ودون أن يُمسَك في أي ضعف، بل ليحمل ضعفات وخطايا الكل وهو هو القدوس الكامل في قداسته.

ولكن هنا أيضاً في هذه الآية مقارنة يرمي إليها ق. بولس من بعيد، بين المسيح وبين رؤساء الكهنة الذين بهم ضعف وخطايا: «الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب» (عب٧: ٢٧)، «فإذ لنا رئيس كهنة ... بلا خطية ...».

وهذا كله يقدّمه بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين المتنصّرين المتزعزعين في إيمانهم، لكي يستقطب فكرهم وقلبهم إلى مَنْ هو الوحيد الذي يرثي لضعفاتهم والقادر كرئيس كهنة عظيم أن يكفّر عن خطاياهم.

٤: ١٦ «فلنتقدَّم بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لكي ننالَ رحمةً ونجد نعمةً عوناً في حينه».

الآن وقد أرسى القديس بولس أحقيَّة الإيمان بالمسيح يسوع فوق كل انحياز آخر لطقس الكهنوت القديم، كونه كان يرفع الخطايا بتقديم ذبائح على يد رؤساء كهنة موسومين(*) بنفس الضعف والخطايا التي يكفّرون عنها للشعب، موضحاً مدى أهلية المسيح ليكون رئيس كهنة فائق

(*) موسومين أي حاملين سمات، حيث وسم = ختم.

القدرة والعظمة سواء من جهة تنزُّهه عن كل ضعف أو خطية وفي نفس الوقت مُجرَّب مثلنا بكل تجارب وآلام الناس والعالم والشيطان، مما أعطاه الإحساس الكامل بما نعانيه من كل أنواع الآلام والتجارب والخطايا، ثم فوق هذا وذاك هو ابن الله الجالس على عرش النعمة والقوة والقدرة والسلطان؛ بعد كل هذا حقٌ للقديس بولس أن يدفع بنا للتقدُّم إلى المسيح الذي هو الآن جالس على عرشه السماوي لكي نستمد منه النعمة والرحمة.

«فلنتقدَّم بثقة»: προσερχώμεθα οὖν μετὰ παρρησίας

لقد سقط من الترجمة العربية ما يقابل οὖν = «إذاً»، وهي القاعدة التي يركِّز عليها ق. بولس في طلبه أن نتقدَّم بثقة، لأن «إذاً» هنا هي بمثابة إعادة نظر إلى كل ما فات ليكون سبباً فيما هو آتٍ، أي التقدُّم إلى عرش النعمة.

«فلنتقدَّم»: προσερχώμεθα

لأول مرة تستخدم الرسالة هذا الاصطلاح الذي سيتكرر في ٧: ٢٥، ١٠: ١و٢٢، ١١: ٦، ١٢: ١٨و٢٢ وهو مماثل تماماً لما جاء في الأصحاح ١٩:٧، ولكن بكلمة أخرى وهي ἐγγίζομεν : «به نقترب إلى الله». هذه الكلمة ذات استخدام ليتورجي، وقد قيلت في القديم فيما يخص ما يحق للكهنة الأصحّاء الذين بلا عيب من جهة **التقدُّم** خلف رئيس الكهنة لتقديم خبز الوجوه (خبز الحضرة الإلهية): «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم هارون قائلاً: إذا كان رجل من نسلِكَ (كاهن) في أجيالهم فيه عيب فلا **يتقدَّم** προσελεύσεται ليقرِّب خبز إلهه» (لا ٢١: ١٧)، كذلك أيضاً: «قُل لهم: في أجيالكم كل إنسان (كاهن) من جميع نسلكم **اقترب** προσέλθῃ إلى قدس الأقداس التي يقدِّسها بنو إسرائيل للرب ونجاسته عليه، تُقطع تلك النفس من أمامي أنا الرب. كلُّ إنسان من نسل هارون (كهنة) وهو أبرص أو ذو سيل لا يأكل من الأقداس حتى يطهر.» (لا ٢٢: ٣و٤)

وعلى هذا القياس، أصبح لنا ونحن نتبع رئيس كهنتنا الأعظم بعد أن طهَّرنا من كل عيب ودنس، أن نقترب إلى الأقداس ونأكل من خبز الوجوه الحقيقي، بل ونقترب بثقة لأنه هو الذي يقودنا في موكب نصرته ليُحْضِرنا أمام أبيه بلا عيب في المحبة: «الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى الأبد آمين.» (رؤ ١: ٦)

وهكذا أصبح المسيحيون لهم الحق في التقدُّم، وبثقة ــ كما كان لكهنة العهد القديم الذين بلا عيب ــ إلى عرش النعمة:

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيَّة بيتاً روحياً كهنوتاً مقدَّساً **لتقديم** ἀνενέγκαι ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط٢: ٥)
+ «وأما أنتم فجنس مختار (المسيحيون)، وكهنوت ملوكي، أُمة مقدَّسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة (الأوثان) إلى نوره العجيب.» (١بط٢: ٩)

وفي موضع آخر من هذه الرسالة، يوضِّح بولس الرسول أن ما كان مستحيلاً على شعب إسرائيل أن يتقدَّم إلى الله بتطهيرات الناموس، أصبح لنا الآن في رجاء ابن الله أفضلية التقدُّم به إلى الله:

+ «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً، ولكن يصير (الآن) إدخال رجاءٍ أفضل (بالمسيح) به **نقترب إلى الله**.» (عب٧: ١٩)

«بثقة»:

باليونانية: μετὰ παρρησίας

باللاتينية: cum fiducia

وتترجمها اللغة السريانية باصطلاح عجيب: **«بعين مفتوحة»**.

ويترجمها المترجم لسفر الأعمال بالكلمة «جهاراً»: «أيها الرجال الإخوة، يسوغ أن يُقال لكم **جهاراً** = μετὰ παρρησίας» (أع٢: ٢٩)، وأيضاً يترجمها المترجم لبولس الرسول في الرسالة إلى أفسس «جهاراً»: «ولأجلي لكي يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي لأُعلِم **جهاراً** بسرِّ الإنجيل» (أف٦: ١٩) كما يترجمها المترجم لإنجيل يوحنا «جهاراً»: «ولكن لم يكن أحد يتكلَّم عنه **جهاراً** لسبب الخوف من اليهود.» (يو٧: ١٣)

لذلك نعتقد أن ترجمة هذه الكلمة في هذه الرسالة بمعنى «ثقة» لا تفي بالغرض الذي في فكر بولس الرسول، فهو يود أن يتقدَّم هؤلاء العبرانيون إلى عرش المسيح، لا بخوف في داخلهم ولا بخشية من أحد، بل جهاراً أي علناً «وبعين مفتوحة» أو كما نقول نحن بالتعبير السائر "بعين واسعة" أي بثقة وجهاراً معاً.

«إلى عرش النعمة»: τῷ θρόνῳ τῆς χάριτος

طبعاً عرش النعمة وعليه المسيح جالس. وهذا التعبير العزيز والمحبوب يفيد الحضرة الإلهية كلية الوجود، فالله قائم دائماً بسلطانه لا يحدُّه مكان ولا وجود، لأنه غير محدود وكلي الوجود، فعرشه يملأ الوجود، وحضرته نتَّجه نحن إليها بقلوبنا وليس بأجسادنا، وعسير على الفكر أن يلاحقها أو

يتصوَّرها، فحضرته تملأ القلب وتملأ الفكر وتملأ الكون كله:

+ «دُفع إليَّ كل سلطانٍ في السماء وعلى الأرض ...» (مت28: 18)

ولكن يتركَّز الاستعلان في كل الكتاب في كون عرش الله والمسيح هو في السماء، وعرش النعمة تعبير عن ماهية الله والمسيح المتعددة الصفات، فله عرش (كرسي) المجد θρόνος δόξης: «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على **كُرسيِّ مجده**، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت19: 28)، كذلك **عرش العظمة**: «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين **عرش العظمة** في السموات.» (عب8: 1)

أما قول السفر هنا أن نتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، فمعناه أن نلتجيء إلى نعمة المسيح التي يمارسها بسلطانه الإلهي، وكأن النعمة جلست على عرش. وهو حينما قال لتلاميذه أن يذهبوا ويكرزوا للعالم بالإنجيل، آزر إرساليته إليهم بسلطان نعمته الفائق، إذ قبل أن يقول لهم «اذهبوا» قال: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت28: 18). بمعنى أن النعمة التي ستؤازرهم في كرازتهم هي من مصدر سلطان إلهي يملك على السماء والأرض وكل ما فيهما خاضع لتوجيه إرادته. لذلك فالنعمة تتبعهم وتقودهم وتمهِّد طريق السلام تحت أقدامهم بسلطان ملكي.

«لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه»:

أما الحاجة إلى الرحمة فبسبب ما فات من آثام وهفوات، وأما النعمة فلتفتح أمامنا آفاق معرفة المسيح ونحظى بالروح القدس لكي يكون عوناً لنا حين يعزُّ العون.

والرحمة نوالها يتوقف على ثقة التقدُّم، فهي تُعطى لمَنْ يمد يده بإلحاح ليتناولها؛ وأما النعمة فتوجد للذين يبحثون عنها باجتهاد وثقة أيضاً ويوفِّرون لها في قلوبهم مكاناً تستريح فيه. وفي الحقيقة إن مفهوم النعمة كان عند الآباء الرسل على مستوى الاختبار والتذوُّق كل يوم، فالنعمة كانت ترافقهم وتقودهم وتشدِّدهم بصورة علنية واقتدار. فكانوا يشعرون أنهم مُعانون بقوة الله الخفية القادرة أن تنتشلهم من كل ضيقة ومأزق. وسفر الأعمال مليء بأعاجيب عمل النعمة، إن في الوعظ أو المحاجاة أو الدفاع أو حتى تحطيم سلاسل وقيود حديد وفتح أبواب سجون مغلقة وآيات ومعجزات بلا عدد. لذلك نجد القديس بطرس يدفعنا دفعاً لكي نجرِّب ونتذوَّق هذه القوة الإلهية المجانية: «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة» (1بط1: 13). وبولس الرسول يعترف أن نعمة

الله فيه هي التي تعمل وتنطق كل شيء يعمله ويقوله، حتى قال: «بنعمة الله أنا ما أنا ... ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١ كو١٥: ١٠)

وفي الحقيقة، أيها القارىء العزيز، إن النعمة لا تزال حتى اليوم تعمل في أشخاص بسطاء بصورة علنية وتُثبت وجودها لكل ذي عين تبصر وأذن تسمع، فحياة كثير من الأشخاص الذين نعرفهم تقودها النعمة في هدوء وصمت لينيروا وسط جيلهم بضياء الروح القدس الذي يُشعُّ من قلوبهم. ولكن ما مِنْ إنسان يحيا في المسيح إلاَّ وله مع النعمة وقفة وشهادة في وقت الضيق أو العوَز أو المرض أو محن هذا الدهر التي لا تنتهي. ولكنها تحتاج لقوة إيمان وشجاعة شهادة لتظهر علانيةً.

الدفاع الثالث

تفوُّق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم

[٥: ١ — ١٠: ١٨]

الجزء الأول: كهنوت المسيح من حيث طبيعته الفائقة (الأصحاحات الخامس والسادس والسابع)

الأصحاح الخامس

أولاً — مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني، وبالتالي ملكي صادق أيضاً، ومدى انطباقها على المسيح إنما بصورة فائقة كرئيس كهنة حقيقي: (٥: ١—١٠):

أ — يتحتم أن يكون بشراً كالبشر، متضامناً معهم ليكون رئيس كهنة لبني البشر (٥: ١—٣).

ب — يلزم أن لا يعيِّن نفسه أي لا يُزكّي نفسه لهذه الرتبة بل يعيِّنه الله (٥: ٤).

ولكن في التطبيق على المسيح يأتي الترتيب معكوساً فيتقدّم (ب) على (أ):

لتطبيق (ب): (٥: ٥و٦).

لتطبيق (أ): (٥: ٧—١٠).

ثانياً — محاولة الكشف عن أسرار المسيح إنما في اختصار خاطف:

من ٥: ١١، ويستمر ليشمل كل الأصحاح السادس:

أ — (٥: ١١—١٤) وقفة حزينة لتقريع العبرانيين المتنصِّرين على بلادتهم إزاء منتهى استعداد المسيح لخلاصهم، إذ توضّح أنه رئيس كهنة مقتدر، بيده الخلاص الأبدي.

ب — الأصحاح السادس.

مقدمة:

في الأصحاحين السالفين الثالث والرابع اجتهد بولس الرسول أن يشرح تفوّق وتمايز المسيح كصاحب العهد الجديد فوق كلّ من موسى قائد البرية الذي توقّف عن الدخول، ويشوع قائد الدخول وتوزيع أرض الراحة. كما أثبت أن الراحة الموعودة، لم تتحقّق في الأرض بشهادة داود النبي وظلت هكذا تنتظر تكميل الوعد ونفاذه.

وبهذا انتقل من موقف القيادة في الدخول والتوزيع إلى موقف رئيس الكهنة الذي كان منوطاً به إراحة الشعب ــ بتقديه إلى الله ــ ليجد راحته فيه.

وهكذا وجد نفسه مضطراً أن يشرح ماهية وظيفة رئيس الكهنة بالنسبة للمسيح هنا في (٥:١ــ١٠)، ولكنه أرجأ تكميل شرح عمل المسيح كرئيس كهنة إلى القسم الثاني (٥:١١) وحتى نهاية الأصحاح السابع. وفي هذه المساحة كلها أي من ٥:١ إلى الأصحاح السابع حتى نهايته ينقسم الشرح إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: (٥:١ــ١٠).

يقدّم ماهية مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني، مُظهراً أن في حالة المسيح تكامَل عمل رئيس الكهنة إلى المستوى الفائق، مضيفاً إلى المسيح مواصفات رئاسة كهنوت آخر أعلى من كهنوت هارون، وهو كهنوت ملكي صادق، كما ذكر في قصة اختيار إبراهيم.

القسم الثاني: (٥:١١ إلى آخر ٦).

محاولة جادة مثابرة لشرح شروط معرفة أسرار المسيح والاحتفاظ بها.

القسم الثالث: (الأصحاح السابع بأكمله).

مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق ومطلق على خلفية ملكي صادق.

أولاً :

مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني وبالتالي ملكي صادق أيضاً، ومدى انطباقها على المسيح إنما بصورة فائقة

[٥ : ١ـ١٠]

أ ــ يتحتَّم أن يكون بشراً كالبشر متضامناً معهم ليكون رئيس كهنة لبني البشر

لماذا يجب أن يكون رئيس الكهنة مأخوذاً من الناس؟

٥ : ١ **«لأن كلَّ رئيسِ كهنةٍ مأخوذٍ من الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ في ما لله، لكي يقدِّمَ قرابينَ وذبائحَ عن الخطايا».**

«لأن كل»: πᾶς γάρ

«لأن» هنا ليست تابعة لشيء مضى تعقيباً عليه، ولكنه ابتدأ بها شرحه لفكرة رئيس الكهنة بحد ذاته.

و **«كل»** هنا تعود على كل رؤساء الكهنة في النظام الهاروني، ولكن متضمِّناً الأساس الذي قدَّم عليه الشرح وهو ضرورة أن يكون رئيس الكهنة مستوعباً لِمَا يشعر به كل الذين يَكْهن لهم أمام الله، يئن بأنينهم، وهكذا يرثي لضعفاتهم التي يتوسَّل من أجلها كما جاء في (٤ : ١٥).

«مأخوذاً من الناس»:

علاقة طقسية ولكن في ذات الوقت لاهوتية، أن يكون رئيس الكهنة من البشر لكي يمثِّل البشر **أمام الله**، وهذا أمر منطقي من الجهة الروحية أيضاً: «**قرِّب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل، ليَكْهن لي**» (خر٢٨ : ١). لأنه لا يليق ولا يوافق ولا يجوز أن يكون ملاك يكهن للإنسان، بل إنسان مختار من الله يكهن للإنسان أمام الله!

والآن إن كان المطلوب أو المحتَّم أن يكون رئيس الكهنة من الناس لكي يرثي للضعفاء كما جاء في الآية (٤ : ١٥)، ولكي يكون قادراً أيضاً أن يترفَّق بالجهَّال والضالين كما جاء في الآية (٥ : ٢)؛ فكم وكم يكون المسيح، وهو قد جاء كإنسان متخذاً لنفسه اللحم والدم بكل أعوازهما واستهدافهما للألم والمحن وفي نفس الوقت هو ابن الله، فهو حتماً سيرثي للضعفاء ويترفَّق بالجهَّال

والضالين، مضافاً إلى ذلك قدرته الفائقة أن يرفع الضعف عن الضعفاء والحِمْل عن المثقَّلين، وعلى تخليص الضالين وإنارة قلوب الجاهلين بقدرته الفائقة ونوره العجيب!!

«يُقام لأجل الناس في ما لله»:

«يُقام»: καθίσταται

هي الكلمة الرسمية المتعارَف عليها في تعيين ذوي السلطان لعمل أو وظيفة هامة. والآن إن كان يتحتَّم أن يُقام إنسان ما بواسطة هيئة تمثِّل الجماعة لكي يكون له هيبة السلطان لأجل الناس، فرئيس الكهنة يحتاج أن تكون هذه الجماعة التي ستقيمه **موكَّلة من الله** لكي تقيم هذا الإنسان ليكون له الهيبة والحق أن يَكْهَن **لأجل الناس في ما لله**.

ولكن الآن، والمسيح مطلوب منه أن يكهن عن البشرية كلها، **ولا يوجد مَنْ يمثِّل البشرية كلها لدى الله إلاَّ الابن،** لذلك لزم أن يتجسد الابن نفسه ويصير إنساناً ليكهن لأجل الناس فيما لله.

«لكي يقدِّم قرابين وذبائح عن الخطايا»:

«يقدِّم»: προσφέρῃ

كلمة طقسية محدَّدة تصف **«رفع»** القربان أو الذبيحة **«أمام»** الله، **وعن** الإنسان. وقد استخدمها بولس الرسول **في هذه الرسالة فقط** ولم يستخدمها في أيٍّ من رسائله الأخرى قط. وقد جاءت الكلمة في هذه الرسالة ١٩ مرة متلاحقة وذلك لتخصُّص هذه الرسالة في تحديد وظيفة المسيح كرئيس كهنة منوط به **«تقديم»** أعظم ذبيحة في العالم التي تستقطب كل الذبائح والقرابين.

«قرابين وذبائح»: δῶρά τε καὶ θυσίας

القرابين δῶρα هي ما يختص بتقدمات مصنوعة من دقيق، وذبائح من الحيوانات. والقصد المباشر هنا هوجمع كل الخطايا معاً التي يقدَّم عنها التوسُّل إلى الله. والبديع هنا حقاً أن هذه الآية المَحبوكة لغة والمُحكمة طقساً ولاهوتاً، تجمع ذبيحة المسيح على مستوى الجسد — ذبائح — وعلى مستوى الخبز والخمر — قرابين — بآن واحد. لهذا نقول، إنه بإبداع ووعي قدَّم ذكر القرابين (على مستوى الخبز والخمر) على ذكر الذبائح (على مستوى الجسد المذبوح)، **كما تقدَّم سر العشاء يوم الخميس** على سر **الذبح على الصليب يوم الجمعة،** وهما وجها الإفخارستيا **خبزاً، ودماً!!** حيث هذا يتقدَّم ذاك!

«عن الخطايا»: ὑπὲρ ἁμαρτιῶν

هنا نود أن ننبه ذهن القارىء إلى المفارقة الخطيرة بين ما كان يقدّمه رئيس الكهنة في الطقس اللاوي الهاروني من الذبائح **«عن الخطايا»**، وما قدّمه المسيح بجسده على الصليب **«عن الخطايا»**. الأمر الذي لم ينتبه إليه كثير من الشُّرّاح والمفسرين، لمزيد من الأسف والعجب معاً! وهو أن رئيس كهنة اليهود كان يقدّم الذبائح الحيوانية عن **خطايا السهو فقط**، ومرة أخرى نقول عن **خطايا السهو فقط** (١)، لأن خطايا العمد ضد الله أو الناموس لم يكن لها ذبيحة على الإطلاق بل الموت المحتّم وبلا رحمة!!

+ «مَنْ خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود **يموت بدون رأفة**.» (عب ١٠: ٢٨)
+ «وأما النفس التي تعمل بيد رفيعة (عمداً) من الوطنيين أو من الغرباء فهي تزدري بالرب، فتُقطع تلك النفس من بين شعبها. لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعاً تُقطع تلك النفس. ذنبها عليها.» (عد ١٥: ٣٠ و٣١)

أما ذبيحة المسيح بتقديم جسده على الصليب فهي تختص بكافة خطايا الإنسان، والعمد بالدرجة الأولى، لذلك ولذلك فقط يقول بولس الرسول: «**وأنتم إذ كنتم أمواتاً** بالذنوب والخطايا ... **ونحن أموات** بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف ٢: ١ و٥). فهنا «الأموات بالذنوب» يعني محكوم علينا بالموت المحتّم حيث لا قيمة لأية ذبيحة على الإطلاق بالنسبة لذنوب وخطايا العمد!

هذا الفارق الهائل بين عمل رئيس الكهنة في الطقس الموسوي بواسطة الذبائح، وبين عمل المسيح في اللاهوت المسيحي الإنجيلي بذبيحة نفسه هو فارق خطير، يرفع مستوى تكفير المسيح عن خطايا الإنسان ويجعله شيئاً لا مثيل له على الإطلاق، ولا حتى بالتشبيه في كل العهد القديم بناموسه.

لماذا يكون بشراً من بين البشر؟ لكي يكون:

٥ : ٢ **«قادراً أن يترفَّقَ بالجُهّالِ والضّالّينَ إذ هو أيضاً مُحاطٌ بالضَّعفِ».**

«يترفَّق»: μετριοπαθεῖν (μετριο-παθεῖν)

بحسب الترجمة الحرفية يكون معنى هذه الكلمة: «مُتَّزن في شعوره» أي «متلطّف نحو»، أو

(١) انظر شرح الموضوع بتدقيق في لاويين (٤ و٥)، وفي كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله»، للمؤلف، ص ٢٨٥ — ٢٨٦.

بحسب الترجمة السريانية: «مُتَضع ومتألم معه»[٢].

والأصل اللغوي لهذه الكلمة هو: « μετριοπάθεια » وهي ضد ἀπάθεια «الأباثية»، أي عدم الإحساس أو عدم الشعور. وفي التصوُّف تعني فقدان التأثُّر بالأمور، وهي درجة تُحسب عالية بالنسبة للتخلِّي عن العالم واحتقار أباطيله. وبذلك تعني الكلمة «متريوباثيا» التوسُّط أو الاتزان في المشاعر سواء في الحزن أو الألم أو الغضب.

ومن هنا نأتي إلى المعنى الدقيق والخطير لهذه الكلمة في هذه الآية. ونسأل لماذا كان يتوجَّب على رئيس الكهنة في الماضي أن يترفَّق بالجهَّال والضالين؟ وما معنى ذلك؟ وكيف؟ هنا أخذ الشُّرَّاح والمفسرون يدورون حول المعنى دون طائل، لأن لُبَّ الموضوع غائب تماماً عنهم، وهو أن رئيس الكهنة إنما يرفع الذبائح عن **خطايا السهو فقط**، فمن هو الإنسان الذي يسهو ويخطىء؟ هو إما الجاهل بالشريعة تماماً، وإما الضال الذي ضلَّ من قلة المعرفة. وهنا يقف رئيس الكهنة موقفاً خطيراً للغاية من خطايا هذه الفئات من الشعب، لأنه إما يحسب خطاياهم أنها ارتُكِبَت عمداً فيتحتَّم الحكم عليهم بالرجم، وإما يحتسب خطاياهم على مستوى السهو وحينئذ يقدِّم الذبيحة وتُغفر خطيتهم!!

ومتى يمكن أن يحتسبها سهواً؟ هو في حالة الترفُّق أو الرأفة على مستوى أحكام القضاء، وبناءً عليه، فإنه عوض تقديمهم للرجم والموت يقدِّم عنهم ذبيحتهم فيغفر لهم، فيحيون.

هنا «**الترفُّق**» صفة هامة وخطيرة بالنسبة لرئيس الكهنة وهي أساس عمله الكهنوتي كمقدِّم ذبائح للتكفير. وهذه الصفة تنشأ فيه كإحدى المواهب التي ينالها بوضع اليد والدهن بالمسحة إن كان حقاً مدعواً من الله وليس من الناس.

إذاً، فوظيفة رئيس الكهنة تصبح فعَّالة على مستوى ما يتوجب على هذه الوظيفة من الترفُّق بالجهَّال والضالين، **أولاً** إذا أخذ رئيس الكهنة من الشعب فيكون كواحد منهم له مشاعرهم وله ضعفاتهم، **وثانياً** إذا كان مدعواً من الله حتى ينال من الله نعمة الترفُّق بالجهَّال والضالين ويَسمَعُ منه.

«**هو أيضاً محاط بالضعف**»: περίκειται ἀσθένειαν

الترجمة العربية صحيحة.

---

2. Westcott, *op. cit.*, p. 119.

ويقابلها باللاتينية (فولجاتا): circumdatus est infirmitate.

وفي الترجمة السريانية تأتي: «**لابس الضعف**»(٣).

لذلك نجد الكلمة العكسية تماماً «**للمُحَاط بالضعف**»، تأتي في الأصحاح (١٠: ١١) هكذا: «تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن «**تنزع**» = περιελεῖν **الخطية**».

هكذا تصوِّر الكلمة الأولى الضعف أو الخطية ضاغطة من الخارج نحو الداخل والكلمة الثانية العكسية خارجة من الداخل إلى الخارج. والقصد هو أن رئيس الكهنة وهو محاط بالضعف يستطيع أن يقدِّر تقديراً واقعياً مستوى الخاطىء من خطيته، إن كانت ضاغطة فوق الإرادة فتُحسب على مستوى السهو، أو أنه هو الذي يسعى إليها فيُحسب أنه اقترفها «**بيد رفيعة**» حسب النص في التوراة (عد١٥: ٣٠). وهذه أخطر المعايير التي يحسب بها وجوب تقديم الذبيحة من عدمه.

والآن إذا عُدنا إلى الأصحاح (٤: ١٥) نجد أن المسيح كرئيس كهنة «**قادر أن يرثي لضعفاتنا**»، وهنا في الآية التي نحن بصددها (٥: ٢): «**قادر** أن يترفَّق بالجهَّال والضالين ...».

وواضح أن **الأولى تختص بعلاقة وتقدير المسيح بأصل وسبب الضعف**: «يرثي لضعفاتنا». أما في الثانية فالعلاقة والتقدير هما بالنسبة **لأصحاب الضعف من جهَّالٍ وضالين!**

أما في الحالة الأولى، فالمسيح كإنسان مجرَّب بكل تجارب اللحم والدم بدون خطية، فهنا الضعف محيط به ولكن لم يدخله، يشعر بالخطايا دون أن تقتحمه. وفي الحالة الثانية، **فالترفُّق** بالجهَّال والضالين هو الاتزان في الشعور والتلطُّف في الحكم من جهتهم لأنه هو الحكمة ذاتها.

في الأولى يشترك في الإحساس دون الفعل، وفي الثانية يحكم بتلطُّف دون تعالٍ.

وماذا يثبت أن رئيس الكهنة في القديم كان محاطاً بالضعف؟ وهل هذا الوضع يجوز على المسيح؟

٥: ٣ «**ولهذا الضَّعف يَلتزِمُ أنه كما يقدِّمُ عن الخطايا لأجلِ الشعبِ، هكذا أيضاً لأجلِ نفسِه**».

واضح هنا أن **الذبيحة التي يقدِّمها** عن نفسه هي بسبب أنه محاط بالضعف وبذلك يكون عرضة أن يسقط في خطايا السهو دون أن ينتبه:

---

3. Ibid., p. 120.

+ «ثم قال موسى لهارون (رئيس الكهنة) تقدَّم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيتك ومحرقتك وكفِّر عن نفسك وعن الشعب واعمل قربان الشعب وكفِّر عنهم كما أمر الرب ...» (لا٩:٧)

هنا يمتنع التشابه امتناعاً قاطعاً بين رئيس الكهنة الذي احتُسب ضعفه «خطية»، وبين المسيح الذي هو محاط بالضعف أيضاً ولكن دون أن يتسبب الضعف المحيط به من الخارج في خطية شخصية بأي حال من الأحوال: «مَنْ منكم يُبكّتني على خطية.» (يو٨:٤٦)

لهذا أصبحت ذبيحة المسيح بتقديم جسده هي ذبيحة خطايا الشعب فقط، التي حملها في جسده دون أن يتأثَّر بها، تمهيداً لرفعها نهائياً من على كاهل البشر إن هم آمنوا بذبيحة نفسه هذه!! وبقيامته من الموت.

لذلك نسمع في هذه الرسالة أيضاً تكرار قوله: «**ذبيحة واحدة**»، في حين كان رؤساء الكهنة تحتّم عليهم الكفَّارة تقديم **ذبيحتين**: واحدة عن نفس رئيس الكهنة، والأخرى عن الشعب.

+ «وأما هذا (المسيح) فبعدما **قدَّم عن الخطايا ذبيحة "واحدة"** جلس إلى الأبد عن يمين الله.» (عب١٠:١٢)

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا **قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة** وصار أعلى من السموات، الذي **ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدِّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه** ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا **مرة واحدة إذ قدَّم نفسه**. فإن الناموس يقيم أُناساً **بهم ضعف رؤساء كهنة**، وأما كلمة القَسَم التي بعد الناموس فتقيم **ابناً مكمَّلاً إلى الأبد**.» (عب٧: ٢٦ــ٢٨)

ب ــ يلزم أن لا يعيِّن نفسه
أي لا يزكّي نفسه لهذه الرتبة بل يعيّنه الله

٥: ٤ **«ولا يأخذُ أحدٌ هذه الوظيفةَ بنفسِه بل المدعوُّ من الله كما هارونُ أيضاً».**

هذه هي الصفة الثانية اللازمة لرئيس الكهنة، حيث الأولى أن يكون إنساناً، والثانية أن يكون مدعواً من الله.

والذي يحتِّم هذه الصفة الثانية كون الإنسان عامة موسوماً بالخطية، فلا يجرؤ إنسانٌ قط أن

يقترب من الله ليكفِّر عن خطية غيره وهو عليه خطية. إذاً فخطوة التكفير الأُولى يلزم أن تأتي بمبادرة من الله بأن يعيِّن من يقترب إليه ليكفِّر عن خطية الإنسان، **لأن بهذا التعين الإلهي يكون الإنسان قد تخطَّى أول وأكبر عقبة تعترض الكفَّارة وهي أهلية الاقتراب من الله.**

«لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه»:

«هذه الوظيفة»: τὴν τιμὴν ، وباللاتينية: honorem .

لقد رفعتها اللغة اليونانية من مفهوم «وظيفة» إلى مفهومها السري الحقيقي **«كرامة»**، وهذا يؤيده ما جاء بعد ذلك مباشرة في الآية: «كذلك المسيح أيضاً **لم يمجِّد نفسه** ليصير رئيس كهنة» (عب٥:٥). إذاً، فهي **«وظيفة مجد»** تختص بالله لا يعطيها إلاَّ الله، لأن الذي يُسمح له أن يقترب إلى الله فهذا بحد ذاته «مجد له»، والإنسان لا يحق له أن يمجِّد ذاته بالاقتراب من الله بل يختاره الله لخدمة المجد.

ويُلاحَظ أن الآية الأُولى في هذا الأصحاح الخامس بدأت بتوضيح هذه العملية الدقيقة والخطيرة، التي إما أن تسير صحيحاً فتصير خدمة رئيس الكهنة خدمة مجد الله حقاً، أو تخرج عن الحدود المرسومة. فالآية الأُولى تقول: «كل رئيس كهنة **مأخوذ** من الناس ...» λαμβανόμενος . وكلمة «مأخوذ» تعني أنه حتى الشرط الأول كونه أن يكون إنساناً، يليق لرئاسة الكهنوت، يلزم أن يكون هذا الشرط قائماً أيضاً على عدم التقدُّم الشخصي بل الذي يقدِّمه الناس، أي يلزم أن يكون رئيس الكهنة منذ أول خطوة **«مأخوذاً وليس آخذاً»، مأخوذاً من الناس ومعيَّناً من الله.**

«وكلَّم الرب **موسى** قائلاً **خُذْ** λάβε هارون وبنيه ... وصَبَّ من دهن المسحة على رأس هارون ومَسَحَهُ لتقديسه ...» (لا ٨: ١و١٢). هكذا نرى أن وظيفة رئيس الكهنة هي وظيفة مجد لخدمة مجد الله، فهي عطية تُمنح من الله ولا تُغتصَب: «وأما أنت (هارون) وبنيك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للمذبح وما هو داخل الحجاب وتخدمون خدمة. **عطية أعطيتُ كهنوتكم**، والأجنبي الذي يقترب يُقتل.» (عد١٨: ٧)

«بل المدعو من الله»: ἀλλὰ καλούμενος

«بل المدعو»: هذه الكلمة صار لها شأن كبير في الحياة المسيحية، إذ أصبحت وقفاً على الدعوة المسيحية وذلك على مستوى «بالإيمان إبراهيم لما **دُعي** أطاع ...» (عب١١: ٨)، فالإنسان المسيحي مسيحيٌّ هو لأنه دُعي فأطاع. والدعوة المسيحية دعوة هي لأن هناك **«وعداً»** من الله على عهد جديد وهو وعد **بميراث الحياة الأبدية:**

+ «ولأجل هذا هو (المسيح) وسيط عهد جديد لكي يكون **المدعوون** ... ينالون وعد الميراث الأبدي.» (عب٩:١٥)

«كما هارون أيضاً»:

معروف أن هارون اتُّفق على أنه سيكون رئيس كهنة، وبالرغم من ذلك لم يتقدَّم إلى هذه الوظيفة حتى دعاه الله رسمياً. فموسى عيَّن هارون لكي يملأ قسطاً من المن **ويتقدَّم** إلى الله ويضعه في التابوت للحفظ والشهادة (خر١٦:٣٣)، ولكن بقي هارون كما هو لم يتقدَّم في أي عمل حتى دعاه الله رسمياً هناك في الأصحاح (١:٢٨): «قرِّب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليَكْهَن لي».

وهكذا وضع الله هارون كنموذج إلهي لما سيكون عليه المسيح، ولكنه كان نموذجاً لرئيس كهنة قُيِّدت دعوته بدعوة الشعب نفسه، — الذي لم يُطِعْ الله، فرُفض الشعب، وعُلِّقت دعوة كهنوت هارون، ليرتفع الكهنوت على قياس دعوة أخرى أعلى على مستوى الطاعة:

+ «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال — إذ الشعب أخذ الناموس عليه — ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يُقال على رتبة هارون» (عب٧:١١). لأن الشعب عصي الله ورُفض، فلم يَعُدْ مؤهلاً أن يختار لنفسه رئيس كهنة، وبالتالي لم يَعُدْ رئيس كهنة على مستوى الشعب يصلح لرئاسة الكهنوت وخدمته.

والآن إذ أكمل بولس الرسول الشرطين الأساسيين لقيام رئيس كهنة قانوني وهما:
أ — أن يكون من الناس الذين سيَكْهن لهم،
ب — أن يكون معيَّناً من الله بدعوة كما هارون،
يبتدىء بولس الرسول يطبِّق ذلك على المسيح باعتباره قد استوفى هذين الشرطين في الآيتين الاثنتين بالترتيب. ولكن يُلاحَظ أنه قدَّم في الشرح بعد ذلك شرح الشرط الثاني، أي أنه مدعو من الله، على الشرط الأول كونه بشراً.

٥:٥و٦ **«كذلك المسيحُ أيضاً لم يُمجِّدْ نفسَه ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بل الذي قال له أنت ابني أنا اليومَ ولدْتُكَ. كما يقولُ أيضاً في موضعٍ آخرَ: أنت كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةِ ملكي صادقَ».**

يقصد بهذا أن مواصفات المسيح كرئيس كهنة أُعلنت وتثبَّتت بدعوة الله له لرئاسة الكهنوت

علماً بالنبوة على فم داود النبي، الأولى بالولادة في الحالة البشرية (بالقيامة من الأموات)، والثانية بالقَسَم أنه دُعي وتعيَّن ليكون رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق. وهاتان النبوتان هما لداود النبي ووردتا في المزمور الثاني عدد (٧)، والمزمور المائة والعاشر عدد (٤).

أما الدعوة الأولى: «أنت ابني أنا اليوم ولدتُك»، فقد سبق وأوردها بولس الرسول في الأصحاح الأول الآية الخامسة. وتفيد اختياره وهو ابن الله «**أنت ابني**»، ليتعيَّن من خلال محنة زمنية جازها باقتدار انتهت بالقيامة من الأموات: «**أنا اليوم ولدتُك**»، ليكون مَلِكاً أبدياً، كما هو وارد من روح المزمور: «أما أنا فقد مسحتُ مَلِكي على صهيون جبل قدسي، إني أخبر من جهة قضاء الرب (إصدار إعلان) قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتُك، اسألني **فأعطيك** الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلْكاً لك.» (مز٢: ٦—٨)

أي أنه بعد أن أكمل الابن الطاعة مما تألَّم به وقَبِل الموت على الصليب، وقام من الأموات، استُعلنت بُنوَّته الظافرة جهاراً: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤)، ليس أن المسيح صار بالقيامة من الأموات ابناً لله، بل استُعلن وتحدَّد في القضاء الإلهي المُعلَن أنه ابن الله، كونه وهو إنسانٌ في ملء تجسُّده أكمل الطاعة مما تألَّم به مؤكِّداً بُنوَّته لله عن جدارة، ومُكمِّلاً بالتالي رسالته كفادٍ أكمل الكفارة كرئيس كهنة بذبيحة نفسه. ففي القضاء الذي تعيَّن به أنه هو ابن الله — يوم القيامة من الأموات، تعيَّن بالتالي وبالضرورة من واقع الكفَّارة التي أكملها بذبيحة نفسه أنه رئيس كهنة الله ودمه على يديه، وقد دخل إلى الأقداس العليا فوجد فداءً أبدياً. ففي هذه الآية الواحدة أعلن أن المسيح (الإنسان الممسوح) هو رئيس الكهنة وابنٌ لله بآنٍ واحد.

وواضح أن يوم القيامة من الأموات بالنسبة للمسيح كان يوم استعلان مجده: «أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب» (رو٦: ٤)، **ممجَّداً من الآب** فهو كما تقول الآية هنا: «**لم يمجِّد نفسه** ليصير رئيس كهنة» بل «وإذ وُجِدَ في الهيئة **كإنسان**، وضع نفسه، **وأطاع حتى الموت** (مقدِّماً جسده ذبيحة كرئيس كهنة) موت الصليب، **لذلك رفَّعه الله** وأعطاه اسماً فوق كل اسم ...» (في٢: ٨و٩). علماً بأن اسم ابن الله، الذي هو أعظم وأعلى من كل اسم، يتضمَّن بحسب ما أكمله بطاعته وموته وقيامته كل قِيَم رئيس الكهنة في أصدق وأحق مضمونه، إن في المجد أو الملوكية.

والرجاء من القارىء العودة إلى شرح الآية الخامسة من الأصحاح الأول لأنه في صلب الموضوع صفحة ١٧٤—١٧٩.

أما الآية الثانية التي وَرَدَ فيها بحسب نصها أن الله أَقْسَم: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، فهي تكمّل استعلان بنوة المسيح يوم قيامته من الأموات، أنه ارتفع ليدخل الأقداس العليا بدم نفسه محققاً قَسَم الله أنه تعيَّن كاهناً إلى الأبد لا على طقس هارون بعد، الذي أكمل نهايته بنهاية الناموس الذي أقامه، بل على طقس كهنوت يبقى إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

«كذلك المسيح أيضاً»:

نعرف من التسلسل السابق في استخدام الأسماء بالنسبة للمسيح، أن بولس الرسول يهتم في هذه الرسالة بإبراز بشرية المسيح، ولكنه هنا يرفعها إلى مستوى «المسيح» أي الممسوح، وهي صفة اتضاع وتمجيد معاً لمن أحنى رأسه لقبول مسحة الله على يد المعمدان. وبالرغم من ذلك يقول بعد ذلك إنه «لم يمجِّد نفسه»، أي لم يأخذ هذه الوظيفة المكرَّمة «رئيس الكهنة» بنفسه بالرغم من تحديد عمله رسمياً بالمسحة، فهو لا يقول أن يسوع لم يمجِّد نفسه حيث يكون هذا طبيعياً، ولكنه يقول إن المسيح لم يمجِّد نفسه. هنا الالتزام الدقيق بتوقير واحترام دعوة الله!!

«لم يمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة»:

هذه الجملة تأتي بنوع من الاختصار والشرح معاً للجملة الأساسية: «ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة (الكرامة أو المجد) بنفسه»، مع أن تحديد اسم الرب هنا «بالمسيح» أو الممسوح يفيد أنه استُعلن في كمال شخصه لائقاً لرئاسة الكهنوت والملوكية أيضاً، بل وكونه إنساناً بلا خطية واحدة، فكان يحق له كل الحق أن يتقدَّم إلى الله بتزكية حياته وسيرته، ولكنه امتنع، إلى أن يقبل الدعوة رسمياً من الله أن يتقدَّم إلى الله كابن الإنسان من أجل الإنسانية الخاطئة. وفي هذا اسمعها من فمه حينما يقول:

+ «أجاب يسوع إن كنت أُمجِّد نفسي فليس مجدي شيئاً، **أبي هو الذي يمجِّدني** الذي تقولون أنتم إنه إلهكم.» (يو٨: ٥٤)
+ «إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا **مجَّد فتاه يسوع** الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه ...» (أع٣: ١٣)

ولكن لينتبه القارىء، فهذا المجد الذي مجَّده به أبوه ليس جديداً على كرامته، ولا هو منحة تُطرح عليه، بل هو هو مجده الذي تخلَّى عنه ليصير ابن بشر وليليق أن يكون رئيس كهنة من بين الناس!! فهو حينما أكمل الرسالة وأكمل كل واجبات رئيس الكهنة، كشف عن اتضاعه وأعلن

سابق إخلائه وأوضح مجد لاهوته: «**والآن مجّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.**» (يو١٧: ٥)

«بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتك»:

هذا هو منطوق النبوة على فم داود التي فيها يخاطب الله «المسيح»، بعد أن أكمل الطاعة الواجبة على الابن حال تجسُّده، بقبوله كل ما وُضع عليه من الآلام حتى الموت، وهو بآن واحد يقيمه من الأموات بمجده الذاتي قائلاً له: «**أنت** ابني **أنا** اليوم ولدتُك»؛ حيث التشديد واضح للغاية في تفرُّد «**أنا، وأنت**» لتحديد العلاقة التي كانت مخفية كل الدهور السالفة وأعلنت يوم قيامته من الأموات في قضاء نطق الله متعيِّناً أنه هو ابن الله. وهكذا إذ لم يتقدَّم الابن سابقاً قط حال تجسُّده أن يأخذ هذه الوظيفة بنفسه، منتظراً نُطق الآب، نطقها الآب جهاراً في اليوم المعيَّن والمعهود لتُستعلن فيه بركة الله الموعودة لإبراهيم لكل نسله الذين يؤمنون كما آمن إبراهيم بالذي يقيم من الموت! وهكذا إذ قام المسيح من الأموات وتعيَّن ابناً أعطانا بقيامته هذه الهبة العجيبة أن نؤمن نحن بمن أقامه من الأموات فيُحسب لنا إيماننا بقيامته برًّا لنا (رو٤: ٢٢ـ٢٤)، فننال التبني من خلال إعلان وتعيين بُنوّته في هذا اليوم الخالد.

وهكذا، بهذا اليوم أكمل استعلان ليس فقط أنه ابن الله، بل واستعلان بُنوّتنا نحن أيضاً بالإيمان بمن أقامه من الأموات، والذي يشمل بالضرورة ــ إذ صرنا أبناءً ــ استعلان تكميل الكفَّارة وغفران الخطايا التي أكملها من أجلنا بقيامته من الأموات. فتعيين المسيح ابناً لله بالقيامة من الأموات هو بذاته كشف باهر لسبق تعيينه رئيس كهنة الله، تحقَّق لنا من واقع تكميله الكفَّارة بموته، ثم قيامته، ثم دخوله إلى الأقداس العليا بدم ذبيحته ليجد لنا فداءً أبدياً بكفَّارة نفسه!

فلسان حال دخول المسيح إلى الأقداس العليا ودمه عليه، أن اليوم أكملت نبوة داود: «أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ...» (مز١١٠: ٤). وحينئذ، وبجدارة الكفَّارة التي صنعها المسيح بدمه على الصليب جلس، وجلستْ البشرية معه وفيه عن يمين العرش، ليملك بل ليشفع في هذه البشرية التي تبنَّاها لنفسه إلى أبد الآبدين.

وهنا يكون ق. بولس قد بلغ منتهى قصده من توضيح تحقيق البند الثاني في مواصفات لياقة رئيس الكهنة أنه لم يأخذ هذه الوظيفة بنفسه!!

عودة إلى شرح البند الأول (أ):

لقد سبَّب تقديم شرح البند الثاني لشروط صدق تعيين رئيس الكهنة على البند الأول ارتباكاً كبيراً في فهم هذا الجزء من الأصحاح. ولكن بعد توضيح هذا التقديم والتأخير، يَسهُلُ على القارىء العزيز أن يمسك بتسلسل الشرح في سهولة.

٥ : ٦ **«كما يقولُ أيضاً في موضعٍ آخرَ أنت كاهنٌ إلى الأبدِ على رُتبةِ ملكي صادَق».**

«كما»: καθὼς καὶ

ترجمتها الصحيحة: **«على هذا المنوال كذلك»**. فهنا القول: **«أنت كاهن إلى الأبد»** هو على مستوى القول السابق أو مكمِّل له: **«أنت ابني أنا اليوم ولدتُك»**، بمعنى أن استعلان بنوة المسيح بالقيامة من الأموات نجد له صدى يكمله في مزمور آخر يقول: أنت كاهن إلى الأبد. باعتبار أن وظيفة مجد الكهنوت هي مُتضمَّنة داخل مجد الابن. والمعنى الكلي كما يراه العالم وستكوت(4) هو أن الآب مجّد الابن ليصير رئيس كهنة، بمعنى أن تمجيد الآب للابن ليس هو مجرَّد استنتاج ولكنه تحديد بعمل له مجد.

ولو رجعنا للمزمور (١١٠) الذي استقى منه ق. بولس هذه الآية، نجد أنه يقدّم المسيح على ثلاثة أوجه.

+ «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك،
يُرسل الرب قضيب عزِّك من صهيون. تسلَّط في وسط أعدائك،
شعبك مُنتدَبٌ في يوم قوتك، في زينةٍ مقدَّسةٍ، من رَحِم الفجر لك طَلُّ حداثتك،
أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق،
الرب عن يمينك يحطِّم في يوم رجزه ملوكاً،
يدين بين الأمم، ملأ جثثاً أرضاً واسعة سحق رؤوسها،
من النهر يشرب في الطريق لذلك يرفع الرأس.» (مز١١٠: ١ــ٧)

الوجه الأول: يحدده المزمور **كملك**: الآيات (١ــ٣).
الوجه الثاني: يقدّمه **كاهناً**: الآية (٤).
الوجه الثالث: **كمحارب**: الآيات (٥ــ٧).

4. Ibid., p. 123.

وعلى كل حال فإن هذا المزمور يستخدمه كاتبو الأسفار المقدسة في العهد الجديد ليوضحوا على ضوئه ملامح شخصية المسيح كالآتي:

أولاً: بنوّة المسيح لله وربوبيته ونصرته:

كما جاء في إنجيل متى (٢٢:٤٢—٤٤) هكذا: «قائلاً ماذا تظنون في المسيح **ابن مَنْ هو؟** قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح «ربّاً» قائلاً: **قال الرب لربي اجلس عن يميني**».

كذلك كما جاء في الرسالة إلى أهل كورنثوس الأولى: «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.» (١ كو١٥:٢٥)

وكذلك في الرسالة إلى العبرانيين (١٠:١٢) وبعدها.

ثانياً: تقديم المسيح المرتفع فوق أعلى السموات والجالس عن يمين الله:

هكذا: «لأن داود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني» (أع٢:٣٤)، كذلك سفر العبرانيين (١:١٣). ومن هنا جاءت كل المواقف والمواضع التي قيل فيها إن المسيح جلس عن يمين الآب أو يمين العظمة في السموات أو يمين القوة كما قالها المسيح نفسه: «وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ...» (مت٢٦:٦٤)

«ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله.» (مر١٦:١٩)

ثالثاً: توضيح كهنوت المسيح:

كما جاء في هذه الرسالة (٥:١٠): «مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق». وفي الأصحاح السادس: «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد» (٦:٢٠) كذلك: «لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (٧:١٧)

«على (طقس) رتبة ملكي صادق»: κατὰ τὴν τάξιν

وباللاتينية (فوجاتا): **secundum ordinem** حيث كلمة «طقس» تعني «نظام أو وضع».

ولكن ما هو طقس ملكي صادق الذي شغله المسيح بالتمام؟

هنا يقدّم لنا العالم وستكوت[5] عن أحد الأساقفة العلماء الأفارقة المدعو بريميسوس

5. Ibid.

Primasius (أسقف Hadrumatum وهي سوسة الحالية في تونس بعد سنة ٥٥٣م.) توضيحاً مفصّلاً مختصراً عن ملامح طقس ملكي صادق في مقابل الكهنوت اللاوي؛ التي حققها المسيح كرئيس كهنة:

١ ـ ليس بتقديم ذبائح دموية من عجول وماعز، ولكن بتقديم خبز وخمر لتتجاوب مع جسد المسيح ودمه، أما الذبائح الدموية فزالت من الوجود، أما هذه التقدمة من الخبز والخمر المحمولة على الجسد والدم فباقية أمامنا وإلى الأبد.

٢ ـ ملكي صادق جمع الملوكية مع كرامة ومجد الكهنوت، وقد مُسِحَ ولكن ليس بمسحة زيت بل بالروح القدس.

٣ ـ ملكي صادق ظهر مرة واحدة في مجد ومهابة كهنوته، هكذا المسيح قدّم نفسه مرة واحدة على الصليب فوق مسرح الحياة.

يضاف إلى ذلك عدم ورود تسلسل كهنوتي انتهى إليه ملكي صادق، بل كما ظهر ملكي صادق بكهنوت سابق على الكهنوت اللاوي ومنفصلاً عنه ومتفوقاً عليه، إذ أن سبط لاوي الذي كان في صُلْب إبراهيم قدَّم لكهنوت ملكي صادق واجبات الكرامة من العشور في كل شيء، والعشور تنتهي بحسب الفكر اللاهوتي ليس عند من يستلمها بل إلى الله: «هاتوا جميع **العشور** ... وجربوني بهذا قال رب الجنود» (مل٣: ١٠)؛ وهكذا وقف كهنوت «**لاوي**» في صُلْب إبراهيم منحنياً أمام كهنوت ملكي صادق كما إلى الله! كتهليل يوحنا المعمدان وهو في بطن أمه لصوت العذراء.

كذلك كما أن ملكي صادق ظهر غريباً عن إبراهيم، فهو ليس كاهناً يهودياً، ولم يكن على اليهود، ولكنه أعطى البركة لإبراهيم لتستقر على كل الشعوب والأمم عَبْر المسيح؛ هكذا وضح في الرب أنه استُعلن كاهناً ليس على جنس دون جنس بل كاهن البشرية جمعاء التي أخذ جسدها ليكهن لها أمام الله أبيه.

وكما كان إبراهيم بالنسبة لعهد الله مع إسرائيل والأمم؛ هكذا كان ملكي صادق بالنسبة لكهنوت الله. أما إبراهيم فوُهب أن يكون المسيح من نسله؛ أما ملكي صادق فتكرَّم أن يكون المسيح على طقسه. وكما لم يكن بعد ملكي صادق ملكٌ أو كاهنٌ من **صُلبه**؛ كذلك المسيح، إذ صرنا كلنا بعده ومن صلبه ملوكاً وكهنة!!

«كاهن إلى الأبد»: εἰς τὸν αἰῶνα

المسيح لم يتدرج في الكهنوت، ولم يكن له سابق يأخذ منه ولا لاحق يأخذ عنه، بل استلم الكهنوت «كرنيس»، ليس على أحد، بل من أجل كل أحد، من أجل كل البشرية فيما كانت عليه وفيما آلت إليه وفيما ستكون. «فرئاسته» ليست مهنية بل وُلِدَ لها: «لهذا قد ولدتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق» (يو١٨: ٣٧)، ولا هي زمنية فقد كانت قائمة فيه عندما دخل إلى العالم لأنه أخذ الجسد لحسابها ليكمّل مقاصدها الأزلية. لذلك بقي كهنوته فيه كما كان فيه، لم يتغيّر ولن يَحُول؛ كهنوت يحمل دم ذبيحته عليه إلى أبد الآبدين: «ورأيتُ فإذا في وسط العرش ... خروف قائم كأنه مذبوح ...» (رؤ٥: ٦)

وهو لما مارس كهنوته برئاسة ومجد ودخل إلى الأقداس العليا بدمه، صنع ذلك لتكميل الكفّارة، لا كأنه فعل زمني أو عمل يستهلكه الزمن، بل فعلٌ أبديٌّ، فكفّارته قائمة فعّالة تعلو على الزمن باقية بقاءه هو، فقد ارتأى الابن الأزلي أن يلتحف بدم ذبيحته ليبقى كاهناً ويبقى مخلّصاً وفادياً، بقاءً هو بقاؤه الأزلي، فهو لن ينفض دمه من عليه ولن يخلع تاج كهنوته، لأنه بهما أقام العهد معنا، وعهده أبديٌّ هو.

ألم يدخل، بجروحه في يديه ورجليه وجنبه، إلى السماء ليتراءى أمام أبيه كرئيس كهنة أكمل كفّارته، وهل الذي يدخل السماء يعود فيتغيّر، أو هو قادر أن يتخلّى عن مجده؟ ألم تقُلْ أن كهنوته وظيفة مجد؟ وألم يقل الكتاب عنه قبل الصليب: «لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو٧: ٣٩)؟ فهل بعد ما تمجّد ينفض عنه المجد؟ اسمع ما يقوله هذا السفر المبارك:

+ «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل **مرة واحدة** إلى الأقداس فوجد فداءً **أبدياً**.» (عب٩: ١٢)
+ «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح **أزلي** قدّم نفسه لله بلا عيب ...» (عب٩: ١٤)
+ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد **الأبدي**.» (عب١٣: ٢٠)

أمّا بالنسبة له، فأعماله أزلية هي، كفّارته كانت مرة واحدة من داخل الزمن، ولكنها احتوت الزمن لتدوم دوام الأبد. أمّا لنا، فكفّارته نتقبّلها من خلال الزمن، وتبقى لنا ما بقينا تحت جريان الأيام وكرّ السنين. أعماله لا تتكرر، فهي بطبيعة الخلود معمولة، فحالما عُملت تبقى تعمل إلى أبد الآبدين: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل.» (يو٥: ١٧)

كهنوت رجال لاوي كان يلزمه التكرار لأن الموت كان يطويهم كاهناً وراء كاهن ورئيساً بعد رئيس؛ أما كاهننا الأعظم يسوع فلا يمنعه الموت عن البقاء لأن الموت لن يسود عليه، لأنه أمات الموت بموته وقام حيًّا إلى أبد الآبدين.

٥:٧ «الذي في أيامِ جسدِهِ (كبشر) إذ قَدَّمَ بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ طِلباتٍ وتضرُّعاتٍ للقادرِ أن يُخلِّصَه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقْواه».

تأتي هذه الآية كصدمة عنيفة بلبلت فكر كثير من المفسرين، وبالأكثر بسبب ورودها بعد النداء النبوي من السماء: «أنت ابني أنا اليوم ولدتُك»، وبعد القسم المغلَّظ من فم الله: أنت الكاهن الأبدي أمامي. ولكن هذا ما قصده كاتب الرسالة واعتنى أن يُبرزه بهذه المفارقة الصارخة المُبكية!! لأن المجد الذي ارتفع إليه الابن والكهنوت الأبدي الذي استوى على عرشه السماوي لم يأتِ كمنحة أو كما من فراغ، بل قصد ق. بولس قصداً أن يُبرز ويُمعِن في الإبراز، أنه عن ألم وآلام وعن إهانة ومهانة وفضيحة وعار، وإن لم تأبه بها قلوب رؤساء الكهنة وأتباعهم الذين وقفوا يعاينون مأساة ومحنة ابن الله بقلوب الوحوش الكواسر، وهم يمزقون جسده ويدوسون كرامته كإنسان حتى العُري والعار ودقِّ الجسد بالمسمار. فهل تستكثر يا قارئي العزيز أن يصرخ ويزيد وبصراخ شديد ويبكي بدموع وأنين مسموع وتأوُّهات تكسر القلب، ناظراً إلى فوق، أن ينقذه مَنْ وعد بإنقاذه من أيدي الظالمين.

وهنا تروع نفسه في سكرات الموت، وتداهمه سكتة القلب، ليتوقف القلب القدوس عن نبضات الحياة ليتمم الفداء!! بل كيف نطيق أو نفهم أن مثل ضربات السياط التسع والثلاثين الموجعة التي مزقت ظهره تنهال عليه وهو صامت أو مبتسم؟ هل يمكن؟ هل يُعقل؟ هل يصدَّق؟ إن لم يكن المسيح بجسد خيالي — كما يقول الهراطقة — ويبالغون في الهرطقة فيقولون إنه حتى على الصليب كان يضحك!! إن كان المسيح إنساناً كامل الأحاسيس والشعور، وقد كان، فكل ضربة كان يقابلها حتماً أنين، وإن تكررت يقابلها بالضرورة تأوُّه، وإن زادت فلها بكل يقين شديد الصراخ، وإن بلغت العنف — وقد بلغت حتى الموت — تسيل الدموع بلا ضابط. وأي إنسان — وهو كان أنبل إنسان — يأتيه الموت كغادر ولا يطلب منه الخلاص؟ ثم أيُّ تقيٍّ — وهو كان أتقى الأتقياء — يتضرع ولا يُسمع له من أجل تقواه؟

إن هذه الآية البليغة هي أبلغ آية في توقيع أوصاف البشرية على المسيح كتوقيع سيمفونية إلهية رائعة الأنغام والوقفات لكي يُسمع في نهايتها هُتاف المجد!! إن هذه الصرخات هي أصلاً وفي

الحقيقة صرخاتنا(٦) التي صرخها من أجلنا، والدموع هي دموعنا وقد كان يبكي من أجلنا، والتوسُّلات هي توسُّلاتنا توسَّلها باسمنا. لأنه ابن الله، فقد صمَّم أن يحمل كل أوجاعنا، فتحمَّلها في جسده الذي هو أصلاً جسدنا الذي لبسه عليه ليظهر به كإنسان خاطىء أمام الله أبيه لينال تعطفاته عن جنسنا، هذا البَشَريُّ الذي بلغ الذلَّ بين الأجناس!! فنال، وسُمع له فَسُمع لنا(٧)، وصرنا به أتقياء!! وفيه أبناء.

ولكن عجبي على قوم ومفسِّرين يستكثرون على المسيح الصراخ وهو مذبوح على الصليب!! كيف لا يزداد الصراخ على ضرب المسامير في الجسد الغضّ ضربة بضربة، وبصرخة تلو صرخة، وهل قُدَّ جَسَدُه من حديد؟ حتى الحديد إذا دُقَّ فيه فله صدى الدق بما يساوي الدق أو يزيد!! وحين عُلِّق الجسد بمسمار على خشبة وانحلَّت أوصاله وتقطَّعت أوتاره ألا يصاحبه الأنين؟ وأيُّ نزيف ينزف والقلب لا يخفق، والدوار لا يلمُّه ومعه الأنين المكتوم؟

ألا لأن الإنجيل صَمَتَ وحَبَس أنفاسه حتى لا يوقعنا في المشهد ذاته فنفقد الصواب، ويداهمنا الدوار وربما الصراخ! فصدَّقنا الرواية كأنه صُلب في صمت، وتقطَّعت شرايينه ونزف دماءه في سكون، كمَنْ يتفرَّج على صالبيه من علٍ؟ هل نحن دوسيتيون(٨)!!

ولما جاءنا ق. بولس بهذه الرسالة يكشف طرفاً قليلاً وقليلاً للغاية عما حدث من على بُعْدٍ، جزعنا وتمشَّينا منه الصمت كرامة للألوهية، مع أنه صمَّم أن يبلِّغنا الرسالة أنه تألَّم بالحق وفعلاً تألَّم، بكل ملابسات الألم من مشاعر وتعبيرات أثبتت صدق الألم بل نُبْله بل مجده! وحقيقة موته وبالتالي حقيقة ثمن الخلاص الذي دُفع لأجل خلاصنا. فعلينا أن لا نستكثر صراخه ودموعه بل بالحري نقدِّسها ونكرِّمها: «وبحُبُره شُفينا ... والرب وضع عليه إثم جميعنا.» (إش٥٣: ٥و٦)

(٦) يقول القديس كيرلس الكبير تعليقاً على هذه الآية:

[نحن الذين كنا فيه ــ كما في مبدإ ثانٍ لجنسنا ــ نصلي بصراخ شديد ودموع ونطلب أن يُبطل سلطان الموت].

P.G. 76, 1392 A

[لقد بكى بشرياً لكي يجفف دموعك ... وقدَّم طلبات وتضرعات للآب لكي يجعل أذن الآب صاغية لصلواتك أنت أيضاً.] P.G. 76, 441

(٧) [لكي يجعل صلواتنا نحن أيضاً تصير مقبولة لدى الآب. لذلك قد وضع بنفسه بداية جديدة لفعل الصلاة، لكي يستميل بذلك أذن الآب لصراخ الطبيعة البشرية.] القديس كيرلس الكبير P.G. 76, 1392 A.

(٨) الدوسيتية هرطقة ظهرت في القرن الأول، والادعت أن جسد المسيح كان خيالياً ولم يكن حقيقياً.

«الذي في أيام جسده»:

«الذي»: ὅς

اسم صلة يربط بين ما قيل عن المسيح في الآية (٥) أنه **«لم يمجّد نفسه»**، وهو الشرط الثاني لصدق وظيفة رئيس الكهنة أنها من الله. وهنا يزيد عليها الشرط الأول أنه إنسان أُخذ من بين إخوته حسب الشرط الواجب اتّباعه في تعيين رئيس الكهنة.

«في أيام جسده»:

ترجمة حرفية من اليونانية، ترجمتها اللغة السريانية: «كان مدّثراً بالجسد»، وهو الشرط الأساسي ليُحسب بشراً سوياً. والقصد طبعاً هو تحديد حياة المسيح على الأرض حيث الجسد موطن الضعف؛ هكذا صار في وضع مماثل لنا تماماً بحسب طبيعتنا البشرية وهو في زمن الاستعداد لتقبّل دعوة الكهنوت. وذلك في مقارنة، بعد تكميله شروط الدعوة «في أيام جسده»، في مقابل يوم **«تعيَّن ابن الله بقوة ... بالقيامة من الأموات»** (رو١: ٤)، واكتمال استعلانه كرئيس كهنة بآن واحد.

وهكذا سنجد أنه في أيام جسده أكمل كل ما للبشر ما يُحسب أنه ضعف البشرية، مع أن «جسده» كان غير قابل للفساد، الأمر الذي اكتشفته البشرية بعد قيامته من الأموات بجسده هو هو وجروحه عليه.

ولنا في قوله «"أيام" جسده» مدخل لنتحسس من هذا التعبير أن أيام جسده كانت فترة زمنية محدودة وقليلة تُغاير تماماً من حيث الجوهر ما جاء بعد هذه «الأيام». اسمع ما يقوله القديس متى عن هذا الذي صار له بعد هذه الأيام التي قضاها تحت ثقل الجسد:

+ «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض ... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت٢٨: ١٨و٢٠)

«قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات»:

هناك مَنْ يقول أن ق. بولس هنا يصف محنة جثسيماني([9]) وصلاته المطولة المتكرِّرة وسجوده وعرقه المتصبِّب كالدم والنفس الحزينة حتى الموت بحسب الأناجيل، ولكن هذا القول مردودٌ عليه، وإلاَّ كيف سمع الله له «من أجل تقواه» في طلبه أن تجوز عنه الكأس؟

---

9. Moffatt, p. 66, Montefiore, p. 97, Michel, p. 220, Bruce, p. 98-100.

ولكن بحسب هذه الرسالة نجد أن قوله: «في أيام جسده» تمنع تحديد الصراخ والدموع بفترة معيَّنة، فهنا يكون نظر ق. بولس متَّجهاً مباشرة نحو بشرية المسيح في صراعها الطويل مع أعداء الإنسان الذين صبُّوا جام غضبهم عليه مجاناً فيما قبل الصليب وعلى الصليب أيضاً.

وإذا رجعنا إلى الأناجيل نجد هذه الآية موزَّعة على مواقف عدَّة، فنحن نسمع أن المسيح صرخ بصوت عظيم أمام قبر لعازر وبكى أيضاً ودمعت عيناه، وفي جثسيماني صلَّى طويلاً وحزيناً وسجد وسجد كثيراً وكرَّر الصلاة والسجود ولا شك أنه تخلَّل ذلك صراخ ودموع. كذلك نسمع أنه طلب وطلب أن «**تجوز عنه الكأس**» بمعنى أن يُنقذ من الموت نفسه وذلك بتعبير الرسالة إلى العبرانيين: «طلبات وتضرعات للقادر أن **يخلِّصه من الموت**». إذاً فهذه التعبيرات لا تخرج عمَّا ورد في جملته عن المسيح أيام جسده في الأناجيل.

ولكن لكي يقف القارىء الموقف الواعي والصريح ويقيِّم هذه المحنة التي جازها المسيح كإنسان مجرَّب بكل تجارب بني الإنسان ما عدا الخطية وحدها، فعليه أن يقيس البداية والنهاية ويوازن بين ما قبل الصليب وما بعد الصليب، لأنه بقدر ما تألَّم المسيح تمجَّد، وبقدر الهوان الذي عانى ارتفع فوق جميع السموات، وبقدر ما وقع تحت سلطان المحاكم والحُكَّام دُفع إليه كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض. ولكن ليس هذا كل ما هو على كفَّتيْ الميزان، بل بقدر ما تألَّم تأهل ليُعين المتألِّمين، وفي الهوان الذي عانى يذكر كل مَنْ وقع في الهوان، وبقدر انحنائه تحت سلطان القُساة والبُغاة يُقيم مَنْ سقطوا تحت القسوة وتحت بغْي الباغين. ثم ألا ترى أنه من أجلنا صرخ ومن أجلنا بكى بدموع ومن أجلنا قدَّم الطلبات والتضرعات المشفوعة بهذا البكاء وهذا الصراخ الشديد؟ هكذا في الأول صرخ وبكى بطلبات وتضرعات كإنسان يجوز التجربة والمحنة، وفي الثانية وقد نال السلطان كرئيس كهنة يقدِّم من جسده الذي ذاق الذلَّة والهوان وبه صرخ وبكى، نعم يقدِّمه — وقد أكمل به كل تجارب بني الإنسان — ذبيحة عن كل الباكين والصارخين، ويسمع طلبات المتوجِّعين وينجيهم من محنة ذاقها هو بمرارتها وينقذهم من موت أدرك طوله وعمقه!

أرأيت معي يا قارئي العزيز لماذا تجرَّب رئيس كهنتنا هكذا بكل تجارب بني الإنسان؟

«للقادر أن يخلِّصه من الموت»:

قد ترجمتها اللغة السريانية: «للقادر أن يقيمه من الموت»، وهي تحاول بذلك أن تعطي الترجمة نوعاً من الشرح الخاص. ولكن هذا يُحسب أحد المعاني وليس كلها، فالآية تحتمل أن يخلِّصه من موت الجسد الأمر الذي يتَّضح من رواية الإنجيل: «الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول، أيها

الآب نجني من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧). كما يُحتمل في كلام سفر العبرانيين هنا أن يخلِّصه من الموت إلى حياة جديدة.

والذي نعلمه من كلام إنجيل ق. يوحنا في الآية أعلاه أن الله لم يمنحه الخلاص من موت الجسد ولا هو استحسنه، إنما كان ذلك اضطراب النفس البشرية من قهر الموت، الذي استطاع هو نفسه بموته راضياً أن يقهر سلطانه إلى الأبد.

ولكن الآية باليونانية فيها: «يخلِّصه من الموت σῴζειν ἐκ θανάτου »، وبذلك تميل أكثر إلى المعنى الذي ترجمت به اللغة السريانية هذه الآية أي يخلِّصه خارج الموت أي بالقيامة وليس يخلِّصه من الموت نفسه بالجسد. وهذا هو الاحتمال الأكثر لياقة في فهم فكر المسيح الذي هو نفسه يقول: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب **ويخلِّص ما قد هلك**» (لو١٩: ١٠)، أي يخرجهم من عقوبة الموت بعد أن جازوها. وبحسب رأي العلاَّمة أتريدج أنه لو كان القصد أن يخلِّصه من موت الجسد للزم أن يكون الحرف «مِنْ» الموت ليس ἐκ بل ἀπό (١٠).

وواضح أن سفر العبرانيين هنا متأثر بالمزامير وهذه لغة المزامير في الخلاص من الموت: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليكِ. لأنك أنقذتَ نفسي من الموت ἐκ θανάτου ... أسلك قدام الرب في أرض الأحياء» (مز١١٦: ٧ـ٩). ومعروف أن هذا المزمور نبوَّة عن قيامة المسيح من الأموات بانتصار، والشكر هنا مقدَّم بلسان المسيح أن الله أنقذه من الموت بالقيامة.

هذا يردده هوشع النبي بإحكام، ونقرأه هكذا: «مِنْ يد الهاوية أفديهم من الموت ἐκ θανάτου أخلِّصهم، أين عقوبتك يا موت أين شوكتكِ يا هاوية» (هو١٣: ١٤)، وكلمة «عقوبتك» هي عن السبعينية.

ولكن الأكثر إيحاءً بأن طلبة المسيح في سفر العبرانيين لينقذه الله من الموت هي الخلاص من البقاء في الموت، هي أنها نفس طلبة المسيح في الأصحاح ١٧ من إنجيل القديس يوحنا: «ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك» (يو١٧: ١١). كذلك قوله عن القيامة من الموت: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧: ٤و٥)، بل وقوله الصريح لتلاميذه: «بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني (القيامة) لأني ذاهب إلى الآب.» (يو١٦: ١٦)

10. Attridge, *op. cit.*, p. 150.

أما في قوله: «وسُمع له من أجل تقواه»، فالاستجابة هنا واضحة أنها كانت بالقيامة من الأموات. وهذا يفسّر بأبلغ بيان أن طلبته كانت ليخلّصه من البقاء في الموت أي ليحييه. لأنه من المستحيل أن يكون الله قد سَمِعَ له ونجّاه من موت الجسد، لأنه مات بالفعل، وسفر العبرانيين يقول بأنه مات، وموته هو أساس السِّفْر كله لأنه موت الكفّارة والذي استُعلِن به أنه رئيس كهنة.

وقوله: «سُمع له "**من أجل تقواه**"» هو إفادة واضحة أنه، **كونه بلا خطية**، فإن جسده لم يرَ فساداً بل قام من الأموات. لأن الخطية هي أساس الموت والبقاء فيه، وعدم الخطية هو الدوْس على سلطان الموت والخروج منه بمجد عظيم. لأن «عدم الخطية» هو الوصلة السرية الفائقة الدقة والمعنى بين ما فيه للبشر وما فيه للاهوت. فكونه بشراً، فإنه حتماً يموت؛ وكونه إلهاً، فإنه حتماً لا يموت. ففي هذه التضادة الكبرى، وبناءً عليها، مات وقام من الأموات. وهذا هو ما صار إليه حالنا بموته الكفّاري من أجلنا وبنا. فنحن كبشر حتماً نموت، ولأنه غُفرت خطايانا غفراناً مُبيناً بكفارة قادرة مقتدرة بذبيحة المسيح فلا بد أن نقوم قيامة الصلاح للميراث المعدّ.

«وسُمع له من أجل تقواه»:

«تقواه»: باليونانية = εὐλαβείας ، وباللاتينية (فوجلاتا) = reverentia ،

وهي تأتي باليونانية بمعنى **«مخافة الله»**.

توجد عند الله صلاة لا بد أن تُستجاب وهذه هي نموذج الصلاة المستجابة، فلو جمعنا مفردات هذه الصلاة العجيبة التي قدّمها الرب يسوع في حياته لوجدناها كالآتي:

طلبات (كثيرة)، وتضرعات (كثيرة)، بصراخ شديد ودموع غزيرة، تسندها تقواه!! فبلغت أسماع الله ورضاه.

ليس من الضروري أن تكون استجابة الله لتضرعاته قد تمّت في الحال، لأن الله لم يكن أبداً في عَجَلة من رفع الضيقات عن المسيح، لأن الآب هو الذي رضي بها له: «أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن.» (إش ٥٣ : ١٠)

ولكن علينا أن نتبصّر في هذا الأمر لأن طلبات وتضرعات المسيح والرد المباشر عليها بأنها سُمعت، هذا الفعل من المسيح وردّ الفعل من الله بلغا معاً النهاية الموضوعة والمرسومة أن يصير رئيس كهنة، مخلِّصاً وفادياً وحامل دم كفّارته على يديه؛ أليس هذا يوضِّح أن صلواتنا وتضرعاتنا التي نقدّمها بصراخ شديد ودموع يسندها جهادنا في التقوى، تُسمع من خلال دم المسيح، وفي استجابتها تتم خطة الله نفسها التي اختطّها الرب يسوع بحياته وكهنوته وكفارته؟ وكأن المسيح قد وضع

النموذج الحي الذي إن طبقناه يضمن لنا بلوغ قصد الله من حياتنا أن يصير «لنا جراءة وقدوم» إلى الآب به (أف٣: ١٢)!!

لأن هنا حقيقة يبرزها لنا هذا السفر العجيب، وهي أنه بالتجسُّد و بأخذ المسيح اللحم والدم ليشبه إخوته في كل شيء حدث أمر سري للغاية، **وهو أن المسيح تضامن مع البشرية في مصيرها أمام الله!!** الذي أسماه ق. بولس في بقية رسائله بالكنيسة التي هي جسده ونحن أعضاؤه وهو **الرأس فيها**، ثم الكنيسة هي عروس المسيح.

هنا في سفر العبرانيين يقول هذا القول إنما في تعبير خفي نلمحه بل نلمسه في كل آية، أن **بالتجسُّد دخل ابن الله في حالة تضامن عملي مع البشرية، كل ما يجوزه يجوزه بها ومعها ومن أجلها**، تماماً كما خُلقت هي أصلاً له و به ومن أجله: «الكل به وله قد خُلق» (كو١: ١٦)!! **فالمسيح التقى مع خليقته — في تضامن فائق — لنقل البشرية مما صارت إليه من العجز إلى ما له من كمال ومجد، وذلك من واقع ارتباطه بها أصلاً أنها به وله ومن أجله خُلقت.** فالآن إذا نزل هو إلى هوانها، فهذا من شدة تعلُّقه بها، بل ومن شدة تعلُّقها به وإن لم تدرِ، لكي يصحح ما أصابها ويعيدها إلى رتبتها الأُولى. وهذا هو سر قول هذا السفر:

+ «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر **أن يرثي** لضعفاتنا بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية.» (عب٤: ١٥)

فتضامن المسيح مع البشرية — بالتجسُّد — جعله يحس بكل أحاسيسها ويَسْعد أن يَسْبر غَور أوجاعها وآلامها، بل ويتمادى في حبها: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). هذا هو هتاف البشرية كلها.

وفي هذا كله يظهر المسيح كأنه محاط بالضعف، وهكذا لاق به جداً أن يكون رئيس كهنة. **ولكن ضعفه لم يكن عن خطية بل حباً في أن يشارك الخطاة ليتأهل أن يكهن عنهم وبهم أمام الله!!** وقد اشترك بالصدق في كل محن الخطاة لكي يكون خبيراً في تقديم مسائلهم أمام الله، بل «ليكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام». **وهكذا تحلَّت قامة المسيح بالضعف — إرادياً — فأصبح لائقاً لمجد وظيفة رئيس كهنة فيما بعد:**

+ «لأنه وإن كان قد صُلب من ضعف (البشر) لكنه حي بقوة الله (كإله) ...» (٢كو ١٣: ٤)

ويرد ق. بولس على ضعف المسيح وجهالة الصليب عند اليونان بقوله العجيب: «لأن جهالة

الله (إن جاز هذا القول) أحكم من الناس، وضعف الله (إن جاز هذا القول) أقوى من الناس» (١كو١: ٢٥). والمعنى أن الجهالة في نظر العلماء فيما عمله المسيح باسم الله هو بعينه حكمة الله في المسيح.

وما بدا على المسيح من ضعف (إرادي) باسم الله هو بعينه قوة الله، فالمسيح نفسه هو: «قوة الله وحكمة الله»!! (١كو١: ٢٤)

٥: ٨ **«مع كَوْنِهِ ابناً، تعلَّمَ الطاعةَ مما تألَّمَ بِهِ».**

هنا استدراك بديع لقوله في الآية السابقة أنه سُمع له **من أجل تقواه** (أو مخافته لله)، إذ رأى أنه لا يليق بالمسيح كابن أن يسمع له الله من أجل تقواه فقط وهو «الابن»، الذي في وضعه الأزلي هو في كمال الطاعة لأبيه وغير مؤلَّم قط، لذلك يستدرك ويقول: **«مع كونه ابناً».**

ثم يستدرك مرة أخرى، أنه بالرغم من كونه «ابن»، إلاَّ أنه وُضع تحت الطاعة ليُتقن عظمتها وكمالها مما يتألَّم به.

والاستدراك الثالث الضمني وبنوع خفي هو أن الابن ــ «وهو الإله» ــ ولو أنه صاحب منتهى كمال الطاعة الطبيعية والإلهية للآب أبيه، إلاَّ أنه وبالرغم من ذلك ولكي يكون لائقاً ومهيئاً أن يصير رئيس كهنة، لزم أن **«يتعلَّم الطاعة» على مستوى البشر** تلك التي لا يمكن أن يتعلَّمها بشر إلاَّ بالآلام!!

هنا لا يسعنا إلاَّ أن نقول في هذه الآية إنها تحمل فوق ظهرها نصف اللاهوت المسيحي وأكثر!!

كما أنَّ في هذه الآية لَفْتة أخرى ذات أعماق، فهو يورد هنا صفة «الابن» في قوله: «مع كونه "ابناً"» في كيانه **ووضعه الطبيعي الأزلي قبل التجسد كابن لأبيه**، وهذا عمق لاهوتي صامت تمتاز به الرسالة إلى العبرانيين. فهذه الآية لا يوازيها إلاَّ ما قاله المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر "**الابن**" (في وضعه الطبيعي الأزلي) أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن أيضاً.» (يو٥: ١٩)

وفي هذه الآية يقول ذهبي الفم:
[لقد تعلَّم طاعة الله، هنا أيضاً يظهر كيف أن الآلام عظيمة النفع، وإذ قد تكمَّل، يقول: إنه صار سبب خلاص للذين يطيعونه. ولكن إن كان الابن تعلَّم (ربح) الطاعة من آلامه، فبالأكثر نكون نحن، ألا ترى كيف يتكلَّم بطرق كثيرة بخصوص الطاعة حتى يُقنع بها أولئك (العبرانيين)... لأنه من الأمور التي تألَّم بها تعلَّم على الدوام أن يطيع الله. وإذ قد «صار مُكمَّلاً» بالآلام، فهذا هو الكمال. وهكذا تحتَّم علينا أن نحذو هذا المثال عينه لكي نبلغ الكمال. لأنه لم يخلص هو فقط، ولكنه صار للآخرين مصدر خلاص متكاثر: «وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.] [11]

وهنا نستطيع أن نلمح من كلام ذهبي الفم أنه أراد أن يعبِّر عن المسيح بلغة سفر العبرانيين أنه إذ صار رئيس كهنة لائقاً بهذه الوظيفة العظمى في وضعها الإلهي والبشري معاً، يستطيع أن يُطبِّق فينا ومعنا منهجه العجيب في استخدام الآلام كوسيلة عظيمة المنفعة في إظهار «**طاعتنا لله**»، بل تكميل **قامتنا في قامته التي تكمَّلت بالآلام**، التي بها بلغ وهو في أيام جسده وبجسده البشري هذا نفس مستوى الابن الأزلي في كمال طاعته الإلهية للآب قبل التجسُّد! وبهذا أصبح لنا الكفاءة والدالة والحق معاً ــ بعد أن أكمل طاعته بالآلام ــ أن يقدِّمنا إلى أبيه كأبناء، إن نحن قَبِلْنا معه وفيه وبه خضوعنا للآلام عينها بطاعة جبلة مذعنة كطاعته للآب حتى الصليب. وهذا اختزله بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية بقوله: «إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو٨: ١٧).

ولكن الإضافة التي أضافها هنا في سفر العبرانيين هي أنه بصفته رئيس كهنة وقد أكمل منهج الطاعة لله باحتمال الآلام حتى الموت موت الصليب، صار له القوة والقدرة والكفاءة أن يسلِّمنا قوة وقدرة وكفاءة هذه الطاعة عينها إن تمسَّكنا به إلى النهاية. بمعنى أننا الآن لا نواجه الآلام وحدنا أو نحتمل الضيقات والمذلات وحدنا، وإلا فمستحيل علينا أن ننصر أو نغلب؛ بل إن لنا رئيس كهنة نال من الله حق الدخول معنا إلى منتهى عمق الآلام والضيقات والمذلات ليحملها معنا كتفاً بكتف، هذه هي أخص خصائص رئيس الكهنة الذي يكهن لنا وبنا فيما لله. هذا هو تكرار هذه الرسالة الذي لا يمل، أنَّ «**لنا رئيس كهنة قادر أن يرثي لضعفاتنا**»، وكذلك «رئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يكفِّر (بجسده) خطايا الشعب، لأنه فيما هو قد تألَّم مجرَّباً، **يقدر أن يعين المجرَّبين.**» (عب٢: ١٧و١٨)

11. Chrysost., *op. cit.*, p. 404.

هذه القدرة ليست نظرية أو صفة كامنة فيه، بل هذه القدرة نالها بطاعته تحت الآلام حتى الكمال من أجلنا، لكي يعمل بها فينا ليجعلنا قادرين مثله أن نطيع تحت الآلام عينها لنبلغ بها كماله الذي ناله لحسابنا. وبالاختصار الشديد وبحسب روح الرسالة إلى العبرانيين، فنحن لا يمكن أن نتألَّم إلا بتدبير الله لتكميل طاعتنا له ولبلوغ كمالنا المسيحي الذي يرضيه. فكل ألم نجوزه يتحتَّم أن يكون جزءاً حيًّا من طاعتنا، وبهذا يصبح درجة من درجات كمالنا المسيحي الذي من أجله نعيش الآن! كذلك فيستحيل علينا كمؤمنين أن نجوز الآلام بدون تدخُّل سرِّي من المسيح ليرفع من قدراتنا للاحتمال والصبر، فهذا عمله الأساسي كرئيس كهنة لنا وشفيع.

وهذا هو الذي عبَّر عنه بطرس الرسول إنما بصورة وعظ وعزاء بقوله: «إن كنتم تتألَّمون ــ عاملين الخير ــ فتصبرون **فهذا فضل عند الله، لأنكم لهذا دُعيتم**، فإن المسيح أيضاً **تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً** لكي تتبعوا خطواته.» (١بط ٢: ٢٠و٢١)

وهنا ينبغي أن نذكِّر القارىء أن الآلام التي كان يعانيها هؤلاء العبرانيون والتي تسبَّبت في زعزعة إيمانهم ومحاولتهم الإفلات من نير المسيح للعودة إلى نير الناموس، الآن قد أقنعهم بولس الرسول أنه بهذه الآلام عينها تَكمل طاعتهم لله كالمسيح، وبالمسيح؛ بل ويبلغون الكمال المسيحي الذي يضمن لهم الخلاص الأبدي.

فهل نقتنع ونؤمن أن الآلام التي نجوزها هي اختبار طاعتنا لله؟ والطريق المرسوم لنوال الكمال المسيحي؟

٥ : ٩ **«وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذين يطيعُونَه سببَ خلاصٍ أبديٍّ».**

«وإذ كُمِّل»: καὶ τελειωθεὶς

هذا الكمال الذي بلغه المسيح تحت قيادة الآب من داخل التجارب والآلام، له وجهان، وجه يختص بالإنسان ووجه يختص بالله. فالكمال من وجهة نظر إنسانية يُرى بوضوح في ذبيحة الصليب التي أكملها المسيح من أجل خلاص الإنسان، فهذا هو منتهى الكمال الذي انتهى إلى الخلاص الذي يرنو إليه الإنسان، وقد بلغه محقَّقاً على الصليب. أما الكمال من الوجه الإلهي من جهة الله فهو ارتفاع المسيح إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين الآب في كمال المجد، الذي يستعلن منتهى نجاح الابن في تكميل المهمة العظمى التي ألقاها الله عليه.

«صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي»:

«صار»: ἐγένετο

كلمة «صار» هنا تعبِّر عن دخول المسيح في حالة جديدة تماماً ذات فعالية فائقة، فنحن نعرف أن الابن أولاً «صار جسداً» (يو١: ١٤). وهكذا حاز الابن على حالة جديدة بشرية أعطته فعالية مقتدرة لتحمُّل الآلام والطاعة حتى الموت على الصليب.

أما «صار» الثانية فهي نتيجة احتماله الآلام حتى الموت وقد أكمل الطاعة حتى منتهاها، وبذلك حاز الابن على حالة جديدة ذات قدرات عالية جداً لخلاص الإنسان بسبب الآلام والموت الذي جازه على الصليب، إذ حُسب أنه صاحب الكفَّارة، **أي رئيس كهنة له الكفاءة بذبيحة نفسه أن يكفِّر عن كل خطايا الإنسان، أي أنه صار سبب خلاص أبدي.**

هنا كلمة «**خلاص أبدي**» لها رنين موازٍ لكلمة «**حياة أبدية**»، حيث الخلاص الأبدي هنا يرد على الخلاص الزمني والجسدي الذي صنعه موسى للشعب في مصر من سُخْرة فرعون.

١٠:٥ «مدعوًّا من الله رئيسَ كهنةٍ على رتبةِ ملكي صادق».

هذا التقرير النهائي، أن المسيح صار مدعواً من الله رئيس كهنة، هو حصيلة الآيات السابقة أنه **لم يمجِّد نفسه** ولم يغتصب هذه الوظيفة بنفسه، وأيضاً أنه **أكمل الطاعة مما تألَّم به مجرَّباً** في كل شيء مثلنا بلا خطية. هكذا استحق المسيح أن يُدعى من الله رئيس كهنة كما جاء في المزمور: «أقسمَ الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (مز١١٠: ٤)

أما لماذا على مثال كهنوت ملكي صادق، فواضح من الآية السالفة أنه صار «**سبب خلاص أبدي**». فلهذا السبب ارتفع كهنوته إلى مستوى «**كهنوت أبدي**»، وليس «كهنوت زمني» كما كان لهارون، والكهنوت الأبدي ذُكر في النبوة مقتصراً على ملكي صادق وحده دون غيره لأنه كان مثال الآتي.

هنا قول السفر أن المسيح صار مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق بمعنى «إلى الأبد»، هو قرين ما قيل عن المسيح في بداية رسالة رومية: «**تعيَّن ابن الله** بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤). وبهذا تكون القيامة التي قامها المسيح في مجد قد استعلنته بآنٍ واحد أنه الابن الوحيد المتجسِّد ورئيس كهنة الله لخلاص الإنسان.

ثانياً:

تمهيد للكشف عن أسرار المسيح

[٥: ١١ – ٦: ٢٠]

أ – وقفة للمراجعة والتقريع

بلادة هؤلاء العبرانيين وتقاعسهم عن اللحاق بحركة الروح

(عب ٥: ١١–١٤)

يشبّه بولس الرسول الحياة الروحية في المسيح يسوع، بالحياة الجسدية الطبيعية من جهة النمو المطرد. فللإيمان المسيحي فترة تلمذة قصيرة يبدأ بها الإنسان المسيحي ينفتح على وعي حقائق الله الأزلية ومعاملاته الفائقة الحنو والمحبة والتهذيب الأبوي، فإذا كان مستجيباً لحركة الروح القدس في الترقي بالمعرفة والفهم، انسلخ بسهولة من فترة التلمذة إلى قامة الرجولة في الإيمان حيث يُستأمن على أسرار النعمة ويعمل بقوتها، وتحل عليه قوة الله حتى إنه لا يتوقف قط عن الترقي في مجالات المعرفة الروحية والمعاملات الفائقة لأبوة الله. ولكن للأسف الشديد إذا تبلّد الإنسان المسيحي وتباطأ في قبول التعليم وتخاذل في الاستجابة لنداء الروح ووحي الخبر وتأنيب النعمة، واستهان بكلمة الله وتصامم ورجعت كلمة الله عنه فارغة دون إثمار، فإنه يُحسب أنه طفل في الإيمان ولكن طفلٌ عبيُّ الفكر، كسيح الحركة، فات عليه دور النضوج. وكما إذا حاولت الأم إطعام طفلها الرضيع لحماً ودسماً فإنه يتقيأه ولا يثبت في معدته، كذلك هؤلاء المعوّقون في الإيمان لا يستسيغون الكلام العالي والمعاني الكبيرة، وترتد عنهم النعمة محزونة إذ لا تجد في قلوبهم موضعاً. ومرة أخرى نقول: إن الإيقاع المسيحي رتيبٌ في الحركة الصاعدة، والأذن السليمة الواعية بالروح تتدرَّب طبيعياً في انسجام مع النعمة في تلقينها مناهج الروح، ولكن إذا عجزت الأذن بسبب ميلها إلى إيقاع الجسد والعالم، فإن سيمفونية الروح تصبح عندها ضوضاء ولغطاً بلا معنى.

وهنا في الأصحاح الخامس من هذه الرسالة نجد بولس الرسول بعد أن وصل في حواره البديع إلى قمة استعلان المسيح كابن ورئيس كهنة قادر على قيادة النفس إلى خلاصها بقدراته العالية التي اكتسبها عن أصالة وجدارة، سواء بالطاعة التي بلغ قمتها باحتماله الآلام وبرضا الله في تعيينه رئيس كهنة بقَسَم، بسبب لياقته التي بلغها بجهده واحتماله وصبره حتى موت الصليب؛

نجده يتوقف مرة واحدة ليواجه هؤلاء العبرانيين المتنصّرين المتذمرين الراغبين في العودة إلى نير الناموس، ليؤاخذهم بشدة فاضحة لتقاعسهم عن معرفة كل هذه الأمور التي شرحها باعتبارهم قبلوا الإيمان المسيحي ونالوا نعمة العماد، ودخلوا رسمياً في شركة الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة. فكان المفروض أن يكونوا أئمةً في هذه المعارف الروحية وشركاء بالحق في مواهب الروح القدس. ولكنه يعيِّرهم بقسوة أنهم لم ينسلخوا عن دور الرضاعة وقد تقزّمت قامتهم وصغرت مداركهم وكأنهم معوَّقون.

ولكن وقبل أن نخوض في هذه التوجيهات المرّة نقول إن هذه الرسالة هي إلى العبرانيين شكلاً، أما موضوعها الحقيقي فهو نحن، نحن الذين نعيش هذا الجيل الذي بلغت عنده كلمة الإنجيل أقل مستوى بَلَغَتهُ في كل العصور السالفة. وهنا تبدأ الرسالة تأخذ مستوى التقدُّم في معرفة المسيح إنما بتؤدة وصبر يتناسبان مع السامعين والقارئين. ويظل على هذه الوتيرة من التعليم البطيء من ٥ : ١١ وحتى ٦ : ٢٠ .

كشف حالة الإخفاق التي يعاني منها هؤلاء العبرانيون المترددون (٥ : ١١ و١٢)

٥ : ١١ **«الذي من جهتِهِ الكلامُ كثيرٌ عندنا وعَسِرُ التَّفسيرِ لِنَنْطِقَ به إذ قد صِرتُم متباطِئي المَسامِعِ».**

كان من السهل على بولس الرسول فيما سلف، أن يقدّم التوضيحات الخاصة بالمسيح كابن يفوق قامة موسى وهارون ويشوع معاً. ولكن أن يدخل في سر كهنوت المسيح الفائق الذي على طقس ملكي صادق في مجاهل نَسَبِه وعجيبة كهنوته الإلهي غير المدرك، فهنا يتعثّر فكر ق. بولس وقلمه معاً بسبب عدم قدرته على النزول بالمستويات الروحية العالية ليناسب فكر هؤلاء العبرانيين الذين انصدّت قلوبهم ومسامعهم عن معرفة النور والحق والحياة في الرب، وهم على شفا الارتداد عن الله في الإيمان بالمسيح.

هنا يا عزيزي القارىء تكمن أخطر عقبة أمام تقدُّم الإنسان المسيحي في الانفتاح على معرفة أسرار الله وبركاته وغناه المدَّخر للمؤمنين به. وهذه العقبة هي في هذه الحقيقة المؤلمة: **«متباطئي المسامع»**. فكلمة الله تأتي على فم الواعظ والأب الروحي والمعلم والمرشد والإنجيل أيضاً: حارّة، ملتهبة، وعلى تردُّد عالي القوة، ولكنها تصطدم بأذن بليدة لا تفرّق بين صوت الله وصوت الإنسان

بين التردُّد العالي والتردد الميت بغير ذي صدى.

ماذا حدث للأذن؟

واحد من أمرين: إما أن تكون أذناً لم تنفتح بعد على صوت الله إذ تكون قد قبلت الإيمان اسماً لا فعلاً وتعيش فيه شكلاً لا روح فيها، وتعبُر عليها الأيام والسنين وهي كما هي أذن لا تعي صوت الله ولا تتأثّر به.

وإما أذن قبلت الإيمان ووَعَتْه وفرحت به واستقبلته ووعدت أن تعيش له وبمقتضاه، ولكن مرت السنين وتراخت العزيمة واضمحل الانفعال الصالح وبردت الروح واقتحمت أمور الدنيا والذات مجال الله واحتلته رويداً رويداً فلم يَعُدْ لصوت الله مكان!

«الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ قد صرتم متباطئي المسامع»:

أولاً يلزم أن نصحح الترجمة العربية فالصحيح أن يُقال:

«الذي عندنا من جهته كلام كثير نقوله، وهو عسر التفسير إذ قد صرتم متباطئي السامع».

«الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به»:

هنا مقصد الآية هو المسيح في نسبته لكهنوت ملكي صادق، حيث كهنوت ملكي صادق هو أصلاً في زمانه تعبيرٌ حيٌّ واقعيٌّ نبويٌّ عن كهنوت المسيح.

والسبب المباشر لكون الكلام في هذا الأمر عسيراً ويحتاج إلى أذن رهيفة السمع حاذقة في التقاط المعاني النبوية على بعد، هو الصلة بين كهنوت ملكي صادق غير الدموي وكهنوت المسيح القائم على سفك الدم، مع أن الكهنوت فيهما واحد كون كل منهما هو «كاهن الله العلي»، هذا بالنبوة وهذا بالواقع الحي. لذلك، فتطبيق كهنوت المسيح على كهنوت ملكي صادق يلزمه العبور على سر مأكل الجسد والدم في «الخبز والخمر» وهو ما لم يطرحه بولس الرسول على مسامع هؤلاء العبرانيين بالمرة لأن حالهم لم يكن أفضل من حال التلاميذ المتقاعسين عن الارتقاء إلى مستوى الروح القائلين: «فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا، إن هذا الكلام صعب. مَنْ يقدر أن يسمعه؟» (يو٦: ٦٠). ولكن هذا القصور من جانب هؤلاء العبرانيين لم يمنع ق. بولس أن يثابر ويصابر في شرح ما يمكن شرحه لأنه اعتبر ذلك منذ البدء أنه واجب يؤديه عن إخلاص.

«عسر التفسير»:

باليونانية: δυσερμήνευτος

وباللاتينية (فولجاتا): ininterpretabilis ad dicendum.

ومعنى الترجمة اللاتينية: «صعب على المتكلِّم أن يشرحه حتى يمكن فهمه». هنا اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية توضِّح القصد تماماً، حيث الصعوبة ليست عند السامع بل عند المتكلِّم أو الكاتب، فهو لا يجد ما يمكن أن يكتبه لينزل به إلى مستوى فهم هؤلاء المتقاعسين عن المعرفة والفهم معاً. والقصور هنا لدى السامعين ليس قصوراً طبيعياً، لأن القصور الطبيعي لا يمنع النعمة من عملها في النفس، ولا يحرم صاحبه من عطف الله ومراحمه، ولكنه قصور إرادي، وعجز نتيجة بلادة في التحصيل والسعي للمعرفة، وهذا من ألعن الأمور التي تتسبب في نقمة الله وقد كشفه الوحي قديماً على لسان إشعياء النبي:

+ «تعالَ الآن اكتب هذا عندهم على لوح وارسمه في سفر **ليكون لزمن آتٍ** للأبد إلى الدهور. لأنه شعب متمرِّد، أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا **أن يسمعوا شريعة الرب،** الذين يقولون للرائين لا تَرَوْا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات، **كلِّمونا بالناعمات،** انظروا مخادعات.» (إش ٣٠: ٨ــ١٠)

«إذ قد صرتم متباطئي المسامع»:

الإنسان السائر على طريق الصحة الروحية في تدرُّج نموه على مستوى السنين والتنقُّل في التعليم، تزداد أذنه حساسية في التعرُّف على أسرار الله، بل وتلتقط المعارف بسرعة تتناسب مع الخبرة والدراية على مدى الأيام والليالي في الدراسة والتحصيل والقراءة الواعية وسماع كلمة الوعظ في حينها. ولكن هؤلاء العبرانيين ــ والكثير منا أيضاً ــ يزدادون انصداداً عن قبول كلمة الله بازدياد عمرهم، والسنين تخلِّف لهم الصمَم من جهة ما لله. وإن هم حاولوا الفهم فيما يخص الإنجيل، يصبح ذلك عسيراً عليهم بسبب الصدأ الذي **علا** آذانهم، بل والأصعب جداً أن يحاول المعلِّم شرح الأسرار العميقة لهم.

هذه الشكوى عينها يعاني منها أصحاب الكلمة العميقة وكاشفو سر الإنجيل في هذه الأيام، فالآذان التي اعتادت سماع الأغنيات واستساغت معاني ما رخص وتدنَّى من الكلمات، ما لها وسر الله؟ وأين هي من أنين المصلوب؟ بل والعقول التي التصقت بالعلوم التصاقاً وانكبَّت على الكتب انكباباً ولم تعطِ فرصة للكتاب الوحيد، بأي مدخل يدخل إلى أفكارها وقد صيغت الآذان والعقول على العلوم صياغة فلم يَعُدْ لها بعد علوم الدنيا مدخل ولا مخرج؟ لهؤلاء وهؤلاء صارت

دراسة الإنجيل مشقَّة، والتلمذ لحق المسيح بعد فوات العمر ضيقة. فالأذن كَلَّ سماعها، إن سمعت! والعقل أكثر منها كلالاً ... «كلِّموا بالناعمات.» (إش٣٠:١٠)

١٢:٥ «لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلِّمينَ لسبب طولِ الزمانِ تحتاجُونَ أن يعلِّمكم أحدٌ ما هي أركانُ بَدَاءةِ أقوالِ الله وصِرتُم محتاجينَ إلى اللبَنِ لا إلى طعامٍ قويٍّ».

هذه معلومة تقليدية ذات قيمة عالية عند الأولين وعند كل حسٍّ أمين، وتقولها التوراة هكذا: «عند الشَّيب حكمة وطول الأيام فهمٌ» (أي١٢:١٢). فإن رأيتَ إنساناً دخل به العمر وشاب رأسه ظننت به معلِّماً أول ما تظن، فالعمر بخبراته صدى السنين الحاكي، يجمع ألواناً من المعارف وألواناً، فإن كان ذاك الإنسان رجل دين وكنيسة فهو يكون ولابد صاحب عقيدة وشريعة وكلمة حية.

لذلك، هال بولس الرسول أمر هؤلاء اليهود المتديِّنين أصلاً والمتمرِّسين في الحكمة والمعرفة، أن يجدهم، وبعد سنين طال مداها وهم في إيمان المسيح عائشون، يعوزهم هكذا فَهْمُ حقائق الإيمان المسيحي القائم على كهنوت المسيح الكفَّاري وصلة ذبيحة الصليب الحية بخبز ملكي صادق وخمره. باعتبار أن كل ما كُتب وقيل عن كهنوت لاوي والذبائح وكهنوت ملكي صادق وسر خبزه وخمره ما هي إلاَّ بداية أركان الإيمان الأول، وُضعت في موضعها الزماني بإحكام، حتى تصلح عندما يحين الوقت لتكون تصويراً دقيقاً وتفسيراً حياً لما قدَّمه المسيح على الصليب لخلاصنا.

فماذا إن كانت حقائق الإيمان المسيحي الأساسية عسيرة التفسير وصعبة القبول؟ الأمر هنا محيِّر فعلاً أمام الرسول، وهو موقف عانى منه المسيح تماماً في حواره مع نيقوديموس وهو معلِّم إسرائيل الفريسي المرموق عضو السنهدريم الأعلى حينما اضطر المسيح أن يقول له: «أنت معلِّم إسرائيل **ولست تعلم هذا** ... إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات» (يو٣: ١٠و١٢). علماً بأن المسيح كان يتكلَّم عن الميلاد الثاني من فوق وقد حَسِبه أنه أرضيات. فإن مثَّلنا معرفة الأرضيات باللبن فمعرفة السماويات تكون طعام البالغين: «**طعامي** أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمِّم عمله» (يو٤: ٣٤). فالعبرانيون عجزوا حقاً عن ملاحقة أسرار السماء، فحقَّ لهم اللبن طعاماً.

وقد اتفق بعض الآباء الأولين(١٢) على أن اللبن هو ما يخص ناسوت المسيح والطعام البالغ هو

12. Westcott, *op. cit.*, pp. 133f.

ما يخص لاهوته. ولكن هذا التقسيم خطر، فالمسيح لم يعمل بناسوته عملاً لم يكن اللاهوت فيه موجوداً وعاملاً. ونحن لا نقبل تقسيم أعمال المسيح إلى أعمال ناسوتية وأعمال لاهوتية. فالمسيح واحد بلاهوته وناسوته ولم ينقسم قط على ذاته ولا في ذاته أو أعماله.

وحينما قال المسيح لنيقوديموس بخصوص عدم فهمه لكيفية حدوث الميلاد الثاني من فوق بالماء والروح ــ أي المعمودية ــ بأن هذا يخص الأرضيات، فهو يقصد أن المعمودية هي بداية عمل الله وبداية عمل المسيح بآن واحد، وهي تتم على الأرض ولكن تحقيقها الكامل والفعلي لن يُعرف إلاَّ في السماء لأن المولود في المعمودية هو الإنسان الجديد المخلوق حسب الله لميراث الحياة الأبدية، فإن لم تقبلوا الميلاد الثاني بالمعمودية فكيف أتكلم معكم عن الحياة الأبدية. ولا يغرب عن بالنا أن المعمَّد في التقليد الكنسي، كان أول ما يُقدَّم له بعد المعمودية هو كوب من «اللبن» إفادة أن المعمودية هي الميلاد الجديد للإنسان التي فيها يرضع ثدي السماء ليشبَّ إنسان الله، وحيث اللبن هو بداية تعليم العقل فيما يخص الله.

لذلك يكون قول بولس الرسول: «صرتم محتاجين إلى اللبن»، يعني بدء التهجّي في المبادىء الأُولى للمعمَّدين، وهذا يحققه قوله في بداية الأصحاح السادس هكذا: «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح ... تعليم المعموديات ...» (عب٦: ١و٢)

١٣:٥ «لأن كلَّ مَنْ يتناوَلُ اللبنَ هو عديمُ الخِبرةِ في كلامِ البرِّ لأنه طفلٌ».

ق. بولس هنا يرفع الحوار إلى نظرية عامة حتى يفضح حال أولئك القوم الذين شاخوا في الجهالة وفاتهم زمن التتلمذ لحق المسيح. فقال: إن لكل قامة من قامات الإنسان الطبيعية طعاماً خاصاً، فللطفل مثلاً لا يُعطى إلاَّ اللبن لأنه لا يهضم غيره، ويقابل هذا في الروحيات أولئك الذين ليست لهم خبرة أو معرفة لكلام البر فهؤلاء يتناولون من المعارف المسيحية ما يناسب الخارجين من جرن المعمودية وهي أركان بداية الإيمان يلقَّنونها كلمة كلمة.

هكذا أظهر هؤلاء القوم بسلوكهم وضعف إيمانهم بالمسيح أنهم عديمو الخبرة في كلام البر إذ أنهم لم يقبلوا من المسيح قوة برِّه المجاني الذي يرفع الإيمان المسيحي إلى معرفة أعماق الله. وأثبتوا بعجزهم عن إدراك المسيح مخلِّصاً وفادياً ــ على مستوى ذبيحته الكفّارية كرئيس كهنة حقيقي قادر أن يخلِّص إلى التمام كل الذين يتمسّكون به حتى النهاية ــ أنهم أطفال حقاً في الإيمان.

«كلام البر»: λόγου δικαιοσύνης

يأتي هذا المقطع بدون أداة تعريف «أل» لأن «أل» ὁ غائبة(١٣). وهذا يفيد أن ق. بولس يقصد ليس «كلام البر» كفعل أو عمل، ولكنه أراد أن يهبط بمعرفتهم إلى ما دون الواقع العملي إلى مجرد المعرفة بأي كلام عن البر بصورة عامة، وهذا في الحقيقة نزول بدرجة هؤلاء العبرانيين إلى الحضيض. ولكن لا نريد أن ندين، فنحن واقعون في مثل هذا الحضيض عينه. فالغالبية العظمى من المسيحيين الآن لا يمارسون بر المسيح ولا حتى يعرفونه!! فالذي أدرك بر المسيح عملياً هو العائش في ملء قوة الإيمان، وقد انتقل من إنسان يتعامل مع الآخرين على مستوى أخلاق العالم والناس إلى إنسان يعيش حياة فائقة على الطبيعة. هذا هو عمل بر المسيح أي لا يخضع لانفعالات الطبيعة البشرية في شهواتها وأخطائها وعيوبها سواء بالقول أو الفكر أو العمل، ولكنه يكون منقاداً بالنعمة، وبرُّ الله يسند ضعفه وروح الله يشهد فيه ويشهد له.

أمَّا كونهم عديمي الخبرة حتى في مجرد كلام البر ذاته، وليس في عمله فقط، فهذه هي الأميَّة المسيحية الصارخة والجهالة المؤدية إلى الخسران، التي تصرخ منها الكنيسة في هذه الأيام: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو٤: ٦)

٥: ١٤ «وأما الطعامُ القويُّ فللبالغينَ الذين بسببِ التمرُّنِ قد صارت لهم الحواسُّ مدرَّبةً على التمييزِ بين الخيرِ والشَّرِّ».

التشبيه هنا بين الطعام القوي والتدريب الذي دخلت فيه حواس الفكر والقلب والضمير بسبب التعامل مع كلمة الله والانفتاح على بر المسيح. فكما أن الطفل إذا استمر على نموه الطبيعي وصار من البالغين يستطيع أن يأكل الأطعمة القوية التي تميِّزها أجهزته الهضمية وتستفيد منها وتنال قوة، كذلك الإنسان المسيحي إذا واظب على التعلُّم على كلمة الله وتطبيقها على السلوك والأعمال والأقوال والتفكير، فإنها تتحوَّل فيه إلى قوة تمييز في الفكر والقلب والضمير يفرز بها بين ما هو خير وما هو شر، وهكذا يتقوَّم السلوك ويتقوَّى التدبير. ولعلَّ أعظم فضيلة يمكن أن يحصل عليها الإنسان الساعي في طريق المسيح للخلاص هو هذا «التمييز» διάκρισιν أو ما يسميه الآباء بـ «الإفراز». وإليك هذه القصة التعليمية من فم القديس أنبا أنطونيوس كما وردت في كتاب «بستان الرهبان»:

---

13. Westcott, *op. cit.*, p. 134.

[اجتمع جماعة من الآباء عند الأنبا أنطونيوس وتباحثوا في أي الفضائل أكمل وأقدر على حفظ الراهب من جميع مصائد العدو، فمنهم مَنْ قال إن الصيام والسهر والصلاة يقوّمان الفكر ويُلطّفان العقل ويسهّلان للإنسان سبيل التقرُّب إلى الله. ومنهم مَنْ قال إنه بالمسكنة والزهد في الأمور الأرضية يمكن للعقل أن يكون هادئاً صافياً خالصاً من هموم العالم فيتيسّر له التقرُّب من الله ... وآخرون قالوا إن فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل لأن الرب يقول لأصحابها كما وعد: تعالوا إليّ يا مباركي أبي رِثوا المُلك المُعدّ لكم من قبل كون العالم. فمن بعد انتهائهم من المباحثة والكلام قال الأنبا أنطونيوس: حقاً إن كل هذه الفضائل التي ذكرتموها نافعة ويحتاج إليها كل الذين يطلبون الله ويريدون التقرُّب إليه، إلاّ أننا قد رأينا كثيرين يُهلكون أجسادهم بكثرة الصوم والسهر والانفراد في البراري والزهد حتى إنهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدّقون بكل ما يمتلكون، ومع كل ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وعَدِموا جميع تلك الفضائل وصاروا مرذولين. وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا الإفراز. إن الإفراز هو الذي يعلّم الإنسان كيف يسير في الطريق المستقيم الملوكي وكيف يحيد عن الطريق الوعرة. إن الإفراز يعلّم الإنسان كيف لا يُسرق من (الضربة) اليمينية بالإمساك الجائر المقدار وكيف لا يُسرق أيضاً من (الضربة) الشمالية بالتهاون والاسترخاء. إن الإفراز هو عين النفس وسراجها كما أن العين سراج الجسد. وبخصوص الإفراز حذّر الرب قائلاً: «احذر لئلا يكون النور الذي فيك ظلاماً». فبالإفراز يفحص الإنسان سيئاته، وأقواله وأعماله، وبالإفراز أيضاً يفهم الإنسان الأمور ويميّز جيدها من رديئها. ونتأكد ذلك من الكتب المقدسة: فشاول لمّا لم يمتلك الإفراز اظلمّ عقله، فلم يفطن إلى أهمية ما قاله الله له بلسان صموئيل النبي، فأغضب الله بذلك التصرُّف الذي به كان يظن أنه يُرضي الله، ونسي أن الطاعة لله أفضل من تقريب الذبائح. والرب يسمي الإفراز رُبّاناً ومدبّراً لسفينة حياتنا. والكتاب يقول: إن الذين ليس لهم مدبر يسقطون مثل الورق من الشجر — وأيضاً يقول الكتاب: إن الإنسان الذي يعمل أموره بغير مشورة ولا إفراز يشبَّه بمدينة غير محصّنة، وكل من أراد دخولها وأخذ كنوزها لا يجد مانعاً له من ذلك].

وهكذا نستطيع أن نفهم من كلام ق. بولس في هذه الآيات الأخيرة أنه يتعرَّض إلى أخطر عنصر من عناصر التقويم الروحي والفكري العملي في أسلوبه البسيط للغاية. فالمسألة ليست مسألة لبن وطعام بل مسألة إنجيل مكتوم وإنجيل مُستعلَن: «ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله.» (٢كو٤: ٣و٤)

كما هي أيضاً مسألة معمودية، إما انتهت إلى لبس المسيح ومعها استنارة وارتفاع فوق قامة الإنسان الطبيعي إلى ما هو فوق الطبيعة من واقع شركة مع المسيح في الروح القدس بشهادة الضمير؛ وإما انطفأ نورها وانحبس روحها وبردت حرارتها وعاش الإنسان مُعرًى مفضوح الحال أمام ضميره والناس:

+ «هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي، لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مُصفًى بالنار (إيمان اختبار) لكي تستغني (حقاً) وثياباً بيضاً (أعمال طاهرة) لكي تلبس فلا يظهر خزي عُريتك ...» (رؤ٣: ١٦ـــ١٨)

أما الفرق بين إنسان عنده موهبة التمييز الروحي وإنسان فاقد لهذه الموهبة، فهو كالفرق بين إنسان يعرف أين يسير وإلى أين ينتهي به المسير، وإنسان يسير ولا يعلم مبدأ المسير أو منتهاه: «وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق.» (يو١٤: ٤)

الإنسان المسيحي الذي تدرَّبت حواسه الروحية على الإنجيل وقيادة النعمة قد ثبَّت وجهه نحو الوطن السمائي وإليه يسير، تقوده المسحة وتعلّمه كل شيء (١يو٢: ٢٧).

أما الإنسان الذي ضيَّع زمان تلمذته في الإهمال والكسل واللامبالاة وتسويف العمر باطلاً وانشغل سواء في عمله أو ماله أو عياله عن روحه وإنجيله والله، أو غرق في همومه وحزنه وتذمُّره على الحياة وأحزن معه روح الله الساهر على خلاصه، فإليه هذه الرسالة نهديها لعله يجد فيها ما يذكّره بعهده مع المسيح فيقوم ويتوب ويطلب وجه الله.

الأصحاح السادس

ب ــ التحذير المخيف: وهو تكملة ما سبق أن قاله في نهاية الأصحاح الخامس تمهيداً للكشف عن أسرار المسيح:

الهلاك المُعَد نتيجة الارتداد عن الإيمان يجعل التقدُّم والنمو في المسيحية ضرورة حتمية.

١ ــ (٦: ١ــ٣): التقدُّم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية وليس مجرد اجتهاد مشكور.

٢ ــ (٦: ٤ــ٨): مصير المرتدين عن الإيمان، ماذا يكون، واستحالة التجديد للتوبة وإعطاء نماذج من الطبيعة.

٣ ــ (٦: ٩ــ١٢): عودة إلى التشجيع وإلقاء الرجاء في قلوبهم.

٤ ــ (٦: ١٣ــ٢٠): صدق مواعيد الله.

١ ــ التقدُّم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية
وليس مجرَّد اجتهاد مشكور
[٦ : ١ ــ ٣]

٦ : ١ : وينقسم التوجيه الذي يقدِّمه ق. بولس هنا إلى قسمين:
ــ قسم إيجابي حتمي وهو الواجب أن يكون (٦ : ١ «أ») (حيث الآية الأُولى تُقسَّم هي نفسها إلى «أ» في مبتدئها، «ب» في منتهاها).
ــ قسم سلبي مرفوض (٦ : ١ «ب»).

٦ : ٢ : تكملة القسم السلبي الوارد في الآية (١ «ب»).

٦ : ٣ : وعد من الكاتب (بولس الرسول) لمتابعة شرح هذه الأساسيات بالرغم من، ودون النظر إلى، حالة بعض الرافضين الميئوس منهم.

٦ : ١ **«لذلك ونحن تاركون كلامَ بَداءَةِ المسيح لنتقدَّم إلى الكمالِ، غيرَ واضعِينَ أيضاً أساسَ التوبةِ من الأعمالِ الميتةِ والإيمانِ بالله».**

«لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدَّم إلى الكمال»:

يبدأ القديس بولس الأصحاح السادس معقِّباً على حالة العبرانيين المتردية في التأخُّر وعدم النضوج فيما يخص الإيمان المسيحي، بقوله:

«لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدَّم إلى الكمال».

وفي الواقع كان القارىء ينتظر أن يقول: **«وبالرغم من ذلك»**، أي بالرغم من حالتكم المتقهقرة كأطفال وأنتم تحتاجون إلى اللبن، إلاَّ أني سأترك بداية تعاليم المسيح وأدخل في التعاليم الأكمل. ولكنه يقول: **«لذلك»**. وهنا تحيَّر الشُّرَّاح والمفسرون، ولكن هذه الكلمة **«لذلك»** تكشف عن أن تأخُّر هؤلاء العبرانيين في معرفة المسيح يرجع أصلاً إلى عدم وجود مَنْ يعلِّمهم عن الأمور الأكمل في المسيح، وهنا يأخذ ق. بولس على عاتقه تعليمهم عن أسرار المسيح الأكثر تقدُّماً عمَّا سمعوه في تعاليم «الكاتشزم» Catechism التي للمبتدئين بعد المعمودية والتي توقَّفوا عندها سنينَ طويلة.

فكلمة «لذلك» διό ، توضّح تصميم ق. بولس على تقديم التعليم الكامل الذي كان من الواجب أن يعرفوه، بعد المبادىء الأولى التي تلقّنوها في المعمودية منذ سنين طويلة.

«ونحن تاركون كلام بداءة المسيح»:

«تاركون» : ἀφέντες ، هنا الكلمة تفيد «الترك للتقدُّم»، فالكلام فيه نبرة الوعظ ومعناه: علينا أن لا نقف عند بداية التعليم بل يلزم أن نمتد نحو الكمال. هذه قضية إيمانية هامة وخطيرة في الحياة المسيحية، إذ من المقطوع به روحياً كقضية مسلّم بها أن لا توقُّف في الحياة المسيحية، فإما تقدُّم مستمر وإلاّ فتقهقر وموت!! «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥). والسير إلى الأمام يلزمه ترك ما هو وراء، وهذا هو طريق الكمال كما يُعرِّفه بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي: «ليس أني قد نِلْتُ أو صرت كاملاً ولكني أسعى ... أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدّام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في٣: ١٢—١٤)

أيها القارىء العزيز، أن تهمل الصلاة والقراءة والتعليم مدة طويلة، فهذا كفيل بأن يجعلك تتقهقر في كل شيء في المعرفة والتقوى وتتعرَّض لضربات من العدو قد تُفقِدك كل ما بنيت. ولكن أن تصلّي كل يوم مهما كان وتقرأ وتتعلَّم المسيح أكثر فأكثر، فأنت تؤمِّن تقدُّمك نحو الكمال وتؤمِّن نفسك ضد السقوط: «لأن مراحمه لا تزول، هي جديدة في كل صباح» (مرا٣: ٢٣)، «والذين يبكِّرون إليَّ يجدونني» (أم٨: ١٧)، «طوبى للإنسان الذي يسمع لي ساهراً كل يوم.» (أم٨: ٣٤)

«لنتقدَّم إلى الكمال»:

«لنتقدَّم»: φερώμεθα

المعنى في اليونانية أقوى وأهم بكثير، فالكلمة لا تعني التقدُّم بالمجهود والإرادة بل تسليم الذات لمَنْ يحملها ويسير، وهي تُفهم حرفياً هكذا «محمولين» لأن أصل الكلمة اليونانية هي الفعل φέρω = «يحمل»، وتأتي هنا في هذه الآية في المبني للمجهول بمعنى: «فلنكن محمولين على الدوام». وهذا بدوره هو الذي يؤمِّن أن السير كله سيكون حتى إلى بلوغ الكمال، فالذي يحملنا يقودنا، والذي يقودنا يطلب لنا الكمال.

«إلى الكمال»: perfection τελειότητα

والكمال هنا يعتبره الآباء القديسون دائماً، وكما يذكره ذهبي الفم في هذا الموضوع، أنه الكمال العملي أي كمال التقوى في المسيح بحسب العلم الصحيح. فالمعرفة الكاملة للمسيح هي

معرفة صلاح وتقوى وليس معرفة فكر وفلسفة.

«غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله»:

والمعنى وإن كان معقَّداً نوعاً ولكنه بديهي وهو أنه لا يريد أن يبدأ معهم مرة ثانية بالأمور الخاصة بالتعليم الأوَّلي الذي أخذوه كأساس التوبة. فهو يريد الآن أن يبني على هذا الأساس، ومعروف أن التوبة هي كناية عن تجهيز المؤمن للعماد بتقديم توبة كاملة: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح.» (أع ٢: ٣٨)

«غير واضعين أساس التوبة»: θεμέλιον καταβαλλόμενοι

هنا الكلمة اليونانية هي اصطلاح يُستخدم في البناء: فكلمة **«ثيميليون»** هي نفس الكلمة المستخدمة في هندسة البناء: «ميلي» أي أساس. ووضع الأساس هو حفر وتعميق وإرساء القاعدة. وهنا يذكر مكوِّنات الأساس الذي وُضع من ثلاثة أزواج من العوامل الهامة في البناء النفسي للمعمَّد الجديد لنوال حياة جديدة وهي:

١ ـ **التوبة من الأعمال الميتة ومعها الإيمان بالله** ثم،

٢ ـ **تعليم المعموديات** ومعها **وضع الأيادي** كما وردت في الآية الثانية (٦: ٢) ثم،

٣ ـ **قيامة الأموات ومعها الدينونة الأبدية.**

«التوبة من الأعمال الميِّتة»: μετανοίας ἀπὸ νεκρῶν ἔργων

هنا معنى الأعمال الميِّتة عميق للغاية؛ فهي ليست مجرد الأعمال التي تؤدي إلى الموت فقط والتي هي بحد ذاتها أعمال أهل العالم التي ذكرها كتاب تعاليم الرسل باسم طريق الموت (الديداخي ١و٥)، ولكن المقصود بها الأعمال التي كان يعملها طالب العماد قبل أن يتعمَّد، «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا ...» (أف ٢: ١)، فهي أعمال المحكوم عليهم بالموت تحت عقوبة آدم قبل أن يعتمدوا وينتقلوا من الموت إلى الحياة. وقد ذكرها هذا السفر نفسه هكذا: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم (بالمعمودية) من **أعمال ميِّتة** لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٤)

هكذا فإن التوبة من الأعمال الميِّتة مع الإيمان بالمسيح تؤهِّل للعماد، الذي هو بدوره بواسطة دم المسيح، الذي يعني الموت والقيامة معاً بآن واحد، يطهِّر الضمائر من الأعمال الميِّتة، بمعنى يقدِّس الضمائر فلا تعود خاضعة بعد للأعمال السابقة التي لأهل العالم ولا محسوبة عليها، بل خاضعة لله ومحسوبة له.

«والإيمان بالله»:

الرسالة هنا تجمع بين التوبة عن الأعمال الميتة والإيمان بالله كضرورة حتمية للعماد، حيث الإيمان بالله يعني العودة من ضلالة العالم إلى الله والخضوع له: «شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح» (أع ٢٠ : ٢١). هذا وإن كنا نتوقع أن تذكر الرسالة الإيمان بالمسيح أيضاً ولكن كانت صيغ التعليم قبل العماد تشدِّد على الإيمان بالله قبل الدخول في الإيمان بالمسيح. وقد جاءت على لسان المسيح بالصيغة العامة هذه هكذا: «فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١ : ١٥). والإيمان بالله هو الخطوة الأولى والأساسية للإيمان بالمسيح: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي.» (يو ١٤ : ١)

وقفة قصيرة مع القارىء

ليته يكون واضحاً لدى القارىء أن طالب العماد في العصور الأولى كان عليه تقديم توبة كاملة شاملة عن كل حياته السالفة بكل أنواع الخطايا والتعدِّيات والأعمال المشينة التي أصبحت تُثقِّل الضمير، وبعد أن يستوفي هذه التوبة ويُعلنها للكنيسة يؤهَّل للمعمودية التي تمنحه قوة روحية ومؤازرة وشركة مع الروح القدس لمواجهة العالم والجهاد فيه.

أما نحن فقد تقبَّلنا العماد على صِغَر أثناء الرضاعة، فسقط من الطقس أهم وأخطر جزء فيه وهو التوبة الكاملة والشاملة عن الحياة السابقة. وهكذا صرنا مديونين للمعمودية بهذا الاعتراف! وهكذا أيضاً صارت المعمودية غير قادرة أن تعمل فينا بقوة الروح بانتظار هذه التوبة الكاملة الشاملة أمام الله والكنيسة عن كل الحياة السالفة، بكل ما ارتكبناه من خطايا وتعدِّيات، حتى تمنحنا قوتها وفعلها ومؤازرة الروح الساكن فينا الذي أخذناه في طفولتنا، والذي هو كامن فينا بانتظار التوبة التي تؤهِّلنا للنقلة السِّرِّية من الموت إلى الحياة.

والتوبة المطلوبة منا ليس لها زمن ولا طقس بل هي يقظة جادة لمحاسبة النفس أمام الله والكنيسة لتفريغ كل ما في وعي الإنسان من خطايا وتعدِّيات، كل ما يعثُر عليه الوعي في ضمير الإنسان، إلى أن يحسَّ الإنسان أنه أصبح فعلاً مُهيَّأً لأن يبدأ حياة جديدة في المسيح يعيشها في ظل قوة المعمودية وشركة الروح القدس كشهادة للمسيح ولصليبه.

كذلك ليته يكون معروفاً أيضاً أن الإيمان بالمسيح هو المؤهِّل الأعظم لنوال المعمودية الذي يهب الإنسان قوة وشجاعة وفرحاً للتوبة المطلوبة عن الحياة السالفة، حيث الإيمان بالمسيح ينشىء من

داخل المعمودية شركة مع المسيح واتحاداً:

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل٣:٢٧)
+ «لأنه إن كنا متحدين معه (بالمعمودية) بشبه موته نصير أيضاً (متحدين) بقيامته.» (رو٥:٦)

هذا يعني أن علامة فاعلية المعمودية هي الحياة مع المسيح وفي المسيح وليس أقل من ذلك، وإلاَّ فَلْيُراجع الإنسان نفسه في صدق ولائه لمعموديته ودرجة الإيمان بقوتها وفاعليتها وتوبتها. والمحك الخطير وضعه بولس الرسول بكل حسم: «جرِّبوا أنفسكم **هل أنتم في الإيمان؟** امتحنوا أنفسكم أم لستم تعرفون أنفسكم **أن يسوع المسيح هو فيكم** إن لم تكونوا مرفوضين» (٢كو١٣:٥). إذاً الإيمان بالمسيح يعني أن المسيح فينا. والمسيح إذا لم يكن فينا، فإيماننا بالمسيح يحتاج إلى مراجعة.

نخرج من هذه الوقفة القصيرة بأمرين يتعلَّق عليهما جهادنا ونُصرتنا في الحياة وفي مواجهة العالم والجسد. توبتنا الكاملة والشاملة لتحل فينا قوة المعمودية التي أخذناها ونحن على صِغَر؛ وإيماننا بالمسيح بشهادة الواقع العملي والضمير أن المسيح فينا.

٦:٢ **«تعليمَ المعموديات ووضعَ الأيادي، قيامَةَ الأموات والدينونةَ الأبديَّة».**

واضح أن مجيء المعمودية في صورتها بالجمع في هذه الرسالة تكشف عن وضع المعمودية المسيحية وسط طقوس أخرى كانت تُجرى بشبه المعمودية على المؤمنين الجُدد.

والذي وصل إلينا معرفته هو أن طالب العماد كان يجرى عليه غسيل الجسد قبل العماد بأسبوع كنوع من الإعداد، والتي نقرأ عنها في هذه الرسالة بصورة مبهمة في الآية: «لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبُنا من ضمير شرير ومغتسلةً أجسادُنا بماء نقي.» (عب١٠:٢٢)

«تعليم المعموديات»:

جاءت باليونانية مقلوبة التركيب هكذا: «معموديات التعليم» βαπτισμῶν διδαχῆς مما أربك العلماء ولم يجدوا لها حلاً[1]، وكل ما اقترحوه هو أن يجعلوا وقفة بين التعليم والمعموديات بحيث أن كلمة «التعليم» تسري على بقية مفردات أساس الإيمان من وضع أيادي وقيامة أموات والدينونة الأبدية.

1. Westcott, *op. cit.*, p. 145.

ويرى العالم موفات(٢) أن مجيء المعموديات بالجمع ومعها التعليم يفيد التوضيح للمعمَّدين للفرق بين المعمودية المسيحية وبقية المعموديات في الطقوس اليهودية. كما يُلاحَظ أيضاً أن وضع الأيادي جاءت بالجمع أيضاً لإيضاح الفرق بين وضع يد المعمودية وغيرها في حالة إعطاء «البركة»، أو في حالة إجراء «التعزيم» Exorcism لإخراج الشياطين، أو في رسامة الكهنة!

ويركِّز كلٌّ من العالم مونتفيور وريموند براون(٣) على أن تعليم المعموديات يختص بتوضيح الفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح عند تعميد المؤمن المسيحي. وهذا يُعتبر التفسير الأقل تشعُّباً والمقبول لنا، وإن كان التشديد على كلمة «المعموديات» بنوع التعدُّد يُعتبر ضد تعاليم الرسل آنئذ. ويؤكد ذهبي الفم واحدية المعمودية في تعليقه على هذه الآية(٤).

«ووضع الأيادي»: ἐπιθέσεώς τε χειρῶν

ظن كثير من العلماء أنه يقصد شرح ظروف وضع اليد في استخداماتها المختلفة لرسامة الكهنوت أو للبركة أو غير ذلك، ولكن الحقيقة أنها مربوطة أصلاً بسابقتها وهي المعمودية، حيث وضع اليد هو لحلول الروح القدس وهو المسمَّى بالتثبيت، ويقابله في النظام الكنسي الآن الدهن بمسحة الميرون (انظر كتاب: «بولس الرسول حياته ولاهوته وأعماله»، صفحة ٤٠٥و٤٠٦).

«قيامة الأموات والدينونة الأبدية»:

ذِكر قيامة الأموات هنا بالذات بعد المعمودية ووضع اليد واضح أنه يختص بكمال فعل العماد حيث بعد التغطيس ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس، يخرج المعمَّد من الماء بشبه القيامة من الأموات ليبدأ حياة جديدة هي حياة الإنسان الجديد المولود من الله من الماء والروح: «**فدُفنَّا** معه بالمعمودية للموت حتى **كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً** في جدَّة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا **متحدين معه** بشبه موته نصير أيضاً **بقيامته**.» (رو٦: ٤و٥)

«والدينونة الأبدية»:

ذِكر الدينونة هنا بعد القيامة من الأموات تتجه مباشرة نحو علاقة الحياة الجديدة التي ينالها المعمَّد في العماد. إذ يأخذ روح القيامة التي يعيش بها بقية زمانه على الأرض ليسلك كإنسان عينهُ

2. Moffatt, *op. cit.*, p. 75.
3. Raymond Brown, pp. 100,107, Montefiore, pp. 105f.
4. Chrysostom, p. 410.

مثبّتة على الدينونة العتيدة التي فيها سيُعطي حساباً عن أعماله، كإنسان نال موهبة الحياة الأبدية شاهداً للمسيح بالفكر والقول والعمل.

وهكذا نرى التدرُّج الذي سار فيه بولس الرسول من جهة التوبة إلى المعمودية إلى حياة القيامة إلى الدينونة، وهي تعليم الأساسيات التي وإن كان قد أهملها هؤلاء العبرانيون المتنصِّرون فتوقفوا عن النمو نحو قامة الكاملين في الإيمان والأعمال، إلاّ أن ق. بولس تجاوزها الآن بسبب الضرورة ليشرح لهم الأمور الأعلى فيما يختص بسر كهنوت المسيح، فقد وعد أنه سيعود ليشرحها لهم بالتفصيل فيما بعد، إلاّ أنه أنهى رسالته هذه دون العودة إليها.

٦ : ٣ «**وهذا سنفعلُه إنْ أذِنَ الله**».

وقد ألمح الرسول إلى نيّته في زيارتهم في الأصحاح (١٣): «اعلموا أنه قد أُطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً.» (عب١٣:٢٣)

وقد تسجَّلت لنا هذه التعاليم في الكتاب المسمَّى بالديداخي أي «تعاليم الرسل الاثني عشر»(٥).

(٥) الديداخي (من مدونات نهاية القرن الأول) ونقرأ فيها شرحاً مفصَّلاً «للأعمال الميتة» في الجزء الأول الذي يشرح طريق الحياة والموت (فصل ١ـــ٦)، ثم وصفاً للمعمودية (فصل ٧)، والرسامات الكنسية (فصل ١٥)، وانتظار الأيام الأخيرة (فصل ١٦).

٢ ــ مصير المرتدِّين عن الإيمان: حينما تضيع فرصة التوبة ولا تعود ويُمحى ختم المعمودية إلى الأبد!

[٦ : ٤ ــ ٨]

٦ : ٤ ــ ٦ «لأن الذين استُنيروا مرَّة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي(!)،
وسقطوا، **لا يمكن** تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه».

٦ : ٤ **«لأن الذين آستُنيرُوا مرَّةً، وذاقوا الموهبة السَّماويةَ، وصاروا شركاءَ الروح القدس».**

«لأن»: γάρ

«لأن» هنا تربط بين الآيات السالفة وهي تعليم الأساسيات بالنسبة للإيمان بالمسيح، والتعوُّق فيها وعدم استكمالها للتحرُّك نحو الكمال، فهذا عاقبته السقوط من الإيمان نفسه وبالتالي ضياع فرصة التوبة وبالتالي ضياع ختم المعمودية وعدم إمكانية إعادتها إلى الأبد.

هذا المبدأ اللاهوتي الخطير أكَّده المسيح بقوله: «فسيروا ما دام لكم النور **لئلا يُدرككم الظلام**» (يو١٢: ٣٥)، وأكَّده المعمدان في ندائه بالتوبة لقبول معموديته بقوله: «والآن قد وُضعت الفأس (البلطة) على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً **تُقطع وتُلقى في النار.**» (لو٣: ٩)

«الذين استُنيروا مرَّة»:

المبدأ الذي تحتويه هذه الآية خطير وخطر أيضاً، لذلك يلزم أن نحيط بظروفه جيداً. ففي هذه الآية يستخدم بولس الرسول كلمات مركزية يضع كل ثقله فيها وهي:

+ «مرَّة»: ἅπαξ = once

+ **«لا يمكن»** بمعنى **استحالة**: ἀδύνατον = impossible، وقد وضع كلمة الاستحالة

هذه في أول الآية وبنى عليها كل الأفعال بعد ذلك لخطورة الوضع!

ولكن هنا استحالة التوبة وبالتالي استحالة العماد ثانية لا يمكن فهمها إلّا تحت حراسة توفّرها هذه الأفعال الأربعة:

الفعل الأول: استنيروا = φωτισθέντας

الفعل الثاني: ذاقوا الموهبة = γευσαμένους τε τῆς δωρεᾶς

الفعل الثالث: صاروا شركاء = μετόχους γενηθέντας

الفعل الرابع: ذاقوا كلمة الله الصالحة = καὶ καλὸν γευσαμένους θεοῦ ῥῆμα

على أن الثلاثة الأفعال الأخيرة: **ذاقوا الموهبة، وصاروا شركاء، وذاقوا كلمة الله الصالحة، تجيء لتخدم حدوث الفعل الأول بصورة تأكيدية كاملة وهو «استناروا»!**

فلو علمنا أن «استناروا» هنا، كما اتفق جميع الآباء، تأتي بمعنى المعمودية(٦)، يكون المعنى أن الذين اعتمدوا ونالوا كل مفاعيل السر المقدس وتأهّلوا لشركة الروح القدس بوضع اليد وذاقوا الجسد والدم الأقدسين، وذاقوا كلمة الله الصالحة أي صاروا مسيحيين بالفعل كما بالسر...

«مرّة»: ἅπαξ = once for all

هذه الكلمة الاصطلاحية تأتي في هذا السفر لتعبّر عن أهمية خاصة جداً لمجرى الحديث ويستخدمها في مواضع غاية في الدقة والحساسية فمثلاً:

في (عب٧: ٢٧) يقول:

+ «الذي ليس له اضطرارٌ كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يُقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثُمَّ عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا **مرّة واحدة** إذ قدّم نفسه».

وفي (عب٩: ٧) يقول:

+ «فرئيس الكهنة (يدخل) فقط **"مرّة"** ἅπαξ = once for all في السنة ليس بلا دم يُقدّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب».

وفي (عب٩: ١٢) يقول:

---

(٦) من منتصف القرن الثاني واصطلاح «الاستنارة» يُلازم مفهوم المعمودية عملياً، وقد بدأه الشهيد يوستين (في دفاعه الأول ٦١: ٢، ٦٥: ١) الذي استخدم فعل «استنار» عوض «تعمّد مباشرة»، كذلك في الترجمة السريانية للرسالة جاء بدل «استناروا» = «تنزلوا المعمودية مباشرة». أما بخصوص موضوع عدم تكرار المعمودية أو الاستنارة فنجد في كلام العلّامة أوريجانوس (الحث على الاستشهاد: ٣٠) أن الإنسان لا يمكن أن يعتمد ثانية لأن ذلك يتعارض مع الوصايا الإنجيلية.

+ «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه "دخل مرَّة واحدة" إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً».

وفي (عب٩: ٢٦و٢٨) يقول إن المسيح قدَّم نفسه كذبيحة مَرَّة:

+ «ولكنه الآن أظهر "مرَّة" ἅπαξ = once for all عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه»،

«هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرَّة ἅπαξ لكي يحمل خطايا كثيرين ...».

وفي (عب٩: ٢٧) يقول:

+ «وُضِعَ للناس أن يموتوا "مرَّة" ثُمَّ بعد ذلك الدينونة».

وفي (عب١٠: ٢) يقول:

+ «مِنْ أجل أن الخادمين (الكهنة) وهم مُطهَّرون (جسدياً) "مرَّة" ἅπαξ لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا».

وفي (عب١٠: ١٠) يقول:

+ «فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح "مرَّة واحدة"».

وفي (عب١٢: ٢٦) يقول عن العهد القديم:

+ «فقد وعد قائلاً إني "مرَّة" ἅπαξ أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً».

وفي (عب١٢: ٢٧) يقول:

+ «فقوله "مرَّة" ἅπαξ أيضاً يدلُّ على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع».

وهذه الكلمة «مرَّة» تقع موقع الأهمية العظمى ليس فقط عند ق. بولس في سفر العبرانيين ولكن نجدها أيضاً عند بطرس الرسول إذ يقول:

+ «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة ἅπαξ من أجل الخطايا ...» (١بط٣: ١٨)

كذلك القديس يهوذا يقول ــ ما صحته عن الأصل اليوناني ــ:

+ «ولكن δέ الآن أريد أن أذكِّركم مع أنكم علمتم مرَّة " واحدة ونهائية " (ἅπαξ πάντα = once for all) أن الرب بعد ما خلَّص الشعب من أرض مصر أهلك أيضاً الذين لم يؤمنوا» (يه ٥)،

+ «أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلَّم "مرَّة" للقديسين.» (يه٣)

هذا، وبنفس القوة في معنى «المرَّة الواحدة والنهائية»، والتي يكون وراءها الحساب، أنهم

«استنيروا مرَّة»، فكلمة «مرَّة» تدخل في صميم خطورة المساس بهذه «المرَّة» الواحدة الوحيدة التي سيشرحها باختصار شديد بعد ذلك. ولكن استخدامه كلمة «مرَّة» هو تمهيد لعِلَّة توقيع العقوبة المرعبة على الذين استهانوا بهذه «المرَّة»!!! لأنها مرَّة، ومرَّة واحدة ووحيدة تألَّم وصُلب ومات المسيح!! ومرَّة واحدة اعتمدنا لهذه المرَّة الواحدة التي ماتها المسيح على الصليب، فأصبح الذي يُخلُّ بهذه المرَّة الواحدة في المعمودية يُخلُّ بالمرَّة الواحدة التي ماتها المسيح!!! فمن أين وكيف يحصل له على موت المسيح ثانية بعد أن يضيِّع معموديته التي مات فيها مع المسيح مرَّة واحدة؟ وبمنتهى البساطة والوضوح هذا يعني أن الذي يموت مرَّة لا يموت مرَّة ثانية!!!

«لأن الذين استنيروا مرَّة»:

هنا هذا البدء الشرطي ــ لأن الذين استنيروا مرَّة ــ تفسيره بحسب قواعد اللغة اليونانية إمَّا أن يكون هو السبب في الأربعة الأفعال الآتية بعده كأفعال مترتِّبة عليه، بمعنى أن الذين استنيروا مرَّة يكونون بالتالي ذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وذاقوا قوات الدهر الآتي، أو تكون نفس «**الاستنارة مرَّة**» محسوبة مع الأفعال الأربعة **كأساس الإيمان** بالمسيح **وعطيته مجتمعة**. ونحن نميل ــ بعكس شُرَّاح كثيرين ــ إلى الحل الأول لأن المعمودية هي المفتاح الوحيد للحصول على هذه العطايا كلها، وبدونها تكون المعرفة والعطايا مشوَّشة، كما رأيناها في العالم أبُلُّس الإسكندري لمَّا جاء يبشِّر بالطريق الجديد على أساس معمودية يوحنا فقط، فلمَّا سمع به أكيلا وبريسكلا أخذاه وصححا له معرفته وموهبته ثم عمداه باسم المسيح.

وهنا يكون بداية تفسير هذه الآية وهي مرتبطة مع سابقتها بحسب ترتيب الكلام كما جاء في اللغة اليونانية من تقديم وتأخير هكذا:

+ وهذا (تعليم أساسيات الإيمان بالمسيح) سنفعله إن أذِنَ الله، ولكن **مستحيل للذين استنيروا مرَّة** (أي قبلوا المعمودية بعد تعليم أساسيات الإيمان بالمسيح) وذاقوا ... وصاروا شركاء الروح القدس ... وذاقوا كلمة الله ... وقوات الدهر الآتي، **وسقطوا**، أن يمكن تجديدهم **بتوبة ثانية**، بمعنى أنه لا يمكن عمادهم مرَّة أخرى على أساس أن التوبة في معناها العملي الإلهي هي المعمودية.

ومعنى كلام القديس بولس باختصار هو: ولنترك الآن كلام تعليم الكاتشزم في أوليات الإيمان بالمسيح الذي سأعود وأشرحه بالتفصيل فيما بعد، ولكن الآن دعونا لنبدأ نشرح الأمور الخاصة بكمال الإيمان، ولكن أرجو أن تفهموا أن الذين تعلَّموا الأوليات مرَّةً وتابوا واعتمدوا ونالوا

المواهب، وبعد ذلك يسقطون عن الإيمان ويرتدون عن المسيح، أن تُجدَّد توبتهم أو عمادهم مرَّة أخرى فهذا أمر مستحيل. فليس لمثل هؤلاء المرتدين توبة أو عماد. وسأشرح لكم فيما بعد ومن جديد أساميات المسيح. وإليك كلمات ذهبي الفم في هذه الآية:

[انظر كيف تبدأ الآية بكلمة «**مستحيل**»، وتنتهي بكلمة «**يشهِّرونه**» أي يفضحون المسيح(٧)!! إذاً، فلا رجاء يُنتظر، إذ هو لا يقول إنه ليس حسناً (الذي يسقط أن يتوب ثانية) أو لا يليق، أو هو غير قانوني، بل أيضاً «**مستحيل**». هذا معناه أنه **يُلقي هؤلاء في اليأس** إن كانوا قد استناروا مرَّة!](٨)

لأن «**مستحيل**»: ἀδύνατον γάρ

يوجد في هذه الرسالة أربعة مستحيلات:

المستحيل الأول في هذه الآية (٦ : ٤)،

والثاني (٦ : ١٨): «لا يمكن (**وهو مستحيل**) أن الله يكذب ...»،

والثالث (١٠ : ٤): «لأنه لا يمكن (**مستحيل**) أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا»،

والرابع (١١ : ٦): «ولكن بدون إيمان لا يمكن (**يستحيل**) إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود».

وكلها مستحيلات ترقى إلى مستوى قضاء الله الذي لا يُرَدُّ. ومجيء «مستحيل» في النص اليوناني في بداية الجملة هو للتأكيد على خطورة الوضع البالغ القطع والمنع!! «سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام.» (يو١٢ : ٣٥)

«**استُنيروا مرَّة**»: ἅπαξ φωτισθέντας

وباللاتينية: illuminate

ويذكرها ق. بولس في نفس الرسالة مرة أخرى: «ولكن تذكَّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما «**أُنرتم**» صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة» (عب ١٠ : ٣٢)، حيث يتضح أنها المعمودية في بدء الإيمان بالمسيح. وكلمة «استُنيروا» تعبِّر عن اللحظة الحاسمة التي فيها يدرك الوعي في الإنسان

(٧) يفسد القديس ذهبي الفم هكذا: ماذا تنتظرون من أمر الذي يفضح المسيح؟ **الأمر واضح**، وهو مستحيل خلاصه!

(8) Chrysostom, op. cit., p. 410.

(٨) ونحن نعقِّب على القديس يوحنا ذهبي الفم ونقول: أي يأس يصيب هؤلاء الذين استهانوا بالمسيح؟ إنهم لا يعرفون اليأس، لأن الشيطان عن يمينهم يشجعهم ويحثّهم على الارتداد.

المعمَّد حقيقة النور الإلهي في مجده بالاستعلان الداخلي، حيث تصبح عطية يتم من داخلها إدراك أمور الله: «"مستنيرة" **عيون أذهانكم لتعلموا** ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدَّة قوته» (أف ١: ١٨و١٩)، حيث تحديد ماهية النور وشخصيته: «كان "الكلمة" **النور الحقيقي** الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو١: ٦)، «**أنا نور العالم**» (يو٩: ٥). أما كيفية إشراق هذا النور داخل القلب فيقول: «لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة **هو الذي أشرق في قلوبنا** (بالمعمودية) لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢ كو٤: ٦). ويصفها سفر العبرانيين نفسه بأنها لحظة انفتاح الذهن لمعرفة الحق الإلهي في المسيح، حيث تصبح خيانة هذه المعرفة للحق في المسيح ثمنها الهلاك: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما **أخذنا معرفة الحق** لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين.» (عب١٠: ٢٦و٢٧)

ولقد دخل هذا الاصطلاح «**الاستنارة**» في التقليد الكنسي بمعنى المعمودية منذ أيام ق. يوستين(٩) وكلمنضس الإسكندري، والعجيب ــ كما قلنا ــ أن النسخة السريانية للرسالة إلى العبرانيين ترجمت كلمة «الاستنارة» مباشرة إلى «المعمودية» هكذا:

+ «لأن الذين نزلوا مرَّة إلى المعمودية ...»(١٠).

«مرَّة»: ἅπαξ

وصف الاستنارة أنها «مرَّة» بمعنى «مرَّة فقط»، كما تجيء في الإنجليزية: once for all أي «مرَّة واحدة منتهية»، أي لا تكرار لها. وذلك يعني **أنها فعل كامل في ذاته كافٍ تماماً وكلياً في أثره**(١١).

«وذاقوا الموهبة السماوية»: τῆς δωρεᾶς τῆς ἐπουρανίου

بعد ذكر الاستنارة العظمى التي نالوها كعطية سماوية فائقة، وهي لا تعطى إلاَّ **مرَّة** واحدة، يبدأ هنا بذكر عظائم وبركات وهبات هذه العطية، أي الاستنارة التي تتم بالمعمودية.

هنا فعلان يختصان بالحياة الأخرى:

الأول: الدخول بالمذاقة إلى الحياة نفسها وهو سَبْق المعرفة العملية للحياة الجديدة في واقع الزمن

---

9. Justin (*Apol.* 61, 65), Clement of Alexandria, *Paedagogus* 1.6.

10. Westcott, *op. cit.*, p. 148.

11. Ibid.

لأن الموهبة السماوية هي عطية فوقانية تختص بالحياة الأبدية.

والفعل الثاني: «صاروا شركاء الروح القدس»، أي نالوا قوة وفاعلية الوجود والارتقاء في هذه الحياة الأعلى. لأن الروح القدس هو روح الحياة الجديدة وقوّتها وفعلها، والشركة هي الحصول على وحدة العمل تحت قيادة الروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). الفعل الأول شخصي ذاتي ينفتح فيه الوعي الروحي على فوق، والفعل الثاني حصول على قوة ومؤازرة من الخارج لترتقي النفس أكثر فأكثر.

الفعل الأول عطية المسيح التي حصل عليها لنا بالموت أولاً ثم بالقيامة من الأموات: «أجاب يسوع وقال لها لو كنتِ تعلمين **عطية** δωρεάν الله ومَنْ هو الذي يقول لكِ أعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه (معمودية) فأعطاكِ ماءً حيّاً (ماء الحياة الجديدة أي المعمودية)» (يو٤: ١٠). «فبالأولى كثيراً نعمة الله **والعطية** δωρεά **بالنعمة** (المعمودية) التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين» (رو٥: ١٥)، حيث يركِّز بولس الرسول هنا على العطية العامة والشاملة التي يمكن أن ينضوي تحتها سر الإفخارستيا(١٢) وغيره من العطايا الخاصة.

وحينما يقول: «**سماوية**»(١٣) فهو لا يقصد أنها نازلة من السماء أو لها طبيعة السماء، بل أن هذه العطية **تختص بالحياة في السماء** وتتحقق عملياً فوق ولا تختص بالأرضيات.

أما قوله: «**ذاق**» فهو يعني تحقَّق عملياً وعلى مستوى الحقيقة الروحية واستمتع بالفعل الجمالي. فكلمة «التذوُّق» تختص بالإحساس الجمالي عامة، وهي تعني هنا الجمال الروحي. ولكن التذوُّق يعبِّر عن سبق الحصول الجزئي والمؤقت والممكن أن يُفقد لأن اكتمال الامتلاك لا يختص بالحياة هنا على الإطلاق: «إن كنتم **قد ذُقتم** أن الرب صالح.» (١بط٢: ٣)

«وصاروا شركاء الروح القدس»:

هذا حقُّ كل مَنْ يعتمد، والصيرورة هنا ارتقاء، والارتقاء هنا هو إلى حالة ما فوق الطبيعة **فيها يصير** الإنسان محسوباً أنه يُقتاد بالروح ويتدبَّر: «أما يسوع فرجع من الأُردن (بعد العماد) ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية.» (لو٤: ١)

---

(١٢) يلاحظ أن نفس هذا التعبير «الموهبة السماوية» وارد في صلاة القداس بمعنى الإفخارستيا: [لكي نتناول بغير وقوع في دينونة من **موهبتك** غير المائتة السمائية]، حيث تأتي «الموهبة السمائية» في اللغة القبطية بنفس اللفظ اليوناني δωρεά ἐπουράνιον (صلاة الصلح في القداس الباسيلي).

13. Westcott, *op. cit.*, p. 148-149.

فالشركة مع الروح القدس تعطي الإنسان صلاحية الارتقاء الى حياة ما فوق الطبيعة إن هو خضع لقيادته، كما تعطيه انفتاحاً على استعلان أسرار الله: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١ كو٢ : ١٠)

ولكن لا يزال الذين بلغوا الشركة مع الروح القدس مهدَّدين بإحزان الروح القدس بل وإطفائه: «ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (أف٤ : ٣٠)، «لا تطفئوا الروح» (١تس٥ : ١٩). وماذا بعد الإحزان والإطفاء لروح الله القدوس إلاَّ الهجر بل ومداهمة الروح الشرير: «**وذهب روح الرب** من عند شاول **وبَغَتَه روح رديء مِنْ قِبَل الرب.**» (١صم١٦ : ١٤)

لذلك فهناك فرق بين **الشركة في الروح القدس** كموهبة **وعطية** للمعمَّدين، كحق من حقوق الخلقة الجديدة يبتدىء بها الإنسان المسيرة في الحياة، وبين حلول الروح القدس للملء لأن هذا يُحسب **امتلاء بالروح**: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال ... (علماً بأنه معمَّد بالروح القدس)» (أع٤ : ٨). ومرة أخرى امتلأ بطرس هكذا بعد الصلاة الجماعية للتلاميذ: «وامتلأ الجميع من الروح القدس» (أع٤ : ٣١). وبولس الرسول كان يحض المعمَّدين على الامتلاء بالروح: «امتلئوا بالروح» (أف٥ : ١٨). وهذا غير قابل للخلخلة لأنه يصير بعد اكتمال المسيرة في النور والبر والتقوى واختبار كثير ومحن بلا عدد ثم تزكية.

٦ : ٥ «وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي».

التدرُّج هنا لا يزال إلى أعمق وإلى امتداد، فالذي استنار (أي تعمَّد) وأشرق وجه المسيح في قلبه، **يدخل في اختبار عملي للحياة** العُليا بالروح فيذوق مواهب الحياة ما فوق الطبيعة، **وينال شركة الروح القدس** للمسيرة في جدَّة الحياة، كمَنْ قام مع المسيح ليُمارس القيامة في واقع الزمن حيث يبدأ حتماً الصدام والصراع بين القديم والجديد. وبعد هذين الفعلين الفائقين يذكر بولس الرسول هنا كلام الله الذي يبدأ الوعي أن ينفتح عليه، فيذوق الإنسان صلاح أقوال الله، ومنها يطَّلع على القوات الخاصة بالحياة الأبدية بالنسبة للقوات الخاصة بهذا الدهر.

«ذاقوا كلمة الله الصالحة»: καλὸν θεοῦ ῥῆμα

«الصالحة» هنا تُترجمها الفولجاتا اللاتيني «Bonum»، ويترجمها ترتليان[14] Dulce أي

14. Westcott, *op. cit.*, p. 149.

كلام «**حلو**». ولكن ق. بولس لا يقصد هنا كل الإنجيل ولكن مذاقة كلمات الكاتشيزم التي يتلقنها المعمّد في البداية وتظل عالقة في قلبه: «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها.» (رو١٠: ٨)

وفي الحقيقة إن كلام الله مُبهج لكل أذن وكل قلب، ولكن جمال وحلاوة الكلمة وصلاحها لا يتوقف على السماع ولكن على الطاعة والتنفيذ والخضوع وتسليم الحياة. والمسيح قيَّم العلاقة الحقيقية بين حلاوة الكلام الإلهي ومدى الانفعال له أنه في نسبة مطردة، فالحلاوة الشديدة تثير انفعالاً شديداً. ولكن للأسف عاد وقيَّم فعالية الكلمة على المدى الطويل مع خصوبة تربة القلب أو تحجُّرها: «وهؤلاء كذلك هم الذين زُرعوا على الأماكن المحجرة الذين حينما يسمعون الكلمة **يقبلونها للوقت بفرح** ولكن **ليس لهم أصل** في ذواتهم بل هم إلى حين. فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة **فللوقت يعثرون**» (مر٤: ١٦و١٧). وما أشد الشبه بين أولئك الذين ليس لهم أصل وبين المُرسَلة إليهم هذه الرسالة!! وهي مُرسلة لهؤلاء العبرانيين المزعزَعين. فما أكثر الذين يتذوَّقون صلاح كلمة الله ويتبارون في حفظها والوعظ بها، ولكن ما أكثر تعثُّرهم فيها وقت الضيق. فالفرحة إلى حين والعثرة تترصدنا كل حين.

«وقوات الدهر الآتي»:

تأتي كلمة «قوات الدهر الآتي» بدون «أل» التعريف، لذلك تأتي باهتة لا لون لها. وهذا تصوير مُبدع للذين يدخلون في معرفة الحياة الآتية من خلال الاستنارة ومواهبها، كحق مكتسب لكل معمَّد نطق بالإيمان وآمن بالموت والقيامة، حينما تُستعلن أمور الحياة الجديدة وسهولتها وجمالها الفائق ومعونات الله وقوة دفع الروح القدس، وقدرة الإنسان على مواجهة صعاب الحياة في البداية بمعونة نعمة الروح القدس فيذوق الإنسان القوة الإلهية الفعَّالة في الحياة الجديدة لمؤازرة الداخلين فيها كعيِّنة صادقة لعمل الروح القدس في مجال الخليقة الجديدة.

وكون «قوات الدهر الآتي» تأتي هنا بدون «أل» التعريف كمستقبل مجهول يجعلها على مستوى منخفض للغاية عن واقعها الكامل، فهي مجرد خبرة مبدئية تتوازى مع بدء خبرة الدخول في الإيمان، ولكنها خبرة غير محققة بالفعل بل مجرد مذاقة أو عيِّنة إما تُزيد المؤمن اندفاعاً للشهادة للمسيح، أو تقف شاهدة عليه حينما ينسحب من هذه الحياة برضاه:

+ «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس **باسمك تنبَّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة**، فحينئذ أصرِّح لهم **إني لم أعرفكم قط** اذهبوا عني يا فاعلي الإثم.» (مت٧: ٢٢و٢٣)

واضح هنا أن هؤلاء الذين تنبأوا وأخرجوا شياطين باسم المسيح، وبالاسم العظيم صنعوا قوات، أنهم بالفعل ذاقوا المواهب العليا السماوية وذاقوا صلاح كلمة الله، بل ومارسوا قوات الدهر الآتي، أي بلغوا إلى منتهى العطايا المسيحية، كما يقول سفر العبرانيين هنا بكل الوضوح والتأكيد. ولكنهم، وبالرغم من هذا كله، أخرجهم المسيح من أمامه يوم الدينونة ونعتهم **بفاعلي الإثم**. إذاً، فميزان المسيحية ليس بالتنبؤ يُقاس، ولا بقوة إخراج الشياطين ولا بعمل المعجزات. كذلك واضح أمامنا من المثل الذي قاله المسيح، أن لمثل هؤلاء لم يَعُدْ رجاء في توبة ولا في معمودية ولا في تجديد حياة، فالحكم جاء قاطعاً نهائياً **«لا أعرفكم»**. أما السبب المباشر الذي أُدين بسببه هؤلاء الناس المرفوضون فقد حدّده المسيح بقوله: «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي **يفعل "إرادة أبي" الذي في السموات**» (مت٧: ٢١). أما السبب المباشر في استحالة التجديد في النموذج الذي أورده سفر العبرانيين، فقد وصفه دون أن يوضّح ماهيته، إذ قال إنه **«سقوط»**. لذلك إن شئنا أن نحدّد ماهية هذا السقوط فتطبيقه على المثل الذي قاله الرب يكون هو السقوط عما **«أراده الله لهم»**، وإرادة الله المطلقة للجميع هي خلاصهم لأن الله **«يريد** أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون» (١تي٢: ٤). فالذي يرفض خلاصه هو يرفض إرادة الله وبالتالي يكون سقط بعيداً عن الله.

ولكن يلزم أن ننتبه جداً، أن في القول الذي قاله الرب بخصوص القوم الذين تنبأوا وأخرجوا شياطين وصنعوا قوات باسم المسيح وأخيراً رفضهم الرب ونعتهم بأنهم في الحقيقة فاعلو إثم، يتضح لنا أنه من العسير جداً على أي إنسان، كان مَنْ كان، أن يقطع بالقول على إنسان ما أنه في الإيمان أو خارج الإيمان. فهؤلاء الذين رفضهم الرب كانوا بحسب المظاهر والأعمال متمسّكين باسم المسيح، فباسمه يتنبأون وباسمه يُخرجون الشياطين وباسمه يعملون قوات، وأخيراً ظهروا أنهم أعداء للمسيح ولاسمه!! هنا قول ق. بولس هو الفَصْل: «يعلم الرب الذين هم له»؟ (٢تي٢: ١٩)

وأخيراً من الأمور الملاحظة جداً في مجموعة الهبات هذه التي بعد أن نالها أصحابها سقطوا، أنه لا توجد فيها موهبة **المحبة** لأنها «لا تسقط أبداً» (١كو١٣: ٨)، وبدونها تسقط كل المواهب الأخرى ولا تساوي إلاّ «نُحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ.» (١كو١٣: ١)

٦:٦ «وسقطوا، لا يُمكِن تجديدُهم أيضاً للتوبة، إذ هم يَصلِبون لأنفسِهم ٱبنَ الله ثانيةً ويُشهِّرونَهُ».

«وسقطوا»:

باليونانية: καὶ παραπεσόντας

وباللاتينية (الفولجاتا): et prolapsi sunt، ويترجمها ترتليان cum exciderint.

وهكذا تفقد المواهب والنِّعَم قيمتها مرّة واحدة بهذا السقوط الحزين. وهكذا سقط الذين اعتمدوا مرّة واحدة وإلى الأبد. يحكي عن هؤلاء القديس يوحنا الإنجيلي في رسالته هكذا: «منّا خرجوا لكنهم لم يكونوا منّا، لأنهم لو كانوا منّا لبقوا معنا لكن ليُظهَروا أنهم ليسوا جميعهم منّا.» (١يو٢:١٩)

والعجيب، كما يقول العلاّمة وستكوت، أن فعل «سقطوا» كما جاء باليونانية في هذه الرسالة لا يوجد إطلاقاً في كل أسفار العهد الجديد، ولكن الاسم منه يجيء بكثرة وهو «التعدّي» = παράπτωμα.

والمعنى التِّقني للفعل «سقطوا» παραπεσόντας يعني التعدّي على حدود الطريق السوي الحقيقي أي «الأليثيا»، تماماً كما تعني الخطية وفعلها «يُخطىء» ἁμαρτάνω أن الإنسان ضل الهدف أو أخطأ العلامة في التصويب! ولكن عندنا بحث يقول أن هذا الفعل παραπίπτω قائم بذاته ويعني مباشرة الارتداد(١٥).

هنا فعل «سقط» يأتي في هذه الرسالة موازياً تماماً لقول المسيح بخصوص: «أمّا مَنْ جدّف على الروح القدس **فلا يُغفر له**» (لو١٢:١٠). فهذا هو السقوط عن الله بعينه. كذلك يأتي مساوياً لقول ق. يوحنا الإنجيلي: «**توجد خطية للموت**، ليس لأجل هذه أقول أن يُطلَب.» (١يو٥:١٦)

«لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة»:

«لا يمكن»: ἀδύνατον

تأتي في النص اليوناني في بداية الآية (٤) وتنسحب على كل الآيات بعدها. وهنا استحالة

---

15. I.H.Marshall, *Falling away and apostasy*, cited by Bruce, 123 n. 51.

تجديدهم تأتي بصورة صارمة، كأن الأمر مقطوع به.

ولكن يُلاحَظ أن اسم الفعل «تجديدهم» غير مبني للمجهول حتى يمكن أن يحتمل أن يكون الفاعل مستتراً ويكون هو الله، بل هو فعل مبني للمعلوم حيث الفاعل يكون المسئولين عن التجديد في الكنيسة أي المسئولين عن العماد. فهنا الاستحالة منحصرة في قدرة البشر[16]، فهي ليست مطلقة، بل الإمكانية الإلهية تظل يُعمل لها حساب: «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» (لو١٨: ٢٧)، «هل يستحيل على الرب شيء» (تك١٨: ١٤)، «لأن ليس شيء غير ممكن لدى الله» (لو١: ٣٧)، حيث لا يكون العلاج هو التجديد، بل بمثابة **الإقامة من الموت** لأنها «**خطية للموت**»، وليس في مقدور الإنسان حتى الصلاة من أجل غفرانها لأنها محسوبة أنها في حقيقتها حالة صلب للمسيح مجدداً. فالذي يجحد المسيح ويدوس الإيمان به هو مساوٍ لمَنْ صَلَبه. ولا يمكن أن يطلب الإنسان غفراناً لمَنْ صَلَبَ المسيح أو يصلبه، فالذي يمكن أن يغفر له هو الوحيد الذي قال: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤). وهنا يتضح خطأ الكنيسة الفادح إن هي أقدمت على غفران خطية الذين صلبوا المسيح وتُبرىء اليهود من تهمة الصلب وهي ثابتة عليهم في الإنجيل ومن فم المسيح. لهذا يظل غفران خطية مَنْ جدَّف على المسيح واستهان به وداس على الإيمان المسيحي، وهو الأمر المساوي لصلب المسيح، لا يدخل إطلاقاً في دائرة إمكانيات الإنسان كان مَنْ كان.

أما العودة إلى قول المسيح إن «كل مَنْ قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له وأما مَنْ جدَّف على الروح القدس **فلا يُغفر له**» (لو١٢: ١٠)، ويزيدها القديس مرقس في إنجيله بقوله: «إلى الأبد» (مر٣: ٢٩)، فواضح أنه لم يَقُل جدَّف على المسيح بل «قال كلمة على ابن الإنسان»، فهنا حالة تختص بوضع لم يُستعلن فيه المسيح بعد أنه «**المسيَّا**» أو أنه «**ابن الله**»، بل قال إنه «**ابن الإنسان**» فقط. فالعثرة بكلمة ـــ وليس بتجديف ـــ **محصورة في بشريته فهي حتماً مغفورة**، ولكن إن صار تجديفاً وطال لاهوته، فالإهانة تكون قد طالت الله تماماً كالإهانة إن طالت الروح القدس، فلا يُغفر له إلى الأبد: «الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو٣: ٣٦)

لقد حاول كثير من الآباء والشُّرَّاح التقليل من صرامة هذا القطع بالأمر، فمثلاً ذهبي الفم يقول إن الاستحالة هنا واقعة **على العماد فقط وليس التوبة**:

16. Westcott, *op. cit.*, p. 150.

[أن يتجدّدوا يعني أن يصيروا في حياة جديدة، ولكي يصير الإنسان جديداً هذا يكون بعمل المعمودية فقط كالقول: «يجدّد شبابك مثل النسر» (مز١٠٣: ٥). وأما عمل التوبة فهو للذين صاروا في حياة جديدة (بالمعمودية) عندما يخطئون ويرتدّون إلى (الإنسان) العتيق لكي تخلّصهم وتشدّدهم. ولكن إعادتهم إلى سابق بهائهم فمستحيل لأن الأمر كله متعلّق بالنعمة] (١٧).

ومن قول ذهبي الفم نعود وندرك أن الأمر كله مرفوع لله. والإنسان في هذه الورطة ليس له رجاء إلاّ في الله.

أمّا شرح هذه الآية على مدى التاريخ الكنسي، فقد عاصرت في بداية الأمر الاتجاه التعسّفي الحرفي القاطع (بشبه الناموس القديم)، وكان ذلك على يد العلاّمة ترتليان الذي قال بعدم قبول توبة **الذين يخطئون بعد المعمودية وحتمية قطعهم** من المجتمع الكنسي. وكان ترتليان واضعاً في فكره نوعاً واحداً من الخطية **وهو الزنا**. وهذا مما يجعل نظرية ترتليان لا تنطبق على آية سفر العبرانيين هذه التي لا تخرج في مضمونها عن الارتداد عن الإيمان بالمسيح بإرادة وتصميم ووعي. ولكن تشيّع لفكر ترتليان كثير من الآباء ورجال الكنيسة وكان هذا يؤذن بالخطر على مستقبل الكنيسة. وحتى في العصر الحديث وقف العلاّمة بوركيت (١٨) ينادي بفكرة ترتليان وضرورة الأخذ بها.

كما ظهر نوع جديد من التساهل والميوعة في تفسير هذه الآية في محاولة لتبسيطها إلى الحد الذي أضاع مضمونها الخطير الذي يركّز على أن الارتداد بحد ذاته هو عمل موجّه ضد المسيح والله رأساً. وقد أخذ بفكرة التباسط في فهم هذه الآية كثرة من المُحدثين وتزعّمهم ك. س. ومست (١٩) باعتبار أن كلمة «سقطوا» إنما تشير إلى مجرّد "فكرة نظرية لم تحدث"، وأنها غير قابلة للحدوث الآن إذ لا يوجد هياكل وثنية وتقديم ذبائح للأوثان. ولكن واضح هزال هذا الفكر وعدم قدرته على الارتفاع لمستوى الرسالة إلى العبرانيين وإلى مدى خطورة هذه التحذيرات، ليس لمؤمني القرون الأُولى بل وكارثة هذه الأيام بصورة أخطر وأكثر إلحاحاً، فإنكار المسيح الآن هو على المستوى العلني.

والإنسان يتعجّب لكل هذه المحاولات مع أن نفس الرسالة إلى العبرانيين في مواضع أخرى

17. Chrysostom, *op. cit.*, p. 410.
18. Bruce, p. 123, citing F.C.Burkitt.
19. Bruce, pp. 122f.

تصمِّم على هذا المعنى بالذات، اسمع قوله:

+ «لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته. فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لمّا أراد أن يرث البركة **رُفض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً،** مع أنه طلبها بدموع.» (عب١٢: ١٦و١٧)

وأخيراً نضع أمام القارىء علّة قسوة هذه الآية التي تبدو مفرطة للغاية، وهي ليست كذلك بل هي تحصيل حاصل، وحكم يضعه المرتد على نفسه ولا يضعه عليه أحد. فأمامنا بطرس الرسول وقد أنكر المسيح عن وعي ثلاث مرّات، أي بتأكيد، والرب غفر له وشدّده ليشدّد غيره، وأمامنا أيضاً يهوذا الذي أنكر المسيح أيضاً وبتأكيد وقبض الثمن ثم ذهب وشنق نفسه. واضح أن الأول وهو بطرس الرسول سقط بتفريط اللسان وقد خانته الإرادة، ولكن كان على حب للمسيح شديداً، وكان على إيمان وإعجاب أشدّ. فاعتبره الرب أنه لم يسقط بعيداً عنه بل سقط بين يديه فحمله وحملته المحبة فلم يسقط أبداً.

أما الثاني وهو يهوذا، فسقط بالإرادة والنية والقول والفكر والتدبير معاً وخان وباع بيعاً مُبيناً وقبض. فهذا كان سقوطه بعيداً عن المسيح، وسقوطه كان لا يسنده ساند، لا حب ولا أمانة ولا ثقة. لهذا دعاه المخلِّص **«ابن الهلاك»**، مع أنه تعمّد واستنار وذاق كل كلام المسيح وصلاحه وشارك في قبول القوات السماوية ومارسها وأخرج الشياطين وعلّم وسار في موكب المعلِّم والمعلمين، وتلقّى البركات، وسرق الصندوق.

«للتوبة» : μετάνοιαν

التوبة هنا تعني عملياً تغييراً كلياً وشاملاً للفكر عن كل أخطاء وجهالات الماضي، على أساس إدراك منفتح لحقيقة طبيعة المسيح وقوة قيامته في إعطاء حياة جديدة للإنسان. بهذا المفهوم العملي الدقيق للتوبة، يصبح من المستحيل تكرارها!! كما يقول العلاّمة أوريجانس تماماً، فلجلالها يمتنع تكرارها.

وسيكولوجياً يتعثّر الفكر البسيط في قبول إمكانية تكرار التوبة الشاملة بسبب ارتباط الفكر العادي التقليدي بين المؤمنين بأن التوبة هي الكفّ عن سلبيات الماضي فقط. ولكن هذا صحيح فيما يخص التوبة اليومية والإنسان في حضن المسيح والنعمة. ولكن سفر العبرانيين هنا يواجه جماعة ليسوا في حضن المسيح، وهم على وشك الارتداد إلى اليهودية وإنكار الإيمان والمسيح والنور والحياة الجديدة برمّتها!! لذلك هو يركّز على التوبة الشاملة التي تسبق المعمودية وتؤهّل لنوال الإنسان

الجديد بالمعمودية، والتي يُعتبر الشق السالبي فيها هو الأضعف، أي الاعتراف بأخطاء وجهالات الماضي. ولكن الشق الإيجابي هو المقصود وهو الخطير الذي يتعذّر تكراره وهو الاعتراف بالإيمان بالمسيح والانفتاح المباشر على طبيعة المسيح وإدراك واعٍ فَرِح لقوة موته وقيامته ونوال فعاليتها في تجديد الحياة وائتمان الله للإنسان على موهبة وعطية الروح القدس. فهذه تكرارها شبه مستحيل لدى مَنْ ينكر المسيح. فالإنسان الذي مات بالخطية يمكن أن يتقبّل الحياة الأبدية مرّة واحدة. ولكن إن سقط عن الحياة الأبدية وارتدّ عن المسيح ماذا يبقى له إلاّ حياة الموت؟

«إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويُشهّرونه»:

هنا يقدّم بولس الرسول أوضح وأدقّ شرح لماذا يستحيل تجديدهم للتوبة!

فهو بهذه الآية يشرح حال ضميرهم وحال واقعهم وتفكيرهم وسلوكهم، إذ هم قد بلغوا من العداوة والصدود المريع لشخص المسيح ما جعلهم بسلوكهم هذا يُحسَبون أنهم يصلبون بالفعل ابن الله لهلاك أنفسهم وقبول الدينونة المريعة.

هنا أنين صادر من المسيح نحوهم على غرار «شاول شاول لماذا تضطهدني» (أع٩: ٤). ولكن ق. بولس عوفي منه لأنه كما يقول: «لكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان» (١تي١: ١٣)، لأنه ما كان قد تعمّد ولا عرف المسيح بعد، ثم كان في غيرة الناموس والدفاع عن الإيمان بيهوه عندما كان يطارد المسيحيين ويقتلهم ويجدّف على الاسم الكريم. ولكن هؤلاء، كما يقول ق. بولس، ما عذرهم؟ وقد تعمّدوا وعرفوا وذاقوا وصاروا شركاء الروح القدس، ثم إذ يرتدّون، لا عن غيرة للناموس ولا أمانة ليهوه، بل هرباً من ضيق وميلاً لتأمين المعيشة والجسد وغروراً بمباهج ومناظر لعبادة نافلة.

يُلاحَظ أن فعل «سقطوا» يأتي في الماضي البسيط، ولكن «يصلبون» في المضارع الدائم، فسقوطهم عن المسيح مرّة واحدة أنشأ فيهم ولهم حالة صلب للمسيح دائمة. وهنا المتألّم هو المسيح: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت.» (مز٣٧: ٢١ بحسب النسخة القبطية)

٦: ٧ **«لأن أرضاً قد شربت المطرَ الآتيَ عليها مِراراً كثيرةً وأنتجَت عُشباً صالحاً للذين فُلِحت من أجلهم تنالُ بَرَكةً من الله».**

التشبيه هنا إبداعي. فعطايا الله في الناس كما هي في الطبيعة يُطلب لها عائد. فإن أعطت ما يوازي عطايا الله نالت مزيداً من بركة ومزيداً من عطاء وأيضاً لمزيد من عائد! «فكل مَنْ أُعطي

كثيراً يُطلب منه كثير» (لو١٢ :٤٨)، وأمثلة الله كلها في التوراة والإنجيل تقوم على العطية ومعها الثمر. وحساب الحقل يعلنه البيدر. ومن يعيش حقاً بالإنجيل، فمن الإنجيل يأكل حقاً ويعيش إلى الأبد.

٦:٨ **«ولكن إن أخرجَت شوكاً وحَسَكاً فهي مرفوضةٌ وقريبةٌ من اللعنةِ التي نهايتُها للحريقِ».**

هنا انكسر قانون «لكل عمل ثمر، ولكل عطية بركة». لقد تدخَّل عنصر الفساد، فخطية آدم حوَّلته من الجنة إلى أرض لعنة ومن الأكل من كل شجرة هنيَّة وجنيَّة إلى شوك لا يؤكل وحَسَكٍ لا يُغني من جوع. ولكن الآية هنا تتكلَّم عن طبيعة الأرض، فهي لم تستجِبْ لمطر الله وندى السماء ولا لفلاحة الإنسان:

+ «فانتظرت أن تصنع عنباً فأنجبت **شوكاً**» (إش٥ :٢ السبعينية)،
+ «فالآن أعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي، أنزع سياجه فيصير للرَّعي، أهدم جدرانه فيصير للدَّوس، وأجعله خراباً لا يقضب ولا يُنقب فيطلع شوك وحسك. وأوصي الغَيْم أن لا يُمطر عليه مطراً. إنَّ كَرْمَ رب الجنود هو بيت إسرائيل، وغرسَ لذَّته رجالُ يهوذا، فانتظر حقاً فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ.» (إش٥: ٥ــ٧)

«مرفوضة وقريبة من اللعنة»:

يستند على هذا النص القديس ذهبي الفم[20] ليؤكد وجهة نظره أن أمر الأرض كأمر الذين سقطوا: هم رُفِضوا ولكن لم يبلغوا بعد إلى اللعنة. فإن هم أحرقوا شوكهم أي خطيتهم فحينئذ يُقبلون. ولكن تعليقنا على هذا الشرح هو أن الأمر لا يختص بخطايا وعيوب أخلاقية وسلوكية تحتاج إلى التوبة ولكن يتعلَّق بإنكار الإيمان بالمسيح وبرفضه شخصياً والارتداد إلى اليهودية، ما يستحيل معه أن يكون له توبة ولا تجديد. وهذا ما عبَّر عنه السفر بعد ذلك أنهم داسوا ابن الله وازدروا بدم العهد الذي به تقدَّسوا. لقد ضفروا بشوكهم إكليل عار على رأس المسيح، وفضحوه بارتدادهم، وما فتئوا يصلبونه برفضهم أن يكون ابن الله والمخلِّص، معتبرين أن صلبه كان عن حق كما رآه صالبوه آنذاك. فأين مكان التوبة وأين موضع التجديد؟

أما قوله: «قريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق»، فالكلام مرفوع إلى الاسخاتولوجية، أي أن

20. Chrysostom, *op. cit.*, p. 414.

اللعنة تنتظرهم هناك في الآخرة والتي نهايتها النار الأبدية: «لأن إلهنا نار آكلة» (عب١٢: ٢٩) «تأكل المضادين.» (عب١٠: ٢٨)

نقول إن عودة الذين ينكرون المسيح الذي فداهم إلى حظيرة المسيح ممكنة **في حالة واحدة فقط**، أن يكون إنكارهم كإنكار بطرس إنكاراً كاذباً بالفم وليس بالقلب أو الفعل. أما مَنْ يدافع عن يهوذا الذي خان وقبض، فهو يُسيء إلى قلب المسيح وجنبه!!!

٣ ــ عودة إلى التشجيع وإلقاء الرجاء في قلوبهم [٦ : ٩ ــ ١٢]

واضح إذاً أن ق. بولس لم يتهمهم نهائياً بالنكوص والمروق من الإيمان والردة، ولكنه كان يحذِّر ويصف ماذا يكون الارتداد وما معناه وما نهايته حتى يقطع خط الرجعة على الذين مالوا بفكرهم للخروج عن الإيمان. لذلك أصبح من الضروري أن يسرع ويسندهم بكلمة تشجيع حتى لا تخور نفوسهم وإن كانت قد خارت: «أسندني فأخلص!!» (مز١١٩: ١١٧)

وهنا تنقسم الكلمة إلى قسمين: قسم جعله أمراً يكاد يكون متيقناً عنده، وقسم يراه أمراً يرجوه لهم. ما هو متيقَّن عنده جاء في (٦: ٩و١٠) وما يرجوه جاء في (٦: ١١و١٢).

القسم المختص باليقين:

٦: ٩ **«ولكنَّنا قد تيقَّنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصَّة بالخلاص وإن كنَّا نتكلَّم هكذا».**

«ولكنَّا قد تيقَّنا»: πεπείσμεθα

يبتدىء الكلام هنا بكلمة تحمل معنى العودة السريعة عن سوء الظن، والانتقال من الشك إلى اليقين: «ولكننا قد تيقَّنا»، نافياً بذلك أن يكونوا هم المقصودين بالمروق عن الإيمان والارتداد. ولكن ق. بولس في الحقيقة كان قد أكمل درسه القاسي وجرح مشاعرهم أشد الجراح، فقد نعتهم بالمتكاسلين، المتباطئي المسامع، والأطفال الذين لا يليق بهم إلاَّ الرضاعة، والذين أبطأوا في تلقي تعليم المبتدئين ولا يريدون أن يتزحزحوا ناحية الكمال. ثم فوق هذا كله كشف عن نيَّة بعضهم المبيَّتة نحو الهرب نهائياً من الكنيسة وجحد الإيمان بالمسيح، وهؤلاء شرَّح ببضعه الذي يعرف أين

مكامن السرطان، وعمّق الجرح حتى استأصل النيّة المُبيّتة وعرّى وفضح، وها هو قد عاد يلمّ الجرح ويلاطف المريض المُدْنِف على الموت، ويستفيقه بكلام التشجيع وكأنه لم يجرح ولم يذبح!

وها هو يعتبر جراحه الدامية وكأنها مجرد كلام: «وإن كنّا نتكلّم هكذا»، أما الورم الذي استأصله فهو عملية: «أمور أفضل ومختصة بالخلاص» وقد آلت إليها جراحه، وكطبيب يثق بمبضعه، يقول بالفعل إنهم «قد صاروا إلى أفضل»، وإن كانت كلماته التي كانت كالزيت وهي نِصال قد أهاجت نفوسهم وكأنهم أعداء، فها هو بعد أن أكمل تأمينهم من ارتدادهم بالفعل إلى معسكر الأعداء يدعوهم أحباء!

إنه حقاً رسول يحسن العمل بالمشرط ويجيد الكلام والملاطفة. ويا لسعد الكنيسة بمثل هؤلاء الجرّاحين اللطفاء.

١٠:٦ «لأن الله ليسَ بظالم حتى ينسَى عملَكم وتعبَ المحبة التي أظهرتُموها نحو آسيه إذْ قد خدَمْتُم القدِّيسِينَ وتخدمُونَهم».

نكتشف هنا لماذا بقي هؤلاء القوم محفوظين من الردّة بالرغم من إلحاح الظروف وميل النيّة على ذلك، فسرّ المحبة يتلألأ هنا ليضفي على ضعفهم قوة وعلى قلقهم صبراً وعلى آلامهم احتمالاً ... فهم قوم عمّالون بالمحبة على مستوى فوق الجهد بلغ حدّ التعب، وكان هدفهم إرضاء الضمير من نحو الله عساه ينظر إلى مذلّتهم في تلك الأيام ويريح أفكارهم وقلوبهم الحائرة بين الصفين، فاليهود يضغطون ويلوّحون بالعقوبة التي تُدخل الرُّعبة في قلوبهم، والمسيحيون يستميلونهم بالحب والمعونة والتشجيع.

لكن الدعوة المسيحية الأولى التي اندفقت في أحشائهم لا تزال تدفعهم إلى الأمام على كل حال. فقد كشف ق. بولس عن نوع أعمالهم ونوع حبهم ونوع صبرهم وإيمانهم وخدمتهم لزملائهم المسيحيين الذي بلغ الذروة عندما اقتبلوا الإيمان ونالوا ختم الحياة وصاروا مسيحيين بل قديسين. اسمعه وهو يذكّرهم بهذه الأيام السعيدة:

+ «ولكن تذكّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنرتم (اعتمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة، من جهة مشهورين بتعييرات (الصليب) وضيقات (الطرد من المجمع والهيكل) ومن جهة صائرين شركاء (مسيحيي الأمم) الذين تُصرِّف فيهم هكذا.

لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً وقبلتم سلب أموالكم بفرح (حرمانهم من مخصّصاتهم

وأرضهم وتجارتهم كيهود) عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً.» (عب١٠: ٣٢—٣٤)

من هذه القلادة الثمينة المزيَّنة بفصوص الماس واللآلىء التي يعلِّقها ق. بولس على صدر أولئك المزعزعين في إيمانهم، يتضح لنا فداحة الآلام والضيقات والتعييرات والتهديدات التي انصبَّت عليهم من اليهود لصدِّهم عن المسيح — التي أفقدتهم هذا السلوك العالي في المسيحية — وهي التي من أجلها تُقيِّم هذه الرسالة التشجيعية المعزِّية. فلولا علو شأن هؤلاء اليهود المتنصِّرين ونصاعة تاريخهم المضيء بالإيمان والنعمة والقوة، ما تجشَّم ق. بولس أن يكتب هذه الرسالة التي سكب فيها أقصى ما يملك من النعمة لتحذيرهم من مغبَّة الارتداد، وتوعيتهم لمدى الخسارة الفادحة التي ستحيق بهم وبالكنيسة إن هم فقدوا الصبر.

ومن هنا يعود بولس الرسول وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبهم عندما يوازن بين أعمالهم وحبهم وصبرهم والجهاد الذي أظهروه في بداية حياتهم المسيحية تحت وطأة عنف الاضطهاد، وبين إمكانية **سقوطهم**، ثم هلاكهم؟ هل ممكن؟ وهنا يقرر ما شعر به وكأنه صوت من الله يطمئن فيقول: «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه ...». فالله هو الذي خاطب إسرائيل أيضاً في الماضي، وهم الذين أهانوه وجرَّبوه في البرية، بقوله بعدئذ لأحفادهم: «اذهب ونادِ في أذني أورشليم قائلاً هكذا قال الرب: قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ، **محبة خطبتكِ، ذهابكِ ورائي في البرية.**» (إر٢: ٢)

صديقي القارىء، انتبه وانظر كيف أن «**أعمال المحبة**» حينما تكون من كل القلب وكل الجهد تحفظ الإنسان في ساعة التجربة وتنجِّيه من يوم السوء وتنشله من حالة اليأس وتحفظه من أن يخون عهد الله تحت وطأة الضيق مهما بلغ!!

القسم المختص بما يرجوه بولس الرسول:

٦: ١١ «ولكننا نشتهي أن كلَّ واحدٍ منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاءِ إلى النهاية».

كانت الآية التشجيعية السالفة (٦: ١٠) هي آية «**المحبة**»، فوضعها ق. بولس في قمة ثالوث الإيمان والرجاء والمحبة. أما هذه الآية فكرَّسها ق. بولس «**للرجاء**»، والرجاء يُطلب بشدة

ويتخطى درجته الثانية عندما يتزعزع الإيمان!! والرجاء هنا يجيء في الاتجاهين، رجاء عند ق. بولس ليكون عندهم رجاء! وق. بولس لا يستمد لهم هذا الرجاء ويدفعهم إلى التعلُّق به — من فراغ — فمحبتهم التي أظهروها من نحو اسم الله والتي جعلتهم يخدمون الكنيسة من حولهم بكل ما يملكون هي التي يستمد من بذرتها السماوية قوة لهم ليتعلَّقوا بالرجاء ثم الإيمان.

«ولكننا نشتهي»: ἐπιθυμοῦμεν δὲ

إن هذه الكلمة المملوءة رغبة وشوقاً وطلباً وإلحاحاً وعاطفة، تعطينا صورة جديدة للغاية عن مستويات كثيرة:

أولاً: مستوى حب ق. بولس وإيمانه بهذه الرسالة وأهميتها العظمى.

ثانياً: مستوى أهمية هؤلاء القوم المزعزعين عند ق. بولس.

ثالثاً: مستوى الخطورة المحيقة التي أحاطت بهم فكادوا أن يفقدوا الرجاء لولا ذخيرته التي لا تفنى عند المحبِّين.

رابعاً: رجاء ق. بولس هو الذي صاغ هذه الكلمة، فشهوة القديسين دائماً أن يترجوا خلاصاً للمستضعفين.

«أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه»:

شهوة ق. بولس أن اجتهادهم الأول الذي رافق دخولهم الإيمان بالمسيح، يظل على مستواه الأول لأن هذا هو وعد الخلاص والمخلِّص: «ها أنا معكم كل الأيام» (مت٢٨: ٢٠). فالاجتهاد الذي لازم الإيمان في مبدئه ليس عطية وقتية ولا غيرة عابرة، بل هو بعينه طبيعة الإنسان الجديد وهو غيرة الروح القدس التي اضطرمت بها النفس عندما انفتحت على المسيح وأخذت منه وشابهته.

قد يتشكَّل الجهاد بأعمال متعددة ولكن يظل الاجتهاد الحار علامة لجدَّة الحياة التي يحياها المؤمنون. والفتور والتراخي ليس توقفاً على الطريق بل رجعة إلى الوراء تُنذر بما أنذرت به حالة أولئك العبرانيين الحزينة المحيِّرة. حينما تبرد المحبة يتعطَّل الاجتهاد، وإذا توقَّف الاجتهاد لا يستيقظ منه الإنسان إلاَّ ويرى نفسه قد تقهقر فراسخ وأميالاً. لا توجد حياة فاترة في المسيح، لأن المسيح لا يطيقها إذ يتقيأ صاحبها لأنه يدَّعي الحياة وهو ميت ويثير من حوله الصخب كعمَّال وهو متوانٍ. والمسيح في سفر الرؤيا يقول هذا ويقول إنه مستعد أن يجعلك غنياً بالأعمال وبالحياة وبالطهارة وبالمعرفة، ولكن عليك أن تكفّ أولاً عن الرياء الذي تعيشه والكذب على الناس:

«لأنك تقول إني غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان.» (رؤ٣: ١٨)

بولس الرسول يخاطب هؤلاء القوم أن يعودوا إلى سيرتهم الأُولى في الاجتهاد، أي يعترفوا بفقرهم وتوانيهم أمام الله ليهبهم حرارة الروح للإمساك بالحياة الأبدية من جديد.

«ليقين الرجاء إلى النهاية»:

إن توانيهم وإهمالهم في التلمذ على سُبل الخلاص باجتهاد وتوقُّفهم عند مراحل التعليم الأولية للمبتدئين ضيَّع منهم حرارة الإيمان وغيرة الخلاص والتهاب الرجاء، إذ لا يمكن أن يلتهب الرجاء في قلب الإنسان المسيحي إلاَّ وهو في حالة الصلاة وغيرة الخلاص ومحبة المسيح والقديسين وشهوة الإنجيل. فآفة الرجاء هو التواني والكسل وعدم التلمذ للإنجيل والإهمال في السعي وراء الروح القدس واقتناء إرشاداته وتوعيته وتوجيهاته، هذا يطرح الإنسان بعيداً عن محبته الأُولى ومجد الروح القدس وأفراحه، وهذا يؤلم المسيح كقول سفر الرؤيا: «وقد احتملتَ ولك صبرٌ وتعبتَ من أجل اسمي ولم تكِلّ. لكن عندي عليك أنك تركت محبتك الأُولى، فاذكر من أين سقطتَ وتُبْ واعمل الأعمال الأُولى وإلاَّ فإني آتيك عن قريبٍ وأُزحزح منارتك من مكانها إن لم تَتُبْ.» (رؤ٢: ٣ــ٥)

«يقين الرجاء»:

الرجاء في المسيح يختص بتكميل وعده، ووعد المسيح لا حد له ولا نهاية في الحاضر والمستقبل. وكون المسيح يَعِد، فهذا بحد ذاته داخل في مجال اليقين بمعنى حتمية النفاذ، ولا يلزم للإنسان المسيحي أن ينتظر تتميم وعد المسيح في الزمن الآتي، فوعد المسيح حاضر دائماً ونافذ كل يوم حتى إلى ملء معرفة الله والحياة الأبدية، وإنما كعربون نتذوقه الآن ونتعرَّف عليه ونمتلىء فرحاً وعزاءً وسروراً. فوعد المسيح هو رجاؤنا ورجاؤنا في المسيح هو فرحنا نمارسه الآن قبل أن يكون. هل تريد أن تشعر بيقين الرجاء في المسيح؟ أدخل إلى مخدع الصلاة بعزم القلب لطلب وجه الحبيب واصبر ودُم في الصلاة، لا تحسب الزمن وارتفع فوق الضجر واحتمل صلب الرجلين والظهر وادخل إليه من مدخله السـرّي أي اللجاجة لأنها مفتاح الاستجابة، وحينئذ تعرف مَنْ هو الرب وما هو فرح الروح، حينئذ تعرف ما هو يقين الرجاء في المسيح. يقين الرجاء في المسيح هو فرح الحياة الأبدية، هو مسرَّة التراثي أمام الآب بدالة البنين في شخص الابن الوحيد، هو التمتع بصفح الآب الكلي والتنعُّم في برِّه المجاني الذي يبرِّر الفاجر، من أجل دم ابنه.

ولمَّا أكمل ق. بولس نصيب **المحبة** وانكشف سر **الرجاء** جاء إلى **الإيمان**.

٦ : ١٢ **«لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثِّلين بالذين بالإيمانِ والأناةِ يرثونَ المواعيد».**

وحتماً إذا انفتح باب الاجتهاد في قلوبهم، في يقين الرجاء بالمواعيد — فأين تكون البطالة والإهمال في أمور الإيمان والخلاص؟ هكذا يشتاق ق. بولس ويتوسل من أجلهم أن تنفتح أعينهم على جسامة خدمة الخلاص ومجده المعدّ لكي يكفُّوا عن توانيهم ويقوموا من رقادهم، وق. بولس يذكّرهم بآبائهم العظام الذين بإيمانهم وصبرهم ورثوا المواعيد التي رأوها من بعيد وصدّقوها وحيُّوها وماتوا على الرجاء، وها رجاؤهم يُستعلن باستعلان المسيح ويتحقق ويفوزوا بالمواعيد التي قيلت من أجلهم.

وكأن ق. بولس يعزي قلوبهم بالنصيب المعدّ، أما الآباء الأوائل فنالوه بالإيمان عن غير رؤيا إذ لم يروا المسيح، وأما المسيحيون فنالوه بإيمان الرؤيا إذ صدَّقوا الذين رأوا، فتحوَّل إيمان الأوَّلين إلى رجاء لنا. فنحن بالرجاء خلصنا، فإن تمسَّكنا برجائنا في المسيح نكون على مستوى الذين بالإيمان نالوا المواعيد. ولكن شيئاً واحداً يتهدَّد رجاءنا هو أن تثقل آذاننا عن سماع صوت الله وتتقسَّى قلوبنا بتسويف العمر باطلاً، أو بهموم وغرور الغنى، وحينئذ تتباطأ مسيرتنا لكي في النهاية تتوقف. فإن لزم الاجتهاد كضرورة حتمية لبلوغ الكمال المسيحي فحتماً يكون معه الصبر وطول الأناة: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد.» (عب١٠: ٣٦)

أما الفرق بين طول الأناة والصبر فيشرحها العالم وستكوت كالآتي:

[فالصبر ὑπομονή يستلزم وجود ضيق وضغط خارجي يتمثَّل في التجارب التي على المسيحي أن يحتملها، أما طول الأناة μακροθυμία فيختص بضبط الرغبات والنزعات التي تضغط على الإنسان من داخله لتشكِّل له تجربة خطرة لو هو تسرَّع ونفَّس عنها بأقوال أو أعمال خاطئة.](٢١)

والله طويل الأناة على الخطاة بمعنى أنه لو نفَّذ ما يستحقه الخاطىء كرد فعل لخطيته ما عاش خاطىء واحد أمامه. ويأتي هذا المعنى في الرسالة إلى أهل رومية: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله

---

21. Westcott, *op. cit.*, p. 157.

وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رو٢: ٤). **فهو قد أظهر طول أناته إذ** حجز غضبه وبذل ابنه للموت من أجلهم. لذلك فطول الأناة هي صفة الله يمنحها بالروح القدس للذين أحبوه: «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام "**طول أناة**" لطف صلاح» (غل٥: ٢٢)، وذلك حتى يتأنى الإنسان في صبره وجهاده في الصلاة كالزارع الذي يتأنى على زرعه حتى يأتي زمان حصاده.

«يرثون المواعيد»:

أما المواعيد «بالجمع» فهي كل ما وعد الله به الآباء قديماً وقد تحققت جميعها في شخص يسوع المسيح ربنا مع كل المواعيد التي وعد بها المسيح تلاميذه وأحباءه «والذين يؤمنون بي بكلامهم» (يو١٧: ٢٠). أما من جهة الميراث فهو سبق وخلّصنا، وسبق وفدانا، وبحبه تبنّانا، وجعلنا معه وارثين للآب.

٤ ــ صدق مواعيد الله

[٦ : ١٣ ــ ٢٠]

[كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة].
(رفع البخور ــ أوشية الراقدين).

لقد ركَّز ق. بولس تعزيته على أساس النعم والبركات وحياة الأبد التي ذكرها الله والمسيح في مواعيده، فما هو مدى مصداقية هذه المواعيد وماذا نضمن صدقها؟ هذه قضية خطيرة للغاية لأن على أساسها يرسو الإيمان ويتثبَّت لنا الرجاء، ويحلو لنا الجهاد وتهون المصاعب والأهوال وتلذُّ لنا الآلام.

وهكذا يبدأ ق. بولس فيقدِّم ما يثبت وما يضمن أن هذه المواعيد التي أعطاها الله لنا صادقة. وهو يبتدىء من إبراهيم، فأول وعد بالحياة والبركة كان لإبراهيم. ولكي يُدخل الله الثقة المطلقة لصدق ميعاده أقسَم له بذاته! وهكذا أعطى الله أعلى ضمان ليجعل ميعاده لإبراهيم على مستوى الصدق المطلق، إذ جعل صدق مواعيده قائماً على صدقه هو أمام ذاته، وهذا أمر عظيم للغاية. وهنا يستشف ق. بولس وثيقتين ضامنتين للوعد كل منهما أقوى من الأخرى. فكون الله بنفسه «يَعِدُ» إبراهيم بالحياة والبركة فهذا ــ الوعد ــ وحده أمر فائق الثبوت والمصداقية، فكلمة الله بحد ذاتها هي جوهر الصدق وضمانه. أما الوثيقة الثانية وهي مثلها في الثبوت والمصداقية، كونه يزيد على الوعد بأن يقسم بذاته. وهكذا اعتبر ق. بولس أن «بأمرين عديمي التغيُّر ــ الوعد والقسَم ــ لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية» (عب٦: ١٨). وهذا باب جديد للعزاء يفتحه بولس الرسول أمامنا ليجعل إيماننا وطيداً، وثقتنا بالدعوة التي دُعينا إليها في المسيح ثابتة ثبوت الله في قلوبنا، ورجاءنا في المسيح حيًّا يزداد ويمتد، وحبنا له لا يُحدُّ.

٦ : ١٣و١٤ «فإنه لمَّا وَعَدَ الله إبراهيمَ، إذْ لم يكُن له أعظمُ يقسِمُ به، أقسَمَ بنفسه، قائلاً: إني لأُباركنَّك بركةً وأُكثِّرنَّك تكثيراً».

كان ق. بولس في هذه النقلة غاية في الحكمة وطول النظر، إذ بإعطائه إبراهيم أبا الآباء بداية لتأكيده على الوعد، أول وأعظم وعد ناله الإنسان، يكون قد تخطَّى الناموس إلى ما قبله ليوضح لسامعيه أن الناموس جاء كوضع زائد أو مالىء للفراغ الزمني بين الوعد وتحقيق الوعد، وبعبارة

أكثر حكمة، فإن الناموس جاء خارج الوعد وليس في صميمه؛ جاء كمرحلة في الطريق بين الوعد وتحقيقه.

وإبراهيم في التوراة يمثّل أمرين غاية في الأصالة والكمال: **الأول رجاء** صادق وحرّ وقوي يعتمد على وعد صادق موثق بقَسَم، **والثاني صبر** هو أعظم صبر وطول أناة فريد لا يُجارَى في الثقة بالله والوعد بكل أمانة وإيمان حتى تحقَّق له الوعد في ابنه إسحق وتحقَّق لنا في ابنه المسيح.

«وَعَدَ الله إبراهيم»، ثم، **«أقسَمَ بنفسه»**:

الله هنا أراد أن يعطي وعده أقصى كرامة، وعلواً وحقاً وتحقيقاً؛ فبعد أن وعد، ثبّته بقسم إذ أقسم بنفسه لكي يكون صدق الوعد مساوياً لصدق الواعد. وهذا سمو لو أطال الفكر في النظر إليه لتاه واحتار واندهش؛ فهو لم يقسم بسمائه التي تزول ولا بأرضه الزائلة أصلاً؛ بل بنفسه هو الحي القيوم الباقي الخالد الأبدي. لماذا هذا التحقيق البالغ في الأصالة والقوة والعمق؟ أليس لكي نؤمن؟ نعم، فآمن إبراهيم، إبراهيم آمن بالله أولاً، و بالوعد حتماً، فكان إيمانه في سموّه صدى لسمو الله في وعده وفي قَسَمه، لذلك حُسب له برًّا وهو تحصيل حاصل لأن إيمان إبراهيم كان بالفعل من القوة على مستوى برّ الله لمّا آمن!!

انظر أيها القارىء السعيد وافرح كيف استدرج الله الإنسان بكرمه وسخائه وتماديه في الإقناع حتى أسره وطواه تحت برّه!! ثم انظر أيها القارىء اللبيب وافهم لماذا أعطى الله لإبراهيم قَسَماً، بعد أن أعطاه وعداً، أليس لأن تحقيق الوعد سبق وقُدِّرت له سنينُ طويلة؟ وهكذا جاء القَسَم ليستنفر في إبراهيم موهبة الصبر إلى أقصى حدوده فصبر حتى نال!! لذلك حقٌ هو لو حسبنا أن طول أناة إبراهيم كان تكريماً للقَسَم فحُسب صبره أنه صدى كريم لقَسَم الله. فاستحق أن يأخذ ما جاء بالقَسَم نصاً وحرفاً: **«لأباركنّك بركة ولأكثرنّك تكثيراً»**. أما ذكر البركة والكثرة الأولى فهو نظير تصديق الوعد الذي وعد، وأما توكيد البركة والكثرة مرة أخرى فبسبب صبره الذي أكرم به القَسَمَ الذي أقسم!!

ولكن أعجب ما في هذا الوعد وفي هذا القسم أنه جاء دون شرط قط يُطلب من إبراهيم. فكأن شرطه الوحيد كان أن يصبر إبراهيم لكي ينال كل محتواه.

وهكذا نأتي إلى مقصد بولس الرسول الدقيق والمضيء في إعطائه لهؤلاء العبرانيين إبراهيم مثلاً للصبر، حتى نال به المواعيد، لكي يزكّي لهم الصبر!! هذا كلام مُلْهَم وفصلٌ من الروح بديع،

وهو يثير دهشتنا بل إعجابنا وإيماننا نحن أيضاً أن يكون الصبر وحده هو شرط نوال المواعيد؟ بل الموازي والمكافىء لقَسَم الله عزَّ وجلَّ؟

انظر أيها القارىء قيمة الصبر في مشوار إيماننا الطويل تحت ضيق الأيام وصروف الزمان؟ إنه العملة الوحيدة التي نقتني بها كمال المواعيد!

١٥:٦ «وهكذا إذ تأنّى نالَ الموعدَ».

كان بين الوعد لإبراهيم وميلاد إسحق الذي به أخذ المواعيد نحو ٢٥ سنة. وخمسة وعشرون سنة في عمر إنسان كان قد بلغ المائة سنة لهو زمان مديد ومديد فوق الصبر البشري إن لم تكن قوة القَسَم قد سرت في روحه وفي قلبه. لذلك يجيء طول الأناة أو التأني عند إبراهيم ليكون نموذج الأناة التي يمكن حقاً أن توازي المواعيد سواء في إسحق الجسد أو المسيح الروح. ولعلنا ورثنا في المسيح ــ وعن إبراهيم ــ هذا الصبر وهذه الأناة عينها التي بدونها لن يتزكّى لنا إيمان. فالصبر بحسب بولس الرسول تزكية والتزكية رجاء لا يُخزى (رو٥: ٤و٥)!! وهكذا صار الصبر في المسيح هو المحقِّق للرجاء، فكل ما نرجوه نناله بالصبر، والصبر بيِّنة الإيمان وشهادته المُثلَى!

هذه المواعيد هي لنا، وهذا التأكيد المثنَّى هو من أجلنا، لكل الأجيال الآتية: (٦: ١٦ــ١٨).

بحسب بولس الرسول ونص الوعد الإلهي لإبراهيم فنحن ورثة إبراهيم على أساس المساواة في برّ الإيمان. هو آمن بمن يقيم الحياة من الموت ونحن نؤمن بمن أقام المسيح من الأموات. هو أخذ الوعد لنسله من الجسد ولنسله من الأمم على السواء كل مَنْ بلغ إبراهيم بالإيمان، والوعد هو لأزمنة الدهور كلها وهو لا يزال يتحقَّق لكل مَنْ آمن على رجاء إبراهيم ليصير ابناً لإبراهيم في المسيح ولو لم يَرَه إبراهيم! «أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو٨: ٥٦). فتهليل إبراهيم بلغ في المسيح إلى يومنا هذا، ويومنا نحن بلغ تهليل إبراهيم، فصار تهليلنا بالمسيح هو حياتنا وصرنا ليس فقط ورثة لعهد الله لإبراهيم، بل وورثة لمن هو صاحب عطية الميراث والوارث الوحيد لله أبيه.

فإيمان إبراهيم بالله يوم حُسب له برّاً يُعبِّد أول الطريق المؤدي إلى قلب الله، وعلى الطريق استُعلن لنا مَنْ هو الطريق الحقيقي والحق والحياة وبلغنا بالمسيح والروح قلب الله.

فوعد الله لإبراهيم لا يزال كما هو، والقَسَم أيضاً يجدده المسيح لنا بكهنوته في حياتنا ولا يزال يُكمّل إلى أبد الدهور.

١٦:٦ «فإن الناس يُقسِمون بالأعظم، ونهايةُ كلِّ مشاجرةٍ عندهم لأجلِ التثبيتِ هي القَسَمُ».

أراد ق. بولس أن يقرّب إلى ذهن هؤلاء العبرانيين المتنصّرين معنى القَسَم وحقيقة علو شأنه. فأعطى هذه الصورة المتداولة عند الناس حينما يلجأون إلى أعظم ما عندهم يُقسِمُون به ليعزّزوا القول والصدق.

وهنا يشرح ق. بولس قيمة القَسَم في وجهيه السلبي والإيجابي. فبمجرد صدور القَسَم يتوقّف النزاع وتهدأ المشاجرة احتراماً للأعظم الذي أُقسِم به ليكون بذاته قائماً حَكَماً وشاهداً عَدلاً. وهذا هو الوجه السالبي البديع، والأبدع منه وجهه الإيجابي حينما يتثبّت الأمر المقسوم بصدده ويرتفع هذا التشتُّت إلى يقين بسبب حضرة من أُقسِم باسمه. وبهذا يضع القسم حداً لكل نزاع يقوم بين الناس كما ينكر على أي من الطرفين النكوص إذ يكون كمن نقض عهد هذا الأعظم وشجب كرامته.

١٧:٦ «فلذلك إذ أرادَ الله أن يُظهِرَ أكثرَ كثيراً لورثةِ الموعدِ عدمَ تغيُّرِ قضائهِ توسّطَ بقَسَمٍ».

هنا يختلق بولس الرسول قضية مرفوعة بين أناس آخر الدهور وإله إبراهيم، وملخص هذه القضيــة أن الله أحب الناس وهي حقيقة قائمة وثابتة في عمق الله وطبيعته، فاختار واحداً هو أعلاهم قامة في الإيمان ــ إبراهيم ــ وجعل إيمانه مقياساً عاماً لكل الناس يقيس عليه الله من يقترّبهم إليه من إبراهيم إلى منتهى الدهور، وأضمر الله أن يُدخله تجربة على قدر إيمانه العالي، ثم وَعَده، وهو ضامن نجاحه، أنه سيعطيه عطية هي الحياة عينها بكل زخمها من بركات أرضية وسماوية، وزاد عليها أن أقسم له بنفسه حتى يتمسّك بهذا القَسَم على الله أن يفي بوعده وبقَسَمه. وسلّم الله لإبراهيم الوعد محقّقاً جزئياً وأعطاه وثيقة وعده وقَسَمه ليسلّمها إلى نسله من اليهود والأمم جميعاً لتكميل تحقيقها لكل مَنْ كان على مستوى الوعد والقَسَم من إيمان بالله كإيمانه، وهكذا صار بيدنا ــ بحق إيماننا بالمسيح الذي هو على مستوى إيمان إبراهيم ــ أن نطالب الله ــ بقضية ــ على أساس وثيقة وعده وقَسَمِه التي ورثناها من إبراهيم المحقَّقة في المسيح أن يوفي بوعده وقَسَمه فيما لنا

نحن ورثة إبراهيم في المسيح وأصحاب الوعد والقَسَم — على أساس استحالة تغيير قضاء الله المدموغ بقَسَمه.

والملاحظ أن القَسَم الذي أقسم الله بنفسه لإبراهيم — أن يباركه وتتبارك في نسله كل الأمم — وصار لنسله، هو على التوازي مع القَسَم الذي أقسم الله للمسيح أنه هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق، وصار هذا القَسَم متوارثاً أيضاً لكل من قَبِلَ المسيح وآمن به مخلّصاً وفادياً وربًّا ومسيحاً.

فالقَسَم الأول صار لنا حقٌّ في المسيح الذي فيه كمل الوعد لإبراهيم.

وبالقَسَم الثاني صار لنا حقٌّ في التقدُّم إلى الله بالمسيح لأنه صار كاهناً لنا أمام الله، وكما أن القَسَم الأول تحقَّق في القَسَم الثاني باعتبار المسيح نسل إبراهيم، كذلك أصبح بإيماننا بالمسيح نفس حق إبراهيم في برِّ الله بإيمانه.

١٨:٦ «حتى بأمرَيْنِ عديمَي التغيُّر، لا يمكنُ أن الله يكذِبُ فيهما، تكون لنا تعزيةٌ قويةٌ، نحن الذينَ التجأنا لنُمسِكَ بالرجاءِ الموضوعِ أمامَنا».

«تعزية قوية»(٣٢): Ισχυρὰν παράκλησιν

بهاتين الكلمتين يبدأ الجزء الثاني من الآية باللغة اليونانية حسب النص «تعزية قوية تكون لنا». وفي كلمة: παράκλησιν يكمن مركز الآية الذي يحرّك كل المعنى. فبحسب اليونانية يأتي معناها «**تشجيع على الاحتمال**»، ولكن الترجمة العربية ترجمتها «تعزية»، وبذلك انتحت الناحية السلبية لمعنى الباراكليسيس، بمعنى مجرد **العزاء الداخلي**. ولكن بحسب مجرى الآية ومعنى الكلمات، ينظر إليها علماء اللغة أمثال وستكوت بأنها كلمة إيجابية أي فعّالة، فهي تعني «الاحتمال والتشجيع على تحمُّل الصعاب التي من الخارج»، وليس مجرد التعزية الناشئة من الداخل، فالأمر يتعلّق بمثابرة وشجاعة إزاء وضع خارجي محاط بالصعاب. وهي نفس الكلمة بهذا المعنى التي جاءت في الأصحاح (١٣ : ٢٢) هكذا:

«وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة **الوعظ** (أو كلمة **التشجيع**) = παρακλήσεως ...». لذلك يلزم أن تكون الترجمة: «حتى بأمرين عديمي التغيُّر، لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا **شجاعة احتمال قوية**، نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا».

(٣٢) كلمة «باراكليسيس» أصلها في اليونانية يشمل معنى التشجيع والوعظ بجوار معنى العزاء.

«شجاعة احتمال "قوية"»: ἰσχυράν

ومعناها في اللغة اليونانية ليس مجرد «قوية»، ولكن تخص من يمتلك قوة احتمال «**عظيمة**»، كما جاءت في سفر الرؤيا (١٨ : ٢): «وصرخ بشدة بصوت **عظيم** ἰσχυρᾷ φωνῇ ...».

نخلص من هذا بالمعنى أن هذين الأمرين عديمي التغيُّر وهما «**الوعد**» و«**القَسَم**» قصَدَهما الله قصداً من أجلنا، لكي يكون لنا بهما الشجاعة المطلقة أو يكون لهما علينا التأثير المشجِّع الشديد. وبولس الرسول هنا ينبِّه ذهننا كما ينبِّه ذهن هؤلاء العبرانيين المترددين، أن القَسَم الذي أضافه الله إلى الوعد لإبراهيم قصد منه أن يكون لنا بهذا الوعد المسنود بهذا القَسَم «**شجاعة عظيمة**»، حتى نحتمل كل الظروف الصعبة والبالغة الشدة أيضاً. وكأن الله أقسم لنا بنفسه أن وراء أتعابنا هذه وضيق الأيام وعداً أكيداً مؤكَّداً بالحياة والبركة. وهنا وبعد هذا التشجيع المطلق، يمكن أن يأتي معنى العزاء.

«بأمرين عديمي التغيُّر»: πραγμάτων ἀμεταθέτων

هنا كلمة «**أمرين**» جاءت باليونانية بالكلمة المعروفة «براجما»، وهي تعني «واقع» أو «عمل» التي يأتي منها المنهج الفلسفي المعروف بالبراجماتزم الذي تدين به السياسة الأمريكية، وهو مبدأ النفعية أو الواقعية أو الواقعية النفعية. لذلك يُستحسن ترجمتها هنا بكلمة «واقع»، فتكون الترجمة: «حتى بواقعين عديمي التغيُّر»، لأن وعد الله صار **واقعاً** مؤكَّداً مشجِّعاً يستحيل أن يتغيَّر أو يتبدَّل.

«يستحيل أن الله يكذب فيهما»:

قضية مسلَّمٌ بها لا تحتاج إلى تأكيد أو تفسير. فوعد الله نافذ حتى ولو تزعزعت أسس السموات وتزلزلت الأرض وزالت، فكلمة الله باقية إلى الأبد يمكن أن تلد عالماً جديداً وإنساناً جديداً، هذا يزيد من تأكيد بقاء وعد الله المسنود بالقَسَم قائماً أمام الإنسان ليتشبَّث به بمنتهى الثقة والشجاعة إزاء أقسى ما يقدِّمه العالم.

«نحن الذين التجأنا»: καταφυγόντες

معناها الحرفي بحسب النص اليوناني: «هربنا للنجاة»(٢٣). اختصرها المترجم العربي بحسب المعنى غير عابىء بالأصل اللغوي الذي يفيد عملية الهروب من بحر الفساد في مركب العالم

23. Westcott, *op. cit.*, p. 162.

إلى مرفأ الله الأمين المدعَّم بالوعد والقَسَم.

وكلمة καταφυγόντες جاءت واضحة بمعنى الهروب في سفر الأعمال (٦:١٤): «شعرا به فهربا κατέφυγον ...».

«لنُمْسِك»: κρατῆσαι

وتعني في اللغة اليونانية: «**يضع يده على الشيء الذي حصل عليه ويتشبَّث به**»[٢٤]، كغريق يتشبَّث بقارب النجاة، وقد سبق شرحها في الآية (١٤:٤): «**لنتمسك** بالإقرار».

وقَصَد ق. بولس في التركيز على هذه الكلمة بالذات بالنسبة لهؤلاء العبرانيين المزعزعين، أن لا تفلت من أيديهم أعظم نعمة أنعم بها الله على الإنسان بواسطة المسيح، وهي الرجاء في حياة أبدية مع الله. اسمع الروح وهو يهتف بملاك كنيسة ساردس: «أنا عارف أعمالك أن لك اسماً أنك حيٌّ وأنت ميت. كُنْ ساهراً **وشدِّد ما بقي**...» (رؤ٣: ١و٢)

«**بالرجاء الموضوع أمامنا**»:

ليس هو رجاءً موضوعاً في السماء نتطلَّع إليه من على بُعد؛ بل قد ألقاه الله في طريقنا وفي قلوبنا، في متناول أيدينا، كقارب نجاة في محيط رؤيانا للمرفأ الأمين داخل دائرة إيماننا، إن أحسنَّا تمسك به، ويكون لنا ونكون له فيصبح الرجاء خلاصاً فعَّالاً: «بالرجاء خلصنا» (رو٨: ٢٤). ولكن الرجاء بدون الإيمان خيال وأوهام، ولكن بالإيمان يصبح حقيقة ويصبح قريباً، بل ويصبح حقاً من حقوقنا، فالرجاء إكليل الإيمان، هو قلادة من نور يلبسها الذين ركضوا في طريق الإيمان في عتمة ليل العالم الطويل وبلغوا نهاية الشوط. كل فعل إيمان ينشيء رد فعل رجاء يسكن في القلب. كل فعل إيمان هو في حقيقته مسك بالرجاء وتشبُّث به. كل أفعال الإيمان هي صَلْبٌ العالم لنا ونحن للعالم، كلها بذل، وكلها مخضَّبة بدم الذات المذبوحة لحساب ما نرجوه، وما نرجوه «هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو١: ٢٧)، «لي الحياة هي المسيح (رجاء)، والموت هو ربح.» (في١: ٢١)

١٩:٦و٢٠:

أما الوعد المبارك الذي وعد الله به إبراهيم وثبَّته بالقَسَم، فقد تحقق بصعود المسيح ابن الإنسان ــ رجاء الوعد ــ إلى السموات العُلا ودخوله إلى الأقداس وتراثيه أمام الله من أجلنا. لذلك أصبح

24. Ibid.

رجاء الوعد محقّقاً لنا في شخص يسوع المسيح، الجالس عن يمين عرش الله في السماء يكْهن لنا ومن أجلنا إلى أبد الآبدين.

٦ : ١٩ «الذي هو لنا كمِرْساةٍ للنفسِ مؤتمَنةٍ وثابتةٍ تدخُلُ إلى ما داخلَ الحجابِ».

التشبيه هنا بليغ فهو يمثّل المسيحي بإنسان في مركب آيل للغرق في بحر العالم، والمركب مصيره أن يغرق ويختفي في مجاهل الزمن، أما المسيحي فله بجوار مركب العالم قارب نجاة سماوي اسمه الرجاء الحي توجّهه قوى أبدية، شراعه مكتوب عليه وعد الله، ودفّته يضبطها قَسَم الله ببلوغ الغاية حتماً، وله هِلْب أو مرساة روحية ملقاة فيما وراء حجاب العالم، تدخل في بحر الخلود تجذب قارب النجاة نحو الله بثبات كمربوط برُبُط لا ترتخي في عرش الله والمسيح. لأن داخل الحجاب ليس إلاَّ قدس الأقداس وعرش الله الحقيقي حيث المسيح رجاء المجد المعدّ، غاية الوعد.

«الذي هو لنا كمرساة للنفس»: ἄγκυραν

ظهر تعبير «المرساة» أو «الهلب» في العهد الجديد فقط وفي بكور المسيحية مرادفاً وملازماً لرمز السمكة. فأصبحت السمكة مع الهلب تعبِّر عن المسيحية وعن الرجاء، وصار الرجاء اسماً محبوباً مَشاعاً ينمّ عن روح المسيحية وحياتها. فاسم «هلبيس» للمرأة = رجاء، واسم «هلبيذوس» = رجاء للرجل، أصبح مألوفاً في كل أسرة. أما رسم «الهلب» أو «المرساة» فصار يُنقش على القبور مع رسم السمكة ليُعبِّرا عن رجاء المسيحي في الأبدية التي صارت موطنه.

وقد أسهب العلاَّمة كلمندس الإسكندري في وصف الهلب وكيف كان يُنقش على خواتم الأصابع(٢٥).

«مؤتمنة وثابتة»:

هاتان الصفتان تأتيان في اليونانية إما لوصف المرساة أو الرجاء، ولكن معظم الآباء وبالأخص ذهبي الفم يضمُّهما إلى المرساة، التي يضعونها في وضعها الروحي مقابل مرساة المركب في الوضع المادي. هذه تدخل إلى أعماق البحر إلى أسفل؛ وتلك تصعد إلى فوق لتخترق السماء وتدخل إلى ما داخل الحجاب الذي يفصل العالم عن الله. هذه تعطي الأمان للجسد والثقة التي لا تتزعزع بسبب ثبات المركب المشدود إلى حديد الهلب الملتصق بقاع البحر؛ وتلك تعطي أماناً وثباتاً للنفس التي

25. Clement of Alexandria, *op. cit.*, iii, 59.

تكون قد اتصلت وارتبطت بالمسيح. وأخيراً فالمرساة بالروح هي الرجاء في المسيح الذي انعقد عليه الوعد.

ولكن يرى العالم اللغوي وستكوت أن هذه الصفات مجتمعة سواء «المؤتمنة» أو «الثابتة» أو «تدخل إلى ما داخل الحجاب»، إنما تختص بالرجاء وليس بالمرساة. فالرجاء هو وحده الآمن والمؤتمن وهو الثابت وهو وحده الذي يدخل إلى الله[٢٦].

«تدخل إلى ما داخل الحجاب»:

واضح أن الرجاء وحده هو الذي يدخل بنا إلى ما داخل الحجاب أي الله والمسيح. وقد أوضح ذلك بولس الرسول في موضع آخر بجلاء تام: «إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً ولكن يصير إدخال **رجاء أفضل به نقترب إلى الله.**» (عب٧: ١٩)

ونقطة التشابه التي تربط معنى الرجاء بمعنى المرساة، أن كلًّا منهما يختص بغير المنظور. فالمرساة حينما تُلقى في مياه البحر، تخترق الأعماق غير المنظورة لتستقر على أساس غير منظور، كذلك الرجاء فهو يخترق أعماق السموات غير المنظورة ليستقر على أساس الإيمان القويم، وهو الرب يسوع المسيح في هيئته غير المنظورة بالعيان.

٦: ٢٠ **«حيث دخلَ يسوعُ كسابقٍ لأجلنا صائراً على رتبةِ ملكي صادق رئيسَ كهنةٍ إلى الأبد».**

ودخول المسيح إلى السموات ليس كأنه دخول إلى ما ليس له، بل إن السموات هي التي منها أتى ونزل وهي موطن عرشه كما سبق وقال في بداية الرسالة: «أما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (عب١: ٨). ولكن دخوله كابن الإنسان حاملاً البشرية في كيانه الإلهي لم يكن لذاته بل لنا، فقد دخل كسابق لأجل الذين فداهم بدمه ليُدخلهم معه إلى أبيه: «أنا أمضي لأُعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤: ٢و٣). فدخوله كان لتكميل عمل الفداء بتقديم دم ذبيحته الكفَّارية لدى الآب لأجلنا ὑπὲρ ἡμῶν، هذا الذي كان لا يرقى إلى عمله إلاَّ رئيس الكهنة في الماضي وعن خطايا الجسد. أما ما أضافه المسيح فهو كفَّارة دائمة أبدية عن كل خطايا وتعدِّيات الإنسان لقبول

26. Westcott, *op. cit.*, p. 163.

تطهير شامل روحي للروح والنفس والجسد بفعل دم ذبيحته الإلهي ونوال مصالحة دائمة من لدن الآب السماوي، لقبول هبة التبني لله مع الابن الوحيد. فصار عمله الكفّاري على مستوى رئيس كهنة دائم وإلى الأبد، على شبه طقس ملكي صادق.

ولكن عمل المسيح الكهنوتي بالنسبة لتقريبنا إلى الله أبيه يفوق بما لا يُقاس عمل رئيس الكهنة في الماضي الذي كان يفوز، بالجهد، بصَفْح مؤقت، ومن على بُعد حيث لا يجرؤ أحد قط أن يتبعه إلى داخل الحجاب؛ أما المسيح **فبصَفْح أبدي يؤهلنا للدخول الفعلي معه بكل جراءة وقدوم إلى الله أبيه** لننال التقديس أمامه بلا لوم في محبة ابنه. فدخول الابن الوحيد حاملاً بشريتنا إلى قدس أقداس السموات أنشأ لنا دخولاً جريئاً من خلفه وفيه، وكأننا بإيماننا ورجائنا ممسكون به ندخل إلى حيث دخل، فدخوله كان كباكورة مقدسة تجرُّ وراءها حصاداً وفيراً معها وفيها. الأمر الذي عبَّر عنه بولس الرسول مرَّة أخرى بكل بيان: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان ... لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمينٌ.» (عب ١٠: ١٩—٢٣)

«دخل يسوع كسابق لأجلنا»:

«كسابق»: πρόδρομος

هذه الكلمة «بروذروموس» في اليونانية تفيد أصلاً **«طلائع»** الجيش التي تسبق وتكتشف المواقع المتقدِّمة ليدخلها الجيش بأمان، **فهي** اصطلاح حربي ذو هيبة ووقار ويدل على الجراءة والإقدام والوثوق.

أما كلمة **«دخل»** εἰσῆλθεν **فهي** تفيد بصفة خاصة جداً الانتقال من وضع ظاهري منظور إلى وضع داخلي غير منظور، ولا تفيد أنه دخل **ليكون** رئيس كهنة على طقس ملكي صادق، بل إن دخوله هو تعبير عن انتقال من شفاعة وكفَّارة منظورة بشبه رؤساء كهنة الماضي إلى شفاعة وكفَّارة غير منظورة، وبالتالي من رئاسة كهنوت منظورة في الزمان، مآلها إلى الزوال بزوال الزمان إلى رئاسة كهنوت دائمة خالدة **فوق** الزمان لا تزول بزوال الزمان بل تبقى إلى الأبد. لذلك قيل إنها صارت على طقس ملكي صادق. فعبور المسيح من الزمان إلى الأبد بقيامته حاملاً ذبيحة نفسه الكفَّارية الحيَّة ودمه الإلهي عليه ليتراءى بها أمام أبيه، هو الذي جعله بالدرجة الأولى رئيس كهنة أبدياً على طقس ملكي صادق، يكهن من أجلنا بصفة دائمة أبدية أمام الله أبيه، ويقدِّم — بصفة متواصلة — شفاعته التي تؤمِّن حياة الكنيسة في غربتها على الأرض، وتُؤكِّد اكتمالها المزمع

وبلوغها المجد حتماً. فطالما المسيح قائم في السماء يطلُّ بوجهه علينا، كما رآه ق. بولس وقت الظهيرة، فهو يحرس كنيسته ويرعاها من فوق ككاهنها الأعظم، فذهابنا إليه أكيد ونصيبنا في السموات محفوظ.

«رئيس كهنة إلى الأبد»:

ولكن كيف يكون المسيح رئيس كهنة، بينما عمل الكهنوت ــ أصلاً ــ زمانيٌّ هو، ولأعواز الزمان ونقصانه ومفاسده يعمل؟ هنا النقلة العظمى في وظيفة رئيس الكهنة وعمله، لأنه كهنوت لا يكمُل عمله إلاَّ في الدهر الآتي حيث الأبدية السعيدة. أما كيف ذلك وعلى أي طقس يكون، هذا يوضحه الأصحاح السابع.

الأصحاح السابع

ثالثاً: مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق على خلفية ملكي صادق (٧: ١ــ٢٨):

١ ــ ملكي صادق الكاهن والملك (٧: ١ــ٣).

٢ ــ مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي (٧: ٤ــ١٠).

٣ ــ عدم كمال الكهنوت اللاوي (الهاروني) (٧: ١١ــ١٤).

٤ ــ تفوُّق الكهنوت الجديد (٧: ١٥ــ١٩).

٥ ــ امتياز كهنوت المسيح يؤكِّده قَسَم إلهي (٧: ٢٠ــ٢٢).

٦ ــ دوام كهنوت المسيح هو السرّ الفائق لفاعليته في تكميل الخلاص (٧: ٢٣ــ٢٥).

٧ ــ صفات المسيح أَضْفَتْ على الكهنوت تفوُّقاً لا نهاية له (٧: ٢٦ــ٢٨).

تقديم :
محاولة بولس الرسول لإلقاء الضوء على كهنوت المسيح «المطلق»
أي الفائق على الزمن بإعطاء التشبيه من ملكي صادق:

لو يلاحظ القارىء يجد أن آخر كلمات الأصحاح السادس تقدِّم التمهيد لعرض الشرح الذي يستغرق الأصحاح السابع كله بكل تفصيلاته. وهو يقوم على شقين:

الأول: أن كهنوت المسيح يقوم على طقس ملكي صادق.

الثاني: أنه وعلى أساس هذا الطقس، فإن كهنوت المسيح هو قائم إلى الأبد لا يتغيَّر ولا يزول.

والقديس بولس برجوعه إلى العهد القديم ليشرح كهنوت المسيح، يقصد بالأساس أن يبرهن مِن الكتاب المقدس أنه يوجد من البدء في تعاليم الله نظام كهنوتي لخدمة الله أقدم وأرفع من نظام كهنوت ناموس موسى الهاروني، وأن هذا النموذج التاريخي القديم تحقق بالفعل تحقيقاً كاملاً في المسيح «ابناً مكمَّلاً إلى الأبد.» (عب٧:٢٨)

١ ــ ملكي صادق الكاهن والملك
[٧ : ١ ــ ٣]

في هذه الثلاث الآيات يعرض بولس الرسول ثلاث حقائق تختص بملكي صادق: وصفه الكهنوتي الملكي، ثم وصف تقابله مع إبراهيم، ثم وصف تقديم إبراهيم العشور له. وذلك في الآية الأولى والجزء الأول من الآية الثانية.

ثم يعود ويصف عظمة مؤهلاته من مجرد تفسير لقبه «ملك البر»، «ملك السلام». ثم يتعمَّق وراء هذه الشخصية السرِّية المهيبة، ليستشف من وراء صمت رواية الكتاب المقدس عن ذكر ميلاده أو نسبه ما يمكن تطبيقه على المسيح بعد ذلك بحذق ومهارة مدهشة كونه بلا أيام وبلا نَسَب، وكأنه فائق على الزمن وعن البشر جملة!! وذلك من بقية الآية الثانية والآية الثالثة.

١:٧ «لأن ملكي صادقَ هذا ملكَ ساليمَ كاهنَ اللهِ العليِّ الذي استقبلَ إبراهيمَ راجعاً من كَسْرَةِ الملوكِ وبارَكَهُ».

«لأن»: οὗτος γὰρ

الترجمة الصحيحة هنا تكون «لأن هذا (أي ملكي صادق)». وهي بادئة تشرح نهاية ما جاء في الأصحاح السادس عن كون المسيح جاء على رتبة ملكي صادق، فهو هنا يستطرد شرحاً مَنْ هو ملكي صادق هذا الذي جاء المسيح على رتبته، ثم يبقى على هذه الرتبة إلى الأبد؟ وهذا يفهمه القارىء مباشرة حينما نَصِل الآيات معاً هكذا:

+ «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد، لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي ... الذي قَسَم له إبراهيم عُشْراً من كل شيء، المُترجَم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مشبَّهٌ بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب٦: ٢٠، ٧: ١—٣)

وهكذا يتضح جداً أن مَثَل ملكي صادق الذي اختاره بولس الرسول قد وفَّى بالفعل كل صفات وخصائص كهنوت المسيح وشخصه برًّا وسلاماً على مستوى الملوكية: مولده فوق الزمن، وحياته ملء الأزل وإلى الأبد، وكهنوته لا يتبع هارون، ويبقى إلى الأبد. إنها روعة التمثيل الإعجازي الفريد من نوعه ومثاله.

وقفة قصيرة
عظمة ومهابة ملكي صادق في التاريخ المقدَّس

لقد كشفت لنا هذه الرسالة الثمينة أي سفر العبرانيين مدى عظمة ومهابة شخصية ملكي صادق في التاريخ المقدَّس، وأن ظهورها في صدر أول أسفار موسى الخمسة أو بالحري أول أسفار التاريخ الإلهي المسجَّل في وعي الإنسان وتراثه لهو مُلفت للنظر بشكل خاص.

وعلى القارىء أن يدرك أن شخصية ملكي صادق كانت أول شخصية احتلت مجال الاستعلان المُدرَك والمحسوس عن علاقة الإنسان بالله، أو ربما الأفضل أن نقول علاقة الله بالإنسان قبل بدء تسجيل التاريخ المقدَّس نفسه.

فإن كان إبراهيم وهو المحسوب أنه أب الآباء جميعاً قد استعلن لنا برّ الله بإيمانه، فملكي صادق استعلن لنا «بركة» الله التي بارك بها إبراهيم قبل أن يحسب له الله إيمانه برًّا. كما حل في اسمه صادق[1] «Sedeq» صفة البر. لذلك فإن ظهور ملكي صادق لإبراهيم وإعطاءه «البركة»، يُحسب في التاريخ المقدَّس أخطر وأهم نقطة حرجة في تاريخ الإنسان، سواء حسبناه بحساب التاريخ المدني أو بحساب التاريخ الإلهي المقدَّس، إذ يُعتبر ملكي صادق هو الشخصية السرِّية المهيبة التي ظهرت من وراء أُفق التاريخ الإنساني، حاملاً بركة الله الخاصة، لينقلها من عصر ما قبل إبراهيم المغطّى بالخفاء الشديد إلى عصر إبراهيم الحامل لبدء استعلانات الله المسجّلة في وعي الإنسان. فملكي صادق كان يحمل سرَّ الماضي المذخّر فيه بركة الله، على أعلى مستوى من النضوج الإنساني في علاقته بالله، إذ كان ملكي صادق هذا ملكاً وكاهناً معاً، ملكاً يملك بالبر أي بالأمانة والحق معاً على كل مُقدَّرات الإنسان في هذا الزمان السحيق، ويملك بكهنوته كل مذَّخرات الله من نحو الإنسان. ومن اسمه نفهم أنه لكونه باراً، اختاره الله ليكون كاهناً، فكهنوته عن جدارة سيرته. على أن السلام دائماً يتبع البرّ: «وثمر البر يُزرع في السلام.» (يع٣: ١٨)

وظهور ملكي صادق كان بمثابة تسليم وتسلُّم، القديم للجديد، فكان تسليماً على مرأى من التاريخ، وتحت يد الله الذي شاء في هذه الشخصية الفريدة أن يسلِّم بركات القديم إلى أول مَنْ ائتمنه على سرِّ تعامله مع أجيال الوعد الجديد.

أما مَنْ هؤلاء الذين كان يحكم ملكاً عليهم بالبر ويكْهَن هم أمام الله؟ فقد أمسك التاريخ والوحي معاً عن ذكر أي شيء من ذلك. ولكن يقيناً أنه كان هناك ملك، وله أيضاً رسالة مقدسة من لدن الله ككاهن يكْهَن؛ وحتماً كان هناك شعب أو قبيلة أرضَتْ الله بأعمالها وأحبّها الله ووهبها برّه وسلامه، ولم يدرِ التاريخ عنها شيئاً. إلاَّ أنه تُرِكَتْ لنا آثارها الجغرافية وحسب والتي عُرفت فيما بعد باسم «ساليم».

«ساليم»:

وهي المذكورة في إنجيل ق. يوحنا: «وكان يوحنا أيضاً يعمِّد في عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون.» (يو٣: ٢٣)

وقد جاء تحديدها الجغرافي بناءً على اقتناع الغالبية العظمى من العلماء وعلى رأسهم يوسيفوس

(١) «صادِق» كلمة عبرية أصلاً Sedeq وتعني «البار».

العلاّمة اليهودي والمؤرّخ المعروف (Joseph. Antiq. I,10,2) وأغلب آباء الكنيسة القدامى. ويقدّم العالم الألماني الإنجيلي الكبير ماير H.A.W. Meyer في كتابه شرح الرسالة إلى العبرانيين (الكتاب التاسع صفحة ٥٥٧) مجموعة من أكبر العلماء جاءت أبحاثهم مؤيدة لذلك. و «ساليم» تقع على بعد ٨ أميال رومانية من جنوب سكيثوبوليس Scythopolis. ويقرر هذا أيضاً القديس إيرونيموس([2]) المعروف بجيروم ويقول: إن المكان كان لا يزال قائماً ومعروفاً في أيامه ويحوي خرائب قصر ملكي صادق.

ويؤكّد العالمان الألمانيان بليك Bleek وألفورد Alford([3]) أن ساليم هذه هي المذكورة في سفر يهوديت في (٤:٤) (السبعينية) كذلك هي المذكورة في المزمور (٧٦:٢): «كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون». ومن هذا يتضح أن ساليم هذه كانت تحوي مكاناً مقدّساً لله وكان يتراءى فيه، وإلّا ما كان يقول «مظلته»، لأنها تعني مكان حضور للبركة. ويلاحظ في هذه الآية أن ساليم ذُكرت قبل صهيون فهي أكثر قيمة وقدماً.

أما رواية ظهور هذا الملك الكاهن الفريد، فقد حصرها التاريخ والوحي في ومضة ظهوره وحسب التي لم تكشف عمّا قبلها ولا عمّا بعدها، فقد عنى الوحي أن يُلقي بها في مجاهل الوعي والتاريخ، فلم يَبْقَ منها دروس يُستفاد منها سوى لحظة التسليم والتسلّم المهيبة، حيث يستهل التاريخ الجديد الذي ابتدأ بإبراهيم بعملية نقل البركة إلى يد الإنسان لحقبة كل ما بعد إبراهيم. وفي ومضة باهرة، مَلَكيّة العظمة كهنوتية الجلال، ظهر ذلك القديم المجيد ثم اختفى تاركاً لنا أمجد مذخراته، أي «بركة الله» التي حلّت فوق هامة إبراهيم ليتوارثها النسل المبارك إلى أبد الدهر، ومن وراء القديم وأمام الجديد يظهر الله المحب للإنسان يوزّع بركاته لمستحقيها. فطالما وُجد الإنسان وأينما وُجد، فالبركة تتبعه ليبقى الإنسان شاهداً أبداً لبرّ الله.

أما سفر العبرانيين الذي نحن بصدده فلم يشفِ غليلنا بأي محاولة للكشف عن ماهية شخصية ملكي صادق وتاريخه، بل اكتفى فقط من كل رواية ملكي صادق، بما سجّله الوحي على فم داود، من جهة طقس كهنوته وحسب، في المزمور بقوله عن المسيّا الآتي: «أقْسَمَ الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز١١٠:٤). على أن هذا السفر المبارك قدّم لنا دراسة غاية في الروعة والعمق لا عن حياة ملكي صادق أو تاريخه، ولكن عن معنى طقسه الكهنوتي

2. Jerome, *Ad Evagrium*, Ep. 126.
3. Lünemann G., *Comment. on Epist. to the Hebr.*, p. 550.

والباقي إلى الأبد الذي أبرزه الوحي المقدَّس في مزمور داود، فكانت أثمن وديعة استلمها الإنسان من فم الوحي عن هذه الشخصية الفريدة لهذا الماضي الزاخر الفاخر ولأيامه المباركة.

أما خطورة هذا الإعلان الاستعلاني عن طقس كهنوت ملكي صادق أنه يبقى إلى الأبد كما نصَّ عليه الوحي في المزمور، فكانت اقتحاماً مقصوداً ومباشراً للكهنوت اللاوي لكي يلقي عليه نوعاً من الظل بإلقاء نور الوحي الاستعلاني على كهنوت أقدم منه وأبقى وأجلّ وأرقى، توّجَهُ الوحي في المزمور بقَسَم من الله، شيء يغيب تماماً عن كهنوت لاوي الذي كان يحجزه الموت عن البقاء.

ولقد التقط سفر العبرانيين هذه اللمحة الفريدة من الوحي بمقتضى المزمور، وظلَّ يغنّي لها ويتغنّى. فأخذ بجرأة مستمدة من الوحي في المزمور يفرّق ويُمايز بين هذا الكهنوت الملوكي والإلهي معاً و بين الكهنوت اللاوي الذي يستمد أهليَّته من ذبائح يستتر بدمها، ليكون له حق الدخول إلى قدس أقداس الأرضيات. كما استخلص سفر العبرانيين من سكوت الوحي في رواية ملكي صادق عن ذكر أبويه ونسبه ومبتدأ وجوده ونهاية حياته الكهنوتية، صورة سرِّية يلفُّها اللغز عن شخصية تعالت على الزمن وتآخت مع اللانهائية، جاءت شديدة التطبيق على ابن الله، دون أن يُخرجها عن واقعها الإنساني.

وهكذا يضعنا سفر العبرانيين في مواجهة صورة جديدة لعصر الآباء الأُول، لا يبتدىء من إبراهيم بل من ملكي صادق، في الواقع وعين الأمر، الذي يظهر كوسيط فائق القدر، أُعطي أن يتقبَّل العشور — عن شخص الله — ويوزِّع البركات.

على أنه يجب على القارىء أن يدرك تماماً أن بولس الرسول في إعطائه ملكي صادق كمثل واقعي عن كهنوت المسيح اللانهائي والأبدي، لم ينزل قط في تصويره لملكي صادق إلى مستوى الرمز. فملكي صادق، عند سفر العبرانيين، شخصية تاريخية حيَّة وواقعية دخلت التاريخ المقدَّس لترفع التاريخ المدني إلى مستوى ما لله، لتعطي من الواقع الحي للإنسان مثالاً شديد الصدق لما يمكن أن يبلغه الإنسان فوق مستوى الزمان، حينما يصير الإنسان في شركة حيَّة وصادقة مع الله. فكَوْن ملكي صادق «كاهناً لله العلي»، يعني أنه كان في شركة السر الكهنوتي يخدم الله ويتراءى أمامه ويكمِّل أعماله. وقصة ملكي صادق وظهوره على مسرح التاريخ المقدَّس في ومضة سريعة، اختفى بعدها، هي إحدى الوقفات القليلة العميقة والغنية بالمعاني في حياة الإنسان التي تجمع بين الواقع الإنساني والمطلق الإلهي ببساطة لا تقبل الشرح أو التشريح.

لذلك، وعن قصد وعن وعي يقول سفر العبرانيين إنه كان في حياته مشبَّهاً بابن الله. وما عاد

يفرِّق بين ملكي صادق والمسيح في ذلك إلاَّ النسب والقياسات، التي بقدر ما تهبط عند ملكي صادق لتُناسب المخلوق حينما يتمجّد ويتكمّل من قِبَل الله ليؤدي رسالة خُلق لها، بقدر ما تعلو حتى أعلى السموات عند ابن الله لتُناسب الخالق حينما يُخلي ذاته ويتضع بحسب الله ليؤدي رسالة تنازل حتى مستوى المخلوق ليكمِّلها. ولكن يظل تعانُق اللامحدود بالمحدود عند ملكي صادق يُشكِّل أعظم صورة سجَّلها التاريخ المقدَّس تصلح لتكون توطئة لمجيء ابن الإنسان.

وليس ذلك فقط، بل نحن نجد في شخصية ملكي صادق التي تحقَّق فيها عنصر الملوكية مع عنصر الكهنوت — وكلاهما ينتميان إلى الله وليس من صنع بشر أو تقليد إنسان — نوعاً من الرؤية النبوية فيما سيؤول إليه حال الإنسان حينما تتكامل فيه بركة الله التي عرَّفها بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية أنها «برُّ الله»، والتي أفصح عنها سفر الرؤيا بقوله إنه — أي المسيح — جعلنا «لإلهنا ملوكاً وكهنة» (رؤ٥ : ١٠). هذه هي صورة ملكي صادق بعينها وقد حققها لنا المسيح، وكأنما صار ملكي صادق شخصاً نبوياً ليس فقط يشير إلى المسيح، بل ويتنبأ أيضاً بما سيؤول إليه حال الإنسان حينما يبلغ غاية القصد في المسيح يسوع. وكان القَسَم الذي أقسمه الله وأبرزه الوحي في المزمور وإن كان ينصبُّ في جوهره على المسيح، فهو يتسحَّب علينا، إذ صرنا ومن خلال هذا القَسَم ملوكاً نملك مع المسيح وكهنة نتراءى أمام وجه الله بدم المسيح الذي نضح علينا من صليبه وشربناه في سر جسده والكأس.

ولكن الأمر الملفت للنظر جداً وخاصة لدى المعنيين بدقائق شرح الإنجيل، هو سكوت سفر العبرانيين عن أي ذكر للخبز والخمر اللذين عضَّد بهما ملكي صادق إبراهيم وهو راجع من حربه وكسره لكَدَرْلَعَوْمَر (تك١٤ : ١٨). ولكن يبدو أن بولس الرسول لم يتعرَّض في رسالته هذه لمفهوم الذبيحة التي تشير إليها تقدمة الخبز والخمر بالنسبة لمفهوم كهنوت ملكي صادق، ولكنه عني «بالبركة» التي ينتهي عندها مفهوم كلٍّ من الذبيحة والكهنوت. لذلك اكتفى بذكر البركة في وظيفة كهنوت ملكي صادق دون الخبز والخمر.

أما نظرة الآباء منذ أيام العلاَّمة كليمندس الإسكندري والقديس كبريانوس ومن جاء بعدهم، فقد رأوا أن الخبز والخمر اللذين قدَّمهما ملكي صادق لإبراهيم كانا مواد الذبيحة التي رفعها ملكي صادق. ويأتي جيروم(٤) فيقرِّر بوضوح أنها قُدِّمت من أجل إبراهيم. وعلى ضوء هذا الشرح الجريء وخاصة للقديس جيروم، نرى أن سكوت القديس بولس عن ذكر الخبز والخمر لم يكن إغفالاً لهما، بل إمعاناً في إثبات أن البركة التي بارك بها إبراهيم هي بعينها بركة هذه الذبيحة

4. Jerome, *Ad Matt.*, xxii,41f.

بخبزها وخمرها، وإن كان قد صَمَت عن ذلك.

ومعلوم أن الذي يبارك إنما يبارك عن علاقة شركة مع الله، وإن تكلّم فهو يتكلّم كمن يمثّل الله. وهذا ما عني القديس بولس في هذا الموضع أن يضعه أمام هؤلاء العبرانيين وأمام أعيننا، لكي نرى في ملكي صادق أصدق مَنْ يعطي نموذجاً لصفات المسيح وعمله!!

أما عن شخصية ملكي صادق فقد ذهب الآباء في ذلك كل مذهب، فَمَنْ قال أنه يمثّل الروح القدس، ويرد على هذا الرأي القديس جيروم(٥). ومنْ قائل أنه كان ملاكاً، مثل أوريجانس وديديموس. وأما القديسون هيبوليتس وإيريناوس، والمؤرخ يوسابيوس القيصري ويوسابيوس من إمسا وأبوليناريوس فقد اعتبروه أميراً من أمراء كنعان، والبعض قال إنه سام ابن نوح. وينسب القديس إبيفانيوس(٦) هذا الرأي الأخير إلى السامريين. وقد انتحى بعض الآباء القديسين ناحية فكرة أنه حالة من حالات ظهورات المسيح قبل التجسُّد، والبعض منهم قال بل هو تجسُّد فعلاً فيما قبل التجسُّد، وقال غيرهم إن الروح القدس ظهر في هيئة ملكي صادق، وقد نسب البعض هذا الرأي الأخير للقديس أغسطينوس نفسه(٧)، ولكن يبدو أن ذلك عن كتابات منسوبة له وغير أصيلة. ولكن في رأينا أن هذا كله تخريج يعوزه الأصالة الإنجيلية والإلهام. بل والأدهى من ذلك، أن البعض اتخذوه شفيعاً وقالوا بأنه أعلى رتبة من المسيح، فهو وسيط أعلى في كهنوته من المسيح كون المسيح جاء على رتبته. وهكذا يصبح التأويل في الشرح باباً للهرطقة إذا لم يتمسَّك الشارح بالنص.

فإذا التزمنا النص نقول، إن ملكي صادق الذي يصفه الكتاب بكاهن الله العلي هو شخصية حقيقية ومقدَّسة، وقد نال هذه الرتبة من الله كهرون أيضاً، حتى تصير ملوكيته من تحت تدبير نعمة الله لشعب مجهول لدينا أو قبيلة أحبَّها الرب وأحبَّته وعَبَدَتْه، فباركها؛ وقد قام كهنوته على أساس تقديس الخبز والخمر لا باعتباره ذبيحة بل باعتباره خبز الحياة وخمرها، على قياس ما قاله المسيح عن نفسه أنه هو الخبز النازل من السماء. فإن كان المسيح قد قدَّم نفسه ذبيحة من أجل حياة العالم، فهو في الحقيقة قدَّم الخبز النازل من السماء، أي نفسه، ذبيحة، فهذا خبز نازل من السماء، أي ذاته، وهذا خبز مذبوح صاعد إلى السماء أي ذاته أيضاً. الأول كان مادة للذبيحة؛ والثاني صار هو بذاته الذبيحة. أما ملكي صادق فقد عضَّد إبراهيم بخبز وخمر كانا يصلحان لذبيحة ولكن لم

5. Jerome, Ep. 73, *Ad Evag.*, 1.
6. Epiph., *Haer.*, LV, 6, p. 471.
7. Aug. iii. App. § CIX; Migne P.L. 35, 2329.

يكونوا ذبيحة، لأن ملكي صادق كان إنساناً باركه الله وحسب، ولكن لم يكن خبزاً نازلاً من السماء، فكهنوته قام على البركة التي يوصّلها من الله للناس، ولكن لم يكن هو بذاته صالحاً أن يكون ذبيحة يَصِلُ الناس بالله.

وكل ما نستطيع أن نقوله إن شخصية ملكي صادق اجتمع فيها الكهنوت والملوكية وبركة الله، وهذا يُحسب في تدرُّج علاقات الإنسان بالله أنه القمّة في الحُظْوَة لدى الله. أما في تكامل الشخصية بالنسبة للإنسان، فهذا يُحسب غاية التكامل. فالذي يملك على الناس من قِبَلِ الله، يكون هو الأقدر والأجدر، والذي يَكْهَن لهم لدى الله فهو الأقرب والأقدس. أما الذي أُعطي من الله أن يبارك على الناس، فهو المؤتمن على مواهب الله ويتحتم أن يكون قد نالها بالكيل المهزوز قبل أن يكيلها للناس بالقياس. ولكن يظل ملكي صادق في عُرْفنا إنساناً مختاراً فحسب. أما من جهة مولده وزمانه وحياته ومماته وأحسابه وأنسابه، فقد أُخفيت عمداً من قِبَل الوحي، ليكون الأقرب في التشبيه بابن الله. وهيهات أن يكون المشبَّه أو الشبيه معادلاً ولا مطابقاً للذي هو الأصل، فالفرق بينهما يظل هو الفرق بين الخالق والمخلوق والمطلق والمحدود.

فإن كان ملكي صادق قد استؤمن على بركة الله ليعطيها لمن أعطاه الله، فالمسيح ابن الله جاء ليبرِّر الفاجر ويرفع الخطاة إلى مستوى أولاد الله، كلّ مَنْ به آمن و به اعتمد واتحد. فإن كان ملكي صادق يُحسب خادم البركة، فالمسيح هو رب المجد. وإن كان ملكي صادق عضَّد إبراهيم بخبز وخمر ليَقْوى من ضعف وتدوم فيه عطية الحياة التي نالها من الله لأجل نسل، فالمسيح وهبنا في الخبز والخمر سر جسده ودمه، سر ذاته، لنحيا من بعد موت ونرث معه ميراث الخلود والمجد. فخبز ملكي صادق وخمره ينحصران في بركات الأرض والزمان؛ أما خبز المسيح وخمره فهما بعينهما الحياة الأبدية لمجد ما بعد الزمان والمكان، فهما ترياق عدم الموت وأكسير الحياة والخلود.

وإن كان قد قيل في ملكي صادق إنه يبقى إلى الأبد: «هو مشبَّه بابن الله هذا **يبقى كاهناً إلى الأبد**» (عب٧:٣)، فهذا من جهة كهنوته، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة (رو١١: ٢٩)، ولا يرجع فيهما ولا يلغيهما. فكهنوت ملكي صادق قَبِلَه من يد الله رأساً، وليس كهارون الذي قَبِلَه من يد موسى، وما يقبله الإنسان من يد الإنسان تنتزعه يد الموت من الإنسان، وأما الذي بيد الله فيبقى في يد الله إلى الأبد لا يقوى عليه الموت ولا يلاحقه الزمان. فكهنوت ملكي صادق أُعطي له ليكون نموذجاً لعطايا الله التي لا تُغيَّر ما على الأرض ولا تتغيَّر. وها نحن نقرأ عن الأربعة والعشرين قسيساً الجالسين على كراسيهم يباركون الحي إلى أبد الآبدين. ولكن إن بقي ملكي صادق كاهناً إلى الأبد، فليس كبقاء المسيح وكهنوته. فالأربعة والعشرون قسيساً —

ولعل ملكي صادق واحد منهم — ما فتئوا يخلعون تيجانهم من على رؤوسهم ويطرحونها أمام العرش والمسيح عليه جالسٌ، يسجدون له ويسبِّحون ويمجِّدون. فكهنوت ملكي صادق وإن بقي إلى الأبد فهو بقي لكي يخدم كهنوت المسيح إلى الأبد. فإن قيل في المزمور بالنبوة عن المسيح أن كهنوته على طقس ملكي صادق، فالمعنى كل المعنى ينصبُّ على أنه أعلى من كهنوت هارون وأبقى. والقصد الخفي من الوحي هو إلقاء كهنوت لاوي في الظل ليحل محله كاهن النور والحق والحياة الأبدية الذي لا يمنعه الموت عن البقاء. فإن كان كهنوت المسيح هو على طقس كهنوت ملكي صادق، بحسب النبوَّة، **قبل** أن يظهر المسيح ويمسحه الله بدهن الروح القدس ويتقلَّد الخدمة يوم تلطَّخ جسده بدم كهنوته، فهو حينما بدأ بدأ من السماء ككاهن من فوق عرش، حين استُعلِن كهنوته أنه ينطوي تحته كل تاج وتسجد له كل ركبة مما في السماء وما على الأرض، ويهتف كل فم أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب، وكاهنُ الخليقة التي تسبِّح بحمده.

بقية الآية الأولى من الأصحاح السابع:

١:٧ «لأن ملكي صادقَ هذا ملكَ ساليمَ كاهنَ اللهِ العليِّ الذي استقبلَ إبراهيمَ راجعاً من كَسْرَةِ الملوكِ وباركَهُ».

«ملك ساليم»:

لم يعتنِ ق. بولس بذكر موضع ساليم بقدر ما استخرج منها صفة لملكي صادق أنه ملك السلام، وإن كان القديس جيروم يؤكد، عن رؤية، أن ساليم كانت مدينة بالقرب من سكيثوبوليس حيث كان يوجد بقايا قصر منيف يُعرف بقصر ملكي صادق. ولكن لا يهمنا من هذه الرواية الفرعية لجيروم سوى خروجنا بانطباع واضح أنه كان بالفعل ملكاً وكان بالتالي إنساناً يحيا ويُرْزق.

«كاهن الله العلي»: ἱερεὺς τοῦ θεοῦ τοῦ ὑψίστου

المقصود هنا تحديد هوية الله، لئلا يُظن أنه كاهنٌ وثنيٌّ لإله وثنيٍّ. فالله بوصفه «العلي» يكون هو يهوه. وصفة «العَليّ» ὑψίστου وهي بالعبرية عليون elyon وتترجم بالإنجليزية «Most high» تفيد الأعلى فوق كل عالٍ. ونسمعها دائماً من أفواه الشياطين حينما تنطق في الأشخاص الذين يعملون لحسابها:

+ «جارية بها روح عرافة ... صرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيد الله **العلي** الذين ينادون لكم بطريق الخلاص.» (أع١٦: ١٦و١٧)

+ كذلك: «... إنسان به روح نجس ... فلما رأى يسوع ... صرخ بصوت عظيم وقال ما لي ولكَ يا يسوع ابن الله **العليّ**.» (مره: ٢و٦و٧)

وكانت هذه الصفة أي **«العَليّ»** معظّمة جداً في أفواه الملائكة:

+ «هذا يكون عظيماً (الملاك للعذراء بخصوص ميلاد المسيح) وابن **العليّ** يُدعى.» (لو١: ٣٢)

+ «فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة **العليّ** تظللك ...» (لو١: ٣٥)

وقد نطقها الشهيد إستفانوس بروح النعمة في عظة استشهاده:

+ «لكن **العليّ** لا يسكن في هياكل ...» (أع٧: ٤٨).

أما إبراهيم فقد أقسم بها قَسَماً لينهي به مسألة أخْذِه شيئاً من الأسلاب التي استلبها بذراعه:

+ «رفعتُ يدي إلى الرب الإله **العليّ** مالك السماء والأرض.» (تك١٤: ٢٢)

وواضح أن هذا القَسَم كان مفهوماً عند ملك عمورة وبقية الحاضرين، لأن شخص الله العليّ كان معروفاً ومهاباً لدى الكنعانيين والفينيقيين والأموريين، وحتى عبادة التوحيد كانت لله العليّ وكانت تتداخل كثيراً مع عبادة البَعْل في الدول المحيطة بفلسطين.

«كَسْرَة الملوك»:

وقد جاءت في أصل الرواية في (تك١٤) أنه «كَدَرْلَعَوْمر»، وهو ملك العيلاميين. وكان قد تعاهد على هذه الغزوة مع ثلاثة حكام آخرين كلهم من منطقة بين النهرين (العراق حالياً) وحاربوا خمسة ملوك من مناطق عبر الأردن ومنطقة النقب أي كل دائرة الأردن الخصيبة، وقد تحقَّق العلماء الأثريون من زمن هذه الغزوة أنها كانت في منتصف العصر البرونزي(٨).

«وباركه»: καὶ εὐλογήσας

بهذه الكلمة الواحدة رُفِع الستار عن علو شأن ملكي صادق عن إبراهيم. فالأصغر يُبارَكُ من الأكبر بلا نزاع. وهكذا كان ردُّ الفعل في وعي إبراهيم ومشاعره الاحترامية لملكي صادق باعتباره وهو يمد يده ويبارك على رأسه أنه يمثِّل الله في هذا الموقف الخطير من حياته، أن أعطاه عُشراً من كل شيء من الأسلاب التي سَلَب، الأمر الذي لا يقدَّم إلاَّ لله. ليس تكريماً فقط لملكي صادق الذي باركه، بل واعترافاً بفضل الله الذي نصره على الأعداء المعتدين.

8. Bruce, *op. cit.*, p. 134.

وقفة قصيرة
البركة في العهد القديم

البركة في مفهومها الروحي البسيط هي التأثير الروحي للإنسان على الإنسان، وتحمل ضمناً ارتفاع المستوى الروحي لبعض الأشخاص فوق مستوى الآخرين.

ولكن في المفهوم العام للكتاب المقدس، توضِّح البركة العلاقة الخفية بين الله وبعض الأشخاص والتي بها ينالون قوة روحية لتسليمها للآخرين برضا الله. أما أصل الكلمة في اللغة العبرية التي كُتبت بها الأسفار المقدسة الأولى فهي تحتمل شقين:

الأول هو «بارك» وفي اليونانية εὐλογεῖν وفي العربية «يبارك» أو «بارك»، وواضح أنها في كلتا اللغتين العبرية والعربية تقوم على مفهوم الخضوع أو الإنحناء أمام الذي يبارك بمعنى يَبْرُك بركبتيه على الأرض ـ أي يسجد ـ (ومنها كلمة "يَبْرُك" الجمل). وهذا للتوقير الشديد للوضع الروحي الذي تسري فيه البركة من الله عَبْر الشخص الذي يبارك.

أما الشق الثاني فهو واضح من الكلمة اليونانية التي تعني «يقول قولاً حسناً» وهي من مقطعين: -εὐ = حسن، λόγος = قول أو كلمة. وبذلك يكون أصل الكلمة «يبارك» يحمل معنى الخضوع في حضرة الله لنوال إرادة حسنة من الله من نحو الإنسان المنحني إلى الأرض، وهي تكشف ضمناً عن مستقبل الإنسان، وهذا يتضح من بركة نوح لأولاده. والبركة يقابلها اللعنة على المستوى والمعنى العكسي تماماً للبركة.

وفي مضمون بركة نوح لسام ابنه، يظهر بوضوح أن سام ستكون بركته في تمجيد الرب: «مُبارَكٌ الرب إله سام» (تك٩: ٢٦). كذلك ففي نُطق بركة الله على الشخص، يكون موقف الذي يُبارِك وكأنه يستعلن إرادة الله من نحو الذي يباركُهُ، حيث تظهر حقيقة وصدق هذا العمل الروحي السِّرّي في مستقبل الأيام بصورة قوية ودقيقة للغاية تشهد لصدق البركة وقائلها وأمانة الله في تنفيذ مشيئته.

وفي بركة الله لإبراهيم وإسحق ويعقوب ما يؤكد قوة نفاذ الكلمة الإلهية المنطوقة بحيث لا تحتاج من الإنسان إلى أي إثبات. فالبركة تُثْبت نفسها كلما امتدت الأيام، بل وقد تأتي بركة الله بعكس إرادة الإنسان. وإذا حاول الإنسان تعديلها، استحال عليه ذلك، واضطر اضطراراً للخضوع

لإرادة الله، كما حدث في إسحق حينما بارك يعقوب بالرغم من أنه أراد ونطق بالبركة لعيسو الأمر الذي لمَّا انتبه إليه وأدركه لم يملك إلاَّ أن يؤكِّده (تك٢٧: ٣٣).

والعجيب في شأن هذا الوضع أن يعقوب نفسه مارسه بإرادته في وَلَدَيْ يوسف، أفرام ومَنَسَّى، وأسقط كرامة البكورية خضوعاً لإرادة الله التي أدركها مُسْبَقاً ونفَّذها (تك٤٨: ١٤).

وتمتد إرادة الله في توجيه البركة وتحديدها حتى وإن لم يَعِها الإنسان الذي يبارِك، كما حدث في بركة يعقوب للأسباط الاثني عشر التي تخللها الوعد بالنعمة جنباً إلى جنب مع الوعد بالبركة (تك٤٩: ٢٨)، كل ذلك ويعقوب لا يدري ما يقوله. وهكذا دخلت البركة في صميم استعلان مشيئة الله في مستقبل الأيام والسنين. وبذلك تدخل البركة في صميم تدبير الخليقة التي يدبِّرها القدير حسب مسرَّة مشيئته مهما حاول الإنسان إمساك زمام المقادير بيديه أو إثبات وجوده، فالكلمة العليا والنهائية هي لمشيئة الله الذي يبارك والذي يحجز البركة. الأمر الذي يخلق حقيقة طاغية وهي ضرورة وحتمية الخضوع لمشيئة الله والإيمان بحكمته في تدبير حياة الإنسان ومستقبله. وأعظم دليل على ذلك هو محاولة أعداء شعب إسرائيل وبينما هو مرتحل، أن يلعنوه، فاستأجروا نبياً له قدرة الرؤيا وقدرة استثنائية للتحكُّم في الأمور الزمنية لكي يلعن شعب إسرائيل، فما كان إلاَّ أنه خضع التزاماً لتوجيه الله مع وعيد وتحذير إن هو خالف ما ينطقه الله في فمه، فما كان منه إلاَّ أن بارك إسرائيل مرَّة تلو مرَّة رغماً عن إرادة الأعداء (عد٢٢: ٣٨، ٢٣: ٢٦، ٢٤: ١٣).

دخول البركة في الطقس الليتورجي أي الخدمة العبادية لله:

كانت البركة الموهوبة للآباء والأنبياء القديسين استثناءً لم يَدُمْ كثيراً. ولكن استعلان بركة الله من نحو الإنسان كان لابد أن يستمر ويدوم بطول الزمان حسب مسرَّة مشيئة الله. لذلك فقد دخل، في الترتيبات المخصَّصة للعبادة سواء اليومية أو الموسمية، صوت الله المنادي بالبركة لشعبه وأتقيائه، بفم خُدَّامه أو رؤسائه أو ملوكه الذين تعيَّنوا من الله لكي يقودوا أو يرشدوا شعبه، الأمر الذي نجده واضحاً في هذه المواضع: (٢صم٦: ١٨، ١مل٨: ٥٥، ١أي١٦: ٢، ١صم٢: ٢٠، ٢أي٣٠: ٢٧).

وهكذا دخلت البركات في طقس العبادة، لتكون هي أهم مقاطع الخدمة العامة والخاصة للشعب والمحتاجين. ونجد الروح ينطق بالبركة حالما يحل على هؤلاء الكهنة كما كان في أمر هارون. فحالما تقبَّل هارون الكهنوت، نال قدرة النطق بالبركة: «ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم» (لا٩: ٢٢)، فلما شاركه موسى نفسه في هذا الموقف من نحو مباركة الشعب.

استجاب الله في الحال، فحلَّ مجد الرب واستُعلِن لكل الشعب (لا٩: ٢٣).

أما أهمية طقس البركة في العبادة الأولى لليهود فنجدها واضحة في «المِشْناه»، حيث تبتدىء بذكر وشرح البراخوت Berachoth، وحيث تظهر الثماني عشرة بركة المسمَّاة بـ «الثماني عشرة» لتأخذ أولويتها على ما عداها من الصلوات في الخدمة اليومية.

ولكن تُعتبَر البركة التي ينطقها خاصة هارون الكاهن، وبنوه من بعده، أهم وأوضح صورة للبركة. وهي كالآتي:

«يباركك الرب ويحرسك،

يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك،

يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً.» (عد٦: ٢٤ــ٢٦ وانظر مز٤: ٦، ٦٧: ١)

ثم يُضاف إليها: «فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم.» (عد٦: ٢٧)

لذلك تُعتبَر هذه البركة هي شركة حقيقية للشعب مع الله باعتباره أنه قد جعل نفسه معروفاً لهم. لذلك فكل بركة تكون في حقيقتها **«في اسم الرب»**، كما جاءت في (١أي١٦: ٢، ٢٣: ١٣)، وفي (مز١٢٩: ٨، ابن سيراخ ٤٥: ١٥).

هكذا نتحقَّق أن البركة الحقيقية إنما تقع في دائرة إرادة الله وعلى مرأى من حضرته.

والمُباركة محيطها يتسع ليبارك الإنسانُ اللهَ ويبارك اللهُ الإنسانَ، ولكن هذه غير تلك. كما يبارك الإنسانُ الإنسانَ، ويبارك اللهُ الأشياءَ كما أيضاً يباركها الإنسانُ.

+ فحينما يبارك الإنسانُ اللهَ، فهو يقدِّم بتوقير فائق تعبُّده لصفات الله أو مشيئته أو أفكاره أو أعماله التي يعتبرها أساس حياته ووجوده وعزائه وفرحه وعبادته. انظر (تث٨: ١٠، ١مل١٠: ٩، نح٩: ٥، مز٣٤: ١، ١٠٣: ١، ١٣٤: ١).

+ فإذا بارك اللهُ الإنسانَ، فهو إنما يعلن له عن مسرَّة مشيئته من نحوه لكي يَنْعَمَ في ظلها ويقتني هذه المشيئة، انظر تك١: ٢٨، ٩: ١، ١٢: ٢، ١٧: ١٦، ٢٥: ١١، عد٦: ٢٤).

+ فإذا بارك إنسان إنساناً، فهو إنما يتكلَّم بفم الله كممثِّل له، ومعلناً عن رسالة الله المقدسة من جهته على شكل صلاة تقوية، كما جاء في (تك٢٧: ٤، ٤٧: ٧، ٤٩: ٢٨، لا٩: ٢٣، عد٦: ٢٣، تث١٠: ٨).

+ وإذا بارك الله شيئاً ما من أمور الإنسان، فهو إنما يعلن بواسطته عمّا له، كما في (تك١: ٢٢، ٢: ٣، خر٢٣: ٢٥، مز٦٥: ١٠، ١٣٢: ١٥، أم٣: ٣٣).

+ وإذا بارك الإنسان شيئاً ما من أمور الإنسان، فهو إنما يعلن عن عمل الله وقدرته، مثل (١صم٩: ١٣)، وهو المثل الوحيد في العهد القديم. فالله هو الذي نباركه من أجل هذا الشيء فيتبارك الشيء.

فمعروف في تعليم الميشْناه أن الذي يبارك ثمار الأشجار يقول: [مباركٌ أنت أيها الرب إلهنا، الذي خلق أثمار الأشجار]. وعلى الخبز يقول: [مبارك أنت أيها الرب إلهنا الذي أخرج الخبز من الأرض].

وإذا دققنا في تسلسل نطق البركة ومقاصدها، نجدها عبرت على مدى السنين من صياغة العبادة المباشرة لله إلى نوع من التوسُّل ثم إلى الشكر. وهذه كلها تقع في محيط الإعلان عن طبيعة الله في معاملاته مع الإنسان. وقد تبلورت هذه المفهومات في الثماني عشرة بركة (البراخوت) التي توارثها السنهدريم اليهودي من الآباء الأُول بعباراتها التقوية العظيمة التعبير من نحو الله.

والبركات الثماني عشرة ولو أنها جازت مع الزمن نوعاً من التنقيح والزيادات الطفيفة، وبالفحص وُجدت البركات الموروثة لدى يهود الأسبان مختلفة قليلاً عن التي للألمان، ولكن منذ أيام الرسل تكاد تكون محافظة على شكلها وألفاظها العامة. ومعروف أن الثلاث البركات الأُولى والثلاث الأخيرة هي من قبل أيام المسيح، وقد دخلت في صميم استخدام المسيح والرسل.

ونحن نقدّم هنا عن العلاّمة وستكوت ترجمة حرفية للبركات الثماني عشرة حتى نرى مدى تأثُّر الكنيسة بها:

عن الطقس الأسباني = السِفارديم Sephardim

ـــ البركات الثماني عشرة في الخدمة اليهودية بالسنهدريم ـــ

البركة الأُولى:

مباركٌ أنت أيها الربُّ إلهنا وإله آبائنا: إله إبراهيم، إله إسحق، إله يعقوب (خر٣: ١٥)، الإله العظيم المقتدر والمخوف (تث١٠: ١٧)، الإله العلي (تك١٤: ١٨) المعطي خيرات نِعَمِهِ، المالك الكون، والحافظ للأعمال الصالحة التي للآباء، هو الذي يأتي بالفادي إلى

أولاد أولادهم من أجل اسمه في المحبة.

أيها الملك المعين، والمخلِّص، والدرع. مباركٌ أنت أيها الربُّ دِرْعُ إبراهيمَ.

البركة الثانية:

أنت القوي إلى الأبد، أيها الرب. المحيي الموتى والكثير الخلاص، الساند للأحياء بصلاحك، والمحيي الموتى في مراحمك الكثيرة، مُقيم الساقطين، وشافي المرضى، ومُحرِّر المأسورين، والمكمِّلُ حقَّه نحو الذين رقدوا تحت التراب.

مَنْ مثلك أيها الرب صاحب الأعمال المقتدرة؟ ومن نُشبِّهك أيها الملك الذي يُحدر إلى الموت، والمؤتي الحياة، والعامل لخلاص الجيل الآتي؟

نعم أمين أنت الذي تقيم الموتى إلى حياة.

مباركٌ أنت يا رب الذي تقيم الموتى إلى حياة.

البركة الثالثة:

قدوس أنت، واسمك قدوس، والقديسون يمدحونك كل يوم. سلاه!

مبارك أنت أيها الرب الإله القدوس.

البركة الرابعة:

أنت بنعمتك تعطي الإنسان معرفة، وتعلِّم الإنسان المنحدر إلى الموت علماً. فاعطنا بنعمتك معرفة وفهماً وحكمة.

مبارك أنت أيها الرب الذي بمقتضى نعمتك تعطي فهماً وعلماً.

البركة الخامسة:

رُدَّنا مرَّة أخرى يا أبانا إلى ناموسك، وقرِّبنا أيها الملك إلى خدمتك ورُدَّنا بتوبة كاملة إلى حضرتك.

مبارك أنت أيها الرب الذي مسرَّته في التوبة.

البركة السادسة:

اغفر لنا يا أبانا لأننا أخطأنا. اعفِ عنَّا يا ملكنا، لأننا تعدَّينا، لأنك أنت أيها الإله صالح ومستعد للمغفرة.

مبارك أنت أيها الرب العظيم في نعمتك حتى تغفر بسخاء (إش ٥٥: ٧).

البركة السابعة:

انظر إلينا في محنتنا، نتوسل إليك، واطّلع على قضيتنا وأسرع إلى فدائنا فدية كاملة من أجل اسمك لأنك أنت يا الله فادٍ قوي (إر٥٠:٣٤).
مباركٌ أنت أيها الرب فادي إسرائيل.

البركة الثامنة:

اشْفِنا يا رب فنُشفى، خلِّصنا يا رب فنخلُص (إر١٧:١٤)، لأنك أنت تسبحتنا. نعم اشفِ وعافِ كل أسقامنا وكل آلامنا وجراحنا، لأنك أنت يا الله شافٍ وعطوف وأمين.
مبارك أنت يا رب، الشافي أمراضَ شعبه إسرائيل.

البركة التاسعة:

أبونا أنت فبارِكْنا في كل أعمال أيدينا، وبارك السنة بندى نعمتك بركة ونجاحاً، ولتكن حتى نهايتها حياة وسلاماً عميماً مثل بركات السنين الصالحة، لأنك أنت صالح يا الله وتعمل الصالحات وتُبارك السنين.
مبارك أنت أيها الرب الذي تبارك السنين (صيغتان لهذه البركة واحدة للصيف وأخرى للشتاء).

البركة العاشرة:

بوِّقوا بالبوق الكبير لتحريرنا، وارفعوا علماً ليجتمع كل الأسرى، واجمعنا معاً سريعاً من أركان الأرض الأربعة نحو أرضنا (تث٣٠:٤، إش٢٧:١٣).
مبارك أنت يا رب الذي تجمع مطرودي شعبك إسرائيل.

البركة الحادية عشر:

يا قاضينا أعِدْنا كما في البداية، وارجع مُشيرينا كما في الأيام الأولى (إش١:٢٦)، وابعد عنا الحزن والتنهُّد، واملك علينا سريعاً أنت يا رب وحدك في الرحمة والبر والعدل.
مبارك أنت يا رب الملك الذي يحب البر والعدل (مز٣٣:٥).

البركة الثانية عشر:

أما الخونة (اليهود الذين تنصَّروا وصاروا مسيحيين) فبدِّد رجاءهم، أما الهراطقة والمتكبرون فأفْنِهِمْ في لحظة. وأما أعداؤك والذين يبغضونك فاقطعهم سريعاً. والأشرار فاقلعهم وحطمهم إرباً وادِنْهم. أحنِ ظهورهم سريعاً في أيامنا هذه.

مبارك أنت يا رب الذي يحطّم الأعداء تحطيماً، ويُحني المتكبّرين إلى الأرض.

البركة الثالثة عشر:

أما على الأبرار والأتقياء وعلى بقية شعبك بيت إسرائيل و بقية المتبقين من بيت الكتبة، وعلى الداخلين (من الأمم) من الأتقياء، وعلينا نحن، فلتكنْ رحمتك، نتوسَّل إليك أيها الرب إلهنا ابداً واعطِ جزاءً صالحاً لكل الذين يثقون في اسمك بالصدق، واجعل نصيبنا معهم. لا تُخزِنا إلى الأبد لأننا نثق فيك وعلى عظمة رحمتك نبقى وندوم في الحق.
مبارك أنت أيها الرب لأنك باقٍ وأمين للأبرار.

البركة الرابعة عشر:

أ ــ اسكُنْ وسط أورشليم مدينتك، كما قلت، وأقِمْ في وسطها عرش داود سريعاً، وابْنِها بناءً أبدياً سريعاً في أيامنا.
مبارك أنت أيها الرب الذي يبني أورشليم.

ب ــ اجعلْ غصن داود عبدك يخرج سريعاً، واجعل بيته يرتفع في خلاصك، لأننا ننتظر خلاصك كل يوم.
مبارك أنت أيها الرب الذي يُخرِج قرن خلاصه.

البركة الخامسة عشر:

اسمع صوتنا أيها الرب إلهنا أبونا الرحيم. اصنع رحمة وعطفاً لنا، واقبل صلواتنا في رحمتك وبنعمتك. لأنك أنت الله السامع الصلوات والتوسلات. ولا تصرفنا بعيداً فارغين من أمام حضرتك يا ملكنا. كن رحيماً علينا واستجب لنا واسمع صلواتنا لأنك سامع صلاة كل فم.
مبارك أنت أيها الرب السامع الصلاة.

البركة السادسة عشر:

اطّلع أيها الرب إلهنا على شعبك إسرائيل واصغ لصلاتهم، وأعِدْ خدمة «مقدسات» بيتك. ليتك تتقبّل سريعاً بنعمتك محرقات تقدمات إسرائيل وصلواتهم في المحبة. وليت خدمة إسرائيل تدخل إلى مسرَّتك على الدوام. وليتك في كثرة رحمتك تنظر برفق علينا وتكون رحيماً بنا. وليت عيوننا تنظر حينما تعود وترحم صهيون.
مبارك أنت أيها الرب الذي يُعيد مصباح الله (الشاكيناه = حضرة الله) إلى صهيون.

البركة السابعة عشر:

نحن نعترف أمامك أنك أنت هو الرب إلهنا وإله آبائنا إلى أبد الأبد. صخرتنا وصخرة حياتنا ودرع خلاصنا. أنت «هو». من جيل إلى جيل نشكرك ونعلن تسبيحك.
مبارك أنت أيها الرب، صالحٌ هو اسمُك، ولك ينبغي تقديم الشكر.

البركة الثامنة عشر:

امنحنا سلاماً وصلاحاً وبركة وحياة ونعمة ورحمة وبرًّا وتعطفاً، وعلى كل إسرائيل شعبك، وباركنا، أنت أبونا كلنا، معاً في نور وجهك (عد٦: ٢٥). لأنك في نور وجهك أعطيتنا أيها الرب إلهنا الناموس والحياة والمحبة والرحمة والبر والعطف والبركة والسلام.
مبارك أنت أيها الرب الذي يبارك شعبه بسلام.

وواضح من هذا السرد الدقيق لصلوات البركات في الخدمة اليومية لليهود التي يرقى كثيرٌ منها إلى ما قبل زمن المسيح بعدة مئات من السنين، أنها كلها تقوم على استعلان صفات الله واحدة تلو واحدة بشكل صلاة هي بحد ذاتها إعلان لصفة سبق أن استعلنها الله في نفسه.

ويضيق بنا المقام هنا ــ ونحن بصدد البركة في العهد القديم ــ أن ندخل في شرح البركة في العهد الجديد. ونحن نحيل القارىء إلى كتاب «الإفخارستيا والقداس»، فقد أعطينا فيه صورة لها ربما تفي بالغرض.

٧: ٢ **«الذي قَسَمَ له إبراهيمُ عُشْراً من كلّ شيء. المترجَمَ أولاً مَلِكَ البرِّ ثم أيضاً مَلِكَ ساليمَ أي مَلِكَ السَّلامِ».**

«الذي قَسَمَ له إبراهيم عُشراً من كل شيء»:

واضح من تقديم إبراهيم العشور ــ من غنائم كسرة العدو ــ لملكي صادق أنها إشارة شديدة إلى مركز ملكي صادق كممثِّل لله، لأن العشور هي نصيب الرب: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجرِّبوني، بهذا قال رب الجنود.» (مل٣: ١٠)

وهذا يكشف لنا أن كهنوت ملكي صادق الذي يقف في التوصيف وليس الجوهر على مستوى كهنوت المسيح هو مستمدٌ من الله وليس من إنسان، خاصة أنه لم يسبق ملكي صادق كاهن آخر استلم منه ولا ذُكر كاهن بعده سلَّمه، مما يوحي أنه كهنوت فريد فائق على مستوى الطقس البشري. وفي موضع تالٍ يشرح السفر مقدار علو كهنوت ملكي صادق فوق كهنوت هارون ولاوي

الذي تأسس أصلاً ليرفع إسرائيل إلى مستوى التخصُّص لله. فلاوي هو السبط الذي صار من نصيب الله يأخذ العشور لحساب الله وليس يتبع الشعب في ذلك، ليمثِّل الشعب لدى الله ويمثِّل الله لدى الشعب. هذا اللاوي وهو في أحشاء إبراهيم اشترك مع إبراهيم في تقديم العشور لملكي صادق. وهذا سنرجع إليه بالتفصيل في الآيات القادمة.

«المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام»:

هذا التخريج الذي توصَّل إليه بولس الرسول هنا من جهة الصفات الشخصية ثم التطبيقية لملكي صادق استخرجه من نفس الاسم **«ملكي صادق، ملك ساليم»**، **فأولاً** ملكي صادق تعني أو تترجم «ملك الصدق»، و«الصدق» في العبرانية هو «البر»، كما سبق وقلنا صفحة ٤٤١. لذلك فقد استخرج ق. بولس من الاسم أنه **«ملك البر»**. **وثانياً** العبارة التي جاءت في النص تحت كلمة **«أيضاً»**، فاستخرج من وظيفته «ملك ساليم» أنه ملك السلام. مع أن ساليم هي بحد ذاتها مدينة «أورشليم» أو «يوروساليم» أو «أورساليم» (أي مدينة السلام). لذلك جمع ق. بولس الاسم مع الوظيفة وقال إنه ملك البر وأيضاً ملك السلام. ولا يَخفَى على القارىء أن هاتين الصفتين هما بالدرجة الأُولى من صفات المسيح «ملك البر، وملك السلام». ويستحيل أن يشترك معه فيهما آخر، مما يجعل خلع هذه الصفات على شخص إنسان بشري محض هو ملكي صادق لا يمكن إلاَّ أن يكون مجرد تشبيه من على بُعْد، الأمر الذي استدركه ق. بولس بعد ذلك بقوله «مُشبَّه» بابن الله؛ مجرد تشبيه وليس نسبة جوهرية، وهذا يجعل انتخاب ملكي صادق من العهد القديم ليعطي صورة شديدة الشبه وصادقة في واقعها وليست رمزاً، أمراً إبداعياً من الدرجة الأُولى.

٣:٧ **«بلا أب بلا أُمٍّ بلا نَسَبٍ، لا بداءة أيامٍ له ولا نهايةَ حياةٍ بل هو مشبَّهٌ بابنِ الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد».**

أوصاف ملكي صادق التي التجأ إليها بولس الرسول واستخرج منها المقابل الجوهري والأبدي للمسيح، كان منها الإيجابي وهي ملك البر وملك السلام؛ وهنا في هذه الآية يأتي إلى الأوصاف السلبية أي التي لم يذكر عنها الوحي في العهد القديم شيئاً، إذ أمسك الوحي عن ذكر متى وأين وكيف كان مولده ومَنْ هي أمه ومن أي شعب أو قبيلة، كذلك من جهة أبيه، وبالتالي صمت الوحي عن نَسَبه. ويلاحظ أن النص اليوناني لا يقول «بلا نسب» كما جاءت في الترجمة العربية، بل «**بلا سجل أنساب**». فالكلمة الأصلية ليست ἀγένητος = بلا نسب، بل

ἀγενεαλόγητος وترجمتها بلا سجل أنساب[٩]، مما حدا بالقديس بولس أن يتخذ من هذا حجّةً أنه كان بلا أم وبلا أب وبلا نسب ἀπάτωρ, ἀμήτωρ, ἀγενεαλόγητος وباللاتيني sine patre, sine matre, sine genealogia = (Vulg.) الأمر الذي لم يكن له مثيلٌ في كل بني البشر إلاّ المسيح لو نُظِر إلى ناسوته نظرة لاهوتية (فحتى ناسوته هو بلا نهاية حياة). لذلك قال ق. بولس إنه بذلك كان مشبَّهاً «بابن الله»، ولم يقل بالمسيح يسوع حال تجسده بل «بابن الله» حسب طبيعته الإلهية الذي كان حقاً بلا بداية أيام ولا نهاية حياة، فهي بنوَّة فائقة على النسل والنَّسب والأب والأم.

كذلك أمسك الوحي عن ذِكْر متى ظهر ملكي صادق إلى الوجود والحياة؟ ولماذا؟ ولمن كان يكهن؟ ومتى انتهت حياته؟ وبذلك كمل التشبيه بابن الله ولو من على بُعْد من جهة أزليته وأبديته. وواضح أن بولس الرسول لم يقصد أن ملكي صادق كان بالفعل والواقع كذلك، ولكن رأى أن ما قدّمه الوحي عنه هو يشير بالفعل إلى ذلك لو أُخذ الأمر بحسب النص التاريخي حرفياً.

كذلك لأن الوحي لم يذكر كيف ومتى انتهى كهنوته ولا لمن سلَّمه فانقطع عنه، لم يؤخذ منه بموته ولا هو أعطاه لأحد في حياته فانتهى تاريخياً، لذلك أخذ ق. بولس هذا تُكَأة ليقول: «هذا يبقى كاهناً إلى الأبد». فهو يرى في وصف الوحي هكذا ما يطابق حال كهنوت المسيح الذي احتل كرسي العرش السماوي ليبقى إلى الأبد بعد أن دخل كرئيس كهنة بذبيحة كفّارته (التي كان لا يقدّمها إلاّ رئيس الكهنة في القديم) إلى قدس أقداس السموات ليتراءى أمام الله، ويبقى ودمه عليه يشفع في الخطاة إلى أبد الآبدين.

وليس عفوياً اتخذ القديس بولس هذا المعنى واستخرجه من سرد قصة ملكي صادق، بل هو بوعي لاهوتي نبوي رأى في كل ما قاله الوحي عن ملكي صادق إن كان إيجابياً من جهة كونه ملك البر والسلام أو سلبياً بصمته وسكوته عن مولده ومماته، رأى أن هذا قصده الوحي قصداً ليكون «نبوّة» عن الآتي، يفهمها كل مَنْ له وعي النبوّة وتفسيرها.

ولقد جاءت ترجمة هذه الآية بالسريانية في البشيتا Peshitta لتوضح هذه الحقيقة إذ تقول ما معناه: «الذي أبوه وأمه غير مكتوبين في الأنساب»، بمعنى أن هذا هو واقع الوحي. وليُستخرج ما يُستخرج.

---

9. Meyer's *Commentary on New Testament*, vol. 8, p. 559.

وقد يلذ للكاتب أن يقول: إن الذي عمل بوصية المسيح: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٧)، فالذي يصنع هذا يُقال عنه حقاً في المفهوم المسيحي العالي أنه أصبح بلا أب بلا أم وبلا نسب. ولكن يبقى أن يُقال إن إنساناً ما يكون بلا بداية أيام وبلا نهاية حياة وكهنوته يبقى إلى الأبد، حتى بمجرد القول، فهو يحتِّم المراجعة في أمر ملكي صادق فإن الغموض النبوي يحيط به إلى الدرجة التي تحيِّر العقول! أهو نبيٌّ من عالم المجهول؟ أو بشر احتفظ به الله فوق الزمان من وراء الزمان حتى لا يكون الله بلا شاهد، بار كهذا وقديس؟ ولقد تدخَّلت معجزات الله الفائقة حتماً لتحضره إلى بداية عصر إبراهيم عصر الوعود، بالموعود الآتي ليختم على زمان شقاء الإنسان؟ على كل حال وفي كل الأحوال فملكي صادق شبيه بابن الله!! وحسب!!

٢ ــ مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي
[٧ : ٤ ــ ١٠]

٧ : ٤ «ثم انظروا ما أعظمَ هذا الذي أعطاهُ إبراهيمُ رئيسُ الآباءِ عُشراً أيضاً من رأس الغنائم».

«ثم انظروا»: θεωρεῖτε δέ

وصحة ترجمتها تكون: «والآن انظروا». فالآية ليست مكمِّلة لما سبق حتى تستخدم «ثم» δέ بل هي تعقيب للَفْتِ نظر هام جداً. ذلك بعد أن سرد وصفاً لملكي صادق، جعله شبيهاً بابن الله، ويعود ويعقِّب قائلاً: «والآن انظروا» أي «والآتي هو أكثر وأخطر». وليلاحظ القارىء أن الفعل جاء بصيغة الأمر لأهميته ليعطي فرصة للسامع أن يتأمل ويدرس ويستخلص العِبَر.

«ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء»:

وهنا يريد أن يقدِّم شيئين عظيمين جداً، ولكن هناك شيئاً أعظم من شيء. فإبراهيم هو رئيس الآباء أي أعظم الآباء جميعاً لشعب إسرائيل، ولكن بالرغم من ذلك نجده يعمل عملاً يُظهر فيه ويُعلن به أنه يوجد شخص أعظم منه جداً!! فالعشور التي أعطاها إبراهيم ــ من الغنائم ــ لملكي صادق جعلت ملكي صادق أعظم من إبراهيم لأن الذي يعطي العشور هو أقل بما لا يقاس من الذي يتقبَّل العشور!! وهذا الموقف وثَّقه وأمَّنه ووافق عليه وشرحه كون ملكي صادق بدوره بارك إبراهيم!! في المقابل.

«عُشراً أيضاً من رأس الغنائم»:

هنا مجرَّد تقديم العشور هو بحد ذاته رد فعل انفعالي لإحساس إبراهيم بعظم شأن شخصية ملكي صادق، هذا من جهة أولى، ومن الجهة الثانية إعطاء العشور كان اقتناعاً من إبراهيم أن ملكي صادق جاء يطلب حق الله من الغنائم. فهنا إعطاء العشور لملكي صادق يحمل معنى تقديم عبادة لله على يد كاهن الله العلي. لذلك نجد بولس الرسول يفتتح الآية بقوله: «**ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم**»، فهو ليس مجرد عشور مادية بل عبادة روحية على مستوى توقير الله في صيغة عمل مادي هو تقديم العشور.

وكلمة «**الغنائم**» ἀκροθινίων جاءت ترجمتها في العربية «**رأس الغنائم**»، وجاءت في

السريانية «المشور والبكور»، وجاءت في اللاتينية القديمة de primitiuis، وجاء بدلاً منها في الآية الثانية (٧ : ٢) هكذا: «عُشراً من كل شيء». وقد اختارها إبراهيم، بحسب معنى الكلمة اليونانية ἀκροθινίων، من «أفضل غنائمه». كل هذا إمعاناً في إظهار مقدار توقير إبراهيم لشخصية ملكي صادق.

٧ : ٥ «وأما الذينَ هُم من بني لاوِي الذينَ يأخذونَ الكهنوتَ فلهم وصيَّةٌ أن يُعشِّروا الشَّعبَ ــ بمقتضى النّاموسِ ــ أي إخوتَهُم مع أنهم قد خرجوا من صُلْبِ إبراهيمَ».

القصد من هذه الآية هو رفع قيمة آخذ العشور. إذ يقول إنه بالرغم من أن بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت بوضع اليد من كهنة سابقين، قد نص الناموس أن يأخذوا العشور من الشعب مع أنهم والشعب الذين يأخذون منه العشور هم جميعاً أولاد إبراهيم، إلاّ أنه لكونهم قد تخصّصوا لخدمة المقدّسات باسم الله صار لهم هذا الامتياز على بقية الشعب أن يمثّلوا الله بأخذهم العشور على اسمه.

وبهذه الحقيقة عينها يتقدّم ق. بولس في الشرح ليثبت أن كهنة بني لاوي قدّموا العشور لملكي صادق إذ أنهم يُحسبون وكأنهم في صلب إبراهيم لمّا قدّم إبراهيم العشور لملكي صادق ليخرج من ذلك بأن ملكي صادق أرفع قدراً من كهنوت بني لاوي، لأنه كهنوت مأخوذ بيد الناس ويمنعه الموت من دوام البقاء.

٧ : ٦ «ولكن الذي ليس له نسبٌ منهم (ملكي صادق) قد عَشَّرَ إبراهيمَ وباركَ الذي له المواعيدُ».

هنا توضيح قوي أن كهنوت ملكي صادق ليس موروثاً من الناس، ولا علاقة له بالناموس، وله القدرة على أن يكون أعلى من المواعيد التي نالها إبراهيم من الله، لأن من هذا الكهنوت أخذ إبراهيم بركة مع أنه صاحب المواعيد. فهو كهنوت يأخذ صفاته من صفات حامله: كهنوت يتساوى في الكرامة والمجد والسلطان مع ملك البر وملك السلام والقدرة على البقاء إلى الأبد. في حين أن الكهنوت اللاوي يتساوى مع الناموس والناموس زمني، ويتساوى مع صفات حامليه وهم اللاويون بنو الموت الذين وقعوا مراراً تحت السخرة والأسر واللعنة من الله.

«قد عشَّر ... وبارك»: δεδεκάτωκεν — εὐλόγηκεν

يأتي هذان الفعلان في زمن المضارع التام في اللغة اليونانية الذي يفيد بقاء وديمومة الفعل بكل معناه في الحاضر(١٠). وواضح منهما أن ملكي صادق تقبَّل العشور وقدَّم بركة، وهذان الفعلان بحد ذاتهما يوضحان التفوُّق العالي من جهة مستوى الشخصية في علاقتها بالله، خاصة وأن ملكي صادق مارسهما مع إبراهيم الشخصية المحسوبة أنها أعلى رأس في كل تاريخ بني إسرائيل بل والمحسوب أنه أبو كل المؤمنين. فكل ما أُضيف لإبراهيم من صفات ترفعه فوق كل التاريخ القديم تصير هي بحد ذاتها سبباً لارتفاع شخصية ملكي صادق أكثر فأكثر.

٧:٧ **«وبدونِ كلِّ مشاجَرةٍ الأصغرُ يُبارَكُ من الأكبرِ».**

هنا يضع بولس الرسول منطق القياس بالنسبة للذي يبارِك والذي يُبارَكُ عليه ليضع تفوُّق ملكي صادق كحقيقة منطقية لا تحتاج إلى نقاش؛ معتبراً أن الذي يبارِك إنما يبارِك من فوق فهو بذلك الأعلى والأكثر اعتباراً. علماً بأننا سبق وأوضحنا أن البركة تحمل في صميم معناها أن الذي يتقبَّل عليه أن «يبرك» أمام معطيها، أي يسجد بانحناء.

٨:٧ **«وهنا أُناسٌ مائتونَ يأخذونَ عُشراً، وأما هناك فالمشهودُ له بأنه حيٌّ».**

ويعود بولس الرسول ويضيف شهادة الوحي أن ملكي صادق هذا يُعرف أنه «بلا بداية أيام ولا نهاية حياة» بمعنى أنه «حيٌّ»، كما استقرأها هنا في هذه الآية، والتي نفهم نحن منها أنه يريد أن يضع العكس لما قاله عن كهنة بني لاوي أنهم **مائتون!!** أي أن ملكي صادق يتخطَّى الموت بطريقة ما. فاللاويون يمنعهم الموت عن الدوام وهذا يبقى لأنه يحيا، هؤلاء يستلم الواحد منهم ما يتركه الآخر بموته وهذا واحد لا استلم ما له ولا سلَّمه لآخر.

«يأخذون عُشراً»: δεκάτας

الترجمة العربية هنا جانبت الدقة، فالكلمة اليونانية جاءت بالجمع δεκάτας ، وهذا إمعاناً في إظهار تكرار العشور، للتدليل على عدم بقاء معطيها ولا بقاء آخذيها. وذلك في مقابل **«العُشر الواحد»** الذي ذُكِرَ عن إبراهيم أنه أعطاه لملكي صادق في الآية (٢:٧ و ٤) = δεκάτην عُشراً واحداً. وهذا يعبِّر تعبيراً مُبدعاً عن تسامي العُشر في وضع ملكي صادق على الكثرة العددية للعشور،

10. Westcott, p. 177.

إذ يعبِّر عن فعل خضوع واحد يقابله فعل بركة واحد أيضاً، وكأن ملكي صادق لم يكن في حاجة إلى مادة العُشر التي أخذها من إبراهيم، لأن العُشر في مفهومه الروحي هو خضوع لله وتكريم، الأمر الذي قابله فعل البركة على المستوى الروحي الذي تجلَّى في مجيء المسيح من نسل إبراهيم.

كذلك فإن العشور في تعدُّدها وتكرارها وكثرتها عند كهنوت اللاويين منسوبة لعلَّة الموت الذي يمنع آخذيها عن البقاء والدوام. أما العُشر الواحد غير المتكرر في كهنوت ملكي صادق فهو منسوب لدوام الحياة وعدم تدخل الموت الذي يُحتِّم بالتكرار. وهنا واحدية العُشر مرتبطة بواحدية الحياة ودوامها عند ملكي صادق الذي يرفع معنى العُشر ومضمونه إلى مستوى الروح.

وهكذا نخرج بمبدأ هام وخطير في أمر الأعمال وعلاقتها بواقع الحال. فاللاويون يكرِّرون فعل أخذ العشور لعلَّة الموت الذي يمنعهم من دوام الحياة ودوام الفعل الواحد أو العمل الواحد، وهكذا التزموا بالتعدُّد والتكرار؛ بينما في ملكي صادق فالعمل لم يَعُد في حاجة إلى تكرار بل هو قائم دائم بسبب دوام فعل الحياة. ونستخلص من ذلك أن ما يعمله الإنسان ينبثق من واقعه ويطابقه، فالقابل للموت يعمل عملاً قابلاً للتوقُّف والحي الدائم يعمل عملاً غير قابل للتوقُّف. وهذا الأمر نجده واضحاً في حال الإنسان لـمَّا يتجدَّد بالإيمان والقيامة، فعمله الذي كان يعمله في موته بالذنوب والخطايا وكان يمنعه الموت عن البقاء يصبح مدعوماً بالحياة حياً لا يموت: «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح.» (يو٣: ٦)

٧: ٩و١٠ «حتى أقولُ كلمةً إن لاوي أيضاً الآخذَ الأعشارَ قد عُشِّرَ بإبراهيم، لأنه كان بَعْدُ في صُلْبِ أبيهِ حين استقبلَه ملكي صادقَ».

«حتى أقول كلمة»: καὶ ὡς ἔπος εἰπεῖν

وترجمتها بحسب الأدب اليوناني تفيد؛ «حتى أن الواحد يقول» أو «ونقولها باختصار في كلمة واحدة»(١١) أو «بمعنى». و بولس الرسول يقصد من هذا الاصطلاح أنه ولو أن المعنى غريب إلاَّ أنه يرى شخصياً، لا كأنه المعنى الحرفي، ولكن في مضمونه العام يعني كذا وكذا ... لأن لاوي لم يكن قد ظهر للوجود أثناء حياة إبراهيم، ولكن تجاوزاً نقول إنه كان في صُلب أبيه. وطبعاً ليس لاوي بحد ذاته، ولكن كممثِّل عن كهنوت كل شعب إسرائيل بحسب الناموس. وحتى إبراهيم كان في ذلك الوقت، حينما استقبله ملكي صادق، بدون نسل ولا حتى وُعد بنسل، ولكن كان يحمل في جسده بذرة النسل التي منها خرج كل شعب إسرائيل.

11. Meyer, *op. cit.*, p. 563.

٣ ــ عدم كمال الكهنوت اللاوي
[٧ : ١١ ــ ١٤]

٧ : ١١ «فلو كان بالكهنوت اللاويّ كمالٌ، إذ الشعبُ أخذَ الناموسَ عليه، ماذا كانت الحاجةُ بَعْدُ إلى أنْ يقومَ كاهنٌ آخرُ على رتبةِ ملكي صادقَ ولا يُقال على رتبة هارونَ؟».

بعد أن أوضح بولس الرسول علو شأن كهنوت ملكي صادق، باعتباره كهنوتاً مطلقاً من قيد الزمن، حرًّا من كل نسب يسبقه أو غاية ينتهي عندها، يعود الآن من الناحية الأخرى ليوضّح أن الكهنوت اللاوي (وصحتها خدمة الكهنوت اللاوي وليس مجرد الكهنوت كما جاء في الترجمة العربية) غير كفؤ أن يكمّل الغرض الذي من أجله يعبد المؤمن جاهداً الليل والنهار، وهو التقرُّب الحقيقي من الله و بلوغ الكمال من جهة الضمير والواقع العملي، وذلك في مقابل كهنوت المسيح، وبقوله خدمة الكهنوت فهو يشير إلى ممارسات الكهنوت اللاوي على الذبائح الحيوانية.

والقديس بولس هنا يركّز على الآتي:

(أ) لولا أن الكهنوت اللاوي هو وقتي وعتيد أن يتغيّر، ما كان الله قد وَعَدَ بكهنوت آخر جديد على طقس آخر غير طقس هارون.

(ب) والأمر الذي يلبلبل فكر علماء اليهود والربيِّين عامة هو أن ملكي صادق، وهو كاهن، لا يمتُّ إلى الناموس بشيء، ولا إلى كهنوت هارون بشيء، مما يُظهره الوحي أنه أعلى وأقدس من إبراهيم المحسوب أنه قمة الآباء والذي دُعي «خليل الله» والذي من نسله جاء لاوي الحامل لكهنوت شعب إسرائيل.

(ج) بل والأمر الذي أطاح بعقول كل مُفسّري اليهود للوحي القديم، هو أن ملكي صادق أعطى البركة لإبراهيم أولاً قبل أن يعطي البركة لله هكذا: «مبارك أبرآم ... ومبارك هو الله العلي ...» (تك١٤: ١٩)، مما يوحي بأن ملكي صادق يحمل كهنوتاً في تآخ مع الله، أي كهنوتاً إلهياً (كاهن الله العلي) وليس ككهنوت لاوي الذي يقع في موضع العبد.

(د) وإن كان مفسرو اليهود قد تحاشوا أن ينسبوا الآية التي جاءت في المزمور (١١٠: ٤) إلى شخص المسيّا ولكن واضح أنها مخاطبة مباشرة لمسيح داود، باعتباره القادر فعلاً في الوقت المعيَّن أن يؤسِّس بكهنوته الأبدي علاقة كاملة وأبدية مع الله.

(هـ) «كاهن آخر»: ἕτερον ἱερέα ([١٢])

الترجمة العربية هنا غير دقيقة وأضعفت المعنى جداً. فهو ليس «آخر» لأن «آخر» باليونانية هي ἄλλος ، بل تترجم **مختلف**. والفارق بين المعنيين شديد، لأن "كاهن «آخر»" يفيد أنه على نفس المستوى الذي لهارون، أما "كاهن مختلف" فهو يفيد المعنى الذي يقصده الوحي وهو كاهن آخر على طقس آخر مختلف تماماً. فهنا قول بولس الرسول أنه كاهن مختلف عن كهنوت لاوي يفيد التغيير الحتمي للناموس الذي عليه قام كهنوت لاوي وهذا هو النص المناسب لروح الآية.

(و) لم يخلُ العهد القديم من التلميح الصريح إلى قيام **كاهن جديد** لعصر جديد هو عصر «تكميل كل شيء» كما جاء في حزقيال (أصحاح ٤٠ إلى ٤٨)، موضحاً رداءة ما بلغه كهنوت لاوي الذي أفسد طريقه، حيث سيسود الكاهن الجديد على كل مُقدَّرات الشعب حتى الملك. وهو تصريح نبوي بأن القادم كاهنٌ وملِكٌ بالفعل.

(ز) واضح من كل هذا أن كهنوت لاوي الذي لم يكمِّل القصد الذي من أجله قام في ظل الناموس الذي أسَّسه، هو بالفعل دون كهنوت ملكي صادق الذي قام ليسود إلى الأبد في الوقت المعيَّن بقيام مَنْ يستطيع أن يكمّل شروطه، وأهمها أن يكمّل ويبقى إلى الأبد!!

والآن يلزم أن نزيد كلام بولس الرسول توضيحاً من جهة قوله: «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال»، حيث تجيء كلمة «الكمال» باليونانية τελείωσις والتي تعني بلوغ منتهى القصد، حيث يتكمَّل الإنسان في وضعه أمام الله. الأمر الذي يعني بمفهومنا المسيحي الآن نوال غفران الخطايا والحصول على عربون المجد الآتي، الذي هو في الحقيقة الأساس الذي وُضع من أجله الناموس نفسه بل وتأسَّس الكهنوت اللاوي عليه.

والواضح لدينا من التاريخ وواقع علاقة شعب إسرائيل بالله أن الناموس نفسه لم يكن قادراً بذبائح حيوانية أن يغفر خطايا الشعب أو يمنحهم بر الله، وبالرغم من ذلك وفوق ذلك أيضاً فإن الكهنة كانوا قد كسروا الناموس وتعدّوه، ونالتهم الملامة بكل المقاييس والمكاييل من فم الله بواسطة الأنبياء. والصلة بين الناموس والكهنوت صلة لازمة ومتلازمة إن سقط الواحد سقط الآخر، وإن تغيَّر الواحد لزم أن يتغيَّر الآخر. لذلك يتخذ ق. بولس من قول الوحي في المزمور مخاطباً المسيَّا

12. Bruce, *op. cit.*, p. 144 n. 45.

القادم: «أقسمَ الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤) برهاناً أكيداً على نيّة الله في إقامة كهنوت آخر قادر أن يخلّص إلى التمام ويبقى إلى الأبد، مما يدل على عدم نفع كهنوت لاوي أن يكمّل أو يبقى إلى الأبد، فهو إنما كان يمهّد للكمال وكان لزمن ينتهي حتماً بظهور الآخر الذي يكمّل.

ولأن الكهنوت كان هو المحور الأساسي الذي يدور حوله ناموس موسى بكل تشريعاته، لزم أن يتغيَّر هذا أيضاً. فلو كان كهنوت لاوي بحسب الناموس قادراً أن يبلغ بالإنسان إلى الكمال، فلماذا أقسم الله أن يأتي بكهنوت آخر مَنْ هو قادر أن يكمّل ويبقى إلى الأبد؟

والآن يبقى السؤال الذي يتبادر إلى ذهن اليهودي، إن كان الأمر كذلك فلماذا لا يأتي كهنوت أفضل على طقس هارون ويبقى الناموس كما هو؟

«ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر (مختلف) على رتبة ملكي صادق ولا يُقال على رتبة هارون»؟

هنا يركّز ق. بولس على أن قَسَم الله بقيام كاهن آخر على رتبة ملكي صادق يعني مباشرة تغيير الكهنوت وتغيير البِنْط بأجمعه، بسبب كونه أسقط سبط هارون أي لاوي جملةً وتفصيلاً.

١٢:٧—١٤ **«لأنه إن تغيَّر الكهنوت فبالضرورة يصير تَغَيُّر للناموس أيضاً.**
لأن الذي يُقال عنه هذا (المسيَّا الآتي، المسيح) كان شريكاً (الترجمة غير دقيقة وصحتها "قد اشترك") في سبطٍ آخر لم يلازم أحد منه المذبح (سبط يهوذا).
فإنه واضح أن ربَّنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلَّم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت».

١٢:٧ **«لأنه إن تغيَّرَ الكهنوتُ فبالضرورة يصير تَغَيُّر للناموس أيضاً».**

أولاً يبتدىء ق. بولس يهدم الفرض الذي يقول إنه يمكن أن يقوم كهنوت أفضل على نفس طقس هارون، فهذا مستحيل لأن أي كهنوت يقوم على نفس الناموس بتقديم ذبائح حيوانية كانت قد وُضعت أصلاً لطهارة الجسد فقط وظهر عجزها في غفران الخطايا الخاصة بالضمير والتعدّي الإرادي على نواميس الله وتشريعاته، فإن هذا الكهنوت سيفشل بكل تأكيد لأنه وُضع على أساس

جسدي فقط وليس على أساس روحي.

لذلك يتحتَّم أن يتغيَّر الناموس مع تغيير الكهنوت جنباً إلى جنب حتماً وبالضرورة، لكي يستطيع أن يطهِّر الضمير بغفران الخطايا ويكون له القوة على إعطاء حياة أبدية.

فإن كان كهنوت هارون القائم أصلاً بحسب الناموس على ذبائح حيوانية يستحيل عليه أن يبلغ بالإنسان إلى الكمال، والكمال هنا يُقصد به الحياة الروحية والضمير الطاهر بتقديس ليس فقط الجسد بل الروح أيضاً، تحتَّم أن يتغيَّر الناموس الذي يشرِّع له أي لزم أن يكون الناموس ناموساً لتقديس الروح قادراً أن يرفع الإنسان إلى حالة البر أمام الله لنوال الخلاص والحياة الأبدية، الأمر المعبَّر عنه هنا «بالكمال».

١٣:٧ «لأن الذي يُقالُ عنه هذا كان شريكاً في سبطٍ آخَر، لم يُلازِم أحدٌ منه المذبحَ».

يلزم هنا أن نشير إلى أن هذه الآية تجيء مرتبطة بالآية (٧:١١)، باعتبار أن الآية (٧:١٢) آية اعتراضية التزم ق. بولس فيها بشرح احتمال يفرضه الفكر على السامع اليهودي، فلمَّا انتهى منه استطرد ليكمِّل ما قاله في الآية (٧:١١) بخصوص الكاهن الذي قيل ــ عنه وله ــ القَسَم: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، وهو بالطبع المسيح ربنا له المجد.

«كان شريكاً في سبط آخر»: μετέσχηκεν

الترجمة العربية هنا غير دقيقة، فالمسيح لا يُقال عنه **كان** شريكاً في سبط آخر وكأنه في الماضي وانتهى، بل هو بالفعل **قد اشترك** في سبط آخر **has partaken**، وهذا يفيد ضمناً تدخُّل إرادة المسيح لنوع وشكل التجسُّد. فلا يُقال أبداً أنه كان قد وُلِد من سبط آخر، ولكنه أراد وصمَّم أن يولد من السبط الذي أعدَّه وأراده. وهو نفس الفعل والمعنى الذي جاء في الآية: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك μετέσχεν هو أيضاً كذلك فيهما ...» (عب٢:١٤)

«سبط آخر»: φυλῆς ἑτέρας

هذا هو السبط الذي أعدَّه الله واختاره ليخرج منه المسيَّا، فهنا كلمة **آخر** وتصحيحها «مختلف» أراد ق. بولس أن يبرزها ليكشف عن جلال هذا السبط الملوكي دون جميع الأسباط، الذي تشرَّف بكهنوت على طقس ملكي صادق في مقابل سبط لاوي الكهنوتي فقط. صحيح أنهما سِبْطان من صلب واحد وهو إبراهيم، ولكن على سبط يهوذا وقع القَسَم الإلهي أن يكون منه الكهنوت، والملك الحامل لبرِّ الله ومُعطيه، ملك وإله إسرائيل إلى الأبد.

ويُلاحظ أن الذي نبَّه القديس بولس إلى الارتفاع برؤية الأسباط، هو ذِكْره سبط لاوي. لأن المسيح تحاشى بالفعل الخروج من هذا السبط الكهنوتي، ليتحاشى التعامل مع الناموس الذي جاء ليكمِّل نقائصه، فتحتَّم أن يرتفع فوقه، فاختار سبط يهوذا السبط الملكي لكي يصبغ كهنوته بالملكية الإلهية كما جاء الوعد بلسان الملاك عندما بشَّر العذراء: «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتُسمِّينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى، **ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية**» (لو١: ٣١-٣٣). علماً بأن بين داود والمسيح ألف سنة!!

كما لابد أن ينتبه القارىء إلى أن مجيء المسيح من سبط يهوذا ينسجم تمام الانسجام مع قول السفر أنه «بلا نسب»، لأن القصد من عدم ذكر النسب هنا هو أصلاً تحاشٍ لسبط لاوي جملة، لأنه لا يُقام كاهن منه إلا إذا أثبت نسبه للاوي الأب الأول. فبقول المزمور أنه يكون على طقس ملكي صادق وبالتالي أنه بلا نسب يكون قد أسقط طقس كهنوت لاوي وميثاقه معاً.

١٤:٧ **«فإنه واضح أن ربَّنا قد طلَعَ من سبطِ يهوذا الذي لم يتكلَّم عنه موسى شيئاً من جهةِ الكهنوتِ».**

«قد طلَعَ»: ἀνατέταλκεν

هذا الفعل تأمُّلي بديع، فقد قيل في مواضع كثيرة عن طلوع الشمس أو بزوغ النجم (عد٢٤: ١٧، إش٦٠: ١)، أو انبثاق الغصن من الأرض (تك١٩: ٢٥، إش٦١: ١١). ولكن الصيغة اليونانية تحمل فوق ذلك لمسة من لمسات الإبداع الفني اللغوي، فكلمة ἀνατολή تأتي بمعنى الشروق، كما جاءت في تسبحة زكريا الكاهن أبي يوحنا المعمدان «... افتقدنا المُشرق ἀνατολή من العلاء ...» (لو١: ٧٨). وسيَّان إن رأيناه مشرقاً كنور يرتفع من وراء حجب الأرض والزمان، أو غصناً منبثقاً من الأرض نحو السماء، فهذا تعبير روحي عن التسامي بالظلمة إلى النور وبالمادة إلى الروح.

وحينما يقول بولس الرسول إن ربَّنا قد طلَعَ من سبط يهوذا الذي لم يتكلَّم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت، فهو يُسقِط ضمناً خدمة المذبح الأرضي بدم حيوانات تموت، لكي ينأى بكهنوت المسيح عن خدمة الزمنيات والأرضيات. كما تقول الرسالة: إنه دخل بدم نفسه إلى الأقداس العليا في السموات فأوجد لنا فداءً أبدياً.

أما موسى فلم يَجْهل ولا تجاهل قدر المسيح الذي رآه من وراء الأزمان السحيقة نبياً يسكن اسم يهوه فيه ويتكلَّم الله به، والذي بعصاه يُطالَب!! صحيح أنه لم يَرَهُ كاهناً، ولكنه رآه مثله: «نبياً (آخر) مثلي» (تث١٨: ١٥)، قادراً أن يقيم كهنة ويؤسِّس ناموساً، هو كلمة الله بعينها.

٤ ــ تفوُّق الكهنوت الجديد
[٧ : ١٥ ــ ١٩]

٧ : ١٥ «وذلك أكثرُ وُضوحاً أيضاً إنْ كان على شِبْهِ مَلكي صادقَ يقُومُ كاهِنٌ آخرُ».

هنا تعقيب على الآية السالفة التي افتتحها بقوله: «إنه واضح». وهذا الوضوح ركَّزه على أن موسى، وهو يمثِّل الناموس، لم يذكر شيئاً قط عن سبط يهوذا من جهة الكهنوت.

وهنا في هذه الآية يستطرد بقوله: «بل ويكون أكثر وضوحاً إذا انتبهنا إلى الوعد بل والقَسَم من جهة قيام كاهن آخر غير لاوي بالمرَّة». فالوضوح الأول أن الناموس الذي يمثِّله موسى لم يتكلَّم عن سبط يهوذا من جهة قيام كهنة منه. ثم يزداد الأمر وضوحاً عندما يعود الوحي المقدَّس، وهو له السلطة القانونية والمقدَّسة، عندما يذكر كهنوتاً آخر غير لاوي وكاهناً آخر غير سبط لاوي بل على طقس ملكي صادق. فإذا جمعنا الاثنين معاً، ظهر الوضوح الذي يقصده بولس الرسول، أن الناموس لم يذكر أنه يكون هناك كاهن في سبط يهوذا، ثم تأكيداً لذلك يجيء الوحي المقدَّس ويؤكِّد قيام كهنوت آخر وكاهن آخر ليس على طقس لاوي. وهذان يُضافان معاً لحساب شدَّة التأكيد على أن كهنوت المسيح ألغى كهنوت لاوي، وأن شروق المسيح من سبط يهوذا ألغى عمل سبط لاوي مع الناموس كله كممثِّل عن الله، ليحلَّ المسيح الوساطة الوحيدة والفريدة والدائمة بين الإنسان والله ككاهن إلى الأبد. أما بخصوص تحقيق هذا الكهنوت عملياً من فم المسيح في مقابل كهنوت لاوي وناموسه، فنسمع في إنجيل ق. يوحنا الرب نفسه يقول: «فإن كان الإنسان يقبلُ الختان في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى، أفتسخطون عليَّ لأني شفيت إنساناً كُلَّه في السبت» (يو٧: ٢٣). أي أن الناموس وكاهنه ينتهيان عند ختان الجسد، أما أنا وكهنوتي فلشفاء الإنسان كلياً.

وباختصار يريد بولس الرسول أن يقول إنه بطلوع أو شروق المسيح من سبط آخر غير سبط لاوي الذي يمثِّل الناموس بكل دقائقه ويمثِّل الله لدى الشعب والشعب لدى الله، يكون المسيح قد

غيَّر الناموس، غيَّره بنفسه فصار هو الناموس الجديد؛ وكذلك فإنه بقيام المسيح كاهناً على طقس آخر غير طقس هارون أو لاوي ليكون الممثِّل والوسيط والخادم لمقدَّسات الله يكون قد غيَّر الكهنوت كليَّةً إلى كهنوته الملوكي والدائم إلى الأبد.

١٦:٧ **«قد صارَ لَيْسَ بحسبِ ناموسٍ وصيَّةٍ جسديَّةٍ بل بحسبِ قوَّةِ حياةٍ لا تزولُ».**

للتوضيح يلزم إضافة كلمة «كاهناً»، «قد صار **كاهناً**»، أي أن المسيح وهو على طقس ملكي صادق، ليس كاهناً لاوياً بحسب ناموس موسى الذي يقوم على وصايا جسدية سواء من جهة تطهيرات أو حتى تقديم ذبائح لا يقوى دمها إلاَّ على احتساب طهارة جسدية فقط، ولكنه كاهن يقول الوحي عنه صراحة في المزمور إنه «كاهن إلى الأبد» (مز١١٠:٤)، بمعنى أن حياته لا يعترضها زوال أو فناء أو انحلال؛ الأمر الذي تحقَّق بقوة إلهية فائقة فيما يخص المسيح في القبر، فالجسد بقي دون فساد أو انحلال أو أي علامة فناء، وقد ثبت هذا ثبوتاً قاطعاً مانعاً بقيامته من الأموات حيًّا كما هو وجروحه عليه هي هي، حاملة سمات الموت وحاملة بآن واحد الغلبة على الموت. فمن جهة الموت مات، ومن جهة الحياة بقي حيًّا بقوة الله.

١٧:٧ **«لأنه يَشهدُ أنكَ كاهِنٌ إلى الأبدِ على رُتبةِ ملكي صادقَ».**

الترجمة الصحيحة تأتي حرفياً كالآتي: «لأنه يُشهد عنه»، والفعل هنا مبني للمجهول، والشاهد هو الوحي على لسان داود النبي في المزمور (١١٠:٤): «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق». وهذه الآية تأتي لشرح حقيقة الآية السابقة لقوله إنه كاهن «حسب **قوَّة حياة لا تزول**». فقوله إن له حياة لا تزول، يؤكِّده ويشرحه الوحي بقوله: «**أنت كاهن إلى الأبد** ...».

١٨:٧و١٩ **«فإنه يصيرُ إبطالُ الوصيَّةِ السابقةِ من أجلِ ضعفِها وعَدَمِ نفعِها.**
إذ الناموسُ لم يكمِّلْ شيئاً، ولكن يصيرُ إدخالُ رجاءٍ أفضل به نقتربُ إلى الله».

الترجمة العربية لهذه الآية سقيمة أفقدتها المعنى، والأصح أن يُقال:

+ «فإنه "**من جهة**" (μέν) يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً.
"**ومن جهة أخرى**" (δέ) يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله».

وهكذا ينتهي بولس الرسول في تعرُّضه للناموس ووصاياه تعرُّضاً مباشراً وسافراً، قائلاً بحتمية إبطاله. وهو حينما يقول **بإبطال الوصية السابقة**، يقولها عامة، قاصداً النموذج الكلِّي الذي قام عليه الناموس ووصاياه، خاصة الكهنوت باعتباره ناموساً أرضياً في مواجهة الرجاء الحي المنطلق نحو السماء، وحيث يخدم الكهنوت اللاوي على مستوى دم الحيوانات الذي لا يرقى إلى الضمير، وحيث من الجهة الأخرى يقف الإنجيل في مواجهة الناموس، وذبيحة المسيح ودمه الإلهي في مقابل خدمة الكهنوت اللاوي بكل مشتملاتها القائمة على عجول وتيوس. وهكذا ثبت ضعف الوصية السابقة وعدم نفعها.

ووقوف الناموس عاجزاً عن أن يمدَّ يد المساندة للخاطىء الذي يطلب الرحمة و بر الله بإزاء الضمير الصارخ الشاكي المجروح، يجعل توقُّف الناموس تحصيل حاصل بظهور الإنجيل القائم على الغفران الكلي للخطية وعزاء الخاطىء وفرح الانتقال من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، الذي هو كمال سعي الإنسان في تقريبه إلى الله.

فكل ما أخفق فيه الناموس وكل ما عجز عنه الكهنوت اللاوي من نحو الإنسان الخاطىء، كمَّله الإنجيل، وسما به دمُ ذبيحة المسيح إلى أعلى السموات، إلى صميم قلب الله. فتأسيس الرجاء الحي للاقتراب إلى الله في مقابل عدم نفع الناموس وضعف الكهنوت الذي كان يخدم الأرضيات، أوضح بصورة باهرة لماذا أقسم الله لداود أن المسيَّا الآتي كاهن وإلى الأبد على طقس ملكي صادق، وليس على طقس هارون.

أما لنا نحن المسيحيين من الأمم، فعلينا أن ندرك أن **هذا القَسَم** بهذا **الرجاء الحي، بكهنوت يبقى إلى الأبد**، الذي جاء المسيح له، فقد صار من نصيبنا:

+ «والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثاراتٌ وجاماتٌ (شورية) من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحقٌ أنتَ أن تأخذ السفر (سفر الدينونة) وتفتح ختومه، لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل **قبيلة ولسان وشعب وأُمَّة** وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة ...» (رؤ٥: ٨ــ١٠)
+ «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأُعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله ... فعاشوا ومَلَكوا مع المسيح ... هؤلاء ليس للموت الثاني سلطانٌ عليهم بل سيكونون كهنةً لله والمسيح وسيملكون معه ...» (رؤ٢٠: ٤ــ٦)

وواضح من هذا النُّطق النبوي للملاك أن **كهنوت** القديسين والشهداء **وتملُّكهم** في مُلك

المسيح هو أبديٌّ وعلى طقس الذي أبدع طقس ملكي صادق!

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيِّين كحجارة حيَّة بيتاً روحياً كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط٢: ٥)
+ «وأما أنتم فجنسٌ مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، أُمَّةٌ مقدَّسةٌ، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط٢: ٩)
+ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ١: ٦)

هذا هو الكمال الذي بالإنجيل الذي بلغنا به قمَّة الشركة مع المسيح والله.

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيَّاً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله ...» (عب١٠: ١٩ــ٢١)

٥ ــ امتياز كهنوت المسيح يؤكِّده قَسَم إلهي
[٧ : ٢٠ ــ ٢٢]

٧: ٢٠ــ٢٢ «وعلى قَدْرِ ما إنه ليسَ بدونِ قَسَمٍ،
لأن أُولئكَ بدونِ قَسَمٍ قد صاروا كهنةً، وأما هذا فبقَسَمٍ من القائلِ له أَقْسَمَ الربُّ ولن يندمَ أنت كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةِ ملكي صادَقَ،
على قَدْرِ ذلكَ قد صارَ يسوعُ ضامناً لعهدٍ أفضلَ».

«و»: καὶ
حرف بداية لآية جديدة يبدأ بها بولس الرسول نقلة جديدة في حواره البديع.

هنا بولس الرسول يستخرج من النص النبوي للمزمور أحد إثباتاته الملهمة لصفة الكهنوت الجديد الذي تأسَّس عليه العهد الجديد. فهو يعود إلى هذا الكهنوت الذي تعيَّن قبل الدهور ليكون روح ومحور العبادة الكاملة لبلوغ شركة الإنسان مع الله **إلى درجة الكمال، كونه يركِّز على القَسَم الذي** أقسَمَ به الله ليثبت به كلامه ووعده: «فلذلك إذ أراد الله أن يُظهِرَ أكثر كثيراً ... عدم تغيُّر قضائه، توسَّط بقَسَمٍ.» (عب٦: ١٧)

فالقديس بولس يريد أن يتخذ من علو شأن **القَسَم الذي أقسَمَ به الله**، إذ أقسَمَ بذاته وليس عليٌّ أعلى من ذاته، وذلك ليزيد إلى العهد الجديد الذي نواه وحده بهذا القَسَم أن الله إنما يضع

هذا العهد على المستوى الزمني المطلق: «إلى الأبد»، بمعنى أنه آخر مراحل تدرُّجه مع الإنسان في الإمساك بيده ليُحضره أمامه بلا لوم، في محبة ابنه الوحيد الذي جعله ذبيحة كفَّارة دائمة أبدية يشفع في الإنسان حتى يبلغ مقاصد الله العلي. بولس الرسول يريد أن يقول إن هذا العهد الجديد إنما افتُتح بقَسَم الله على أساس كهنوت المسيح الأبدي، ليعطي الإنسان أعلى وأقوى رجاء لبلوغ الكمال.

والله حينما أعلن عن نيَّته وغرضه بهذا القَسَم العالي القدر في كهنوت يكفِّر عن خطايا الإنسان حتى إلى أعماق الضمير وحتى إلى الأبد، فهو ضمناً وحتماً يعلن عن تجاوزه لضعف الإنسان الذي اصطدم بناموس ظهر ضعفه وعدم نفعه. وهو بهذا القَسَم، كأنه أقسَمَ أنه لن يحسب للإنسان ضعفاً، ولن يعترض هذا الضعف قصده المبارك في تبليغ رسالة الكمال إلى الذين يشملهم كهنوت المسيح. وبذلك أصبح هذا القَسَم هو دعامة العهد الجديد للإعلان المؤكَّد عن رضا الله وصفحه عن خطايا الإنسان، التي يشملها كهنوت المسيح الكفَّاري الأبدي: «لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت٢٦: ٢٨)

فالكهنوت الأبدي بالقَسَم العالي، متأسِّس حتماً وبالضرورة على آلام الصليب وصبغة الدم!!

وإذا تمعنَّا في هذه الآيات الثلاث، نجد أن الثقل العام متركِّز على شخصية المسيح. كما أن القَسَم غير القابل للعودة أو الرجوع، يجعل من كهنوت المسيح ضامناً لعهد جديد هو أفضل بكل المقاييس.

٦ ــ دوام كهنوت المسيح هو السر الفائق لفاعليته في تكميل الخلاص [٧ : ٢٣ ــ ٢٥]

٧ : ٢٣ ــ ٢٥ «وأُولئكَ قد صاروا كهنةً كثيرينَ من أجلِ منعِهم بالموتِ عن البقاءِ،
وأما هذا فمن أجلِ أنه يَبْقَى إلى الأبدِ له كهنوتٌ لا يزولُ،
فمِنْ ثَمَّ يقدِرُ أنْ يُخلِّصَ أيضاً إلى التَّمامِ الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذْ هو
حيٌّ في كلِّ حينٍ ليشفعَ فيهم».

هنا يدخل بولس الرسول في أعماق سر الكهنوت بحد ذاته، فيرى أن موت كهنة هارون الواحد تلو الآخر يوضِّح النقص الحادث في الكهنوت الذي يمثلونه، والنقص واقع على أشخاصهم، وهذا صحيح بصورة مطلقة. فلو كان كهنوت هارون الذي سلَّمه للأجيال من بعده قادراً على إعطاء الإنسان الحياة، لما كان الكهنة الذين يعملونه يموتون، فموتهم حجَّة ضدهم تثبت أن كهنوتهم غير فعَّال ولا هو قادر على إعطاء الحياة التي يريدها الله للإنسان والتي من أجلها تأسَّس هذا الكهنوت. إذاً، وبصورة قاطعة، فإنهم لم يكونوا يمثِّلون الكهنوت الحقيقي، ولا هم يخدمونه، ولكنهم كانوا يمهِّدون بخدمتهم الطريق إلى مجيء الكاهن الحقيقي القادر أن يعطي الحياة الأبدية. لذلك فالقَسَم الذي أعطاه الله فيما يخص كهنوت المسيح الآتي أنه كهنوت يبقى إلى الأبد، هو بحد ذاته إعلان واستعلان معاً لشخصية المسيح الحي إلى الأبد والذي لن يمنعه موت عن بقاء بل يبقى حيًّا إلى أبد الآبدين، وبالتالي يعطي الحياة الأبدية بلا مانع، ولا حتى الموت يكون عقبة في منحه الحياة الأبدية للإنسان الذي كان قد وقع تحت عقوبة الموت:

+ «أنا هو القيامة والحياة، مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد!!!» (يو١١: ٢٥و٢٦)

والآن عودة إلى اليهود أنفسهم حينما وقفوا قُبالة الصليب يعيِّرون المصلوب، ومن فمهم نحن لا ندينهم ولكن نعيِّرهم هم على عماهم وعدم تطبيق ما يقولون على أنفسهم، قالوا له:

+ «والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين: خلَّص آخرين، فَلْيُخَلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله ... إن كنت أنتَ ملك اليهود فخلِّص نفسك.» (لو٢٣: ٣٥و٣٧)

وبعد أن أدرك الرؤساء واليهود جميعاً أن الذي صلبوه قد قام ــ أي خلَّص نفسه فعلاً ــ وليس وحده بل خلَّص ملايين من اليهود أنفسهم ومن الأمم، وقد ظهر وتسجَّل واستُعلن أنه ملك الملوك،

وصليبه يُرصّع تيجان أعظم ملوك الأرض وأعظم كاتدرائيات العالم، أي استعلن كهنوته الحي الدائم وملكوته الفائق الدائم كذلك؛ بعد هذا، ماذا فعلوا؟ ثم ماذا فعل كهنوتهم؟ إزاء كهنوت المسيح؟ أليس لا يزال يطويه الموت ليحرمه من إعطاء الحياة؟

الآن الأمر لا يحتاج إلى شرح أو بيان، فإن حياة المسيح الأبدية وقدرته على إعطاء الحياة الأبدية وذبيحته الحية الدائمة قد خلَّصت وتخلِّص وستخلِّص إلى التمام كل إنسان وكل الناس الذين يتقدَّمون به إلى الله كاهناً من أجلهم، يكفِّر عن خطاياهم بدم ذبيحته الخالدة، ويشفع في كل ذنوبهم بآلامه وجروحه، ويبرِّر كل فجورهم بقداسته.

« كهنوت لا يزول »: ἀπαράβατον ἔχει τὴν ἱερωσύνην

لم يتفق العلماء وكثير من الآباء الأول على كلمة « لا يزول » كما جاءت في اليونانية، والترجمة العربية هنا لا تفي بمعناها. فهي تعني عند كثرة من العلماء والآباء كهنوتاً غير قابل للانتزاع، لذلك فهو يبقى إلى الأبد. بمعنى أن الموت لا يقوى أن ينتزعه من شخص المسيح كما كان ينتزعه من كهنوت اللاويين.

فهو كهنوت مَلِك صاحبه مُلكاً أبدياً مطلقاً. على أن كلمة ἱερωσύνην لا تعني « كهنوت » فقط بل ممارسة وظيفة الكهنوت. لذلك جاءت الآية التالية مبنية على هذا الواقع والمعنى.

«فمن ثَمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام»:

هنا الخلاص إلى التمام يعني « يخلِّص كل حين وكل ما للإنسان جسداً ونفساً وروحاً ويخلِّص إلى أقصى ما يريده الله من أجل حياة الإنسان». فكلمة «التمام» هنا تملأ الزمان وتتسحَّب على كل ما للإنسان، ثم ترتفع لتوفي غاية الله العظمى من خلقة الإنسان ومحبته، وهذا لكل من التجأ إلى المسيح ككاهن فداء لخلاص أبدي أراده الله كاملاً. علماً بأن يخلِّص σῴζειν تأتي في المضارع الدائم تأكيداً لدوام الخلاص في كل لحظة من كل ضيقة أو تجربة بجوار الخلاص الثابت الكلِّي الذي صنعه على الصليب لكل مَنْ يؤمن.

«الذين يتقدَّمون به إلى الله»:

واضح هنا أن المسيح ككاهن لا يعمل من ذاته، بل إن عمله يظل يتطلب من الإنسان عملاً بالمقابل، كاستجابة لما صنعه المسيح وما يصنعه من خلاص في صورته العامة أو كنجدة في أوانها. فعطية الخلاص تحتاج إلى سؤال وإلى إلحاح وجرأة في التقدُّم إلى الله بواسطته، فلا الله ولا المسيح يخلِّص من لا يريد أن يخلص! فالخلاص يحتاج بشدة إلى إرادة، والإرادة إلى تقدُّم وجرأة، علماً بأن

الطريق إلى الله صار مفتوحاً للإنسان، كل إنسان، ولأخطى الخطاة، لأن كهنوت المسيح افتتح الطريق بثمن غالٍ من أجل كل إنسان دون أي تفريق: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس (للتراائي أمام وجه الله) بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان ... لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب١٠: ١٩ــ٢٢). وقد أعلن يسوع ذلك: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو١٤: ٦)

«الذين يتقدَّمون به»: τοὺς προσερχομένους

هنا المقصود أساساً في التقدُّم هو الإيمان، فالإيمان بما فعله الله بالمسيح من أجل خلاصنا أصبح هو القوة الوحيدة التي نرتكز عليها في الدخول أو التقدُّم أو الوقوف أمام الله بالصلاة. فهنا الإيمان والصلاة هما العكَّازان اللذان يتوكأ عليهما أي إنسان لمقابلة الله باسم يسوع المسيح ومن أجله، لنوال ما صنعه الله بالمسيح من أجلنا.

وحرف «به» δι᾽ αὐτοῦ هنا هو المفتاح سواء للدخول إلى الله أو للترائي أمامه ونوال سؤال وطلبة الخلاص والنجاة، ليس كالكهنة الوسطاء الكثيرين الذين يموتون، بل هو الوسيط أو الشفيع الوحيد بين الله والإنسان، لأنه حيٌّ إلى الأبد ولأنه هو «الله والإنسان» بآن واحد!! لقد أكمل اتحاد ما في الإنسان بما هو لله، لذلك فهو القادر أن يقدِّم كل إنسان إلى أبيه إذا تقدَّم به إلى الله.

ففي المسيح، قد صار الله قريباً من الإنسان، بل هو في لقاء كلِّي ومواجهة سافرة ودائمة!! وفي المسيح صار للإنسان مكان مؤسَّس باسم كل إنسان، يُحضر الإنسان حضوراً واثقاً ومؤكَّداً أمام الله، بلا لوم في المحبة بل وفي القداسة.

وليس ذلك فقط بل:

«إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم»:

أما من أجل الخطية فقد سبق للرسالة أن سجَّلت للمسيح: «من ثمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب.» (عب٢: ١٧)

وأما من جهة إحساسه بضعفنا، وانعطافه نحونا، ورحمته لنا، ونعمته علينا، وكونه عوناً لنا في الضيق وُجِد شديداً، فقد تسجَّل أيضاً هكذا: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي

لضعفاتنا بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية، فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب٤: ١٥و١٦)

أما هنا في هذه الآية (٧: ٢٥)، فهو يتكلَّم عن عمل جديد وعظيم للغاية لا يصنعه إلاَّ رئيس كهنة له دالة عُظمى لدى الله، اكتسبها بدمه هو وليس بدم ثور أو معزى: «إذ هو حيٌّ في كل حين **ليشفع فيهم**».

وبولس الرسول له في ذلك قول يعبِّر به كأحلى نغم على قيثارة إيمانه:

+ «مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، **الذي أيضاً يشفع فينا.**» (رو٨: ٣٤)

هذا هو بدء الإيمان لأول كنيسة: المسيح مات وقام وتُوِّج بالمجد وجلس عن يمين الله يشفع فينا.

إستفانوس أول شهيد لأول كنيسة رأى ذلك رؤيا العين ونال من يديه تاج البر! بل وسمعنا ذلك من فمه الأقدس وهو يخاطب بطرس ليُعزِّي خاطره فيما سيؤول إليه حاله من نكران وتجديف: «ولكنني **طلبت من أجلك** لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك.» (لو٢٢: ٣٢)

ثم ألا يكفي الكنيسة كلها وإلى مدى الدهر، وبالأقل أو بالأكثر يكفيك أنت يا قارئي العزيز، أن يكون الرب الجالس عن يمين العظمة الآن يطلب من أجلك كما كان يطلب وهو على الأرض من أجل بطرس؟ والذي يريد المزيد عمَّا يمكن أن يشفع به المسيح من كلمات يمكن أن تغيِّر من وجه السماء والأرض جميعاً، فليسمع صوت المسيح وهو يخاطب الآب عن أشد أُمنياته وأغلى طلباته، فليقرأ إنجيل القديس يوحنا الأصحاح السابع عشر، وليقف كثيراً عند قوله: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً **من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم**» (يو١٧: ٢٠). أو بلغة سفر العبرانيين: «الذين يتقدَّمون به إلى الله».

وهو حينما يشفع لا يتوسَّل، ولا يتذلَّل، ولا يصرخ، ولا يطلب مما ليس له، بل لا يطلب أكثر مما هو في سلطانه، بل يشفع من تحت تاج البنوَّة المذبوحة بالحب للآب والإنسان معاً ومن تحت مجد الكهنوت الذي حازه بذبيحة نفسه، كملك الملوك ورب الأرباب وكاهن عظيم أو الأعظم على بيت الله. يطلب ويداه ليستا ممدودتين للترجي، بل مصوَّبة إلى جنبه المفتوح الذي صار هو باب

السماء عينه لجسد صار هو الطريق الموصّل لقلب الله، يسأل لِيُسْمِعَ مَنْ يَسْمَعُ له كل حين (أي الآب) (يو١١: ٤٢)، ويستجيب قبل أن يُسأل. يسأل لأنه حيٌّ بقوة حياة لا تزول وحياته صارت لنا صلاة: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم» (مز١٠٧: ٨). لأن الابن ذُبح من أجلنا وصار لنا كاهناً، وهو حيٌّ وواحد مع الآب في كل شيء. وأخيراً يذكر بولس الرسول الشفاعة الدائمة ليوثّق بها الخلاص الكامل والدائم. والجميل حقاً أن يكون المسيح هو شفيعنا في السماء، والروح القدس شفيعنا على الأرض يشفع ويصلّي بنا بأنات لا يُنطق بها. يا لهذا الخلاص الذي انفتحت كل أبوابه علينا في السماء وعلى الأرض!

٧ ــ صفات المسيح أَضْفَتْ على كهنوته تفوُّقاً لا نهاية له

[٧ : ٢٦ ــ ٢٨]

يليق بنا رئيس كهنة كهذا الابن القدوس،
الذي قدّم نفسه وصار أعلى من السموات!

(أ) ٧ : ٢٦ : صفات المسيح.
(ب) ٧ : ٢٧ : عمله كرئيس كهنة.
(ج) ٧ : ٢٨ : مقارنة بين المسيح ــ كرئيس كهنة ــ وبين رئيس كهنة الناموس.

(أ) صفات المسيح :

٧: ٢٦ **«لأنه كان يليقُ بنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا قدُّوسٌ بلا شَرٍّ ولا دَنَسٍ قد انفصلَ عن الخطاةِ وصارَ أعلَى من السمواتِ».**

ظل بولس الرسول يتكلّم عن كهنوت المسيح من جهة أنه على طقس ملكي صادق.

وهنا ينتقل من أن كهنوت المسيح كان على طقس ملكي صادق إلى أن كهنوت المسيح هو أيضاً أعظم وأقوى من كهنوت ملكي صادق، ولكنه يبدأ أولاً بأن المسيح حقّق في حياته وعمله أنه بالفعل رئيس كهنة:

«لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا»:

ولكن تضعها الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) بالعكس هكذا: «مثل هذا لاقَ به أن يكون رئيس كهنة لنا». وفي هذا التعبير إشارة ضمنية واضحة ــ على أساس ما سبق وذُكر عنه ــ أن له قوة

حياة لا تزول، أي أن قدرته مطلقة وأبدية، وكأن لسان حال أي إنسان يقول هذا: إن المسيح جدير حقاً بأن يكون لنا رئيس كهنة فهو قادر حقاً أن يوفّي كل مطالبنا.

«قدوس بلا شر ولا دنس»:

واضح من الآية (٢: ١٠) أن المسيح **«تكمَّل بالآلام»**، وأن كماله ورثاءه لضعفنا لم يَشتدع أن يكون خاطئاً مثلنا: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية» (عب ٤: ١٥). ولكن يكفي لكي يكون شديد العطف على الخطاة والمجرَّبين، أن يعرف ويذوق الآلام والتجارب إلى أقصى حدودها، ثم يتدخَّل ويرفعها لأنه جازها وانتصر عليها انتصاراً ساحقاً أبدياً. ويتحتَّم أن ننتبه جداً أن الذي يخور في التجربة ويسقط فيها إنما يخور ويسقط دون أن يبلغ أقصى حدودها، أما الذي دخلها وذاقها حتى أعمق أعماقها وانتصر عليها كالمسيح، يكون قد عرف وذاق وجرَّب أقصى حدود الآلام والتجارب!! هذا هو رئيس كهنتنا الجديد، والعجيب حقاً. وهذا المضمون يمكن أن نقرأه تماماً إذا تعمَّقنا تعبير ق. بولس الذي ابتدأ به هذه الآية الفريدة بقوله في النص اليوناني هكذا: τοιοῦτος γὰρ ἡμῖν καὶ ἔπρεπεν وترجمتها الصحيحة: «لأنه كان يليق بنا حقاً (أو فعلاً) καὶ ...». وللأسف سقطت من المترجم العربي، فكلمة « καὶ » هنا توكيدية تشديداً على مدى لياقة المسيح لرئاسة كهنوت يكهن لنا ليسد أعوازنا التي صارت بلا حدود.

وق. بولس حينما يقول «بنا»، فهو لا يقصد الإنسان عامة ولكن المسيحيين بالذات الذين عرفوا وذاقوا واختبروا قوة وشمول ومجد كهنوت المسيح الذي غطَّى بالفعل ويغطِّي بالحق كل نقائصنا وأعوازنا وأمراضنا وطموحاتنا.

«قدوس»: ὅσιος

وتأتي في اللاتينية Justus والفولجاتا Sanctus ويقابلها في العبرية حاسيد hāsîd وهو المؤتمن على وصايا الناموس. هذه الصفة الفريدة في قوتها وشمولها نفتخر نحن المسيحيين بها أيَّما افتخار، فنحن بها وعليها سُمِّينا، فنحن جميعنا كل مَنْ آمن بالمسيح القدوس صرنا **قديسين!! بالتبعية وليس بالطبيعة**، فكل مسيحي هو قديس إن كان حقاً قد آمن بالمسيح القدوس.

وإذ نأتي هنا على قمة أوصاف طبيعة المسيح كرئيس كهنة، نجدها تضفي على كهنوته صفة اللياقة الفريدة والعظيمة لتكميل وظيفة رئيس الكهنة فيما يخص ضعف الناس. فالذي بلغ من القداسة ما يوازي الله، فهو في صميم طبيعته البشرية يكون أكفأ مَنْ يتقلَّد وظيفة رئيس كهنة. فهو

وإن كان حقاً إنساناً لكنه قد صار أعلى من الإنسان بقدوسيته التي لم يَرْقَ إليها مخلوق.

والأوصاف الخمسة التي تُقدمها هذه الآية لم تُنظَّم عفوياً، بل بدقة يذهل لها العقل. فهو **«قدوس»** بشخصه دون النظر إلى أي شيء، ولكنه **«بلا شر»** بالنسبة للناس عامة، **«وبلا دنس»** بالنسبة لاتصاله الوثيق بالعالم الشرير، ثم خرج بمجمل حياته كلها **«منفصلاً عن الخطاة»** في المحيط الأرضي الذي عاش فيه، أما بالنسبة للعالم غير المنظور فقد **«ارتفع أعلى من السموات»**.

ولكن يظل هناك في اللغة اليونانية فرق[١٣] بين **قدوس** ὅσιος **وقدوس** ἅγιος. فالكلمة الأولى **هوسيوس** تفيد الصفة الأخلاقية، أما الكلمة الثانية **هاجيوس** فتفيد التمييز النسبي أو السمو الفائق. الأولى تُستخدم في الكتاب المقدس باللغة اليونانية للأشخاص بصفة عامة أو غالبة، أما الثانية فتجوز على الأشخاص والأشياء. فالشيء المقدَّس هو الذي يختص بالله لتمييزه عن الأشياء الأخرى التي ليست لله. ولكن استخدام الكلمة لوصف الله يكون فقط ἅγιος لأنها تفيد معنى الهوسيوس ὅσιος بالصورة المطلقة المتميِّزة، أي أنه قدوس متميِّز عن كل القديسين، وذلك بالنسبة للإنسان أو حتى أي مخلوق. فإذا استخدمت ἅγιος للناس فهي تفيد مباشرة بشخصهم وتخصصهم لخدمة الله فقط. وإذا استُخدمت كلمة ὅσιος للناس فهي تفيد سلوكهم وأخلاقهم المستمدة من الله، أي شركتهم مع الله، وخاصة في حبهم له. وعلى هذا الأساس تُكتشف حقيقة غاية في الدقة وغاية في عمق التفريق في المعنى والمبنى، لأن في العهد القديم تأتي كلمة «قديس» و«قديسين» = οἱ ὅσιοι ؛ أما القديس والقديسين في العهد الجديد فتأتي οἱ ἅγιοι (أطهار)، لأن العلاقة في العهد القديم بين الإنسان والله كانت علاقة خارجية بناموس يهتم بالخارج، ولكن كان يجب أن تحمل في مضمونها أخلاقيات مناسبة لهذه العلاقة الخارجية على كل حال.

أما في العهد الجديد فالعلاقة بين المؤمن والمسيح علاقة داخلية تحمل مضمون الالتزام في القداسة (الطهارة).

أما المقابل العكسي لكلمة هاجيوس ἅγιος فهو الدنس βέβηλος، والمقابل العام لكلمة هوسيوس ὅσιος فهو النجس، وذلك باعتبار أن طبيعة الله هي القياس إما على مستوى جسد المسيح أي التجسُّد، أي في الإطار الذي يمكن إدراكه للإنسان.

13. Westcott, p. 194.

وعلى هذا الأساس فالقداسة بمفهوم ὅσιος إنما يعبّر عنها ويغطي معناها العملي كلمة «البار» δίκαιος ، ويوضّح هذا التكامل العملي والنظري بين هوسيوس وذيكايوس أي القديس (الطاهر) والبار هذه الآية: «أنتم شهود والله كيف بطهارة (قداسة) ὁσίως وبر δικαίως وبلا لوم كنا بينكم ...» (١تس٢: ١٠)، كذلك الآية: «بل مُضيفاً للغرباء محباً للخير متعقلاً باراً δίκαιον وورعاً (طاهراً أو قديساً) = ὅσιον ضابطاً لنفسه» (تي١: ٨). كذلك: «... مُنقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة ἐν ὁσιότητι (لاحظ أن زكريا الكاهن يتكلَّم بلغة العهد القديم) وبر δικαιοσύνῃ قدامه جميع أيام حياتنا ...» (لو١: ٧٤و٧٥)

«بلا شر»: ἄκακος

وتأتي باللاتينية innocens.

معروف أن الذي بلا شر في المفهوم المسيحي يعني ضمناً أن له محبة مسيحية: «المحبة لا تفكِّر في الشر τὸ κακόν » (١كو١٣: ٥ حسب الأصل اليوناني).

«ولا دنس»: ἀμίαντος

وتأتي باللاتينية immaculatus، والفولجاتا impolutus (undefiled).

وهي الصفة الإيجابية المختارة والمكرَّمة التي أعطيت للأم الطاهرة العذراء القديسة مريم ⲧⲁⲧⲟⲩⲱⲗⲉⲃ : «لميراث لا يفنى ولا يتدنس ἀμίαντον ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم.» (١بط١: ٤)

وإذا كانت القداسة تخص ما هو داخل الإنسان، فالدنس يخص الخارج = الجسد. وكان يُشترَط على الكاهن في القديم أن لا يتدنس، بمعنى أن لا يلمس ميتاً أو ينوح عليه[14].

«انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات»:

ليس انفصال التعالي والقطيعة أو التمييز، كما كان في شروط كهنوت رئيس الكهنة في القديم، إذ كان يتحتَّم عليه ذلك. فالمسيح جاء من أجل الخطاة وعاش مع الخطاة والعشارين وقَبِلَ الزواني والخطاة بل وأحبَّ الخطاة وأكل في بيوتهم؛ ولكن «انفصل عن الخطاة»، بمعنى أنه لم يكن قط خاطئاً ولا كان في فمه غش، فطبيعته الروحية والنفسية والجسدية كانت أعلى من الخطاة. لهذا، فكما أكمل تبرير الخطاة ومصالحتهم مع الآب بموته، ارتفع أعلى من السموات ليجلس على ما له وما يناسبه في عرش الله.

14. Bruce, *op. cit.*, p. 156 n. 86.

(ب) عمل المسيح كرئيس كهنة :

٧ : ٢٧ **«الذي ليس له اضطرارٌ كلَّ يومٍ مثلُ رؤساءِ الكهنةِ أن يقدِّمَ ذبائحَ أولاً عن خطايا نفسِهِ ثم عن خطايا الشعبِ، لأنه فعَلَ هذا مرَّةً واحدةً إذ قدَّمَ نفسَهُ».**

هنا اصطدم الشُّرَّاح جميعاً بعقبة لم يستطيعوا أن يتخطوها، وهي قوله تقديم رئيس الكهنة للذبائح **«كل يوم»** عن نفسه وعن الشعب. والعالِمُ الوحيد الذي أعطى لها حلاً يكاد يكون صحيحاً هو العالِم وستكوت، بينما حاول معظم الشُّرَّاح شرح النص بطريقة ما لكي يخرجوا من هذا المأزق.

ذلك لأن رئيس الكهنة في الناموس يقدِّم ذبائح خطية عن نفسه وعن شعبه **«مرَّة واحدة كل سنة»** في يوم الكفارة، وليس **«كل يوم»**، كما تقول الآية. يقول العالم وستكوت إن المقصود من النص ليس هم رؤساء كهنة اللاويين، ولكن الالتباس حصل من عمل المقارنة بين المسيح رئيس الكهنة الأبدي للعهد الجديد الذي هو كل يوم وإلى الأبد يُحسب أن ذبيحته مقامة، وليس كرئيس كهنة اليهود الذي كان يقدِّم الذبيحة مرَّة واحدة في السنة عن نفسه وعن الشعب. وهنا يكون قصد بولس الرسول اعتبار كهنوت المسيح أقدر وأعلى، إذ قدَّم نفسه مرَّة واحدة فصارت ذبيحته دائمة وأبدية لكل يوم ولكل الزمن، وليس له اضطرار مثل رئيس كهنة العهد القديم الذي كان يقدِّمها مرَّة كل سنة، وعن نفسه أولاً ثم عن الشعب. فعظمة وقوة ذبيحة المسيح هي في كونها قُدِّمت مرَّة واحدة فصار فعلها سائداً كل يوم وإلى الأبد دون حاجة إلى تكرار.

وفي هذه الآية ينفي ضمناً أن يكون للمسيح حاجة أن يقدِّم ذبيحة خطية عن نفسه مثل رؤساء الكهنة، لأنه لم تكن له خطية البتَّة ولم يكن في فمه غش. وهذا بحد ذاته يجعل ذبيحته متفوقة للغاية، بمعنى أن موته كان فدائياً كلياً، وفعل الفداء في ذبيحته يزكيه برُّه وقداسته، بل والفداء ذاته يتضمَّن إعطاء هذا البر وهذه القداسة لأنه مات ليبرِّر ويقدِّس.

أما في الكفَّارة التي كان يجريها رؤساء الكهنة عن أنفسهم كرجال خطاة فكانت خطاياهم تمنع منعاً باتاً أن تكون كفَّارتهم قادرة أن تمنح الذين تجري من أجلهم أيَّ بر أو أيَّ تقديس، فلا رئيس الكهنة يملك هذا البر أو هذه القداسة ولا الذبيحة التي كفَّر بها تُحسب أبداً على هذا المستوى.

بل كان يُطلب من رئيس الكهنة أن يطهِّر جسده وحسب، كما كان يُطلب أن تكون ذبيحة

الكفَّارة مغسولة بالماء بلا عيب في جسمها. لهذا لم تكن كفَّارة رئيس الكهنة قديماً تطهِّر إلَّا لطهارة الجسد فقط بالنسبة للذي يكفَّر عنه.

أما المسيح فكان قدوساً بذاته جسداً ونفساً وروحاً، كمقدِّم للذبيحة، وكانت ذبيحته بآن واحد هي نفسه، قدوسة في كل شيء، لذلك فالمسيح بذبيحة نفسه يعطي ذاته وجسده:

+ «فمَن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦:٥٧)
+ «مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦:٥٤)
+ «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو٦:٥٦)

وفوق هذا وذاك وفوق كل مقارنة بين كفَّارة ذبائح حيوانات العهد القديم وذبيحة المسيح الإلهية، يلزم أن يعرف القارىء حقيقةً فاتت للأسف الشديد على كثير من شارحي الأناجيل والذين تعرَّضوا للغفران والكفَّارة ومقارنة القديم بالجديد، **وهي أن كفَّارة العهد القديم وكل ذبائحه بكل أنواعها كانت من أجل خطايا السهو فقط**، أما خطايا العمد **فكان حكمها واحداً وهو الموت بلا رحمة: «مَنْ خالف (عمداً) ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (عب١٠:٢٨)، حيث «بدون رأفة» تعني: لا تخفيف للحكم ولا حتى إجراء الموت بأي إحساس بالرحمة أو بأي شعور بالرأفة، فموت الخاطىء كان يُعتبر تمجيداً لإله إسرائيل.**

والعجب العجاب أنهم قتلوا المسيح بلا رحمة وتشفَّوا منه على الصليب وهو يتلوَّى وينزف حتى الموت!! لأنه كان في نظرهم الفاقد للنظر رجلاً خاطئاً، وفي ناموسهم الذي فقد اسمه وجوهره ومعناه، كان مخالفاً للناموس! فكانت خطيتهم الكبرى التي لم تمحُها كفَّارتهم اليومية والسنوية ولن تمحوا! هكذا قضى حكماء إسرائيل على القدوس البار، وقتلوه بمقتضى ناموسهم، فَفقدوا هم، وفَقد ناموسهم بالتالي معهم في أعين كل العالم كل اعتبار!

(ج) مقارنة بين المسيح – كرئيس كهنة – وبين رئيس كهنة الناموس:

٧:٢٨ **«فإنَّ الناموسَ يُقيمُ أُناساً بهم ضَعفٌ رؤساءَ كهنةٍ. وأما كلمةُ القَسَم التي بعدَ الناموس فتُقيمُ آبناً مكمَّلاً إلى الأبدِ».**

هنا مقارنة مبدعة متعددة الاتجاهات بين:

١ — **الناموس** الذي أقام رؤساء كهنة كثيرين؛
في مقابل **كلمة القَسَم** التي أقام بها الله الكاهن الموعود الأبدي. كما جاءت في المزمور.
٢ — **رؤساء كهنة بهم ضعف** منعهم الموت عن البقاء ومنعتهم خطاياهم عن أن تكون كفَّارتهم ذات فاعلية؛
في مقابل **ابن الله** الذي تكمَّل بالآلام فلاقَ به أن يكون رئيس خلاص إلى الأبد.
٣ — **كثرة أُناس**؛ في مقابل **الابن الوحيد**. الذي يشمل ضمناً **الموت**، في مقابل الحياة الأبدية.
٤ — **ضعف أُناس**؛
في مقابل **الابن المكمَّل** أو صاحب الكمال.

«كلمة القَسَم التي بعد الناموس»:

مهم جداً أن يضع بولس الرسول هذه المقابلة أيضاً، أن الناموس أقام رؤساء كهنة بهم ضعف، وبسبب ضعفهم وعدم قدرة الناموس على رفع هذا الضعف عنهم أو عن الذين يكهنون لهم، كان ينبغي بل ويتحتَّم أن يظهر بعد الناموس نطق سماوي آخر لقيام ابن مكمَّل يكهن أمام الله عن الإنسان إلى الأبد. وذلك لأن كلمة القَسَم جاءت على لسان داود النبي (مز١١٠: ٤) الذي جاء بعد الناموس بحوالي خمسمائة سنة، ولهذا يرتفع القَسَم فوق الناموس، ويرتفع كاهن القَسَم فوق كاهن الناموس.

«فتُقيم ابناً مكمَّلاً إلى الأبد»:

هنا «الابن» هو الوصف المتميِّز لرئيس الكهنة الجديد، وهذه أول إضافة لشخص الابن أن يتبوأ وظيفة رئيس الكهنة. فرئيس كهنتنا ليس هو فقط «ابناً» بل هو ابنٌ ويبقى رئيس كهنة إلى الأبد. فهنا بقاؤه إلى الأبد، فوق أنه صفة أساسية للابن، إلاَّ أن هذه الصفة صارت تلازم وظيفته الجديدة أي رئيس كهنة. وعلينا إذاً أن نجمع الصفتين الآن أي الابن ورئيس الكهنة لنرى أن بقاءه إلى الأبد أمرٌ ثابت ثبوت البنوَّة ذاتها، فهو لن يتخلى عن رئاسة الكهنوت طالما هو ابن، وهو كذلك إلى أبد الآبدين.

لهذا استدعى المنطق والواقع معاً أن ينسحب الكهنوت الزمني الجسدي اللاوي وإلى الأبد! لأنه كان يستحيل على هذا الكهنوت أن يدوم إلى الأبد، لا في أشخاص حامليه لأن الضعف والهوان والموت يمنعهم، ولا في ذبائحهم لأنها ميتة بطبعها ولا تمتُّ إلى الحياة الأبدية بصلة.

وقفة قصيرة

تفوُّق كهنوت المسيح فوق كهنوت لاوي باختصار

ولكي يكوِّن القارىء فكرة مجملة عن نقاط المفارقة الصارخة بين كهنوت المسيح الأعظم فوق كهنوت هارون، نذكر أولاً كيف أن بولس الرسول أوضح كل الأوصاف والامتيازات التي جعلت كهنوت المسيح يبلغ حتى الكمال الأعلى. مثل التعاطف الفائق مع الخطاة (٢:١٧، ٤:١٥، ٥:٨، ٧:٢٦).

كذلك التعين الإلهي الخاص: (٥:٥).

كذلك:

(أ) شكل التعيين الذي ضمن للعهد الجديد على يديه الأفضلية الإلهية (٧: ٢١و٢٢) بالقَسَم الإلهي.

(ب) مصدر القوة الفعَّالة لكهنوته: قوَّة حياة لا تزول (٧:١٦)، وليس بقانون ناموسي جسدي.

(ج) لا محدودية لصلاحية كهنوته: حيٌّ كل حين، يخلِّص إلى التمام، يبقى إلى الأبد (٧: ٢٣ــ٢٥).

(د) طبيعة كهنوت المسيح قائمة على كلمة القَسَم بذات الله، كوظيفة ثابتة وأبدية لابن الله، وليس على الضعف البشري.

(هـ) موضع الخدمة التي يباشر منها كهنوته: جالس عن يمين العرش خادماً للأقداس الحقيقية في السموات لا الأرض (٨:٢، ٩:١١).

(و) الاعتماد في أداء ونفاذ الأداء على دم نفسه، أي دم ابن الله وليس دم تيوس وعجول (٩:١٢).

(ز) مدة خدمته وصلاحيتها هي «مرَّة واحدة» التي تظل صالحة وفعَّالة: «إذ قدَّم نفسه.» (٧:٢٧)

(ح) مادة ذبيحته: «هيَّأتَ لي جسداً» (١٠:٥)، «دم المسيح الذي بروح أزلي ...» (٩:١٤).

الجزء الثاني من الدفاع الثالث
كهنوت المسيح من حيث عمله الفائق

من الأصحاح الثامن حتى العاشر، الآية (١٨):

يتتبع بولس الرسول كيفية اكتمال عمل كهنوت المسيح:

أولاً: **في الأصحاح الثامن:** يكشف عن المنظر الجديد بصورة عامة، موضحاً الشروط التي يتطلبها كهنوت المسيح الأعظم.

ثانياً: **في الأصحاح التاسع:** خدمة الكهنوت في العهد القديم ومثيلها في العهد الجديد؛ كفَّارة الناموس، وكفَّارة المسيح.

ثالثاً: **في الأصحاح العاشر:** (١ــ١٨) الذبائح القديمة، والذبيحة الواحدة العظمى الجديدة وأثرها الخالد الدائم إلى الأبد.

وبذلك يكون المنهج القديم بناموسه وذبائحه ووصاياه وذكرياته وتعزياته قد فقد قيمته لدى المسيحيين كلية.

أولاً: الأصحاح الثامن

الكشف عن منظر المسيح كرئيس كهنة سماوي وما تضمنه من الشروط للقيام بالخدمة (٨: ١ــ١٣).

قبل أن يخوض بولس الرسول في دقائق خدمة المسيح كرئيس كهنة، يعطي فكرة عامة عن:

أ ــ **الهيكل الجديد** في السماء، وقد سمَّاه «بالمسكن» وهو التعبير القديم عن سُكْنَى الله مع الإنسان (٨: ١ــ٦).

ب ــ**العهد الجديد** (٨:٧ــ١٣).

أ ــ الهيكل الجديد
[٨ : ١ ــ ٦]

١ ــ (٨ : ١و٢): رئيس الكهنة الجديد ينتقل عمله من الأرض إلى السماء ليباشر خدمته الإلهية الفائقة بسر الروح.

٢ ــ (٨ : ٣و٤): هذا العمل الروحي كان يستحيل أصلاً تكميله على الأرض، طالما كان هناك نظام أرضي للخدمة.

٣ ــ (٨ : ٥و٦): ولكن لأن النظام الأرضي كان في طبيعته مثالاً أو ظلاً للأصل الذي سيقوم به المسيح، تحتّم أنَّ بظهور هذا يكون اختفاء ذاك.

١ ــ (٨ : ١و٢):

٨ : ١ **«وأمّا رأسُ الكلامِ فهو أن لنا رئيسَ كهنةٍ مثلَ هذا قد جلسَ في يمينِ عرشِ العظمةِ في السمواتِ».**

أول شيء ينبّه عليه بولس الرسول هنا هو أن مكان خدمة المسيح كرئيس كهنة عظيم ليس هو على الأرض بل في السموات، فقد تمّم الذبيحة على الأرض من أجل كل الذين على الأرض لتكون على مرأى ومَسْمَع الإنسان. ولكن خدمته ليس لها مجال على الأرض لأنها ليست قائمة على أمور أرضية أو من أجل أمور أرضية، بل هي تختص بخلاصنا الأبدي وحياتنا الأبدية. صحيح أن عمل المسيح يختص بكل حياتنا وأفكارنا وشهواتنا وآمالنا بل وخطايانا التي نمارسها على الأرض، ولكن علاجها ليس على أساس جسدي بل ينطلق من الأساس الروحي من السماء.

فالمسيح قدّم جسده ذبيحة من أجل الإنسان، من أجل كل أخطاء وعيوب وخطايا وتعدّيات الإنسان، ففي جسده حمل كل نقائصنا هذه، وقدّمه ذبيحة، متقبّلاً فيه عقوبة الموت من أجلنا، ثم قام بجسده وبنا، وارتفع إلى أعلى السموات ليقدّم ذبيحة كفّارة خطايانا للآب. فصار مركز عمل الكفّارة والخلاص في السماء وليس على الأرض.

وفي جلوسه عن يمين العظمة، أثبت أنه الابن حقاً، لأن مركز الابن هو عن يمين الآب حتماً.

وإذ يقول «**جلس**» فهو يعني الجسد المذبوح الميت والمُقام. وجلس على عرش، فهو ملك، وملكوته صار على الأرض وفي السماء، هذا الذي أشبه بموته على الصليب ثم بقيامته وصعوده فوق أعلى السموات. جلس، ودم كفَّارته عليه لا يجف قط، حاملاً جسد بشريتنا ودمه عليه. وإذ يقول إنه «**في السموات**» فيكون قد انتقل من الأرض حيث قدَّم كفَّارته وهي جسده، ودخل إلى السموات بجدارة، رئيس كهنة حاملاً ذبيحة الكفَّارة العظمى من أجل كل إنسان لكل الدهور، فالدم الذي على جسده هو دم الكفَّارة الفائق القداسة، لأنه دم القدوس الابن الوحيد، وهو الذي أهَّله للدخول كرئيس كهنة إلى الله في الأقداس العليا، ليتراءى أمام الله من أجلنا.

«وأمَّا رأس الكلام»:

هنا يستطرد كلامه الذي فات، عن المسيح، معتبراً أن الذي سيقوله هنا جديداً هو أهمُّ، وهو خلاصة ما قيل فيما يخص المسيح كرئيس كهنة أعظم، والذي سيركِّز عليه في الآيات القادمة، خاصة وأنه قدَّم ذبيحة واحدة وانتقل بها إلى السماء، مركز عملها الجديد. وهو بعمله من السماء يكون قد كشف عن عظمة كفَّارته ودوامها وقوَّتها. وإن كنا قد حُرمنا من عمله المباشر على الأرض، فذلك إلى حين، لأن تحوُّله في الهيكل السماوي لا يدوم، بل سيأتي حتماً ويستعلن الخلاص الكلِّي بصورة باهرة:

+ «وأمَّا هذا فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله **منتظراً** بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه.» (عب١٠: ١٢و١٣)
+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي منها **أيضاً ننتظر مخلِّصاً** هو الرب يسوع المسيح.» (في٣: ٢٠)

«رئيس كهنة مثل هذا»:

«**مثل هذا**»: يركِّز عليها بولس الرسول ليوضِّح عظم شأن رئيس الكهنة الجديد، لأنه سيقول حالاً إنه جلس عن يمين عرش العظمة في السموات. فرؤية بولس الرسول لرئيس كهنة يجلس عن يمين عرش العظمة في السماء، يقدِّم لها بقوله: «رئيس كهنة مثل هذا»، بمعنى: **انظروا فهذا هو** رئيس كهنة قد مَلَك حقاً، وكرامته وملكوته فائقا الحدِّ، يشملان السماء والأرض. لا كرؤساء كهنة اللاويين ولا حتى كملكي صادق الذي استعلن لنا كهنوته على الأرض فقط.

«قد جلس في يمين عرش العظمة»:

بولس الرسول لا يزال متأثراً بصورة المزمور: «قال الربُّ لربي **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مز١١٠: ١)

وبولس الرسول، بعد أن وفّى كل ملابسات وأسباب ومعنى جلوس المسيح عن يمين الآب، يقول هنا بتأكيد مكرَّراً ما سبق أن قاله في مطلع الرسالة، كحقيقة لاهوتية: «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا **جلس** في يمين العظمة في الأعالي.» (عب١:٣)

«جلس»: ἐκάθισεν

صحتها بحسب النص اليوناني تأتي بمعنى **«أخذ كرسيه»** أي بدأ يجلس بإرادته. لأن «يجلس» في الصيغة الاستمرارية هي κάθηται = «يبقى جالساً»، وبذلك تعني ἐκάθισεν أنه أخذ وضعه كجالس بإرادته.

وهذا الوضع الذاتي الملكي الذي فيه يأخذ المسيح كرسيه وملوكيته بإرادته، يشرح لنا في الحقيقة ما جاء في سفر الرؤيا عن ملوكية المسيح التي أقامت وأجلست ملوكاً: « «مَنْ يغلب **فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي**، كما غلبتُ أنا أيضاً وجلستُ مع أبي في عرشه.» (رؤ٣:٢١)

فكون المسيح يقيم كهنة وملوكاً لأبيه، فهذا يثبت بالقطع أنه إله وملك. فليس دم وجسد بقادرين أن يضعا على رأسه تاجاً ثم يضعان تيجاناً على رؤوس الآخرين ليصيروا ملوكاً لله إلى أبد الآبدين، ولكن هو الله الذي أعطاه أن يكون ملكاً ويقيم ملوكاً له ويدوم مُلكه ومُلكهم معه إلى الأبد. لذلك دُعي بحق «ملك الملوك» (رؤ١٩:١٦)، «رأسه ذهب إبريز» (نش٥:١١)، «وَضَعْتَ على رأسه تاجاً من إبريز.» (مز٢١:٣)

«في يمين عرش العظمة»: ἐν δεξιᾷ τοῦ θρόνου τῆς μεγαλωσύνης

وهو نفس الوصف الذي أعطاه في الأصحاح الأول: «في يمين العظمة» (عب١:٣)، ولقد حاول الآباء جهدهم تحاشي إعطاء صورة مادية للآب، وكأنه على هيئة بشر، في تفسيرهم لقوله عن «يمين عرش العظمة».

والمقصود هنا أمران، الأول أن الابن أخذ موضعه الثابت والكامل مع الآب في ملء عظمته، حيث اليمين عامة تشير إلى التساوي والحُظوى الكاملة. والثاني أن الابن دخل إلى الأقداس العليا بجسده، حيث الجلوس بحد ذاته يفيد الوضع البشري للمسيح كما يفيد كمال التساوي في العظمة والكرامة مع الآب. ولنا عند القديس الشهيد استفانوس شهادة عيان: «فَشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله.» (أع٧:٥٥)

٨ : ٢ «خادماً للأقداس والمَسكنِ الحقيقيِّ الذي نَصَبَه الربُّ لا إنسانٌ».

«خادماً للأقداس»: τῶν ἁγίων λειτουργός

المفارقة هنا شديدة بين «جلس» و «خدم». ولكن هنا ترتفع الخدمة في مفهومها الملكي والإلهي، فالمسيح كملك على عرشه مع الآب، إن خدم فهو يخدم ملكوته، وملكوته هو الحب والقداسة والغفران والمصالحة. والقدوس حينما يخدم فهو يخدم القداسة، ينضح بدمه على مفدييه ويقدّمهم إلى أبيه قديسين وبلا لوم في المحبة.

«خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي»: τῶν ἁγίων λειτουργὸς καὶ τῆς σκηνῆς

كلمة «الأقداس» جاءت إضافية لتفيد نفس معنى «المسكن الحقيقي». على أن هذه الإضافة تبدو ضرورية حقاً للتعبير عن الوجود في حضرة الله القدوس، فالمسكن في السماء لم يَعُد يخلو من الله قط كالمسكن الأرضي الذي كان صورة من على بُعد، ومثالاً مهزوزاً للغاية لمجد حضرة الله في الأعالي، حيث يتراءى القديسون أمامه «وفي أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (رؤ١٤: ٥)، «ثم بعد هذا نظرتُ وإذا قد انفتح هيكل خيمة τῆς σκηνῆς الشهادة في السماء.» (رؤ١٥: ٥)

ولقد أُعطي لنا أن نتكلّم بهذه الاصطلاحات التي وُضعت مبدئياً لوصف المسكن والخيمة الأرضية وذلك على أساس صادق أنها كانت مثالاً وصورة وشبهاً للحقيقة. فإن تساوت الأسماء بين أماكن الخدمة على الأرض والتي في السماء، إلاّ أن الحقيقة التي تفرّق وتفصل بين الاثنين هائلة كالفرق بين الحقيقة والشبه أو الواقع الإلهي والرمز الإنساني.

على أن خيمة السماء أو المسكن الحقيقي الذي يخدم فيه المسيح هو تعبير محدود لواقع إلهي غير محدود، حيث حضرة الله التي تملأ الوجود غير المنظور. والمسيح بخدمته يعني أنه يعلن حقيقة الله للإنسان، ويقرّب الإنسان إلى الله، وبذبيحة كفّارة نفسه كرئيس كهنة يخدم الحب والمصالحة والتبني ورضا الله، ويمنح برّه بدمه!! أعمال لا تحدّها حدود ولا يحصرها وجود.

هذه الخيمة أو المسكن السمائي تحوي الحقائق التي كانت تمر عليها الطقوس الأرضية كرموز. ولكن الذي يهمنا منها الآن هو الرب يسوع المسيح الذي يتراءى في القدس السمائي «ككاهن ذبيحة»، وذبيحته هي جسده، ودمه عليه يتقطّر: «خروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ٥: ٦). وعلى جسد ذبيحته يحمل خطايا كل العالم كرئيس كهنة فوق العادة.

فهنا قول الآية: «خادماً الأقداس والمسكن الحقيقي» لا يأتي من تصوُّر أو فراغ؛ فالمسيح الذي صعد إلى السماء بجسده المذبوح وجروحه عليه التي أراها علناً للتلاميذ ولمساً بالأصبع لتوما، أوضح بكل قوة وتعبير استعلائي أنه رئيس كهنة بكل حق وحقيقة، وذبيحته المذبوحة على الصليب ذبيحة حقة بكل حق ويقين. ومن هنا صار دخوله إلى السماء هو دخول واقعي لهيكل سمائي وأقداس ومسكن جديد هائل لا يُحدُّ ولا يُقاس، لأن الله فيه ويملأه. فإن كانت الأيدي البشرية هي التي نصبت خيمة الشهادة على أرض سيناء، فالذي نصب المسكن السمائي حيث يجتمع الله بمفديه الصالحين من كل أنحاء الأرض، هو «الرب» يسوع المسيح، لأن الهيكل السمائي هو نحن: «وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتةً إلى النهاية» (عب٣:٦). فالمسيح بتجسده عيَّن نوع المسكن الذي سيكون؛ وبذبيحة نفسه على الصليب، عيَّن مادة المِسْحة والتقديس؛ وبموته، نقض الخيمة الأرضية بأعمدتها وسُجُفها؛ وبقيامته، أصعدها إلى السموات جديدة ممتدة بامتداد لاهوته، فأحيها الله ووضعها في يمينه لتشترك معه في المجد والعظمة.

ويلاحظ القارىء المدقِّق أن الخيمة الأرضية كانت تسمى المسكن المقدس أو الأقداس، ولكن لم يُعرف ولم يُقال عنها قط أنها ἀληθινή أي حقيقية. هنا امتياز كل العبادة الجديدة، فكل ما فيها حقيقي.

لذلك نسمع هنا أن المسيح هو خادم الأقداس والمسكن الحقيقي، أما رئيس كهنة العهد القديم فكان خادم الأقداس التي كانت ظل الأشياء العتيدة، ولم تكن حقيقية بجوهرها.

ولكن الذي يتطلب منا مزيداً من التعمُّق والتأمُّل والاستعلان معاً هو أن الخيمة الأرضية صُنعت على مثال الحقيقة الكائنة في السماء. والسؤال الآن: كيف هذا، والمسيح لم يكن قد استُعلن بعد ولا ذُبح ولا مات ولا قام ولا صنع بجسده ومؤمنيه هذا الهيكل السمائي العجيب؟

ولكن لن نتعب كثيراً للوصول إلى كل الحقيقة. ففي قول الوحي ما يكفي: «يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رو٤:١٧)، لأن الوجود الحقيقي يسبق الوجود الشبه، و«الأرشي تايب» Archetype ἀρχέτυπος (أي الأصل) قائم قبل أن يقوم «التايب» Type τύπος (أي المثال). وهكذا فالرب كان قائماً في البدء: «في البدء كان الكلمة» (يو١:١)، قبل أن يكون هارون أو حتى ملكي صادق.

وقد شرحها بولس الرسول في آية قادمة: «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات

العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيدٍ **أي الذي ليس من هذه الخليقة ...»** (عب٩: ١١)

٢ — (٨: ٣و٤):

٣:٨ **«لأن كلَّ رئيسِ كهنةٍ يُقامُ لكي يقدِّمَ قرابينَ وذبائحَ. فمِنْ ثمَّ يلزمُ أن يكونَ لهذا أيضاً شيءٌ يقدِّمُه».**

هنا في هذه الآية يتعرَّض بولس الرسول لكلمة «خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي»، أي وظيفة المسيح الكهنوتية في السماء في المسكن الحقيقي. فيقول إن رؤساء الكهنة في طقس كهنوت لاوي كانوا يُقامون على أساس تقديم قرابين وذبائح (حيوانية) بالطبع، الأمر الذي سيشرحه بعد ذلك في الآية (٩: ١٢). فبهذه القرابين والذبائح يدخل رئيسُ الكهنة بدمها إلى الأقداس الأرضية ليكمِّل الكفَّارة.

والآن إذ قد عرفنا وتيقنَّا أن المسيح الرب تعيَّن بالفعل ومنذ الأزل أن يكون رئيس كهنة على طقس ملكي صادق، كما أعلن الوحي في المزمور على لسان داود النبي، وأيضاً إذ نقول إنه «الآن» يخدم الأقداس والمسكن الحقيقي في السماء، فمن ثمَّ أو بالضرورة يتحتَّم أن يكون له شيء يقدِّمه عن الشعب الذي له أمام الرب.

٤:٨ **«فإنه لو كانَ على الأرضِ لمَا كان كاهناً إذْ يوجدُ الكهنةُ الذين يقدِّمُون قرابينَ حَسَبَ الناموسِ».**

انظر وافهم أيها القارىء العزيز لأن هذه الآية أصبحت لغزاً عند العلماء والمفسرين، وكلٌّ يفسِّر حسب فكره. ولكن الحقيقة هنا واضحة لا لَبْس فيها. فمعروف أن المسيح يأتي من سبط يهوذا. وحسب الناموس وكل الطقوس المشروعة والمنفَّذة في ذلك الوقت — أي وقت كتابة هذه الرسالة — أي في القرن الأول المسيحي، لم يكن لسبط يهوذا علاقة بالكهنوت. إذاً، لو فرضنا أن المسيح يخدم الآن الأقداس الأرضية لامتنع ذلك بالقانون وحسب الناموس وكل الطقوس، ولم يكن لذلك أيضاً من داعٍ لأن الكهنة موجودون ويخدمون الكفَّارة حسب الأصول والناموس بمقتضى الزمن والجسد. وهذا معناه أمران أساسيان: الأول أن المسيح يتحتَّم أن يخدم المسكن والأقداس العليا إن كان رئيس كهنة بالفعل، وهو كذلك بقَسَم من الله. والثاني أن لا تكون تقدمته

حيوانات ميتة بل ذبيحة مقدّسة بقُدْس مُقدِّمها وبقدس السماء والهيكل الذي تُقدِّم فيه.

فلو فرضنا أن المسيح وهو رئيس كهنة على طقس ملكي صادق خدم على الأرض بذبيحته المقدّسة السمائية هذه، يتحتّم أن يخدم ذلك إلى الأبد، لأن هذه هي طبيعة ذبيحته وهذا طقسه، وتحتّم بالتالي أن يبقى الإنسان على الأرض إلى الأبد بمقتضى فعل ذبيحة المسيح هذه حيًّا ومقدّساً، وهذا لا تجيزه طبيعة الإنسان، لذلك تحتّم أن تتغير طبيعة الإنسان لتتوافق مع أبدية المسيح وذبيحته. ولهذا لزم أن يخلع الإنسان طبيعته الأرضية ويأخذ الجديدة السماوية، ليستمتع بالمسيح وذبيحته، ويفرح فرح الله ويدوم فرحه.

٣ ــ (٨: ٥و٦):

٨: ٥ «الذين يخدِمُونَ شِبْهَ السَّمويات وظِلَّهَا كما أُوحيَ إلى موسى وهو مُزمِعٌ أن يصنعَ المَسكنَ. لأنه قالَ آنظُرْ أن تصنَعَ كلَّ شيءٍ حسبَ المِثالِ الذي أُظهِرَ لك في الجبلِ».

لو تتبعنا مراحل انتقال الشرح والتوضيح الذي سار عليه بولس الرسول، فإننا نجد أن الأصحاح الثامن جاء تعقيباً وشرحاً لآية أوردها في الأصحاح السابع تقول: «لأنه كان **يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا** قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة (الأرض) وصار أعلى من السموات» (عب٧: ٢٦). من هنا ابتدأ يفحص هذه المعلومة الهامة مبتدئاً بالقول: «أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات (وصار) خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب٨: ١و٢)

وهنا ابتدأ ق. بولس يستعرض فكراً جديداً إذ يقول إن المسيح ليس فقط هو رئيس الكهنة المثالي، ولكنه أيضاً يمارس خدمة رئاسة كهنوته المبارك ليس على الأرض ولكن في الهيكل المثالي في السموات.

وهكذا كما استطاع بولس الرسول مبتدئاً بالكهنوت اللاوي وملكي صادق أن يرى في المسيح رئيس الكهنة المثالي الذي يخدم الأقداس العليا في السموات، هكذا ابتدأ أيضاً يرى نفس هذه الأقداس العليا في السموات مبتدئاً من الأقداس التي على الأرض.

لأنه كما أن الكهنوت اللاوي من هارون ولاوي والأجيال من بعده لا يعطي إلَّا صورة باهتة

ومجرَّد مثال لكهنوت دائم وأبدي وروحي وفي السموات، قائماً في شخص الرب يسوع؛ هكذا الأقداس الأرضية والمسكن حيث الله مع الناس، وكل ما يشمله على الأرض، هو أيضاً لا يعطي أبداً إلاَّ صورة باهتة لحقيقة وجود الله مع شعبه المفدي في السموات، في أقداس فائقة الوصف ومسكن لا يبلغه العقل حيث يملأه الله ملء كل ملء.

هذه هي الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الله لا إنسان!!

وكما أثبت بولس الرسول صدق استعلانه عن المسيح كرئيس كهنة قائم ودائم إلى الأبد، **بالقَسَم** الذي أقسم الله به في الرؤيا التي رآها داود عن الآتي، ليحلّ في ملوكيته من بعده، أن يكون كاهناً على طقس ملكي صادق إلى الأبد، هكذا التجأ بولس الرسول إلى ما قاله الله لموسى وهو مزمع أن يكمّل صُنْع خيمة الاجتماع بعد أن أخذ أوصافها ومقاساتها: «لأنه قال **انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أُظهِرَ لك في الجبل.**» (عب٨:٥)

لقد التقط بولس الرسول هذا القول من فم الله ليستعلن ما وراءه. فالمثال τύπος الذي أظهره الله لموسى، وهو لم يكن إلاَّ نموذجاً محدوداً ومصغَّراً للغاية بل وناقصاً نقصاً شديداً، وهذا شأن كل τύπος الشبه بالنسبة إلى أصله وهو الأرشي تيبوس ἀρχέτυπος ؛ فالذي رآه موسى هو المثال المادي مصوَّراً في ذهنه حسب الرؤيا. أما الأرشي تيبوس فهو الذي استوحى الله منه هذا التصغير والتجسيد الذي وضعه في ذهن موسى. وقد بدا لبعض الشُرَّاح أن موسى رأى الأصل، أي السموات عينها، وهذا مُحال المحال لأن المسكن السماوي أو الأقداس العليا التي يجتمع فيها الله مع الناس حيث يخدم الوساطة الرب يسوع كرئيس كهنة بذبيحة نفسه ــ هي «الأليثيا» = الحق ــ ولم تكن قد تم تصويرها. فالمسيح لم يكن قد تجسَّد ولا تعيَّن رئيس كهنة لتقديم كفَّارة لأجل العالم بدمه، الأمر الذي أكمل على الصليب. نعم كانت **في ذهن الله قائمة** ــ شأن كل «أليثيا» ــ أمَّا لدى موسى فلم تكن إلاَّ على صورة نبوَّة كمثال أو كرمز، كلغز في مرآة. ولكنه أجاد الرؤيا وأجاد التصوير والصنع، فصنع خيمة الشهادة. وما أعظم ما صنع حقاً، لأن الذي صنعه حلّ الله فيه بالفعل وقدَّس شعبه بحلوله. فالمثال أي خيمة الشهادة لم تكن خيالاً، بل فيها حقيقة ولكن حقيقة تصلح للأرض والأرضيين ولا تصلح للسماء والبقاء والخلود.

أما الحيوانات التي كانت تُقدَّم فيها بالآلاف، وهي تصرخ إذ تُذبح، فكانت تعبِّر في صراخها الصامت الذي يرتفع متألماً ثم يخبو وسرعان ما يزول، عن أنين الآلام الذي قدَّمه شفيع البشرية الذي ارتفع حتى أعلى السموات وسُمع أنينه وتسجَّل لحساب كل الخطاة ليمسح دموعهم ويرفع عن

كاهلهم الحزن والكآبة والتنهد. وتبقى ذبيحة ناطقة حيّة حياة الله تشفع في المذنبين إلى أبد الآبدين. لقد كان تصويراً رائعاً حقاً في ظلال، ولكن لم يكن يليق إلاَّ للترابيين، أما في السموات فبخدمة أفضل ولحياة أفضل تتجلى فيها حقائق الله كلها بلا تشبيه أو مثال.

٨: ٦ «ولكنّه الآن قد حَصَلَ على خِدمةٍ أفضلَ بمقدارِ ما هو وسيطٌ أيضاً لعَهْدٍ أعظَمَ قد تثبّتَ على مواعيدَ أفضلَ».

والمعنى هو: والحادث الآن، أو ما هو حاصل وواقع، أن عهداً أفضل قد تثبّت بواسطة المسيح هو فيه وسيطٌ أفضل، بخدمة أفضل، لأنه تثبّت على مواعيد أفضل.

وواضح أن الأفضليات كلها من خدمة أفضل ووساطة أفضل، إنما هي نتيجة حتمية للعهد الأعظم. فالأمر الذي يركِّز عليه بولس الرسول هنا هو «العهد الجديد» الذي سيستطرد في وصفه عن إرميا النبي.

«ولكنه الآن»: νυνὶ δέ

في ترتيب الكلام وبحسب منطق الكلام، نجده يذكر في هذه الآية وفي الأول **«ولكن الآن»** = νυνὶ δέ، أي فيما يخص المسيح وهو في السماء الآن، في مقابل ما جاء في الآية الرابعة (٨: ٤): **«فإنه لو كان»** εἰ μὲν γὰρ ἦν، فيما يخص المسيح لو كان على الأرض. أي لو كان المسيح على الأرض لما كان كاهناً؛ أمّا الآن، وقد حصل على خدمة أفضل من تقديم ذبائح أرضية، فهو وسيطٌ أفضل لعهدٍ أعظم.

«خدمة أفضل»: διαφορωτέρας

لذلك في قوله: «حصل على خدمة **أفضل**» διαφορωτέρας فهي تُقابل وتردُّ على ما جاء في الآية (٨: ٤) في جملته وهو: «فإنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً».

وبذلك ينبِّه بولس الرسول على ما سبق وقاله إنه صار «خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نَصَبه الرب لا إنسان.» (عب٨: ٢)

ويلزم أن نفهم أن كلمة **«أفضل»** هنا لا تضع العهدين أو النظامين على مستوى واحد يتفاضل فيه الواحد على الآخر، ولكن على أساس أن العهد الجديد هو **«أعظم»** بخدماته، وهو عهد آخر تماماً: «فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأي ناموس. أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس

الإيمان» (رو٣: ٢٧)، «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر (الذاتي) لم يدرك ناموس البر (الحقيقي).» (رو٩: ٣١)

والرسالة تعود وتصف الناموس الجديد في الآية (٨: ١٠): «لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً». وهنا يبدأ قول بولس الرسول يظهر في أول الآية: «ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل»، يظهر بوضوح لأن مفردات العهد الجديد لا يمكن مقارنتها بالقديم وأهمها وأكثرها خطورة هو ما قاله ق. بولس بعد ذلك عن إرميا النبي بفم الله: «لأني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد» (عب٨: ١٢)؛ الأمر الذي وقف أمامه الناموس القديم بأجمعه والكهنوت اللاوي بكل أدواته وذبائحه عاجزاً يائساً: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣)، «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كلُّ مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به (ولم يثبت فيه أحد).» (غل٣: ١٠) إذاً، الناموس لم يرفع اللعنة الأولى بل ثبَّتها.

«وسيطٌ أيضاً لعهدٍ أعظم»:

موسى كان وسيطاً بين الله وإسرائيل في إعطاء الناموس «فلماذا الناموس؟ — قد زيد بسبب التعديات — إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له مُرتَّباً بملائكة في يد وسيط» (غل٣: ١٩). ولكن المسيح وهو رئيس كهنة هو الوسيط للعهد الجديد، جامعاً في وساطته كل ما لموسى وهارون معاً.

وهذا قد نوَّه عنه سابقاً: «من ثمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب٣: ١)

وعلى القارىء في هذا المجال أن يوازن بين وساطة موسى من داخل الناموس كخادم الناموس لإسرائيل، وبين وساطة المسيح وقد تجسَّد فصار حقاً وبالفعل وسيطاً بين الله والخليقة كلها.

وإذا نظرنا إلى الناموس الجديد الأعظم، نجد أن عظمته هي بقدر ما وعد به. فمواعيده ليست فقط أنها تغطي حاجة الإنسان في تغرُّبه على الأرض من جهة ضميره الممزَّق بالخطايا والعقوبات، بل هي ترافق الإنسان وتسنده وترفعه حتى أعلى السموات، لينال بالمسيح ما لا تستطيع أن تحقِّقه الملائكة من مثال:

+ «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.» (أف٢: ٦)

ب ـ العهد الجديد
[٨ : ٧ ـ ١٣]

٨:٧ «فإنه لو كان ذلك الأَوَّلُ بلا عيبٍ لما طُلِبَ موضعٌ لثانٍ».

بمعنى أنه لو كان الناموس والكهنوت اللاوي قد أكمل القصد الذي من أجله وُضع، لما صارت الحاجة إلى غيره. وهذا يشمل بالضرورة ناحيتين: الأُولى، قصور الناموس عن أن يغطي عجز الشعب، وعجز الشعب عن أن يكمل مقاصد الناموس وأهدافه الحقيقية. لأن ليس الناموس وحده الملوم بل هم أيضاً: «لأنه يقول لهم لائماً» (٨:٨). فاللوم الذي وقع عليهم إذا لم يكن الناموس نفسه متسبباً فيه أيضاً بنصيبه في العجز، لكان التغيير يقع على الشعب وحده. ولكن الآن وقد ثبت عجز هذا وذاك، فتحتَّم أن يُطلب ناموس آخر يستطيع أن يغطي عجز الشعب ويتلافى النقص الذي تسبَّب في عدم نفعه.

«لَمَا طُلب موضع لثانٍ»:

هنا شرح مبدع لكلمة «موضع»، فالمراد بالموضع ليس المكان ولا المكانة ولكن هو «القلب»، قلب الشعب الذي لم يلتقط شيئاً من الناموس الأول، ولا الناموس ترك عليه أي أثر. هذا ما رآه الله واهتم به. فأقصى ما يريده الله من الإنسان هو قلبه: «يا ابني أعطني قلبك، ولتُلاحظ عيناك طرقي.» (أم٢٣:٢٦)

لهذا نقرأ أن الله صمَّم ناموساً آخر تكون لكلماته القدرة أن تُنقش على القلب وليس الحجر كالناموس الأول: «أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم ...» (٨:١٠). الأول نُقش على الحجر ووُضع في تابوت، أما الثاني فنُقش على القلب ووُضع في الأذهان. لهذا يهتف الكاهن في القداس: [ارفعوا قلوبكم. فيرد الشعب: هي عند الرب].

٨:٨ «لأنه يقولُ لهم لائماً هوذا أيامٌ تأتي يقولُ الربُّ حينَ أُكمِّلُ مع بيتِ إسرائيلَ ومع بيتِ يهوذا عهداً جديداً».

«لائماً»: μεμφόμενος

هذه الكلمة جاءت هنا توضِّح مثيلتها في الآية السابقة: «لو كان ذلك الأول بلا عيب»، أو

بلا لوم ἄμεμπτος . وضح هنا أن الرب يلوم الشعب، كما سبق الوحي واعتبر أن الناموس نفسه كان ملوماً. فالعجز والقصور قد اشترك فيه القانون ومنفِّذه. والكلام الصادر من الله هنا في النبوَّة واقع على أصحاب الناموس الأول أولئك.

«هوذا»: ἰδοὺ

ترجمتها الأصح هي «انظروا»، لتعني ارفعوا أعينكم وقلوبكم، كدعوة من الله لهؤلاء العائشين بالعيب تحت ناموس لم يستطع أن يرفعهم فوق هذا العيب، حتى يمتدوا بأفكارهم وآمالهم لانتظار تغييرٍ عظيمٍ وهائلٍ يتم في وقته وزمانه حتى يكونوا معه على ميعاد ويثير فيهم حاسة الترقُّب والانتظار برجاء الآتي:

+ «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه، وأقام لنا قرن خلاصٍ في بيت داود فتاه. **كما تكلَّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر** ... ليصنع رحمة مع آبائنا **ويذكر عهده المقدَّس.** القَسَم الذي حلف لإبراهيم أبينا ...» (لو١: ٦٧—٧٣)
+ «وكانت نبيَّةٌ حنَّةُ ... فهي في تلك الساعة وقفت تسبِّح الرب وتكلَّمت عنه مع جميع **المنتظرين فداءً** في أورشليم.» (لو٢: ٣٦—٣٨)

نعم، لمثل هذه القلوب الحسَّاسة والنفوس الواعية الرائية تكلَّم الرب وتكلَّم فما خابت كلماته، بل أصابت وعي هؤلاء الصائمين الساهرين العابدين المنتظرين خلاصاً وهم يئنُّون تحت ثقل الخطايا ...، إلى أن وُلِد المسيح بين أيديهم (سمعان الشيخ) وأمام أعينهم (حنَّة النبية)، **فعرفوه** في المهد مخلِّصاً وفادياً، «عينيَّ قد أبصرتا خلاصك.» (لو٢: ٣٠)

«هوذا أيام تأتي»:

بولس الرسول هنا يتتبع إرميا النبي في قمة تجلِّيه وهو ينطق بالوحي عن الأيام الآتية، ولكنه كان وقتها في قاع محنة إسرائيل. وإرميا النبي عندما نظر تلك الأيام الأخيرة الآتية، رآها مدموغة بأمَرِّ التجارب والدينونة، حيث في ختامها يتأسس العهد الإلهي المقدَّس بعظمته.

وعندما نطق إرميا بنبوَّته هذه، كان بعض الشعب المنقسم (يهوذا) يتهيأ للوقوع في السبي القادم وبعضه كان واقعاً في السبي (إسرائيل). ولكن إرميا كان يرى الشعب قادماً معاً من السبي ليتهيأ لقبول العهد الجديد حيث تتحد المملكة ويزول الانقسام.

ويُلاحظ أن بولس الرسول هنا في هذه الرسالة، لم ينسب الكلام لإرميا، بل طرحه كما هو

باعتباره كلام يهوه مباشرة. فالضمائر الشخصية تدمغ الكلام بشخص الله نفسه بصورة جليلة: «أنا»، «وأكمِّل»، «عَمِلْتُه»، «أمسكتُ بيدهم»، «عهدي»، «وأنا أهملتُهم»، «أَعْهَدُهُ»، «أجعل»، «وأكتبها»، «وأنا أكون لهم إلهاً»، «تكونون لي شعباً». وهي بنفس صيغة الرؤيا التي رآها إشعياء (أصحاح ٤٣) وحزقيال (١٦: ٦٠—٦٢).

«أكمِّل مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا»:

هذه أُولى سمات العهد الجديد المتّسعة والعظيمة، المسالمة والموحدة، فالعهد سيكون إيذاناً بالمصالحة، إسرائيل مع يهوذا، تمهيداً لخروج الأسد من السبط الملكي المُعَدّ، ودخول الأمم لإعلان ملوكية المسيَّا على كل ملوك الأرض: «قال لها يسوع يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب.» (يو٤: ٢١)

«عهداً جديداً»: διαθήκην καινήν

توجد كلمتان للتعبير عن الجديد καινός, νέος (١). أمّا الأولى «نيوس» فهي تعبير عن ما هو حديث الوجود في كيانه الذاتي، بحيث إنه لم يكن موجوداً إلاَّ حالاً؛ لكن الثانية «كينوس» تفيد ما هو **جديد في نوعيته بالنسبة لما سبقه**، باعتباره جديداً في عمله وتأثيره: «ولا يجعلون خمراً جديدة = νέον (أي حديثة الوجود) **في زقاق عتيقة** ... بل يجعلون خمراً جديدة νέον **في زقاق جديدة** = καινούς (أي نوعها جديد).» (مت٩: ١٧)

وقد استخدمها بولس الرسول ليفيد بها تجديد الإنسان هكذا:

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق ... ولَبِسْتُم **الجديد** νέον (أي حديث الوجود) **الذي يتجدد** ἀνακαινούμενον (أي يتجدد في نوعيته) للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ٩و١٠)

+ «... وتلبسوا الإنسان **الجديد** καινόν المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف٤: ٢٤)

وواضح من هذا التحليل اللغوي أن كلمة الجديد καινός في العهد الجديد تعني تماماً: «تجديد الخلقة»، كما جاءت بوضوح وبلاغة قوية في تعبير سفر الرؤيا: «وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديداً καινά ...» (رؤ٢١: ٥)

ولم تأتِ هذه الكلمة عفوياً بل كانت مدروسة وذات اعتبار لكل مَنْ يستخدمها مثل: «إذاً،

---

1. Westcott, *op. cit.*, p. 221.

إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة καινὴ κτίσις ...» (٢كو٥:١٧)

٨: ٩ **«لا كالعَهْدِ الذي عَمِلْتُه مع آبائهم يومَ أمسكتُ بيَدِهِم لأخرجَهم من أرض مصر، لأنهم لم يَثْبُتوا في عَهْدِي وأنا أهملتُهم، يقولُ الربُّ».**

وهكذا ابتدأ الرب يشرح صفات ذلك العهد العظيم بعد أن وصف اتساعه ليشمل يهوذا وإسرائيل معاً في الآية السابقة مبتدئاً بما هو غير موجود في العهد القديم. فهو ليس على نظام أو عيِّنة العهد الذي صنعه لهم عند خروجهم من أرض مصر. إذاً، فالعهد الجديد ليس عهداً ثانياً آخر ولكنه بالأساس مختلفٌ كل الاختلاف.

«الذي عملتُه مع آبائهم»:

الرب يتكلَّم هنا عن اتساع قلبه وطول أناته، فقد سبق أن عمل لهم شيئاً ليعبِّر به عن حبه لهم وسماه **«عهداً»**. وطبعاً هو يلتزم به مهما كانوا هم غير أمناء عليه، وهذا القول يطابق في مشاعره ومبناه القول الذي سبق في الآية السالفة: «**أُكمِّل** مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً» (عب٨:٨). فهناك كان عهد محبة خاصة لهم؛ وهنا عهد محبة خاصة وعامة وكلية بآن واحد.

فالرب هو الذي اصطنع هذه الاصطلاحات، ليعبِّر بها وبدقة عمَّا يشعر به ويُضْمره من جهة الإنسان، وواضح من قول الرب: «يوم أمسكتُ بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر» مدى لطفه وإشفاقه وعنايته الأبوية لشعب أذِل وسُخِّر وأُهين وهو يحمل اسمه العظيم. فالعهد الأول عهد محبة، عهد خلاص من محنة عبودية الجسد؛ أما الثاني فهو أعلى وأسمى وأعظم لأنه عهد خلاص من محنة عبودية القلب والفكر والروح تحت الخطية وظلم إبليس. فإن كان الأول عهد محبة خاصة لهم على مستوى حياتهم وسلامتهم الجسدية، فالثاني عهد حب متدفِّق على العالم كله للارتقاء بالإنسان إلى خليقة أخرى روحانية، يكون موطنها لا أرض كنعان الضيقة، بل السماء بطولها وعرضها وامتدادها حتى الأبد. هناك حيث ينتهي المكان والزمان في الله: «الملاك الذي رأيته واقفاً على البحر وعلى الأرض رفع يده إلى السماء وأقسم بالحي إلى أبد الآبدين... أن لا يكون زمان بعد.» (رؤ١٠:٥و٦)

«لأُخرجهم من أرض مصر»:

لقد ارتبط زمن العهد بالقصد في إنشاء شعب خاص، والخروج هنا حتمي فهو عَزْلُ الخاص عن العام، الذي هو بدء الطاهر والنجس والمقدَّس والدنس. فالخاص لله ــ شعباً كان أو إنساناً أو عملاً أو شيئاً ــ هو قدسٌ لله، فهو مقدَّس؛ والذي ليس خاصاً لله فهو النجس والدنس، كقانون

عام في المفهوم العبراني.

والخروج من مصر كان هو بمثابة الدخول في العهد. فالذين عادوا بقلوبهم وفكرهم إلى مصر، خرجوا من العهد وحُرموا من أن يدخلوا راحة الله، ذلك بكل الحزم، وبالقَسَم! فبقدر ما كان خروجهم عجيباً، كانت عودتهم بالقلب والنيّة كارثةً وحَنْثاً ولعنةً. وهكذا صارت قاعدة لا إخلال بها أن كلّ مَنْ ذاق عجائب الله وعاشها، إن هو ارتدّ، لا تكون له توبة ولا عودة.

وقد صار مطلب الله دائماً هو الخروج من وسط العالم والاعتزال عن شروره: «اخرجوا من وسطهم واعتزلوا، يقول الرب، ... فأقبلكم» (٢كو٦: ١٧). هكذا: «خرج إبراهيم وهو لا يعلم إلى أين يذهب» (عب١١: ٨)، فدخل في عهد الله ووعده، ونال البركة ونالت كل الأمم فيه. وهكذا خرج أنطونيوس العجيب من العالم حيًّا قبل أن يُخرجوه كأبيه الميت عُنوةً، فخرجت وراءه أجيال من رهبان وراهبات ونالوا الشهادة دون سفك دم، والذين ارتدّوا لا تُسرُّ بهم نفسي (عب١٠: ٣٨). «(هؤلاء) ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم.» (يو١٧: ١٤)

وعلى هذا النمط اختيرت الكنيسة من العالم، ودخلت كعروس العهد والوعد، وزُفّت للمصلوب، فصُلبت معه للعالم، وصَلَبت هي العالم لنفسها، فكان خروجها موتاً حقيقياً لحياة أبدية، وخروجاً أعظم خروج:

+ «وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من أشور، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر.» (إش١١: ١٦)
+ وأيضاً: «وأنا الرب إلهك من أرض مصر حتى أُسكنك الخيام كأيام المَوْسِم.» (هو١٢: ٩)
+ وأيضاً: «وأنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواي لست تعرف ولا مخلّص غيري.» (هو١٣: ٤)

«لأنهم لم يثبتوا في عهدي»:

الكلام في ذلك كثير، والشهادة ضدهم من كل نبي، ويكفينا كل ما قاله إرميا ضدهم.

«وأنا أهملتُهم يقول الرب»:

الفعل «أهملتُهم» جاء في الأصل العبري في صيغة الفعل «بَعَل» فيكون المعنى: «مع أني كنتُ لهم ربًّا» أو «مع أني كنتُ عريساً لهم». ولكن في الترجمة السريانية وفي اللغة العربية القديمة جداً جاء تفسير الفعل «بَعَل» بمعنى «وأنا أهملتُهم» أو «وأنا لم أسرُّ بهم» أو «وأنا مللت نفسي منهم». وهذا يقرره العلماء مثل وستكوت(٢) أنه الأقرب إلى مجرى النص ومعناه.

---

2. Westcott, *op. cit.*, p. 241.

ولو نحن عدنا إلى واقع إسرائيل من بعد نبوّة إرميا هذه، فإننا نستطيع بالفعل أن الرب أهمل إسرائيل إهمالاً بيّناً بائناً، زاد وطال فانقطع الرجاء في أي إصلاح أو تغيير، حتى تم الموعد وأُجليت إسرائيل عن مكانتها الخاصة ونُحيت عن أن تكون المتميِّزة بناموس خاص: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب١٠: ٣١)

وهنا يأخذ قانون الوحي الإلهي مجراه الذي جاء على فم النبي.

اسمع:

+ «الربُّ معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يُوجد لكم، وإن تركتموه يترككم.» (٢أي١٥: ٢)

وهذا هو في الحقيقة روح العهد سواء كان قديماً على يدي موسى أو حديثاً حيّاً على دم المسيح، والعهد الذي يعمله الله مع الإنسان هو دائماً غير متكافىء من كافة الوجوه وفي كل البنود. لأن على كل حال وبالرغم من كل عجز وقصور، فالله دائماً هو الذي يعطي والإنسان هو الآخذ دائماً! فحتى لو أعطى الإنسان شيئاً مما له، فهو أصلاً ودائماً ليس له، بل هو لله ومنه، سواء صحة أو وقتاً أو مالاً أو عيالاً أو حقولاً أو بيوتاً فهذه كلها منه، فإذا أعطيت لله كُلاًّ أو جزءاً فهي منه وله: «من يدك أعطيناك» (١أي٢٩: ١٤)، «الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مُبارَكاً.» (أي١: ٢١)

وبحسب ما سمعنا من فم المسيح، فهو لا يكافىء العطية بالعطية، بل لا يتنازل حتى يضاعفها لنا مائة مرة!! (مر١٠: ٣٠)

إذاً، أصبح إهمال حق الله عندنا معناه لا محالة ضياع ما لنا، كل ما لنا، أرضاً ومالاً وعيالاً! إذاً فإهمال الله، إنْ لشعب إسرائيل أو لأيٍّ منّا، معناه أننا أهملنا حقه بل أهملنا وِدَّه، وقطعنا الصلاة بل قطعنا الصلات، بل أكلنا الحقوق وقدّمنا العقوق وخُنّا العهد.

كان الرب في القديم يؤدِّب بضرب العصا، بالجوع والوبأ وبالسبي وحرق الديار. ولكن في المسيح يسوع، وفي عهد الحب والبر والمجد والتجديد، يعاقب المسيح بالروح. فقد يتركك تملك الأموال بل البنوك، تملك رضا الناس بل ورضا الملوك، يجري العبيد في خدمتك، بل يلحس الأسياد التراب من تحت رجليك، تقول فيكون، والكل يقول نعم، وتغضب فتهتز عتبات الشركات والبنوك من غضبك؛ ولكن حينما ينتهي مُلْكُ العالم لا تجد لك في مُلْكِ الروح شيئاً، تنظر وراءك فلا تجد في كل ما ملكت مسرةً؛ بل ندماً وحزناً وحسرةً. إذاً، وإن كان سهلاً في أعيننا الآن أن نهمل

حق المسيح وروحه ونتباعد وليس من يؤنّبنا، ونتجاهل وليس من يراجعنا، ونزدري بالودّ والمحبة وبصوت الدم المسفوك لأجلنا، فنحن إنما نكتب بأيدينا ونختم بأعمالنا فسخ عهدٍ كنّا فيه الرابحين!

٨ : ١٠ **«لأن هذا هو العهدُ الذي أعهدُهُ مع بيتِ إسرائيلَ بَعْدَ تلك الأيام، يقولُ الربُّ، أجعَلُ نواميسي في أذهانِهم وأكتُبُها على قلوبِهم، وأنا أكونُ لهم إلهاً وهم يكونُونَ لي شعباً».**

هنا يبدأ ليعطي الصفات الإيجابية للعهد الجديد الموعود، الذي سبق فسمّاه في الآية (٨ : ٦): **«العهد الأعظم لمواعيد أفضل»**. ويختص في هذه الآية بروحانية هذا العهد.

كان ناموس موسى في القديم يرسو على مبادىء وقواعد تختص بالسلوك الجسدي الخارجي للإنسان، ولكنه هنا يوضّح أن العهد الجديد يدخل إلى الوعي القلبي والروحي للإنسان ليستقر في أعماق قلبه ويملأ فكره وتصوّره وحياته الداخلية.

كان الناموس القديم مكتوباً على ألواح حجرية، أما هذا الجديد الروحي فيُكتب على القلوب بحفر الروح ليكوّن شخصية الإنسان تجاه الله ويشحنه بشحنة الإيمان: «ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منّا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية.» (٢كو٣: ٣)

وهكذا بهذا العهد الجديد يستدعىء استعلان الله في ذاته وفي صفاته وفي حبه ورحمته وبرّه الشخصي للإنسان، وهذا هو روح العهد الجديد وجوهره وسماته وعظمته التي لا تُحدُّ.

«العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل»:

الرب يظهر كصانع العهد وبانيه، يصنعه الآب الحاني الذي يعرف كيف يجمع أولاده في حضنه. فلما عجز إسرائيل عن أن يُدرك مقاصد الرب من الناموس الأول، صمّم الله هنا أن يستعلن ليس مقاصده وحسب بل وذاته أيضاً. فجعل مفردات عهده الجديد هي مفردات ذاته وصفاته وحبه وبذله وكماله، حتى إذا انطبعت صورته البهية على قلب الإنسان وفكره، أعادت إليه صورته الأولى وجددت خلقته وصورته بشبه الله حقاً في القداسة والحق. وأهّلته لحياة البُنوّة مع الابن الوحيد. فهو ليس عهد تهذيب وتعليم كالعهد الأول، بل عهد حب ومصالحة وقُرْبى. عهد شركة في حياة بل في مجد. عهد تبني ومسرّة وفرح واستعلان حتى إلى أعماق قلب الله:

+ «أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله، إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً ... وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات، يقول الرب القادر على كل شيء.» (٢ كو٦: ١٦—١٨)

كان العهد الأول عهد قوانين وبنود، مَنْ يفعلها يحيا بها، ومَنْ لا يفعلها يموت تحت لعنتها. أما هذا العهد الجديد، فلم يصنعه بالكلمات ولا على بنود ووصايا تُعمل، أو لا تُعمل بل صنعه بدمه المسفوك، مَنْ يشربه يحيا إلى الأبد ولا يموت، ومَنْ لا يشربه لا يرى الحياة وعليه الموت يسود.

«أعهده»: διαθήσομαι

إن استخدام نفس الاسم «عهد» لاستخراج الفعل «يعهد» منه، هو محاولة لغوية بديعة للانحصار في معنى العهد أثناء صنعه، وكأن الرب يصنع العهد من نفسه من ذاته، من دمه: «وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين» (مر١٤: ٢٤). هكذا صنعه من دمه، أسّسه على جروحه!!

«بعد تلك الأيام»:

يقصد ما سبق أن نوّه عنه في الآية(٨): «**هوذا أيام تأتي يقول الرب**»، والتي يقصد بها «الأيام الأخيرة» إنما في زمن إسرائيل — التي نوّه عليها في الآية الثانية من الأصحاح الأول بقوله: «كلّمنا في هذه **الأيام الأخيرة** في ابنه». أما هنا في قوله «**بعد تلك الأيام**»، فهو يقصد بعد أن تكمل أيام الآلام والصليب وتُستعلن النصرة بقيامة الرب من الأموات ويتجلى العهد الجديد وهو ينقطر دماً من جروح الرب الحية والمضيئة.

«أجعل نواميسي في أذهانهم»: διδούς

إن وضع هذا الجزء من الآية لغوياً في اليونانية يفيد معنى بديعاً، وكأنه يقول إني سأصنع معهم عهداً «**جاعلاً** نواميسي في أذهانهم»، مما يفيد أن هنا عملية مبالغة مقصودة بين كيفية إعطاء الناموس الذي أعطيتهم سابقاً مكتوباً بحروف وكيفية إعطائهم الناموس الجديد «جاعلاً إياه في أذهانهم»، حتى أضمن أن لا ينسوه أو لا يتناسوه، فلا يحتاجون إلى ناموسين كذبة ولا كتبة منافقين، ولا أن يتعالى أحد بعلمه ويعلّمهم، أو يتدخّل بيني وبينهم وبين روحي وروحهم وفكري وفكرهم. يعرفونني ويفهمونني كما أريدُ لهم أن يعرفوا. وأن يفهموا الكبير كالصغير، لأني أنا أضع بنفسي أقوالي في أذهانهم، وعلى قدر الذهن يكون الاستعلان والفهم. وهنا واضح غاية الوضوح تدخُّل روح الله القدوس في عملية إعطاء العهد الجديد وتعليمه وتفهيمه وتخزينه في خزانة

قلوب أتقيائه. لا في لحظة إعطائه، كناموس موسى الذي كُتب في ساعة أو بعض الساعة ثم دفنوه في «تابوت» العهد، فنسوه وتناسوه حتى أنسي ذكره. ولكن الروح القدس سيظل يقرأه على أذهان أمنائه وأتقيائه كل ساعة وكل لحظة يوقظهم به من نوم الغفلة، ويصرخ في أذهانهم لحظة التجربة. يهتف بهم في يوم الحرب وساعة المحنة ويضيء عليهم في ليل الآلام مهما طال. يمنحهم نور المعرفة، ويحكّمهم في فهم مقاصد العلي، يشرح لهم أقواله ويفسّر لهم أعماق معاني كلماته. يهدي عقولهم إلى الحق ويبثّ في أفكارهم أسراره، ويجعل ألفاظه حلوة في أفواههم، ومسرّة لأسماعهم. يجدّده في عقولهم كل صباح ويسهر عليهم معلّماً كل مساء!

«نواميسي»:

لم يقل «ناموسي» بل «نواميسي»، ليفرّق بين المحدود الزمني الضيق، والواسع الروحي المتسع المتناهي في اتساعه. فبخروجه من المفرد المنغلق على نفسه في ناموس موسى إلى الجمع الجامع كل ما في السموات والأرض، يوضّح مدى ما دخل به الرب الإله مع شعبه الجديد في عهده الجديد الذي لن يقصر عن أن يكمّل الإنسان بكل الكمال المسيحي الذي يُرضيه أمامه، والذي لن يني ولن يفتأ حتى يبلغ بالإنسان إلى كل ملء الله. فإن تجرأ أحد وقال «في غباوة» (٢كو١١:١٧)، أنه «بحسب البر الذي في الناموس بلا لوم» (في٣:٦)، ففي العهد الجديد مَنْ ذا يقيس نواميس ذاك الذي جمع في نفسه كل ما في السموات وعلى الأرض، الذي بعد أن أكمل تطهير خطايا كل الأرض بدمه، صعد إلى أعلى السموات ليملأ الكل بملئه الذي يملأ الكل في الكل؛ حتى أصبحت نواميسه التي كان لا يجرؤ فكر بشر أن يقترب إليها، تملأ أفكار البسطاء حتى الأطفال «وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء **وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرّة أمامك.**» (لو١٠:٢١)

«وأكتبها على قلوبهم»: ἐπὶ καρδίας αὐτῶν ἐπιγράψω

جاءت في اليونانية في المستقبل **«سأكتبها»** وذلك ليزيد المعنى تأكيداً.

رأينا في قوله: «أجعل نواميسي في أذهانهم» كيف يكشف الرب عن صلته وتسلّطه في عهده الجديد على فكر الإنسان، الفكر الواعي، المتحرّك والمتنقّل من ميدان إلى ميدان، باتساع كل مُدركات الإنسان، الذي هو إن لم يُقتاد القيادة الحكيمة ولم يُضبط بالانضباط القادر القوّام، صار كقارب تتقاذفه أمواج محيط العالم الذي لا يقرّ له قرار. ولكن شكراً لله الذي صار قائماً قوّاماً على أفكارنا بطرح نواميسه عليها فتصير نواميسه أفكارنا: «أما نحن فلنا فكر المسيح»!! (١كو٢:١٦)

ثم قوله: «**أكتُبُها على قلوبهم**»، فهنا يمسك بالجانب الآخر والأشد تسلطاً على حركات الإنسان ومصيره وهو القلب مركز الشعور والأحاسيس والعواطف، بل والمسيطر على الأخلاق والصفات والسلوك.

هنا يزيد الرب من فعالية عهده الجديد في تكوين الإنسان، فإن كان الله «**يوجد**» في الفكر حتى يطبع الفكر بفكره عن قناعة وتعليم وترغيب، فهنا ليس فقط «**يوجد**»، بل وأيضاً «**يكتب**»، يكتب بإصبعه الإلهي الخلاّق لينقش على القلب، لا كلماته بل حبه ولطفه وإيناسه ومشاعره الرقيقة جداً، كطبعة القلب على القلب وحديث القلب للقلب. هكذا كتب وهكذا عبّر وأحبّ وحدّث، فأسر القلوب أسراً واستبدّ بمشاعرنا استبداداً، فأنْسانا العالم والذات والأهل والصُّحبى، وما بقي إلّا اسمه المعبود ووجهه ذو الجلال.

«وأكون لهم إلهاً»:

صحيح أن هذا هو القصد أصلاً ودائماً من العهد، القديم كالجديد (انظر تك١٧:٧)، أن يكون الرب وحده إلهاً. **فهذا** تحتّم على شعب الناموس الأول أن ينفصل عن شعوب الأرض. فلكي يكون الرب إلهاً، فهذا معناه أن يكون الشعب شعبه خاصة. فالشعب لكي يكون شعب الله يتحتّم أن يتقدّس له، أي يتخصّص لكي يصير الله له إلهاً خاصاً. وقد كان أن انفصل إسرائيل عن كل شعوب الأرض، ولكنه صنع ذلك اسماً وشكلاً فقط، وأكمل شكل انفصاله بعلامة «ختانة» في جسده وافتخر بها وتفاخر. ولكنه ما انفصل عن الشعوب عملاً وأخلاقاً وسلوكاً، فعَبَد آلهتها، وصنع نجاساتها، وتخلّق بأخلاقها، وسلك سلوكاً أردأ من سلوكها. فما نفعه الناموس شيئاً، ولا صار الله له إلهاً حانياً بل مؤنّباً وموبّخاً ومهدّداً: «طول النهار بسطتُ يديّ إلى شعب معاند ومُقاوم» (رو١٠:٢١)، حتى عافت نفسه قباحاتهم وزناهم وعبّر عن منتهى غضبه بقوله على لسان النبي: «أين كتاب طلاق أمكم.» (إش٥٠:١)

أما أن يكون الله إلهاً خاصاً لشعب أو إنسان، سواء في القديم أو الجديد، فسيّان. أي أن يعبده حقاً عبادة الحب الصادق من كل القلب والفكر والقدرة، فهذا معناه أن الله يُظهر قوته فيه، يحيطه من الداخل ومن الخارج بعنايته ورعايته. من الداخل يُشبعُ روحه بأسرار روحه، يملأ فكره قداسة وقلبه فهماً وحكمة، يُشعل فيه حرارة حبّه، فينأى عن كل حب سواه ويمنحه نعمة التمييز، فيختار كل ما هو جيد ومجيد، ويحيد عن الشر والشرير فينجح في كل ما يسعى إليه ويبلغ أقصى مُناه، فيرضى الله عن كل ما يأتيه. أما من الخارج: فعينه تكون عليه، يُخضع أعداءه تحت رجليه، ينتهر له الطبيعة فيصونه من كل ضرٍّ، السماء تؤاخيه والأرض تثمر له وتستجيب، الماء يحمله والهواء يطير

به، البعيد يصير قريباً والقريب يصادقه ويتدلّل له، نهاره يصير نهارين، وليله ينجلي عن صبح بهيج، والزمن كله يصير طوعه وملك يديه. في كل طريق تتبعه النعمة، وكل عمل يزيده حكمة. يتكلّم بأسرار الله، فتسمع له الآذان وتخضع له القلوب. يصير نوراً بين الناس ويضيء على أفكار البائسين.

وهكذا حينما يصبح الله إلهاً لشعب أو إنسان، فهو به يُستعلن وفيه يتمجد، وعلى هذا يتأسس العهد بين الله والناس. الله يعهده والإنسان يتعهد به وينعم.

«وهم يكونون لي شعباً»:

قالها لهم على فم موسى (خر١٩: ٥) وتمَّاها عليهم بفم كل نبي، تعهّد أن يجعلهم فوق كل شعوب الأرض. إن هم سمعوا له وأطاعوه وساروا في الطرق التي أسسها لهم وتبعوه. فما سمعوا، وما أطاعوا، وما تبعوا، بل سدُّوا آذانهم وغلّظوا رقابهم وارتدوا عنه، وأعطوه القفا دون الوجه. أغاظوه بأعمالهم و بعبادتهم الأوثان والشياطين، ونجّسوا اسمه بزناهم فيما بينهم و بين النجسين. اتبعوا السحرة والأنبياء الكذبة والمضلّين، فما صار اسم الله يليق عليهم ولا هم يليقون به، فباعهم كما باعوه، نقضوا عهده فنقضه عليهم، وها هوذا يضعه جديداً، ويطلب له شعباً جديداً.

شعب الله:

ومن هو شعب الله، إلاَّ الذي كرَّس له الحياة، لا كأنه يمنُّ على الله بحياته، بل هو يعطيه ما هو له، والله لا يأخذها منه ولا يُنقصها عليه، بل يقدّسها له ويزيدها غنًى وثراءً، ويملأها فرحاً ونعيماً وسروراً. شعب الله يحب الله، وهو لا يمنُّ على الله بحبه، ولكنه إنما يرد على الحب بالحب، «لأنه هو أحبّنا أولاً.» (١يو٤: ١٩)

أحبّنا فخلّصنا، وأحبّنا ففدانا، وأحبّنا فجنّسنا بجنسه وتبنّانا. فإن أحببناه كبنين، فلأنه هو غمرنا بحب أبوّته فكيف لا نحبه؟ شعب الله يقدّس ذاته لله، وهو في ذلك لا يمنُّ على الله بحفظه نفسه من دنس العالم، ولكنه إنما يوصلها به ــ أي بالله ــ ويفتحها عليه ويقرّبها إليه، ليسكب عليها من روحه القدوس، فيقدّسها له بالحق ويحفظها ويصونها من كل شر ودنس، حتى يتمجّد الله فيها ويُستعلن بقداسته و بره.

شعب الله مسراته وأفراحه وتسلياته كلها بالروح وليس بالجسد ولا للجسد، حتى ولو كانت بالجسد، لأن خارجاً عن مسرّة الله وفرح الروح لا يطلب لنفسه مسرّة، لئلا يستخدمها الجسد لإهانة روح الله، وإذ يعود يطلب الله لا يجده، وإن ناداه لا يسمعه، وإن توسّل يسد أذنيه، لأنه يكون قد

كسر العهد.

شعب الله موضوع في العالم ليشهد لله ضد العالم، فهو موضوع للحرب ولكنه لا يحارب بذاته ولذاته، ولكن باسم إلهه. ولا يطلب منه الله إلاَّ أن لا يهادن ولا يمالئ ولا يرهب، يقف عند الحق ولا يرتد، يصمت والرب يحارب عنه. شعب الله لا يخاف الشدة ولا يضيق بالاضطهاد، يُسرُّ بالجوع ويفرح بالعري، لا يهاب الخطر ولا يخشى السيف، فهذه كلها هي أدوات الشيطان التي أعطي لنا أن ندوسها فنتسلَّق عليها لنبلغ النصرة الأخيرة ومعها المجد، وفيها يتراءى لنا الله وهو يحملنا على ذراعيه كأعظم من منتصرين.

شعب الله الذي انفصل عن العالم الشرير بأمجاده وملاهيه يكون قد تقدَّس له، فلا يعود يفصله عن قلب الله شيء لا موت ولا تهديد بالموت، لا حياة بأباطيلها ولا بأمجادها، لا ملائكة أشرار، ولا رؤساء ملائكة أشرار لا قوات ظلمة ولا أعمال من قوات الظلمة، لا أمور حاضرة مخيفة ولا أمور مستقبلة مرعبة، لا علو كاذب ولا تعذيب حتى العمق، حتى ولا مخلوق على الأرض يقادر أن يفصل شعب الله عن الله الذي أحب. هذا بمقتضى بنود عهد الله الجديد، والله أمين في كل ما وعد، وبقيت الأمانة دَيْناً في عنق الإنسان الذي أراد أن يكون شعبه لينعم بعهده.

١١:٨ «ولا يعلِّمونَ كلُّ واحدٍ قريبَه وكلُّ واحدٍ أخاهُ قائلاً: "اعرف الربَّ"، لأن الجميعَ سيعرِفونَني من صغيرِهم إلى كبيرِهم».

هنا الصفة الإيجابية الثانية والتي تتبع الأُولى وتتعلَّق بها، هي أن يدخل الشعب في معرفة الله معرفة الصاحب للصاحب، معرفة انكشاف واستعلان يَهَبُها الله من لَدُنه كنعمة وكعطية أو هدية مجانية كنوع من الامتياز، يتناسب مع الله حينما يكون خاصاً لشعبه ومع شعب حين يكون خاصاً لإلهه. فهي معرفة ذات بُعد سرِّي، يكمن في علاقة الخصوصية التي يربطهما بها العهد. فهو عهد انكشاف واستعلان لأعماق ما في قلب الله من نحو إنسان كان أضناه البُعد وأشقاه الابتعاد واستعبده الظالم. مع أنه كان هو المحبوب الأثيل لقلب الله، لولا أنه استهان بحبِّه وكسر المودَّة بتعديه على الوصية. والآن هوذا الله يطلبه وقد سعى إليه مصمِّماً أن يفتح كل مكنونات قلبه له ويُعرِّفه أسرار حبه، فلا يعود الجهل يضلُّه ولا الجاهل يغويه. لا ناموسي يستعبده بعلمه ولا كاتب يتعالى عليه بفهمه، فهذا هو الناموس قد سجَّله على ثنايا وعيه واستودعه أعماق ذهنه، والكتب نقشها على صفحات قلبه مشروحة بالروح حتى قبل أن يقرأها. فلا وسيط يعلِّم ولا عالمٌ يتوسَّط. لقد صار الله للإنسان كالهواء الذي يتنفسه والنور الذي يملأ عينيه بل وكالخبز يأكله أكلاً وبالسر

يشربه شرباً:

+ «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٧)
+ «أنا هو نور العالم.» (يو٨: ١٢)
+ «ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس.» (يو٢٠: ٢٢)
+ «أفغِرْ فاك فأملأه.» (مز٨١: ١٠)
+ «وأنا اجتذبت لي روحاً.» (مز١١٩: ١٣١ حسب السبعينية)
+ «ويكون الجميع متعلمين من الله. فكل مَنْ سمع من الآب وتعلَّم يُقبِلُ إليَّ.» (يو٦: ٤٥)
+ «مَنْ يُقبِل إليَّ لا أخرجه خارجاً.» (يو٦: ٣٧)
+ «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء.» (١يو٢: ٢٠)
+ «فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم **ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد،** بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً. كما علّمَتْكم تثبتون فيه.» (١يو٢: ٢٧)

«ولا يعلّمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه»: τὸν πολίτην — τὸν ἀδελφόν

«قريبه» هنا تُترجم على وجه الأصح **«ابن وطنه أو بلده».** وهكذا يبدأ من الأعمّ إلى الأخص، من ابن الوطن إلى الأخ. والمُراد هو الشمولية. والقصد العميق مبدع حقاً وهو أن معرفة الرب لن تكون وقفاً على وطن ولا حتى على القُربى، فهي تعمُّ الشعوب قاطبة ولا تُحجز للأحشاء والأقرباء والأسباط.

أما السؤال الذي يلحُّ على الفكر هنا: كيف يكون هذا؟ فالإجابة وإن جاءت بعد ذلك مباشرة في قوله: «لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم»، فهي لا تزال تحتاج إلى مزيد من إيضاح. والحقيقة التي يتحتَّم علينا هنا إظهارها أمام القارىء، هي أن العهد الجديد يمكن تلخيصه من جهة منهجه العلمي والمعرفي والتثقيفي في كلمة واحدة وهي **الاستعلان.** فالله يُعلن ذاته، والإنسان يستعلنه، بقدر طاقة وعيه وطاقة حبِّه وطاقة اشتياقه ومدى شهوة نفسه في معرفة أعماق قلب الله. فالله استعلن نفسه للإنسان استعلاناً كاملاً مكمَّلاً، شاملاً مطلقاً، أبدياً، بتجسُّد ابنه، وما معنى أن اللاهوت اتحد بالناسوت إلاَّ أن يكون هو الاستعلان الكلي والمطلق الشامل! فماذا بقي في الله وعند الله بعد أن اتحد اللاهوت بالإنسان؟ في شخص يسوع؟ وصار ابن الله ابن الإنسان؟:

+ «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو١ :١٨)
+ «وليس أحد صعد إلى السماء إلّا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو٣ :١٣)
+ «لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي.» (يو١٥ :١٥)

لقد صار الرب يسوع المسيح بتجسُّده استعلاناً كلّياً لله الآب، فكلُّ مَنْ آمن بالمسيح واعتمد وقَبِلَ الروح القدس فقد صار في عمق الشركة مع المسيح والآب، وصار المسيح فيه استعلاناً لكل ما للآب وعند الآب، وبالروح القدس يبلغ الاستعلان في الإنسان حتى أعماق الله (١كو٢ :١٠).

فَمَنْ ذا الذي يؤمن بالمسيح ويحبُّه ويعيش بالروح في شركة محبته ثم لا يستعلن الله في كل ما له؟

فالعهد الجديد ليس عهد تعليم نواميس وقوانين، بل هو عهد استعلان الآب والابن والروح القدس، أو هو استعلان الله في ذاته وجوهره وصفاته. الطفل الصغير ينطق بالثالوث في ثقة وثبات، رُبما أثبت من عالِمٍ في اللاهوت، يناجي الآب ويقدِّس اسمه ويدعو المسيح ويرسم صليبه، ويصلّي بالروح القدس، وتُسمع صلاته. وهل تكون معرفةٌ لله أقوى وأعظم من معرفته في ذاته وجوهره وصفاته والحديث معه فيسمع ويستجيب؟ المسيح نفسه أعلن ذلك: «وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال: أحمدك أيها الآب ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك» (لو١٠ :٢١). وصار هذا عهدك الجديد مع الإنسان ...

٨ :١٢ «لأني أكونُ صَفُوحاً عن آثامهم ولا أذكُرُ خطاياهم وتعدِّياتِهم في ما بَعْدُ».

الصفة الثالثة والإيجابية للعهد الجديد وتتركَّز في سر فعاليته، وهي أنه متأسِّس على الصفح عن آثام الإنسان من ناحية الله وحده، وليس قائماً على ما يعمله الإنسان.

فهو مبني على عمل النعمة وليس على جهد الإنسان وجهاده: «لأن الناموس بموسى أُعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا.» (يو١ :١٧)
وبهذا يكون العهد الجديد قد أمَّن الإنسان ضد العجز والقصور الذي أضنَاه.

ولكن ليس معنى هذا أن يأثم الإنسان ما يأثم والله يصفح، ويخطىء الإنسان ما شاء ويتعدّى والله لا يتذكّر، بل يصفح لمَنْ يطلب الصفح. والذي يطلب الصفح يطلبه عن تعهُّد بتوبة وعلى أساس العهد، لأن وراء الطلب قلباً يصرخ وضميراً يؤنّب ودماً كريماً يسمع ويمسح!!

لا لأن الله يرانا نُخطىء ونتبجّح ونتعدّى وكأنه لا يرى ولا يذكر، أو كأنه نسي عدله أو تنازل عن قدّوسيته، حاشا، بل هو لا يتذكّر الخطايا إلّا لمن اعترف وطرحها أمامه، وتعديات من استصرخه أن ينساها، فينساها، لأن صراخ دم ابنه يتعدّى كل صراخ.

وباختصار فإن من احتمى بالدم غُفِرَ له وعاش، ومَنْ ازدرى بالدم مات وهو في خطاياه.

«لأني أكون صفوحاً»: ὅτι ἵλεως ἔσομαι

في النص اليوناني تجيء «لأني أكون رحيماً». وهنا تأتي كلمة «رحيم» كما في مواضع كثيرة مثل (١مل٨: ٣٤، عد١٤: ٢٠، إر٥: ١و٧) بمعنى «غفور». وبهذا نفهم ضمناً أن رحمة الله تشمل الغفران، والله يغفر الخطايا لأنه رحيم.

«عن آثامهم»: ταῖς ἀδικίαις

هنا وقفة ذكية، على القارىء أن ينتبه لها. فالوعد هنا يرمي إلى بعيد جداً، فهو يلغي ضمناً كل ما كان لطقوس ذبائح الإثم والخطية المتعددة. فما عجزت عنه كل الطقوس والذبائح، أعطاه الله بكلمة، سَنَدتها ذبيحة ابنه كنعمة ورحمة حقيقية وتعطفات جزيلة تتناسب مع عجز الإنسان وضعفه وهوان طبيعته. نعم ما أرحمك يا رب، وما أرحم مواعيدك، وما أعظم عهدك الجديد هذا.

«ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد»:

لا ينبغي أن ننسى أبداً أن هذا هو أحد الشروط الجوهرية للعهد الجديد المكتوبة بالروح القدس، بيد الله، على صفحات كتابه المقدّس، ممضاة ومختومة ومحفوظة في خزانة الزمن ووعي الإنسان، والتي طُبِّقت حرفياً بل ودُمغت بدم ابن الله الوحيد، الذي استوفى كل ديون خطايانا يوم حَمَلها على جسده الممزّق على الصليب ونطق بها، وكانت آخر كلمة له هي التصديق على محضر القضية «قد أُكمل» ومات! ... بل بالحري قام، ليعلن بدء تبرير العهد الجديد بدمه مسفوكاً ومشروباً. لقد محا الخطية لا من وعي الإنسان وضميره وحسب، بل بالأحرى من فكر الله: «لا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد!».

أن يذكر الله خطية الإنسان، فهذا معناه دينونة الموت المحتّم، ولكن «لا دينونة الآن على الذين

هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١)، السالكين حسب دم العهد وليس ناموس الجسد، تغتسل ضمائرهم بروح أزلي ويتقدَّمون أمام الله بلا لوم. لم يَعُدْ الله يذكر خطاياهم بل يذكر صلواتهم: «... وهو تقي وخائف الله مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلّي إلى الله في كل حين. فرأى ظاهراً في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله داخلاً إليه وقائلاً له يا كرنيليوس. فلما شخص إليه ودخله الخوف قال ماذا يا سيد. فقال له. صلواتك وصدقاتك صعدت **تذكاراً** أمام الله.» (أع ١٠: ٢—٤)

يا قارئي العزيز، انتبه أن الشروط والبنود التي وضعها الله كأساس للعهد الجديد تمس في الصميم ذاكرة الله فلم تعد قابلة أن تحمل صور ومناظر خطايانا وتعدياتنا، لقد انتزع الله لوحها الحسّاس من قلبه وعوضاً عنها يسمع ويسجِّل صلواتنا. والشرط المقابل من جانبنا أن نكون قد اغتسلنا بدم العهد وبيَّضنا ثيابنا في دم الخروف وانطلقت صلواتنا تحمل ذبيحة حبنا: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم.» (١يو ١: ٨و٩)

ليس رغماً عن قداسة الله تُمحى خطايانا أو لا يذكرها الله متجاوزاً عدله، حاشا، ولكن عدل الله وقضاءه قد استوفى حقوقه بموت ابنه على الصليب، فنحن لا نُبرَّأ مجاناً بل بثمن باهظ مدفوع سابقاً وهو رهن لكل مَنْ يتمسَّك به.

وعلينا أن نذكر جيداً ما صنعه المسيح مع المرأة الخاطئة التي أُمسكت في ذات الفعل، كيف افتضح الناموس لا المرأة، حينما لم يجد الناموس من يُنفِّذ حكمه عليها بالرجم لأنه لم يوجد في إسرائيل مَنْ كان بلا خطية فسقط حق الناموس في تنفيذ حكم الموت، وانبرى المسيح بقداسته وبره وطُهره ليرفع عنها ديْنونة الموت التي نص عليها الناموس، فبكلمة غفر لها وأطلقها حرَّة لأنه كان هو أولاً بلا خطية وثانياً كان يسند كلمته دم صليبه الذي اعتُبر أنه هو قضاء حكم الموت الذي سيجوزه **من أجلها**. فهو في الحقيقة برَّأها وأدان نفسه بل وحمل كل دينونة كل إنسان يقع بين يديه كهذه التي وقعت.

١٣:٨ **«فإذْ قالَ جَديداً عَتَّقَ الأوَّلَ. وأما ما عَتَقَ وشاخَ فهو قريبٌ من الاضمحلالِ».**

هنا يضيف بولس الرسول مزيداً من النقد لم يذكره إرميا النبي بفم الله فيما يخص العهد القديم، ولكنه عن صحة وتأكيد. فإن قال الوحي إن الله سيقيم مع إسرائيل عهداً جديداً، فهذا

يعني حتماً أن الأول حُبس في مفهوم القِدَم، ولأن العهد الأول كان يختص بالزمن والجسديات، فكل ما هو زمني إن قَدِمَ يكون قد شاخ والشيخوخة تعني الاضمحلال. وفي هذا الوصف يكون العهد الجديد قد أخذ تفوُّقاً جديداً على العهد القديم كونه **جديداً بمفهوم اللازمني**، فهو أبدي، وما هو أبدي لا يشيخ ولا يتغيَّر، فهو عهد ثابت ثبوت الله الذي أعطاه وأمضاه.

من هذا نفهم أن العهد الجديد هو عهد الكمال والتكميل غير قابل للتغيير وإنما ممتدٌّ نحو الكمال.

لذلك نسمع هذه الكلمة في الآية (٨:٨): «يقول الرب: حين **أُكمِّل** مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً»، حيث الكامل يحل محل الناقص ويلغي نقصانه. ولهذا وبكل عظمة قال المسيح كلمته الأخيرة على الصليب: «قد **أُكمل** وأحنى رأسه وأسلم الروح» (يو١٩: ٣٠). إذ تمّ بموت المسيح على الصليب **تكميل** العهد الجديد بسفك دم ابن الله كفَّارة أبدية لأجل كل الخطاة الذين يؤمنون، وبالتالي افتتاح عهد المصالحة مع الله والتبني وميراث الحياة الأبدية.

ثانياً: الأصحاح التاسع

الخدمة القديمة والخدمة الجديدة
كفَّارة المسيح في مقابل كفَّارة الناموس

أ ــ (٩: ١ــ١٠): ذِكْرُ أجزاء الخيمة القديمة في أسلوب احترامي ووقار مقصود مع محتوياتها والامتيازات المحدودة لخدمة الكهنوت القديم.

١ ــ الخيمة، أجزاؤها، محتوياتها: (١ــ٥)

٢ ــ خدمة الكهنوت داخل الخيمة: (٦و٧)

٣ ــ القصد من محدودية الخدمة الضيقة: (٨ــ١٠)

ب ــ (٩: ١١ــ٢٨): يضع في مقابل ذلك كفَّارة المسيح، كرئيس كهنة أعظم، المؤسَّسة على العهد الجديد، والتي سوف يستعلن المزيد من مجدها.

أ ـ ذِكْرُ أجزاء الخيمة القديمة ومحتوياتها (*) والامتيازات المحددة لخدمة الكهنوت القديم [٩ : ١ ـ ١٠]

وهذا القسم من الأصحاح ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ ـ الخيمة وأجزاؤها ومحتوياتها: (١ ـ ٥).
٢ ـ خدمة الكهنوت داخل الخيمة: (٦و٧).
٣ ـ القصد من محدودية الخدمة الضيقة: (٨ ـ ١٠).

١ ـ الخيمة وأجزاؤها ومحتوياتها (١ ـ ٥):

لكي يدخل بولس الرسول في شرح خدمة كهنوت المسيح كرئيس كهنة أعظم، عاد إلى الوراء ليكشف خدمة اللاويين مبتدئاً من خيمة الاجتماع، مُلقياً عليها نظرة تقوية بحسب ما عيّنه الناموس. وواضح أنه تحاشى ذكر الهيكل كبناء انتهى إليه مكان العبادة بحكم الانتقال من حياة البدو الرُّحّل في سيناء إلى حياة المدينة أورشليم ومتطلبات ذلك.

وبالرغم من أن بولس الرسول ابتدأ بكشف نقائص العهد القديم في الخدمة، إلّا أنه توقَّف لحظة لكي يلقي نظرة على جلال العبادة القديمة من وجهة نظر قديمة كرؤية المثيل للمثيل، وذلك قبل أن يعقد المقارنة الصارخة بين جلال الظلال على الأرض، وبين جلال مجد الحقيقة في السماء، وعظمة المسيح الجالس على يمين عرش الله في السموات، وما أسَّسه من عبادة جديدة.

وحينما قصد بولس الرسول أن يتوقَّف كثيراً عند كنوز الماضي المقدَّسة في وقتها، فذلك لكي يلقي نظرة إشفاق حزينة من وجهة نظر مسيحية على تراث قديم، بقصد أن يرتفع بالقارىء أو السامع من ناموس كان له جلاله وجماله إلى ما يفوقه آلاف المرات، ليدرك ما في العهد الجديد من أعماق حقيقية.

١:٩ «ثم العهدُ الأوَّل كان له أيضاً فَرَائِضُ خِدْمَةٍ، والقُدسُ العالميُّ».

هنا يدخل بولس الرسول في الموضوع ليصف ما في العهد الأول، لا كناقد ولا كناقض، وإنما

(*) انظر اللوحات مقابل صفحة ٥٣٠ وما بعدها.

من وجهة نظر واقعية يراها كما كان يراها اليهودي في أوانها باعتبارها من تدبير الله آنئذٍ.

ولكننا، ومن ثنايا الكلمات، نلمح أنه إنما يضع هذا كمقدمة لِمَا سينتقل إليه من الوضع في القديم إلى الوضع في الجديد، وذلك من قوله **«أيضاً»**، بمعنى أنه إن كان العهد الجديد قد تأسَّس الآن بنظامه الهائل وعلى أسسه الأبدية المتفوقة، إلَّا أنه كان «أيضاً» هناك في العهد الأول ما يشابه هذا. وبولس الرسول يفاجيء القارىء في الآية (١١) ليُظهر المسيح مرة واحدة باعتباره النموذج الأوحد والأعظم لكل هذه التدبيرات والخدمات في واقعها الإلهي الآن، هكذا: «وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن (الخيمة) الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة ...».

هنا تتضح المقارنة أنها مدروسة ومقصودة، فهي تجمع بين المسكن والخدمة في القديم وبين مثيله في الجديد، حيث يطير بالجديد، ويحلِّق فوق الخليقة كلها، ويبثُّ الكمال الأبدي والخيرات العتيدة التي لا تُحد.

«القدس العالمي»: ἅγιον κοσμικόν

هذا تعبير مُبدع عن مكان الخدمة أي خيمة الاجتماع، حيث هي مقدَّسة أو قدسٌ لأن الله كان يحلُّ فيها. ولكن إعطاءها صفة العالمي يفيد مباشرة محيط أو دائرة خدمة موسى وهارون، أي العالم، لتفريقها عن الأصل الذي يمثِّله وهو القدس السمائي.

وكونه يذكر القدس بالمفرد، فهو مجرد تحديد لعمله وليس تحديداً لشكله أو تركيبه، كما أن وصفه «بالعالمي» يمتد إلى نفس الخدمة المقامة فيه بل والخدام القائمين عليه، وهذا يقابل ما جاء عن المسيح في الآية (٢٤): «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد (عالمي) أشباه الحقيقة (مادية) بل إلى السماء عينها ...». كذلك تأتي في مقابل ما جاء في أصحاح (٨: ١و٢) عن المسيح رئيس الكهنة: «هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن **الحقيقي** الذي نَصَبَه الرب لا إنسان».

وبولس الرسول هنا يكاد يصوِّر واقع خدمة موسى وهارون بأكملها أنها ليس فقط أرضية، في مقابل خدمة المسيح السمائية، ولكنها أيضاً خدمة تختص بالعالم الزائل، فكانت بالضرورة تحت حكم التغيُّر والزوال.

ولم يخفَ كبار العلماء والربيين، ومنهم يوسيفوس المؤرخ الشهير وفيلو العلاَّمة اليهودي

المتصوِّف المرموق، من التصريح بوضوح بأن خدمة الهيكل إنما هي محصورة في المظاهر **العالمية**[1] «إنهم يحتفلون بالعبادة **العالمية**» τῆς κοσμικῆς θρησκείας κατάρχοντες.

٩: ٢ **«لأنه نُصِبَ المسكنُ»: «الأول» الذي يُقالُ له القدسُ الذي كان فيه المنارةُ والمائدةُ وخُبزُ التَّقْدِمَةِ».**

هنا يلزم وضع فاصلة توقُّف بعد كلمة «المسكن» ثم نقطتين، لأن كلمة «**الأول**» تعود على أحد جزئي المسكن.

فالمسكن أي خيمة الاجتماع يشمل مسكنين أي خيمتين: **الأول** يُقال له القدس وهو هنا يبدأ شرحه. وبعد ذلك في الآية القادمة (٣) المسكن **الثاني** الذي يُقال له قدس الأقداس.

وحتى يكوِّن القارىء فكرة مبسَّطة وصحيحة عن محتويات المسكن الأول المدعو القدس نوضِّح له الآتي:

في البداية كانت خيمة الاجتماع ذات حوش أمامي هو أول ما يواجه الداخل إلى المسكن الأول، وبين المسكن الأول والثاني المدعو قدس الأقداس كانت الستارة الكثيفة، التي تسمى الحجاب لأنها تحجب مسكن الله أي قدس الأقداس عن المسكن الأول المدعو القدس.

وكان موقع القدس، أي المسكن الأول، في الناحية الغربية التي ينتهي عندها الحوش، ثم بعد القدس أيضاً من الجهة الغربية يقع قدس الأقداس.

محتويات القدس (المسكن الأول):

المنارة: أهم قطعة فيه هي المنارة، وكان موقعها في الناحية الجنوبية أي القبلية من المسكن الأول. وكانت مصنوعة من الذهب الخالص ولها ثلاثة أفرع تخرج من العمود الأوسط في ناحية، وفي الناحية المقابلة لها أيضاً ثلاثة أفرع. وبذلك يكون لها سبعة أعمدة أي أفرع، وكل فرع ينتهي بما يشبه الزهرة، وفي وسطها يوضع الفتيل الغارق في الزيت. فحينما تشتعل الأفرع السبعة، كانت المنارة ذات سبع شعلات حسب الرسم (خر٢٥: ٣١—٤٠، ٣٧: ١٧—٢٤). علماً بأن هذا الشكل المبسَّط قد تعقَّد على مر الدهور ولكن ظلَّت السبع الشُّعَب أساسية.

1. Josephus, *B.J.* IV, 5, 2.

المائدة: وعليها خبز الوجوه. وتقع في الاتجاه الشمالي للمسكن الأول، وكانت تُصنع من خشب الأكاسيا أي السنط البلدي، وتُصفَّح بصفائح من الذهب الخالص. وكان عليها أطباق وملاعق وكؤوس وقصع كلها من الذهب (خر٢٥: ٢٣—٣٠، ٣٧: ١٠—١٦).

ويوضع عليها رَصَّة من اثنتي عشرة من خبز الوجوه كل يوم سبت، الذي كان يسمى بالعبرية لِحِمْ هَبَّانيم: Lehem happanim. والرصّة التي تُرفَع من على المائدة بعد وضع الخبز الجديد يأكلها الكهنة فقط في القدس. ومحرَّم على الإنسان غير الكاهن أن يأكل منها لأنها قُدْس (لا ٢٤: ٩، مر٢: ٢٥و٢٦).

مذبح البخور: ولم يذكره بولس الرسول هنا، وقد اختلفت الأسباب والتفسيرات، حيث يُقدَّم البخور تعبيراً عن شكر الخليقة كلها(٢).

٩ : ٣ **«ووراءَ الحجابِ الثَّاني المَسْكَنُ الذي يُقالُ له قُدْسُ الأَقداسِ».**

هنا قدس الأقداس، المسكن الثاني. ويقع في الطرف الغربي للقدس أي المسكن الأول. ويغطّيه حجاب أي ستارة كثيفة من التيل المنسوج، البعض يقول إنها من طبقتين متتاليتين — أي مجُوز — بينهما مسافة قليلة، والبعض يقول من طبقة واحدة. وهذه تعتبر الحجاب الثاني، لأن الحجاب الأول يفصل الحوش عن المسكن الأول (خر٢٦: ٣١—٣٣، ٣٦: ٣٥و٣٦).

وبعد الحجاب الثاني يبدو قدس الأقداس مربع الشكل. وقوله «قدس الأقداس» يفيدُ المكان الأكثر قداسة جداً.

٩ : ٤ **«فيه مِبْخرةٌ من ذَهَبٍ، وتابوتُ العهدِ مُغشًّى من كلِّ جهةٍ بالذَّهبِ، الذي فيه قِسْطٌ من ذهبٍ فيهِ المَنُّ وعَصا هارونَ التي أفرَخَت ولَوْحَا العَهْدِ».**

هنا ذِكْر مبخرة من ذهب، حيَّر المفسرين، لأنه معروف أن مذبح البخور يكون في القدس أي في المسكن الأول.

فبعضهم يقول إنها مجرد مبخرة أي «شورية» كان يستخدمها هارون يوم الكفّارة ووُضِعَت

2. Westcott, *op. cit.*, p. 246.

تذكاراً لذلك في قدس الأقداس بعد ذلك، كأنها من مذخرات الماضي مثل التابوت وعصا هارون، والبعض يقول لا بل مذبح البخور بعينه؛ وهذا يخالف ما جاء في التوراة(٣).

ويقول العلاّمة فيلو، ويُعتمد عليه كثيراً في ذلك، أن مذبح البخور كان موضعه بين المنارة ومائدة خبز الوجوه داخل القدس(٤).

أما تابوت العهد فيُعتبر أنه أهم محتويات قدس الأقداس، سواء في خيمة الاجتماع الأولى أو حتى في هيكل سليمان فيما بعد. ولكن للأسف لم يُسمع عنه شيءٌ بعد سنة ٥٨٧ ق.م. عندما حطّم الكلدانيون الهيكل. أما بعد السبي فلم يكن في قدس الأقداس أية محتويات بل كان فارغاً. وهذا ما حققه بومبي عندما اقتحم الهيكل بدافع رغبته في اكتشاف ما بداخله، فلم يجد شيئاً، وذلك سنة ٦٣ ق.م.

ويقرر يوسيفوس المؤرخ أنهم وضعوا عوض التابوت قطعة حجر ودعوا اسمها «حجر الأساس»(٥).

أما التابوت في زمانه فكان مصنوعاً من خشب السنط ومصفّحاً بالذهب، وكان يسمى «تابوت العهد» أو «تابوت الشهادة» (خر٢٥: ٢٢ إلخ). لأن العهد كان محفوراً على اللوحين من الحجر اللذين كانا بداخل التابوت (خر٢٥: ١٦و٢١)، كما وضعهما موسى في حوريب. كما كان في داخل قدس الأقداس في ذلك العهد عصا هارون التي أزهرت وأثمرت لوزاً، كعلامة من الله ضد الذين تذمروا على هارون أنه مختار من الله ليحمل رئاسة الكهنوت لبني إسرائيل. كذلك وعاء المن وبه ملء عُمِر من المن (عُشر قفة). ويُقال أن العصا ووعاء المن وُضِعا في التابوت أيضاً. كما يذكرهما بولس باعتبارهما ضمن التابوت.

٩: ٥ «وفوقه كاروبا المجد مُظلّلَين الغطاء، أشياء ليس لنا الآن أن نتكلّم عنها بالتفصيل».

وفوق تابوت العهد كان يوجد تمثالان للكاروبيم، والكاروبيم هو الذي ننطقه الآن الشاروبيم. وهذه الكلمة هي بالجمع لذلك فالمثنى منها «كاروبان». ويصفهما بولس الرسول

3. Bruce, *op. cit.*, pp. 184f.
4. Josephus, *Antiquities*, III, 147.
5. Idem, *Wars*, i, 152f; *Antiquities*, XIV, 71f.

خيمة الاجتماع وحولها الشعب

المنارة الذهبية

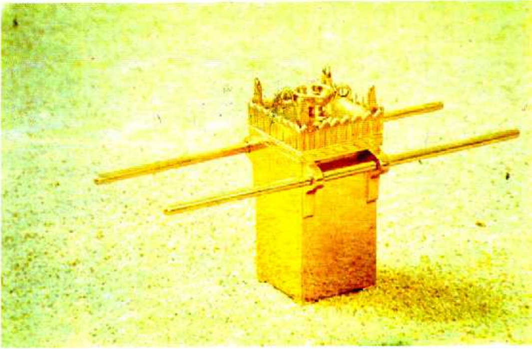

مذبح البخور

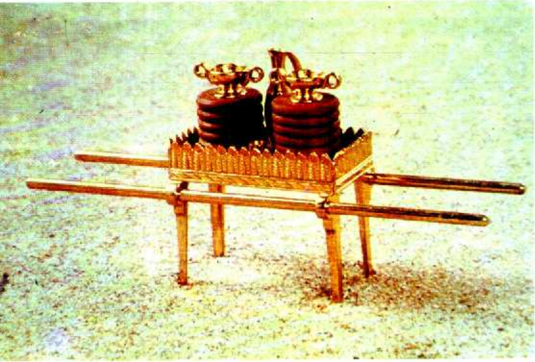

مائدة خبز الوجوه

هنا أنهما كاروبا المجد وليس كاروبين ممجدين. وذلك بقصد تحديد وظيفتهما وهي أنهما يخدمان مجد الله، أي يستعلنان مجد الله. والمعروف بحسب التوراة أن الرب كان يُظهر مجده فيما بينهما (خر٢٥: ٢٢، عد٧: ٨٩)، ويوصف الرب دائماً أنه الجالس فوق الشاروبيم (١صم٤: ٤).

والمجد في العبرية يعني باختصار «مكان حضرة الرب» = «شاكيناه» shekhinah، وتعني حضرة الرب المضيئة الساكن وسط شعبه بالمجد: «الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد ...» (رو٩: ٤).

ويبدو أن الشاروبيم بصورته وأجنحته كان يمثِّل العاصفة التي يتراءى الرب فوقها. ولكن يُعتقد أنه يمثِّل قوات الخليقة بسبب تعدد صور وجوهه.

وبحسب فيلو الفيلسوف والعلاَّمة المتصوِّف اليهودي(٦)، فإن الكاروبيْن يمثِّلان قوة الله المزدوجة: الملك في ذاته، والخالق للكون.

والكاروبان يعبِّران ــ والله في وسطهما ــ عن الله الراكب على السموات: «وركب على الشاروبيم وطار، طار على أجنحة الرياح(٧) (أجنحة الشاروبيم).» (مز١٨: ١٠، تث٣٣: ٢٦)

ويصف النبي حزقيال الكاروبين بأنهما يحملان المركبة الحاملة لعرش الله غير المربوطة بالهيكل الأرضي، ولكنها حرَّة تطير وتتحرك أينما يشاء (ابن سيراخ ٤٩: ٨).

أما لماذا لم يُحسبا من ضمن الصور والتماثيل المحرَّم صنعها في التوراة، فيُقال لأنهما ليس لهما مثيل في السماء ولا على الأرض ولا تحت الأرض (خر٢٠: ٤، تث٥: ٨) وهذا مخرج ذكي.

غطاء التابوت:

باليونانية ἱλαστήριον، وبالعبرية kapporeth.

والكلمة العبرية تعني أكثر من غطاء، فهي أي «كابوريت» مأخوذة من الفعل «كِبِّرْ = kipper» وتعني: «يكفِّر». وواضح من الطقوس أيضاً أن له علاقة كبيرة بطقس يوم الكفَّارة (لا١٦: ٢ الخ)، حين ينضح رئيس الكهنة على الغطاء وأمامه في حضرة الرب من دم ذبيحة

6. Philo, *Life of Moses* ii, 99 (Questions and Answers on Exod. no. 62).

(٧) «الصانع ملائكته رياحاً.» (عب١: ٧)

الكفَّارة، فيكفِّر عن خطاياه وخطايا الشعب. لذلك فالغطاء محسوب أنه موضع الشفاعة. ويراه بولس الرسول من واقع شرحه السابق في الآية (٤: ١٦) أنه المقابل «لعرش النعمة» في السماء: «فلنتقدَّم بثقة (بسبب دم المسيح الذي علينا) إلى عرش النعمة (المقابل لغطاء التابوت) لكي ننال رحمة ἔλεος ونجد نعمة عوناً في حينه».

ويُلاحظ أن «الغطاء» الذي له مكانة خاصة في العبادة وخاصة يوم الكفَّارة، في وضعه وهو يغطِّي التابوت، له معنًى عميقٌ للغاية، فهو يتوسَّط بين ألواح العهد المكتوب وهي الوصايا، و بين الله الواقف بين الكاروبين، وكأنه يشهد على الشعب ويدين، كما يتقبَّل الدم للغفران. وكلمة «الغطاء» توحي وكأنها تغطية على خطايا.

كما يُلاحظ في قول بولس الرسول أن هذه أشياء ليس لنا الآن أن نتكلَّم عنها بالتفصيل، أنه يعني أن لها بالفعل شرحاً وتوضيحاً وتأويلاً كان معروفاً لديه، ولكنه أمسك عن شرحه لعدم أهميتها بالنسبة لما هو بفحصه للوصول إلى المسيح الذي به يكمِّل الشرح والتوضيح.

ويُلاحظ أيضاً أن بولس الرسول اكتفى هنا بالمسكنين فقط، الأول القدس والثاني قدس الأقداس، دون الالتفات كثيراً إلى محتوياتهما، لأن القصد هو التركيز على قدس الأقداس لخدمة رئيس الكهنة التي منها سينطلق ليوضِّح خدمة المسيح التي غطَّت خدمة الكهنة في القدس كل يوم وخدمة رئيس الكهنة في قدس الأقداس كل سنة.

٢ ــ خدمة الكهنوت داخل الخيمة (٩: ٦و٧):

٩: ٦ **«ثمَّ إذْ صارت هذِهِ مُهَيَّأةً هكذا يدخلُ الكهنةُ إلى المَسْكنِ الأوَّلِ كلَّ حينٍ صانعينَ الخدمَةَ».**

يبدأ شرح الخدمة هنا بالمسكن الأول أي القدس، حيث يدخل الكهنة ليؤدُّوا خدماتهم بصورة دورية ودائمة يومياً صباحاً ومساءً: يُصلحون المنارة، يضعون الزيت، يُشذِّبون أشرطتها التي تحترق وتتفحَّم من الزيت ليَزيد نورها ولمعانها (خر٢٧: ٢٠)، يحرقون البخور على مذبح البخور (خر٣٠: ٧) الذي كان يعني أنهم يقدِّمون صلاة الشكر والتسبيح باسم الخليقة كلها لله.

ونحن نتذكَّر أنه يوم جاءت القرعة على زكريا أبي يوحنا المعمدان ليدخل القدس ويبخِّر البخور (لو١: ٩)، كيف تعوَّق داخل المسكن الأول لأن الملاك ظهر له على يمين مذبح البخور وأخبره

ببشارة ميلاد يوحنا. وطبعاً كانت الستارة مُسْدَلة والشعب في الخارج يتعجَّب من تعوُّق الكاهن زكريا أكثر من المعتاد. ولما خرج خارجاً صامتاً دون أن يكمّل كلام التسبيح والشكر والصلاة كالمعتاد، علموا أنه رأى رؤيا. وهذه كانت آخر تجلّيات الله داخل الهيكل القديم.

كذلك كان الكهنة يدخلون يوم السبت ومعهم الاثنا عشر رغيفاً من الخبز الجديد الساخن يضعونه على مائدة خبز الوجوه، ويرفعون الخبز القديم، ولا يخرجون حتى يأكلوه (لا ٢٤ : ٥ إلخ).

على أنه كان محظوراً على الشعب أن يدخل القدس أو يؤدّي أيّ عمل فيه، إذ كان ذلك قاصراً على الكهنة فقط، الذين كانوا يُعتبرون وسطاء بين الشعب والله. وكان هذا يحسبه بولس الرسول حظراً مفروضاً من الروح القدس على قدس الأقداس أي على رؤية الله، لأن مجرد وجود القدس الأول بالحجاب أمامه هو تعبير عن استحالة التقدُّم إلى الله مباشرة لا للشعب ولا حتى للكهنة!!

بل وبنظرة أكثر شمولية، يكون وجود الخيمة كلها بأحجبتها وحواجزها هو تعبير عن حرمان الإنسان من التراائي أمام الله مباشرة. بل وربما كان وجودها هذا يحرِّك مشاعر قلب الإنسان بثقل خطاياه التي حرمته من الوجود في حضرة الله (إش٥٩ : ٢)، كما يسمع عن أبيه آدم أو قديسيه الأوائل كإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى الذين كانوا يدخلون إلى الله ويتراءون أمامه ويسمعون صوته ويتقبَّلون إرشاداته وإحساناته وتعزياته، أذناً لفم، دون خيمة أو حجاب.

٩ : ٧ «وأما إلى الثاني، فرئيسُ الكهنةِ فقط مرَّةً في السنةِ، ليس بلا دمٍ يُقدِّمه عَنْ نفسِهِ وعن جَهالاتِ الشعبِ».

هنا رمز حقيقي لحضرة الله المخفية عن الإنسان فيما قبل المسيح.

هنا صراخ إشعياء النبي حينما برَّح به الهيام لرؤية الله ومجيئه: «حقاً أنت إلهٌ مُحتجِبٌ يا إله إسرائيل المخلِّص؛ ليتك تشقُّ السموات وتنزلُ»!! (إش ٤٥ : ١٥، ٦٤ : ١)

كذلك في سفر المزامير: «يا رب طأطىء سمواتك وانزل والمس الجبال فتدخِّن؛ يا راعي إسرائيل اصغَ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكاروبيم أشرق، قدّام أفرايم وبنيامين ومنسّى، أيقظ جبروتك وهلم لخلاصنا. يا الله أرجعنا وأنِرْ بوجهك فنخلُص.» (مز١٤٤ : ٥، ٨٠ : ١—٣)

كان رئيس الكهنة يدخل مرّة كل سنة وذلك في يوم الكفّارة، اليوم العاشر من الشهر السابع

«تشري»، الذي يقع في الاعتدال الخريفي، وفي الحقيقة وحسب النص القديم مرتين (لا١٦: ١٢و١٥) وبحسب الطقس التقليدي المتأخر (الميشناه «يوما» joma -- 701, 6,4) يدخل أربع مرات. وعلى أي حال، ومهما كان عدد المرات، فالواضح جداً أن هناك محدودية شديدة وشحّاً كثيراً في السماح للدخول لواحد فقط عن ملايين الشعب، وحتى هذا لا يُسمح له بالدخول إلاَّ بالحصول على حياة آخر، أي الذبائح التي تُذبح ويدخل بدمها حيث النفس في الدم (لا١٧: ١١).

هذا كله إشارة قوية بليغة حمراء ناصعة الحمرة، فالحياة المقصودة أصلاً هي حياة ابن الله، والدم دم الابن الوحيد، الواحد الوحيد الذي هو وحده الوسيط المعيَّن منذ الأزل بين الله والإنسان حاملاً الاثنين في نفسه!!

وحينما ينضح الكاهن بالدم على غطاء التابوت = كرسي الرحمة، داخل الحجاب، يُحتسب أنه قدَّم الذبيحة كلها (لا١: ٥). في المرَّة الأولى يقدِّم دم ذبيحة نفسه (لا١٦: ١١و١٤)، وفي الثانية دم ذبيحة جهالات الشعب (لا١٦: ١٥).

«جهالات الشعب»: τοῦ λαοῦ ἀγνοημάτων

جهالات الشعب وليس خطاياه الإرادية، فإن دم حيوانات لا يغفر خطايا العمد بل الجهالات، وهي أخطاء عدم المعرفة بأصول التعامل مع الناموس. أما أخطاء المعرفة والإرادة فليس لها ذبيحة ولا غفران ولا أية شفاعة، بل الموت المحتَّم، مهما كان: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (عب١٠: ٢٨، راجع تث١٩: ١٥). و «بدون رأفة» أي بدون تخفيف عقوبة أو إعادة نظر أو حتى استعمال الرحمة في طريقة الموت!!

٣ ــ القصد من محدودية الخدمة الضيقة (٩: ٨ ــ ١٠):

٩: ٨ **«مُعلِناً الرُّوحُ القُدُسُ بهذا أن طريقَ الأقداسِ لم يُظهَر بَعْدُ مَا دامَ المَسْكَنُ الأوَّلُ له إقامةٌ».**

بولس الرسول هنا لا يتكلَّم من نفسه ولا من تأملاته، بل يلتجيء مباشرة إلى الوحي الإلهي الذي أملى هذه الأوصاف على موسى من جهة المسكن الأول، بمعنى خيمة الاجتماع كلها في طقس موسى. فنفس روح الوحي، وهو الروح القدس بطبيعة الحال، يعبِّر بذلك أن هناك عوائقَ قائمة ستدوم بين الإنسان والحضرة الإلهية المكشوفة، طالما خيمة الاجتماع هذه قائمة؛ بل ويلتجيء

بولس الرسول أيضاً إلى نفس تحديدات وتدقيقات الطقس، كيف أن واحداً فقط عن كل الشعب ومرّة واحدة في السنة، وبشرط سَفْكِ دم سابق، يُصرّح له بالدخول أمام الله إلى لحظات، ويخرج بعدها مباشرة. فإن هذا الطقس ذاته ينطق بأن هناك صعوبات جمّة في الاقتراب من الله.

ومن هذا كله يستبين لبولس الرسول أن الروح القدس الذي أوصى بهذا التدبير كله ــ أي خيمة الاجتماع بكل طقوسها ــ إنما يعلن صراحة بأنه طالما أن هذا المسكن قائم فسيظل طريق الأقداس العليا ــ حيث الله قائم بالحق ــ مغلقاً على الإنسان شكلاً وموضوعاً. أو بمعنى آخر أن خيمة الاجتماع بكل طقوسها وناموسها ستظل قائمة إلى أن يأتي المسيح ويستعلن الله في أقداسه العليا، وحينئذ يتحتَّم أن تنتهي الخدمة الأرضية بانتهاء زمانها. لأنه طالما أن الظل موجود، فالحقيقة تكون غائبة، فإذا استُعلن الحق والنور غابت الظلال. أما قيمة الظل فهي هامة لأنه يعلن عن حق محتجب، يتحتَّم ترقُّبه، بل يستلزم طلبه، كما كان يفعل الأنبياء القديسون بالروح.

٩:٩ «الذي هو رَمْزٌ للوقتِ الحاضرِ الذي فيه تُقدَّمُ قرابينُ وذبائحُ لا يمكنُ من جهةِ الضميرِ أن تُكمِّلَ الذي يَخدِمُ».

وما هو هذا الذي يُحتسب في نظر بولس الرسول أنه **رمز للوقت الحاضر؟ وما هو هذا الوقت الحاضر؟** ليس الرمز جزءاً من الطقس أو الناموس أو الخيمة، بل كل الكهنوت اللاوي بكل ما يتعلّق به من طقوس وخيمة وذبائح وفرائض هو «الرمز». هذا **«الرمز»** يوافق ويتمشى مع **«الوقت الحاضر»** الذي يصفه بولس الرسول بأنه **الوقت الذي فيه تُقدَّم قرابين وذبائح حيوانية** لا يمكن من جهة الضمير أن تكمّل الذي يخدم. **«فالوقت الحاضر»** يلزم أن نفرّقه عن **زمن المسيح** الذي كان قد تحقّق بالفعل أيام ق. بولس وكتابة هذه الرسالة.

وفي عرف ق. بولس، فإن هذا الطقس اللاوي بناموسه وفرائضه سيستمر في الوقت الحاضر ولو شكلاً وفي وضعه المحدود إلى أن يكمل زمن تغيير كل شيء ويُستعلن كمال البشارة بالإنجيل.

ولكن الذي يلزم التأكيد عليه أن هذا النظام اللاوي بأجمعه ليس رمزاً لزمن اكتمال البشارة بالإنجيل أو المسيح المُستعلَن في موته وقيامته وصعوده إلى السماء. لأن النظام اللاوي بطقسه وناموسه محسوب أنه صورة (τύπος) وليس رمزاً، إنه تمهيد، وليس خيالاً أو تصوُّراً.

ويلزم أن نفرّق بين **الرمز** παραβολή الذي هو **تصوُّرٌ ذهني خيالي فكري**، وبين **التَّيْب** τύπος الذي هو واقع ملموس يشير إلى الأصل وإلى الكمال الذي يمثّله.

فالطقس اللاوي الذي يؤمن بالذبائح الحيوانية وحسب، مجرد الطقس فقط بكل مضمونه الشكلي الحرفي، هو الرمز للوقت الحاضر.

ولكن الطقس اللاوي، بمضمونه وإلماماته وجلاله، هو تمهيد وصورة واقعية تشير إلى الكمال المسيحي الذي تهدف إليه والتي أخذت عنه تشبيهاتها، وهي موضوعة أصلاً لتشير إليه وتنتهي عنده.

ولهذا يلزم جداً أن نفهم أن «الرمز» هو وضع نظري لا يمكن أن يكمّل شيئاً. كما نقول إن رجال البحرية يضعون رمزاً على صدورهم وهو «الهلب». فهل كل مَنْ وضع الهلب صار من البحرية أو بحّاراً؟

في المقابل يكون أن كل مَنْ يأخذ طابع τύπος أبيه في المهنة، كأن يتعلَّم التجارة، فهو سيكون نجّاراً يوماً ما. فالطابع يشير إلى واقع مستقبلي حقيقي كامل، ولكن الرمز لا يفيد شيئاً بالمرَّة إلَّا الكبرياء الكاذب.

والآن يقصر بولس الرسول وضع «الرمز» بالنسبة لطقس لاوي على اليهود الذين يعيشون «الوقت الحاضر» في أيامه، إذ يقول إنهم أخذوه رمزاً وليس كأنه سيوصِّل إلى حقيقة يوماً ما، فأصبح تقديمهم الحيوانات كذبائح وقرابين عديم الفاعلية في ضمائرهم، وبالتالي يستحيل أن يُكمِّلهم أو يؤثر فيهم، مع أن هذا الطقس اللاوي بكهنوته وفرائضه موضوع أصلاً لا ليصبح مجرد رمز بل لكي يمهِّد إلى بلوغ الكمال في المسيح..وأعظم برهان على أنهم أخذوا الناموس والوصايا والكهنوت بفرائضه على أنه مجرد رمز، أنهم رفضوا المسيح لما جاء، مع أنه هو الحقيقة التي يتحتَّم أن ينتهي إليها الناموس والكهنوت بكل طقوسه. فالمسيح لا يمكن أن يساوي رمزاً، وهذا حق!! ولكن يصفه جزئياً، كأن نقول إن المسيح نور.

فلو كانوا قد عاشوا في الناموس ومارسوا الكهنوت على أنه الصورة الممهِّدة للأصل أي الحقيقة السماوية، أي أنه τύπος للأرشيتيبوس ἀρχέτυπος، وكانوا صادقين في تعاملهم مع الناموس والكهنوت بفرائضه، لكانوا قد استقبلوا المسيح بحرارة باعتباره الكمال الذي ينشدونه، كسمعان الشيخ أو حنة النبية. وهذا ما صنعه الرسل في أورشليم وكثير من الرؤساء والفريسيين والكتبة وحتى الكهنة الذين قبلوا المسيح وآمنوا به: «فيلبُّس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي **كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء** ...» (يو١: ٤٥)، فكان ردُّ المسيح عموماً كالآتي: «**هوذا إسرائيليٌّ حقاً لا غشَّ فيه.**» (يو١: ٤٧)

«لا يمكن من جهة الضمير أن تكمِّل الذي يخدم»:

كلمة «الضمير» συνείδησις استخدمها ق. بولس كثيراً، ربما لأول مرَّة في العهد الجديد، وكانت معروفة في أيامه. فقد اعتبر فيلو اليهودي الفيلسوف المتصوِّف بأنها **القوة النفسية التي تفحص وتحكم في السلوك**، وهي مقامة داخل النفس بمثابة **القاضي**. وأصبحت تُستخدم الآن على مدى واسع باعتبارها **الحَكَمَ** الشخصي غير المتحيِّز في الأمور المتعلِّقة بالإنسان.

ولو نظرنا إلى الطقوس الكهنوتية في العهد القديم الخاصة بيوم الكفَّارة وارتباط الغفران بذبح الذبائح، فإننا نجد أن هذا الطقس كان يقوم على درجتين أو عملين أساسيين: الأول **الاعتراف بالخطية للكاهن وعلى رأس الحيوان**، وهو ما يشمل في مضمونه الرغبة في التوبة؛ ثم ذبح الذبائح **والدخول بدمها إلى قدس الأقداس أي إلى حضرة الله**. فإذا فصلنا هذين العملين، يكون القسم الثاني منها بلا أية قيمة. وهذا ما حدا بكثير من الأنبياء وخاصة داود أن يستنكر ذبح الذبائح وحدها كوسيلة لاسترضاء الله. كما فشل رجال القُمران الرهبان المتعبدون المتطهرون أن يكتفوا بالتوبة فقط والاعتراف كوسيلة للاقتراب من الله دون ذبائح هيكلية. كل هذا يوضِّح لنا عظمة هذا الطقس في وضعه بذرة الخلاص القادم، بالمسيح، القائم على الاعتراف بالخطية والتوبة وعلى أساس الفداء الذي أكمله المسيح بدمه.

فالآن إذا عدنا لليهود في أيامهم وهم مبتعدون عن الله بقلوبهم، نجد أنهم كانوا يعتبرون الكفَّارة والكهنوت وطقوسه ويهتمون به من ناحية تقديم الذبائح فقط، مما حدا ببولس الرسول أن يعتبرهم أنهم أخذوا الكهنوت بطقوسه وذبائحه على أنه **مجرد رمز**، وهذا بحد ذاته يستحيل أن يكمِّل الذي قدَّمه، لأن ضميره غائب إذ لا توبة ولا اعتراف ولا تقرُّب إلى الله بحسب الفريضة والوصية. والأخطر من ذلك جداً أنهم كانوا قد اكتفوا بهذا الوضع الرمزي كحياة رسمية للعبادة، مما جرفهم بعيداً جداً عن واقع الناموس والكهنوت والذبائح التي كانت في الأصل تهدف بقوة إلى الإشارة نحو الآتي، نحو المسيح الذي سيكمِّل الكهنوت بحياته الأبدية والذبيحة بنفسه القدوسة وجسده الأقدس.

وكان المأمول بالتالي، لو كان وعي بني إسرائيل قد تدرَّج بحسب قصد الله وتعليم الأنبياء للانفتاح نحو الحق، أن يتقبلوا المسيح من جهة الكهنوت كارتقاء من لاوي إلى ملكي صادق، من سبط لاوي الأقل إلى سبط يهوذا الملكي والأعظم، من هارون إلى مسيَّا النبي المثيل لموسى حسب الوعد، من كاهن أرضي إلى كاهن سمائي يبقى إلى الأبد، من كاهن يموت إلى كاهن لا يموت ويبقى ملكاً على كرسيه إلى الأبد حسب جميع النبوات! ثم أن يتقبَّلوا الذبيحة على الصليب

كانتقال رائع من دم حيوانات تموت وتنتن إلى دم إلهي حي لابن الله، من روح ترابي في دم الحيوانات إلى روح أزلي في دم ابن الله قادر أن يُطهِّر الضمير والروح وكل الكيان البشري.

١٠:٩ **«وهي قائمةٌ بأطعمةٍ وأشربةٍ وغَسَلاتٍ مختلفةٍ وفرائضَ جسديةٍ فقط موضوعةٍ إلى وقتِ الإصلاحِ».**

لم يكن هذا عيباً في الناموس أن يبتدىء مع الإنسان، كما يبتدىء الأب والأم في تعليم الطفل كيف يعتني بجسده أكلاً وشرباً ونظافةً ومواعيد ليقظته ونومه، ولعبه مع تحذيرات جسدية من المخالفة بالضرب بالعصا، إذ هكذا بدأ الناموس. وربما لا يعرف الصبي متى تنتهي التعليمات والتحذيرات والضربات بالعصا، ولكن الأب يعلم ذلك تماماً. فإن استعذب الطفل اللعب واستغرق في أعمال الطفولة، ونأى عن التدرُّج في تقبُّل التعليمات لنقلة جديدة، بقي طفلاً وعَجَز عن أن يبلغ قامة الرجال.

هكذا وقف إسرائيل بعد ألفي سنة من التعليم عاجزاً عن أن يرتفع إلى القامة الروحية، وبقي مستغرقاً في تهذيبات طفولة سيناء وصُبوَّة فلسطين، محبوساً في طقوسه التي وُضِعَت إلى أن يبلغ زمن الإصلاح. فلما بلغ زمن الإصلاح والصلاح عجز عن أن ينسلخ مما للطفولة من عجز ونقص معيب، فهل غسل الجسد يغسل الخطية؟ أم ذبح المَعْزى يرفع ثقل الضمير؟ أم ختانة الجسد تنقي القلب وتقدِّس الروح؟

+ «لأنك لا تُسَرُّ بذبيحةٍ وإلاَّ فكنتُ أقدِّمها، بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة.» (مز٥١: ١٦و١٧)
+ «بذبيحة وتقدمة لم تُسرَّ، أذنيَّ فتحت، مُحرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذٍ قُلتُ هأنذا جئتُ، بدَرْج الكتاب مكتوب عني، أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررتُ ...» (مز٤٠: ٦ــ٨)
+ «لا على ذبائحك أوبِّخك، فإن محرقاتك هي دائماً قدامي ... هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟ اذْبَحْ لله حمداً وأوْفِ العلي نذورك، وادْعُني في يوم الضيق أُنقذك فتُمجِّدني.» (مز٥٠: ٨و١٣و١٤)
+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الرب، اتَّخمتُ من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسَرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دُوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهةٌ لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل، لست أُطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم

بَغَضَتها نفسي، صارت عليَّ ثِقلاً، مللتُ حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم وإن كثَّرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا، تَنقَّوْا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيَّ، كفُّوا عن فعل الشر، تعلَّموا فعل الخير، أطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة.» (إش١: ١١—١٧)

+ «... ضُمُّوا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكُلوا لحماً، لأني لم أكلِّم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً ...» (إر٧: ٢١—٢٣)

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو٦:٦)

«وقت الإصلاح»: καιροῦ διορθώσεως

لأول مرة في كل كتابات العهد الجديد تأتي كلمة «إصلاح» διορθώσεως (٨) وكانت تُستخدم لدى الآباء اليونان المتأخرين بمعنى إصلاح reformation من جهة قوانين الدولة ومؤسساتها، وكانت تُستخدم في العهد القديم بمعنى إصلاح الطرق (إر٧:٣و٥). وهي تتعلّق بالفكر أكثر من العمل بمعنى جعل الفكر مستقيماً وثابتاً. وقد جاء معناها في سفر الأعمال (أع٣:٢١) إنما بشكل لغوي آخر ἀποκαταστάσεως لتفيد معنى رد كل شيء أو إصلاح أو استعادة الأصل أو الفاقد. والكلمة الأخرى المرادفة لها تماماً هي ما جاءت في مت ١٩:٢٨ بمعنى التجديد παλιγγενεσία . وهذان المرادفان يخصّان زمن مجيء المسيح الثاني.

ولكن لأن «وقت الإصلاح» كما جاء هنا بدون تعريف «بأل» τοῦ ، يكون غير محدَّد المعالم ولا يفيد أكثر من التغيير المرتقب. وهذا نحسُّه ونفهمه ونستعلنه بوضوح من الناموس نفسه، فهو فعلاً موضوع لزمن وليس للأبد، وإنه واضح الشكل في قبول التغيير. وهذا أعلنه المسيح بقوة ووضوح باهر في قوله: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم ...» (مت٥: ٢١و٢٧)، وأعطى وصايا جديدة تماماً قوية وروحانية للغاية، فضح فيها الوصايا الأُولى وقصورها ومحدوديتها الزمنية والتصاقها بالجسد والمستوى الضعيف للإنسان، مثل: «... قيل للقدماء لا تقتل ... وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ... وقيل للقدماء لا تزنِ وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» (مت٥: ٢١و٢٧) ... وهكذا.

---

8. Westcott, *op. cit.*, p. 254.

وبنظرة ثاقبة نرى عدم نفع تلك الوصايا والفرائض الجسدية، إذ ما معنى وما لزومية غسل الجسد مرات ومرات، وغسل كل شيء، في علاقة الإنسان بالله والضمير؟ وما قيمة تحديد أكل هذا وعدم أكل ذلك في علاقة الإنسان الروحية بالله؟ فكل هذه الوصايا لم تكن تخرج عن كونها تتعلّق بصحة الإنسان وليس بعلاقة روحه بالله. إذاً يصبح السؤال ملحًا: وماذا بعد هذه الوصايا الجسدية، كيف يتطهّر القلب والضمير؟ وكيف ومَنْ ذا القادر أن يُصلح الخصومة القائمة بين الجسد والروح، الإنسان والله، الخطية والقداسة، القصور البشري والكمال الإلهي، الموت والحياة، شقاء الإنسان والسعادة الأبدية؟؟

فإن بقي الإنسان تحت الوصايا الجسدية والتطهيرات والأعمال المظهرية التي يعملها بالجسد وكأنها تُرضي الله أو هي العبادة الصحيحة، فإنه يعيش في ذهنية عبادة مظهرية بعيدة كل البعد عن واقع الله والحياة الأبدية وحاجة روح الإنسان المتعطّش للحق الإلهي.

ب — كفّارة المسيح كرئيس كهنة أعظم، المؤسسة على العهد الجديد [٩ : ١١ — ٢٨]

٩ : ١١ «وأمّا المسيحُ وهو قد جاءَ رئيسَ كهنةٍ للخيراتِ العتيدةِ، فبالمسكنِ الأعظمِ والأكملِ غيرِ المصنوعِ بيدٍ، أي الذي ليسَ من هذه الخليقةِ».

«وأمّا المسيح»: Χριστὸς δέ

هذا هو المقابل. فدخول رئيس الكهنة اللاوي مراراً كثيرة متكرِّرة للأقداس الأرضية بدم ذبائح حيوانية، يقابله دخول المسيح مرّةً واحدة إلى الأقداس الحقيقية في السموات، إلى الحضرة الحقيقية الكليَّة لله، بدم نفسه، حيث حصل على غفران دائم وأبدي وليس لسنةٍ واحدة تتجدد. لهذا كان من الطبيعي أن يمتد هذا الأثر الدائم إلى مضمون وغاية النظام كله من خيرات أرضية إلى خيرات عتيدة محققة، أي تم الحصول عليها ولم تَعُدْ نبواتٍ أو أحلاماً أو تمنيات.

«المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة»:

«قد جاء»: παραγενόμενος تأتي باللغة اليونانية ليس بمعنى المجيء العادي بحسب ترتيب سابق والتي تُكتب γενόμενος (= قد جاء أو قد صار)، ولكن بمعنى أنه جعل ظهوره "يُحَس بين الناس أنه مُرسل من عالم آخر ليتمِّم جانباً من مهامه العظمى على الأرض"(٩). وقد استُخدمت هذه الكلمة بالذات في توضيح كيفية مجيء يوحنا المعمدان: «وفي تلك الأيام جاء παραγίνεται يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية» (مت٣: ١). واضح هنا أن «مجيء» يوحنا المعمدان كان غير مترقَّب، ولم يكن عن ترتيب سابق أو يوجد من يسبقه، كما أنه جاء في زمان ومكان محدَّد وظهر ظهوراً للعيان. وهذا هو القصد من تركيب هذه الكلمة الخاصة παραγενόμενος.

كذلك تأتي بمعنى "المجيء" الذي لا يُنتظر مضمونه أو سببه بسهولة: «أتظنون أني جئت παραγενόμην لأُعطي سلاماً على الأرض.» (لو١٢: ٥١)

9. Ibid., 255.

«رئيس كهنة للخيرات العتيدة»: μελλόντων ἀγαθῶν

يُلاحظ أن كلمة «العتيدة» هنا تأتي في بعض المخطوطات γενομένων (أي التي صارت أو جاءت) وهي نفس كلمة «جاء» παραγενόμενος بدون παρα. فهي خيرات عتيدة جاءت وصارت بمجيئه. فكلمة «العتيدة» تعني «المنتظرة وقد جاءت». وهي بعينها عهد السعادة التي نحن فيها مقيمون!! والجملة هنا تفيد مدى سمو رئاسة كهنوت المسيح، فهي رئاسة غير متوارثة ظهرت دون ترقُّب، ظهرت ومعها خيراتها الأبدية وإسعاد البشرية، حاضرة حضور الرب ذاته. فهي خيراته النابعة منه والمتأتية بظهوره وعمله وصلاحه! فرئاسة كهنوت المسيح يتضمن عملها واهتماماتها بركات أبدية وسعادة لا تعود تُطلب بل هي كائنة فيه ومعه، ولا يعود يتمنَّاها أحد فهي مِلْك من يُقبل إليه ويؤمن به.

عندما أكمل رئيس الكهنة الأعظم الرب يسوع المسيح مهمة رئاسة كهنوته التي «جاء» ليكمِّلها على الأرض وفي السماء، أي تقديم ذبيحة الكفَّارة العظمى بسفك دمه على الصليب، وموته وصعوده بجسده وجروحه عليه ودمه فيه، ودخوله إلى حضرة الله في الأقداس العليا وترائيه بنا وهو مذبوح أمام أبيه، عندئذ اكتملت كل الشروط الموضوعة منذ أن أخطأ آدم في الفردوس وتوارثت كل الأجيال من بعده طبيعة الخطية ومعها الموت واللعنة. لقد حمل الرب يسوع خطايا الإنسان كل الإنسان، واحتمل اللعنة على الصليب ومات فكمُلت العقوبة بالكامل، أكملتها البشرية بجدارة في شخص ابنه يسوع المسيح المتجسِّد من لحمنا ودمنا. وقام الرب بجسده وقد ألغى الخطية منه وأمات الموت بموته فأحيا الإنسان فيه جديداً وأحضره أمام أبيه بلا لوم.

إذاً، فقد تحقَّقت كل الخيرات العتيدة فيه كرئيس كهنة مؤتمن على كل خيرات الله الأبدية. إذاً، فليس الناموس وحده الذي تركناه وراء ظهورنا، بل وأيضاً العالم نفسه صُلب لي وأنا له: «لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة (ذات الخيرات العتيدة).» (عب١٣: ١٤)

فحينما نقول إن «الخيرات العتيدة» قد تحققت لنا في شخص يسوع المسيح الذي جلبها لنا بكفَّارته كرئيس كهنة للخيرات العتيدة، فهذا معناه أننا قد ورثناها بالفعل وهي في سجلّ نصيبنا المحفوظ لنا في السموات لا يتدنس ولا يضمحل. فنحن إذ حققنا نصيبنا في المسيح على المستوى السماوي، لا نعود نتمناه ولا نعود نحلم به، بل نعيشه من الآن لأننا أبناء، وبالتالي فنحن ورثة، ورثة مع المسيح لله.

٩ : ١١و١٢ «... فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيدٍ أي الذي ليس من هذه الخليقة.
وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه ...».

«فبالمسكن الأعظم والأكمل»:

والآن ها هو يتحقق جلال الكاهن الأعظم «**رئيس كهنة للخيرات العتيدة**».

فالخيرات العتيدة أن تكون، قد جاءت وتحقَّقت، وتشير إليها وتؤكِّدها أوصاف خدمته. إذاً فخدمته ليست على الأرض كهارون وكهنته اللاويين، وأول أمجادها هو نوع المسكن الذي يخدم فيه: «**فبالمسكن الأعظم والأكمل**» μείζονος καὶ τελειοτέρας σκηνῆς .

هنا يتحتم على الفكر أن يذكر ما قاله الرب لموسى عندما أعطاه أن يصنع المسكن الأول أي الأرضي، فقد كان على شبه τύπος المثال السماوي، الأعظم والأكمل، النموذجي، الذي ليس من هذه الخليقة.

والآن دخل المسيح كرئيس كهنة للخيرات العتيدة إلى هذا المسكن الأكمل والأعظم السماوي الذي ليس من هذه الخليقة ولا هو من صنع يد.

وواضح أنه هو الأكمل بالنسبة للأنقص الذي أُنشىء على الأرض بيد الإنسان، والأعظم لأنه ليس من هذه الخليقة. ولكن ما هو هذا الهيكل الأعظم والأكمل؟ لقد اتفق جميع الآباء القديسين الأوائل بلا استثناء أنه هو جسده!! ولكن أليس في هذا القول تجنٍّ على «**التجسُّد**» أنه **ليس من هذه الخليقة**؟ وهذا بحد ذاته جحد لبشريته وصدق تجسُّده! هذا الأمر شغل بال الآباء والمفسِّرين ربما دون الوصول إلى الحل الصحيح!

هنا يتحتَّم علينا الحذر أشد الحذر فالتفسير شاق.

نبدأ أولاً لنسأل، ماذا كانت وظيفة خيمة الاجتماع، وهي المسكن الأول على الأرض، والتي كانت الشبه والظل للأصل والحق؟ ألم تكن ليجتمع الله مع شعبه؟ فهي مكان حضرة الله بين الناس. ثم ما هو الاسم الذي تحدَّد للمسيح منذ الأزل؟ أليس عمانوئيل؟ ثم إن كان الأمر كذلك، فبالضرورة لابد أن تكون هذه الخيمة والرب حاضر وحالٌ فيها هي الواسطة الوحيدة وقتها للوصول إلى الله؟ إذاً، فحتماً يكون الأصل والمثال السمائي الأول الذي عُملتْ خيمة الاجتماع على مثاله هو بالأولى والأكثر تأكيداً هذه الخيمة أو المسكن السمائي — وهو الأصل والحق

والأرثي تايب — أي مكان اجتماع الله مع الإنسان وواسطة الوصول إليه، بمعنى أنها هي بعينها حضرة الله وبنفس الوقت تقدّم طريقاً للوصول إليه. إذاً، يتحتّم أن تكون روحية حقيقية أبدية كما سبق أن وصفها في الأصحاح ٨ : ٢ : «للأقداس والمسكن **الحقيقي** الذي نصبه **الرب لا إنسان**». وهذا يفرض علينا بالأساس أن نلغي كل التحديدات المكانية والزمانية إطلاقاً. فلا تكون هي في السماء الأُولى ولا الثالثة ولا حتى في أعلى السموات، ولكنها يتحتّم أن تكون أعلى من السموات، لا مكاناً بل قدراً وسمواً وجلالاً.

إذاً، يلزم أن نبحث عن المثل الذي يحقّق حضرة حقيقية لله وطريقاً إليه وأن يكون أبدياً، خيمة ليست من صنع ولا تصوُّر إنسان ولا حتى في أقصى حدود الخليقة، ولكن يتحتّم أن يتلاقى فيها الله مع الإنسان. أي لابد أنها تتنازل في مجدها لتسع الإنسان في تواضعه بالضرورة.

والآن عودة إلى المسيح لنسمع منه الحقيقة قوية وناصعة.

فمن جهة جسده والهيكل السماوي الذي نبحث عنه الذي يكون هو البديل للهيكل الأرضي ويكون مصنوعاً بغير يد يقول الرب حينما سألوه:

+ «أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟ (تطهير الهيكل) أجاب يسوع وقال لهم: **انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه**. فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمه؟ **وأمّا هو فكان يقول عن هيكل جسده**.» (يو٢: ١٨—٢١)
+ «نحن سمعناه يقول **إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيادٍ**.» (مر١٤: ٥٨)

أما الإشكال الذي ألمحنا إليه من نحو كيف أن التجسُّد نحسبه ليس من هذه الخليقة إن اعتبرنا أن الجسد هو الهيكل الجديد غير المصنوع بيد أبديٌّ؛ فنرى أن الحلّ قائم جاهز. فالجسد الذي أخذه ابن الله هو حقاً من هذه الخليقة، غير أن الجسد ليس مجرد جسد بل إن اللاهوت متحد به اتحاداً كاملاً شاملاً بغير انفصال ولا تغيير. ثم إن الجسد ظلّ من هذه الخليقة حتى الصليب والقبر، **ولكن بالقيامة صار الجسد خليقة جديدة**، بل وصار قابلاً أن يتّحد بالإنسان ليحوّله إلى خليقة جديدة أيضاً. بهذا أصبح جسد المسيح بالقيامة من الأموات وفيه اللاهوت كاملاً مستعلناً حاضراً حضوراً ثابتاً أبدياً، وهو بآن واحد جسد محسوب خليقة جديدة، أصبح هو بعينه الحضرة الإلهية كاملة مُستعلَنة، وفي نفس الوقت يجمع كل من يؤمن به، كل إنسان يعتمد ويتحد فيه ليتحوّل إلى نفس الخليقة الجديدة وذلك إلى مالانهاية. فاتساع جسد المسيح لقبول الإنسان الجديد الذي صار هو

أيضاً خليقة جديدة هو مطلق بإطلاق اللاهوت الذي له. فأصبح جسد المسيح هو الحضرة الإلهية التي يجتمع فيها الله والإنسان معاً اجتماعاً ثابتاً دائماً أبدياً: «الذي تفسيره الله معنا.» (مت ١: ٢٣)

من هذا نرى أن جسد المسيح المُقام قد تحققت فيه كل مؤهلات المسكن الجديد السماوي الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، لأنه قام بإرادته وحده بمجده ومجد أبيه، وهو ليس من هذه الخليقة (القديمة) في شيء، فصار هو رأس الكنيسة، والكنيسة فيه هي جسده ونحن أعضاؤه.

ولكن يعترض الآباء في شرحهم على أن تكون الأقداس العليا هي جسده أي الكنيسة، إشكال آخر نتركه دون حل. وهو كيف أن المسيح وهو رئيس كهنة أعظم للخيرات العتيدة يدخل إلى الأقداس السماوية، وهو نفسه المسكن الحقيقي أي الأقداس السماوية عينها؟

هنا أيضاً يلزمنا أن ندرك أن الهيكل السمائي أي الأقداس العليا تشمل بالأساس الحضرة الأبوية، هذا محسوب أنه جوهر المفهوم الفدائي وأساس قبول الكفَّارة. فالمسيح لم يدخل إلى نفسه بل **دخل إلى الآب حاملاً ذبيحة نفسه**. بمعنى أن الهيكل السماوي يشمل الآب بكل ضرورة ويقين، وهذا نسمعه واضحاً من سفر الرؤيا:

+ «ثم بعد هذا نظرتُ وإذا قد انفتح هيكل خيمة الشهادة في السماء ...»،

«وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزيَّنة لرجلها»،

«وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا **"مسكن الله" مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ...**»،

«ولم أرَ فيها هيكلاً **لأن الرب الله القادر على كل شيء "هو والخروف هيكلها"**.»

(رؤ١٥: ٥، ٢١: ٢و٣و٢٢)

١٢:٩ **«وليسَ بدمِ تيوسٍ وعجولٍ، بل بدمِ نفسِهِ، دخل مرَّةً واحدةً إلى الأقداسِ فوجدَ فداءً أبديًّا».**

لقد أدركنا في الآية السابقة كيف صار لنا بالمسيح مسكنٌ أعظم وأكمل في السموات، ليختفي المسكن الأرضي الذي يُقام باليد ويُطوى بالزمن. وهنا يحكي القديس بولس عن كيف صار لنا بالمسيح ذبيحة أعظم وأكمل صعد بها، فإذا هي ليست من هذه الخليقة؛ لتختفي ذبائح الحيوانات،

ودخل بدم ذبيحته مرَّة واحدة إلى الأقداس العليا لتنتهي مئات الذبائح لمئات السنين، فوجد لنا فداءً أبدياً عوض تطهيرات جسدية زائلة لا تقوى على إراحة الضمير.

والنتيجة أن انشقَّ الحجاب الفاصل بين الله في قدس الأقداس وبين القدس، إذ صار كل الداخلين إلى الله كهنة بل وملوكاً معه. فلا مسكن مقفل، ولا حواجز تفصل، ولا أحجبة تحجب، ولا لاويون يخدمون، ولا ذبائح تُذبح، بل مسيح واحد هو الذبيحة الواحدة، وهو رئيس الكهنة الأعظم، والكل له كهنة وفيه بيت واحد في السموات هو بيتنا؛ بل هو هو نحن (عب٣: ٦) إن ثبتنا في الإيمان غير متزعزعين، وأب واحد يمسح الدموع، والموت لا يكون بعد!! (رؤ٢١: ٤):

+ «وإذا حجاب الهيكل قد انشقَّ إلى اثنين من فوق (من عند الله) إلى أسفل (حتى إلى الإنسان).» (مت٢٧: ٥١)

+ «وأمَّا أنتم **فجنسٌ مختارٌ وكهنوتٌ ملوكيٌّ أمةٌ مقدَّسةٌ شعب اقتناء**، لكي تخبروا بفضل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط٢: ٩)

+ «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً (أُمميين) **وأمَّا الآن فأنتم شعب الله**. الذين كنتم غير مرحومين وأمَّا الآن فمرحومون.» (١بط٢: ١٠)

+ «كونوا **أنتم أيضاً** مبنيين (بالروح القدس) كحجارة حيَّة (لبيت الله في السموات)، **بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح**.» (١بط٢: ٥)

+ «الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ١: ٥و٦)

+ «(إذ) قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة **لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية** (جسد المسيح).» (٢بط١: ٤)

+ «لأن به **لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب**. فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً، **بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله**، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (في الهيكل السماوي)، **الذي فيه كل البناء (الهيكل) مركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح**.» (أف٢: ١٨—٢٢)

+ «وأمَّا المسيح فكابن على بيته، **وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**.» (عب٣: ٦)

+ «وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً، **هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم**، وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش، ها أنا أصنع كل شيء جديداً.» (رؤ٢١: ٣—٥)

«بل بدم نفسه دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس»: διὰ (through) δὲ τοῦ ἰδίου αἵματος

هنا أخفقت الترجمة العربية أن تُبرز معنى διὰ أي **«بواسطة (through) دمه»**(١٠)، ففُهمت على أنه **دخل بدمه**. ولكن المعنى المقصود، وهو قائم على معلومة لاهوتية كبيرة، هو أن **دمه أهَّله للدخول**، تماماً في مقابل الطقس الهاروني أن **دم الذبيحة** — سواء كان دم العجل عن خطايا نفسه أو دم المعزى عن جهالات الشعب — هو الذي أعطاه حق الدخول إلى قدس الأقداس ليتراءى أمام الله، وإلاَّ استحال عليه الدخول.

بل ويمتد هذا المفهوم ليتَّصل بخلاصنا أشد اتصال، وهو أننا **بهذا الدم عينه دم كفَّارة المسيح بذبيحة نفسه نتأهَّل للدخول إلى الأقداس السماوية، فنجد الفداء الذي أكمله المسيح بهذا الدم جاهزاً** باسمنا لتكميل الخلاص وإعطاء الحياة الأبدية حسب نص الآية: «**فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع**، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً، حيًّا، بالحجاب أي جسده.» (عب١٠: ١٩)

وهنا يتحتَّم أن نعرف أن الكفَّارة التي بدأها المسيح على الصليب، أكملها في السموات بدخوله إلى الله في الأقداس السماوية، ليتراءى أمامه ودمه عليه، فنال الصفح كل الصفح عن خطايا كل إنسان يؤمن بهذا الدم عينه، دم كفَّارة المسيح الذي سفكه من أجل كل واحد وواحدة.

وهذا الدم عينه وهو مسكوب، ولا يزال في نظر أبيه، احتسبه الآب نفسه أغلى وأعز ثمن دفعه ليقتني به كنيسته: «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس **فيها** أساقفة لترعوا **كنيسة الله التي اقتناها بدمه**.» (أع٢٠: ٢٨)

لهذا صعد المسيح في الحال وبصورة عُلمت لنا إعلاماً رسمياً من فمه في حديثه لمريم، وهي أول مَنْ رآه حال قيامته وفي لحظتها، لذلك لم يسمح لمريم أن تلمسه أو تُعوِّق صعوده: «قال لها يسوع

10. Westcott, *op. cit.*, p. 258.

لا تلمسيني لأني **لم أصعد** — بعد — إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم **إني أصعد** إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو٢٠:١٧)

وهذا الصعود واضح غاية الوضوح أنه صعود يختلف تماماً عن الصعود[11] الذي أكمله المسيح في رواية لوقا البشير في سفر الأعمال: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم.» (أع١:٩)

صحيح أنه كان يتحتَّم أن يصعد المسيح بجسده الممزَّق الميت الحي المقام ودمه فيه ليُدخل البشرية التي صُلبت وماتت فيه ومعه، وعليها دمه المقدَّس، لكي ينال لها مكانة المصالحة والودّ لدى الله أبيه، وهذه واجبات الكفَّارة. ولكن لم يكن الآب لينتظر قدومه، بل قد صعد دمه حال ما انسكب على الجسد والأرض فنال الرضا كل الرضا والمصالحة كل المصالحة: [فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة] (صلاة يقولها الكاهن سراً في رفع البخور — وتُقال كلحن في أسبوع الآلام وفي تسبحة الأحد). وفي الحال عندما أسلم الروح انشق الحجاب إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ليُعلن إعلاناً أن الله قَبِلَ الذبيحة وفتح أبوابه ليدخل إليه الإنسان بلا مانع بعد.

«دخل مرَّة واحدة»: εἰσῆλθεν ἐφάπαξ

كان هذا الدخول هو قمَّة عمل الخلاص الذي بدأه على الصليب. فقوله هنا: «مرَّة واحدة» ليس فقط ينفي التكرار الذي لازم رؤساء الكهنة اللاويين، بل ويأخذ معنى الكمال والتكميل الكلي في ذات العمل الواحد. فهو يمتد في فعله بأثر رجعي ليشمل من آدم ويمتد بفعله ليشمل آخر الدهور. هذا احتُسب المسيح أنه صاحب «الخلاص الأبدي»: «وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.» (عب٥:٩)

وهو في هذه المرَّة الواحدة التي دخل فوجد فداءً أبدياً لم يخرج، بل تُوِّج ملكاً أبدياً على كل الدهور. وتمَّت نبوَّة داود النبي حتى النهاية: «أقسم الرب ولن يندم. **أنت كاهن إلى الأبد** على رتبة **ملكي** صادق.» (مز١١٠:٤)

«فوجد فداءً أبدياً»: αἰωνίαν λύτρωσιν εὑράμενος

قد يتهيأ لأول وهلة بحسب الترجمة العربية، أن الفعل **«فوجد»** هو مترتب على الدخول، أي أنه دخل، ولما دخل وجد فداءً. ولكن الحقيقة أن الفعل «وجد» في الأصل اليوناني لا يأتي

11. K.M. Monroe, *EQV*, 1933, p. 404; cited by Bruce, *op. cit.*, p. 201 n. 82.

كنتيجة للفعل «دخل»، بل هو بذاته مترتب على عمل الفداء الذي تم سابقاً على الصليب بسفك الدم. لأن الفداء متوقِّف على سفك الدم والموت الذي ماته المسيح، وأما الدخول فقد تم بعد ذلك. ولكن من حيث الاستعلان المجيد والمعلَن على العالمين، فإن الفداء أخذ جلاله في الصعود كما أخذ صكَّه الأزلي بجلوس الفادي عن يمين العظمة في السموات. لذلك عسير على الفكر أن يختار ما هو أسبق في الفداء وما هو أكثر استعلاناً.

فالفداء وإن تم تاريخياً على مراحل، ربما من قبل الصليب، فالآلام نفسها تدخل في صميم معنى الفداء وعمله وأثره، ولكن الفداء في الإيمان المسيحي وفي اللاهوت عامة هو حقيقة واحدة كاملة، كاملة حتى في كل مراحلها:

+ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء διὰ τῆς ἀπολυτρώσεως الذي بيسوع المسيح الذي **قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه** ...» (رو٣: ٢٤و٢٥)

وهنا في قوله: «قدَّمه الله كفَّارة»، يفيد إفادة مباشرة أن ذبيحة المسيح هي ذبيحة سماوية مرصودة في المقاصد الأزلية، لم يقدِّمها المسيح كرئيس كهنة من تلقاء ذاته بل بالتدبير الأبوي، اشترك فيها الآب كما اشترك فيها الابن:

+ «**الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله** لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨: ٣٢)

والآن نفهم لماذا لمَّا دخل وجد فداءً أبدياً، لا كأنه مفاجأة بل كرَسْم الآب موقَّعاً عليه. كذلك نفهم لماذا جلس عن يمين الله، لا كأنه مكافأة، بل لأنه كمَّل المشورة الأبوية أيَّما كمال، التي بعد أن أكملها عاد إلى مجده الذي له.

لذلك صحَّ أن يُقال إن الله فدانا بابنه، فالله هو الكل: «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً، **ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح** وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن **الله كان في المسيح مُصَالِحاً العالم لنفسه** غير حاسب لهم خطاياهم ...» (٢كو٥: ١٧ــ١٩)

دم المسيح
[٩ : ١٣ ــ ٢٢]
الحقائق المرصودة في الرسالة عن دم المسيح

بعد ما قدّم بولس الرسول ملخّصاً عن عمل المسيح كرئيس كهنة في الآيتين السالفتين (١١و١٢)، بدأ يركّز على دم المسيح كالآتي:

١ ــ **دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين، له قوة تطهير الضمير في مقابل تطهير الجسد (٩ : ١٣و١٤).**

٢ ــ **دم المسيح أساس العهد الجديد في مقابل دم ذبائح الحيوانات التي تأسّس عليها العهد القديم (٩ : ١٥ــ٢٢).**

١ ــ دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين: (٩:١٣و١٤).

٩ :١٣و١٤ **«لأنه إن كان دمُ ثيرانٍ وتُيوسٍ ورَمادُ عِجْلَةٍ مرشوشٌ على المُنجَّسينَ يقدِّسُ إلى طهارةِ الجسدِ،**
فكَمْ بالحريِّ يكون دَمُ المسيحِ، الذي بروحٍ أزليٍّ قدَّمَ نفسَهُ لله بلا عيبٍ، يُطهِّرُ ضمائرَكم من أعمالٍ ميِّتةٍ لتخدموا اللهَ الحيَّ».

يُلاحِظ القارىء أن المقارنة التي يضعها بولس الرسول هنا تقوم على أمرين:

الأول: مقارنة بين الأثر الظاهري بالنسبة للجسد فيما يخص دم الحيوانات، وهو ما يجعل العبادة تأخذ منهجها الظاهري بالتالي، وبين الأثر الداخلي الذي يخص عمل دم المسيح، وهنا تأخذ العبادة منهجها الداخلي بالتالي.

الثاني: مقارنة بين دم الحيوان الخالي من أية فعالية روحية،
ودم المسيح الذي هو بروح أزلي له فعالية مسح وإلغاء أثر الأعمال الميتة التي تجلب الموت.

وبنفس الآية (١٣) يستخدم بولس الرسول ثلاثة أنواع من ذبائح اللاويين:
ــ ذبيحتان ليوم الكفّارة وهما:

التيوس: ذبيحة جهالات الشعب؛ **والعجول**: ذبيحة خطايا رئيس الكهنة نفسه (لا ١٦).
ــ ثم ذبيحة **البقرة الحمراء** (سفر العدد ١٩)، تُذبح ويُرش دمها سبع مرات ناحية القدس ثم يُحرق جسمها ودمها، ويُمزج الرماد بالماء ويُرش على جسد المتنجِّس.

وصنف الذبائح الأولى يختص بنجاسات الأعمال اليومية.
وصنف الذبائح الثانية يختص بنجاسة الذين يمسُّون ميتاً.

وهنا يلزمنا أن نفرِّق بين:
فعل الدم في **التقديس** على مستوى الجسد بالنسبة للدم في النوع الأول للذبائح، وهذا يختص بالسلوك الأخلاقي،

وبين **فعل** رماد العِجْلة المرشوش على المتنجِّسين الذي **يطهِّر** الجسد وحسب، وهذا يختص بوضعه الظاهري في الإنسان.

والأساس الفكري الذي تقوم عليه هذه الآية هو أن **العهد القديم** الذي وضع هذه الفرائض يقصد منها أن يحضر اليهودي الذي تحت الناموس إلى العبادة الهيكلية ليتراءى أمام الله طاهر الجسد والسلوك، ليتأهَّل لشركة الكنيسة أمام الله في العبادة، ولكن ذلك كله على أساس الوضع الخارجي للإنسان.

١٤:٩ **«فكَمْ بالحريِّ يكون دَمُ المسيح، الذي بروح أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيبٍ، يُطهِّرُ ضمائرَكم من أعمالٍ ميتة لتخدموا الله الحيَّ».**

من روح هذه الآية وبنظرة فاحصة لمضمونها، نستطيع أن نلمح فيها الأسس التي تركَّبت عليها هذه الآية:
قدَّم نفسه: هنا إبراز فعل إرادي حرٍّ، هو أساس الذبيحة الحقيقية.
نفسه: هنا كشف عن نوع الذبيحة أنها عاقلة مُدركة واعية لما يُجرى عليها.
بلا عيب: واضح هنا كتكميل للفعل الإرادي الحر والوعي الكامل لفعل الذبح الذي يجريه في ذاته أنه أيضاً على أعلى مستوى من القوة الإرادية المتحكِّمة في نفسه ليكون بلا عيب، قدوساً كما هو، وبالتالي يؤدي أعمال **الكفَّارة** عن جدارة وارتياح ورضا الآب.

«فكم بالحري يكون دم المسيح»:

هنا توقفت الآية عن التطبيق، فكان من المأمول أن يستمر بولس الرسول ويقول، فكم بالحري يكون دم المسيح في مغفرة الخطايا وفي التطهير من فعل الموت ذاته، لتأهيل الإنسان بالحياة الأبدية في قداسة ليحيا مع الله إلى الأبد!

ويلزم هنا أن نلاحظ أن **قوة** دم الذبائح الحيوانية **تُستمد من موتها** عِوَض الخاطىء حتى لا يموت.

أما دم المسيح **فقوة الحياة الأزلية التي فيه هي التي** تُحيي من الموت وتؤسِّس الضمير الروحي الجديد، ضميراً بلا خطية. والسؤال: هل حقاً تأسَّس فيك أيها القارىء العزيز هذا الضمير بحق دم المسيح المسفوك من أجلك؟

«الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب»:

جميل جداً أن يوضِّح لنا هنا بولس الرسول كيف قدَّم المسيح نفسه لله بالروح، بالنية قبل أن يُسفك دمه. فهذا يوضِّح أول فعل رسمي لرئيس الكهنة الأعظم أن قدَّم ذبيحته برضا على الصليب بمنتهى إرادته الحرَّة.

والأبدع أن يكشف لنا **أيضاً** عن القوة الهائلة التي سندته في هذه العملية، إذ يقول إن ذلك كان **«بروح أزلي»**. والروح الأزلي هو الله! «الله روح» (يو٤: ٢٤).

هنا لاهوت المسيح يضطلع بدوره المشترك مع الجسد، فيقف المسيح كرئيس كهنة أعظم وذبيحة بآن واحد!

هذا هو الحي بل رب الحياة، وهذا هو الميت الحي الذي مات والحياة لم تُفارقه، فمات ليُحيي العالمين. وبموته أمات الموت وأسَّس الحياة الأبدية والخلود للإنسان.

كان هذا أروع صور الموت! الموت الذي قوَّض قوة الموت وهدم أركانه، هذا هو الموت الفريد الذي لم يماثله موت قط، هذا موت الفداء. **الموت الذي وازن خطايا كل العالم فأسقطها من ميزان عدل الله. والموت الذي واجه عقوبة الموت للإنسان فحوَّلها إلى حياة أبدية.** لأنه مات وفيه **«قوة حياة لا تزول»** غلب بها الموت وكسر شوكته. فهو الذي قال عنه بولس الرسول: «صار آدم الأخير (المسيح) روحاً مُحيياً.» (١كو١٥: ٤٥)

فإن كان المسيح «بروح أزلي قدّم نفسه لله» ليكون ذبيحة فداء، فهي ذبيحة روحية حتماً حتى وإن كانت بالجسد، فهي ممتدة امتداد الله فيه، وفداؤه هو فداء أبدي، لا حدود لفعله ولا نهاية لعمله. وهي ذبيحة ليست فقط مقبولة أمام الله ــ لأنها ذبيحة روحية، بل إذ حُسبت على مستوى ميزان عدله الروحي فهي قادرة بوزنها الروحي العالي أن **تعادل بر الله** وتستقطبه لحساب الإنسان!!

«يطهّر ضمائركم من أعمالٍ ميّتة لتخدموا الله الحيّ»:

لينتبه القارىء، فالفداء لا ينتهي عند تطهير الضمير بل عند **خدمة الله الحي بضمير طاهر!!**

والمعنى واضح وهو الدخول في حياة جديدة مع الله. فالفداء هو إعادة الإنسان لخدمة وعبادة الله الحي خدمة طاهرة وبضمير نقي يخلو من الأعمال التي تستوجب الموت، حيث لا تطلب أعمالاً بالجسد بعد بل ذبائح روحية بتسبيح وشكر يدوم:

+ «ولا تكون لعنة ما فيما بعد، وعرش الله والخروف يكون فيها **وعبيده يخدمونه**.» (رؤ٢٢: ٣)

+ «كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي وتنتظروا ابنه من السماء ...» (١تس١: ٩و١٠)

٢ ــ دم المسيح أساس العهد الجديد: (٩: ١٥ــ٢٢).

١٥:٩ **«ولأجلِ هذا هو وَسِيطُ عهدٍ جديدٍ لكي يكون المدعوُّون، إذ صار موتٌ لفداءِ التعدِّياتِ التي في العَهْدِ الأوَّل، ينالُونَ وَعْدَ الميراثِ الأبديِّ».**

«ولأجل هذا»: καὶ διὰ τοῦτο

بمعنى «ولأجل هذا السبب!»، وما هو هذا السبب؟

هنا تعقيب مباشر على نهاية الآية السابقة التي تقول في الآخر إن دم المسيح يطهِّر الضمير ــ أي النفس ــ فتتأهّل لخدمة الله. فلهذا في الحقيقة أصبح المسيح وسيط العهد الجديد. وهذا منطقي جداً وصحيح للغاية، فإن كان المسيح استطاع بدم كفّارته أن يطهِّر نفس الإنسان ويؤهّله لخدمة جديدة لله، روحية وكاملة وبلا عيب، فقد أصبح بالضرورة هو الوسيط الجديد للعهد الجديد الذي يثبّته ويؤكّده ويوثّقه.

فهو دم المسيح بروحه الأزلي، فدم المسيح أو حياة المسيح التي أصبحت أساس الحياة الجديدة

للإنسان هي الكفاية وهي ضمان هذا العهد:

+ «ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله ــ ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله **الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد ــ لا الحرف** (الناموس) **بل الروح** (روح المسيح) لأن الحرف (الناموس) **يقتل ولكن الروح يحيي.**» (٢كو٣: ٤ــ٦)

هذا هو المسيح الذي بدمه، بل بحياته التي في دمه، صار وسيطاً لعهد جديد لخدمة الله بالروح وليس بالجسد أو الحرف أو الناموس:

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد ــ مرتَّباً بملائكة ــ **بسبب التعدِّيات، إلى أن يأتي النسل** (المسيح) **الذي وُعد له في يد وسيط.**» (غل٣: ١٩)(١٣)

+ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح.» (١تي٢: ٥)

«إذ صار موت لفداء التعديات في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي»:

في آية سالفة (غل٣: ١٩) يقول بولس الرسول إن الناموس زيد بسبب التعديات، ولكن هذا الناموس تعامل مع التعدِّيات بالعقاب والتأديب فقط، ولم يستطع أن يعالج هذه التعدِّيات أو يرفعها، وبالتالي أخفق أن يتقدَّم بالإنسان نحو الكمال المنشود لخدمة الله بالروح. ولهذا بادر الله بعمل جديد كفيل بأن يرفع التعدِّيات ويبلغ بالإنسان إلى الكمال الذي يرضيه لخدمة روحية تؤدي إلى حياة أبدية: «لأني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم فيما بعد» (عب٨: ١٢). هذا هو روح وأساس ومنطوق العهد الجديد الذي صوَّره الله في قلبه ووضعه أمامه جاهزاً للتنفيذ حينما يأتي الميعاد، وها الميعاد قد أتى وأخذ الابن الوحيد عهداً للتنفيذ، وكان تنفيذاً عجيباً إذ نفَّذه في نفسه ودفع كل الثمن ليكون الله صادقاً فيما وعد، فصار العهد الجديد بدم الابن الوحيد المحبوب لخلاص الإنسان وحياته مع الله في شركة الروح إلى الأبد: «**هذا هو العهد الجديد بدمي.**» (١كو١١: ٢٥)

هذا لأن خطية الإنسان، بتعدِّياته على وصايا الله التي هي بدورها التعبير الملموس للحق الإلهي وإرادة الله، ليست أمراً هيِّناً. كان عمل الناموس في العهد الأول تجاهها هو إظهارها وتوبيخها ومحاصرتها ووضعها أمام الإنسان باعتبارها العلَّة الأساسية التي حجبت وجه الله عن الإنسان

(١٣) يلاحظ القارىء في الآية السابقة تصحيحاً لترتيب الكلمات، لأن الترجمة العربية أساءت إلى المعنى بوضعها: «مرتَّباً بيد ملائكة»، في غير موضعها.

(إش٥٩ : ٢) وحرمته من شركة روحية معه. ومن وسائل توضيحها ومحاصرتها تقديم الذبائح التي كان يقدّمها الكهنة عن الشعب بلا هوادة عن كل أنواع الخطايا. ولكن لم تكن الذبائح الحيوانية قادرة أن تفعل أي شيء في ضمير الخاطىء أو نفسه وروحه وأخلاقه، فبقي كما هو غارقاً في تعدّياته وجهالاته وموته في دينونة.

فلما جاء المسيح، وقدّم ذبيحته ذات الفعالية الكاملة لضمير الإنسان ونفسه وروحه، بل والتي أمدّته بقوة حياة جديدة بفكر وأخلاق وسلوك جديد، ورفعت عنه عقوبة كل تعدّياته الأولى، تأهّل بذلك لخدمة الله بالروح، وكان هذا هو العهد الجديد مع الله الذي وعد به، والذي طالما حلم به الإنسان.

«ينالون وعد الميراث الأبدي»:

أمّا الناموس فلما وُضع، وضع الله له ما يناسبه من جزاء أرضي، فوعدهم بميراث الأرض، وكان هذا ظلاً لحقيقة الميراث الروحي المُعدّ للإنسان في السموات، وكان للاستهلاك الزمني لهذا فعند تأسيس العهد الجديد، استُعلن الميراث الحقيقي السماوي والأبدي.

الآيات من ١٦ — ٢٣:

٩ : ١٦ — ٢٣ «لأنه حيث توجدُ وصيةٌ يَلزمُ بيانُ موتِ المُوصِي.
لأن الوصيةَ ثابتةٌ على الموتى إذ لا قوّةَ لها البتّة ما دام المُوصِي حيّاً.
فمِنْ ثَمّ الأول أيضاً لم يُكرّس بلا دَمٍ.
لأن موسى بَعْدَ ما كلّم جميعَ الشعبِ بكلّ وصيّةٍ بحسبِ الناموس،
أخذَ دَمَ العُجُولِ والتُّيوس مع ماءٍ وصوفاً قِرْمِزيّاً وزوفا،
ورشّ الكتاب نفسَه وجميعَ الشعب.
قائلاً هذا هو دَمُ العهدِ الذي أوصَاكُم الله به.
والمسكنَ أيضاً وجميعَ آنيةِ الخدمةِ رشّها كذلك بالدمِ.
وكلُّ شيءٍ تقريباً يتطهّرُ حسب الناموس بالدمِ، وبدونِ سفكِ دَمٍ لا تحصُلُ مغفرةٌ.
فكان يلزمُ أن أمثلةَ الأشياءِ التي في السمواتِ تُطهّرُ بهذه؛ وأما السماويات عينُها فبذبائحَ أفضل من هذه».

نظراً لصعوبة الترجمة التي واجهت العلماء — حتى منذ العصور الأولى وكذلك جميع الآباء

القديسين المفسرين ــ فقد صَعُب إعطاء المعنى المطابق للآيات كلمة كلمة.

وقد قرأ (الكاتب) لعلماء كثيرين فوجد أن ليس هناك وجهة نظر مشتركة وثابتة. وبناءً عليه نُعطي تفسيراً مختصراً قد يوفي بالمعنى.

فلنعتبر أولاً الكلمات التي يقوم عليها تفسير هذه الآيات وهي: **«موت لفداء»** (١٥:٩)، **«توجد وصية»** (١٦:٩)، **«موت المُوصِي»** (١٦:٩)، **«الميراث الأبدي»** (١٥:٩)، **«الدم»**.

فالقضية التي يطرحها بولس الرسول تكاد تكون قضية قانونية.

فهو يرى أن الخاطىء تحت الناموس، كان يقتني تحت يده **وصية يرث بها أرض كنعان**؛ ولكنه إذا لم يكفِّر عن خطيته، لا يرث الأرض، إذ لا يكون من ضمن شعب الله، ولا كعضو في عبادة يهوه. وهكذا فُرضت الذبائح.

فالخاطىء تحت الناموس عليه أن يذبح الحيوانات ويتطهَّر خارجياً لكي يتأهل للميراث، أي الأرض، وللعبادة مع الجماعة.

هنا **ذبح الحيوانات هو نوع من فداء النفس**، والذبح موت، فهنا **لزم الموت للحيوان لفداء الجسد** الذي للخاطىء تحت الناموس.

ولكي تتطهَّر الخيمة وأدواتها وحتى كتاب التوراة، لزم أيضاً رشُّها بدم الحيوانات، لأن رش الدم صار نوعاً من التكفير أي غفران الخطايا. وهذا بدوره صار هو بعينه التقديس أي التطهير ليصير الشيء مخصَّصاً لله.

وبولس الرسول يقول، إن كانت أمثلة الأشياء التي في السموات ــ أي الخيمة والعبادة على الأرض ــ تُطهَّر بهذه ــ لَزم بالضرورة أن السماويات عينها، أي الحقائق الإلهية، تُطهَّر، ولكن بذبائح أفضل، والمعنى المقصود هو:

إن الخاطىء في العهد الجديد لكي يرث الميراث الحقيقي السماوي، أي ميراث الله، عبادةً وشركةً وحياةً ــ بحسب وصية العهد الجديد، لزم أن يكفِّر عن خطاياه، ليتقدَّس بالروح ــ أي يتخصَّص لله، ويرث ميراث الروح.

فإن كان خاطىء العهد القديم وجد في العِجْل والمعزى كفَّارة وقتية لطهارة الجسد لدخول خدمة الهيكل ونوال ميراث الأرض، ولذلك لزم موت المكفِّر أي الحيوان؛ فإن خاطىء العهد الجديد تحتَّم أن تكون الكفَّارة عنه من أصل سماوي لتطهير النفس والروح والضمير، لدخول السماء عينها ونوال الميراث السماوي.

ولأنه كان يلزم بالضرورة موت المكفِّر أو الفادي؛ والمكفِّر هنا أو الفادي هو صاحب **العهد الجديد** — والعهد الجديد هنا يُعتبر أنه **وصية** مبرمة بين الله والإنسان — وقد وصَّى بميراثه السماوي؛ لذلك فبموت المكفِّر وهو نفسه صاحب الوصية، استُعلنت الوصية في الحال وأصبحت واجبة التنفيذ على الذين مات الفادي من أجلهم. **ولكنه بعدما مات قام أيضاً**، فصارت حياته ضماناً لعهده الذي عَهَد وتوثيقاً لنفاذ الوصية كما وَعَد:

+ «**لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صُولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نَخلُص بحياته.**» (رو٥: ١٠)
+ «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا (الآن) أولاد الله. فإن كنَّا أولاداً، فإننا ورثة أيضاً، ورثة لله، ووارثون مع المسيح.» (رو٨: ١٦و١٧)

وفي قوله: «**وأمَّا السماويات عينها فبذبائح أفضل**»، يكون أمامنا المجال قد اتسع جداً لأن نقول إن ما في السماويات عينها هم المؤمنون أنفسهم بيت الله، وهم أدواته بإنجيلهم المقدس، والكل قد صار «بدم المسيح» مقدَّساً وطاهراً، وصليب المسيح يتلألأ فوق هامات الرؤوس وفوق كل شيء. وبدون دم المسيح لا يكون شيء طاهراً قط. و«الدم» **أصبح هو التعبير الفعلي عن التقديس — أي التخصُّص لله، والخلاص في العهد الجديد. فكلمة «الدم» تحمل كل مفهوم الفداء والخلاص والتقديس.**

٩: ٢٤ «**لأن المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعةٍ بيدٍ أشباهِ الحقيقية، بل إلى السماءِ عينِها، ليَظهَرَ الآن أمام وجهِ الله لأجلِنا**».

«لأن»:

«لأن» هنا حرف علة للوصل، فسبب الكلام هنا هو ما قيل في الآية السابقة، أن السماويات عينها وجب أن تتقدَّس بذبائح أفضل!

وهنا تقديس السماء عينها أمر خطير، فمعناه إعداد السماء لتكون موضع تلاقٍ كخيمة حقيقية

تجمع الله مع الناس لبدء خدمة التقديس والتسبيح اللائق بالله. هنا الأمر يحتاج إلى استعلان الله أولاً في ذاته، وبدء عمل المسيح كوسيط فائق القدرة ليؤهل الإنسان أن يظهر أمام الله ويراه الله. والأمر هنا يبلغ آخر حدود الاستحقاقات البشرية التي يمنحها المسيح مع ذاته ومن ذبيحته وروحه وبنوّته وطاعته وحب للآب! وبولس الرسول ينبّه ذهننا أن الأمر ليس مسكناً أرضياً بعد، يتقدّس برش دم ذبائح أو مجرد إصعاد بخور، فتقديس السموات أمر مهيب يفوق طاقة عقل الإنسان.

«بل إلى السماء عينها»: ἀλλ᾽ εἰς αὐτὸν τὸν οὐρανόν

أو السماء ذاتها، هنا «السماء» أتت بالمفرد لا لأنه يقصد المفرد بل لكي يحدّد الهوية الذاتية كسماء محددة في الفكر وليس في الوجود. لأنه من المعتاد أن تُكتب بالجمع «السماويات». لكنه قصد بالسماء ذاتها الحق الخالص والمطلق البعيد والمنزّه عن الأرضيات والزمنيات والمحدوديات، التي يُرمز إليها — تسهيلاً للفكر — بقُدْس أقداس الله، أي الحق الخالص الذي يعبّر عن حضرة الله.

«ليَظْهَرَ الآن أمام وجه الله لأجلنا»:

هنا استعار بولس الرسول هذا المنظر من رئيس الكهنة في الناموس، وهو داخل قدس الأقداس المُظلم والمُعتم، بقصد أن يتراءى أمام الله (لا١٦: ١٢ إلخ)، حيث يراه الله ولا يرى هو الله!!

«أمام وجه الله»: τῷ προσώπῳ

القصد هنا هو الظهور العلني للرؤية الشخصية المباشرة والمطلقة لله، وليس كما أُعطي موسى أن يرى الله (خر٣٣: ١٨ إلخ).

وكون المسيح **يَظْهَر** = ἐμφανισθῆναι (في المبني للمتوسط) تعني في اللغة اليونانية «يَظهر» كشخص واضح في دائرة رؤية الله. هنا واضح للغاية أن المسيح يظهر هنا في بشريته ظهوراً واضحاً مكشوفاً لله الآب، لأنه من جهة لاهوته هو واحد متحد مع الآب، فالظهور هنا هو ظهور ما يحمل من البشرية.

وكنا ننتظر أن نسمع أن المسيح ينظر وجه الآب، وليس فقط أن يكون منظوراً من الله. أمّا السبب في ذلك فيبدو أن التركيز هنا وقع علينا نحن، على بشريتنا المنظورة بحنان الله بعد غربة وعداوة وقطيعة. أمّا المسيح الابن فليس في حاجة أن يتطلّع إلى وجه الآب فهو في الحضن الأبوي كل حين:

+ «وأمّا الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري **عُرفتم من الله** ...» (غل٤: ٩)

+ «الآن أعرفُ بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرفُ **كما عُرِفتُ**.» (١كو١٣: ١٢)
+ «فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف، ولكن إن كان أحد يحب الله **فهو معروف عنده**.» (١كو٨: ٢و٣)

«ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا»: ٧٥٧

هنا «الآن» ليس «آناً» زمنياً، بل هو كل الزمن وكل آن وأوان وإلى أبد الآبدين. فهنا حَدَثُ الأحداث جميعاً، وقمة أعمال المسيح، والمحصِّلة الإبداعية لكل آلامه وذبحه. هي فرحة الله وفرحة المسيح وفرحة البشرية التي يحياها القديسون الآن أمام وجه الله في شخص يسوع المسيح، والتي نحياها بالعربون على رجاء ملء الوجود والرؤيا والسعادة.

وليس عفوياً أن يأتي ظرف الزمان «الآن» كأنه الحاضر مع فعل «ظهر» في صيغة الماضي **غير المتكرر أي الذي حدث «مرَّة واحدة»**، فيحدث هذا التعارض الذي ينبِّه الذهن إلى عمل عظيم حدث خارج الزمن، مبتدئاً من الزمن ويستمر ليملأ الأبدية. هذا الظهور، وإن رُسم وتُصوِّر كأنه «آنيٌّ» أي لآنٍ من الزمان، فقد امتد إلى ملء الزمان والأبدية، لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، هو دخول وظهور. فلا الدخول آلَ إلى خروج ولا الظهور آلَ إلى اختفاء. دخل مرَّة واحدة فوجد فداءً أبدياً، وظهر، والبشرية فيه، أمام وجه الله؛ فظهرت البشرية حتى إلى ملء عينيِّ الله بل قلبه. فمَنْ ذا يكون قادراً بعد أن يخرج أو يُخرجها: «والمستعدات دخلن معه إلى العرس **وأُغلق الباب**.» (مت٢٥: ١٠)

لم يكن المسيح في حاجة أن يتراءى أمام وجه أبيه، ولكن ذلك كان «لأجلنا»، فالله كان ولا يزال يشتهي أن ينظر إلينا ويتعرَّف علينا، نحن جُبْلَة يديه، نفخة روحه، خليقته التي كانت في عينيه «حسنة جداً» يوم خلقها (تك١: ٣١).

حينما تراءى المسيح أمام وجه أبيه كنَّا فيه كلنا واحداً فواحداً، كنَّا مرسومين على وجهه، بل على قلبه، وأسماؤنا منقوشة على يده، بل على صدره بشكل هارون وهو حامل أسماء الأسباط على صُدْرَته: «وفي وسط السبع المناير شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه (صَدْره) بمنطقة من ذهب.» (رؤ١: ١٣)

لـمَّا دخل إلى أبيه حاملاً فداءنا في دمه فتنظَّرنا الآب، تذكَّرنا(١٣)، لأنه كان قد «اختارنا فيه

---

(١٣) «ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك.» (تك٨: ١)

قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف١: ٤). فهو الذي سبق أن أوصى ابنه بنا أن يُصالحنا لنفسه لأنه اشتهى أن يتبنّانا لنفسه: «إذ سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرّة مشيئته» (أف١: ٥)؛ وقد أوصى الروح بنا ليعلّمنا التسبيح والمديح: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف١: ٦)

دخول الابن بالجسد المذبوح إلى الأقداس العليا وتراثيه أمام وجه أبيه لأجلنا كان تكميلاً للعهد وتصديقاً للوعد: «أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً (في قلب الله) وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو١٤: ٢و٣)

وهو يوم تراءى بنا أمام أبيه حاملاً كفّارته عليه، تعيَّن لنا محامياً وشفيعاً، وحصل لنا من الله على صَفْح أبدي لآثامنا ونسيانٍ لخطايانا، تحقيقاً للوعد الذي وَعَد: «لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو٢: ١و٢)

فدخولنا أمام الله الآب لم يكن خلسة بل بجراءةِ مَنْ دَفَع الثمن بدمه على الصليب ومزّق صك خطايانا عليه وحملنا في جسده: «الذي به لنا جراءةٌ وقدومٌ بإيمانه عن ثقةٍ.» (أف٣: ١٢)

كان يوم أن دخل بنا المسيح ليُظْهر أمام وجه الله لأجلنا، يوم عودة آدم وبنيه إلى الفردوس مرّة أخرى. كان يوم تدشين المدينة التي لها الأساسات في مَرْأى من ربوات عفل ملائكة تُهلّل للذي سبا سَبْيَ الإنسان وأعطاهم كرامات، وتُرَدّد صدى تهليلها سماءُ السماوات!

كان يوم الصلح العظيم الذي قدّم فيه المسيح الكنيسة ممثّلة بقديسيه ــ كعربون ــ إلى الآب مطهّرين مقدّسين مغسولين بالدم وبلا لوم في المحبة، لتأخذ مكانها عن يمين مجلس الآب كما أخذته عن يمين جنب الابن، وحينما استوطنت السماء لم تَعُد أبواب الجحيم تقوى عليها كالوعد، أو كالمثل، فهي الخمس العذارى الحكيمات أو هي العذراء الوحيدة المخطوبة لرجل واحد (٢كو١١: ٢)، دخلت وأُغلق الباب، ولن تخرج من حضرة الآب حتى ولو زالت السماوات ومادت الأرض.

حينما تراءى أمام الآب لأجلنا، رآنا الآب رؤية الحبيب لمحبيه، لأننا أخذنا شكل الابن الوحيد المحبوب. لم يرَ فينا خطية ولا إثماً ولا ذنباً كأننا حلٌ بلا عيب مجروحون بجروح الرب وعلينا دمه، فحنّت أحشاؤه علينا كأب على ابنه، فطرح علينا تاج أبوته ودخلنا معه في عهد البنوّة

واستأمنتنا مع المسيح على الميراث!(١٤)

٩: ٢٥ و٢٦ **«ولا ليقدِّمَ نفسَهُ مِراراً كثيرةً كما يَدْخُلُ رئيسُ الكهنةِ إلى الأقداسِ كلَّ سنة بدمِ آخرَ،**
فإذْ ذاكَ كان يجبُ أن يتألَّمَ مِراراً كثيرةً منذ تأسيسِ العالمِ، ولكنه الآن قد أُظهِرَ مرَّةً عند انقضاءِ الدهورِ ليُبْطِلَ الخطيةَ بذبيحةِ نفسِهِ».

تعقيباً على دخوله مرَّة واحدة، يذكر هنا لماذا مرَّة واحدة وليس مراراً كثيرة مثل كهنة اللاويين؟ فالعمل الذي عمله عظيم جداً لا يدانيه عمل آخر، والذبيحة التي قدَّمها ليس لها مثيل وليس لها ثانٍ وقَدْرُها أعلى من السماء، ولا شيء يضاهيها في سموِّها، فقَدْرُها قدر الأبدية في امتدادها ولانهائيتها. فمقدِّم الذبيحة هو الابن، الوحيد لأبيه، لذلك فهو رئيس كهنة على مستوى السماء والأرض كوحيد وعظيم وأبدي بآنٍ واحد. والذبح الذي أجراه، فوق العادة، هو موتُ الذي لا يموت، كموت الحياة، إن صحَّ أن تموت، موتُ مُعطي الحياة ومُبدعها، فكان موت إحياء، وحياته هي دفنٌ أبديٌّ للموت لا يقوم. حياته حياة الله في ذاته، لما انسكبت بسكب الدم انطرحت على الموتى فأقامتهم من القبور، ولما قارعت الخطية أَخَلَّها من أشد عقوبتها. حوَّلت اللعنة فيها إلى بركة، والغُربة إلى قُربى، والبؤس والشقاء إلى عهد نعمة ومسرَّة ومسح الدموع، والانطراح في الجحيم إلى جلوس تكريم عن يمين العظمة في السموات. فأين هذا من الذي كان يقدِّم العجول والمعزى بلا هوادة، فلا هو تطهَّر ولا الشعب كفَّ عن جهالاته. لا الخطية كفَّت بل استشرت، ولا اللعنة امحت بل قويت وتثبَّتت، ولا الحزن والأنين زال بل عاش ولا يزال. لقد كلَّت أيديهم من الذبح وكلَّت أعينهم من الدمع. زاد الشقاء وعمَّ البلاء وضاع الرجاء. تكللت عبادتهم بالسبي، سبياً وراء سبي، حتى ذهبت هيبة الناموس وانخفض مجد التوراة وأُحرق هيكل العبادات وانفضح الشعب المختار. لَبِسَ الكهنةُ المسوحَ، وولول الأنبياء على عزِّ إسرائيل الذي زال. فأين المحرقات؟ وأين الكفَّارات؟ وأين الذين تراءوا في قدس الأقداس مئات السنين ومرات بلا عدد؟ فالناموس الذي لم يقوَ على التغير، والكهنوت الذي لم يَرْقَ إلى التجديد، والعبادة التي لم تسند العابدين أو تصدَّ عنهم الغازين والسابين والمستعبِدين، كيف يمكن أن تدوم أو يطلب لها الشعب بقاءً أو يترجُّون من ورائها رجاءً؟

(١٤) أنظر: «مقالتين بمناسبة عيدي الصعود والعنصرة»، للمؤلف، يونيو ١٩٦٣.

إنه خداع بصر، إن ترجّوا بعد ذلك مسيًا يأتي على طقس هارون، وإلاَّ كان عليه أن يُصلب كل سنة ويتألم مراراً بمرور السنين ويتعذَّب كثيراً على أيديهم عذاباً وتأليماً.

لهذا حصر الله مجيئه لمرَّة، ويالها من مرَّة، شقّ السماء عند انقضاء كل دهور الشقاء، ونزل بتصميم وعزم أن يحمل عار إسرائيل وعار الناس كل الناس، ويدَّثر بلعنتهم التي ورثوها بجهل أبيهم وأمهم، ويرصّ على نفسه خطايا الناس خطية بعد خطية بأشكالها وألوانها، فلبس جسد الإنسان كل إنسان، كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها، فحمل البشرية في بشريته وعليها خطاياها وكل عارها. وسار بين الناس بلا خطية ولم يوجد في فمه غش. ولما نصبوا له الصليب استحسنه، وتمدَّد عليه وكأنه مذبح النحاس، ولما ذبحوه كان قد سبق وذبح نفسه بسكين النيَّة يوم تعشَّى مع أحبائه العشاء الأخير، فصنعوا فيه ما أراد أن يصنعه بنفسه، وهكذا أبطل الخطية بذبيحة نفسه، هي مرَّة واحدة عند انقضاء الدهر فحققتها له كل الدهور خليقةً جديدةً للإنسان وتجديداً لعهد الله، وما بعدها خلقة وما بعده تجديد!

٩ :٢٧و٢٨ «وكما وُضِعَ للناسِ أن يموتوا مرَّةً ثم بَعْدَ ذلكَ الدينونةُ،
هكذا المسيحُ أيضاً بَعْدَ مَا قُدِّمَ مرَّةً لكي يَحْمِلَ خطايا كثيرينَ، سيَظهَرُ ثانيةً بلا
خطيةٍ للخلاصِ للذينَ ينتظِرونَه».

على قدر ما يبدو الكلام هنا بسيطاً للغاية، بقدر ما يحمل من عمق وأهداف ورجاء ممتد.

الموت والدينونة:

هذا المعيار العام الذي يقع تحته كل جسد يقوله بولس الرسول لينتقل منه ليثبت أن الموت ليس هو نهاية الإنسان، فالنهاية الحقيقية هي الدينونة، وهو حتماً قادم إليها حتمية الموت الذي وُضع عليه أن يجوزه.

ولكن ينتقل سريعاً لكي يكشف عن واقع آخر مختلف تماماً عن هذا الواقع العام الذي يجوزه كل بشر، وهو ما جازه المسيح لينشىء هذا الواقع الجديد العجيب، أن بعد الموت لا يكون دينونة عن خطايا، **بل خلاص من كل الخطايا** ...

فالمسيح لمَّا قدَّم نفسه ذبيحة كفَّارة عن الخطاة، لم يَمُتْ موت مَنْ سيأتي إلى دينونة، بل مات ليرفع الموت ويرفع الدينونة. إذ حمل خطايا الخطاة ودفع الثمن عنها كاملاً وقام من الأموات مُبرَّءاً، لأنه كان بلا خطية وبرَّأ الذين حمل خطاياهم لأن دمه صار كفَّارة لهم. فهو عوض أن يأتي إلى

دينونة بعد ما مات، أتى بالخلاص لكل مَنْ كان تحت الدينونة.

ولكن الجديد الذي أراد القديس بولس أن يطرحه علينا في هاتين الآيتين هو: ولو أننا لا نأتي إلى دينونة نحن الذين آمنّا بموته الفدائي واغتسلنا بدم كفّارته وتقدّسنا بروحه، لكن لن يتم لنا رؤية هذا الخلاص علانية أو امتلاكه كاملاً إلاَّ بعد أن يأتي المسيح ثانية.

فمع أن الخلاص اكتملت كل بنوده وقُبلت كل أعماله بظهور المسيح أمام الله لأجلنا حاملاً بشريتنا المفتداة أمام وجه الآب فننا المغفرة والصلح والحرية والتبني وبرّ الله، إلاَّ أن استعلان الخلاص الكلي ينتظر ظهوره الثاني لا كحامل خطايا ودم كفّارة بل بمجد الخلاص والبنوّة والحب الأبوي واستعلان مجد الإنسان الجديد. ولكن كل تعويق في استعلان الخلاص الأخير بكل جلاله وأمجاده لا يتأتّى من جهة الآب أو المسيح، ولكن بسبب عدم اكتمال البشرية في استيعاب خلاصها العتيد:

+ «لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن ابن الإنسان يستحي به مني جاء **بمجد أبيه مع الملائكة القديسين**.» (مر٨: ٣٨)
+ «لأنه **كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان**.» (مت٢٤: ٢٧)
+ «**فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله**.» (مت١٦: ٢٧)
+ «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض **ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير**.» (مت٢٤: ٣٠)
+ «**وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد**.» (مر١٣: ٢٦، لو٢١: ٢٧)
+ «قال له يسوع: **إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك**.» (يو٢١: ٢٢)
+ «إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء **سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء**.» (أع١: ١١)
+ «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، **ويرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قَبْلُ، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شيء التي تكلّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر**.» (أع٣: ١٩—٢١)
+ «لأنه يجب أن يملك **حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه**. آخر عدو يُبطل هو الموت.» (١كو١٥: ٢٥و٢٦)

+ «لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك **الراقدون بيسوع سيُحضرهم الله أيضاً معه.**» (١تس٤: ١٤)
+ «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، **سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء.** وهكذا نكون كل حين مع الرب.» (١تس٤: ١٦و١٧)
+ «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. **متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.**» (كو٣: ٣و٤)
+ «... **وتنتظروا ابنه من السماء** الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي.» (١تس١: ١٠)
+ «لكي يثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا **في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.**» (١تس٣: ١٣)
+ «ثم نسألكم أيها الإخوة **من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه** أن لا تتزعزعوا سريعاً ... أن يوم المسيح قد حضر، لا يخدعنكم أحد على طريقة ما. **لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً** ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك ... وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه **ويبطله بظهور مجيئه.**» (٢تس٢: ١-٣و٨)
+ «وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع **الذين يحبون ظهوره أيضاً.**» (٢تي٤: ٨)
+ «**منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح.**» (تي٢: ١٣)
+ «فتأنَّوا أيها الإخوة **إلى مجيء الرب** ... فتأنَّوا أنتم وثبِّتوا قلوبكم **لأن مجيء الرب قد اقترب.**» (يع٥: ٧و٨)
+ «**لا يتباطأ الرب عن وعده** كما يحسب قومٌ التباطؤ **لكنه يتأنَّى علينا** وهو لا يشاء أن يهلك أناسٌ بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة. **ولكن سيأتي، كلصٍّ في الليل، يومُ الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحلُّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها.**» (٢بط٣: ٩و١٠)
+ «**منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب** الذي به تنحلُّ السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر. لذلك أيها الأحباء **إذ أنتم منتظرون هذه** اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام،

واحسبوا أناة ربنا خلاصاً.» (٢بط٣: ١٢ــ١٥)

+ «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى **إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه.»** (١يو٢: ٢٨)
+ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه **إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.»** (١يو٣: ٢)
+ «**إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب** الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله.» (١كو٤: ٥)
+ «**هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين،** والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض، نعم آمين. أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذي كان **والذي يأتي، القادر على كل شيء.»** (رؤ١: ٧و٨)
+ «يقول الشاهد بهذا نعم، **أنا آتي سريعاً، آمين. تعالَ أيها الرب يسوع.»** (رؤ٢٢: ٢٠)
+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً **ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح،** الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢٠و٢١)

«يظهر ثانية بلا خطية للذين ينتظرونه»:

هذا الظهور الثاني هو الجزء الأخير والرسمي أي القانوني لعملية الخلاص. نحن ذُقنا الجزء الأول بكل قوته وعمله وهو القيامة من الأموات وإعطاء الروح القدس والحياة الأبدية ومغفرة الخطايا للذين يؤمنون. أما هذا الجزء العجيب والبديع من الخلاص الأخير فلا نعرف عنه الآن شيئاً لأنه سيحمل بركات جديدة للمخلَّصين. من أجل هذا نسمع عن إلحاح شديد جداً بخصوص ترقُّبه وانتظاره بل وشدَّة انتظاره بل وشدَّة طلبه، مصرِّين على ضرورة سرعة مجيئه؛ حتى أصبح انتظار ظهور الرب الثاني محسوباً ضمن صميم الإيمان المسيحي، بل ومِصْداقاً لحصولنا على الخلاص الآن. بمعنى أن الذي ذاق الخلاص الآن بمضمونه المعلن في القيامة وغفران الخطايا وتجديد الخلقة في المعمودية وتذوُّق الروح القدس وإنعاماته، هو الذي نجده شديد الترقُّب والطلب لظهور المسيح في مجيئه الثاني المملوء مجداً ونعمةً وعطايا.

لذلك أيضاً نجد في ختام ليتورجية الديداخي المنسوبة للرسل، بعد أن ينتهي الكاهن (الأسقف أصلاً) من صلاة القداس، يصرخ الشعب «ماران آثا»: [ليأتِ المسيح ولينقضِ العالم]، بمعنى أننا خلصنا حقاً فتعال أيها الرب يسوع وكمِّل خلاصنا.

ولا شك أن الآيات التي ذكرناها وأمعنّا في ذكرها وانتخبناها من أسفار العهد الجديد التي تحضّ على انتظار الخلاص، بل وعلى حفظ الإنسان نفسه بكل جهد وتدقيق طاهراً، حتى نتأهّل لمقابلة الرب في مجيئه ولا نخجل منه لأنه سيكون في ملء استعلان مجده؛ هذه الآيات توضّح في الإيمان المسيحي مدى خطورة وأهمية ظهور المسيح الثاني على حياتنا.

مع رجاء ملاحظة مدى الارتباط في قول الآية بين «**"يظهر" للخلاص**» وبين «**للذين ينتظرونه**»!! فهنا كشف ما بعده كشف أن الذين ينتظرونه الآن هم وحدهم الذين سيُستعلن لهم ظهوره وهم الذين سيتحقّق لهم ما يحمله ويعطيه ويعلنه من الخلاص. فظهوره تعيَّن أن يكون للخلاص وليس شيئاً غير الخلاص. هذا بحد ذاته نستشفّ منه التطبيق والمقارنة (والتي يودّ بولس الرسول أن ينتهي إليها) بين دخول رئيس كهنة اللاويين بدم ذبائحه الحيوانية وخروجه واستقبال الشعب مقدِّم الذبائح له وهو لا يترجَّى إلاّ تكفيراً وقتياً عن خطايا السهو وتدنيس الجسد وحسب، وعليه أن يكررها ويكررها طول عمره، وبين دخول المسيح حاملاً خطايا الإنسان كلّ إنسان مع كفّارة دمه ليقدِّمها أمام وجه الله، فنال في الحال صفحاً دائماً أبدياً عن الخطايا وتم بذلك خلاص أبدي لا رجعة فيه لكل مَنْ آمن واعترف بخطاياه.

على أنه يتبقى للمسيح وللمخلَّصين ظهور آخر حيث لا يخرج المسيح من لدن الآب كما يخرج رئيس الكهنة من قدس الأقداس؛ بل يظهر ظهوراً مستعلناً في مجده ومجد أبيه معاً، فهو خلاص مُستعلَن من لَدُن الآب والابن:

+ «وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو١: ٣)
+ «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.» (يو١٤: ٧)
+ «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)
+ «أجاب يسوع وقال له إن أحبَّني أحد (خلص) يحفظ كلامي ويحبُّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو١٤: ٢٣)

ولك أيها القارىء العزيز أن تشعر من كلام القديس بولس الرسول مدى الفرحة العظمى والعزاء الذي لا يُحد حينما تتدفّق بهجة الخلاص الكلّي على الذين ينتظرونها، حينما يُستعلن المسيح خصيصاً لهم. لذلك، فإن لسان حال بولس الرسول وكل الرسل والتلاميذ الذين تكلّموا عن الظهور الثاني للرب أنه من العظمة والبهاء ما يستحق أن لا نكلّ ولا نَملّ من التطلّع إليه والتشوّق نحوه وانتظاره بكل رجاء، لا كأننا ننتظر ونرجو شيئاً كله وراء حجب الزمان، بل إن رجاءنا له وشوقنا إليه وسؤالنا بطلب ولجاجة من أجل ظهوره إنما ينعكس علينا الآن ويهبنا منه سرّاً، عزاءً

يكفينا للحاضر. اسمع ق. بولس: «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء ... لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس٤: ١٨)

كلمة عامة:

وبذلك نرى أن بولس الرسول قد أوضح في هذا الأصحاح مفهوم الخدمة الواحدة ــ لمرَّة واحدة ــ التي أكملها رئيس الكهنة الرب يسوع وإلى الأبد، في مقابل خدمة يوم الكفَّارة المتعدِّدة النواحي من جهة مقدِّميها التي تقدَّم كل سنة دون اكتمال. بل وأمعن في الإعلان عن اكتمال خدمة الرب يسوع المسيح كرئيس كهنة التي قدَّمها مرَّة واحدة بصورة درامية تتعدَّى الزمن وتختم عليه، بحتمية ظهور الرب يسوع مرَّة أخرى لإعلان اكتمال الخلاص، لا من حيث أعماله التي اكتملت بالفعل بل من حيث تنفيذها في صورتها المطلقة والأبدية التي تتناسب مع استعلان حصولنا على مؤهلات قبول الخلاص على مستوى الخلقة الجديدة: «هوذا سرٌّ أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا **كلنا نتغيَّر،** في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير.» (١كو١٥: ٥١)

أما في الآية القادمة لبولس الرسول أيضاً فإنه يكشف قوة الارتباط الجوهري بين ظهوره الثاني للخلاص وتغيير جسدنا لاستيعاب هذا الخلاص المجيد فينقله من وضعه الترابي المائت والزائل إلى جسد المجد أو جسد مجده في ملء الحياة باستعداد الميراث وحياة البنوَّة مع الله في شركة فائقة الوصف:

+ «فإن سيرتنا (الآن) نحن (المخلَّصين) هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضِع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢٠و٢١)

ثالثاً: الأصحاح العاشر

١٠:١ـ١٨ : الذبائح القديمة، والذبيحة الجديدة الواحدة العظمى وأثرها الخالد والدائم إلى الأبد.

وبذلك يكون المنهج القديم بناموسه وذبائحه ووصاياه وذكرياته وتعزياته المؤقتة قد فقد أيضاً قيمته إلى الأبد.

١٠:١٩ـ٣٩ : تطبيقات عملية:

حيث ينتقل القديس بولس الرسول ثلاث نقلات مترتّبة بعضها على البعض:

النقلة الأولى (١٩ـ٢٥): الامتياز الذي صار إليه المسيحيون بالدخول إلى الأقداس السماوية بدم يسوع.

النقلة الثانية (٢٦ـ٣١): تحذيرات من السقوط والهلاك.

النقلة الثالثة (٣٢ـ٣٩): تشجيعات للمثابرة.

ثالثاً: (١٠: ١-١٨):

١٠: ١-٤ يركّز ق. بولس في هذه الآيات على عدم كفاية الذبائح الرسمية في القديم لرفع الخطية:

١٠: ١ يوضّح أن هذه الذبائح ليس لها نهاية ولا تؤول في كثرتها وتعدادها إلى أي تكميل، فلا الذبيحة الواحدة تكفي ولا كل الذبائح المتكررة لها من تكرارها أثر دائم أو باقٍ أو حتى متراكم من تكرارها! فكل ذبيحة لوقتها و بعدها العدم.

١٠: ٢ كذلك يرى أن هذا التكرار المتواصل لو كان له أي أثر روحي ثابت ما كان هناك أي لزوم للتكرار. إذاً فالتكرار نفسه يدمغ الطقس بعدم الروحانية و بخلوّه من أي تأثير دائم.

١٠: ٣ لو نظرنا إلى هذه الذبائح في تعمُّق صادق، فإننا نجد أن الطقس نفسه الذي رتّبها ودبّرها قصد قصداً من تكرارها ليعلن عدم كفايتها.

١٠: ٤ وفي الحقيقة، فإن هذه الذبائح بحسب فعلها وحسب الواقع المحسوس وحتى المنطقي لا تُشبع ولا تُغني عن جوع.

١:١٠ **«لأن الناموسَ، إذ له ظلُّ الخيراتِ العتيدةِ لا نفسُ صورةِ الأشياءِ، لا يقدِرُ أبداً بنفسِ الذبائحِ كلَّ سنةٍ التي يقدِّمونَها على الدوامِ أن يكمِّلَ الذين يتقدَّمون».**

واضح غاية الوضوح أنه إذا كان الناموس نفسه الذي على أساسه قامت كل العبادة بكل مضمونها العام والفردي من صلوات، وذبائح، وتطهيرات، وقواعد سلوك، هو ظلٌّ لأشياء أخرى هي الخيرات العتيدة؛ فإن كل هذه العبادات بذبائحها التي تقدّم كل سنة و بالأخص ذبائح الكفّارة العامة عن الخطايا والجهالات، بل والناموس نفسه، يصبح غير قادر أن يبلغ بالذين يطيعونه إلى الكمال أو يكمّلهم في شيء. فالظل للحقيقة يُنشيء ظلاً ويستحيل أن يبلغ الحقيقة.

و بصورة أشد وضوحاً نقول، إن النور يُنشيء بالحجاب ظلاً، أما الظلُّ فلا يُنشيء نوراً قط. الظل يشير إلى أن هناك نوراً محجوباً، والحجاب أنشأ ظلاً. فلابد لكي يصبح الظل نوراً أن يُرفع

الحجاب الذي أنشأ الظل، وحينئذ يختفي الظل تماماً ويصير النور ظاهراً تماماً.

الناموس بكل وصاياه وطقوسه جاء ظلاً لحقائق إلهية سماوية. فتلك (الوصايا والطقوس) ليست حقائق، بل هي تشير إلى هذه الحقائق (السماوية) وتعبِّر عنها تعبيراً مادياً جسدياً. لذلك فمهما دقَّقنا في تتميم هذه الطقوس ومهما كرَّرناها، فهي لن تخرج عن وظيفتها أنها مجرد تعبير من بعيد عن حقائق عالية، مخفية إلى زمان كشفها وإعلانها. والتعبير الحسِّي المادي عن الحقيقة الروحية العالية لا يمكن أن يبلغ إلى هذه الحقيقة الروحية أو يكمِّل شيئاً منها. فوظيفته الأساسية هي تمهيدية لإعطاء فكرة عن هذه الحقيقة الروحية. فإذا أردنا مثلاً لذلك نقول، إن **الأصل والحق والنور** هو تعبير عن الله؛ أما **الظل والشبه** فهو تعبير عن رئيس كهنة ذي وقار يخرج ويدخل أمام الشعب يمثِّل التوسُّط أو الوساطة، وخيمة اجتماع في نهايتها ركن مظلم به بقايا أشياء، تحمل مجرد تذكار لحضور الله، والركن مخفي بحجاب. ولكي يدخل رئيس الكهنة إلى ما يعبِّر عن حضور الله، عليه أن يذبح حيوانات ويأخذ دمها ليدخل به، يطلب بتوسُّطه أن لا يموت الشعب باعتبار أن موت الحيوانات هو بديل لموت الخطاة الذين خالفوا وصاياه ووقع عليهم حكم الموت. ثم يكرِّر هذا المشهد باستمرار ليرسخ في ذهن الشعب والإنسان عامة أن بين الله والناس توجد فواصل صنعتها الخطية التي حُكِمَ بالموت على أصحابها، وأنَّ تصالُح الله مع الإنسان يحتاج إلى وسيط عظيم، وكذلك ليرسخ حتمية الموت الكفَّاري من حكم الموت، ليرتفع حكم الموت وترتفع معه الخطية. على أن يكون الموت الكفَّاري بالقدرة والقوة والعمق الكفيل بأن يلغي حكم الموت. ولأن حكم الموت صدر من الله نفسه على الإنسان، تحتَّم أن يكون الموت **الكفَّاري** صادراً ومدغماً من الله نفسه وواقعاً على الإنسان؛ لأنه لا يلغي حكم الله **إلاَّ الله نفسه!!!**

وهكذا وُضعت الظلال بإحكام بديع، وظهر الناموس، ومُثِّلت تمثيلية إمكانية إلغاء حكم الموت الذي وقع على الإنسان بما يعبِّر ويصوِّر من بعيد عن رفع الموت بالموت أي الكفَّارة بدم الحيوانات، ونجح الناموس في ذلك. ولكن هل يمكن أن ينجح الناموس فعلاً برفع حكم الموت عن الإنسان أو إلغاء خطية الإنسان بموت حيوانات؟؟

أما أن يتجسَّد ابن الله ويصير إنساناً ويقبل حكم الموت ــ على نفسه ــ متوسطاً **ومُمثِّلاً لله والإنسان معاً**، فهذا هو قمة الإبداع الإلهي وقمة منطق العدل وأفخر أنواع الحكم بالبراءة سمعتها أذن بشر!!

لأن الذي مات هنا على الصليب هو الإنسان، ولكن موته كان مدغماً من الله، والله نفسه **كشريك فيه**، فصار موتاً فائقاً عن الموت البشري قادراً أن يبتلع الموت ولعنته ويقيم الإنسان من

عشرته مبرّأ بحكم براءة فائق القوة، نادر المثال، اعتُبر خلاصاً أبدياً من الموت والخطية واللعنة وقُرباً من الله بلغ الاتحاد!!

ثم لأن المسيح جمع في نفسه الله وهو "الحقيقة والأصل والنور"، مع الشبه والصورة وهو "الإنسان": «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك١: ٢٦)، لذلك كان هو الوحيد الذي استطاع أن يرفع الشبه إلى الحقيقة، والصورة إلى الأصل، والظلال إلى النور، وهذا بحد ذاته نجده مشروحاً شرحاً سرياً مبدعاً فيما قدّمه المسيح من أسرار. فحينما قدّم جسده ودمه على أنه هو سرُّ الحياة الأبدية، تأسّس بالفعل هذا السر الإلهي الخالد الذي يحمل الشبه والحقيقة معاً، والصورة والأصل معاً، المادة والحياة معاً، الإنسان والله معاً. وفي هذا السر حدث أول وأعظم واسطة للانتقال من الظلمة إلى النور وعبور حاجز الخطية بالجسد المكسور الذي هو الحجاب المكسور «لأجلكم»، الذي انشق من فوق إلى أسفل ليكون الطريق من أسفل إلى فوق.

وبهذا نفهم لماذا قدّم المسيح كأس دمه على أنه هو العهد الجديد: «وقال لهم هذا هو دمي **الذي للعهد الجديد** الذي يُسفك من أجل كثيرين» (مر١٤: ٢٤)، **«هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي ...»**:

فهذا الدم: هو الذي يحمل المصالحة العظمى بين الله والإنسان، ويمثّل التحام الشبه مع الحقيقة، الإنسان مع الله، الصورة مع الأصل، التحاماً أبدياً هو التجسُّد. ويحمل قوة الوسيط الحامل بموته الأعظم مشيئة الله منفّذة بجسد البشرية في جسد البشرية.

وهو في قوته صكٌّ براءة يحمل النجاة من الموت ويعطي حياة أبدية وإنعاماً وأفراحاً بلا حد. وهو كأس العهد الجديد، يتم في سرِّ الشرب وهو مشرب الحق نفسه والحياة الأبدية. فالشرب كحدث زمني يعبِّر — بحد ذاته — عن بقايا وظلال، ولكنه كجوهر ينشيء في الحال حقاً مطلقاً أبدياً ونفاذ عهد الله. وهكذا كل سرٍّ من أسرار المسيح يحمل الشبه شكلاً والحقيقة جوهراً.

ففي المسيح التحمت الظلال بالحقائق كالتحام البشرية فيه باللاهوت.

فالذين رفضوا أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه جحدوا فيه لاهوته!! والذي لا يرى في الجسد والدم لاهوتاً، ليس له حياة أبدية!!

والإفخارستيا وغيرها من أسرار المسيح هي بعينها **«الخيرات العتيدة»** التي جاهد الناموس أن يضع لها شبهاً ومثالاً، فنجح، ولم ينجح الإنسان أن يرى فيها هذه الحقيقة.

٢:١٠ — ٤ «وإلاَّ أفَمَا زالت تُقدَّمُ؟ من أجل أن الخادمينَ وهم مطهَّرونَ مرةً لا يكونُ
لهم أيضاً ضميرُ خَطايا،
ولكن فيها كلَّ سنةٍ ذِكْرُ خطايا،
لأنه لا يمكنُ أن دَمَ ثيرانٍ وتيوسٍ يَرفَعُ خَطايا».

القصد العام المخفي وراء هذا الكلام هو الرد على إنسان يتصوَّر أن تكرار الذبائح هو مناسب لتكرار الخطايا، وأنها كفيلة بالتكرار أن تمحو الخطايا. ولكن مَنْ يقول بهذا، يتناسى أن أعمال الخطايا ليست هي كل الخطايا، فمع أعمال الخطايا توجد «الخطية» ذاتها كجرح دامٍ في ضمير الإنسان. فأعمال الخطايا شيء و«الخطية» المقلقة للضمير والمعتِّمة للنظر والسمع والصانعة عداوة مع الله وهجراناً وبُعداً مؤلماً شيء آخر. فمهما تطهَّر الجسد واغتسل ومهما قدَّم من ذبائح عن جهالات وأعمال، يبقى في الآخر ضمير مثقَّل بإحساس التعدِّي والعداوة والبعد عن الله!

«وإلاَّ أفما زالت تقدَّم»:

ردّاً على آخر ما جاء في الآية السالفة (١:١٠): «لا يقدر أبداً ... أن يكمِّل الذين يتقدَّمون». بمعنى أن هذا هو أكبر برهان على أن الناموس لم يستطع أن يكمِّل الذين يخدمون بالذبائح، كهنةً وشعباً معاً، بعجول ومعزى على السواء، فلا يزال الكهنة يتقدَّمون والشعب يتقدَّمون ولا نهاية بعد. فالتكرار هنا يفضح عدم التكميل في شيء.

«من أجل أن الخادمين وهم مطهَّرون مرة لا يكون لهم ضمير خطايا»:

وهنا تركيب الترجمة العربية للآية لم يستطع أن يعطي المعنى الصحيح للآية، والأفضل أن تُترجم الآية كلها هكذا: **«الناموس لا يقدر أن يكمِّل الذين يتقدَّمون، "وإلاَّ أفما كان ينبغي أن يتوقَّف عن التقديم** (لو كان قد حدث تكميل غفران)**؟ لأن الخادمين** (العابدين) **إن هم كانوا قد تطهَّروا مرة لما كان لهم ضمير** (أو إحساس) **بالخطايا!!"»**

ثم نسأل لماذا هم ما زالوا يقدِّمون بعد بالرغم من أن المعروف جيداً أن التكرار لا يأتي بالكمال؟ نقول إن اعتمادهم على تقديم الذبائح متواتراً دون هوادة، هو ظنُّهم أن التطهير يتم **بالتكرار**، مع أن التطهير الحقيقي عمل داخلي يتم ليس بالأعمال الجسدية نهائياً بل من الله: «لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها بغسل الماء **بالكلمة** (المعمودية)، لكي يحضرها لنفسه كنيسة (شعباً) مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (آثار الشيخوخة) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة و بلا عيب.» (أف٥: ٢٦و٢٧)

٣:١٠ «ولكن فيها كلَّ سنةٍ ذِكْرُ خطايا».

ليس هذا عيباً أو نقصاً في الناموس ولا حتى في تدبير الذبائح، ولكن هو من صميم قصد الله وتدبيره، أن يكون في واقع التكرار ومن واقع عدم قدرة الذبائح على رفع الخطية تأكيد للإحساس بالخطية، بل ودوام الحياة بهذا الإحساس؛ ليكون هناك تعطُّش لمن يأتي ويرفعها. كما سمعناه من جميع الأنبياء: «ليتك تشقُّ السموات وتنزل ...» (إش٦٤: ١). لأنه طالما تُقدَّم الذبائح فذِكْرُ الخطية قائم بقيامها ويزداد بتكرارها. فهي تُشعِرُ الخاطىء دائماً بحمل خطاياه.

«ذِكْرُ خطايا»: ἀνάμνησις

هنا كلمة «ذِكْر» بالعربية لا تفي بمضمون ما تحمله الكلمة باليونانية، فهي تعني ليس مجرد «ذِكْر» بل «تذكير». فكلمة «تذكير بالخطايا» لها وقع أصعب على نفس الإنسان. لأن مجرد الذكر هو مجرد العلم بالشيء أو ذكره، ولكن التذكير فيه معنى التأنيب وإيقاظ الضمير، وهذا هو المطلوب بالأساس، حتى يتيقَّظ الضمير لخطورة عمل الخطية في الحياة. و «التذكير» كلمة شديدة الصلة بالمشيئة الإلهية التي وضعت الناموس ورتَّبته، ليكون في صميم تنفيذه توعية للضمير من جهة الخطية تمهيداً للارتقاء بالناموس وبالضمير بآن واحد.

هذا التأثير الداخلي على ضمير الإنسان من جراء تكرار تقديم الذبائح دون بلوغ نقطة الرضا أو الكمال، والذي يذكِّره دائماً بالخطايا كحِمْل واقعي، هو غير الاعتراف الذي يقدِّمه الشعب يوم الكفَّارة حينما يجتمع في السنهدريم ويقدِّم اعترافه العلني لله بخطاياه كاعتراف جماعي للخدمة.

هنا لو عُدنا إلى البنود الأساسية في العهد الجديد التي وضعها الله ونطقها إرميا النبي: «لا أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم فيما بعد» (عب٨: ١٢، إر٣١: ٣٤). هنا عكس ما يقوم به الناموس وعكس ما يترتَّب على تقديم الذبائح باستمرار. فالله في العهد الجديد لا يذكر خطاياهم، بل والأكثر عجباً وتأثيراً في النفس أنه هو بالتالي لا يجعلهم يتذكَّرونها!! بل يذكرون الذي مات ليرفعها والدم الذي أفقدها وجودها!!

وهذا يأتي بنا إلى يوم تأسيس العهد الجديد. ونحن الآن في يوم «خميس العهد» مدعوون على حفل عشاء الخروف الحقيقي، يوم كتب الله معنا عهده بدم ابنه وشربنا كأس العهد من يده فشربنا قوته ومضمونه، وسرى فينا دم الحب الإلهي ليغسل ويقدِّس ويطهِّر ويبرِّر إلى التمام، حين قال المسيح قولة العهد والكأس في يده: «اصنعوا هذا لذِكْري ἀνάμνησιν » (لو٢٢: ١٩)، ذِكْر الفداء من الخطية والخلاص عِوَض ذِكْر الخطية الذي أضنى الإنسان وكسر ظهر الشعب. ذِكْر

الحب المسفوك دمه عِوَض ذِكْر ذبائح تُزيد الضمير ثقلاً وتجدّد إحساس العداوة والبُعد. ذكر الطاعة البنوية للآب حتى موت الصليب، عِوَض ذِكْر العصيان على الله والتعدي. فإن كان العهد القديم قائماً على ذِكْر الخطية سنوياً، إن لم يكن فكراً فعملياً، فالعهد الجديد يقوم على ذكر الفداء والخلاص أبدياً. لذلك فإن كان الله قد نسي خطايانا، فعبثاً نحاول أن نذكّره بها، وأكثر عبثاً أن ننسى دم الفادي ونقضي العمر نتذكّر خطايانا!

٤:١٠　«لأنه لا يمكنُ أن دَمَ تيرانٍ وتيوسٍ يرفَعُ خَطايا».

«قلباً نقيًا اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي، ... لأنك لو آثرت الذبيحة لكنت الآن أُعطي، ولكنك لا تُسرُّ بالذبائح والمحرقات. فالذبيحة لله روح منسحق!! القلب المتواضع والمنكسر لا ترذله».

(مز٥٠: ١٠و١٦—١٨ حسب السبعينية).

لم يكن عن قناعة فكر أن يصلّي داود مزموره الخمسين ويجحد فيه الذبائح وينفي قيمتها في نظر الله، ولكن كأنها صلاة بصراخ الضمير الذي مزّقته الخطية ولم تسعفه ذبائحه التي قدّم والتي يمكن أن يقدّم منها بالآلاف(١).

فالخطية عدو الإنسان الداخلي، هي صديقة الجسد، ولكن هي خنجر الضمير وسهم مسموم يرنشق في الكبد، وهيهات من ينزعه. ومتى كان دم عجول وتيوس يدخل إلى الضمير أو حتى يقرب الكبد؟ الخطية مناظرُ مُغرياتٍ وخيالاتٍ مُفرحات تطوف بالعقل، يعشقها فتبيت فيه، وحينما يسري سهمها في عروق الجسد تُفجّر القلب وتمزقه تمزيقاً، فأين تذهب دماء المحرقات والقلب محرق بنار الندم، ومن ذا يطفىء لهيب عذاب الضمير؟

وإن تنجّس الجسد بالزنا تنجّست الروح في أعماقها. فماذا يعمل الماء ولو كان أنهاراً؟ الخطية خطية ولا يرفعها إلاّ القدوس الوحيد الأوحد بقدوسيته وبروحه الأزلي.

لا تزيلها محرقة أو محرقات تنتهي إلى تراب، لكن يزيلها من أحرقها في جسده، فاحترقت، وقام الجسد يتحلّى بنور الله!

+ «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.» (مز١٠٧: ٨)

---

(١) انظر ١صم ١٥: ٢٢ ومز ٥٠: ٨—١٣ وإش ١: ١١ و٦٦: ١—٣ وإر ٧: ٢١—٢٣ وهو ٦: ٦ و١٤: ٢ وعا ٥: ٢١—٢٤ وميخا ٦: ٦—٨.

١٠: ٥ و٦ «لذلكَ عند دُخولِه إلى العالمِ يقولُ:
ذبيحةً وقرباناً لم تُرِدْ ولكن هيأتَ لي جسداً،
بمحرقاتٍ وذبائحَ للخطيَّةِ لم تُسرَّ».

تقديم:

حينما بحث بولس الرسول عن نص في التوراة يستطيع أن يقدّمه كنبوّة حقيقية وصادقة عن الذبيحة التي تستطيع أن ترفع فعلاً الخطية رفعاً حقيقياً كاملاً، وجدها في المزامير بلسان داود (مز٤٠: ٦ ــ ٨)، كما هو وارد في الآية، وهي الذبيحة المنسوبة بالاستعلان إلى ابن الله عند تجسُّده. وبالعودة إلى هذا المزمور، نجد أنه يحمل عنواناً أعلاه يقول: **«مزمور لداود»** (وهذا العنوان موجود في النسخة الماسورية كما في السبعينية). وبولس الرسول يحتجز لنفسه حق إثبات أنه ولو أن داود هو الذي يقول ذلك كأنه عن نفسه، ولكن الذبيحة ليست خاصة به شخصياً (in propria persona)، (تماماً كما أثبت بطرس الرسول ذلك في مكان آخر بالنسبة للمزمور ١٦ في يوم الخمسين في قوله: «لا تَدَعُ قدُّوسك يرى فساداً» أع٢: ٢٧، مع أن داود مات ودُفن وجسده رأى فساداً، إذاً، فيكون داود قد قالها عن المسيَّا).

وهنا لسان حال بولس الرسول يقول، لأن داود كان وقتها يقدّم الذبائح، فهذا القول هو حتماً نبوّة عن المسيَّا. ومن منطوق هذه النبوّة نرى أن المسيح عند مجيئه إلى العالم يقول (كلسان حال العهد الجديد) مؤكّداً للإنسان عامة أن **الذبيحة الوحيدة** التي يمكن أن يقدّمها لله هي **«طاعته الكاملة»**، وهذا هو مضمون ما جاء في الآيات (٥و٦و٧).

وبذلك، فالمسيح يقارن بين تتميم كل مشيئة الله كذبيحة صادقة ووحيدة في مقابل ذبائح اللاويين، تمهيداً لأن تكون هذه الذبيحة عتيدة أن تلغي كل ما عداها من الذبائح الأُولى.

وهكذا، فبطاعته التي أثبت تمامها وكمالها بذبيحة نفسه على الصليب، جعل الناس شركاء معه فيها ــ أي الطاعة ــ كما جاء باختصار في الآية (١٠) هكذا: «فبهذه المشيئة ــ تكميل الطاعة ــ نحن مُقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة» (عب١٠: ١٠). هنا الطاعة لله رفعت ذبيحة المسيح فوق كل الذبائح مهما كانت.

«لذلك عند دخوله إلى العالم يقول»:

هنا داود، وهو عالم بالحقيقة الواقعة من جهة عدم نفع الذبائح الحيوانية كما سجّل ذلك عدة مرات، وفي نفس الوقت وهو في قمة الوحي، ينطق بفم المسيح الذي بدوره ينطق بفم الإنسان

عامة. وبقوله: «عند دخوله إلى العالم»، يقصد لحظة التجسُّد بكل صوره ومعناه، كما عبَّر عنها القديس يوحنا في إنجيله: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو١: ٩). هذه اللحظة التي دخل فيها ملك المجد إلى مملكته الأرضية التي خلقها لنفسه، كانت هي اللحظة التي دخل فيها العالم إلى ميراث الابن ــ المتجسِّد ــ لينال بواسطته خلقاً جديداً وحياة جديدة ومُصالحة!!

+ «كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.» (عب١: ٢)

هنا ينبغي أن لا يتوه عن نظرنا أن هذا الدخول من المجد الأسنى إلى أرض الشقاء وهيئة العبد، والإخلاء الذي أهَّل لهذا التنازل العجيب، هو محسوب أيضاً وبالضرورة ضمن ذبيحة المسيح الخلاصية الفريدة في عمقها وامتدادها: فهي تَطَالُ السماء مجداً وتُلامس الأرض اتضاعاً، يتخللها إخلاء وتنازلات رهيبة لا يقوى الفكر أن يُلاحقها، وبغشاها مجد لا يقوى النظر الروحي على التطلُّع إليه، واكتفى المسيح لذبيحته بصورتها الأخيرة أن يستعلن فيها هيئة العبد: «المهان النفس مكروه الأمة وعبد المتسلطين» (إش٤٩: ٧)، «لا صورة له ولا جمال ...» (إش٥٣: ٢)

فإذا سأل سائل ولماذا؟ يكون الجواب: لأنه هكذا صار الإنسان، فالمسيح صار إلى ما صار إليه الإنسان، نعم فهكذا أذلَّت الخطية الإنسان سيد الخليقة، وملك الفردوس، كليم الله، والمخلوق على صورته! فلا عجب أن يفتقد صاحب الصورة صورته التي أُذِلَّت، وأن يحمل عارها عليه، ومع عارها يتعامل بقدُّوسيته ويرفعها هي إلى رتبتها الأولى.

«يقول λέγει ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ»:

يُلاحَظ هنا حال الفعل «يقول»، فهو في الحاضر وكأن الحدث قائم ودائم، فهذا هو حال الإنسان الذي كان عليه ولا يزال. كما يلاحظ أن الفاعل هنا غائب لأن المتكلِّم أكثر من معروف وهو أعظم مَنْ يتكلَّم.

أنواع الذبائح:

في الآية (٥) يذكر داود بلسان المسيح والمسيح بلسان البشرية نوعين من الذبائح هما: الذبائح العادية وهي باليونانية θυσίαν يقابلها بالعبرية ذباح (zebah). والقرابين وهي باليونانية προσφοράν وبالعبرية منحاح (minhah) (من كلمة منحة أي هدية). وهذان النوعان: ذبائح، وتقدمات، يشملان ذبيحة السلامة shelamim وهي للمصالحة واسترضاء وجه الله، و(المنحاح) وهي التقدمات، وتشمل جميع أنواع تقدمات قرابين الحنطة والدقيق، وهي بقصد

التقديس أو التكريس.

في الآية (٦):

يذكر داود أيضاً بلسان المسيح والمسيح بلسان البشرية نوعين آخرين من الذبائح وهما ذبائح الخدمة:

الأُولى: المُحرَقة ôlâh (عولاه) وهي تقدمة الخدمة الرسمية،

والثانية: ذبيحة الخطية hatta'ath (حطآت) وهي ذبيحة تكفير عن خطية.

وواضح من تقسيم الذبائح إلى نوعين أساسين: الأول جاء في الآية: (٥)، والثاني جاء في الآية: (٦)، أنه تقسيم إلى نوع أول هو الذبائح والتقدمات خارج الخدمة، ونوع ثانٍ هو ذبائح الخدمة. ويقول داود إن الله لم يُرِدْ هذا ولا هو يُسرُّ بذاك. فكل الذبائح والتقدمات فاقدة — في نظر الله — لأية قيمة في ذاتها، فهي تأخذ قيمتها من اسمها وطريقة تأديتها فقط، فهي أسماءٌ ظواهرَ، أمّا جوهرها فاحتفظ به لنفسه.

ولكن يتبيَّن من روح الكلام في الآيتين (٥و٦) قصد هام آخر غير أن الله لا يريدها ولا يُسرُّ بها. فأن لا يريدها، يعني تماماً أنها لا تحمل إرادة الله في ذاتها، وبالتالي حتماً فهو يطلب ذبيحة تحمل إرادته!! وأن لا يُسرُّ بها، يعني تماماً أنها لا تحمل مسرَّة الله في ذاتها، وبالتالي فهو يطلب حتماً ذبيحة تُكمِّل مسرة الله!!

ولينتبه القارىء هنا إلى إرادة الله ومسرَّة الله التي صارت شرطاً أساسياً للذبيحة مطلوبة من الله!!

ففي الآية (٥): بعد أن سجَّل أن الله لا يريد ذبائح وقرابين لا يُسرُّ بها الله، يقول مباشرة: **«ولكن هيَّأتَ لي جسداً».** إذاً، فهذه هي الذبيحة الجديدة، وهذه هي **أولى صفاتها أنها حسب إرادة الله.**

ثم في الآية (٦) يقول: «بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرَّ»، ويرد على ذلك مباشرة في الآية (٧): «ثم قلتُ ها أنذا أجيء، في دَرْجِ الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله». إذاً، فالصفة الثانية الأساسية المطلوبة للذبيحة الجديدة يشرحها القول: «أجيء لأفعل مشيئتك يا الله»، بمعنى أن الذبيحة الجديدة ستعمل عملاً يطابق مشيئة الله. فالمحرقات وذبائح الخطية هي تقدمات الخدمة الهيكلية، ولكنها لم تكن تحمل مسرَّة الله. فهنا خدمة المسيح الهيكلية وهي تقديم ذبيحته

على الصليب للموت هي بعينها التي تحمل مسرّة الله.

ويعود بعد ذلك في الآية (٨) يجمع الصفتين إرادة الله ومسرّة الله معاً في الذبيحة الواحدة بقوله: «ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية **لم تُرِدْ، ولا سُررت بها**، التي تقدَّم حسب الناموس»، ويرد على ذلك في الآية (٩) بقوله: «ها أنذا أجيء **لأفعل مشيئتك** يا الله، ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني». وهو بهذا يكون قد كشف تماماً عن مضمون الذبيحة الجديدة: «هيأت لي جسداً ... لأفعل مشيئتك يا الله»، وعن كونها ستحلُّ محلَّ كل الذبائح والتقدمات التي كانت تُقدَّم حسب الناموس: «فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة.» (عب١٠:١٠)

وبذلك يكون بولس الرسول قد نجح تماماً في إثبات كل أوصاف ذبيحة المسيح الجديدة من نبوات العهد القديم، وبالذات من المزمور، مُقنِعاً اقناعاً تاماً أنه يتحتَّم أن يُنزع الأول لكي يُثبِّت الثاني.

«ولكن هيأت لي جسداً»: σῶμα κατηρτίσω μοι

لقد طرح كل الذبائح بحيواناتها، والتقدمات بغلات الأرض، فهذه ليس لله فيها إرادة أو مسرَّة. فإرادة الله تنبع من داخله، ومسرته لا ترتاح إلاَّ فيما يساويها. هنا أولاً وقبل كل شيء قوله: «هيأت لي جسداً»، لا يقصد به مباشرة مادة الذبيحة ووسيلتها، ولكن يعني التجسُّد في أوسع وأعظم معانيه، في حياة بشرية كاملة تُرضي إرادة الله وتُشبع مسرَّته، في إنسان يسمو بإنسانيته التي هي أصلاً صورته ومنه، فتُرضي قلب الله كما يرضى عندما ينظر إلى صورته عمل يديه! حينما خلق الله الإنسان رأى فيه صورة إرادته وصورة مسرَّته، فقال قولة سفر التكوين: «ورأى الله ... فإذا هو حسن جداً» (تك١: ٣١)، فقد امتازت خلقة الإنسان عن كل خلقة أخرى، بكلمة **«جداً»**، لأنه عن كل الخلائق اكتفى بقوله إنها «حَسَنٌ». هكذا أراد الله بالتجسُّد أن يُعيد للصورة حُسنها الأول العزيز لديه «الحسن جداً»، والتي استطاع المسيح فعلاً أن يكمِّلها حسب رضا الله إلى قمَّة حُسنها: «أنا مجَّدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل، أكملتُه» (يو١٧: ٤). إن أعظم الأعمال التي توافقت مع قلب الله التي عملها المسيح على الأرض أنه **عاش بلا خطية!** حياة المسيح كإنسان وقد ارتفعت مُثُله العليا حتى إلى قمة المستويات التي تزاحم الملائكة وتتعالى عليها، كانت هي الأساس الأول الذي قام عليه التجسُّد، والذي عليه تأهل المسيح ليقدِّم ذبيحته الفاخرة ليكمِّل إرادة الله عن حق، ويُرضي مسرته من جهة رفع البشرية فوق بؤسها وشقائها وإدخالها في مجال قداسة الله وحُبه وأبوّته.

فالمسيح بتجسُّده أولاً وقبل كل شيء، رفع بحياته المُثل الإنسان إلى مستوى قمة إرادة الله ومسرته من جهة **خلقته الأولى**، ثم بذبيحته أعطى للإنسان فرصة عظمى للارتقاء إلى **خلقة جديدة!** فاستجاب الإنسان فعلاً وأعطى حياته نموذجاً لخليقة جديدة أرضت الله بالحق: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن **تُقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية**» (رو١٢: ١). وبهذا حُسب عن حق وصدق أن حياة المسيح أولاً وذبيحته ثانياً، رفعتا قيمة «الإنسان» ليكون الغاية المثلى والنهائية لكل خليقة على الأرض وفي السماء!! **فتأهَّل الإنسان في المسيح مرَّة أخرى أن يكون سيد الخليقة**، واستحق المسيح بالفعل والحق أن يُدعى: «بِكْرُ كل خليقة» (كو١: ١٥)، وأن يُصالح العالم لله (٢كو٥: ١٩)! إن رؤية ق. بولس على حق حينما قال لأهل أفسس: «إذ عرَّفنا بسر **مشيئته** حسب **مسرته**، التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.**» (أف١: ٩و١٠)

ولكن الذي يحزُّ في قلوبنا، أن نرى كيف انتبهت حواسنا وتركَّزت وانحصرت في ذبيحة الصليب ومن ذبيحة الصليب انفرش على الفكر اللاهوتي للإنسان صورة المسيح المصلوب ليملأ فراغ كل تفكير بل ويستحوذ على كل تأمُّل ودراسة. وهذا جيد ومنتهى المطلوب. ولكن قلَّما تأملنا في مفخرة التجسُّد، أي مسيح الناصرة وواعظ القرى البديع، الذي يتنقَّل وحوله مئات من الذين أحبوه وأحبهم وقد جذبتهم شخصيته الفريدة في حبها الصادق ووداعتها واتضاعها ولطفها وبساطتها وقدرتها الفذة في رفع كل ما استعصى من الأمراض بوضع يده أو بكلمة شفاء. كيف لا تحبه الجموع وكيف لا يجري وراءه على مسافة ساعتين خمسة آلاف رجل ومعهم نساؤهم وأطفالهم؟ نسوا بيوتهم، نسوا أعمالهم وهمومهم، نسوا أكلهم وشربهم، انطلقوا وراءه دون أن يحمل أحدهم خبزه أو زاده، وفي هذه الآلاف الخمسة حينما بحثوا في كل أمتعتهم لم يجدوا سوى خمسة أرغفة شعير وسمكتين دسَّتها أم طيبة في مخلاة ابنها، وما حسبت أن تكون هذه أول إفخارستيا في عالم الإنسان والإنجيل. شعب استطاع المسيح، هذا المتجسِّد الوديع، أن يستقطب كل أفكارهم وكل نوازعهم، وأنساهم همومهم وبيوتهم وجوعهم، **هذا هو مسيح التجسُّد، إنسان الله، ابن محبته، الذي انحدر إلى عالمنا ليعطي أجمل وأسمى صورة لإنسان خطرت رجلاه على أرض الشقاء، فحوَّل شقاءنا إلى بهجة، واستأسر حبُّه قلوبَ تلاميذه، فظنوا أنهم بلغوا به ملكوت الله بلا صليب**، حتى أنه لما أسرَّ بسرِّه إليهم أنه صاعد إلى أورشليم كما هو محتوم ليكمِّل حبه لهم هناك على الصليب ثم يتركه لهم حباً دامياً فادياً مخلِّصاً، انتهره أصدق تلاميذه: «حاشاك يا رب»، بطرس ما طاق أن يسمع عن انحجاب محبوبه لحظة، وكان هذا حال كل التلاميذ والصحبى

والقُربى والتابعين. أرادوا أن يبقى معهم مسيحهم هذا المحبوب على الأرض إلى الأبد. وبهذا أوضح المسيح أن بحياته ولطفه وصداقاته الحميمة استطاع — كما استطاع على الصليب تماماً — أن يأسر القلوب ويغيِّرها ويجدِّدها ويرفعها ذبائح صادقة تسبِّح لحمد الله وتمجُّده، الأمر الذي أكمله على الصليب ليصبح مسيح الناصرة صديق أهل القرى وشوارع المدن وشاطىء طبرية، هو نفسه مسيح العالم، صديق الشعوب وكل البلاد والأصقاع.

كيف ضاع منَّا أن نعيش مع مسيح ما قبل الصليب؟ ونستمتع بإنسانيته التي تتضح من أمثلتها الحية ما يمكن أن يطبع قلوبنا وأفكارنا بفكر المسيح وقلبه ومبادئه؟

ولكن ونحن قد انحصرنا الآن في الصليب، هذا الانحصار الذي جعل الفداء قوة خالقة خلقت جبلتنا خلقة جديدة بالروح، وصرنا في أشد الحاجة أن نعيش بهذه الخليقة الجديدة في جدة الحياة، فأي مُثُل حية يمكن أن نعيش عليها وأية قامة يمكن أن نحاكيها ونأخذ منها ونتعلَّم إلاَّ يسوع الناصرة والجليل؟ يا ليت المسيح يدخل بيوتنا كما دخل بيوت خطاة الناصرة وزناة السامرة وعشَّاري أورشليم فحوَّلها إلى مراكز بشارة وشكر وتسبيح. يا ليت مسيح السامرة يجلس على بئر حياتنا كل يوم، ويتحادث حديثه مع نيقوديموس ولو جلسة في الظلام، ونستضيفه في صالوناتنا ونجلس كمريم تحت قدميه. ولا نشيِّعه إلى الصليب إلاَّ بعد أن نشبع من حبه ونرتوي من أقواله وأمثاله وصفاته وأخلاقه وكل أعماله حتى أصغر نفثاته. فمسيح التجسُّد لم يتجسَّد ليُصلب حالاً ولكن ليعطي الإنسانية أولاً أعلى نموذج لإنسان يحيا في عالم الظلمة ليضيئه، وبين التعابى والمظلومين والمضطهدين والمتألمين ليريحهم: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت١١: ٢٨). هذا هو مسيح التجسُّد الذي بعد أن أكمل مثل الإنسان الأعلى ذهب وصُلب ليكمِّل مثله بالحب والبذل حتى الموت!

٧:١٠ «ثم قلتُ هُنَذا أجيءُ في دَرْج الكتابِ مكتوبٌ عنِّي، لأفعلَ مشيئتكَ يا الله».

«هُنَذا»:

استجابة لإرادة الآب ظهرت واضحة في ميعادها المبارك وتحكي هذه الكلمة الغنية بالمشاعر الفيَّاضة كيف أن الابن كان على ميعاد مع الدعوة الأبوية لتكميل إرادته بمنتهى الإذعان والطاعة. كما تحكي عن الخط الأزلي المرسوم في تدبيرات الله لتكميل أعمال الله المملوءة عناية ورحمة ومحبة بالخليقة التي خَلَق. وإن تباطأ الزمن، فهو لدى الله ليس تباطؤاً، فالله لا يتباطأ في مواعيده. فكل تباطؤ من الله يُحسب خلاصاً، لأنه يودُّ أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون، فالإنسان وحده

مسؤول عن زمنه وهو الذي يجعله يتباطأ عندما يسوِّفه باطلاً، ويتلاهى بنفسه من دون الله، فتنتهي حياته كالسراب؛ وهو الذي يحوِّل الزمن إلى خلود، إن جعل أمسه ويومه وعمره صلاة: «أمَّا أنا فصلاة» (مز١٠٩: ٤). والإنسان يشقى بتيهه وابتعاده عن الله. فآدم أدخل بعصيانه الموت والشقاء إلى العالم، ولمَّا جاء الابن وأطاع حتى الموت حوَّل الموت إلى حياة، والشقاء إلى خلاص ونعيم وراحة أبدية.

«قلتُ هنذا» حينما رأيت أن الذبائح بكل صنوفها قد عزَّت عن أن تكون إفخارستية شكر حقيقية من طرف الإنسان، وحينما بطلت الكفَّارة عن أن تكون كفَّارة أمام عدل الله، فبات الإنسان مقطوع الصلة بإلهه، وخطيته حجبت عنه وجه الله (إش٥٩: ٢)، فصار في عداوة هي من صُنْع يديه، وليس مَنْ يُصالح.

«قلت هنذا أجيء "آتي"»: ἥκω

والكلمة هنا لا تحمل صيغة المستقبل بل الحاضر الممتد، كما تحمل رنة التصميم وروح الطاعة المذعنة المستعدَّة التي عزَّت على آدم وكل بنيه، فبدأ الله يتنسَّم رائحة الرضا التي انقطعت عن أن تبلغ الله من عالم الإنسان. طاعة آنيَّة، أي حاضرة، وكاملة لا يشوبها حذر أو ضعف أو تردُّد. طاعة تحمل في طياتها كل استعداد لتحمُّل التبعات ودفع الغرامات ومواجهة الصعاب والعدو المتربص بالإنسان. طاعة تشكَّلت ومن ورائها ظِلُّ الموت وشبح الصليب وشماتة كل قُوى الشر المهيأة للانتقام. طاعة، والمتكلِّم هو صوت السيد الآب القدوس، والسامع المطيع هو الابن المبارك خادماً حساب البشرية أمام وجه الله:

+ «... لأني خرجتُ من قِبَلِ الله "وأتيتُ". لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني.» (يو٨: ٤٢)

+ «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (١يو٥: ٢٠)

«في دَرْج الكتاب»: ἐν κεφαλίδι βιβλίου

وفي الفولجاتا = In Capite libri، وفي اللاتيني القديم = volumine Libri.

وبالعبرية = «بمجلات هاسَّفِر»، حيث «بمجلَّات» Bimegillath تعني «في دَرْج، (ملف)». والمعنى طبعاً هو في «كتاب» الناموس، حيث كان الناموس مكتوباً على هيئة درج أي فرخ ورق طويل ملفوف على عصا.

«مكتوب عني»: γέγραπται περὶ ἐμοῦ

الذي يُفهم من هذا الاصطلاح لأول وهلة أنَّ «في كتاب الناموس كُتب عني»، ولكن بحسب الأصل العبري يكون المعنى أن «دَرْج الكتاب مكتوب عني»، أي أن الناموس كُتب من أجلي: (٢) A law is written for me، مما يفيد أن الناموس بجملته وضَّح عملي وواجبي بصورة كاملة. أي كُتب كل ما يخص دوري الذي سأقوم به، وهذا هو المفهوم تماماً من عبارة «عني» περὶ ἐμοῦ في النسخة السبعينية. وهذا المعنى يؤكّده تماماً ما جاء على لسان المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «لأن الذي أرسلَه هو، لستم تؤمنون به. فتّشوا الكتب = الدَّرْج (الأسفار أي الناموس)، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية **وهي التي تشهد لي** περὶ ἐμοῦ.» (يو ٥: ٣٨و٣٩)

«لأفعل مشيئتك يا الله»: τοῦ ποιῆσαι, ὁ θεός, τὸ θέλημά σου

وهنا وفي هذه الجملة الشديدة الاختصار يتضح المعنى أن الناموس كُتب من أجل المسيح أو له، حيث يُنصُّ فيه على أن المسيح سيفعل مشيئة الله!! وهكذا يكون وضع الآية واضحاً كالآتي: «فقلت هنذا آتٍ — كما هو في الناموس المكتوب عني — أني سأفعل مشيئتك يا ألله». وما هي مشيئة الله؟ واضح أنها مسرّة الله من جهة خلاص الإنسان. وهذه المشيئة التي عزَّ على كل بني الإنسان تكميلها تولاّها «مسيّا» المحسوب أنه ابن الإنسان، باعتبارها كل ما كان يرجوه الإنسان من الله وعجز عن تكميله. فمسيّا يأتي، وكل عمله الذي تحدّد له هو أن يصنع هذه المشيئة، كونه هو هو نفسه أيضاً صاحب هذه المشيئة مع الآب:

+ «قال لهم يسوع: طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمّم عمله.» (يو٤: ٣٤)
+ «والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه.» (يو٨: ٢٩)

٨:١٠ «إذ يقولُ آنِفاً، إنك ذبيحةً وقرباناً ومحرقاتٍ وذبائحَ للخطيةِ لم تُرِدْ ولا سُررتَ بها، التي تُقدَّمُ حَسَبَ الناموس».

في الأصل اليوناني جاءت الذبائح والقرابين وذبائح الخطية كلها بالجمع، الأمر الذي اختزله المترجم للغة العربية بلا داعٍ. كذلك جاء قوله: «حسب "الناموس"» باليونانية بدون أداة التعريف ليعطيها مجرد شكلها الرسمي. هنا في هذه الآية يقدّم حقيقة خطيرة للغاية، فهو يكشف

2. Westcott, *op. cit.*, p. 311.

عن عدم فعالية كافة الذبائح التي كانت تقدّم حتى بصورتها الرسمية القانونية، فبالرغم من أنها وُضعت على كاهل الشعب رسمياً وقانونياً ووُضع لها ضوابط وشروط ومواصفات دقيقة للغاية، وكان التدقيق في تتميمها شديداً، إلاّ أنها في نفس الوقت لم تكن مقبولة لدى الله ولا هو أرادها لنفسه، ولا كانت له فيها أية مسرّة. إنما كانت مجرد طقوس تهذيبية لتوجيه فكر الإنسان وعقيدته نحو ضرورة تقديم تطهيرات مختلفة حتى يليق الوقوف أمام الله. فكل هذه الذبائح والقرابين بكل أنواعها كانت تخص الإنسان وحده ولا تخص الله بأي شيء، وليس لها أي تأثير على فكر الله أو مشيئته.

٩:١٠ «ثم قال هٰنذا أجيءُ لأفعل مشيئتك يا ألله. يَنزِعُ الأوّلَ لكي يُثبِّتَ الثاني».

وهكذا في مقابل كل الذبائح القديمة التي كانت تقدّم حسب الناموس ولكن الله لم يكن له فيها لا إرادة ولا مشيئة ولا مسرّة لنفسه؛ يضع المسيح نفسه إذ هو جاء ليقدّم جسده ــ الذي هيَّأهُ له الله، ذبيحة من أجل خطايا الناس، ليبرز أن ذلك كان تحقيقاً لمشيئة الله ومسرته.

وعليه، فهذا يعني أن الذبائح الأُولى التي لم يكن لله فيها إرادة أو مسرّة لابد وأن تبطل آجلاً أو عاجلاً، والذبيحة الكبرى التي يقدّمها الابن من جسده الذي هيَّأَهُ له الله، وهي حسب مشيئة الله، فحتماً تثبت وتبقى. لماذا؟

لأن الذبائح الأُولى لم يكن لها أي تأثير إيجابي على حياة الناس وضمائرهم، إذ كانت بقصد رفع أو إلغاء السالبيات عن الناس التي اقترفوها، من نجاسة جسدية إلى بقية خطايا السهو مثل لمس كلب أو لمس ميت إلخ. ولكن ذبيحة الابن المحبوب بتقديم جسده وسفك دمه، استطاعت بروح أزلي أن تطهّر أعماق الضمير للإنسان وتقدّس النفس والروح لخدمة الله الحي في بر وقداسة، ومصالحة العالم للآب. لذلك كان تأثير ذبيحة الابن على فكر الآب ومشيئته هو إلى منتهى تكميل مسرته: «الذي فيه (المسيح) لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته (الآب) التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، **إذ عرّفنا بسر مشيئته** (في المسيح) **حسب مسرته** التي قصدها في نفسه (عند إرسال ابنه)، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف١: ٧ــ١٠)، «الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كل شيء» (رو٨: ٣٢). فأين ذبيحة المسيح هذه من ذبائح تيوس وعجول؟ وأين نعثُر على مشيئة الله العظمى هذه؟ هل في دم ابنه الذي بروح أزلي، أم في دم ذبائح ينتن بعد يوم أو اثنين؟

١٠:١٠ «فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّةً واحدةً».

إذاً، وضح أن مشيئة الله بتقديم جسد يسوع المسيح كانت هي خلاصنا منذ البدء قبل التجسُّد، بل قبل الخليقة، وبعد التجسُّد، وفي موت الصليب والقيامة من الأموات. وإن المسيح أخذ جسداً لتكميل هذه المشيئة، وقدَّم هذا الجسد للموت على الصليب لتكميل هذه المشيئة:

+ «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتهُ» (يو١٧: ٤)، وهكذا «قال قد أُكمل ونكَّس رأسه وأسلم الروح.» (يو١٩: ٣٠)
+ «قال لهم يسوع: طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمم عمله.» (يو٤: ٣٤)
+ «لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني.» (يو٥: ٣٠)
+ «لأني هذا نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئاً، بل أُقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني، أن كل مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٣٨—٤٠)
+ «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته.» (أف١: ٥)
+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه.» (أف١: ٩)
+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معيَّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف١: ١١)
+ «الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.» (١تي٢: ٤)

واضح من كل هذه الآيات ارتباط مشيئة الله بعمل المسيح الخلاصي، أي بتقديم جسده، ارتباطاً كاملاً وكليًّا. هذا بحد ذاته يجعلنا نرى في وجودنا المسيحي كمفديين بدم المسيح منتهى تتميم مشيئة الله من نحو حياتنا وقداستنا، وذلك فوق كل عمل وفوق كل سعي من جهتنا. فكل جهادنا وسعينا بعد ذلك هو لأننا قد مُسحنا بالدم وتقدَّسنا بالروح وأكلنا وشربنا جسده ودمه، تأكيداً أننا نحيا فيه ونحيا به. بمعنى أننا نعمل ونجاهد ونصلي ونصوم ونسهر ونقرع الصدر ونعفِّر الجبين بتراب الأرض لأننا خلصنا وصرنا نحيا حسب مشيئة الله، وليس لكي نخلص أو نكمِّل مشيئة الله، لأننا قد افتُدينا وليس لكي يفدينا، لأننا صرنا أحياءَ المسيح وليس لكي نصير أحياءً له، أو بمنتهى الاختصار، إن كل أعمالنا وكل جهاداتنا الروحية والجسدية في كل مجال الجهاد والخدمة يتحتم أن تكون بالنعمة معمولة، وليس لكي نكتسب النعمة:

+ «لأنكم بالنعمة مخلَّصون ... وذلك ليس منكم. هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر

أحد.» (أف ٢: ٨ و٩)

+ «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم.» (يو١٥: ١٦)
+ «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً.» (١يو٤: ١٩)
+ «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

«بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة»:

إنها حالة قد وقعت، وهي دائمة الحدوث، أننا **«صرنا مقدَّسين»** بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة. وهذا رداً على سؤال: **كيف تقدَّسنا بمشيئة الله؟** الجواب: لأن مشيئة الله أُكملت كليًّا وتماماً بحياة الرب يسوع في تكميل منتهى الطاعة لله والتي ختمها على الصليب: «قد أُكمل.» (يو١٩: ٣٠)

والحكمة بالغة بذكر هنا اسم **«يسوع المسيح»** لكي يوضح منتهى تكميل مشيئة الله كابن الله وابن الإنسان بروح البُنوّة لله الآب في منتهى الطاعة الإلهية، وبروح البشر في تقديم الطاعة الكلية بالجسد حتى الموت!!

وكلمة **«الجسد»** هنا متسعة، تشمل حياة المسيح كلها بكل جمال طاعتها، وحُبُها للآب بكل طهارتها وتعفُّفها وقداستها، بكل مشاعرها التي أسرت قلب الآب جداً، حتى لم يبقَ شيء على الإنسان أن يكمله ليحظى بمشيئة الله ومسرته إلاَّ والمسيح أكمله لنا، ولم يعد يتبقى لنا إلاَّ الإيمان بالرب يسوع ومحبته والالتصاق الكلي به، والتعبُّد له من كل القلب لننال ما نالهُ لأجلنا، أي لنصير في ملء مشيئة الآب محسوبين مقدَّسين في المسيح بتكميل هذه المشيئة من أجلنا.

«"تقديم" جسد يسوع المسيح»: προσφορᾶς

هنا كلمة: «تقديم = بروسفورا»، هي طقسية ذبائحية تشير إشارة بليغة لتقديم ذبائح العهد القديم. ولكن هنا «التقديم» هو الذي أنهى على كل تقديم. فلا بروسفورا بعد الآن لأن الذبيحة المقدَّمة هي حيّة قائمة أمام الله تتكلَّم وتشفع بلا انقطاع، دائمة وأبدية، قادرة قدرة إلهية لتكميل كل نقص في كل إنسان كل مَنْ يتقدَّم بها إلى الله، فهي ذبيحة كل إنسان لكل أوان: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠). والآية التي تشرحها وتوضِّحها وتثبت مضمونها قالها ق. بولس لأهل أفسس: «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة.» (أف٥: ٢)

أما قوله «مرّة واحدة» ἐφάπαξ فقد شرحناها في أصحاح ٦: ٤ (ص٤٠٦ــ٤٠٨) وأصحاح

٢٧:٧ (ص٤٨٣ و٤٨٤)، ونرجو العودة إليها.

ونكرر أنها تعني أن تقديس المؤمنين بالمسيح قد تم وكمل من ناحية الله، بتقديم ذبيحة المسيح مرّة واحدة. ونقول من ناحية الله فكل مَنْ يؤمن ويصدّق ذلك لم يعُد له طلبة يطلبها من لدن المسيح والله، بل عليه أن يتقدّم هو الآخر في هذه الذبيحة الواحدة: «فأطلب إليكم أيها الإخوة — برأفة الله — أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رو١:١٢). ومعنى هذه الآية أن أجسادنا قد تم تقديسها مع نفوسنا وأرواحنا، لأن «أجسادكم» هنا تعني الإنسان كله، فلأن الله قدّسها لنا بدم ابنه فهو يطالب بها لأنها له خاصة، فكلمة «مقدّس» تعني «مخصَّص لله». وهذا المفهوم الروحي العالي يحوي من المبادىء الروحية والنسكية والسلوكية الشيء الكثير، ويعوزنا الوقت، والمقام ضيِّق، لنشرح أننا أصبحنا لسنا لأنفسنا نحيا بل للذي اشترانا بدمه: «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.» (رؤ٩:٥)

فإن كان المسيح حقاً اشترانا بدمه وقد تسجّل عقد الشراء الموضوع على مذبح رحمة الله، فلنفهم أنه لم يعُدْ لنا إلاَّ أن نبيع أنفسنا للذي اشترانا.

١١:١٠ **«وكلُّ كاهنٍ يقومُ كلَّ يومٍ يخدِمُ ويقدِّمُ مِراراً كثيرةً تلك الذبائحَ عَيْنَها التي لا تستطيعُ البتّةَ أن تنزِعَ الخطيّةَ».**

ثلاث مناقص تواجه نظام العهد القديم: **الأُولى** موت الكهنة وقيام كهنة آخرين، **الثانية** تقديم خدمة الذبائح هي هي بتكرار لا أمل في الارتقاء به، **الثالثة** عجز هذه الذبائح عجزاً فاضحاً عن أن تؤثّر في خطية الخاطىء أو ترفعها عنه. أما المحصلة النهائية لهذه المناقص التي لا مفرَّ منها فهي بقاء الخطية كما هي بسلطانها الزمني حاملةً حكم الموت الأبدي للإنسان. وواضح وضوح الشمس أن المطلوب بإلحاح هو كاهن لا يموت، وذبيحة واحدة تواجه كل أنواع الخطايا، وتُقدَّم مرّة واحدة، ويكون لها القدرة والسلطان أن تسحق الخطية وتبيد الموت!! آمين تعالَ أيها المسيَّا، هذا كان صراخ الآباء القديسين والأنبياء وكل مُتَّقي الله على مدى كل عصور الناموس.

١٢:١٠ «**وأمَّا هذا فبَعْدَ مَا قَدَّمَ عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جَلَسَ إلى الأبدِ عن يمينِ الله**».

هنا يبدأ يظهر جلال المقارنة البديعة، فالكهنة في القديم كانوا في حالة خدمة مستمرة تتعلّق بتقديم الذبائح كل يوم، بلا أمل في بلوغ نهاية. وقد وصفهم بقوله: «يقوم كل يوم يخدم»، وكأنهم قيام على الدوام ولا رجاء في قعود. وفي المقابل هنا في حالة المسيح أنه **بعد ما قدَّم جلس إلى الأبد**. إنها روعة المقارنة. فالجلوس إلى الأبد وعن يمين الله يعني أعظم ما يعني أنها خدمة أكملت إلى الأبد ولا مزيد، وأنها ذبيحة واحدة لا ثاني لها على الإطلاق، وأنها قُبلت لدى الله الذي أعطى لها — أي أعطى لهذه الذبيحة، وهي المسيح ابن الله بالجسد، أن يجلس جلوس الكرامة والمجد ونحن مصوَّرون فيها بل قائمون. إذ لما أكملت الذبيحة التي هي **من أجلنا**، تكمَّلت لنا كل مفاعيلها أي الغفران والمصالحة والتبنّي ونوال برّ الله، فصرنا قديسين أمامه وبلا لوم. وهنا في قوله: «بعد ما قدَّم ... جلس»، يكشف معنى قوله: «دخل راحته» (٤: ١٠). فجلوس الابن بجسده المذبوح من أجلنا عن يمين الآب، هو بدء السبت الأبدي الذي أسْمَتْه الرسالة إلى العبرانيين بالسَّبَّاتِيزْموس (٤: ٩)، وهو اصطلاح جيِّد يُتعجب له، أي سبت السبوت كلها. وكأن كل السبوت السالفة كلها كان ينقصها الراحة الحقيقية، وقد بلغتها هنا في أعمق معناها بجلوس الفادي والمخلِّص — بعد أن سحق الخطية والموت — عن يمين الله في عرشه: «وإن أعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ» (يو١٤: ٣)، «آمين تعال أيها الرب يسوع.» (رؤ٢٢: ٢٠)

١٣:١٠ «**مُنتظراً بَعْدَ ذلكَ حتى تُوضَعَ أعداؤُهُ مَوْطِئاً لقدمَيْهِ**».

عودة إلى مزمور (١١٠): «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز١١٠: ١). هنا توضيح لمجد ملوكية المسيح وهو جالس عن يمين الله، بعد أن أكمل النصرة على الخطية والموت، وحرَّر الإنسان من قيودهما، وقدَّمه إلى الآب ليكون أمامه بلا لوم في المحبة بعد أن قدَّسه وفداه. وهنا يتعرَّض المزمور بصورة غير مباشرة إلى تحديد زمان جلوسه بانتهاء كل سلطان أعدائه على الأرض وفي السماء. وأعداء المسيح ليسوا أعداءه إلَّا بقدر عداوتهم لنا، فالمسيح قبل التجسُّد كان متفوِّقاً على كل خليقة بلا نزاع، سيداً وربَّاً مهوباً، ولكن بعد أن أخذ جسد الإنسان وصار مثلنا ابن بشر ظهر أعداؤه الذين يناصبونه العداوة المرَّة عن طريقنا، فكلُّ مَنْ يظلمنا يظلمه، وكل مَنْ يضطهدنا يضطهده: «شاول شاول لماذا **تضطهدني**» (أع٩: ٤)، وكل مَنْ يطغى علينا، ويؤذينا ويُسيئنا بفجور الخطية والتعدي، هو في الحقيقة يهينه ويتحدى صليبه

ويراهن على دمه. نعم، إن المسيح الآن يجوز معنا محنتنا، والآب يطيل أناته، مصمِّماً أن يضع كل عدو بـنـاصـبـه العـداوة فينا، تحت قدميه. المسيح كما سبق وقلنا ليس له أعداء ولا خليقة قط بمستطيعة أن تعاديه، ولكن نحن الذين نواجه عداوات قاسية وشنيعة، ونحن جسده، كيف يهنأ على كرسيه وجسده يتألَّم؟ أما هو فقد ظفر على الشيطان بالصليب وجرَّد الرؤساء وسلاطين عالم الظلمة من كراماتهم ومؤهلاتهم وألبسهم الخزي والعار إلى الأبد، وجلس في يمين عرش العظمة في السموات ووطأت أقدامه بالفعل فوق هامة كل الرؤساء والسلاطين في السموات والأرض: «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١ : ٢٠—٢٣). ولكنهم، وقد انهزموا أمامه، استداروا علينا وأشهروا كل صنوف حيلهم وخداعهم وأسلحتهم ضدنا خفية وجهاراً بلا رحمة وبلا هوادة:

+ «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف ٦ : ١٠—١٢)

+ «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم.» (١بط ٥ : ٨و٩)

أما زمان بقاء المسيح محتجباً في السماء فهو جزء لا يتجزأ من عملية الخلاص بجملتها، التي تنتهي بانتهاء الأزمنة المحدَّدة للكرازة بالإنجيل في العالم: «ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى» (مت ٢٤ : ١٤)، وذلك عندما يبلغ الإنسان إلى وحدة الإيمان وملء قامة المسيح: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح (الكنيسة)»؛ و «... إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤ : ١٢و١٣)؛ وإلى ما يلمِّح عليه بطرس الرسول بـ «أزمنة رد كل شيء» (أع ٣ : ٢١)، أي عودة إسرائيل: «وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم» (لو ٢١ : ٢٤)، وبعدها تُردُّ إلى أصحابها. هذه هي أزمنة ردِّ كل شيء:

+ «ويُرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شيء التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع ٣ : ٢٠و٢١)

+ «وأمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلاَّ أبي وحده.» (مت٢٤: ٣٦)
+ «أمَّا هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب **هل في هذا الوقت تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيل؟** فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.» (أع١: ٦و٧)

أمَّا «آخر عدو يُبطل فهو الموت» (١كو١٥: ٢٦)، الذي سينتهي سلطانه على أجسادنا إلى الأبد بمجيء الرب وإعلان القيامة العامة:

+ «هوذا سرٌّ أقوله لكم، لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيَّر، في لحظة، في طرفة عين، عند البوق الأخير فإنه سَيُبَوَّقُ فيُقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت (الجسد) عدم موت؛ فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة **ابتُلع الموت إلى غلبة**، أين شوكتك يا موت أين غلبتكِ يا هاوية.» (١كو١٥: ٥١ــ٥٥)

ويعود بولس الرسول ويشرح لأهل تسالونيكي مصوِّراً منظر الرب في مجيئه الثاني هكذا:

+ «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة و بوق الله ـــ "قد أقبل العريس"، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس٤: ١٦ــ١٨)

ولكن «أزمنة ردِّ كل شيء» التي يقول عنها بطرس الرسول، والتي تعني ردّ إسرائيل إلى وضعها الأول لتدخل الإيمان بالمسيح ويصيروا في الحظيرة الواحدة مع الأمم المتنصِّرين المؤمنين بالرب، يقابلها عند بولس الرسول أزمنة ارتداد في الأمم إلى عبادة الشيطان مرة أخرى (٢تس٢: ٣)، وكذلك أيضاً في مثل الزيتونة الدسمة التي هي شجرة الحياة التي دُعيت إسرائيل إليها أولاً وصارت فروعاً من فروعها. ثم لعدم إيمانهم وتمرُّدهم على الله قُطعت وأُلقيت جانباً، والرب أتى بالأمم وهم غصن الشجرة المُرَّة التي كان يغذيها الشيطان، ولكن رحمهم الله، وطعَّمهم في الزيتونة الدسمة أي شجرة الحياة، فأكلوا وشربوا من دسمها وأثمروا للحياة الأبدية، ولكن إن لم يثبتوا في الإيمان فهم تحت الحكم عينه الذي وقعت تحته إسرائيل، إذ قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة فكل غصن فيها لا يُعطي ثمراً جيداً يُقطع ويُلقى في النار:

+ «فإن كان قد قُطع بعض الأغصان (إسرائيل) وأنت (الأمم) زيتونة برية طُعِّمْتَ فيها

فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان (إسرائيل). وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل، بل الأصل إياك يحمل. فستقول قُطِعَت الأغصان (إسرائيل) لأُطَعَّم أنا (الأمم)، حسناً، من أجل عدم الإيمان قُطِعَتْ، وأنت بالإيمان ثَبَتَّ. لا تستكبر بل خَفْ. لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعية (إسرائيل)، فلعلّه لا يُشفق عليك أيضاً ... وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيُطعَّمون لأن الله قادر أن يطعِّمهم أيضاً. لأنه إن كنت أنت قد قُطعت من الزيتونة البرية (الأمم) حسب الطبيعة وطُعِّمْت بخلاف الطبيعة(٣) في زيتونة جيدة فكم بالحري يُطعَّم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة.» (رو١١: ١٧ــ٢٤)

ثم يستطرد بولس الرسول ليؤكِّد بحسب رؤياه الروحية كنبوّة أن إسرائيل لابد وأن تعود وتؤمن بالمسيح: «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء (كذبة)، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٥و٢٦)

فلو وضعنا قول الوحي على فم بطرس الرسول بجوار قول الوحي على فم بولس الرسول، لخرج بنتيجة واحدة هي كالآتي: أن إسرائيل بسبب عدم إيمانها بالمسيح استُبعدت من خطة الخلاص لأنها رُفضت ولأنها كانت عدوة للأمم، وذلك ليُخلي الله الطريق للأمم ليدخلوا الإيمان المسيحي بلا مقاومة من اليهود، فبعد أن تكمل الكرازة لجميع الأمم، سيحدث، للأسف، ارتداد عن المسيح من جهة الأمم، وهنا تكون العلّة في استبعاد إسرائيل قد استنفدت حقها، حينئذ سيفتح الله الباب لإسرائيل لتعود إلى الإيمان بالمسيح.

وهذا يختصره الرب يسوع بآية واحدة تحمل كل هذا المعنى، وقد سبق أن قلناها وهي: «وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تُكَمَّل أزمنة الأمم.» (لو٢١: ٢٤)(٤)

وأيضاً قول الرب الواضح الصريح: «ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى.» (مت٢٤: ١٤)

---

(٣) هنا يستخدم القديس بولس تشبيهاً من الطبيعة ولكنه غير ممكن قط. وهو أن فرع زيتونة برية مُرّة يُطعَّم على أصل زيتون حلو جيد. ويقول بولس الرسول إنه صار شريكاً في دسم الشجرة الجيدة. فهذا خلاف للحقيقة والطبيعة، إذ أنه لابد أن يثمر ثمراً مرّاً مثل أصله. لذلك، ولكي يلاقي هذا التعارض الطبيعي يقول دائماً: «خلافاً للطبيعة»، حتى يجوز التشبيه، أو يصبح معجزة أشد.

(٤) انظر كتاب: «شرح الرسالة إلى أهل رومية»، للمؤلف، ص ٥٠٢ــ٥٠٣.

١٠: ١٤ **«لأنه بقربانٍ واحدٍ قد أكمَلَ إلى الأبدِ المقدَّسين».**

سبق وأن شرحنا هذا القول في الآية (١٠: ١٠) أن تقديسنا قد تم مرة واحدة وإلى الأبد، ولا مزيد ولا نقصان، بتقديم جسد المسيح كفّارة مرة واحدة وإلى الأبد عن خطايانا، لتقديسنا أي لتخصيصنا لله. هنا يكرّر بولس الرسول هذه الحقيقة أو المعلومة اللاهوتية ذات الوزن العالي جداً أن كل مَنْ آمن بالمسيح واعتمد فهو محسوب قديساً، وذلك من طرف واحد أي من جانب الله والرب يسوع. فنحن محسوبون قديسين بسبب إيماننا بالمسيح وذبيحته التقديسية. ولكن علينا نحن ومن جانبنا أن نحقّق هذه النعمة الكبرى في حياتنا بتصديقنا عمل المسيح والله من أجلنا، أننا صرنا قديسين أمام الله وبلا لوم في المحبة، وذلك بأن نلتجيء إلى المسيح في كل أعمالنا وأفكارنا وأقوالنا لكي يقدّمنا إلى الله أبيه كل حين، ونَصيرنا في هذا قولُ سفر العبرانيين نفسه: «فمن ثَمَّ يقدر أن **يخلِّص أيضاً إلى التمامِ الذين يتقدَّمون به إلى الله** إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب٧: ٢٥)

إذاً، أيها الإخوة الأحباء القديسون بالرب، أصبح الجهاد الموضوع أمامنا **هو جهاد الإمساك بالمسيح، وجهادُ تصديقنا وعد الله** والربِّ يسوع، **والتمسُّكُ الشديد بقول الوحي هذا:** «إنه بقربان واحد — أي جسد المسيح المقدّم ذبيحة على الصليب — قد أكمل إلى الأبد المقدّسين»، وحفظ أنفسنا بلا دنس في هذا العالم.

نحن لا يمكن أبداً أن نصدِّق أنفسنا أننا صرنا قديسين، ولنا كل الحق في ذلك، فخطايانا أمامنا كل حين. ولكن أن لا نصدِّق الله أننا صرنا قديسين بذبيحة المسيح، فهذه خطية، لأنها تكذيب لقول الله. أما المسيح فبعد ما قدَّم هذا القربان الواحد وأكمل المقدَّسين إلى الأبد، فلم يَعُدْ عليه أي عمل آخر من نحونا من جهة تقديسنا وتقديمنا إلى الله أبيه بلا لوم في المحبة.

«بقربان واحد»: μιᾷ προσφορᾷ

هنا كلمة «بروسفورا» تحمل من المعنى أوسع بكثير من «ثيسيا» Θυσία أي «ذبيحة»، إذ أن كلمة «قربان» تشمل الذبيحة كما تشمل كل حياته قبل الصليب، بكل أعماله وبذله وحبه وتضحياته في خدمة الشعب. ولكي نفرّق بين «القربان» و«الذبيحة»، نقرأ لبولس الرسول أيضاً وهو يجمع الاثنين معاً، حياته وأعماله وذبيحته، بقوله: «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً **وأسلم** نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف٥: ٢). وقد أوردها بولس الرسول أيضاً في الرسالة إلى رومية لتشمل معنى حياة وإيمان وبذل حتى الاستشهاد، كل الأمم الذين

آمنوا على اسم المسيح: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدَّساً بالروح القدس» (رو١٥:١٦). وهكذا يدخل في مفهوم «القربان» الذي قدَّمه المسيح لأجل تكميلنا في القداسة، الإنجيل الذي تركه لنا بكل مذخراته الثمينة القادرة فعلاً أن تكمِّلنا بالكمال المسيحي الذي يُرضيه.

ونلاحظ في التركيب اللغوي للآية أنها لا تعني أن «القربان» ــ بحد ذاته ــ هو الذي كمَّلنا للقداسة، بل المسيح نفسه، بتقديمه القربان: «بقربان أكمل المقدَّسين τετελείωκεν τοὺς ἁγιαζομένους »، أي بقربان واحد أكمل المسيح المقدَّسين، فهنا العامل الشخصي قائم بكل اعتبار، فالمسيح «بحياته» و «بذبيحته» أكمل المقدَّسين.

وهكذا نلمح من هذه الآية مقدار وزن حياة المسيح الشخصية بجوار ذبيحته أنها فعالة في تكميلنا للقداسة، فنحن نستمد من حياة المسيح كما من صليبه تقديسنا كل يوم.

وهذا التكميل الذي أكمله المسيح بتقديم حياته قرباناً من أجلنا يأتي في مقابل إخفاق الناموس إخفاقاً ذريعاً في ذلك: «إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل (بالمسيح) به نقترب إلى الله» (عب٧:١٩)، وذلك عكس ما صنع الناموس: «الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تُقدَّم قرابين وذبائح **لا يمكن من جهة الضمير أن تكمِّل الذي يخدم**» (عب٩:٩)، «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة، لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدِّمونها على الدوام أن يكمِّل الذين يتقدَّمون.» (عب١٠:١)

«إلى الأبد»: εἰς τὸ διηνεκές

الترجمة العربية تخطَّت المعنى بقولها «إلى الأبد». فالكلمة اليونانية أعظم وأعمق فهي تعني «على الدوام» all the time. والمعنى أن عمل المسيح الذي عمله مع ذبيحته التي قدَّمها تبقى على الدوام صالحة وعلى استعداد لتكميل كل مَنْ يتقدَّم بها إلى الله. وقد حاولت الترجمة اللاتينية أن تضعها هكذا: consummavit in sempiternum، لكي تشدد على دوام فاعليتها، بترجمتها: «دائماً» always وأصلها الكلمة اللاتينية Semper أي ever(٥).

كذلك تأتي كلمة «المقدَّسين» في الأصل اليوناني في الزمن المضارع المستمر بمعنى الذين يريدون أن يتقدَّسوا، أو باختصار، المتقدِّسين كحال دائم، لتفتح المعنى ليكون المتقدسون قادرين

5. Webster New Coll. Dict.

أن يتقدسوا بقربان المسيح على الدوام كلما أرادوا وشاءوا واحتاجوا.

والمعنى الدائم الفعالية هنا هام وجيد، وهو يشبه المعنى الذي نستفيده من آية أوردها بولس الرسول في رسالته الأولى لكورنثوس: «وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشَّرتكم به وقبلتموه، **وتقومون فيه**، وبه أيضاً "**تخلصون**" ...» (١ كو١٥: ١و٢). فهنا دوام الخلاص بالإنجيل كلما احتاج وشاء الإنسان، على وزن «**المتقدسين**» أي الذين يشاءون التقديس بقربان المسيح كلما أرادوا.

كذلك كما جاء في الآية (١٠:١٠): «فبهذه المشيئة نحن **مقدَّسون**» ἡγιασμένοι كحالة قائمة مفتوحة على الدوام.

١٠: ١٥—١٧ **«ويشهد لنا الروح القدس أيضاً. لأنه بعد ما قال سابقاً:**
هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل
نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم،
ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد».

في هذه الثلاث الآيات تأتي الترجمة العربية غير واضحة وتفوِّت المعنى على القارىء إذ أسقط المترجم من الآية (١٧) القول «**يضيف بعد ذلك**»، والتي وُضعت لتنبيه ذهن القارىء على أهمية هذه الإضافة، ونرجو تصحيحها لتكون كالآتي حسب معنى النص اليوناني وحسب الترجمة الإنجليزية:

+ «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً، لأنه بعد ما قال:
هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب،
"أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها على أذهانهم"؛ **يضيف بعد ذلك:**
"ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد"».

حيث الإضافة هذه تمثِّل بيت القصيد(٦) أو التركيز الأساسي على قوله: **«ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»**، حيث يعلِّق على هذه الإضافة بعد ذلك بقوله: «وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بَعْدُ قربان عن الخطية» (١٠: ١٨)، بمعنى أن الآيات كلها مبنية على

(٦) كلمة: «بيت القصيد» شائعة في اللغة العربية. فالشاعر يبني قصيدته على فكرة أساسية تتضح في بيت من أبيات قصيدته. فإذا عثر عليها القارىء، فهم القصيدة كلها. هذا يسمّى هذا البيت بيت القصيد.

هذا الختام: «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً لأنه بعد ما قال ... **قال ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد!»**

١٠:١٥ **«ويشهَدُ لنا الرُّوحُ القدسُ أيضاً لأنه بَعْدَ مَا قالَ سابقاً».**

«ويشهد لنا الروح القدس»:

المعنى أن الروح القدس، بلسان الوحي وبفم داود النبي، يشهد لحسابنا نحن المسيحيين عامة الذين جاء الوعد من أجلهم، وذلك من داخل النبوّة التي جاءت شهادة للمسيح. وهنا محاولة من بولس الرسول ليستخلص من النبوّة تأكيداً من وحي الروح القدس فيما يخص الخطايا والتعديات أنه سينساها، ولن يتذكرها فيما بعد، وذلك كجزء لا يتجزأ من بنود العهد الجديد.

وهكذا يقسِّم منطوق العهد الجديد الذي جاء في المزمور إلى قسمين: **الأول** بند أساسي للعهد، **والثاني** بند مكمِّل وشارح.

بند العهد:

+ «أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها على أذهانهم».

البند المكمِّل للعهد:

+ «ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد».

ثم يعطي التعقيب كاستنتاج حتمي لابد منه هكذا:

وبما أنه حدثت مغفرة للخطايا والتعديات، لا يعود هناك سبب لتقديم قرابين على وجه الإطلاق، بمعنى حتمية توقُّف الذبائح الحيوانية وتوقُّف خدمة تقديمها التي يقوم الهيكل بترتيبه وتدبيره على أساس تقديم هذه الذبائح اليومية والموسمية والسنوية، مع إلغاء وظيفة مقدّميها، أي الكهنة، بكل درجاتهم.

١٠:١٦و١٧ **«هذا هو العَهدُ الذي أَعهَدُهُ معهم بعد تلكَ الأيام، يقولُ الربُّ: أجعلُ نواميسي في قلوبِهم وأكتبُها في أذهانِهم،**
ولن أذكُرَ خطاياهم وتعدِّياتهم في مَا بَعْدُ».

لقد سبق أن أورد بولس نص هذا العهد مطوَّلاً في الأصحاح الثامن (٨: ٨—١٢)، وقدَّمنا الشرح المناسب له في موضعه نرجو الرجوع إليه (صفحات ٤٩٨ — ٥١١).

١٨:١٠ «وإنما حيثُ تكونُ مغفرةٌ لهذهِ لا يكونُ بَعْدُ قربانٌ عن الخطيةِ».

«مغفرة»: ἄφεσις

هذه الكلمة تأتي دائماً في بقية الأسفار متعلّقة بالخطية، وقد كُني عنها هنا بكلمة «هذه» أي الخطايا والتعديات التي جاءت في الآية (١٧).

والعهد الجديد لا يقف عند مغفرة الخطايا، بل إن نعمة المسيح تمتد لتمسح آثارها الماضية أيضاً: «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم». وجدير بنا أن نقف هنا للمقارنة بين عهد المغفرة هذا وزمن الناموس والتكفير بذبائح حيوانية حيث يقول: «لكن فيها كل سنة ذِكْرُ خطايا».

وعلينا أن نتمعّن كثيراً في وعده: «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»، لأن مجرد هذا الوعد كفيل أن يوقف كل علّة وكل حاجة بل وكل معقولية أن تُقدّم ذبائح أو قرابين أو حتى أعمال لاسترضاء وجه الله عنا كخطاة، إذ لم نَعُدْ خطاة في عينيه بعد بل أحباء وقديسين وبلا لوم. فإن كان الله لن يذكر خطيتي ولن يذكر تعدياتي، فأنا حتماً محبوب عنده، بل وقريب إليه، بل ومن المؤكد أنه سيمنحني قوة لكي لا أخطيء أيضاً ولا أتعدّى: «يا امرأة (الخاطئة) أين هم أولئك المشتكون عليكِ، أما دانكِ أحد؟ قالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا (الله) أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً» (يو٨: ١٠و١١). هذا أروع مثل تطبيقي لقول الله في المزمور عن صفة العهد الجديد وصفة صاحب هذا العهد!! «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد». ولكن العجب ليس فقط أنه لم يذكر للزانية خطيتها بل أنه أيضاً شيّعها بدعاء: «اذهبي ولا تخطئي أيضاً»، فهنا قد منحها الرب سر عدم الخطية أيضاً.

يا قارئي العزيز، أنت مغفور الخطايا. فلا تخطيء أيضاً لأن القوة التي غفر بها المسيح خطيتك هي بعينها التي تؤازرك لكي لا تخطيء أيضاً. لذلك إن تمسَّكْتَ جيداً بسر المغفرة، فسوف تُحمل على قوته لتطأ الخطايا بنعمته.

ومعروف أن الآثار المترتبة على الخطايا والتعديات تنشيء ثلاثة مواقف خطيرة أمام الله:

فهي **أولاً**: توقف الإنسان في حالة أَسْر تحت سلطان العدو، وهذا ناشيء من كونه اتفق مع الشيطان وبدّد معه مذخراته الطبيعية التي وهبه الله إياها، من فكر وفهم وصحة وطهارة وتمييز، فأصبح الإنسان في حالة أَسْر للعدو، أي مأسور ومكبّل بسلاسل تحت سطوته مما استلزم عملية فِدْيَة دفعها المسيح بدمه، وفكّ الأسر. لم يدفعها المسيح للشيطان، بل إنه أسر الشيطان نفسه على الصليب، وكبّله بسلاسل أبدية، وانتزع منه (سَبْي) سباياه: «سَبَى سبياً وأعطى الناس عطايا

(أي كرامات)» (أف٤ : ٨)، ولهذا يُقال إنه اشترانا بدمه.

ثانياً: الخطية أحدثت للإنسان حالة تغرُّب عن الله وعداوة، وهذه استلزمت مصالحة أكملها المسيح بطاعته وقداسته فقرَّب البعيدين إلى قلب الله بعد غُربة وعداوة.

ثالثاً: وهي أهمها أن الإنسان بتعدِّيه على نواميس الله، أصبح مديوناً أي محكوماً عليه، بمعنى أنه وقع **تحت دينونة عدل الله**، وأصبح محتاجاً إلى تبرئة أي مغفرة. وهذه أكملها المسيح بأن تحمَّل في جسده الذي هو جسدنا عقوبة الدينونة وهي الموت واللعنة، فاستوفى العقاب من أجلنا، ووهبنا البراءة أمام عدل الله.

أما هنا في هذه الآية فقد ركَّز بولس الرسول على «**المغفرة**» وحدها التي كانت تستلزم في القديم ذبائح حيوانية **عن خطايا السهو فقط**. وبقيت خطايا العمد معلَّقة، وبقي الإنسان حتى وهو تحت الناموس في حالة مطالبة لتنفيذ عقوبة الموت واللعنة. ولهذا جاء المسيح ليكمِّل عمل الناموس فيما يخص خطية العَمْد التي عجز الناموس عن أن يقترب منها.

وهنا يعلِّق بولس الرسول على عملية المغفرة التي تمَّت لنا في مجرد منطوق العهد: «ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»، والتي تمَّت بالحرف الواحد بذبيحة المسيح الكفَّارية، فيقول إنه حتى من مجرد منطوق هذا البند في العهد الجديد كما جاء في النبوَّة: «لن أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم»، يكون هذا معناه أنه يتحتَّم توقيف طقس الذبائح بكل خدماتها الهيكلية: «**لا يكون بعد قربان عن الخطية**».

وهكذا بمجيء العهد الجديد وتقديم جسد المسيح مرة واحدة عن الخطايا والتعدِّيات، يكون إبطال الناموس فيما يخص خدمة اللاويين من جهة الذبائح وخدماتها الهيكلية.

وبوصول بولس الرسول إلى هذه الحقيقة من واقع النبوَّات وما تم بالمسيح، يكون قد جاء إلى ختام حواره ودفاعه للعبرانيين، بحتمية إبطال الناموس وكل ذبائحه وخدماته، في ضوء مجيء المسيح، وتقديم نفسه مرة واحدة ذبيحة كفَّارية وقرباناً، كرئيس كهنة، أكمل فداء الإنسان وقدَّمه إلى الله أبيه إنساناً كاملاً مكمَّلاً بالقداسة مُهيَّأً للحياة الأبدية مع الله.

نظرة سريعة لأجزاء الرسالة إلى العبرانيين التي تم شرحها حتى الآن، وتقديم للجزء المتبقي منها:

إلى هنا يكون بولس الرسول قد استوفى رَفْع شخص المسيح:
— فوق الملائكة (وهو موضوع الدفاع الأول).
— وفوق موسى ويشوع وراحة أرض كنعان (وهو موضوع الدفاع الثاني).
— وفوق كهنوت العهد القديم بكل ما فيه من ذبائح وأنظمة (وهو موضوع الدفاع الثالث).

وفي الجزء المتبقي وحتى نهاية الرسالة سيقدِّم **تطبيقات عملية** مبنية على كل ما سبق وقيل حتى الآن. وهي تشمل:
بقية الأصحاح العاشر (توصيات عملية).
والأصحاح الحادي عشر (أمثلة الإيمان).
والأصحاح الثاني عشر (الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان).
وأما الأصحاح الثالث عشر ففيه ختام الرسالة.

تطبيقات عملية
بقية الأصحاح العاشر
[١٠ : ١٩ — ٣٩]

لقد انتهى بولس الرسول من استعراض عمل المسيح كرئيس كهنة وهو الآن من الآية (١٩) حتى الآية (٣٩) يقدِّم تطبيقات عملية مُعتمِدة على ما فات وعلى ما هو آتٍ. وهي تنقسم إلى ثلاث نقلات:

الأولى: (١٠:١٩—٢٥): الامتياز الذي صار إليه المسيحيون بالدخول بدم يسوع إلى الأقداس العليا وما يترتَّب على ذلك من واجبات.

الثانية: (١٠:٢٦—٣١): تحذيرات من السقوط والهلاك.

الثالثة: (١٠:٣٢—٣٩): تشجيعات للمثابرة.

«أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً،
وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم
إليَّ
حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً،
وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق.
... أنا هو الطريق والحق والحياة،
ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو١٤: ٢-٦)

«أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي
حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك
أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

النقلة الأولى:

أ ــ (١٠: ١٩-٢١): **الدخول إلى الأقداس العليا بدم يسوع:** لقد أكمل رئيس الكهنة ذبيحة الكفَّارة ودخل الأقداس العليا كسابق لأجلنا، وافتتح الطريق أمامنا بجسده المكسور، وسلَّمنا سر الدخول أي دم ذبيحته الذي يؤهِّلنا للدخول معه إلى نفس الأقداس، لنتراءى فيه ومعه أمام الآب، كقديسين وبلا لوم في المحبة.

ب ــ (١٠: ٢٢-٢٥): هذا الامتياز الفائق يضع علينا بالضرورة كجماعة أن يكون لنا فعل **الإيمان** الواحد بمعمودية واحدة، والتمسُّك **بالرجاء** بالوعد وإذكاء **المحبة** القائمة على الأعمال الحسنة، والصلاة والتعليم.

١٠: ١٩ **«فإذ لنا أيها الإخوة ثِقَةٌ بالدخول إلى الأقداس بدمِ يسوعَ».**

«فإذ لنا»:

هنا القصد مُنصبٌّ على أنه ما كان تحت الناموس **امتيازاً لفرد واحد** هو رئيس الكهنة ليدخل إلى الأقداس بجراءة وهو حامل دم ذبائح الكفَّارة، أصبح **حقاً وامتيازاً لنا ــ كل شعب المسيح** المؤمن به والحامل دمه فيه ــ أن ندخل كلنا وبثقة لنتراءى به أمام الآب.

ولقد سبق بولس الرسول أن انتهى إلى نفس إثبات هذا الحق المشروع لنا، بسبب انتمائنا للمسيح كرئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السموات من أجلنا حاملاً جسدنا ليدخل به إلى الأقداس، عن جدارة وأحقية بل ولياقة عظمى:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله فلنتمسَّك بالإقرار ... فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه.» (عب٤: ١٤و١٦)

«أيها الإخوة»: ἀδελφοί

تلميح صريح إلى الوضع الجديد الذي صار إليه كل مَنْ آمن بالمسيح، وكأنما ينادي ضمائرهم أن ينتبهوا إلى عطية المسيح التي جمعت المؤمنين به كإخوة في عائلة وجسد واحد.

«ثقة»: παρρησίαν

تأتي باليونانية بمعنى «جرأة علنية» boldness كما جاءت ترجمتها في عظات ذهبي الفم. ومن أين أتت هذه الجرأة إلاَّ باعتبارنا حاملي دم رئيس الكهنة ذاته، دم الذبيحة ومقدِّمها بآنٍ واحد. أما «دم» ذبيحة الكفَّارة العظمى ففيه لنا غفران كل الخطايا، وحياة من بعد موت، وروح الله الأزلي؛ وأمَّا أن هذا الدم هو عينه دم ابن الله ورئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السموات من أجلنا، فلنا فيه المصالحة الكبرى مع الآب والبنوّة والميراث. فكيف لا تكون لنا جرأة وقدوم بثقة؟

«بالدخول»: εἰς τὴν εἴσοδον

هنا لا يقصد مجرد دخول، بل كيفية الدخول، كونه على حال من الكرامة والترحاب والاعتداد بالدم الذي نحمله. وربما هذه الآية تعبِّر عن هذا المعنى: «لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول εἴσοδον كان لنا إليكم ...» (١تس١: ٩)، وأيضاً: «لأنه هكذا يُقدَّم لكم **بسِعَةٍ دخولٌ** εἴσοδος إلى ملكوت ربنا ومخلِّصنا ...» (٢بط١: ١١). وبولس الرسول يُبطن في هذا التعبير أن ثقتنا أو بالحري جرأتنا بالدخول إلى أقداس السموات لا تأتي من فراغ؛ لأن دخولنا على مستوى دخول رئيس الكهنة ذاته إلى قدس الأقداس. لأنه محال أن يتخطَّى عتبة قدس الأقداس إلاَّ واحد وحيد هو رئيس الكهنة. هكذا وبالتمام فيما يخص أقداس السماء وحضرة الله العلي، فإنه مُحال أن يتخطَّى السموات إلى حضرة الله إلاَّ الابن وحده حاملاً الكفَّارة بدمه، فهكذا إن دخلنا فنحن إنما لا ندخل بمؤهلاتنا ولا حتى بذواتنا خُلواً من الابن يتقدَّمنا ويُقدِّمنا:

+ «الذي به لنا **جراءة وقدوم** بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

+ «ولكن شكراً لله **الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح** كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان.» (٢كو٢: ١٤)

+ «لأنه لاق بذاك، الذي من أجله الكل، وبه الكل، **وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد**، أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب٢: ١٠)

«**بدم يسوع**»: ἐν τῷ αἵματι

وفي الفولجاتا = in sanguine.

دم يسوع، هذا هو المركبة النارية بشبه التي صعد بها إيليا إلى السماء، دم المسيح أخلى الطريق المؤدّي إلى السماء وسماء السموات وما هو أعلى من السموات من كل العوائق التي كانت تحول دون دخول الإنسان إلى حضرة الله. فلا شاروبيم وسيفه المتقلِّب بالنار، ولا جنود الشر الروحية المبثّة في السموات، ولا خزي الإنسان وخجله من ذنوبه وخطاياه، ولا رائحة موت لموت بعد، بل رائحة المسيح الذكية في دمه الذي بروح أزلي يحملنا ويصفِّينا بروح الإحراق (إش٤:٤) والتطهير، كذهب قد تصفَّى بالنار، ولاقَ به أن يتراءى أمام الله. دم المسيح هو حياته. فبحياة المسيح نعبر محارس الموت والهاوية وعلينا ختم الدم، ودم المسيح هو قداسته وبقداسة المسيح نعبر بوابات الدينونة الرهيبة وعلينا ختم الدم ... فندخل ونرى الله:

+ «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير ... مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٤و٥٧)

+ «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني **فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد** انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو٥:٢٤)

+ «**وهم غلبوه بدم الخروف**، وبكلمة شهادتهم.» (رؤ١٢:١١)

+ «فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم **وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف، من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، والجالس على العرش يحلُّ فوقهم.**» (رؤ٧:١٤و١٥)

+ «يسوع المسيح الشاهد الأمين، البِكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذي أحبَّنا **وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه**، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين.» (رؤ١: ٥و٦)

هذا هو دم المسيح الذي يؤهِّلنا ومنذ الآن إلى الدخول إلى الأقداس السماوية، لا كغُرباء ونُزلاء بل كأبناء، كأهل بيت الله، وكملوك مع المسيح وكهنة لله، لا يمنعهم الموت عن البقاء، لا ندخل لكي نخرج كرئيس الكهنة في القديم وقوفاً وعلى عَجَلٍ، بل ندخل لنجلس مع المسيح في السماويات ونبقى وندوم. فحينما دخل العريس ومعه العذارى المستعدات أُغلق الباب، فلا خروج بعد.

دخل كسابق من أجلنا، وعليه دمه، دشَّن به الطريق وفتح الباب، مسح به العتبة والقائمتين

لتقودنا الملائكة دون مانع: «قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ...» (رؤ٣: ٨)، «أنا هو الباب...» (يو١٠: ٩)

٢٠:١٠ **«طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيّاً، بالحجاب أي جسدِه».**

هنا «الطريق» جاءت منصوبة باعتباره أنه هو حال «الدخول»، فيكون تركيب الكلام هكذا: «لنا ثقة بالدخول **دخولاً** حال كونه **طريقاً** ...». فالدخول والطريق ملتحمان في معنى واحد. والمعنى واضح وجميل، فالمسيح **دخل** إلى الأقداس العليا كرئيس كهنة حاملاً جسده المكسور ودمه المسفوك، أو على وجه الأصح، لأن المسيح كان حاملاً **جسده المكسور وعليه دمه**، تعبّد أمامه الطريق إلى الأقداس العليا، وانفتح الباب، فجسده كان ذبيحة الكفّارة التي أهّلته ليعدّ بها الطريق والتي انفتح أمامها الباب:

+ «أنا أمضي **لأُعِدَّ لكم مكاناً**، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، **آتي أيضاً وآخذكم إليّ**، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً. وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق ... أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي.» (يو١٤: ٢ــ٤و٦)

والآن واضح أنه إن كان لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس، فلأننا عرفنا الطريق عن صحة وجدارة، لأننا حاملون جسد المسيح بل ودمه فينا، بل والمسيح نفسه يقودنا إلى حيث هو قائم لنكون معه. فهذه كانت أعزّ طِلْبة طلبها من أبيه (يو١٧: ٢٤).

«الذي كرّسه لنا طريقاً حديثاً»: ἣν ἐνεκαίνισεν ἡμῖν ὁδὸν πρόσφατον

الجملة باليونانية تقدّم التكريس على ذِكر الطريق لذلك يقع التكريس على «الدخول» فيكون التركيب للآيتين معاً (١٩و٢٠): «لنا ثقة بالدخول ... الذي كرّسه لنا طريقاً حديثاً حيّاً».

«الذي كرّسه»: ἣν ἐνεκαίνισεν

الكلمة باليونانية شبيهة بالأصل العبري، فالتكريس بالعبري هو «المَسْحة» وتسمى «حانوكا» أي «يدهن»، وتُستخدم في السبعينية لتكريس المذبح والهيكل. لقد عبّر المسيح الطريق المؤدّي إلى الأقداس بجسده المذبوح ودمه عليه، فحُسب بكل يقين أنه كرّسه أي دشّنه بالجسد وعليه الدم، وأينما وُجد الجسد والدم وُجدت المصالحة والغفران. وبهذا يكون قد صار هو الطريق، وسار هو فيه، وأصبح طريقاً ممسوحاً يحمل السائرين فيه ليضعهم أمام الله حيث المسيح.

وهنا يُلاحظ القارىء أن الدخول إلى الأقداس في السماء تمّ على مرحلتين: المرحلة الأولى

كانت بدخول المسيح بجسده المذبوح ودمه عليه، وهكذا كرَّسه لنا، والمرحلة الثانية أنه هو بنفسه يأتي ويقودنا ويحملنا إلى حيث هو قائم. أمَّا دخوله هو أولاً فيقول بولس الرسول عن ذلك: «دخل كسابق من أجلنا» (عب٦: ٢٠)، «دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عب٩: ١٢). وأمَّا دخولنا نحن فيقول عنه المسيح نفسه في إنجيل يوحنا: «آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو١٤: ٣)

وهنا يتحتَّم أن ننتبه لمعنى الكلام فقوله: «دخل **كسابق من أجلنا**»، هذا يعني أنه كرَّسه لنا ومن أجلنا؛ فدخوله كان لحسابنا. ثم إن كان دخوله الظافر من أجلنا، بجسده المكسور ودمه المسفوك، كذبيحة كفَّارة مرفوعة دخل بها إلى الأقداس كرئيس كهنة حقيقي، فإنه قد أعطانا أيضاً جسده ودمه هذين. فإن كنَّا نحمل الجسد والدم بل ونحمل المسيح فينا، فنحن مؤهَّلون للدخول حتماً، بل نكون قد دخلنا. لذلك تقول الآية: «لنا ثقة بالدخول بدم يسوع دخولاً كرَّسه لنا ... طريقاً **بجسده**»، بمعنى أنه دخول محقَّق مفتوح على الدوام؛ ولهذا يُردف بالآية بعدها ويقول: «**فلنتقدَّم** بقلب صادق ...»، أي أن دخولنا وتقدُّمنا حاضران كل حين، الآن وإلى الأبد، حضور الجسد المكسور والدم المسفوك، على المذبح، وفي قلوبنا، وفي الأقداس العليا على يمين العظمة في السموات. «لأن به لنا كلينا (يهوداً وأُمماً) **قدوماً في روح واحد إلى الآب.**» (أف٢: ١٨)

ليس هذا مجرد حقيقة لاهوتية ولكنه اختبار حيٌّ. فنحن حينما نقف للصلاة من كل قلوبنا وأفكارنا، فنحن نستشعر أننا واقفون في الحضرة الإلهية، ونشعر بفرح قُرْبنا من الآب ورضاه. فالدخول إلى الأقداس العليا هو تعبير منحوت من منظر رئيس الكهنة وهو حامل دم ذبيحته وداخل إلى قدس الأقداس. ولكننا، وبحسب قول الرب للسامرية، قد بلغنا الساعة السعيدة التي نص عليها: «يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ... ولكن تأتي ساعة وهي "الآن" حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يو٤: ٢١و٢٣). فقد انتهت الآن الأقداس الزمنية، والأقداس السماوية حاضرة كل حين للروح الساجدة بالحق: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢). نعم، فها نحن لا نعيش بعد على الأرض بل نحن منجذبون دائماً إليه وسيرتنا هي في السموات. لأننا قمنا مع المسيح، وإلى السماء نحن ناظرون، وحيث المسيح جالس ساجدون.

«كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده»:

«حديثاً»: πρόσφατον

لا يجب أن نتوه عن قوله في الآية السالفة: «لنا ثقة بالدخول»، لأنه يكمِّل الآن: «طريقاً

حديثاً»، فهو هنا منشغل بوصف حال دخولنا.

فالطريق الحديث يقابل في العهد القديم ذلك الدخول وذلك الطريق القديم في خيمة الاجتماع أو الهيكل حيث كان يَعبُر رئيس الكهنة. فهنا طريق آخر تماماً. ولكي يُمعن في التركيز لجذب ذهننا، يعود ويقول إن هذا الطريق حيٌّ ζῶσαν، ويكون بذلك قد حاصر تفكيرنا من كل جانب، فلم يَعُدْ أمامنا إجابة عن ماذا ومَنْ يكون هذا الطريق سوى أنه المسيح نفسه: «أنا هو **الطريق** والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب (قدس الأقداس) إلاَّ بي» (يو١٤: ٦)؛ وفي قول المسيح هنا: «**أنا هو الطريق والحق والحياة**»: فهذا هو «**الطريق الحي**»، أو طريق الحياة، أو حياة الطريق. وفي قوله: «أنا باب الخراف»، يكون هو الطريق والباب بآن، فهو الطريق والدخول بآن. وقوله: «حديثاً»، لا يفي بمعنى الكلمة اليونانية تماماً التي تعني أيضاً أنه جديد (طازج Fresh) ومتجدِّد لا يأتي إلى قِدَم: «فإذ قال جديداً عتَّق **الأول**، وأمَّا ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال» (عب٨: ١٣). أما قوله: «حيًّا» فهو يكاد يقول إن هذا «الطريق» مشخَّص، فهو ذات حية، تحمل مَنْ يريد أن يعبره لتعبر به، فهو ليس طريقاً لقدمٍ بل طريقاً للروح. ويعلِّق ذهبي الفم على كلمة «حيٌّ» بقوله: [لم يقل طريقاً للحياة بل طريقاً حيًّا بمعنى الذي يدوم](٧).

حينما سأل توما الرب عن كيف نعرف الطريق؟ لم يكن يظن أبداً أن الجواب سيكون: «أنا هو الطريق»! توما يسأل عن طريق عَبْر العالم أو عَبْر الفكر، والمسيح يشير إلى نفسه. ولكن المسيح كان قد سبق وأشار إلى ذلك في مواقف كثيرة يتحتَّم علينا أن نسترجعها:

+ «ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو٣: ١٣)

واضح أن المسيح نزل وصعد ليدشِّن الطريق الصاعد إلى الله، نزل ليحمل الإنسان ويصعد به، فعبَّر جسيه أقام الطريق ودشَّنه وضمن الوصول.

+ «وأنا إن ارتفعت ... أجذب إليَّ الجميع.» (يو١٢: ٣٢)

الارتفاع هنا ارتفاعان: الأول على الصليب، والثاني بالقيامة من الأموات. في الأول حملنا بخطايانا، وفي الثاني حملنا بدون خطايانا.

+ «قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو١٤: ٦)

7. Chrysostom, *op. cit.*, p. 454.

هذا أوضح ما قيل عن كيف يقودنا المسيح بنفسه وفي نفسه ليضمن لنا الوصول إلى حضرة الآب بكل يقين!

+ «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني وآمنتم أني **من عند الله خرجت**. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم **وأذهب إلى الآب**.» (يو١٦: ٢٧و٢٨)

هذا هو الخروج لمهمة الخلاص العظمى، وهذا هو الدخول لتكميل المصالحة الأبدية، الطريق إلى الإنسان عَبْر الجسد، والطريق إلى الله بالجسد حاملاً البشرية المفتداة.

«بالحجاب أي جسده»:

كان الحجاب المزدوج المسدول على قدس الأقداس في خيمة الاجتماع يمثِّل عزوف الله عن رؤية الإنسان، بسبب العصيان، كما يمثِّل حرمان الإنسان من رؤية الله بسبب ظلمة الخطية التي غشّت بصيرته وأعمته عن رؤيا النور. ولهذا كان الحجاب مزدوجاً، وكان جسد الإنسان يحمل عقوبة العصيان وظلمة الخطية بآن واحد. فلكي يُرفَع هذا الحجاب لكي يرى الله الإنسان ويرى الإنسان الله، كان يتحتَّم أن يتغيَّر هذا الجسد إلى جسد تُرفع عنه العقوبة وتُباد منه الخطية. هكذا لَبِس المسيح الجسد، وحمل العقوبة فيه ولَبِس الخطية معاً. وعلى الصليب أكمل العقوبة وأباد الخطية بموته، وبموته انشقَّ الحجاب المزدوج أمام قدس الأقداس، انشقَّ من أعلى إلى أسفل إذ تمّت المصالحة من فوق وبلغت إلى منتهى الإنسانية في ذُلّها وفي سحقها، وتطلّع الإنسان ونظر الله «وأمّا هو (إستفانوس) فشخَصَ إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أع٧: ٥٥)، بلا مانع!!

إذاً، لم يَعُدْ جسدنا هو الذي نرى به الله أو ندخل به إليه، بل جسد المسيح الذي أعطانا ودمه وروحه اللذين سقانا. ولكي نحيا معه لابد أن نتغيَّر: «الذي **سيغيِّر شكل جسد تواضعنا** ليكون على **صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢١). فلكي نرى الآب كما يراه الابن، لابد أن نصير مثل الابن في إدراكه ورؤياه: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦)، «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظْهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢)، «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٧)

وأخيراً لا ينبغي أن ننسى أن هذا الدخول موصوف في بداية الآية أنه عن **«ثقة»**: «لنا ثقة بالدخول»، وهذه الثقة مستمدّة من الدم والجسد اللذين نحملهما!!

٢١:١٠ **«وكاهنٌ عظيمٌ على بَيْتِ الله».**

وإضافةً إلى الثقة التي لنا بالدم والجسد اللذين نحملهما، فلنا في الأقداس السماوية نفسها مَنْ يمثّلنا تمثيلاً فعالاً ورسمياً، كمحامٍ عنّا وشفيع أمام الحضرة الإلهية، يحمل جنسنا، وقد تقلّد ثوب الكهنوت ووظيفته وفي يده دم ذبيحته لا يجفّ.

«وكاهنٌ عظيمٌ»: καὶ ἱερέα μέγαν

هنا صفة العظمة تفصل وظيفة المسيح عن مفهوم الكهنوت بدرجاته ورئاساته، وهي صفة تقلّدها من واقع ارتفاع وعظم ذبيحته عن كل مفهوم للذبائح كان ويكون. فهو كاهن يحمل أقدس ذبيحة لها عُلو السماء في قداستها وعُمق بر الله في طُهْرها، وقدرة الله في فعلها.

«على بيت الله»:

وبيته نحن (عب٣:٦)، أي البشرية المفتداة على الأرض وفي السماء بكل حرّاسها وخدّامها الملائكيين المقدّسين، الذين لهم حضور أمام الله حتى إلى المذبح الناطق السمائي. فأرواح الشهداء هم فيه أعمدة وقواعد، يتكلّمون ويُسمع لهم، والقديسون على الأرض كنيسة هم فيها مُمَد يشهدون للحق ويكرزون، ويُكمّلون الخدمة، مبنين على أساس الرسل والأنبياء والمسيح فيها حجر الزاوية.

وبيت الله، الكنيسة الحيّة والجسد المتحد والمتآزر الأعضاء، التي تتشكّل كل يوم وتنمو وتعلو لتأخذ كمال بهائها كمدينة «العالم العتيد» (٢:٥)، بل «مدينة الله الحي، أورشليم السماوية» (١٢:٢٢)، «ذات الأساسات» (١١:١٠)، يحرسها ربوات هم محفل ملائكة وخوارس وأرواح أبرار كلهم مكمّلون في المجد. كعروس الخروف يوم تجلّيه، كزينة السماء الجديدة والأرض الجديدة، كفرحة الله في سبته الأبدي، وكمال مسرتّه في خِلْقة يديه، يوم يتطلّع إليها الله فيرى صورته فيرتاح فيها وترتاح هي براحته، يورّثها ميراثه مع الابن برضا مسرته، فتنعم البشرية بأبوّة الله إلى ما شاء الله.

+ أما الآن: «فليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب١٣:١٤)

٢٢:١٠ **«لنتقدّم بقلبٍ صادقٍ في يقينِ الإيمانِ، مرشوشةً قلوبُنا من ضميرٍ شريرٍ، ومغتسلةً أجسادُنا بماءٍ نقيٍّ».**

هنا، وتعقيباً على ما تقدّم في الآيات ١٩و٢٠و٢١ التي يحثنا فيها بولس الرسول على الثقة بالدم والجسد والاعتماد على المسيح كرئيس الكهنة العظيم القائم على بيت الله، يعطي ثلاث آيات

مثاليات مؤسَّسة على **الإيمان**، **والرجاء**، **والمحبة** ومعها **الأعمال الحسنة**:

في الأولى: يهيب بنا أن نتقدَّم في **«يقين الإيمان»**،

في الثانية: أن نتمسَّك **«بإقرار الرجاء راسخاً»**،

في الثالثة: يدعونا **لملاحظة بعضنا بعضاً «في المحبة»** ويحرِّضنا على **العمل الحسن**.

وواضح جداً أنه يعبِّىء كل الطاقات المسيحية لكي نستخدمها في التقدُّم إلى الله كل حين ونستعمل كل حقوقنا التي نلناها في المسيح، ليكون لنا دخول إلى الله لنتراءى أمامه.

الآية الأولى: من جهة يقين الإيمان: (١٠:٢٢).

«لنتقدَّم بقلب صادق»: προσερχώμεθα μετὰ ἀληθινῆς καρδίας

يبدأ من هذه الآية يعبِّىء الطاقات المسيحية التي وهبها لنا المسيح، **فأولاً**: يبدأ بالقلب وهو مركز الشعور والعواطف والأحاسيس، ويحدِّد له صفة الصدق. والصدق أُعطي له باليونانية معنى «الحق»، ويُقصد به أن يكون القلب منحازاً كلياً إلى الحق أي إلى الله. وهنا يُحسب القلب صادقاً True بمعنى أن يمارس خصائصه النبيلة التي جبله الله عليها، أي مُخلصاً مع نفسه تجاه الله الذي خلقه. والمعنى النهائي أن يكون متعبداً خاضعاً مطيعاً لله وحده وليس أي شيء بجوار الله. والتحذير هنا من الانقسام. وتعبِّر عنها التسبحة اليومية في قولها: "نتبعك من كل قلوبنا".

> والإنسان وحده هو الذي يعرف ويحكم على نفسه إن كان قلبه مع الله كليًّا أم لا.
> وقد أحسن القديس بولس في وضعه القلب الصادق على أول قائمة المؤهِّلات المسيحية.

«في يقين الإيمان»: ἐν πληροφορίᾳ πίστεως

هنا الترجمة العربية تصرَّفت لتعطي معنىً عمومياً لأصل الكلمة اليونانية التي تنص على معنى «الملء» fullness. وتأتي باللاتينية الفولجاتا in plenitudine، وباللاتيني القديم confirmatione. والمعنى الذي نخرج به من هذه التعبيرات هو أن يكون الإيمان قد بلغ **منتهى قوته!** أو أقصى ملئه. وتكون علامته **التسليم الكلي والاعتماد الكامل** على الله القادر والمستعد أن يُعين.

وليلاحظ القارىء الذي يشتاق لاختبار عمل الله، أن الإيمان حينما يبلغ فعلاً إلى أقصاه ويكون الإنسان قد ألقى بالحق والصدق كل رجائه، وبكل قوته، على الله دون ارتياب أو اهتزاز، مهما كان الأمر صعباً ومستحيلاً لدى الناس، ودون أن يتراجع الإيمان ولو إلى لحظة، فإنه تحدث

المعجزة وتتم الاستجابة!

وهذا لا يأتي من فراغ، ولا يأتي عفوياً، بل يلزم أن تسنده سيرة سابقة في التقوى ومخافة الله وطاعته ومحبته.

«مرشوشةً قلوبنا من ضمير شرير»:

في طقوس التطهير في العهد القديم كان يُرشُّ على المنجَّسين برشاش دم الذبيحة فيطهرون:

+ «وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال هذا هو دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.» (خر٢٤:٨)
+ «لأن موسى بعد أن كلّم الشعب بكل وصية حسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب.» (عب٩:١٩)
+ «ويأمر الكاهن أن يُذبح العصفور ... والزوفا يغمسها ... في دم العصفور المذبوح ... وينضح على المتطهِّر سبع مرات فيُطهِّره، فيغسل المتطهِّر ثيابه ... ويستحم بماء فيطهر.» (لا١٤: ٤—٨)

وهكذا كان التعامل مع الإنسان بدم الحيوانات من خارجه سواء على جسده أو ملابسه، أمَّا العهد الجديد فرشاش دم ذبيحة المسيح يتعامل مع القلوب والضمائر، حيث كلمة «**مرشوشةً قلوبكم**» هي اصطلاح مستعار من الرش بالدم قديماً، لأن فعل دم المسيح على قلب الإنسان هو عمل سري غير منظور ولا محسوس. فالروح الأزلي الذي في دم المسيح المنسكب على الصليب يمتد عبر الأزمنة وعبر الأجيال ليقدّس ويطهِّر القلوب بالإيمان؛ لأن الإيمان بالمسيح هو الإيمان بالدم المنسكب من ذبيحته الفدائية على الصليب.

«من ضمير شرير»:

هنا يتضح لنا كيف ينعكس العمل الشرير على ضمير الإنسان فيصبغه بذات الفعل. على أن العمل الشرير هو أصلاً متسرب من ضمير سبق وتصوَّره بل سبق ونفَّذه بالنية. فضمير الإنسان يصوِّر الشر وينفِّذه بالنية، ثم إذا تم بالفعل يعود وينعكس على ذات الضمير فيصبغه ويعطيه سمة الشر لا تفارقه، كالصبغة التي لا تفارق الثوب. ولكن شكراً لله الذي أعطانا بدم ابنه على الصليب هذه القوة الخارقة التي تتغلغل أعماق الضمير وتطهِّره، بل وتقدّسه وتضيئه. فلا يعود خادماً للخطية والشر، بل يخدم الله بالروح والحق: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه بلا

عيب **يطهِّر ضمائركم** من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٣و١٤)

«ومغتسلةً أجسادنا بماء نقي»:

ليس المقصود هنا مجرد غسيل جسد، لأن الجسد في العرف المسيحي ليس هو الجسم بل هو تعبير عن الإنسان في حالة الخطية: «... نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح، لأن اهتمام الجسد هو موتٌ ولكن اهتمام الروح هو حياةٌ وسلامٌ، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ... وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم» (رو٨: ٤—٩). لذلك فالاغتسال هنا هو الاصطلاح المستخدم في بكور المسيحية ليعبِّر عن المعمودية، حيث إذا اغتسل الجسد في المعمودية صار الإنسان ليس في الجسد يعيش بعد بل في الروح: «الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن أي المعمودية **لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح** عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١بط٣: ٢١). كذلك فالاغتسال بالماء كان معروفاً أنه فِعْل من أفعال الصلاة بالكلمة لتقديس الماء: «لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها **بغسل الماء بالكلمة** لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ...» (أف٥: ٢٦)

كذلك فغسل المعمودية هو بعينه الميلاد الثاني والتجديد بالروح: «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا **بغسل الميلاد الثاني** وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنًى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا.» (تي٣: ٥و٦)

ويُلاحظ القارىء أن بطرس الرسول لما فهم الغسل أنه مجرد غسل الماء وطلب غسل يديه ورأسه، انتهره المسيح، لأن قوة الغسل ترقى إلى التقديس: «قال له يسوع الذي اغتسل (اعتمد) ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه (تقديسها للكرازة) بل هو طاهر كله.» (يو١٣: ١٠)

وعلى العموم يمكن أن نستشف من قول بولس الرسول في هذه الآية عن رش الدم على القلب وغسل الجسد بماء نقي إشارة واضحة لسرَّي الإفخارستيا والمعمودية بالدرجة الأولى، حيث يتنبَّه ذهننا أن بهذين السرين اللذين يتم عملهما بأعمال ظاهرة، يتغلغل فعلاهما في القلب والضمير لتقديس الجسد والروح في الأعماق، وبقوة السر الإلهي فيهما ننال حتماً قدوماً إلى الله في يقين الإيمان. إنها دعوة مُجدِّدة لنا ينبغي ألاَّ نفوتها!!

الآية الثانية من جهة رسوخ الرجاء:

٢٣:١٠ **«لنتمسَّك بإقرارِ الرجاءِ راسِخاً لأن الذي وَعَدَ هو أمينٌ».**

واضح أن آخر ما نصَّت عليه الآية السابقة هو الالتصاق بالإيمان الذي توثَّق واختُتم بالمعمودية. ومعروف أن المعمَّد لابد أن يعطي بعد المعمودية إقراره أن يظل أميناً على ما اؤتمن عليه. وهكذا جاءت هذه الآية تعقيباً مباشراً على المعمودية لترسيخ الرجاء!

«لنتمسَّك بإقرار»: κατέχωμεν τὴν ὁμολογίαν

«لنتمسَّك» وتعني الكلمة اليونانية أن **«نمسك بشدة»**. أما كلمة «الإقرار» في اليونانية فواضح أنها تعني **«الاعتراف»**، وهو الاعتراف الإيماني الذي يُملى على المعمَّد فينطقه كلمة كلمة وراء الأسقف الذي كان منوطاً به التعميد.

وكلمة **«نتمسَّك»** ذات مدلول هام في الرسالة إلى العبرانيين، فقد جعلها بولس الرسول الشرط الأساسي لكي نُحسب من أهل بيت الله أو أعضاء حية في جسد المسيح أي كنيسته: «وبيته نحن إن **تمسَّكنا** بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (عب٣:٦). كذلك **جعلها** شرطاً أساسياً لضمان حياة الشركة مع المسيح: «لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن **تمسَّكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية**.» (عب٣:١٤)

أما كلمة **«الإقرار»** التي يستخدمها المترجم بدل «الاعتراف»، فقد سبق **وأوردها** في الترجمة العربية بمعنى الاعتراف: «من ثَمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول **"اعترافنا"** ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب٣:١)، ولكنه عاد واستخدمها بمعنى الإقرار في الآية: «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله **فلنتمسَّك بالإقرار**» (عب٤:١٤). وهكذا نجد أن فكر المترجم مربوط بمفهوم الإقرار الذي يعترف به المعمَّد، وهذا جيِّد.

«إقرار (اعتراف) الرجاء»: ὁμολογίαν τῆς ἐλπίδος

هذا الاصطلاح هام في الحقيقة فهو تعبير جيد عن مضمون الإيمان بالمسيح! لكي يعطيه انفتاحاً على المستقبل فهو إيمان في الحاضر يتكمَّل حتماً في المستقبل. فلابد أن يشمل الإيمان بالمسيح إيماناً بما سيتم، وهذا هو إقرار الرجاء: «**نؤمن** ... **وننتظر** قيامة الأموات». لذلك فإقرار الرجاء يعطي الإيمان بالمسيح انفتاحاً غير محدود يكمِّل فيه المسيح عمله معنا. فالرجاء في الحقيقة هو تعظيم الإيمان

بالمسيح والتسامي به، والثقة المطلقة بعمله، لتحقيق كل وعود الله الذي وعد.

والرسالة إلى العبرانيين تتخصَّص في الرجاء بالمسيح بالدرجة الأُولى. فهي رسالة رجاء للذين أصبحوا بلا رجاء:

+ «وبيته نحن إن تمسَّكنا "**بثقة الرجاء**" وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب٣:٦)
+ «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ خدمتم القديسين وتخدمونهم، ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه "**ليقين الرجاء**" إلى النهاية.» (عب٦: ١٠و١١)
+ «حتى بأمرين عديمي التغيُّر لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا "**لنمسك بالرجاء**" الموضوع أمامنا.» (عب٦: ١٨)
+ «إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً ولكن يصير إدخال "**رجاء أفضل**" به نقترب إلى الله.» (عب٧: ١٩)

وفي كل مرة يذكر الرجاء، يربطه ربطاً بوضع من الأوضاع التي تنازل الله فيها ليهبنا شركة مع ابنه، سواء في بيته الذي هو جسده، أو في محبة قديسيه تكريماً لاسمه الكريم، أو شركة في تحقيق وعده الذي وعد، أو فرصة مواتية للاقتراب إليه شخصياً. وهكذا أصبح الرجاء مربوطاً دائماً في هذه الرسالة بشركة حيَّة مع الله سوف تتجلَّى يوماً لتستعلن عظمة هذا الرجاء استعلاناً!

كما يقول القديس يوحنا الرسول: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو، **وكل مَنْ عنده هذا الرجاء** به يطهِّر نفسه كما هو طاهر.» (١يو٣: ٢و٣)

وبطرس الرسول يضيف أن الرجاء بالمسيح وفي قيامته هو منتهى أمل ولادتنا الثانية وأن له مدَّخر الميراث السماوي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا ثانية "لرجاء حي"** بقيامة يسوع المسيح من الأموات، **لميراث** لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم.» (١بط١: ٣و٤)

كما جعل الرجاء بالمسيح مع الإيمان به هو نفسه رجاءً في الله الآب وإيماناً به الذي أقامه من الأموات، وكأن الرجاء مع الإيمان استطاع أن يستعلن لنا ويبرهن أن الآب في الابن والابن في الآب. وهذا ما نختبره عملياً في الصلاة: «أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله.» (١بط١: ٢١)

وبولس الرسول يحصر الرجاء الذي جعله الله في المسيح: «الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو**المسيح فيكم رجاء المجد**» (كو١: ٢٧). بهذا نفهم نحن المؤمنين أن بمقدار ما يُستعلن المسيح في حياتنا بقدر ما يصير رجاؤنا حيًّا ملتهباً.

«راسخاً»: ἀκλινῆ

وفي اللاتيني الفولجاتا = indeclinabilem.

واضح من التعبير اليوناني واللاتيني المعنى أنه لا يميل ولا يهتز. وهذا التصوير بديع حقاً لأن رجاءً لا يميل ولا يهتز حتماً ينطلق بقوة ليبلغ القصد. والعجيب أن يذكر بولس الرسول سر هذا الرسوخ الشامخ الذي لا يميل ولا يهتز، كونه يختص بوعد الله ثم يصف الله عندما يعد أنه يكون أميناً فيما يَعِدُ به. يا له من تعبير يُذيب القلوب. فأمانة وعد الله تتحدى ثقتنا لتقوِّم إيماننا وتُلهب رجاءنا:

+ «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١كو١: ٩)
+ «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً.» (١تس٥: ٢٤)

الآية الثالثة من جهة التحريض على المحبة والعمل الصالح:

١٠: ٢٤ «ولْنُلاحِظ بعضُنا بعضاً للتحريضِ على المحبةِ والأعمالِ الحسنةِ».

تاج ثالوث الفضائل المسيحية: «الإيمان والرجاء والمحبة وأعظمهن المحبة» (راجع ١كو١٣: ١٣). أما الإيمان وأما الرجاء فهما رداءا النفس خاصة، التي تطير بهما وتُحلّق في سماء الله حاملة دم المسيح والجسد في جراءة للدخول إلى الأقداس، ولكن المحبة لا تطيق أن يدخل الإنسان بمفرده، فهي تجذب وتنجذب نحو الآخر وبتعطّل الإنسان حتى يضمن دخول الآخرين. صحيح أن الإيمان ثوب خاص للنفس لا يشاركها فيه آخر، أمّا الرجاء فهو أكثر خصوصية، ولكن الحب بمفهومه المسيحي الإلهي فهو على قياس الكل ولا يوجد له مقاسات خصوصية، فإذا دخل اثنان فيه يجدان المسيح بينهما ثالثاً، وإذا وُجد المسيح وُجد الكل.

«ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة»: καὶ κατανοῶμεν ἀλλήλους

الأخلاق المسيحية ــ كما سبق وقلنا في أمر ثوب المحبة الجماعي الذي تتحلّى به الجماعة أمام الله ــ لا تكتفي إطلاقاً بخلاص الفرد، لأنه بالأساس نجد الخطية ليست فقط فردية، بل تمتد فتسري من الفرد للجماعة لتفتتها كما حدث في آدم وحواء، وما آل إليه الجنس البشري من

التفتُّت بعد أن كان في صورة الكمال الآدمية الأولى على صورة الله. لذلك جاء المسيح متجهاً اتجاهاً مباشراً وأساسياً ليجمع المتفرقين إلى واحد (يو١١: ٥٢)، ويربأ صدع التفتُّت فيوحِّد البشرية المتمزقة ويعيد الصورة إلى جمال وكمال وحدانيتها في الله. فإن كانت الخطية هي أساس التفتُّت والتمزُّق، فالرب جاء ورفعها ليؤهل الإنسان إلى الاتحاد مرة أخرى، ومن الاتحاد معاً إلى الوحدة فيه!!

فالكنيسة تمثِّل وحدة البشرية في الرأس أي المسيح. الكنيسة «جسد **واحد**» وهو وإن كان متعدد الأعضاء فالأعضاء إيجابية متجهة جميعاً إلى الفكر والعمل الواحد في المسيح. ولقد تمادى بولس الرسول في وصف هذه الوحدة العضوية بتدقيق (رو١٢: ٤و٥، ١كو١٢ كله). وانتهى إلى القول: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله **إلى إنسان كامل**، إلى قياس قامة ملء المسيح ... **صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس** المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل قياس كل جزء **يُحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة**.» (أف٤: ١٢—١٦)

وهكذا وبالنهاية تقف البشرية المفتداة أمام الله وهي متحدة بالمسيح في المحبة كجسد واحد، كإنسان واحد له ملء قامة المسيح! إذاً، فهدف المسيح الأول والأعظم هو وحدة البشرية معاً بالمحبة وفيه بالحب:

+ «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)
+ «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن.» (يو١٧: ١١)
+ «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، **ليكون الجميع واحداً**، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، **ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا** ليؤمن العالم أنك أرسلتني.» (يو١٧: ٢٠)
+ «وأنا أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.» (يو١٧: ٢٢)
+ «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد ...» (يو١٧: ٢٣)

إذاً، فقول الرسالة هنا: «فلنلاحظ بعضنا بعضاً على المحبة» هو في صميم المنهج المحدَّد لإمكانية الدخول إلى الأقداس بدم يسوع والجسد، بل هو في قمة منهج المسيح نفسه الذي أسَّسه على الدم والجسد!! بل ولا يستطيع أحد أن ينال الدم والجسد ويبقى وحده؛ لأن في الدم والجسد بذرة

الوحدة، وحدة البشرية معاً، وفي المسيح.

«للتحريض على المحبة»: εἰς παροξυσμὸν ἀγάπης

هنا كلمة «التحريض» كما جاءت باليونانية تحمل معنى العنف والمنازعة والاحتداد معاً. هكذا جاءت هذه الكلمة بهذا المعنى معاً في المواضيع التي ذكرت فيها:

+ «فحصل بينهما **مشاجرة** παροξυσμός حتى فارق أحدهما الآخر» (أع١٥: ٣٩)، في شأن نزاع بولس الرسول مع برنابا من أجل مرقس.
+ «المحبة **لا تحتد** παροξύνεται ...» (١كو١٣: ٥)
+ «وبينما بولس ينتظرهما في أثينا **احتدت** παρωξύνετο روحه فيه.» (أع١٧: ١٦)

بهذا نفهم قصد بولس الرسول من قوله بالتحريض على المحبة. وفي الواقع نحن نستخدم دائماً هذه الكلمة **«التحريض»** في لغتنا العربية ــ وحتى كل اللغات الأجنبية فهي في الإنجليزية provoke ــ للتعبير عن الإثارة وخاصة نحو الشغب، فالتحريض على الإضراب، والتحريض على القتل، والتحريض على المقاومة. ومن هنا يزداد المعنى شدة وجدّية وخطورة إذا استخدمناها في معنى التحريض على المحبة!! وكأن القديس بولس يريد أن يقول لهؤلاء الجماعة: عوض أن تحرِّضوا بعضكم بعضاً على ترك الإيمان المسيحي والارتداد لليهودية، حرِّضوا بعضكم بعضاً على المحبة والأعمال الحسنة لتثبتوا في المسيح وفي شدة قوته ومحبته. فاختيار هذه الكلمة هو في غاية المناسبة مع أخلاق هؤلاء القوم.

«والأعمال الحسنة»: καὶ καλῶν ἔργων

«الحسنة» هذا الاصطلاح يبدو غريباً نوعاً ما، لأن ما اعتدنا عليه هو القول بالأعمال الصالحة ἀγαθῶν ἔργων (مثلاً في أع٩: ٣٦، ١تي٢: ١٠، ٥: ١٠) والفرق بينهما كبير. فالعمل الصالح صفة تتصل وتتجه مباشرة نحو جوهر العمل أو الفعل حيث منبعه أو أصله، الذي هو طبعاً الله، وهكذا يُحتسب العمل صالحاً حقاً واتجاهاً. أما العمل الحسن καλὸν ἔργον فالفكر يتجه نحو تأثيره في نظر الآخرين وكيف يسترعي إعجاب ونُبل الناس. وواضح إذاً من اختيار بولس الرسول لهذه الصفة هو تغاضيه عن جوهر الفعل تماشياً مع مستوى مَنْ يحتاجون إلى رضاعة اللبن لا إلى طعام البالغين. فهو **يُحسِّن** لهم العمل ليليق في نظرهم ويستحق الجهد. وهل الصلاح بمعناه السابق يكون مفهوماً لدى مَنْ يضمرون ترك الإيمان؟ وهل يمكن أن تتفق كلمة **«التحريض»** مع عمل **الصلاح**؟ فالصلاح ينبع تلقائياً من أعماق تقوى القلب للعمل دون أي توجيه!!

وأنت إذا عدت إلى وصف الأعمال بأنها «حسنة» في كل مواضع الإنجيل والرسائل، تجدها دائماً في الموضع الأول اعتباراً عن الأعمال الصالحة التي تمتُّ إلى الله.

٢٥:١٠ «غير تارِكين اجتماعَنا كما لقوم عادةٌ، بل واعِظِين بعضُنا بعضاً، وبالأكثر على قَدْرِ ما ترونَ اليومَ يقرُبُ».

«غير تاركين»: μὴ ἐγκαταλείποντες

هذه الكلمة في مفهومها اليوناني لا تعني فقط «الترك» للاجتماع بمعنى عدم الاشتراك في الاجتماع، ولكن أعمق من ذلك بكثير إذ تعني تحاشي الاجتماع وإهماله عن عمد، وبذلك يتعرَّض الاجتماع إلى التبديد والانقسام. وإليك المعنى بصورة صارخة: «ديماس قد تركني με ἐγκατέλιπεν إذ أحب العالم الحاضر ...» (٢تي٤: ١٠)، «مُضطهَدين لكن غير متروكين οὐκ ἐγκαταλειπόμενοι » (٢كو٤: ٩). وأخطر وأصعب معنى للترك ما نطق به المسيح: «إلهي إلهي لماذا تركتني ἱνατί με ἐγκατέλιπες .» (مت٢٧: ٤٦)

وهنا لنا وقفة معك أيها القارىء العزيز؛ لنسترجع معاً عظمة وقوة التعبير في الكلمات اليونانية التي تموت على شفاه المترجم إلى اللغة العربية. فهنا بولس الرسول يختار للترك كلمة باليونانية تحمل معنى النيَّة المبيَّتة لتحطيم الاجتماع وتفشيل عمل الجماعة للصلاة. فهي تحمل معنى التحدي للاجتماع.

«اجتماعنا»: τὴν ἐπισυναγωγὴν ἑαυτῶν .(٨)

هنا كلمة «الاجتماع» في المعنى اليوناني أعمق بكثير من مفهوم اللمَّة والتقابل؛ حيث حرف ἐπί يكوِّن في المفهوم اليوناني معنى نشوء مركز أو محور نتمحور ونتمركز حوله الجماعة فيصير اجتماعاً قائماً على شيء، وهو بكل تأكيد المسيح نفسه! فهو أكَّد ذلك:

+ «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠)
+ «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي συνηγμένοι εἰς τὸ ἐμὸν ὄνομα فهناك أكون في وسطهم.» (مت١٨: ٢٠)
+ «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه ἐπισυναγωγῆς ἐπ' αὐτόν .» (٢تس٢: ١)

8. Westcott, *op. cit.*, p. 325.

وهنا أيضاً تظهر الحروف التي تُضمُّ إلى الكلمة اليونانية، فتعطيها معاني عميقة وروحانية تُبهر العقل، ولكنها للأسف تسقط في الترجمة العربية فتظهر الكلمة هزيلة فاقدة هدفها.

«اجتماعنا»: ἑαυτῶν

ضمير المتكلّم للجمع هنا «نا»، الذي يأتي في اليونانية = ἑαυτῶν هو أصلاً ضميران: ἡμῶν + αὐτῶν ، ويشير إلى خصوصية الاجتماع الذي يجتمع فيه المسيحيون. فكلمة «اجتماعنا» حينما يقولها بولس الرسول فهو يقصد: «نحن المسيحيين».

«كما لقوم عادة»:

هنا يشير إلى اجتماعات اليهود التي يحضرها اليهود بنوع من الخوف من المؤاخذة من المسئولين فيحضرون لمجرد التلاوات داخل المجمع، ويخرجون كما دخلوا، حتى أصبح الذهاب إلى الاجتماع بمجرد اعتياد تحت مؤثّر سالبي، وليس كاجتماع المسيحيين تحت مؤثّر جاذب إيجابي وهو روح المسيح. فالاجتماع المسيحي كما سبق وأشارت إليه الكلمة يتمركز حول محور جاذب وكل من استجاب له عن طواعية ورضا، نال الملء.

«بل واعظين بعضنا بعضاً»: παρακαλοῦντες

وفي الفولجاتا = Consolantes.

هنا الوعظ يأتي في اليونانية بمفهوم العزاء والتشجيع، والمقصود منه أن المتقدّمين في النعمة يصيرون سبباً لتعزية الضعاف والمتخلفين أو الخائفين فيتشجّعون ويُثابرون ويخلصون.

«وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب»:

هنا نشعر تماماً أن بولس الرسول يتكلّم بإحساس النبوّة أو على أقل تقدير بإحساس قرب الكارثة، التي ربما كانت بوادرها قد بدأت وهي الحرب السبعينية التي دخلت فيها الأمة اليهودية ضد الرومان، والتي سبق وأخبر الرب يسوع بكل دقائقها والتي جزم بميعادها بالقول إنه لن يمضي هذا الجيل (٢٥ــ٥٠ سنة) حتى يكون الكل. وقد اندحرت فيها الأمة اليهودية أمام بطش القائد الروماني تيطس، الذي ذبح وأمات وأحرق مئات الألوف، وأحرق الهيكل حتى سُوِّيت أبنيته مع أساساته بالأرض ولم يَبْقَ فيه حجر على حجر لم يُنقض، وهُدمت أسوار أورشليم على مَنْ فيها وتمّت اللعنة في ميعادها، وهُجِّرت الأمة اليهودية من أرضها ووطنها وأُخليت الأرض!!

ويلاحظ قول بولس الرسول: «على قدر ما ترون»، مما يشير أن العلامات أصبحت واضحة وأن الكل بدأ يحس ويحسب الأيام ويتوقّع الكارثة. وقد اختلطت الأمور في تقديرات كافة الرسل بين

نهاية الأمة اليهودية ونهاية العالم ومجيء الرب.

والقديس بولس في تحذيره هنا، بل وفي كل رسالته هذه، إنما يكتب بإحساس خارق بوعي هؤلاء العبرانيين من أن رجعتهم إلى اليهودية إنما ينتظرهم فيها لعنة الخراب ومعاناة أشنع ويلات الحروب طرًّا!!

+ «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش **فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها ... هذه أيام انتقام** ليتم كل ما هو مكتوب، وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على **الأرض**، وسخط على **هذا الشعب**. ويقعون بفم السيف ويُسْبَون إلى جميع الأمم.» (لو٢١: ٢٠ــ٢٤)
+ «لأنه حينئذ يكون ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون.» (مت٢٤: ٢١)

ومن هذه الإنذارات الواضحة والصريحة التي قالها الرب وحدد بها العلامات والأيام، ومما حدث بالفعل في هذه الحرب التي كانت في الحقيقة حرب إبادة، كما يحكيها مؤرخو اليهود أنفسهم؛ نعلم ونقدِّر قيمة هذه الرسالة إلى العبرانيين ومدى مناسبتها وما سبَّبته آنئذ من إنقاذ أولئك العبرانيين الذين سندتهم في محنتهم وحالت دون رجعتهم للهلاك الذي كان ينتظرهم.

النقلة الثانية: تحذيرات من السقوط والهلاك: (١٠: ٢٦ــ٣١).

بعد أن أوضح بولس الرسول الامتيازات التي يفوز بها المؤمن المسيحي من جراء إيمانه ورجائه وحبه، وبعد أن أوصلهم إلى الثقة التي تؤهلهم للدخول إلى الأقداس السماوية وأحاطهم بوصاياه الإيجابية ليكونوا على مستوى هذه الدعوة العليا؛ كان من الطبيعي أن يحذِّرهم من السقوط وركوبهم الخطأ الذي لن يكون له غفران. فإن كان التعدِّي على الناموس قد استوجب القتل بلا رحمة، فماذا يُنتظر من التحدِّي للمسيح؟ برفض ذبيحة الفداء؟ هل تسندهم ذبيحة الماعز؟

١٠: ٢٦ **«فإنه إنْ أخطأنا باختيارنا بَعْدَ ما أخذنا معرفةَ الحقِّ، لا تبقى بعدُ ذبيحةٌ عن الخطايا».**

حين أنهى بولس الرسول آياته السابقة بتركيزه على «اقتراب اليوم»، كان في الحقيقة يمهِّد لتحذيراته هنا، لأن اقتراب اليوم يحمل نهاية الزمن الافتراضي للإيمان وحتى للتوبة!!! ثم

وبالأكثر بمجيء هذا اليوم ستجيء معه الدينونة حتماً. إذاً، فالأمر أصبح ليس خطيراً فقط بالنسبة لخلاصهم بل وخطر الهلاك من كل الوجوه ينتظرهم.

فالآن نفترض أنهم أخطأوا الخطية التي بيَّنوا الضمير عليها وهي الارتداد عن المسيح فماذا سيبقى لهم بعد استعلان الدينونة؟ لا ذبيحة ولا توبة ولا معمودية.

«فإنه إن أخطأنا باختيارنا»:

في اليونانية = Ἑκουσίως γὰρ ἁμαρτανόντων

وفي الفولجاتا = voluntaric peccantibus nobis.

«باختيارنا»: وتأتي في اليونانية في بداية الآية توكيداً لخطورة المسئولية الشخصية. والكلمة باليونانية واللاتينية تعني «بمنتهى حرية الإرادة»، بل تنفيذاً لما أضمره **الفكر والضمير والمعرفة معاً**. ومعناها يظهر أكثر لو قارنّاها بآية قالها بطرس الرسول: «ارعوا رعيَّة الله التي بينكم نُظَّاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ἑκουσίως» (١بط٥: ٢). وبذلك يكون بولس الرسول قد عرَّاهم من كل حجَّة أو تأثير خارجي أو ظروف محيطة أو إغراء واقع عليهم. فهنا إرادتهم وحرية فكرهم وضميرهم هي المسئولة مسئولية مباشرة عمَّا أضمروا تنفيذه من جهة ما أسماه «أخطأنا» وهي في الحقيقة خطية الموت.

ولكن إذا تجاوزنا المعنى الحرفي للكلمة ودخلنا في ما يُشغل ذهن بولس الرسول من جهة كلمة **«اختيارنا»**، نجد أنه يضعها في المقابل المباشر لخطايا السهو في العهد القديم. فمعروف أن الذبائح جميعها والغفرانات والتكفيرات إنما تخص نوعاً واحداً من الخطايا فقط لا غير وهو **خطايا السهو**. فمقصد بولس الرسول الخطير هو أن يوعِّي هؤلاء اليهود المتنصِّرين المترددين أنهم إذا أخطأوا خطية ليست عن سهو بل عن عمد، أي بالاختيار الحر والإرادة المُدركة والنية المبيَّتة، فبحسب قانونهم اليهودي القديم لا توجد لهم ذبيحة يكفِّرون بها قط. وقد شرح مقصده هذا الواضح جداً بأن ذكَّرهم أن مخالفة ناموس موسى، **أي الخطية عن عمد**، كان عقابها الموت المحتَّم وبدون رأفة. وعلى التوازي يكون حتماً من أخطأ متعمِّداً تجاه المسيح باختياره إنما يكون عقابه أشر من الموت الجسدي بدون رأفة، إذ هو قبول دينونة مخيف! أي هلاك بنار تأكل المضادين!

«أخطأنا»:

في المفهوم اللاهوتي المسيحي بحسب القديس يوحنا أن من يُخطىء هو إنسان غير ثابت في المسيح: «**كل مَنْ يثبت فيه لا يُخطىء**. كل مَنْ يُخطىء لم يُبصره ولا عرفه» (١يو٣: ٦).

فإذا قارنَّا هذه الآية بالآية الأخرى التالية هكذا: «دم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كل خطية، إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم، إن قلنا إننا لم نخطىء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا.» (١يو١: ٧—١٠)

بالمقارنة نجد أن:

١ — «الخطية» تكشف وتمثِّل عدم ثبوت في المسيح.

٢ — أننا معرَّضون جميعاً للخطية، وكل مرة نُخطىء، نكشف عن عدم ثبوتنا في المسيح.

٣ — إذا اعترفنا بخطيتنا نكون قد اعترفنا بعدم ثبوتنا في المسيح ضمناً، وهذا بحد ذاته بمثابة طلب مُلِح للعودة إلى المسيح وعودة إلى الثبوت فيه، فتُغفر خطايانا بدم المسيح.

٤ — إذا أخطأنا ولم نعترف بخطيتنا، كرَّسنا عدم ثبوتنا في المسيح، وهذا معناه أننا انحزنا للشيطان، فتنطبق علينا الآية: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء» (١يو٣: ٨)، بل ونكون قد ازدرينا بدم المسيح.

٥ — إذا أخطأنا وقلنا إننا لم نخطىء نكون قد أنكرنا الحق أي أنكرنا الله وكلمته، وأنكرنا موته وقيامته لأنه مات من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا، وبذلك نكون قد ضللنا عن قصد.

٦ — وهكذا كل مَنْ يُخطىء ولا يعترف بخطيته، فهو كمن يخطىء ويقول إنه لم يخطىء وكلاهما فَقَد الثبوت في المسيح.

من هذا التسلسل في المفهوم اللاهوتي للقديس يوحنا الرسول نستطيع أن نقول إن آية بولس الرسول هنا: «إن أخطأنا باختيارنا بعد أن عرفنا الحق» تشمل حتماً أننا أخطأنا ولم نعترف بخطيتنا ولم نَتُبْ عنها وفقدنا الثبوت في المسيح! فإذا تجاوزنا المفهومات اللاهوتية للخطية في العهد الجديد وأردنا أن نفحص ما كان يدور في ذهن القديس بولس حول ذِكْر «إن أخطأنا»، واضعاً نفسه على مستوى الحال مع هؤلاء العبرانيين المتنصِّرين، **تكون الخطية المقصودة هي الارتداد مباشرة أي إنكار المسيح** الذي يكون على مستوى التجديف لأنه عرَّفها بعد ذلك بالأكثر بقوله: «بعد أن أخذنا معرفة الحق»، والحق هنا هو استعلان المسيح ابن الله مخلِّصاً وفادياً.

وهنا نود لو نوضِّح الالتباس والتضارب الذي يحدث في ذهننا وقلبنا من تضارب الآيات، فآية تقول: «كل مَنْ هو مولود من الله **لا يفعل خطية** لأن زَرْعه (زرع الله) يثبت فيه، **ولا يستطيع أن يخطىء** لأنه مولود من الله.» (١يو٣: ٩)

وفي نفس الرسالة يقول القديس يوحنا: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو١:٨)، كذلك: «إن قلنا إننا لم نخطىء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا.» (١يو١:١٠)

وهنا نستطيع أن نفسِّر هذا التضارب بأن الخطية التي اقترفها آدم كانت ذات شقَّين واضحين، الشق الأول: **عصيان وتمرُّد على الله شخصياً**. ثم الشق الثاني: **فعل مخالفة**. والشق الأول هو الخطر وهو الذي حرم آدم من الوجود مع الله في الفردوس، وهو الذي أخذ عليه عقوبة الموت واللعنة. وهذا الشق الخطر هو الذي جعل طبيعتنا مفتوحة على الخطية(*). أما «**فعل**» المخالفة بالأكل من الشجرة فهذا تشكَّل فينا بأفعال للخطية لا تُعدُّ ولا تُحصر، **فما تجسَّد المسيح ليرفعه عنا هو عنصر الخطية المتعلِّق بالتعدِّي على الله والعصيان الذي أصبح كحجاب يحجب الله عنا، وهو نفسه الذي حمله في جسده على الخشبة وأكمل الفدية عنه بالموت**. وهو الذي نعتمد وننال الخلاص منه. فالذي آمن واعتمد ونال الصبغة المقدسة بالروح وأكل الجسد وشرب الدم قد تخلَّص من عنصر الخطية تجاه الله الذي كان يحجب وجه الله عنا. أما فعل الخطية فأصبح بالنسبة للإنسان الجديد المعمَّد والمصبوغ بدم المسيح لا يحجب وجه الله ويُرفع بالاعتراف: «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار **وهو** كفَّارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو٢: ١و٢)

إذاً، فالخطية **كعنصر تعدٍّ على الله**، قد رفعه المسيح بموته وقيامته **مرة واحدة**. وهكذا، فالخطية عنصر خطر لا مَحْوَ لها إلاَّ بدم المسيح الذي نناله بالمعمودية التي لا تُكرَّر قط. أمَّا فعل الخطية فيُمحى بالاعتراف على أساس شفاعة المسيح، وكل فعل خطية يلزمه اعتراف. لذلك حينما قال القديس يوحنا نفسه: «إن رأى أحد أخاه يُخطىء خطية ليست للموت، يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب» (١يو٥:١٦)، فواضح جداً أن الخطية التي للموت هي عنصر خطية التعدِّي على الله شخصياً **عن عمد**، أي جحده وترك الإيمان به، ويمثِّلها التجديف على الروح القدس الذي قطع المسيح بأن لا غفران لهذه الخطية إلى الأبد، وهذا هو عنصر الخطية. فحينما يفعل الإنسان الخطية ضد نفسه وضد الآخرين، فهذا فعل الخطية الذي يُمحى بالاعتراف؛ ولكن حينما يُخطىء الإنسان إلى الله شخصياً **فهذا هو عنصر الخطية المميت**.

وعنصر الخطية قديماً كان بترك الله بعبادة الأصنام وآلهة الأمم، وكانت عقوبةُ ذلك الموتَ بلا

(*) رجاء الرجوع إلى شرح هذا الموضوع في كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله»، للمؤلف، ص٢٣٤ و٢٣٥.

رأفة (تث١٣: ٦—٩). وعنصر الخطية في العهد الجديد هو رفض الإيمان بابن الله: «والذي لا يؤمن بابن الله يمكث عليه غضب الله» (يو٣:٣٦)، الذي يعبّر عنه سفر العبرانيين بقوله: «وسقطوا».

وهكذا تم وعد الله بإرميا النبي: «لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إر٣١: ٣٤)، «وأطهرهم **من كل إثمهم الذي أخطأوا به "إليّ"** وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها "**إليّ**" والتي عصوا بها "**عليّ**"» (إر٣٣: ٨). ويُلاحظ هنا أنه يقصد **عنصر الخطية المميت** «الذي أخطأوا به **إليّ**»، وبفم ميخا: «مَنْ هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه ... يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي٧: ١٨و١٩). وهذه النبوات هي التي تمت بتوسط صليب المسيح ودمه الأقدس. وهنا **يقصد الآثام والذنوب والخطايا التي أخطأوا بها إلى الله!!** «الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدِّفون بها، ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس (الله) فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر٣: ٢٨و٢٩)

«بَعْدَ ما أخذنا معرفة الحق»:

في التقليد **الإنجيلي** تأتي «معرفة الحق» مقترنة بالمؤمنين الذين قبلوا المسيح: «... أطعمة قد خلقها الله لتُتناول بالشكر من المؤمنين **وعارفي الحق**» (١تي٤: ٣)، لأنهم بالإيمان وُهبوا معرفة الحق حيث «معرفة الحق» تشمل معرفة الله الآب والمسيح الابن بالروح، لأن هذا هو الحق في الله: «هذه هي الحياة الأبدية أن **يعرفوك** أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧: ٣). وكلمة «أخذنا معرفة الحق»، تفيد ازدواجية في الحصول على معرفة الحق، من جهة الله، بأن يكون قد وهبها كعطية؛ ومن جهة المؤمنين بأن يكونوا قد حصلوا عليها باجتهادهم وشوقهم وغيرتهم. **أما من جهة الله: «عرَّفتهم** اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

وأما من جهة المؤمنين فيقول بطرس الرسول: «ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدِّموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعفُّفاً وفي التعفُّف صبراً وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودّة أخوية وفي المودة الأخوية محبة، لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيِّركم لا متكاسلين ولا غير مُثمرين **لمعرفة** ربنا يسوع المسيح» (٢بط١: ٥—٨). وفي عرف بولس الرسول أيضاً تأتي «معرفة الحق» قرينة «التقوى»: «لأجل إيمان مختاري الله **ومعرفة الحق** الذي هو حسب التقوى» (تي١: ١). كذلك فمعرفة الحق عند بولس الرسول هي غاية الله في المسيح ومكمِّلة للخلاص: «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى

معرفة الحق يُقبلون.» (١تي٢: ٣و٤)

فإذا تجاوزنا تفسير كلمة «معرفة الحق» إنجيلياً وبحثنا فيما كان يُضمره بولس الرسول من «معرفة الحق» تكون هي استعلان المسيح مباشرة! فبعد أن يستعلن المسيح نفسه للإنسان ثم إذ هو يضربه الشيطان فيعود وينكره، يكون جزاؤه وفاقاً أمام الله في السماء نُكراناً مبيناً:

+ «مَنْ يُنكرني قدَّام الناس أنكره أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات.» (مت١٠: ٣٣)
+ «لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد أن عرفوا يرتدُّون عن الوصية المقدسة المسلَّمة لهم.» (٢بط٢: ٢١)
+ «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.» (رو١: ٢٨)

ويُلاحِظ القارىء أن كلمة «معرفة» لم تأتِ بوضعها البسيط γνῶσις بل جاءت في تركيب يزيدها عمقاً واتساعاً ἐπίγνωσιν وتعني ملء المعرفة أو كمال المعرفة **full knowledge**، مما يجعل السقوط عنها لا يأتي في حدود العقاب بل الدينونة المخيفة والهلاك الأبدي.

«لا تبقى بعدُ ذبيحة عن الخطايا»:

هذا تطبيق مباشر على أساس الناموس القديم، فخطايا العمد أي التي بالاختيار وحرية الإرادة لا توجد لها ذبيحة ولا محرقة. فبولس الرسول يكلِّمهم باللغة التي يفهمونها تماماً. وهو بآن واحد يقطع أن رفض المسيح هو رفض لذبيحته الكفَّارية، وبالتالي لا تبقى له ذبيحة عن كل خطاياه. ويُلاحَظ هنا أن الخطايا جاءت بالجمع لتغطي كل حياة الذي يخطىء خطيته الواحدة تجاه المسيح أي يرفضه. وهذا المعنى مطابق لقول يوحنا المعمدان: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو٣: ٣٦). ومعنى «يمكث عليه غضب الله» هو أنه يبقى في خطاياه محكوماً عليه بالحكم الذي وقع على آدم، اللعنة والموت الأبدي بانتظار يوم الدينونة.

١٠: ٢٧ «بل قبولُ دينونةٍ مُخيفٌ وغَيْرَةُ نارٍ عتيدةٌ أن تأكلَ المضادِّين».

«بل "قبول"»: τις ἐκδοχή

لا تأتي في اليونانية بمعنى «قبول» بل «توقُّع» ــ أو انتظار بتوقُّع ــ ولكن إضافة حرف

τις وهو تعبير غير محدَّد يُترجم «شيء ما»، فيكون المعنى بالتدقيق هو «توقُّع شيء ما من الدينونة المخيفة»، وهذا يعتبر نوعاً من البلاغة في الكلام إمعاناً في زيادة التأثير على السامع. ويشرح هذا ما ورد في سفر الأعمال: «قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيءٌ τινα» (أع٥:٣٦)، كذلك: «رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويُدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيءٌ τινα عظيم» (أع٨:٩)، وهكذا تجيء هذه الكلمة في هاتين الآيتين للتهويل وزيادة الرهبة. وللأسف سقط هذا التعبير من المترجم إلى اللغة العربية.

وتجيء هذه الكلمة ἐκδοχή محدَّدة بمعنى «الانتظار» أو «التوقُّع» في الآية عن إبراهيم: «لأنه كان ينتظر ἐξεδέχετο المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله» (عب١١:١٠). وهنا «انتظار شيء» مُنصبٌّ على شيء يأخذه الإنسان، وهو الدينونة المخيفة وشيء يأتيه من الله وهي غيرة نار تأكل المضادين.

«غيرة نار تأكل المضادين»:

تعبير مستعار من إشعياء النبي: «يا رب ارتفعت يدك (للنقمة) ولا يرون، يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك»، وتأتي في السبعينية أوضح جداً: «يا رب قد ارتفعت ذراعك ولم يعرفوها، ولكنهم حينما يعلمون فإنهم سيخزون، لأن غيرةً ستحل على أمة لم تتعلَّم ونار تأكل المضادين.» (إش٢٦:١١)

وواضح أن كلمة «الغيرة» في هذه الآية غريبة، ولكن يسهل فهمها إذا علمنا أن الغيرة أصلاً تنشأ من المحبة، ولكن انقلبت المحبة إلى بغضة «فيحل عليهم غضب الله».

والنار التي تأكل المضادين هي أحد أوجه طبيعة الله التي تبيد كل السلبيات وهذا من صميم الدينونة، فالله طبيعته النور، والنور يبيد الظلمة، وهذا من صميم طبيعته. أما الوجه الآخر للنور فهو النار، وليست النار المادية ولكن النار الروحية التي تُدفئُ القلب بالقداسة وتثبِّته في المحبة، وهي بعينها تحرق النجاسة منه وتبيدها. المُحب الصادق الأمين يثبت تجاه نار غيرة الله، والكذاب والمنافق والعدو لا يقوى على الوقوف أو الوجود تجاه نار غيرة الله. فنار الله تضرم المحبة في القلوب، وبآن واحد تحرق العداوة والبغضة وتبيدها. والعجيب أننا لو تأمَّلنا ملياً في هذا المفهوم بالنسبة للنار الإلهية التي تأكل المضادين، نجد أن هذه الصفة إيجابية خالصة لأنها تعمل هذا لتثبِّت المحبة بغير شائبة، وتؤسِّس الأمانة والصدق بلا تزييف، وتضمن القداسة بلا دنس، لأن بالنهاية يتحتَّم أن يصير الله الكل في الكل!!

١٠: ٢٨ «مَنْ خَالَفَ ناموسَ مُوسى فعلى شاهدَيْنِ أو ثلاثةِ شهودٍ يموتُ بدونِ رأفةٍ».

«مَنْ خالف ناموس موسى»: ἀθετήσας τις

تأتي الكلمة باليونانية أشد منها بالعربية، فهي ليست مجرد مخالفة، بل عدم اعتبار كلياً disregard، أو اعتباره كلا شيء بمعنى الاستهانة والتحدي. والمعنى أنه كان في رفضه لناموس موسى قاطعاً ومنتهياً. وقد جاءت نفس هذه الكلمة بمعنى أبطل: «فإنه يصير إبطال ἀθέτησις الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها» (عب٧: ١٨)، «ولكنه الآن أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل = ἀθέτησιν الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦). لذلك تأتي الكلمة هنا ليس بمعنى مخالفة للناموس وحسب بل وإنكار نفعه هو في ذاته وفي سلطانه، كما في الآية: «ولهنَّ دينونةٌ لأنهنَّ رفضن ἠθέτησαν الإيمان الأول.» (١تي٥: ١٢)

ونحن لو فحصنا قوانين الرجم للموت بلا رأفة في ناموس موسى يتركّز الاتجاه نحو قانون واحد وهو عبادة الأصنام أي خيانة الإيمان بالله والعهد المقدَّس ويأتي هكذا:

+ «إذا وُجِدَ في وسطك في أحد أبوابك التي يُعطيك الرب إلهك رجلٌ أو امرأةٌ يفعل شراً في عيني الرب إلهك بتجاوزه عهده، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل مِنْ جُنْدِ السماء، الشيء الذي لم أُوصِ به، وأُخبِرتَ وسَمِعتَ وفحصتَ جيداً وإذا الأمر صحيحٌ أكيدٌ قد عُمِلَ ذلك الرجسُ في إسرائيل؛ فأَخرِج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك، الرجل أو المرأة، وارجمه بالحجارة حتى يموت. على فم شاهدين أو ثلاثة شهودٍ يُقتل ... أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتلهِ ثُمَّ أيدي جميع الشعب أخيراً فتنزِعُ الشرَّ من وسطك.» (تث١٧: ٢—٧)

وبهذا التوضيح نفهم لماذا اختار بولس الرسول كلمة ἀθετήσας التي تعني «الرفض والاستهانة واعتبار الناموس كلا شيء وتحدي سلطانه أيضاً». فإن الخطية هنا هي ضد الله شخصياً. وبهذا أيضاً تصح المقارنة بعد ذلك بإنكار المسيح ورفضه والاستهانة به: «داس ابن الله، وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة» (عب١٠: ٢٩)، فهنا رفض نهائي كامل.

أما قوله «بلا رأفة» فيتضح ذلك من نص الناموس. وذلك أيضاً في حالة عبادة آلهة أخرى أي نقض الإيمان والعهد بالجملة:

+ «وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنُكَ أو ابنتك أو امرأة حِضْنِكَ أو صاحِبُكَ الذي مثل

نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب ... فلا تَرْضَ منه ولا تسمع له **ولا تُشفق عينك عليه، ولا ترقَّ له** ولا تستره بل قتلاً تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله، ثُمَّ أيدي جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يُطَوِّحك عن الرب إلهك ...» (تث١٣: ٦—١٠)

٢٩:١٠ **«فكَمْ عِقاباً أشَرَّ تظنُّونَ أنه يُحْسَبُ مُستحِقاً مَنْ دَاسَ ابنَ اللهِ وحَسِبَ دَمَ العهدِ الذي قُدِّسَ به دَنِساً وازدَرَى بروحِ النعمةِ».**

هذا هو الذي سبق وقال وحذَّر عنه: «إن أخطأنا باختيارنا»، بعد «أن عرفنا الحق». هذه هي الخطية ضد العهد الجديد، الخطية المميتة التي ليس لها غفران ولا ذبيحة ولا شفاعة.

هذه هي التي أسماها المترجم «مخالفة» ἀθετήσας وهي في الحقيقة «رفضٌ باتٌّ»، مع «نيَّة مبيَّتة»، وسَبْق معرفة الحق ثم إنكاره وجحده. هذه هي الخطية التي يقابلها في العهد القديم ترك الإله الواحد والسجود لآلهة الأمم والشياطين. وإن كانت تلك عقوبتها الموت رجماً بلا رأفة وكان هذا أشد عقوبة في العهد القديم، فماذا يكون استحقاق مَنْ يصنع هذا تجاه مَنْ يدوس المسيح ابن الله ويُدنِّس دمه الذي استأمنه عليه الله ويزدري بالروح القدس وبعمل نعمته؟

وهذا هو آخر تحذير يقدِّمه ق. بولس لهؤلاء القوم المتردِّدين.

ثلاث جرائم يقترفها المارق عن الإيمان بالمسيح، عن عمد وسبق إصرار وعلم:

الجريمة الأولى: حالة فعل = act **يدوس** ابن الله καταπατήσας.

الجريمة الثانية: حالة الفكر = opinion **«حَسِبَ»** دم العهد الذي قُدِّس به دنساً κοινὸν ἡγησάμενος.

الجريمة الثالثة: مهانة شخصية = assault **ازدرى** بروح النعمة ἐνυβρίσας.

وحالة هذا المارق الشخصية تدل على أنه انتهى من رفضه النهائي للإيمان بالمسيح بعد أن اختبره وانتفع به إلى حدٍّ ما. وهو يعلن قراره بالعمل والسلوك ويتبرأ من المعمودية والعهد، وهذا في الواقع نعتقد أنه قد تمَّ بالفعل مع بعض هؤلاء العبرانيين المتردِّدين. والقديس بولس يكشف وضعه عبرةً لهم وتحذيراً: «لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك.» (في٣: ١٨و١٩)

«داس ابن الله»: καταπατήσας

ولو أن الوصف مؤذٍ للسمع جداً ولا تطيقه روح الإنسان، لأن الفعل هنا يعني تماماً: «يطأه بقدميه ويمعن الدوس فوقه»، ولكن بولس الرسول سبق ووصف مثل هؤلاء الذين يدوسون ابن الله بوصف أشد إيذاءً للنفس حينما قال: «... وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية **ويشهِّرونه** (أي يفضحونه).» (عب٦:٦)

ولقد سبق المسيح ووعّى تلاميذه أنهم، وهم هكذا، قد أصبحوا نوراً للعالم وملحاً للأرض. ولكن إن هم فسدوا لن يصلحوا لشيء، كالملح إذا فسد فإنه يُطرح خارجاً (للزبالة): «ويُداس من الناس» (مت٥:١٣). ولكن أن يُداس ابن الله بالأقدام وهو الذي أنار العالم وأصلح المسكونة بملح ذبيحته، فهذا شيء لا يطيقه العقل! ولكن لنا عزاء في مَثَل المسيح الذي قاله: إنه لا يدوس اللآلئ إلّا الخنازير، ولا يدوس القدس إلّا الكلاب: «لا تُعطوا القُدْس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم.» (مت٧:٦)

ولكن كيف يدوس المارقون عن الإيمان ابن الله بأرجلهم؟

القصد هنا هو وضع اسم المسيح وشخصه، الذي لا يليق به إلّا أقدس القلوب، موضع الاحتقار والبغضة والكراهية والتحدّي كإنسان يطال عدوه ولو في الخيال ويدوسه بقدميه للشماتة والتشفّي. لأن ليس الإنسان المارق عن الإيمان هو الذي يتحرَّك بهذا الشعور، ولكن الشيطان هو الذي استولى على قلبه وعقله وتفكيره. لأن من الواضح جداً أن الإنسان الذي يزدري بالروح القدس ويجدِّف عليه، فإن روح الله سيفارقه حتماً، ليداهمه روح شرير قادر أن يصنع هذا وأكثر.

«وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً»:

«حَسِبَ»: ἡγησάμενος

هنا يصوِّر لنا بولس الرسول ما يدور في ذهن الذي ارتد عن الإيمان من جهة نظرته الخاصة أو عقيدته الفكرية فيما يخص دم المسيح، ومن هنا اعتُبر ذلك الجُرم أنه جريمة فكرية.

«الذي قُدِّس به»:

بولس الرسول يفترض أن هذا المرتد عن الإيمان كان قد اعتمد ونال ختم الروح القدس وحصل على التقديس، مما جعله خليقة جديدة؛ ولكنه إذ فقد موهبة الروح القدس تحت غواية الشيطان: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو١١:٣)، فإذ فارقه الروح القدس أصبح من المستحيل عليه أن يقول إن

المسيح ربّ. لهذا تكون المعمودية قد فقدت جلالها وقيمتها، بل فقدت معناها. وهكذا احتُسب أنه لم يعتمد لموت المسيح، إذ استهان بدم العهد الذي انصبغ به وتقدَّس يوم انصبغ في المعمودية، لأنه إن كان المسيح — في نظر المرتد — ليس هو ربًّا فهو إنسان عادي في فكره، ودمه ليس أكثر من دم إنسان عادي.

«دنساً»:

في الحقيقة الكلمة اليونانية κοινόν لا تفيد معنى الدنس ولكنها تعني «عادي» common أو كما جاءت باللاتيني communem وتُرجمت إلى السريانية بمعنى «كدم إنسان عادي». والمعروف في اللغة السرائرية وفي المفهوم اللاهوتي أن المقدّس هو المخصَّص لله، أما غير المخصَّص لله فيُحتسب أنه غير مقدّس وبالتالي دنس. وهكذا إن كان دم المسيح هو خاص بابن الله فهو مقدّس، فإن كان المسيح في نظر جاحد الإيمان ليس ابن الله فدمه لا يكون مخصَّصاً لله وبالتالي يكون دنساً، سواء قَبِلَ هذا الإنسان بذلك أو لم يقبل، لأن هذا هو حكم الله نفسه فيما يخص المقدّس والدنس.

ولكي تظهر مدى الخطورة في حسبان أن المسيح ليس هو ابن الله، فإنه فوق أن دمه يكون في عقيدة ذلك الإنسان نجساً، يكون المسيح في نظره أيضاً قد مات بلا سبب كأي إنسان، بل وأكثر من ذلك يكون قد مات مستحقاً للعقاب الذي ناله على الصليب. تماماً مثل نظرة اليهود نحوه أنه كان فاعل شر! وهذا كله يترتَّب على جحد المسيح واعتباره ليس ابن الله.

«الذي قُدِّس به»: ἐν ᾧ ἡγιάσθη

«به»: هنا حرف «به» ἐν يفيد باليونانية «فيه» وليس «به» بمعنى «انغمر فيه فتقدَّس» وهذه إشارة إلى نوع التقديس الذي تم بالمعمودية المحسوبة أنها دفن مع المسيح لموته. لذلك يتضح أن نظرة بولس الرسول لا زالت مثبَّتة فيما سبق وقاله عن هذه الحالة بالذات: «لأن الذين استنيروا مرة (بالمعمودية حيث "مرة" تفيد "مرّة واحدة") وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه» (عب٦: ٤—٦). والمُلاحَظ أنه كما قيل في الآية (٦: ٤—٦)، «أنهم استنيروا "مرّة"» وهذا إشارة إلى المعمودية الواحدة التي لا تتكرَّر، كذلك نجده في الآية (١٠: ٢٩) يقول: «الذي قُدِّس فيه»، حيث الفعل هنا في زمن الماضي البسيط المنتهي ويفيد أنه «مرّة واحدة» إشارة أيضاً إلى المعمودية الواحدة التي لا تتكرَّر: «هكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (معمودية) بل تقدَّستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو٦: ١١)

«ازدرى بروح النعمة»: καὶ τὸ Πνεῦμα τῆς χάριτος ἐνυβρίσας

«ازدرى» ἐνυβρίσας وهي كلمة متصرِّفة من ὕβρις (٩) وتعني الاعتداد بالذات مع عتوٍّ ووقاحة الذي يُنشيء عدم اعتبار للآخرين. وقد وردت هذه الكلمة في رسالة رومية (١: ٣٠) وجاءت مترجمة بمعنى «مُفترين» = Insolent، وفي (١تي١: ١٣) «مُفترياً» ولكنها تعني بالأكثر: سفيه، مهين، وقح، متغطرس.

«بروح النعمة»:

هذا وصف بديع للروح القدس، وقد نُسب إلى النعمة باعتبار أن الروح القدس لا يُعرف ولا يُعشق ولا يُقتنى إلاَّ من داخل نعمة من يَعْمه، وكأن بولس الرسول يمعن في تبكيت هذا الإنسان المجدِّف المرتد كونه يزدري بالروح الذي أذاقه النعمة يوماً ما.

وإن كان الروح القدس هو آخر مَنْ جدَّف عليهم هذا المجدِّف، إلاَّ أن الروح القدس هو أول مَنْ غادر هذا الهيكل النجس لهذا الإنسان التعس فتعثَّر في الحال في ابن الله وفي دمه الثمين الأقدس! وهكذا وبالنهاية فَقَدَ الغفران لخطيته هذه إلى الأبد: «ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس، فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر٣: ٢٩)

١٠: ٣٠ «فإننا نعرِف الذي قالَ: لِيَ الانتقامُ أنا أُجازي، يقولُ الربُّ. وأيضاً: الربُّ يَدِينُ شعبَهُ».

بولس الرسول هنا يدافع عن تصويره للعقاب الأشد شرًّا من الرجم بالحجارة ــ كما صدر عن الناموس على الذي يسقط في خيانة الله ويجحد الإيمان به ــ بالنسبة للذي يسقط في جحود المسيح ابن الله ويدوس على الاسم العظيم ويدنِّس الدم المقدَّس ويزدري بالروح القدس. ويستعين بما عُرِفَ عن الله من جهة تعامله مع الذي يقف قُباله.

«فإننا نعرف الذي قال»:

ليس القصد فقط مجرد معرفة مَنْ هو، بل معرفة صفاته، فأولاً وقبل كل شيء نعرف أنه الحي القيوم، الذي عيناه تجولان في الأرض كلها، ولا يخفى عليه شيء، وأنه حينما يقول يفعل بالكمال والتمام، ولا تُرَدُّ له كلمة:

+ «... في نار لهيب، مُعطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع

9. Westcott, *op. cit.*, p. 331.

المسيح. الذين سيُعاقبُون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليُتمجَّد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين.» (٢تس١: ٨—١٠)

+ «يعترفون بأنهم يعرفون الله **ولكنهم بالأعمال ينكرونه**، إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون.» (تي١: ١٦)

وبولس الرسول يقدِّم استشهاده من التوراة، من جهة قضاء الله وتوقيع العقوبة محددة وشديدة، وحتمية مجازاة شعبه!

والاستشهاد جاء من مضمون الخطاب المهيب الذي خاطب به موسى الشعب بعد أن أكمل لهم كل كلمات التوراة مسجِّلاً إياها شهادة لهم أبد الدهر:

+ «اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأُشهد عليهم السماء والأرض ... انصتي أيتها السماء فأتكلَّم، ولتسمع الأرض أقوال فمي ... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لي النقمة والجزاء في وقتٍ تزلُّ أقدامهم (يسقطون)، إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة، لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق ... أَرُدُّ نقمة على أضدادي وأجازي مبغضيَّ ...» (أصحاح ٣١و٣٢ من سفر التثنية) وقد تسجَّلت في كتابهم المعروف باسم الترجوم([10]).

ولقد صارت أقوال هذا الخطاب محفورة في قلوب العارفين في الشعب، لهذا نسمع بولس الرسول أيضاً يردِّد منه في رسالة رومية هكذا: «لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب.» (رو١٢: ١٩)

كما يردِّدها داود في مزاميره: «يا رب اسمك إلى الدهر، يا رب ذكرك إلى دور فدور. لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق.» (مز١٣٥: ١٣و١٤)

وواضح في كل هذه المواضع أن الله الذي له النقمة له الجزاء الحسن، وهو الذي يدين شعبه وبآنٍ واحد يشفق على عبيده. وبشيء من التأمل والفهم ندرك أن العقوبة والجزاء الحسن، والدينونة والإشفاق على العبيد توضِّح مدى التعادلية في صفات الله. ولذلك معروف أن قضاء الله عادل، وعادل إلى أقصى ما يتصوَّره الإنسان. وفي الحقيقة إن تصرفات الله هي من واقع سلوك الشعب، والإنسان هو الذي يصبغ لنفسه العقوبة كما يصبغ لنفسه الجزاء الحسن. ولكن صعب للغاية أن يتجرأ الإنسان ويقف قبالة الله.

10. *Targum of Onkelos*, cited by Westcott, *op. cit.*, p. 332.

٣١:١٠ **«مخيفٌ هو الوقوعُ في يَدَي الله الحيّ».**

هذا أمر عُرِف بالتجربة، وتسلَّمه الإنسان أبًا عن جد، إن خبرة الإنسان مع الله طويلة وطويلة للغاية. فإن كان الله قد عُرِف بأنه رحوم فقد عُرِف عنه أنه مخيف، رحمته على الضعيف والمظلوم شيء يفوق كل حنان ورأفة عرفها الإنسان مع الإنسان: «هل تنسى المرأة رضيعها؟ ... حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش٤٩: ١٥)، «الله لا يُشمخ عليه» (غل٦: ٧)، فهو يذل كل كبرياء، لإنسان كان أو لملاك، ويستحيل أن يجرِّب الإنسان الله ويفلت من العقوبة. هذا الأمر نسمعه من داود النبي: «فقال داود (لجاد النبي): قد ضاق بي الأمر جداً، فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان» (٢صم٢٤: ١٤). وأدَّب الله داود أدباً شديداً وعاقبه عقوبة مريرة. أمَّا الذي يسقط بعيداً عن الله وليس بين يديه، فالهلاك محتَّم ولا رجاء.

«الله الحي»:

تقع هذه الصفة مرتبطة بصفة الله أنه **«نار آكلة»**، وقد أدركها تمام الإدراك هذا الشعب الذي لا رأي له كقول موسى، وذلك حينما تكلَّم الله لهم من فوق الجبل وسط النار المرعبة: «وأما الآن فلماذا نموت لأن هذه النار العظيمة تأكلنا» (تث٥: ٢٥). فالشعب كان يسمع صوت الله الحي يتكلَّم من وسط نار تتلظَّى بآنٍ واحد. وهكذا يقبض الله بالحياة والموت معاً، وكلمته تُميت وتُحيي بآنٍ واحد: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت فاختر الحياة لكي تحيا» (تث٣٠: ١٩). **أما الحياة،** فكما يقول بولس الرسول: «أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية» (رو٢: ٧)؛ **وأما النار** «فتأكل المضادين» (عب١٠: ٢٧ وإش٢٦: ١١). هذا معروف منذ الدهر.

النقلة الثالثة: التعزية الأخيرة (١٠:٣٢ــ٣٩):

إلى هنا وكفَّ بولس الرسول عن الإنذارات والتحذيرات. لقد كان مدفوعاً للاستزادة منها بسبب موقفهم المتأرجح الخطر. والآن وقد أوضح لهم الهوَّة السحيقة التي وقفوا على حافتها، بدأ يمد يده ليجذبهم بعيداً عن الخطر. لم ينسج لهم كلمات تشجيعية من الخيال، بل ذكَّرهم بمواقفهم الأولى الشجاعة، وكيف أقدموا على الإيمان مستهينين بالمخاطر واحتملوا ما احتملوا من الآلام في سبيل اقتناص الخلاص الذي قبلوه بفرح. ولم يبقَ عليهم إلاَّ الثبات لينالوا إكليل الحياة، فالرب على الأبواب. سيان إن أتى هو إلينا أو ذهبنا نحن إليه، فسنلقاه حتماً، سنلقاه لنرتمي في حضنه المريح، يضمِّد الجراح ويمسح الدموع!

وتنقسم آيات العزاء هذه إلى قسمين:

أ ــ (١٠:٣٢ــ٣٤): ذكريات الماضي الحلو وما كان فيها من صبر وشكر وإيمان وطيد.

ب ــ (١٠:٣٥ــ٣٩): تحذيرات لئلا نفقد الجعالة وتتلف ثمر جهادنا والحاجة الوحيدة هي الانتظار بالصبر.

أ ــ ذكريات الماضي الحلو وما كان فيها من صبر وشكر وإيمان وطيد: (١٠:٣٢ــ٣٤).

تذكرة بتاريخ إيمانهم المجيد الذي كان له عمل وشهادة من صميم آلامهم الخاصة التي قبلوها عن أنفسهم والتي شاركوا فيها الآخرين عن طيب خاطر وسخاء، وهكذا نالوا بالروح من الروح أضعاف ما فقدوا بالجسد والاسم.

١٠:٣٢ **«ولكنْ تَذكَّروا الأيامَ السالِفةَ التي فيها بَعْدَ ما أُنِرْتُمْ، صَبَرْتُم على مُجاهَدةِ آلامٍ كثيرةٍ».**

«تذكَّروا الأيام السالفة»:

نحن الرهبان لنا في ذلك خبرة حيَّة ذات قياس حقيقي له فاعلية في القلب والفكر لا تُجارَى. إذ لا شيء يُلهب قلب الراهب بالنشاط والعزيمة، ويوقظه من نوم الغفلة، ويجدِّد عهده، ويشد أزره، قدر ما يتذكَّر الأيام السالفة التي قَبِلَ فيها الدعوة وفاز بإكليل التكريس ولبس الثوب وربط وسطه بالمنطقة وحمل الصليب على صدره!!

وليس سرًّا إن قلت إنه بالرغم من معزيات كثيرة وقوية وتشجيعات من الله بلا عدد صادفتها، ولا أزال، في غُربتي التي طالت، إلاَّ أن صورة يوم خروجي من العالم متجهاً نحو الدير المنطبعة في

وعيي كختم على قلبي تفوق كل ما عداها من التعزيات والمشجعات. حينما أتذكّرها، وأنا أتذكرها كثيراً وخاصة أيام يُضيّق عليّ العدو بمنغّصات تفوق قدراتي، فإني أسترد عافيتي الروحية وأوصل الحاضر بالماضي وكأني على قمة تجلّيات الرب فأجدّد قوة.

وبولس الرسول هنا يتكلّم من خبراته ليستحث بني جلدته أن يستفيقوا من نوم الغفلة، وقد أصبحوا بين فكّي الأسد، ليذكروا كيف خرجوا سابقاً خروجاً جليلاً مجيداً محتملين أقصى ما يحتمل الإنسان ثمناً لخلاصه.

وواضح أن الاضطهادات التي دخلوا فيها تكثفت بعد معموديتهم مباشرة: «بعد ما أنرتم»، وكلمة «أنرتم» ترجمتها اللغة السريانية «بعد أن تعمّدتم»، فليس سهلاً على الشيطان أن تفرّ فريسة من بين أسنانه. فقد سخّر من أجلهم أقرب الناس إليهم لُيذيقوهم الآلام التي وصفها بأنها كانت «كثيرة» πολλήν. والكلمة اليونانية تعني أيضاً «صعبة» كما جاءت في الترجمة الإنجليزية hard كما تفيد كثرة التكرار والعنف.

«مجاهدة آلام كثيرة»:

كلمة «مجاهدة» كما جاءت باليونانية ἄθλησιν تفيد «جهاد المعركة». فلم تكن مجرد حرمان أو مضايقة، بل حرباً تُطلب فيها رؤوسهم، لأن المرتد في اليهودية يحلّ دمه. وقد اختبر بولس الرسول تكتيكات هذه الحرب التي قضى فيها عمره وقضى أجلَه (أي مات) بسببها على طريق أوستيا بروما. وإليك صورة من التربّص للقتل: «ولما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقاً وحرّموا أنفسهم قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس. وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين.» (أع٢٣: ١٢و١٣)

والآن يذكّرهم بولس الرسول كيف احتملوا بصبر هذه الحرب المريرة فما بقي لهم إلاّ القليل لينالوا الإكليل: «قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً، قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل ...» (٢تي٤: ٧و٨)

٣٣:١٠ «ومِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ، وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ هكَذَا».

«من جهة»: τοῦτο μέν

الآية باليونانية تبتدىء باسم الإشارة «هذا» τοῦτο، وهو يعود على آخر كلمة في الآية

السالفة وجاءت: «مجاهدة آلام كثيرة»، وهنا يستطرد «هذا» أي أن الآلام هذه، ثم يقسمها إلى قسمين: آلام تحمّلوها مباشرة، والثانية آلام اشتركوا فيها مع الذين نالوا مثل هذه الآلام.

وتأتي محبوكة في لغة رصينة هكذا: «هذا من جهة τοῦτο μέν ... وهذا من جهة أخرى τοῦτο δέ ».

«مشهورين»: θεατριζόμενοι (كأنهم في تياترو ...)

وفي الفولجاتا spectaculum facti (منظراً) وتأتي في اليونانية واللاتينية بمعنى «صاروا منظراً للسخرية» (قارن ١ كو ٤ : ٩ : «صرنا منظراً θέατρον »). لذلك فقد أخطأت الكلمة العربية المعنى وكان يجب أن تكون: «شُهِّر بكم»، أي للتشهير وليس للشهرة.

«بتعييرات وضيقات»: ὀνειδισμοῖς τε καὶ θλίψεσι

كانت آلامهم صنفين، فقد تحمّلوا تعييرات أي توبيخات عنيفة على سلوك سلكوه مُخالفاً لمعاييرهم: «حينئذ ابتدأ يوبِّخ ὀνειδίζειν المدن التي صُنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب» (مت ١١ : ٢٠)؛ والصنف الآخر استخدام العنف للمضايقة والمطاردة والإيذاء والحرمان.

فالآلام الأولى نفسية صعبة، والآلام الثانية حرمانات من الحقوق والراحة وإيذاء في ممتلكات.

«ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصُرِّف فيهم هكذا»:

واضح جداً أن هؤلاء العبرانيين كانوا على مستوى الشجاعة النادرة كونهم في أثناء وقوع التعييرات وهذه الضيقات عينها على المسيحيين الآخرين — وغالباً الذين من الشتات مثل استفانوس الشهيد وغيره من اليونانيين اليهود — فإنهم لم يتنصّلوا منهم ولم يتركوهم وحدهم، بل أعلنوا شركتهم κοινωνοί معهم فتحمّلوا نصيبين من الآلام، الآلام التي وقعت عليهم كعبرانيين وطنيين، والآلام التي وقعت على مسيحيّي يهود الشتات.

١٠ : ٣٤ **«لأنكم رَثَيْتُم لقُيُودي أيضاً وقَبِلْتُم سَلْبَ أموالِكُم بفرحٍ، عالِمينَ في أنفُسِكم أنَّ لكُم مَالاً أفضَلَ في السَّمواتِ وبَاقِياً».**

هنا ترجمة «القيود» مضافة للمتكلِّم، وهي تكاد تُخرج الرسالة كلها عن واقعها — وكل اعتمادها هو أن ذلك جاء في إحدى المخطوطات، بالرغم من غيابها في معظمها — فالمعنى الذي تنصبُّ عليه بداية هذه الآية: «لأنكم رثيتم لقيودي»، يفيد أن الكاتب هنا يتكلَّم عن نفسه وعن

قيوده، ولكن الحقيقة غير ذلك. وإليك النص اليوناني في أقدم المخطوطات والترجمة الحرفية:

καὶ γὰρ τοῖς δεσμοῖς συνεπαθήσατε

حقاً لأنه في القيود تألمتم معاً

وقد أخذت بهذا النص الترجمة الإنجليزية. وهكذا تأتي هذه الآية لتشرح كيف تألم هؤلاء العبرانيون مع الآخرين الذين تُصُرِّف فيهم هكذا بقوله هنا: «لأنكم في الحقيقة تألمتم معاً في القيود أي السجن». أو يمكن ترجمتها كما جاءت في إحدى الترجمات الإنجليزية هكذا: «لأنكم تعاطفتم مع المسجونين δεσμίοις». ولو أن التعاطف لا يفي حق الكلمة اليونانية إلاّ إذا كان تعاطفاً عملياً[11] فهي شركة آلام[12] وليست شركة تعاطف. كما نفهمها في الآية (١٣ : ٣): «اذكروا المقيّدين كأنكم مقيّدون معهم συνδεδεμένοι». ويبدو أن الواقع هو أنه حينما كان يُقبض على المسيحيين ويُعتقلون ويُلقَوْن في السجن، لم يجزع هؤلاء العبرانيون ولا أرهبوا، بل كانوا يزورونهم في السجون ويقدّمون لهم الخدمة التي ألمح إليها ق. بولس قبل ذلك بقوله: «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ خدمتم القديسين (المسيحيين في السجن) وتخدمونهم» (عب٦ : ١٠). وهكذا فازوا بخدمة المسيح نفسه حسب قول الإنجيل: «ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك، فيُجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥ : ٣٩و٤٠). ومعروف أن المسيحيين الذين كانوا يُلقَوْن في السجن بنوع من الاضطهاد، كان ذلك لغرض التعذيب، فكانوا يتعرَّضون للجوع والعطش حتى الموت أحياناً إن لم يسعفهم إخوتهم بالمعونة. لذلك كانت الكنيسة صاحية جداً، وتعدُّ خرافها يوماً بعد يوم لترعاهم أينما كانوا، فكان من صميم عمل المسيحيين رعاية المسجونين، مما كان يعرِّضهم للخطر والسجن أحياناً[13].

وهكذا تحمَّل هؤلاء العبرانيون الاضطهاد والمضايقة والتعذيب من أجل تعاطفهم مع إخوتهم المسيحيين فتمت لهم الطوبى: «طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيَّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا فهوذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء.» (لو٦ : ٢٢و٢٣)

11. Meyer, *op. cit.*, p. 655.
12. See: *TDNT*, *s.v.*
13. Euseb. *Hist. Eccl.* IV,23,10 etc.; Harnack, *Mission and Expansion of Christianity*, Eng. tr., 1908, i.pp. 162ff, ii.p.117.

«وقبلتم سلب أموالكم بفرح»:

واضح أنهم هوجموا في بيوتهم وحقوقهم وممتلكاتهم وخُرِّبت لهم وأُتلفت ونُهبت، فهذا هو معنى كلمة «سَلْب» باليونانية ἁρπαγήν، فهي تفيد عملية انقضاض واعتقال وجَوْر. ولكن العجيب أنهم قبلوا هذا بفرح، وهذا لا يمكن أن يكون طبيعياً، فالروح القدس (١تس١:٦) كان هو الذي يعزِّيهم عمَّا فقدوه بربح أعظم شعروا أنه أُضيف لحسابهم في السماء.

وهذا الكلام جيِّد أن يكون لنا في هذه الأيام وأن يدخل أعماق إيماننا، فكل ما يفقده المسيحي على الأرض يُضاف لحسابه في السماء كنزاً لا يفنى هناك ولا يتدنَّس ولا يضمحل تسهر عليه الملائكة، فهو أفضل، أفضلية ما لله عمَّا للناس. والمطلوب أن نحس بذلك ونتيقَّن منه حتى تسري الفرحة في قلوبنا عوض الانزعاج والشكوى: «وأمَّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع٥:٤١). لأن ما هو معنى أن لنا ميراثاً في السموات؟ وكيف نتأكَّد أننا وارثون مع المسيح إن لم يكن لنا فرح حقيقي بكل خسارة تحيق بنا على الأرض؟

ولكننا في الحقيقة نفهم من تعزية بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين، كيف أنهم احتملوا سابقاً كل هذا الضيق والاضطهاد والسجون بالشكر، وسلب ونهب أموالهم بفرح. فهذا يعني أن الضيقة التي يعبرونها حالياً، أي عندما كتب لهم بولس هذه الرسالة، كانت من نوع آخر وكانت أصعب وأخطر بما لا يُقاس حتى إنهم هكذا صاروا مزعزعين في إيمانهم!

«عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً»:

الترجمة التي يأتي بها العالم وستكوت(١٤)، بناءً على قراءة مرجَّحة في مخطوطات أساسية، قد تكون أكثر تعزية وروحانية إذ يترجمها هكذا: «عالمين أن لكم أنفسكم ye had your own selves لامتلاكٍ أفضل وباقٍ»، بمعنى أن أنفسهم ربحوها، وهي التي لهم، ملكاً حقيقياً وباقياً في السماء. فإن كانوا خسروا أموالاً، فقد ربحوا أنفسهم بإيمانهم وفرحهم. هذا في الحقيقة أكثر روعة وإبداعاً. لأننا مهما خسرنا من أموال وممتلكات حتى ملابسنا التي علينا وأوذينا، حتى في أجسادنا، فلا تزال أرواحنا ونفوسنا باقية لميراثٍ أفضل وباقٍ! فبقدر ما تتلف الأموال وتتلف الممتلكات ويتلف الجسد تتنقَّى النفس وتتطهَّر وتتجلَّى في نور القديسين. وهنا قولة المسيح الهادية والمرشدة والمعزية: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١:١٩). لأنه يمكن أن نخسر كل شيء

---

14. Westcott, *op. cit.*, p. 335.

ونخسر الاسم وكل شهرة وكل كرامة، ولكن لن نخسر نفسنا إن صبرنا إلى المنتهى!

وقوله: «"عالمين" أن لكم مالاً في السموات ...»، فهذا العلم اكتسبوه بكل يقين من داخل أتون التجربة ومن جراء مرارة الاضطهاد والتعذيب. فالشهيد هو أعظم مَنْ يعلم ويُعلِّم قيمة الإيمان بالمسيح الذي قدّم حياته من أجله. كذلك الذي تُسلب أمواله وتُنهب ممتلكاته هو أعظم مَنْ يعلم ويعلِّم قيمة الميراث المحفوظ له في السموات باقياً ينتظره!

+ «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً.» (يع ١: ٣)
+ «مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم ــ وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار ــ توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ٦و٧)

ب ــ تحذيرات لئلا نفقد الجعالة ونتلف ثمر جهادنا: (١٠: ٣٥ــ٣٩).

١٠: ٣٥ «فلا تطرَحُوا ثِقَتَكُم التي لها مُجازَاةٌ عظيمةٌ».

«تطرحوا»: ἀποβάλητε

تحمل معنى الطرح الذي يرافقه الإهمال وعدم الاعتبار وكأن الثقة والشجاعة التي مارسوها في بدء إيمانهم أصبحت بلا نفع. هذا خطر، فهو بمثابة إلقاء السلاح، مع أن الثقة والشجاعة إذا دامت بثبات فإنها تهدم حصون العدو وتدكُّ معاقله. لأنه حينما يزداد الاضطهاد جداً ويبلغ حدوده التي لا تُطاق فهنا تبرز حقيقتان، الأولى أن العدو يكون قد بلغ الحد الذي سينحصر بعده ويفقد عافيته، والحقيقة الثانية أن الإنسان المسيحي عليه أن يبلغ حد اختراق حاجز اليأس والملل ليدخل النهاية المريحة. لأن لا العدو يعمل في غيبة من الله وعينه الساهرة، ولا الإنسان يُمتحن أكثر مما قد وضع له الله ليبلغ النصرة:

+ «ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا.» (١كو ١٠: ١٣)
+ «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة.» (٢بط ٢: ٩)
+ «لأنك حفظت كلمة صبري أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة ...» (رؤ ٣: ١٠)

ولقد أعطانا الرسل الأماجد نموذجاً يُحتذى به من الثقة والشجاعة الروحية المؤثِّرة التي زلزلت رجال السنهدريم وأرعبتهم:

+ «ولما أقاموهما في الوسط جعلوا يسألونهما بأيَّة قوة وبأي اسم صنعتُما أنتُما هذا؟ حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل ... فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البنّاؤون الذي صار رأس الزاوية، وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص. فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجَّبوا، فعَرَفوهما أنهما كانا مع يسوع!» (أع ٤: ٧ــ١٣)

«الثقة التي لها المجازاة»:

وكلمة «الثقة» باليونانية παρρησίαν تحتمل ولابد معنى «الشجاعة» أيضاً و«الجرأة» كما سبق وقلنا (راجع شرح ١٠:١٩). أمَّا كلمة «المجازاة» μισθαποδοσίαν فهذه الكلمة فريدة في كل الأسفار ولم تأتِ قط في سفر آخر في العهد الجديد وقد تكررت في هذه الرسالة ٢:٢، ١١:٦، ١١:٢٦ وبنفس المعنى الذي قاله الرب بكلمة مشابهة: «فهوذا أجركم μισθός عظيم في السموات» (لو٦:٢٣). وذلك بالنسبة للذين اضطُهدوا وتألَّموا من أجل اسمه.

وقد سبق وقلنا ونعود فنزيد، أن الإنسان وهو في شدة المحنة والضيق يدرك بروحه وتنفتح بصيرته ليرى ويتحقَّق من الأجر العظيم الذي ينتظره. لهذا، فإنه عبثاً حاول الولاة والضباط الذين أُوكل إليهم تعذيب المسيحيين ليجعلوهم يفرِّطون في إيمانهم ولو بكلمة، بل على النقيض فكلَّما أمعنوا في التعذيب والتنكيل بالحريق أو حتى إلى تقطيع آخر عضو فيهم كلَّما ازداد بأسهم واشتد إيمانهم وتجلَّت قدرتهم الروحية على الرد والمقارعة، بلا تردد، بل بقوة كانت تُرعب معذبيهم مرة وكانت تُقنعهم بصحة الإيمان المسيحي مرات ومرات ليتركوا منصة القضاء والتعذيب ليقفوا في صفوف المسيحيين لينتظروا هذا التعذيب عينه الذي يفتح أمام ناظريهم السماء بأمجادها.

عزيزي القارىء أرجوك أن لا تجزع أبداً من ساعة التجربة، فهي تحمل لك أثمن كنوز المسيح، وفي ساعة المحنة والضيق ستُعطى قوة لا تخطر لك على بال، وستُعطى مَنْطِقاً يُفحم كل جبَّار، وسترى ما لا يُرى وتلقى الحبيب.

«مجازاة "عظيمة"»: μεγάλην

هي أعظم من كل ما يخطر على بالنا لأنها أثمن عطايا الله، إنها «الوعد»، وقد كشفها في

الآية القادمة: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون "**الموعد**" ἐπαγγελίαν». (عب ١٠: ٣٦)

أمَّا «**الموعد**» فهو الأساس المؤسَّس عليه العهد القديم والعهد الجديد برمَّتهما. وهو يشمل من جهة الله منتهى رضاه وحبه وعطفه على الإنسان في صورة **أبوَّة** مشفقة حانية، وفي واقع حياة مباركة بكل بركة روحية في السموات، فيها يعيش الإنسان مع الله لا كعبد فيما بعد بل كأولاد محبوبين يسبِّحون ويمدحون مجد نعمته الفائق الذي أورثنا إياه في ابنه. وهذه هي المكنِّيُّ عنها بالحياة الأبدية!

لأنه بقدر ما تعذَّب الإنسان على أرض شقائه واضطُهد وأُذِلَّ من أجل اسم الله؛ بقدر ما سبق الله وأعد له نعيمه الأبدي. تلك كانت عذابات وقتية؛ وهذا نعيم أبدي. كما قال بولس الرسول: «لأن خفَّة ضيقتنا الوقتية تنشيء لنا أكثر فأكثر **ثقل مجد أبدياً**» (٢كو٤: ١٧). وهنا يحث بولس الرسول هؤلاء القوم الذين ضُيِّق عليهم حتى الاختناق أن لا يطرحوا ثقتهم وشجاعتهم الأولى، لأن الجزاء المعَدَّ عظيم حقاً.

١٠: ٣٦ «**لأنكم تحتاجونَ إلى الصَّبرِ حتى إذا صنعتُم مشيئةَ الله تنالُونَ الموعِدَ**».

تكميلاً لقوله السابق: «لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة». فالثقة وهي شجاعة الإيمان والتمسُّك به هي التي بها تبلغون المجازاة العظيمة. ومع هذه الثقة يتبقَّى شيء واحد هام للغاية هو الصبر، لأن الثقة، أي شجاعة الإيمان والتمسُّك به، لن تدوم إزاء المحن والتجارب إلَّا إذا رافقها وساندها الصبر. فالصبر بحد ذاته هو عمل تام كقول يعقوب الرسول: «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشيء صبراً، وأما الصبر فليكن له عمل تام، لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء.» (يع١: ٣و٤)

«تحتاجون إلى الصبر»: ὑπομονῆς

الصبر غير طول الأناة = μακροθυμία. فطول الأناة يليق بالله، فهو صفة طبيعية داخلية. أمَّا الصبر فهو للإنسان، ويليق له لاحتمال الضيقات، ويأتيه من خارجه كنعمة، فإذا استقر في الإنسان وأتقنه يصبح صفة طبيعية، أي طول أناة على الخليقة الجديدة بشبه خالقها في القداسة والحق. لذلك نجد بولس الرسول هنا يوضِّح لهم نقص هذه الفضيلة عندهم وأنه لذلك يلزمهم جداً أن يطلبوها من الله ويمرِّنوا أنفسهم عليها. ويعقوب الرسول يرى أن دخولنا في التجربة هو لامتحان إيماننا، ونفس

هذا الامتحان إذا جُزْناه فهو يربِّي الصبر: «عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشيء صبراً.» (يع ١: ٣)

وفي هذه الرسالة وفي الأصحاح الثاني عشر يُشبِّه كيفية نمو الصبر فينا بإنسان يركض لينال جائزة، فما عليه إلاَّ أن يصبر في ركضه حتى النهاية. فإذا فقد الصبر ضاعت عليه الجائزة، ولكن إذا ثابر على الصبر دقيقة وراء دقيقة ربح الجائزة. فالجري نفسه سيثير فيه الرغبة في الصبر، ولكن الجائزة هي التي تحفِّزه على الصبر إلى النهاية: «لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر (نركض) **بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه** احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله.» (عب ١٢: ١و٢)

«حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد»:

إذاً، بولس الرسول يكشف هنا لهؤلاء العبرانيين أن الضيقات والاضطهادات الواقعة عليهم لم تقع جزافاً وكأن عين الله غير ناظرة، بل إن هذه وتلك هي من صميم بل تصميم مشيئة الله لهم. فالله هو الذي أراد ونفَّذ أن تقع عليهم هذه التجارب، حتى إذا قبلوها بالشكر واحتملوها بالفرح وثابروا على ثقتهم بالله وإيمانهم بابن الله استحقوا فعلاً أن يكونوا أولاد إبراهيم بالإيمان، وبالتالي يستحقون تكميل الموعد لهم ومنهم، لأن الموعد هو للإيمان، والإيمان يتحتَّم امتحانه للتزكية، والامتحان يكشف عن وجود الصبر من عدمه، والصبر يُستعلن في الضيق والشدة حتى النهاية.

بولس الرسول يرى أن جهادهم قد كمل وأنهم قد احتملوا بسرور كل ما وقع عليهم بل وما اشتركوا به في ضيقات الآخرين. والآن لا يتبقى أمامهم إلاَّ صبر الانتظار لاستعلان مشيئة الله، وهي على الأبواب!

يقول في ذلك ذهبي الفم:

[أنتم الآن تحتاجون إلى شيء واحد فقط وهو الصبر على تأخير (إعلان النتيجة)، وليس أن تحاربوا مرَّة أخرى. أنتم الآن في وضع مَنْ ينتظر الإكليل، لأنكم احتملتم كل القيود والمحن ونَهْب أموالكم، فماذا بعد ذلك؟ أنتم واقفون بانتظار الإكليل! يا للتعزية العظيمة](١٥).

وبطرس الرسول ينبِّه ذهن هؤلاء الذين في التجارب أن يلتفتوا إلى نموذج المسيح، لأنه يهب

15. Chrysostom, *op. cit.*, p. 462.

القوة والعزاء والصبر في حد ذاته: «إن كنتم تتألَّمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دُعيتم. فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (١بط٢: ٢٠و٢١)، ونفس هذه الرسالة تقول باختصار: «فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم.» (عب١٢: ٣)

«حتى إذا صنعتم مشيئة الله»:

في الضيقة وفي امتحان إيماننا يتضح مقدار التناقض الهائل بين مشيئة الله ومشيئة الإنسان، فالله يشاء التجربة ونحن بحسب طبيعتنا الجسدية لا نشاؤها. الله يشاء الاستزادة منها، ونحن نصرخ ألاَّ تُزاد لنا. فمشيئة الله يتحتَّم أن تُنفَّذ، لذلك أصبح علينا إن أردنا نحن أيضاً أن نكون حسب هذه المشيئة أن نرضخ لها، فهي صنعة روحية عالية القيمة، وإن أردنا أن نصنعها، فعلينا حتماً أن نجحد مشيئتنا. وواضح هذا الشرط: «إذا صنعتم». والمسيح وهو في جثسيماني أمام أخطر امتحان وتجربة جاءت على إنسان ما، قالها نيابة عن كل إنسان وعن كل الناس معاً: «لتكن لا إرادتي (أنا) بل إرادتُك (أنت)» (لو٢٢: ٤٢). بهذا أعلن موافقته ورضاه وسروره بتكميل الصليب حتى الموت!!

هنا وقفت المشيئة البشرية جزِعة، رافضة للألم في مواجهة مسرة مشيئة الله أن يتألَّم الابن!! «أما الربُّ فسُرَّ (الآب) بأن يسحقه بالحزن» (إش٥٣: ١٠). ولكن المسيح أنهى على هذه المضادة وأخضعها لمشيئة الله كلية، عن طاعة كاملة مطلقة، وهكذا فاز الإنسان بصنع مشيئة الله حتى النهاية في شخص المسيح مصلوباً. وهكذا نلنا الموعد وفُزْنا بالحياة الأبدية.

وعلى نفس النمط يتحتَّم على الإنسان إزاء التجربة أن يبلغ بالنية إلى أقصى الرضا والسرور بصُنْع مشيئة الله، مهما بلغت المرارة فيها، فإذا بلغ الإنسان هذا الخير وأكمل مشيئة الله راضياً بالتجربة حتى النهاية نال بالفعل إكليل الحياة. ولكي يبلغ الإنسان إلى صنع مشيئة الله يلزمه، أعظم ما يلزمه، الصبر حتى النهاية.

٣٧:١٠ «لأنه بَعْد قليلٍ جداً سيأتي الآتي ولا يُبطىء».

مفتاح شرح هذه الآية ثلاثة اصطلاحات تأتي واضحة باليونانية، اختارها بولس الرسول لِمَا يقابلها من الآيات التي اقتبس منها في إشعياء وحَبَقُّوق؛ وبالمقارنة سيظهر الاقتباس واضحاً سواء في المعاني أو نفس الألفاظ:

«سيأتي الآتي» = ἐρχόμενος ἥξει
«يُبطىء» = χρονιεῖ
«قليل جداً» = μικρὸν ὅσον ὅσον

وإن أعظم تعزية يمكن أن يقدمها الإنسان للذين في الضيق، هي حقيقة أن الرب آتٍ وهو على الأبواب. ومثل هذه التعزية كثيرة في الكتاب المقدس، والمستفاد منها جميعاً لا أن الرب سيأتي إتيانه الأخير بل سيأتي للنجدة والنجاة، للخلاص للذين يدعون باسمه لأن:

+ «كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص.» (أع٢: ٢١)
+ «وادْعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني.» (مز٥٠: ١٥)
+ «يأتي إلهنا ولا يصمت.» (مز٥٠: ٣)
+ «وهوذا الرب قد جاء في ربوات قديسيه.» (يه ١٤)
+ «أنا آتي سريعاً.» (رؤ٢٢: ٢٠)

أما المواضع التي يقتبس منها بولس الرسول في هذه الآية، فهي من إشعياء النبي وحَبَقُّوق النبي، وقد استخلص منها ما أراد أن يشجع به هؤلاء العبرانيين وهم في محنتهم. فالأصل هو ما جاء أولاً في إشعياء، والمناسبة هي أثناء حصار الكلدانيين، جاءت التعزية لإسرائيل هكذا: «هلم يا شعبي ادخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك. اختبىء **نحو لحيظة** μικρὸν ὅσον ὅσον (السبعينية) حتى يعبر الغضب.» (إش٢٦: ٢٠)

وهكذا لمع في ذهن بولس الرسول هذا التعبير البديع وهو أن الضيق لن يطول أكثر من لحيظة، فاقتبس الألفاظ والتعبير من إشعياء النبي (٢٦: ٢٠)، ثم جمع إليها ما جاء في حبقُّوق النبي ما يتناسب مع سرعة مجيء الرب، وأنه لا يُبطىء، ولكن لابد من ضرورة الإيمان الساهر المنتظر.

+ «فأجابني الرب وقال، اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح، لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تشرق ولا تكون باطلة: إن توانى انتظره لأن **الآتي يأتي** ἐρχόμενος ἥξει **ولا يُبطىء** χρονίσῃ.» (حب٢: ٢و٣ حسب السبعينية)

وبعدها يضيف بولس الرسول ما جاء في بقية آية حبقُّوق النبي هكذا:

١٠: ٣٨ «أمَّا البارُّ فبالإيمانِ يحيا وإن آرتدَّ لا تُسرُّ به نَفسي».

أما الجزء الأول من الآية فجاء بنصه في آية حبقوق النبي المذكورة أعلاه التي تأتي في العبري هكذا: «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخَّر ... والبار بإيمانه يحيا.» (حب ٢: ٣و٤)

أما الجزء الثاني من الآية: «وإن ارتد لا تُسرُّ به نفسي»، فيستبعد كثير من العلماء وأيضاً القديس ذهبي الفم أن يرتد البار، لذلك خرجوا عن النص ونسبوا الارتداد لأي إنسان عامة، فجاءت عندهم: «أما البار فبالإيمان يحيا، والذي يرتد لا تُسرُّ به نفسي». وهكذا أنهوا على هذا الإشكال. ولكن يقف العلماء المدقِّقون موقفاً آخر، إذ يقرأون الآية على النص العبري ثم يعودون إلى شرح هذه الآية في النصوص العبرية في التلمود وغيره ويدخلون في إشكالات أخرى لا قِبَل لنا بها.

لذلك نحن نأخذ بالنص الذي أورده بولس الرسول في هذه الرسالة بالذات أن البار إنما رأس ماله هو الإيمان، وبهذا الإيمان يحيا، ولكن إن ارتد عن الإيمان فلن ينقذه برُّه بل سيفوز بعدم رضا الله: «لا تُسرُّ به نفسي». وهذا هو ما يطابق حال هؤلاء العبرانيين الذين يميلون نحو الارتداد؛ بل وأيضاً هذا ما يعود بولس الرسول يبني عليه في الآية القادمة لكي ينفيه عنهم بنوع من التشجيع.

١٠: ٣٩ «وأمَّا نحن فلسنا من الارتدادِ للهلاكِ بل من الإيمانِ لاقتناءِ النفسِ».

هنا يرفع بولس الرسول سامعيه إلى مستواه من الإيمان بنوع من التشجيع، نافياً عنهم كما عن نفسه أي ارتداد عن الإيمان. والملاحظ في استخدام ق. بولس وانتقائه للألفاظ أنه انتقى كلمة «الهلاك» ἀπώλειαν التي تقف في معناها عكس «الخلاص» σωτηρία، التي تعني بدورها «اقتناء النفس» περιποίησιν ψυχῆς، وهو ما شرحه القديس لوقا كوعد الرب: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩). وهكذا تنكشف كلمة «الارتداد» لتعني هلاك النفس فعلاً.

وهكذا فالذي يقتني الخلاص يقتني النفس: «لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء περιποίησιν الخلاص بربنا يسوع المسيح» (١تس٥: ٩). ومن التناسق البديع بين هذه الألفاظ، نستطيع أن نحكم على أي مستوى بلاغي وروحي بل ولاهوتي تقف هذه الرسالة وسط أسفار العهد الجديد. غير أن ترجمتها إلى اللغة العربية تحتاج إلى مراجعة.

الأصحاح الحادي عشر
جوقة من أبطال الإيمان
وانتصارات للإيمان تهز القلوب

١ — ١١: ١—٣ : تعريف الإيمان.
٢ — ١١: ٤—٧ : لوحة شرف تتلألأ بنجوم الإيمان.
٣ — ١١: ٨—٢٢ : إيمان البطاركة الأولين.
٤ — ١١: ٢٣—٣١ : الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير.
٥ — ١١: ٣٢—٤٠ : الإيمان في بكور قيام إسرائيل.

[إن كان الإنسان قد سقط من دائرة الوجود مع الله وتغرَّب عن وطنه السعيد في أرض شقائه، إلاَّ أنه ظل مرتبطاً بذلك الوجود الأسمى غير المنظور، يهيج في قلبه حنين العودة إليه. وكان الله يغذي هذا الشعور النبيل بوعوده الصادقة! فتربَّت في قرارة نفسه أحاسيس الإيمان، الإيمان بما يتمناه والإيمان بصدق الله. ومن هنا جاء تعريف الإيمان].

الكاتب

لقد أحكم ق. بولس تخطيطه للأصحاح الحادي عشر والأصحاح الثاني عشر، وذلك في نهاية الأصحاح العاشر، حينما حثَّهم أولاً على **الجهاد** بالصبر والثقة. وحينما أرسى قواعد الجهاد والثقة على **الإيمان**، فقد خطَّط للأصحاح الثاني عشر بقوله: «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٥و٣٦). فإذا قرأنا استهلاله للأصحاح الثاني عشر، ندرك هذا التخطيط المُحكم، فهو يكمِّل هذا الكلام هكذا: «لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب١٢: ١)، ويكمل الأصحاح بتعاليم جديدة ومشجِّعة على الجهاد والمثابرة والمثل الأعلى لذلك.

ولكن لا يمكن الجهاد ولا يمكن الصبر والمثابرة بدون إيمان، لذلك التزم أن يقدِّم أصحاحه الحادي عشر كله عن الإيمان، معطياً نماذج من أبطال الإيمان على كل مستوياته. وهو في ذلك جاء مكمِّلاً للخط الذي وضعه في نهاية الأصحاح العاشر بقوله: «أمَّا البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تُسرُّ به نفسي» (عب١٠: ٣٨)، ويستطرد القول في الأصحاح الحادي عشر: «وأمَّا الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (عب١١: ١)، ثم يعطي خمسة وعشرين نموذجاً للإيمان، كل واحد منها يتجه اتجاهه الخاص ليكمِّل دائرة الإيمان في كل العهد القديم.

وبذلك يتضح أمامنا مقدار الترابط الفكري والعملي بين الأصحاحات العاشر والحادي عشر والثاني عشر، مما يؤكد لنا أن الرسالة إلى العبرانيين تتميَّز عن كافة الرسائل بمنهجها المدروس جيداً والمرتَّب في الفكر قبل البدء بالكتابة. ثم ينكشف مقدار الإلهام فيها لبناء هذه النفوس الضعيفة التي انحصرت بين عنف الاضطهاد الواقع عليهم وإهمال الكنيسة في توعيتهم ورعايتهم.

تعريف الإيمان: [١١: ١ــ٣].

١:١١ «وأمّا الإيمانُ فهو الثِّقَةُ بِمَا يُرجى، والإيقانُ بأمورٍ لا تُرى».

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى»:

منذ بدأ الإنسان يدب على الأرض، ظل شعورياً ولاشعورياً يرجو العودة إلى الله! ونحن نسمع صراخ النفس البشرية المتغربة على الأرض وهي تنطق بذلك حينما يواتيها وحي الروح: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك» (مز١١٦: ٧). وأيوب ينظر وينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر بقوله: «أما أنا فقد علمت أن وليِّي حيٌّ والآخِر على الأرض يقوم (دلالة على أزلية وأبدية الله)، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله، الذي أراه أنا لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر، إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي» (أي١٩: ٢٥ــ٢٧). وهكذا منذ أن ذاق الإنسان الشقاء على الأرض وألَمَّت به المصائب والضيقات، التي وعى جيداً أنها كانت كلها ثمناً لعصيانه وجزاءً وفاقاً لإثمه وخطاياه، منذ أول تغرُّبه عمَّن أحبَّه وخلقه، وهو يحلم بالعودة كلما عزَّ عليه انتظارها. وفي حلمه وفي انتظاره بدأ الإيمان كل يوم يتربى عنده، ومع الإيمان الثقة أنه عائد حتماً. وهكذا ومن هذا الاختبار الحي، **التحم الإيمان بالثقة**، خاصة عندما أعطى الله وعده بذلك، «وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى». لذلك نقول، عن واقع وخبرة وثقة، إن منشأ الإيمان عند الإنسان أفرزته حاجته الشديدة إلى الله عندما تيتَّم في البعد عنه وألمَّت به الضوائق، وزاد وتثبَّت عندما انعكست هذه الضوائق على أحلام العودة، التي ظلَّت باهتة إلى أن أنارها المسيح بقيامته.

«والإيقان بأمورٍ لا تُرى»:

أما الأمور التي لا تُرى فهي أمجاد السموات، التي ظلَّت مخفية عن الإنسان، بعيدة عنه، لا يرقى إليها حتى ولا في أحلامه، إلى أن بدأ الله بالإعلان عنها على فم أنبيائه وقديسيه، ثم باستعلانها على فم المسيح ورسله وتلاميذه. وبالرغم من ذلك بقيت **«لا تُرى»**: «ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه» (١كو٢: ٩و١٠). وبقي إعلان الروح كما هو لا تراه عين، ولكن لأن الله أعلنه ليكون لنا فقد أصبح حتماً في مرمى الإيمان! وهكذا فإن كل الأمور التي أصبحت لنا بالرغم من أنها لا تُرى دخلت اليقين الإيماني، وهذه هي عظمة الإيمان وكفاءته التي تفوق كل المدركات والمحسوسات.

وإن شئت أيها القارىء العزيز أن تعلم ما هو الذي يقع تحت اليقين، فاعلم أن كل ما هو منظور ومحسوس لا يدخل قط تحت دائرة اليقين لأن كل منظور متغيِّر، وكل متغيِّر زائل، وكل زائل

هو في حكم الخيال. فالعالم المادي كله خيالات وأقنعة مهتزة ليست حقائق ولا جواهر، فالحقيقة والجوهر يبقيان فقط في كيف أتت إلى الوجود وعند الذي أوجدها، فكل منظور يحوي جوهراً غير منظور، وجوهره هو ما يربطه بالله الذي به وُجِد وبه يبقى وإليه ينتهي.

لهذا، فالحق الذي ينطوي عليه الإنسان، وهو الجوهر الذي يربطه بالله، هو روحه الذي من الله، وهو الذي استؤمن وحده أن يعرف الله وكل أمور الله: «ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف (به) الأشياء الموهوبة لنا من الله» (١كو٢: ١٢). لهذا حينما يصير الإيمان إيماناً بالروح، فإنه حتماً يبلغ اليقين من جهة أمور الله التي لا تُرى. لذلك فإن ق. بولس يعرِّف الإيمان بكل ثقة أنه عند الروحيين هو «الإيقان بأمور لا تُرى».

والآن ندرك القصد العظيم والمبارك الذي يقصده بولس الرسول من تعريف الإيمان هكذا، وذلك على مسامع هؤلاء العبرانيين الذين يودُّون الارتداد إلى اليهودية.

فهو إنما يتخطى ما تمكَّن في ضمائرهم السقيمة، من التفكير في العودة إلى اليهودية بهيكلها ووطنها وأنسابها وآبائها وترابها وأترابها، ليربطهم بوطنهم السمائي الذي خرجوا منه وهم حتماً إليه عائدون، وإلى أمور السماء الموعودة التي هي وحدها باقية لهم بقاء اليقين. وهو إذ يُعرِّف الإيمان هكذا كما عرَّفناه، إنما يداعب أفكارهم ويُوقظ حنينهم ويستنهض إيمانهم، ليربطه بما هو حق وبما هو جدير أن يرتبطوا به. والقديس بولس يقدِّم هذا التعريف ليبني عليه الأمثلة التي أدركت حقيقة الإيمان وأدركت بإيمانها رضا الله وبركاته، بالرغم مما واجههم من صعاب بل وما جازوه من آلام وتعذيب وهُزْء وموت، لكي يذكِّر هؤلاء العبرانيين المترددين أن ليسوا هم وحدهم الذين أُعطي لهم أن يجوزوا الضيقات، وحتى تُلهب هذه الأمثلة البطولية فيهم شعلة الإيمان والشهادة. والكلام كله لنا أكثر مما لهم!!

٢:١١ «فإنه في هذا شُهِدَ للقدماء».

هنا بدأ بولس الرسول التطبيق بقوله ما معناه: أنه على أساس تعريف الإيمان الذي قلناه، قدَّم الآباء الأقدمون حياتهم وأعمالهم فحازوا على رضا الله، بمعنى أنهم وثقوا بما ترجُوه من الله من جهة الحياة القادمة معه، وتيقَّنوا من كل الأمور التي وعد أن يعطيها، مع أنهم لم يروها، وهذا واضح من القول بعد ذلك:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد (بالإيمان) **نظروها وصدَّقوها وحيُّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... ولكن الآن يبتغون وطناً**

أفضل أي سماوياً، لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعدّ لهم مدينة.» (عب١١: ١٣و١٦)

وعلى القارىء أن ينتبه، لأن في اعترافهم أنهم غرباء ما يكفي ليثبت أنهم لم يتمسّكوا بأمور هذه الدنيا وكأنها غريبة عنهم وهم غرباء فيها، وفي قولهم نزلاء أي بمعنى ضيوف الله، فإن كانوا قد أُقصوا من الحياة مع الله في الفردوس وذلك في شخص آدم، فهم وإن كانوا مطرودين على الأرض، إلاّ أنهم لا يزالون يحسبون أنفسهم نزلاء عنده حتى وفي أرض الشقاء. إنها بلاغة التعبير عن الواقع المر، حينما يرفعه الإنسان إلى حالة الشكر بل والمدح لله.

كذلك فإن شدة عزوفهم عن الأرض أن تكون لهم وطناً، أُخذت لحسابهم، وكأنهم يتمسكون تمسكاً أشد بوطنهم السمائي. إنها روعة الارتفاع بالمسكنة والذلة لتضاهي في أعينهم الملكوت المعدّ: «حوّلي عني عينيكِ فإنهما قد غلبتاني» (نش٦: ٥). لقد غُلب الله من تحننه، فأعلن أنه لا يستحي والأمر كذلك أن يُدعى إلههم فأعدّ لهم مدينة وإن كان قبل الأوان.

٣:١١ «بالإيمانِ نفهمُ أن العالمِينَ أُتقِنت بكلمةِ الله حتى لم يتكوّن ما يُرى مما هو ظاهرٌ».

إنها فلسفة الخلق التي حيّرت فلاسفة كل زمان وعصر! ومتى كان من الظاهر يُخلق الظاهر؟ أو مِنْ الذي يُرى يُخلق ما يُرى؟ وكل ظاهر وكل ما يُرى هو خداع الرؤيا وهو أقنعة وخيالات. الله هو الذي خلق والله لم يره أحد قط، وبكلمته خلق العالمين فلبست أشكالها وألوانها وحركاتها، وبكلمة هي عتيدة أن تخلع ما لبست ولا يبقى منها إلاّ ما استمدته من الله ليبقى إلى الأبد!

الإنسان وحده هو الذي يدرك الزائل من الخليقة والباقي لها، لأنه يحمل الزائل في كيانه ويحمل الباقي ويدرك كيف يزول الزائل وكيف يبقى الباقي.

وبولس الرسول إذ يرتفع إلى هذه الحقيقة كالأساس، إنما يفتح ذهن هؤلاء العبرانيين ليدركوا أن كل ما يُشغلهم زائل، فالوطن والهيكل والأمجاد التي ورثوها وكل ما صنعته يدُ الإنسان زائل، وكل ما يتكوّن مما هو ظاهر سيزول ويحول، ولن يبقى إلاّ من استطاع أن يخلع الزائل ويلبس عدم الزوال ويتحوّل فيه الفاسد إلى عدم فساد والموت إلى حياة.

وبولس الرسول ينبّه أنه بالإيمان وحده نفهم هذا، وهي بديهيّة عند الذين تيقّنوا من جهة الأمور التي لا تُرى.

لوحة شرف تتلألأ بنجوم الإيمان: [١١ : ٤ ــ ٧].

٤:١١ **«بالإيمانِ قدَّمَ هابيلُ لله ذبيحةً أفضلَ من قايينَ. فبِهِ شُهِدَ له أنه بارٌّ، إذ شَهِدَ الله لقرابينِهِ. وبه وإن مات يتكلَّمُ بَعْدُ».**

هنا يبتدىء بولس الرسول يقدِّم عيِّنات من الإيمان مُعطياً كل عينة صفتها التي زكَّتها أمام الله. فإيمان هابيل هو أول إيمان نسمع عنه بعد خروج آدم من لدن الله. فهذه أول بادرة تبدر من الإنسان لتكشف أن علاقة الإنسان بالله بعد خروجه من الفردوس لا تزال تحمل الحنين للعودة والحب من نحو الله، عبَّر عنها هابيل بتقديم ذبيحة استرضاء لوجه الله، كنوع من تقديم الشكر والعبادة وطلب التذكرة أمام الله. ذلك في نفس الوقت الذي قدَّم فيه أخوه قايين تقدمته من ثمار الأرض ورُفضت، وطبعاً كان سر قبول ذبيحة هابيل هو إيمانه الذي كان يربطه بالله وكانت تزكية أعماله «ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه، ولماذا ذبحه، لأن أعماله كانت شريرة **وأعمال أخيه بارة**» (١يو٣: ١٢). والرب يعطي لدم هابيل المذبوح صفة «البِرّ»: «لكي يأتي عليكم كل **دم زكي (بار)** αἷμα δίκαιον سُفك على الأرض من دم **هابيل الصِّدِّيق** إلى دم زكريا بن بَرَخِيَّا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (مت٢٣: ٣٥). وهكذا يسمي الرب **هابيل بالصِّدِّيق** δικαίου أي البار ودمه أيضاً **«دم بار»**. هابيل لمَّا مات ذهب إلى السماء ليتكلَّم مع الله، وقايين بقي مقتولاً على الأرض!!

قول بولس الرسول: «بالإيمان قدَّم هابيل لله ذبيحة **أفضل** (أو أعظم) πλείονα θυσίαν من قايين». فهنا الأفضلية كانت تسندها أعمال وحياة بارة: «**وأعمال أخيه بارة**» (١يو٣: ١٢)؛ أما الحياة البارة فتظهر من وصف الرب لدم هابيل بأنه «بار»، لأن الدم يحمل الحياة، في عُرف العهد القديم. بل وتكملة الآية تشير أن دم البار يتكلَّم أمام الله: «وإن مات يتكلَّم بعد»، «صوت دم أخيك صارخ إليَّ من الأرض.» (تك٤: ١٠)

وبولس الرسول يتمسَّك بشهادة الرب لهابيل التي استقاها من قبول الرب لقرابينه إذ نظر إلى قلبه الذي تطهَّر بالإيمان. وطبعاً كل هذا كان يعود إلى أن هابيل قدَّم قرابينه **«بالإيمان»**، وإيمان هابيل كان يسنده أعماله البارة، وهذا بيت القصيد. فالقديس بولس يقدِّم عيِّنة من الإيمان هو أول إيمان من نوعه على الأرض كانت تسنده الأعمال البارة، فقُبل، وشهد له الله، وإنه وإن مات يتكلَّم ويُسمع صوته. وهذا سوف يستخدمه ق. بولس ليضم صوت هابيل من السماء المتكلِّم بالإيمان ــ كإنسان مقتول ظُلماً ــ مع سحابة الشهود التي تطلُّ علينا من السماء لتشجعنا،

وبالأولى أولئك المترددين والخائفين وضعاف الإيمان، ليتشجَّعوا في إيمانهم، ويركضوا صابرين في ميدان الجهاد الموضوع أمامهم.

١١ : ٥ «بالإيمانِ نُقِلَ أخنوخُ لكي لا يَرَى الموتَ ولم يُوجَدْ لأن اللهَ نَقَلَه، إذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ له بأنه قد أرضَى الله».

[كان يوجد إنسانٌ أسرَّ الله بعمله، والله أحبه وبينما هو وسط الخطاة يحيا، أسرع الله ونقله،
اختطفه الله لئلا يلوِّث الشرُّ فطنته أو يزيِّف الغشُّ نفسه،
لأن سحر الخُبث يطمس الصلاح، والشهوة المتنمِّرة تقلب براءة الفكر، وإذ تكمَّل في وقت قصير صار كأنه أكمل زمناً مديداً لأن نفسه كانت تُسِرُّ الرب.
لذلك أسرع وأخذه من وسط الشر. ولكن الناس رأوا ذلك وما فهموه ولا دخل هذا قلوبهم:
إن رحمة الله ونعمته هما دائماً لمختاريه وهو دائماً يلاحظ قديسيه.]

(سفر الحكمة من السبعينية ٤ : ١٠—١٥)

النموذج الثاني للإيمان، إيمان تعدَّى في قوته قوة الموت لأنه تساوى في قوته مع رضا الله وحبه. كان الموت قد استقر على كل بني آدم علامةً على غضب الله بسبب العصيان، ولكن وُجِد إنسان استطاع أن يبلغ من رضا الله وحبه ما هو كفيل أن يرفع الغضب، فرُفِع عنه حكم الموت، فما كان من الله بعد أن أكمل أخنوخ ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً أن نقله حيًّا إلى السماء، وطبعاً نقله من الفساد إلى عدم الفساد، لأن الفاسد لا يرث عدم الفساد. وهكذا ذاق القيامة فلم يَذُقْ الموت، وتمَّ فيه قول الرب: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو ١١ : ٤٠). أخنوخ آمن ورأى مجد الرب فلم يَرَ الموت.

نحن أُعطي لنا أن ننظر بالإيمان مجد الرب فنتغيَّر ونتغيَّر من مجد إلى مجد حتى نبلغ تلك الصورة عينها (٢ كو ٣ : ١٨)، ولكن لا نبلغها إلاَّ بعد أن يلبس الإنسان الجديد آخر تغييراته عندما يغيِّره الرب ليكون على صورة جسد مجده حسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء! ولكن أخنوخ أكمل بالإيمان رضا الله فأكمل له التغيير ونقله، بانتظار المسيح، ليكون على صورة جسد مجده.

بولس الرسول قدّم أخنوخ للعبرانيين ليشهد لهم من وسط السحابة عن إمكانية إرضاء الله ونحن وسط العالم الشرير، وذلك حينما يبلغ الإيمان حد الموت ويفوقه، فإيمان أخنوخ كان أقوى من الموت لأنه أحب الله وأرضاه، والمحبة كالإيمان أقوى من الموت.

٦:١١ **«ولكن بدُونِ إيمانٍ لا يُمكِنُ إرضاؤهُ لأنه يجبُ أن الذي يأتي إلى الله يؤمِنُ بأنه موجودٌ وأنه يُجازي الذين يطلبُونَهُ».**

سيّان إذا أخذنا الإيمان في معناه ومبناه أنه:
أ — الثقة بما يُرجى، ب — والإيقان بأمور لا تُرى.
الذي معناه كما رأينا: أ — الثقة بما نرجوه من جهة العودة إلى الله، ب — يقين انتظار أمور مواعيد الله الصادقة.

أو أن نأخذ بما جاء به ق. بولس وهو: أ — الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، ب — وأنه يجازي الذين يطلبونه.
فالمعنى واحد تماماً.

وعندنا مَثَلُ أخنوخ يشرح هذا بتطبيق إبداعي حقاً. فأخنوخ لمّا أرضى الله بإيمانه، نقله إلى السماء ليحيا مع الله. هذا معناه أن أخنوخ بلغ من الثقة بما يُرجى إلى أقصاه، فأعجب الله وأسرَّ نفسه فتمّم له رجاءه، وهو العودة إلى الله كجزاء مباشر لما كان يطلبه ويشتهيه. ومعروف أننا إذا كنا نرجو العودة إلى الله فهذا معناه أو أساسه أن الله موجود!

وإن كنا نرجو العودة إلى الله فهذا أيضاً معناه أننا نؤمن، فننتظر مواعيده. وانتظار تحقيق مواعيد الله معناه أننا نؤمن أن الله يجازي حقاً الذين يطلبونه.

وهذا نسمعه من بولس الرسول نفسه حينما بلغ عنده الإيمان بالله والمسيح أقصاه، إذ قال: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١:٢٣). هذا هو بعينه: «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى». ولكن وإن كان الله لم يأخذ ق. بولس إليه فلأنه: «ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم» (في ١:٢٤). علماً بأن الله أخذه بالروح فعلاً فرأى كل الأمور التي لا تُرى. وهذا معناه أن ق. بولس اشتهى أن يرى ما لا يُرى فتمَّ فيه القول أنه يجازي الذين يطلبونه.

ومن هذا، سواء في أخنوخ أو في ق. بولس، يتبرهن لهؤلاء العبرانيين ولنا أن الله موجود حقاً

وأنه يجازي الذين يطلبونه. فإن وقف أخنوخ في سحابة الشهود جنباً إلى جنب مع ق. بولس فذلك تنبيهاً لهم ولنا لكي يبلغ الإيمان عندهم وعندنا إلى حد اليقين بوجود الله والثقة أنه يجازي الذين يطلبونه. لأن بدون أن يبلغ الإيمان حد اليقين وحد الثقة بالله ومجازاته، فلن نأتي إلى الله يوماً ولن نراه.

وقول ق. بولس: «يأتي إلى الله»، يعني به الاقتراب إليه هنا بالصلاة والوجود في حضرته، وهناك للحياة معه إلى الأبد.

وهنا جيد أن نعود إلى قول النبي عزاريا بن عوديد لآسا الملك ولكل الشعب:

+ «اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين (أسباط اليهودية)، الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم.» (٢أي١٥: ١و٢)

٧:١١ «بالإيمان نُوحٌ لما أُوحِيَ إليه عن أمورٍ لم تُرَ بَعْدُ خافَ، فبنى فُلْكاً لخلاصِ بيتِهِ، فبه دانَ العالَمَ وصار وارثاً للبرِّ الذي حَسَبَ الإيمانِ».

[الإيمان يتطلب نفساً كريمة وقوية تستطيع أن تعلو فوق أمور الحواس وتتجاوز ضعفات تقديرات الإنسان، لأنه من الصعب أن يصير الإنسان مؤمناً دون أن يرتفع فوق عادات الناس.]

القديس يوحنا ذهبي الفم على عب١١: ٣و٤.

نوح يستحق فعلاً أن يكون نموذجاً عظيماً للإيمان، ويستحق أيضاً أن يكون وارثاً للبر الذي بالإيمان. لأن الظروف التي آمن فيها وتيقن من جهة الأمور التي لا تُرى، تجعله فريداً في كل جيله.

فالرب نفسه يصف هذه الظروف الصعبة والخطرة والمفاجئة هكذا:

+ «وكما كان في أيام نوح — كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان — كانوا يأكلون ويشربون ويزوِّجون ويتزوَّجون، إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع.» (لو١٧: ٢٦و٢٧)

وهكذا بإيمان هذا البار نجا العالم من الفناء الكلي.

مؤهلات نوح:

«كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله» (تك٦:٩)،
«وسار نوح مع الله» (تك٦:٩)،
«ولكن أقيم عهدي معك» (تك٦:١٨)،
«لأني إياك رأيت باراً لديَّ في هذا الجيل» (تك٧:١)،
«ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب.» (تك٧:٥)

وهكذا، وكأن نوحاً وهو لم يدرِ، كان يُعدُّ نفسه لنجاة العالم. فبإيمانه وبرِّه أمام الله أخذ مسئولية بقاء الحياة على الأرض ونجاة بذرة آدم من الهلاك. وهكذا ورث البر الذي حسب الإيمان، لأن إطاعة نوح للوحي الإلهي الذي التقطته روحه، وفي مخافة الرجل البار، نفَّذ في الحال الأمر الصادر له فكان هذا أعظم تعبير عن الإيمان. الإيمان بوجود الله، والإيمان بالأمور التي لا تُرى التي وعد الله أن تكون، وهي أمطار الطوفان العتيدة أن تُهلك كل حي. لهذا أصبح نوح علامة إيمان بارزة في تاريخ العالم، وصار الفلك الذي صنعه هو شهادة إيمان له أمام العالم كله.

ولو عرفنا أن نوحاً هو أول إنسان في التاريخ نال من الله شهادة منطوقة لبرِّه: «لأني إياك رأيت باراً لديَّ في هذا الجيل» (تك٧:١)، فإن كان إبراهيم حُسب إيمانه برًّا له، فنوح نال البر شهادة لحياته مع الله: «وسار نوح مع الله» (تك٦:٩). ولأنه أطاع وصنع الفلك كما أمره الله، أضاف على البر الذي له بالإيمان بر الطاعة، وهكذا صار وارثاً عن استحقاق للبر الذي حسب الإيمان.

وبولس الرسول يقدِّمه ليتصدَّر سحابة شهود الإيمان كصاحب فضل على كل جسد ذي نسمة حياة، لأن بفلك نوح أو بالحري بإيمانه حُفظت حياة الإنسان على الأرض ومن نسله صار العالم.

أمَّا الذين لم ينصاعوا لإيمان نوح فقد هلكوا جميعاً، وفي يوم الدين سيقف ليدينهم بإيمانه بل ويدين كل إنسان استهان بوعود الله.

ويعتبره بطرس الرسول وهو عائم بفلكه في وسط هلاك الطوفان كمن يكرز بالبر للعالم: «حفظ نوحاً ثامناً كارزاً بالبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفُجَّار» (٢بط٢:٥). كما يرى فلكه يشبه الكنيسة وسط طوفان خطايا العالم، تُخلِّص مَنْ يلتجيء إليها وفيها: «الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن أي المعمودية.» (١بط٣:٢١)

إيمان البطاركة الأولين: [١١:٨—٢٢].

٨:١١ «بالإيمانِ إبراهيمُ لمّا دُعِيَ أطاعَ أن يَخرُجَ إلى المكانِ الذي كان عتيداً أن يأخُذَهُ ميراثاً، فخرَجَ وهو لا يَعلَمُ إلى أين يأتي».

[إبراهيم العظيم أبو جميع الأمم ولم يوجد شبيه له في الكرامة.
الذي حفظ شريعة العلي وصارت معه بعهد، في جسده ثبّت العهد (الختان) وفي التجربة وُجد أميناً، لذلك أقسم له أن يتبارك الأمم بزرعه وأن يزداد كرمل البحر، يرفع ذريته كالنجوم ويورّثهم من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض].
(يشوع بن سيراخ ٤٤ :١٩—٢١)

[مدفوعاً بصوت الوحي الإلهي لدعوة الخروج تاركاً أرض وطنه وعشيرته وأهل بيته ليذهب إلى أرض أخرى، أسرع باشتياق ليتمّم ذلك واضعاً في قلبه أن الإسراع في تنفيذ الوصية هو حسن كحُسن تمام تنفيذها، وفي الحقيقة نراه وهو مسرع نحو الأرض الغريبة كأنه عائد إلى وطنه من أرض غربة، لا متغرّباً عن وطنه].
فيلو الفيلسوف اليهودي: «تأملات على خروج إبراهيم»، ٦٨ (*).

[إن هذا شهادة إيمان للنفس حينما تضع ثقتها في الله كاشفة عن عظمة وعمق الإيمان لا على أساس ما سيتم من حقائق، بل على أساس قوة ترقّب ما هو آتٍ بثبات. لأن النفس حينما تعتمد تماماً على الرجاء الصالح معتبرة الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة بلا شك، بسبب الثقة بالله الذي وعد، فإن مكافأتها العظمى هي «بركة الإيمان» كما قيل في النهاية «فآمن إبراهيم بالله»].
فيلو: «تأملات على خروج إبراهيم»، ٤٣.
Philo: Migration of Abrah. 43f.

هنا يُبرز بولس الرسول نقطة ارتكاز كبرى في سحابة الشهود يمثلها إبراهيم صاحب المواعيد العظمى والثمينة، والتي انجلت عن ظهور ابن الله على أرض الإنسان من نسل ذلك البار، ليصنع خلاصاً في الأرض كلها ويجمع العالم في حضنه، ويقدّم الإنسان خليقة جديدة أمام الآب مقدّسة وبلا لوم.

(*) Philo, *The Migration of Abraham*, 68.

دُعي فأطاع، وخرج من وسط بيته وعشيرته ليسير إلى حيث لا يعلم(١) إلى «أمور لا تُرى».
وهكذا قدّم إبراهيم نموذج الإيمان الكامل للإنسان المسيحي الذي إذ يسمع ويقبل دعوة الله ويؤمن بابن الله، ليخرج متغرّباً لا عن أهله وعشيرته فقط بل وأيضاً عن العالم كله طالباً ما فوق، الأمور التي وعد الله بها ولا تزال مخفية، المكان الذي أعدّه له المسيح بنفسه ليأخذه ميراثاً شريكاً مع المسيح في كل ما له عند أبيه.

ولكن ليس في كل الأمثلة السابقة مَنْ حرّك قلب الله مثل إبراهيم بإيمانه الفذّ، الذي آمن بمَنْ يُحيي من الموت، وبرهن على إيمانه بتقديم ابنه الوحيد الذي قَبِلَ به وفيه المواعيد. قدّمه ذبيحة دون أن يهتز، لم ينظر إلى أمام ولا نظر إلى خلف بل نظر إلى فوق، لمَنْ أحبّه أكثر من وحيده، ولمّا نوى وأقدم على الذبح أُمسك بأمر الله، وسَمِعت أذناه قَسَم الله بذاته أن بإيمانه هذا قد صار بركة لكل ممالك الأرض وشعوبها. وتثبّت الوعد وتم العهد لمّا انجلت الدهور وظهر المسيح من نسل إبراهيم رئيساً للإيمان ومكمّله، ورأساً للكنيسة شعب الله قديسي العلي من كل لسان وشعب وأمة.

بولس الرسول يصوِّب نظره نحو: «**لمّا دُعي أطاع**»، وإلى «خرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي». وبهاتين الكلمتين يكون قد شكّل منهج الخلاص للذين يطلبون الخلاص.

فهو وإن كان يكلّم العبرانيين أصلاً فالكلام لنا طبعاً، لأن الروح إنما يشير دائماً إلى كل مَنْ يسمع ويقرأ!!

أنت دُعيت فما بقي إلاّ الطاعة! فخُذ لك من إبراهيم مثالاً كيف تربط الإيمان بالطاعة.

وأنت خرجت يوم تعمّدت لترث المكان الذي لأجلك أُعدّ، فلا تعُدْ تسأل سؤال توما: «يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» يقول لك الرب «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي!» (يو١٤: ٥و٦) هذا هو السير بالإيمان لا بالعيان! (راجع ٢كو٥: ٧).

وكأن الرب يقول لك: إن ارتبكت وأشكل عليك الأمر، إن خُفت وتضايقت واشتد بك الهول، إن تُهت واختفى عنك الطريق وغلبك اليأس، فاصرخ بهذه الكلمة الواحدة: «**يا يسوع**»، تجد أمامك الطريق حالاً والباب المفتوح واليد العليا خلفك وأمامك. هذا هو مجد الإيمان!!

---

(١) ليلاحظ القارئ أن إبراهيم أطاع دعوة الخروج من وطنه ومن وسط عشيرته وأسرته وسار بالفعل إلى أرض غريبة وهو لا يعلم إلى أين يذهب. وهذا معناه أنه لم يكن قد أخذ الوعد بأن هذه الأرض الغريبة عينها سيأخذها ميراثاً. وهذا يجعل طاعة إبراهيم وخروجه أمراً مذهلاً (وهذا سنوضحه في الآية القادمة).

٩:١١ «بالإيمانِ تغرَّبَ في أرضِ المَوْعِدِ كأنها غريبةٌ سَاكِناً في خِيامٍ مع إسحقَ ويعقوبَ الوارثَيْن معه لهذا الموعِدِ عَيْنِهِ».

تكملة التعبير عن نوع الإيمان العجيب الذي بدأ به إبراهيم عهد المسيَّا القادم.

إيمانه إيمان الترك لأعزّ ما يملك: الوطن والعشيرة والأهل!
إيمان تسليم النفس بلا قيد ولا شرط للذي سيقود في الطريق المجهول! وإلى المكان المجهول!
بلا وعد ولا عهد مقدَّماً، ولكن طاعة بلا سؤال ولا استفسار!
فتمَّم إبراهيم نص تعريف الإيمان، الإيمان بأمور لا تُرى بسبب الثقة بما يُرجى!
ولو أنه لم يكن يرجو شيئاً إلاَّ وجه الله الذي دعا.
لأن المستقبل كان عنده في أمان لأن الله قال!
وبهذا الإيمان وبطوله وعرضه وعمقه دُعي إبراهيم: «أبا الإيمان».
ولكن جاء المسيح ليكون رئيس الإيمان ومكمِّله!
والآن يعود بولس الرسول لينبِّه:

«بالإيمان تغرَّب في أرض الموعد»: πίστει παρῴκησεν

رداً على «بالإيمان دُعي» في الآية (٨).
كانت إجابة إبراهيم أنه «بالإيمان تغرَّب» في الآية (٩).

«تغرَّب»: παρῴκησεν

هذه الكلمة محمولة على روح الإيمان، لأنها كان ينبغي أن تعني أصلاً «أقام» في أرض الغربة، لأنه فعلاً ضرب خيامه وعاش سنيناً طويلة، بل عمره كله. ولكنه، كما يقول فيلو الفيلسوف اليهودي: [تغرَّب بروحه وإن أقام بجسده، لأن حبه السماوي (ἔρως οὐράνιον) أنقص من شهوته للأمور الزائلة](٢).

وكلمة «تغرَّب» باليونانية لها قصة على مدى التاريخ الترحالي للآباء، فقد جاءت في الآية:

+ «هل أنت متغرِّب παροικεῖς وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام» (لو٢٤: ١٨)،
+ كما جاءت: «وتكلَّم الله هكذا أن يكون نسله متغرِّباً πάροικον في أرض غريبة

2. Philo, *On Abraham*, p. 66.

فيستعبدوه ويسيئوا إليه أربع مئة سنة» (أع٧: ٦)،

+ وأيضاً: «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل ... لأنه قال كنت نزيلاً πάροικος في أرض غريبة» (خر٢: ٢٢)،

+ وأيضاً: «أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء πάροικους ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس.» (١بط٢: ١١)

ولقد دخل هذا الاصطلاح في لغة الآباء والكنيسة وجميع المتصوفين للتعبير عن إقامة بالجسد وتغرُّب بالروح في كل مكان نحلُّ فيه. وبحسب البحث اللغوي فإن هذه الكلمة παροικία = «باروِيكيا» دخلت كما هي بنطقها اليوناني في كل لغة لتعني المنطقة السكنية التي يرعاها الكاهن كمكان إقامة في الغربة. فهي بالفرنسية paroisse، وبالإنجليزية Parish[3] وذلك تيمُّناً بحياة الآباء البطاركة الأولين في حياتهم التي اعتبروها غربة على الأرض. ويُلاحظ أن كل أسقف له أبروشية أي منطقة يرعى المتغربين فيها لحساب الله، كغريب في وسطهم.

ويقول بولس الرسول إن إقامتهم في أرض الموعد لم يعتبروها للفسحة والمسرَّة كأصحاب أرض بأمر الله، فيتعالوا على أهلها، ويناصبوهم العداء، ولكنهم عاشوا فيها كأنها غريبة عنهم وكأنهم غرباء عنها رغم وعد الله الوطيد، وأعطى الدليل على ذلك أنهم ظلوا سكان خيام يقيمونها ويطوونها ويرتحلون من مكان إلى مكان، وكل مكان يحلُّون فيه هو غربة لهم وإن طال! فلا دوام في الغربة بل صبر وشكر على الدوام، وانتظار العودة إلى الوطن السعيد.

وق. بولس يقصد من ذلك أن **إبراهيم تقبَّل الوعد من الله بالإيمان ليعيشه بالإيمان وكأنه قد كمل وتم،** في حين أنه ظل في قرارة حياته غريباً في أرض امتلاكه، لم يمتلك فيها إلَّا مقدار قبر في مغارة المكفيلة قرب حَبْرون، طلبها من أصحاب الأرض ودفع ثمنها عن اضطرار ليدفن ميِّته، وميِّته كانت سارة أُمنا العزيزة. هكذا لم يطلب راحة في غربته ولا متعة ولا امتلاكاً، إذ اعتبر وعد الله هو راحته وغناه.

وبقوله هذا يُقنع هؤلاء العبرانيين المتضجرين في إقامتهم أن نعيم الإقامة ونعيم الحياة هو على الوعد وفي الوعد يقوم، وليس على العيان وراحة الجسد، فليس لنا هنا مدينة راحة، ولا متعة جسد، ولكننا نطلب العتيدة، ولا وطن لنا ولا إقامة، فسيرتنا هي في السموات، ولابد أن تنتهي غربتنا ونمضي إلى موطننا.

3. Bruce, *op. cit.*, p. 297.

١٠:١١ **«لأنه كان ينتظرُ المدينةَ التي لها الأساساتُ التي صانِعُها وبارِئُها الله».**

الذي نال من الله وعداً ممتداً عبر الدهور ليشمل الأمم والشعوب وبركة تفيض من إيمانه لتحل على رؤوس أولاد وأحفاد وأسباط وملوك وأنبياء إلى آخر الأجيال، كيف لا يكون بالجسد أو خارج الجسد، الله يعلم، طارت روحه وعلت وحلَّقت في السموات لترى أورشليم السماوية مزيَّنة بأساساتها، واسمه منقوشاً مع أسماء أحفاده على جدرانها وأبوابها؟ شيء واحد اقتنع به إبراهيم وهو أن نصيبه أكثر من أرض وأكبر من مدينة، فلقد سمعها من الله فملأت قلبه ووجدانه «أجْرُكَ كثير جداً» (تك١٥: ١)!! وحينما يقول الله «كثير»، فكثير الله لا تسعه أرض، وإن كان «جداً» فلن تسعه السموات!! فالله كان منتهى رجاه!!

كان ينظر إلى دائرة الأردن بخضرتها وغاباتها وجمالها فتصغر في عينيه، إزاء الوعد والبركة والبر الذي انسكب عليه من فم الله. كان يعبر على المدن، فيطلُّ على أسوارها وأبوابها وأساساتها ويمتد ببصره إلى طولها وعرضها وارتفاعها، وحالاً تغيب عن ناظرَيْه ليرى بروحه مختبر وعد الله شيئاً أكمل وأجمل، فالذي تصنعه يد الإنسان ليس كما تصنعه يد الله، فهذه تزول وتلك تدوم وتبقى:

+ «أساسه في الجبال المقدَّسة، الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب، قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله! سلاه ... ومُغَنُّون كعازفين كلُّ السكان فيك.» (مز٨٧: ١—٣و٧)
+ «وأما أورشليم العُليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرَّة.» (غل٤: ٢٦)
+ «وذهب بي الروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلةً من السماء من عند الله، لها مجد الله.» (رؤ٢١: ١٠و١١)

وهكذا يكشف بولس الرسول سر تصميم إبراهيم على حياة الغربة في أرض موعده التي صارت له وملكه بأمر الله، مفضِّلاً خيمة يطويها ويحملها ليضرب في الأرض دون إقامة، يقول ق. بولس، لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات أي التي لها الدوام لأن صانعها الله.

١١:١١ **«بالإيمانِ سارةُ نفسُها أيضاً أخذت قدرةً على إنشاءِ نسلٍ، وبعد وقتِ السنِّ وَلَدت، إذ حَسِبَت الذي وَعَدَ صادِقاً».**

العلماء وقفوا حيارى في شرح هذه الآية وقدَّموا اعتراضاتهم، لأن سارة ضحكت لمَّا سمعت خبر حملها لوليد، وأيضاً خافت عندما راجعها الرب، وأيضاً أنكرت خوفها، كل هذا وضعوه في

صف عدم إيمانها. ولكن ما بالهم في إنكار زكريا واستنكار العذراء القديسة مريم بل واعتراض إبراهيم نفسه. هل كل هذه الانفعالات تنفي إيمانهم بما سمعوه؟ الحقيقة أن الانفعالات الأولى لا تُحسب للإنسان، ولكن الذي يُحسب هو ما استقر في أحشائه، فلولا استعداد السماع لكلمة الله ما سمعوها، ولولا إيمانهم بنفاذ قول الله لما نفذت الكلمة في أحشائهم وعملت عملها، ولولا استعدادهم للشكر والتمجيد ما نطقوه. فبرهان إيمان إبراهيم هو إسحق، وبرهان إيمان سارة هو بعينه برهان إيمان إبراهيم، إذ كيف يؤمن الرجل ولا تؤمن المرأة، ثم يخرج جنين؟

في اعتقادنا أن انفعالات جميع هؤلاء القديسين والقديسات الأماجد، إن بالاعتراض أو السؤال أو الاستفسار أو حتى الضحك، ما هو إلاَّ انفعال تصديق من فرط المفاجأة السارة التي أخرجتهم عن اتزان السمع واتزان الإجابة أو الاستجابة، أليست هذه الانفعالات هي بنفسها التي تخرج من أفواهنا حينما نسمع خبراً ساراً شديد المفاجأة بسبب شدة المفارقة فنقول: «غير معقول»!! فهل مثل هذا الانفعال يُحسب إنكاراً أو استنكاراً أو نفياً أو عدم تصديق؟ أليس هو عينه التصديق كل التصديق الذي يعني [هذا فوق المعقول!!] وما هو الإيمان؟ هل هو المعقول؟ أليس من صميم تعريف الإيمان هو الثقة بما يُرجى ويضيف بولس الرسول: وكيف نرجو ما ننظره؟ أو كيف نرجو ما نعقله؟ فلولا تفوُّق الله وأعمال الله كلها عن العقل والمعقول، ما حُسب قبولها إيماناً أو تصديقاً أو رجاءً.

وقول الآية: «بالإيمان سارة **نفسها**»، هنا رجعة سريعة ذكية من ق. بولس على القارىء والسامع الذي لأول وهلة سيردُّ: باستثناء سارة بحسب مظهر قبولها للخبر وسرد روايتها المثيرة التي جاءت في مكانها في التوراة، فكلمة «**نفسها**» يعني بها ق. بولس: وسارة التي استنكرت بحسب الظاهر، هي نفسها بحسب الحقيقة قَبلت وحبلت بالإيمان. وقد عبَّرت سارة عن هذا حتى بعد ميلاد إسحق بقولها: «وقالت سارة قد صنع إليَّ الله ضحكاً كل مَنْ يسمع يضحك لي.» (تك ٢١ :٦)

ثم ومن أين ومتى وكيف أخذت سارة «"**قدرة**" **على إنشاء نسل**»؟ أليس من ذات الكلمة، أول كلمة سمعتها من فم الرب التي نفذت إلى أحشائها وأحيت مواتها كالكلمة عينها التي خرجت من فم الرب للعازر الميت فارتجَّت أعضاؤه في القبر وقام حيًا؟ فالقوة التي حركت أحشاءها هي التي حركت فمها بالضحك، بل هي التي أحيت رجاءها وثبَّتت إيمانها وسرت فيها إلى كل أولادها وعبرت كل الدهور، حتى استقرت في أحشاء البتول فكان المسيًا! تسعة شهور بتمامها والجنين ينمو ويتحرَّك في أحشائها وسارة تضحك بل تبكي، بل تسبِّح القدرة الإلهية التي

سكنت مواتها وأعادتها فتاة تحمل وترضّع من صدرها، فمن ذا يكون له إيمان كما كان لهذه العجوز التي لا يضارعها في معجزتها إلاّ عذراؤنا البتول.

١١ : ١٢ «لذلك وُلِد أيضاً من واحدٍ وذلك من مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجومِ السماءِ في الكثرةِ وكالرَّملِ الذي على شاطئِ البحرِ الذي لا يُعَدُّ».

يشرحها العالم وستكوت باختصار كالآتي:

[وهكذا فإن الذي وُلد منها من إبراهيم وهذا كان أيضاً قد صار مماتاً في الجسد]، ويستطرد: [فإن كانت سارة قد فنيت فأيضاً إبراهيم الذي اتحدت بجسده (من واحد)، إلاّ أن فعل إيمانها إذ كمَّل فعل إيمان إبراهيم صار سبباً في تكميل الوعد].

واضح أن تركيب الجملة في غاية التعقيد ولكن براعة هذا العالم أثبتت كل كلمة وكل حرف من واقع الأسفار أنها تؤدّي معناها تماماً إنما في اختصار شديد.

والقصد من الآية واضح، أن اتفاق سارة مع إبراهيم في حياة طويلة قاربت القرن من الزمان أنشأ بينهما «وحدة» قلب وفكر ورجاء من جهة عطية الله لنوال نسل، فإن كانت السنين قد قست جداً على رجائهما حتى كاد يضمحل مع جسديهما، ولكن وحدة خشيتهما لله مع وحدة حبهما لبعض مهّدا للوعد مكاناً في أحشائهما لقبول النسل الذي عليه رجاء الشعوب.

وكأن وعد الله لا يرتاح إلاّ في المستحيل لدى الإنسان!
والحياة الجديدة لا تجد لها مكاناً إلاّ في اضمحلال العتيقة!
والرجاء المبارك لا يتكلّل إلاّ في إيمان يتحدى السنين!
وابن الشيخوخة يحمل البشرى لبدء انفتاح أزمنة الخلاص!
والزمن مهما طال وتراكمت سنينه، فالوعد حتماً يتم في أوانه!

السمة المميزة لإيمان البطاركة الأولين: (١١: ١٣ــ ١٦).

١١ : ١٣ «في الإيمانِ ماتَ هؤلاءِ أجمعونَ، وهم لم ينالوا المَواعيدَ، بل من بعيدٍ نَظَرُوها وصَدَّقُوها وحَيَّوْها وأقرُّوا بأنهم غُرَباءُ ونُزَلاءُ على الأرضِ».

[أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني مِلْك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي] (تك٢٣: ٤).

يلزمنا أن نأخذ فكرة واضحة عن إيمان إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهؤلاء مع زوجاتهم وأولادهم عاشوا بالإيمان كل حياتهم. لأننا نعلم أن إبراهيم أباهم خرج من وطنه وتغرّب في أرض كنعان مع أنها أُعطيت له بوعد، ولكنه لم ينتفع بها بشيء لا هو ولا إسحق ولا يعقوب وأولاده، بل عاشوا فيها غرباء كل أيامهم، فكانوا على رجاء الوعد يعيشون ويشجّعون أولادهم. فكان موقفهم من الله في منتهى الأمانة، يتحمّلون الأتعاب والضيقات من أهل البلاد دون أن يتململوا واثقين من وعد الله أن أولادهم سيرثونها ولو بعد زمن. هذا هو مضمون هذه الآية.

«ماتوا في الإيمان»: κατὰ πίστιν ἀπέθανον

وباللاتيني (فولجاتا) = Juxta fidem.

والأصح بحسب اللغة اليونانية: «ماتوا حسب الإيمان»، أي في حدود الإيمان الصحيح بالله ووعده، وهم مستودون به. فالإيمان كان قاعدة حياتهم ومنهج تصرفهم إزاء كل الصعاب حتى الموت. لقد قَبِلوا الموت وهم ماسكون بغير المنظور بوثوق يفوق المنظور، فوعد الله كان قد صار رجاءهم، إنْ في الحياة أو في الموت سيَّان. لذلك لما ماتوا، كانوا كأنهم ذاهبون إلى وطنهم الحقيقي أو بيت آمالهم التي عاشوا عليها والتي لم تحققها لهم السنين على أرض غربتهم!

«أجمعون»: οὗτοι πάντες

هنا الجمع لا يشمل كل الذرّية بل الآباء البطاركة وحدهم الذين أخذوا الوعد وتكرر لهم من فم الله: إبراهيم وإسحق ويعقوب.

«لم ينالوا المواعيد»:

واضح أن المواعيد أُعطيت لإبراهيم وتكررت لإسحق ويعقوب فيما يخص امتلاك أرض كنعان، وليس مجرد امتلاك أرض، بل الدخول رسمياً في عهد الله وعبادته وأن يكون الله نفسه ملكاً عليهم، وهم أمة مقدّسة وشعب اقتناء وكهنوت لا يماثله كهنوت في العالم كله. كل هذا سمعوا عنه سَمْعَ الأذن.

«من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها»:

هذا تدرُّج طبيعي، النظر ثم التصديق ثم الفرح من بعيد. وهذه كلها استقوها من واقع الأرض التي عاشوا عليها فعلاً، ولكن عاشوا فيها غرباء بانتظار التحقيق. ولكن بولس الرسول يرمي إلى الرؤيا الروحية، فهؤلاء الآباء القديسون كانت أرواحهم عالية فعلاً لم تقتنع أبداً بأن المواعيد ستكون مجرد أرض ولبن وعسل، بل راحة سماوية لأرواحهم التي ارتبطت بالله وأصبحت لا

يُشبعها ولا يرويها إلاَّ أموره غير المنظورة.

«وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض»:

هذه حقيقة مَنْ استوطن الله وارتبطت روحه بمواعيده. فإنه يستحيل أن يقتنع بعد ذلك بتراب الأرض ومجد الأرضيات ومباهج العالم. وقد قالها بولس الرسول بوضوح في موضع آخر: «فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونُسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢كو٥: ٦—٨)

فسمة إيمان هؤلاء البطاركة العظام كانت كلمة واحدة عجيبة، أنهم عاشوا وماتوا غرباء ونزلاء على الأرض. هذه الميزة رفعت من قيمة إيمانهم وأخلاقهم وسلوكهم أمام الله والتاريخ. اسمع أهل البلاد، بني حَثّ، وهم يخاطبون إبراهيم وهو يتذلل إليهم أن يبيعوه من الأرض مقدار قبر ليدفن ميته، لتعلم مدى الكرامة والاحترام والتعظيم الذي كان يحظى به إبراهيم في عيون أصحاب الأرض: «اسمعنا يا سيدي، أنت رئيس من الله بيننا، في أفضل قبورنا ادفن ميتك ...» (تك٢٣: ٦)

وهذا عكس بني إسرائيل بعد ذلك الذين ملكوا واستوطنوا الأرض وفقدوا روح الإيمان المتواضع هذا المتكل على الله والمسالم بين الناس. لذلك يُحتسب إيمان هؤلاء الآباء البطاركة الأولين نوعاً فريداً نحاول نحن المسيحيين أن نحاكيه باعتبار أننا غرباء بالفعل على هذه الأرض كلها وفي العالم وأنَّ نظرنا متجه كليةً إلى فوق، حيث الوطن الحقيقي، إلى أن تنتهي غُربتنا ونمضي إلى الوطن السعيد، بل وهكذا كانت روح داود النبي: «استمع صلاتي يا رب واصغ إلى صراخي، لا تسكت عن دموعي، لأني أنا غريب عندك، نزيل مثل جميع آبائي.» (مز٣٩: ١٢)

والكلام يوجهه القديس بولس أصلاً إلى العبرانيين لكي يوقظ فيهم هذه القيم العظمى لإيمان آبائهم البطاركة الأولين، الذين وهم أصحاب الأرض بالحق الإلهي عاشوا فيها غرباء معوزين، ولكن شاكرين فرحين، وكل رجائهم كان في الله. فهم (أي العبرانيون) الآن قد أُعطوا مواعيد المسيح بالميراث السماوي فكيف يرتدُّون ليطلبوا وطناً على الأرض وميراثاً في التراب.

أعدَّ لهم مدينة: (١١: ١٤—١٦).

١١: ١٤—١٦ **«فإنَّ الذينَ يقولونَ مِثلَ هذا يُظهِرُونَ أنهم يَطلُبونَ وَطَناً، فلو ذَكَروا ذلكَ الذي خَرَجُوا منه لكانَ لهم فرصةٌ للرجوعِ، ولكنِ الآنَ يَبتغُونَ وطناً أفضلَ أي سماوياً، لذلكَ لا يَستَحي بهم اللهُ أنْ يُدعَى إلهَهُم لأنه أعدَّ لهم مَدينةً».**

«فإن الذين يقولون مثل هذا»:

ماذا قالوا؟

قال إبراهيم لبني حث أصحاب الأرض: «أنا **غريب، ونزيل** عندكم أعطوني ملك قبر ...» (تك٢٣: ٤)

+ «فدعى إسحق يعقوب وباركه ... ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض **غربتك** التي أعطاها الله لإبراهيم.» (تك٢٨: ١و٤)
+ «فقال يعقوب لفرعون أيام سني **غربتي** مئة وثلثون سنة، قليلة ورديّة كانت أيام سني حياتي، ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام **غربتهم**.» (تك٤٧: ٩)

واضح أنها لم تكن كلمات تُقال، بل عقيدة كانوا يعيشونها راضين بغربتهم منتهى الرضى. ولكن الذي يقول أنا غريب، هو بالتالي يطلب وطناً.

معروف أنَّ أور الكلدانيين كانت مدينة وطن لإبراهيم ونسله إسحق ويعقوب التي نزحوا منها، فإن قالوا إنَّا غرباء في كنعان، فقد كان سهلاً عليهم أن يعودوا إلى وطنهم في أور. فإذ لم ينظروا قط إلى أور ولا فكَّروا في الرجعة إليها، فقطعاً كان قلبهم ملتهباً بوطن آخر أفضل بلا شك. لقد ارتبطت روحهم بوعد الله، فارتضوا أن يعيشوا غرباء كل حياتهم في سبيل أن يكون الله قد أعدَّ لهم مدينة يستوطنونها مع الله أبداً.

ما أعجب هؤلاء الآباء السوَّاح حقاً الذين ما كانت كنعان مستحقة لموطىء أقدامهم، بل بسبب عظمة غربتهم التي عاشوها في كنف الله أُعطيت كنعان لنسلهم!!

هؤلاء هم مراكز أنوار مرشدة في سحابة الشهود، يستحثُّون هؤلاء العبرانيين بل يستحثُّوننا أن نذوق مجد الغربة لنُحسب أهلاً للمدينة التي أعدَّها الله.

والآن، نفهم لماذا كان الله يكرّر ويكرّر كل مرة: «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب». وإنه لأمر يُذهل العقل أن ينسب الله نفسه لإنسان. ولماذا لا؟ وقد أعدَّ بنفسه لهم مدينة ليكونوا بقربه ويفوزوا بحبه: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به»!! (يو١٧: ٢٦)، «فإني أُكرِمُ الذين يكرمونني.» (١صم٢: ٣٠)

[قال الراعي: أنتم يا خدّام الله تعلمون أنكم تعيشون الآن في أرض غريبة، لأن "المدينة" بعيدة عن أرضكم،
فإن كنتم تعلمون أنكم ستستوطنون المدينة التي لكم،
فلماذا تقتنون هنا حقولاً وأشياء غالية وأبنية ليست بذات قيمة، إن الذي يرتبك بهذه لا يستطيع أن يعود إلى المدينة المعدّة له.] (هرماس الراعي ــ المثل الأول).

نماذج حيّة من إيمان الآباء البطاركة الأولين: (١١: ١٧ــ ٢٢).

١١: ١٧و١٨ «بالإيمان قدَّم إبراهيمُ إسحقَ وهو مُجرَّب. قدَّمَ الذي قَبِلَ المواعيدَ وحيدَهُ، الذي قِيلَ له إنه بإسحقَ يُدْعَى لكَ نَسْلٌ».

هنا الكلمات في الترجمة العربية تحتاج إلى بعض التعديل: «بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرَّب. وحيده، الذي فيه قَبِلَ المواعيد، استعد لتقديمه!»

«قدّم ... وهو مجرَّب ... قدّم»:

«قدّم» الأولى تأتي باليونانية προσενήνοχεν تفيد التقديم النهائي بالنية والإرادة.

«قدّم» الثانية تأتي باليونانية προσέφερεν تفيد رفع الذبيحة على المذبح بالفعل ولكن لم يتم الذبح.

والقصد من الفعلين باليونانية يصوِّر بالفعل حالة **التجربة** تصويراً صعباً مؤلماً وخطيراً. ففي الكلمة الأولى «بروس انينكن» التي تفيد تكميل نيّة التقديم النهائي، تقع عملية تقييد إسحق **«وربط إسحق ابنه»** (تك٢٢: ٩). هنا يتركز أخطر ما في العملية كلها، حتى أصبح «ربط» إسحق يتضمن منهجاً فكرياً ولاهوتياً ضخماً في العبادة اليهودية وبالتالي في الفكر الفدائي الخلاصي المسيحي. فـ «ربط إسحق» باللغة العبرية يجيء aqad yishak = (عقد يسحاق). وكلمة «عقد» بالعبرية قريبة من الكلمة العربية «قيّده» أو «عقده»، أي أنهى ربطه بإحكام.

وإليك تصوير هذا الربط في العبادة اليهودية الذي يجري في طقوس السنة الجديدة، يجري القول:

[اذكر حالنا يا رب إلهنا، العهد وحُبَّك الرحيم والقَسَم الذي أقسمته لإبراهيم أبينا على جبل المُريَّا. وليت «القيد» الذي «قيَّد» به إبراهيم إسحق ابنه على المذبح يظهر أمامك كيف تحمَّل وأمسك حنان أحشائه لكي يكمِّل مشيئتك بقلب كامل][٤].

كذلك يجيء في صلاة ربَّا اللاويين Leviticus Rabba (٢٩ : ٨):
[إن كان بنو إسحق ساروا بتذمُّر وأعمال شريرة، فاذكر «القيد» الذي تم لأبيهم إسحق، ليتك تترك عرش عدلك وقضائك وتجلس على عرش الرحمة][٥].

وهكذا صار «تقييد» إسحق يعادل مفهوم **«الاستشهاد الفدائي»** في العبادة اليهودية. وقد انتقل هذا التصوير الفدائي إلى اللاهوت المسيحي ليطبِّق على المسيح الابن المحبوب المربوط على الصليب. اسمع بولس الرسول كيف يصوِّره باتقان: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨ : ٣٢). غير أن الربط هنا انتهى إلى الذبح!!

وفي إنجيل ق. يوحنا يمزج المسيح بين منظر ربط إسحق ثم فكِّه وبين منظر صلب المسيح ثم نصرة قيامته، كعملية واحدة أُعطي لإبراهيم أن يراها بالرؤيا العقلية أي الروحية المباشرة حالما فكَّ إبراهيم ابنه ونال الفدية: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو ٨ : ٥٦)[٦]، أي رأى القيامة.

كذلك نرى في قول إبراهيم لإسحق: «الله يرى له الحمل للمحرقة يا ابني» (تك ٢٢ : ٨) تصويباً نبوياً مباشراً يتجه نحو فدية المسيح الابن الوحيد المحبوب محرقة الدهور. وحينما نادى إسحق أباه وهو حامل الحطب وكأنه قد شعر بالمأساة المروِّعة معقودة عليه وحده، «وكلَّم إسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي» (تك ٢٢ : ٧)، وهو ضامر في قلبه السؤال: كيف تُسلِّمني للذبح؟ هو هو نفس السؤال المأساوي المُرعب الذي فاه به المسيح مخاطباً أباه أيضاً: «إلهي إلهي لماذا تركتني» !! (مت ٢٧ : ٤٦)

وفي المفهوم الإنجيلي تُعتبر هذه الكلمة «قدَّم» = προσενήνοχεν التي هي بالمفهوم العملي

---

4. Bruce, *op. cit.*, p. 309.
5. Ibid.
6. Ibid., p. 310.

الذبائحي «ربط» وبالعبري aqad، عملاً كاملاً تاماً في مفهوم تقديم الذبيحة ويستشهد بذلك يعقوب الرسول: «ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدَّم ἀνενέγκας إسحق ابنه على المذبح؟» (يع٢: ٢١). ويكمِّل: «فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أُكمل الإيمان، وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برًّا ودُعي خليل الله.» (يع٢: ٢٢و٢٣)

ولكن رداً على هذا يلزم تصحيح الواقعة لأن احتساب إيمان إبراهيم برًّا هو سابق بسنوات كثيرة لتقديم إبراهيم ابنه ليكون ذبيحة، ولكن تقديم إسحق أظهر كيف أن إيمان إبراهيم كان أساساً في إعطاء الله للموعد (تك١٥: ٥)(٧).

كما أن تسمية إبراهيم بـ «خليل الله»، لم تأتِ في سفر التكوين ولكن في إشعياء (٤١: ٦) وفي سفر أخبار الأيام الثاني (٢٠: ٧).

ولكن تعليق القديس يعقوب الرسول صادق ومتمشٍّ مع فكر الرسالة إلى العبرانيين، لأن تقديم إسحق كان تصديقاً عملياً لإيمانه بل وكان ضمن دائرة اختبار الله أيضاً لإيمانه.

وبالعودة إلى «ربط» إسحق وتجارب الله لإبراهيم، يجمع الطقس اليهودي عشر تجارب جرَّب الله بها إبراهيم، وكان «ربط» إسحق آخرها وأعظمها(٨)، وهي تُتلى كلها في طقوس اليوم الثاني في خدمة السنة الجديدة. ويقول كتاب اليوبيل ــ عندهم ــ في (١٧: ١٦): [إن الله أقدم على طلب تقديم إسحق ذبيحة بسبب تحدِّي الشيطان كما كان في تجارب أيوب].

ويقول يشوع بن سيراخ: «عندما جُرِّب إبراهيم وُجِدَ أميناً (مؤمناً)» (يشوع بن سيراخ ٤٤: ٢٠)، أما كتاب سفر الحكمة فيقول: «إن الحكمة حفظته قوياً في تجربة الشفقة على ابنه.» (حك١٠: ٥)

أمَّا فيلو العلاَّمة اليهودي فيقول في ذلك: [بعامل حبه لله تسيَّد باقتدار على نفسه وغلب مشاعر اللحم والدم وتغاضى عن الأسماء (إسحق الابن الوحيد)](٩).

أمَّا في سفر المكابيين الرابع، فتقول أم «السبعة الشهداء» لأولادها مشجِّعة إياهم بمَثَل إبراهيم لكي يحفظوا إيمانهم بالله في وجه التهديد بالموت: «أبونا إبراهيم أسرع بتقديم ابنه إسحق

7. Ibid.

8. *Pirqê Aboth* 5:4.8 *Pirqê de Rabbi Eliezer* 26-30.

9. Philo, *op. cit.*, p. 167f.

ذبيحة وهو رأس أسلافنا وأمتنا ولم ينثنِ ولا غُلب من الخوف من منظر يد الأبوة وهي تهوي بالسكين على ابنه.» (١٦: ٢٠، ١٨: ١١)

«وهو مجرَّب»: πειραζόμενος

الكلمة في معناها العام تفيد قسوة وعمق التجربة وهي تأتي بمعنى **«المحنة»** كما جاءت في أصل الرواية: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله "امتحن" إبراهيم» (تك٢٢: ١)، أي أدخله في محنة حقيقية! ويصوِّرها بولس الرسول في موضع سابق من جهة تجربة المسيح: «لأنه فيما هو قد تألَّم مجرَّباً πειρασθείς يقدر أن يعين المجرَّبين.» (عب٢: ١٨)

وفي التركيب اللغوي للجملة نجد أن تصريف فعل «وهو "مجرَّب"» مع «قدَّم»: «قدَّم ابنه وهو مجرَّب»، يفيد أن طاعة إبراهيم بتقديم ابنه ملازم لفعل «مجرَّب» وكأنه بمجرَّد أن سمع نفَّذ!!

يعقوب الرسول يستخرج لنا من ذلك وصية: «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال **إكليل الحياة** الذي **وعد به الرب** للذين يحبونه.» (يع١: ١٢)

ويصف ابن سيراخ تجربة إبراهيم هكذا: «لقد أقام العهد في لحمه (الختان) ولمَّا امتحنه وُجِد أميناً.» (يشوع بن سيراخ ٤٤: ٢٠)

«قدَّم الذي قَبِلَ المواعيد وحيده»:

التركيز هنا قائم على أن التجربة أصابت إبراهيم في الابن الوحيد **الذي فيه وحده قَبِلَ** إبراهيم المواعيد. هنا استثنى إسماعيل وغيره لأن إسحق وحده هو الذي قيلت فيه المواعيد:

+ «خُذ ابنك وحيدك الذي تُحبُّه إسحق واذهب إلى أرض المُريَّا وأصعِدْه هناك محرقة ...» (تك٢٢: ٢)

ويلزمنا العودة إلى النص كما جاء في سفر التكوين لنعلم أن العهد الذي أبرمه الله، وإن كان قد أبرمه مع إبراهيم، ولكنه أبرمه **في إسحق**: «فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق **وأُقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده.»** (تك١٧: ١٩)

«وحيده»: τὸν μονογενῆ

على النسخة السبعينية تُقرأ هكذا: «خُذ ابنك المحبوب τὸν ἀγαπητόν الذي أحببته ὃν ἠγάπησας»،

ولكن نسخة أكويلا تعطيه هكذا: «وحيدك» τὸν μονογενῆ أو τὸν μοναχόν ،

وأمّا نسخة سيماخوس فتعطيه τὸν μόνον σου وحيدك.

وقد جاء في إنجيل ق. لوقا (٧: ١٢) وصفاً لابن أرملة نايين: «ابن وحيد μονογενής».

وكذلك جاء وصفاً لابنة يايروس: «بنت وحيدة μονογενής» (لو٨: ٤٢).

وكذلك جاء وصفاً لابن يصرعه الشيطان: «... ابني فإنه وحيد لي μονογενής.» (لو٩: ٣٨).

كما جاء وصفاً للمسيح ابن الله في إنجيل ق. يوحنا (١: ١٨، ٣: ١٦).

أمّا الكيفية التي أقدم بها إبراهيم على تقديم ابنه وحيده الذي أخذ فيه وله المواعيد، محرقة، طاعة لأمر الله، فقد أثارت كثيراً من النقاش والجدل والأسئلة المحيّرة، منها: ماذا يعمل الله لو كان إبراهيم قد أقْدَم فعلاً وذبح إسحق؟

رداً على ذلك نقول إن الكتاب المقدّس يُظهر هنا أن الطاعة لأمر الله هي وحدها الكفيلة أن ترد على أية معارضة أو مضادة حاصلة، وهذا هو الذي ملأ قلب إبراهيم، إذ لابد أنه قال في نفسه: إن طاعتي لله سوف تنجلي عن حل لهذه المشكلة. وهذا هو الذي نأخذه نحن طول حياتنا بالنسبة لوصية الله، فطاعة الوصية تحمل قوتها وقوة تنفيذها، فأنا غير مسئول أبداً عن صعوبة الوصية أو ضخامتها أو حتى استحالتها، أنا عليَّ الطاعة والبدء، والوصية نفسها تنفّذ نفسها لأنه مكنون فيها نفس القوة التي عليها صيغت.

فكل وصية طرحها الله ويطرحها كل يوم، خاصة أو عامة، تحمل سر تنفيذها في طاعتها. وليس سراً نقوله إن كل وصية يطرحها الله علينا هي تجربة، هي امتحان على نفس مستوى امتحان الله لإبراهيم، فحالما نقبل نحن التنفيذ بالنيّة ونبدأ بالتنفيذ الفعلي تنجلي الوصية عن حلول لم تكن تخطر لنا على بال، وأهمها وأعظمها هي البركة التي سننالها حتماً. فالله لا يهمه عملية التنفيذ، كما لم يكن يهمه أبداً أن يذبح إبراهيم إسحق. ولكن الله ينتظر الطاعة أولاً بالنية ثم الطاعة ثانية بالتنفيذ. أما كيف يتم التنفيذ، فالله نفسه مسئول ــ إن جاز هذا التعبير ــ عن وصيته وعن تنفيذها. أما نحن فمسئولون حتماً وبكل تأكيد عن الطاعة بكل النية والإرادة.

وإن كنا سوف نسمع في بقية الرسالة أن بولس الرسول يقرّر أن إبراهيم كان يؤمن بأن الله قادر أن يُقيمه من الموت، وإن كان الوحي لم يُشِرْ في نص الرواية إلى مثل هذا، فهذا تقدير من ق. بولس، وهو تقدير صادق وحق، وقد طبّقه بعد ذلك على إيماننا ــ المساوي لإيمان إبراهيم ــ بمن أقام المسيح من الأموات (راجع رو٤: ١٧و٢٣و٢٤).

١١ : ١٩ «إذ حسب أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات أيضاً الذين منهم أخذه أيضاً في مثالٍ».

وإن كان النص في سفر التكوين لم يصرِّح بالحل بمثل هذا التصوير، ولكن هذا الفرض هو في الحقيقة حتمي. لأن الله قد وعده بأن بإسحق يُدعى له نسل، وأن الله سيصنع هذا العهد مع إسحق نفسه، ثم يقول لإبراهيم: قدِّم ابنك إسحق ذبيحة محرقة، ولم يتراجع الله حتى آخر لحظة التي فيها انهال إبراهيم بالسكين على رقبة الولد، فماذا كان يدور في فكر إبراهيم؟ إن الولد سيموت، ولكن لكي يكون الله صادقاً يلزم أن يقيمه من الموت. ولإبراهيم في ذلك تجربة في نفسه، فهو كان ميتاً وامرأته كانت كذلك من جهة إنجاب نسل. ولكن الله أحياه من مواته. ولم يكن هذا الفكر هو الذي انتهى إليه أخيراً ويده فوق الصبي بالسكين، ولكنه كان كذلك منذ أول التجربة، لأنه قال لعبديه: «فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأمَّا أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما» (تك ٢٢: ٥). إذاً، ففي قرارة نفس إبراهيم وفكره وإيمانه أن التجربة ستنتهي بحياة إسحق حتى ولو مات.

فلو تمعنَّا في سلوك إبراهيم، لوجدنا عنده قوة الإيمان بالله فائقة فوق حدود الحياة، أي تسمو عنده فوق قيمة الحياة. لأنه ظنَّ يؤمن بوعد الله أنه حتماً سينفِّذ كما وعد، وسينفِّذه الله في إسحق حتى ولو مات إسحق! هنا حياة إسحق أو موته لم تقف حائلاً دون إيمان إبراهيم بصدق الله وبوعده. وهنا يتبرهن صدق إيمان إبراهيم بالله، الأمر الذي حرَّك قلب الله وجعله يُقسم بذاته توكيداً لمنحه البركة إزاء توكيد إبراهيم لإيمانه بإصراره على ذبح ابنه طاعة وحباً وإيماناً بالله.

وبالنهاية، وبشيء من العمق وبشيء من تجاوز جفاف الكلام نقول، إن إبراهيم في الحقيقة هو الذي جرَّب الله!! وكأنه راهن بذبح ابنه على مصداقية الله، فكسب الرهان مع الله!! وخرج بابنه حياً وبالوعد الوطيد!

«الذين منهم أخذه أيضاً في مثالٍ»:

«**منهم**»: تأتي هنا ــ تقديراً ــ أن الله قادر أن يقيم **الناس** من الموت، أو أن الله قادر أن يقيم **الأموات**. والمعنى أن إبراهيم أخذ الصبي ونزل وكأنه أخذه من بين الأموات أو انتزعه من الموت، إذ كان قد اعتبر أن الصبي ميت ميت لا محالة بحسب إيمانه وتصميمه. ولكن الجديد عليه أن الله أوقفه في آخر لحظة، فكأنه فعلاً أقامه من الموت أو انتزعه له من الموت. فعودته بالصبي حيّاً صار في نظره كأنه مَثَل!! والحقيقة أنه فعلاً صار مثلاً وتطبق بالحرف الواحد، ولكن إلى النهاية في

قيامة الرب يسوع المسيح **من الأموات**.

ولكن إن شئت، أيها القارىء العزيز، أن نشرح هذا «**المثل**»، فهو أن إسحق قد **ذُبح فعلاً في «الحروف»**، فالمحرقة **تمّت!!** والمثل هنا واضح في المسيح. فالمقصود بالذبح أصلاً وفصلاً هو نحن، إذ أخطأنا حتماً وموتاً نموت، ولكن الله رأى له حَمَلاً من جنسنا مربوطاً، هذا ذبحه محرقة، **فذُبحنا نحن فيه**، ثم قام هو من الموت حيًّا لأنه كان ابنه، ونحن **أطلِقنا** أحراراً، وكأننا أخذنا من الموت في مثالٍ!!

٢٠:١١ «**بالإيمانِ إسحقُ باركَ يعقوبَ وعيسُو من جِهَةِ أمورٍ عَتِيدةٍ**».

وإن كانت الآية تبدو وكأنها لا تحمل شيئاً غريباً، ولكن البركة هنا خرجت معكوسة رغماً عن إرادة إسحق، لأن إسحق قصد أن تكون البركة للبكر وهو عيسو، الأول في التوأم، ولكن الذي حدث هو أن يعقوب سرق البركة من عيسو بالحيلة فاستقر الوعد على رأس يعقوب ونُحّي عيسو من سلسال الوعد! ولكن وإن كان يعقوب قد استخدم المكر والحيلة، ولكن ثبت أن الأمر كان بإرادة الله، إذ أن الوحي ذكر ذلك: «أحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو.» (ملاخي ١: ٢و٣)

هنا بركة إسحق تمثل أزمة وحرجاً في تنفيذ المشورة الإلهية، لأن وضع البركة للموعد كان يتحتم أن تكون للاثنين لأنهما توأم وُلدا معاً. ولكن يلزم الاختيار بينهما لأن النسل يتحتّم أن يكون من واحد منهما. وبحسب الرؤية البشرية، فإن عيسو تقدّم في الميلاد عن يعقوب، لذلك فهو الأحق. ولكن **بالإيمان** الصادق الساذج الفعّال نطق إسحق بالبركة على رأس يعقوب، فتمّت البركة، وتمّ سهم الموعد المبارك في مسار نسل يعقوب، مع أن المقصود بحسب الإرادة البشرية الواعية كان هو عيسو. هنا الإيمان انتصر على الإرادة البشرية. لذلك تُعتبر هذه الحادثة من أهم ما يمكن في فهم عناصر الإيمان الفعّالة بالنسبة لهؤلاء البطاركة العظام المختارين، حيث يُطلب «الإيمان» منهم خالياً من الحذق والمهارة والعوامل الذاتية التي قد تُزيّف الإيمان وتحرّف مساره، لذلك نسمع إسحق يعلّق على غش يعقوب واستخدامه الحيلة لسرقة البركة الخاصة بأخيه هكذا:

+ «فقال له إسحق أبوه مَنْ أنت؟ فقال أنا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً وقال: فمَنْ هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليَّ فأكلتُ من الكل قبل أن تجيء وباركته، **نعم ويكون مباركاً!**» (تك٢٧: ٣٢و٣٣)

واضح جداً إصرار إسحق على ما **نطق به بالإيمان**، فلم يغيّر كلمة واحدة من بركته احتراماً

منه لكلمات البركة **التي نطقها بالإيمان!!** من هذا نفهم أن الإيمان عند هؤلاء البطاركة كان لا يُنطق إلاَّ بما يوحي به الله. لذلك يقول الوحي: **«"بالإيمان" إسحق بارك»!!**

٢١:١١ **«بالإيمان يعقوبُ عِنْدَ موته بارَكَ كلَّ واحدٍ من ابْنَيْ يوسف وسَجَدَ على رأس عَصَاهُ».**

بركة يعقوب مثل سابقتها في بركة إسحق، **تُمثِّل** خطوة إلى الأمام في تنفيذ **الموعد!** لأن من رأس إلى رأس ومن بركة إلى بركة سيسير سهم النور حاملاً الموعد المبارك إلى أن يحطّ على مَنْ سيكون له خضوع كل الشعوب. ولكن الملاحظ هنا أن البركة أصبحت تشمل الأسرة أو العائلة أو السبط. ولكن بولس الرسول لا يميل في هذه الرسالة إلى كشف أكثر من الخطوة التي يقف عندها، والآن البركة الموجودة هي لحساب يوسف محبوب يعقوب ونذير إخوته المدعو له ببركة الآكام الدهرية! ولكن مُرسلة إلى وَلَدَيْه اللذين ولدهما في غيبة يعقوب، ولدهما في مصر من أسنات ابنة كاهن أون التي اختارها فرعون ليوسف.

وفي بركة يعقوب لولَدَيْ يوسف، ظهرت أيضاً حرية اختيار الله لمَنْ تحل عليه البركة، فمدَّ يعقوب يده اليُمنى ووضعها على رأس الأصغر! ولمَّا حاول يوسف إصلاح الخطأ منه يعقوب لأن الأمر صادر من الله! ولكن في سياق هذه البركة المعطاة ليوسف في ولديه لا يغيب عن البال أن يوسف أخذ موضع رأوبين البكر الذي نُحِّي من مسار الموعد المبارك، وكان ذلك عن قصد إلهي بسبب اختيار البار في العناية الإلهية.

ولو سمعنا منطوق البركة، لأدركنا أنها محاطة بهيبة ملائكية أو ربما ماسيانية: «وبارك يوسف وقال: الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق، الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، "الملاك" الذي خلَّصني من كل شر، يبارك الغلامين **وليُدْعَ عليهما اسمي واسم أبويَّ إبراهيم وإسحق.»** (تك٤٨: ١٥و١٦)

وفي بركة أفرايم الصغير قال: «ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ونسله يكون جمهوراً من الأمم» (تك٤٨: ١٩). ولكن واضح أن يعقوب بارك الولدين، وهكذا، وبحالة استثنائية نال يوسف بركة مضاعفة كميراثٍ مُضاعف الذي هو أصلاً للبكر.

ولكن يُلاحَظ أن البركة التي مُنحت لولَدَيْ يوسف، وهما بالميلاد مصريين وأُمهما مصرية صميمة ومن عائلة كهنة، يكون يوسف قد دخل كعنصر جديد وغريب على بني إسرائيل. وهذا

نسمعه من الوحي بفم داود هكذا: «اللهم في القدس طريقك، أيُّ إلهٍ عظيمٌ مثل الله، أنت الإلهُ الصانع العجائب. عرَّفت بين الشعوب قوتك، فككت بذراعك شعبك بني يعقوب **ويوسف.**» (مز٧٧: ١٣ــ١٥)

لذلك تدخَّل الله بصورة باهرة بالنبوَّة المُسْبَقة وعزل يوسف وأفرايم قبل الوقت المحدَّد، وأبرز يهوذا بصورة إعجازية مذهلة: «رفض خيمة يوسف ولم يختر سبط أفرايم، بل اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبَّه» (مز٧٨: ٦٧و٦٨). ومعروف أن المسيح الرب جاء من سبط يهوذا. وهكذا في الطريق يتدخَّل الله بعوامل التصفية والتنحية لِيُبْرِز ويختار مَنْ يختار **على دعائم البر.** فهنا نحَّى رأوبين، ونحَّى يوسف أيضاً، ونحَّى سبط أفرايم، واختار سبط يهوذا. ومعروف طبعاً أن مملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم وجبلها هو جبل صهيون، قد اقتسمها كل من سبط يهوذا ونصف سبط بنيامين.

والسؤال الذي يسأله العلماء وله طبعاً جذوره، هل أخفق سبط أفرايم بتأثير العنصر المصري الدخيل فيه؟ (١٠): واضح !!

«وسجد على رأس عصاه»: προσεκύνησεν ἐπὶ τὸ ἄκρον τῆς ῥάβδου αὐτοῦ

السجود هنا ليس إلى الأرض بل مجرَّد انحناء على رأس العصا، وذلك محسوب ليعقوب وهو قد قارب أن يموت وقد بلغ مائة وثلاثين سنة، أنه عملية عبادة وخشوع في حضرة الله.

وقد جاء في الفولجاتا بصريح العبارة adoravit أي «عابداً».

وفي الحقيقة إن سجود يعقوب على رأس عصاه لم يكن في وقت مباركة وَلَدَي يوسف؛ ولكن نعرف من نص سابق حينما ترجَّى يوسف ابنه أن ينقل عظامه من مصر إلى مكان أجساد آبائه في مغارة المكفيلة أنه قال: «لا تدفنِّي في مصر، بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفنني في مقبرتهم. فقال أنا أفعل بحسب قولك. فقال أحلف لي. فحلف له. فسجد إسرائيل على رأس السرير (عصاه).» (تك٤٧: ٢٩ــ٣١)

وواضح أن هذا النص مأخوذ من السبعينية، لأن النص من أكويلا ومن سيماخوس والماسوري جعلها «وسجد على رأس سريره» κεφαλὴν τῆς κλίνης αὐτοῦ . ولكن الأصح جداً على

10. Westcott, *op. cit.*, p. 369.

رأس عصاه τὸ ἄκρον τῆς ῥάβδου . لأنه يستحيل السجود على رأس السرير من جهة، ومن جهة أخرى، أنه مال وانحنى على رأس عصاه التي كان مسنوداً عليها.

والكلمة تُقرأ في العبرية mittah «ميطاه = سرير». ولكن «العصا» = matteh «ماطّيه». وأيضاً تُسمى «العصا» طقسياً shebet، وقد أخذتها اللغة القبطية منها، فهي في القبطي ϣⲃⲱⲧ و يستخدمها الرهبان الأُول بكثرة (فلان أخذ شبوطته وخرج). علماً بأن «العصاة» shebet تلعب دوراً هاماً في العبادة والطقس اليهوديين. «فالعصاة» في التقليد العبري مخلوقة قبل السبت(١١). وقد سلّمها الله لآدم وسُلّمت من يد أخنوخ إلى نوح إلى سام إلى إبراهيم إلى يعقوب إلى يوسف ثم إلى موسى الذي حفظها في التابوت، وهي محفوظة بانتظار المسيّا(١٢). ومعروف مدى سرّية وقوة عصا موسى المعجزية وعصا هارون التي أزهرت وأثمرت ووُضِعت في تابوت عهد الله. ومعروف في الطقس القبطي قيمة العصاة بالنسبة للرهبان الأوائل، فعصا القديس أنطونيوس معروف شكلها وكان لكل راهب من الشيوخ عصا، ربما يُعرف بها من أي دير هو. وهناك طقس تسليم عصا الرعاية لرئيس الأساقفة، ولعصا رئيس الأساقفة (البابا والبطريرك) شكل معيّن تعبّر عن قوة قهر الخطية بالحل والربط (الحيّة النحاسية). والعذراء القديسة مريم تُشبّه بعصا هارون التي أزهرت وأثمرت بدون سَقْي والمعنى واضح. أمّا التقليد اليهودي الذي وقف عند عصا موسى وظلّت العصا تنتظر المسيّا، فمعروف أن عصا المسيّا هي خشبة الصليب، العصا التي قهر بها الموت ورئيس الموت، وصار لكل مسيحي هذه العصاة ذات الفعل الإلهي الغالب.

١١ : ٢٢ «بالإيمانِ يوسفُ عند مَوتِه ذَكَرَ خُروجَ بني إسرائيلَ وأَوصَى من جِهةِ عظامِه».

[«أرسل أمامهم رجلاً، بيع يوسف عبداً. آذوا بالقيد رجليه، في الحديد دخلت نفسه، إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه، أرسل الملك فحلّه، أرسل سلطان الشعب فأطلقه، أقامه سيداً على بيته، ومُسلّطاً على كل ملكه، ... فجاء إسرائيل إلى مصر، ويعقوب تغرّب في أرض حام.» (مز١٠٥: ١٧ــ٢٣)

11. *Aboth* v.9. Cited by Westcott, p. 370.
12. Wetstein, *ad loc.*, cited by Westcott, p. 370.

«قضيب الاستقامة قضيب مُلْكِك» (مز٤٥: ٦).

«الحكمة لم تُهمل صدّيقاً باعوه، لكن نجّته من الخطية، نزلت معه إلى الجب، ولم تتركه في قيوده، فوّضت إليه قضيب المُلك، وسلّطته على الذين جاروا عليه، أظهرت كذب الذين لاموه ومنحته مجداً أبدياً.» (حك ١٠: ١٣و١٤)

«يوسف في ضيقه حفظ الوصية (الطهارة) فصار سيد مصر.» (١مك ٢: ٥٣)

«ورؤساء الآباء حسدوا يوسف وباعوه إلى مصر وكان الله معه، وأنقذه من جميع ضيقاته وأعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون ملك مصر، فأقامه مدبّراً على مصر وعلى كل بيته.»

إستفانوس الشهيد (أع ٧: ٩و١٠)]

لم يسلّم يوسف بركة آبائه لأولاده، فقد تخطّاه يعقوب واعتبر ابنَيْ يوسف سبطين مثل أسباط أولاده العشرة، ولكنه نظر إلى الموعد وهو يقترب، والذي يبدأ يومه الطويل من مصر، لهذا ركّز على خروجهم من مصر كيوم خلاص. وكآبائه ذكر موته وعظامه حتى تستريح في أرض الموعد:

+ «وقال يعقوب ليوسف، الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي: ها أنا أجعلك مثمراً وأكثّرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك مُلكاً أبدياً. والآن ابناك المولودان لك في أرض مصر قبلما أتيتُ إليك إلى مصر، هما لي: أفرايم ومنسى، كرأوبين وشمعون، يكونان لي.» (تك ٤٨: ٣—٥)

وكان موت يوسف هو المرحلة الثالثة في رحلة الموعد. فقد نطق بالنبوّة أن إقامتهم في مصر (بعد أن تكاثروا جداً وازدهروا للغاية في خير مصر وبركات نيلها وأرضها) لن تدوم، ولكن كان عليهم الرحيل حسب قول الله لإبراهيم بعد «أربعمائة سنة» (تك ١٥: ١٣). لأن شعب إسرائيل لم يكن له أن يستوطن في مصر. وهكذا لا الغنى والعز الذي لاقوه، ولا البؤس والشقاء الذي ذاقوه، أنساهم الوعد والحنين إلى أرض الميعاد لأنه أمر الله.

والمُلاحَظ من كلام يوسف أنه ظل وطنياً لبلاده التي أُخرج منها مُباعاً، فالإسرائيلي يعشق الحرية ولا ينسى وطنه، وموته لم يمنعه أن يطلب حق نصيبه في كنعان ولو لعظامه! فكان يرى المستقبل حاضراً أمامه:

+ «وصعد بنو إسرائيل متجهزين (حربياً) من أرض مصر وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه

كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً إن الله سيفتقدكم فتُصعدون عظامي من هنا معكم.» (خر:١٣: ١٨و١٩)

+ «وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور أبي شكيم بمائة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكاً.» (يش ٢٤: ٣٢)

«عند موته ذكر خروج بني إسرائيل»:

لم تجيء الكلمة اليونانية بمعنى «موته» ولكن «عندما اقتربت نهايته» τελευτῶν ، أمّا كلمة «الخروج» ἐξόδου فذُكرت هنا لأول مرّة لتصبح الكلمة التقليدية الدالة على الخلاص في التقليد اليهودي وانتقلت إلى التقليد المسيحي أولاً عن المسيح الرب: «وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه ἔξοδον الذي كان عتيداً أن يُكمّله في أورشليم» (لو٩: ٣٠و٣١). وبعد ذلك عن القديس بطرس في (٢بط١: ٥).

الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير: [١١:٢٣ــ ٣١].

وهكذا انتهت مرحلة الإيمان في ضوء الموعد من فوق قمم جبال الفجر البهيج، من إبراهيم إلى يوسف. ومن هنا يبدأ الإيمان يعاني عواصف عنيفة لم تستطع قط أن تزعزعه، فنور الوعد كان ينير الطريق أمام أعظم قائد حربي ظهر على الأرض موسى العظيم (١١:٢٣ــ ٢٨)، وعلى قلوب وفوق رؤوس عظماء من شعب إسرائيل (١١:٢٩ــ ٣١).

موسى قائد الخروج (١١:٢٣ــ ٢٨). صورة الفادي الجديرة بالاحترام:

[«وموسى كان أميناً في كل بيته **كخادم** شهادةً للعتيد أن يُتكلم به.» (عب٣:٥)
عن موسى قالت الحكمة:
«دخلت إلى نفس **خادم** الله (موسى) فقاوم ملوكاً مرهوبين بالجرائح والآيات.» (حك١٠:١٦)
«هذا أرسله الله رئيساً **وفادياً** بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة.» (أع٧:٣٥)]

فإن كان إبراهيم دُعي «أبو المؤمنين»؛ فموسى وإن لم يُدْعَ فهو بحق صورة لفادي الشعب.

١١:٢٣ «بالإيمانِ موسى بَعْدَ ما وُلِدَ أخفاهُ أبواهُ ثلاثة أشهرٍ لأنهما رأيا الصَّبيَّ جميلاً ولم يَخشَيا أمرَ الملك!».

هنا الإيمان إيمان أبويه، عمرام أبوه ويوكابد أمه.

ومن أين أتاهم الإيمان الذي أرغمهما على إخفائه؟ واضح أن طلعة الطفل المولود أوحت إليهم أنه يحمل سمات جمال إلهي غير عادي، وحتماً أحسُّوا بأن وراءه أمراً مخفياً، إذ كان وراء هذا الطفل عمل إلهي ينتظره وينتظرهم.

«رأيا الصبي جميلاً»: ἀστεῖον . فولجاتا elegans.

لم يكن مجرد جمال، بل كان له سيماء يوحي بالرهبة. وهذه هي هالة النفس الحاملة جمالاً قدسياً موهوباً من الله. وهذه السيماء نفسها هي التي سحرت قلب بنت فرعون. فلم يكن جمالاً وحسب، بل جاذبية روحية يمتاز بها المختارون منذ ولادتهم. وقد صدق حدس بنت فرعون، فقد

وُلد موسى ليكون ملكاً. وهكذا تربَّى في بيت فرعون، لا عن منَّة من الفرعون بل إن حركات الصبي ولَفَتاته وسلوكه ثم أخلاقه، ألزمتهم بأن يوضع الطفل في موضع الكرامة. أليس هذا هو قاهر فرعون؟ وقائد العبور العظيم؟ ومخلِّص شعب الله من العبودية؟ ومدبِّر أعظم رحلة هجرة في العالم قوامها ستمائة ألف راجل — أي مترجِّل — عَبْرَ قارتين في صحراء جرداء ولمدة أربعين سنة بتمامها، لا يحمل زاداً ولا ماءً ولا دواءً! بل وأكبر مشرِّع في العالم، فقد قنَّن أعظم وأدق قوانين مدنية دينية وأخلاقية بآنٍ واحد.

يقول فيلو(١٣) العلاَّمة اليهودي عن موسى، إنه كان موهوباً في الرياضيات وحساباتها والهندسة وعلم الأرضيات (جيولوجيا) والشعر والموسيقى بأوزانها والفلسفة وعلم النجوم وبقية فروع العلوم الأخرى التي اشتهر بها علماء مصر(١٤).

ويقول بحَّاثة يهودي آخر اسمه Eupolemus هلِّيني الثقافة، إن موسى هو الذي اخترع حروف الهجاء العبرية والتي اقتبسها منه الفينيقيون (لبنان) وبعدهم اليونانيون(١٥).

ويمكننا بسهولة أن نصدِّق كل ذلك وأكثر، فعندنا القديس إستفانوس يشهد لموسى شهادة بالروح يمكن جداً أن نعوِّل عليها كما على نصوص إلهية:

+ «وفي ذلك الوقت وُلد موسى وكان جميلاً **جداً**، فرُبِّي هذا ثلاثة أشهر في بيت أبيه، ولمَّا نُبذ اتخذته ابنة فرعون وربَّته لنفسها ابناً. **فتهذَّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال.**» (أع٧: ٢٠—٢٢)

والقديس إستفانوس يقدِّم هنا هذه المعلومات التي لابد أنها كانت شائعة ومعروفة. وإن قال باختصار أنه تهذَّب بكل حكمة المصريين فمعروف جداً ما هي حكمة المصريين، ثم ما هي **كل** حكمة المصريين. إذاً، فكل الذي قاله فيلو اليهودي لو طبقناه على ما قاله القديس الشهيد استفانوس لظهر لنا التقليد في وضعه المسلَّم.

كذلك في قول القديس إستفانوس إنه كان جميلاً **جداً**، فكلمة «جداً» لا تعود على الجمال بل على شيء جعل الجمال أكثر جمالاً، فما هو إلاَّ أن يكون لمسة قدسية من لمسات النعمة تشير أن هذا مختار من الله وموهوب، وهذه اللمسة الإلهية هي التي جعلت أمه وأباه يقفان منه موقف الخوف

13. Philo, *Life of Moses*, i.20ff.
14. Bruce, *op. cit.*, p. 316.
15. Ibid.

والرهبة ويخفيانه ويتحمّلان العاقبة، والتي لم تكن إلاّ عقوبة الموت.

كذلك قول ق. إستفانوس إنه كان: «**مقتدراً في الأقوال**». **إذاً**، فهو اقتدار العلم والفهم والكلام، كموهوب في كل شيء، إن في الكتابة أو التشريع. ونعلم أنه واضع الخمسة الأسفار الأولى من العهد القديم. وما ينبغي أن نعرفه أن لغة التوراة أدبية، فهي على أعلى مستوى من الأدب والبلاغة، وبعضها نصوص منطوقة بالروح لها سمة الألوهة، لأن الله فعلاً كان هو ناطقها على فم موسى وعلى قلمه.

فالذي يقوله العالم ايوبوليموس من أنه هو مؤلف الأبجدية العبرية، أي حروف الهجاء، هو قول لا نستطيع أن نستكثره على موسى.

أمّا قوله إنه كان مقتدراً في الأعمال، فأظن أنه لم يوجد رجل في التاريخ كله له ما لموسى من أعمال مسجّلة في خمسة أسفار بكل دقائقها. فإن قال أحد أن الله كان يعمل معه وبواسطته، فهذا يضاف بكل تأكيد إلى شخصية موسى ويزيدها هيبة ورهبة وجلالاً ويضعها في قمة تاريخ الإنسان.

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي(١٦)، بعد أن وصف طلعته الفائقة الجمال وقوامه المتميز، يقول، إنه قاد حملة مظفرة من المصريين ضد بلاد الحبشة وكان هو فيها رئيس أركان. كذلك يقرّر يوسيفوس أن عمرام أباه ويوكابد أمه أخفيا الطفل بناءً على رؤية رأتها مريم أخته ــ التي صارت فيما بعد وعُرفت أنها نبيّة ــ وأخبرت أبويها بذلك(١٧) فكان التدبير.

«ولم يخشيا أمر الملك»:

هذا في الحقيقة يثبت أن إخفاءهما الطفل كان مسنوداً بقوة إيمان بالله. وتقرير يوسيفوس المؤرخ أن ذلك كان من واقع رؤية رأتها مريم أخته وأخبرت والديها بها، يزيد الأمر وضوحاً أن الإيمان كان مسنوداً أيضاً بوعد من الله. وهذا كله يُضاف إلى وسائل تأمين الله لتنفيذ وعده في زمانه ومكانه، لأن موسى نقطة ارتكاز كبرى في تاريخ تنفيذ وعد الله.

أمّا أمر الملك فكان هكذا: «ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد (للعبرانيات) تطرحونه في النهر، لكن كل بنت تستحيونها.» (خر١: ٢٢)

---

16. Philo, *Antiquities*, ii.230f. ii.238ff.
17. Ibid., ii.210ff.

أمّا بقية قصة موسى، كيف وُضع في سفط من البردي وأُلقي على وجه الماء والتقطته بنت فرعون وربّته في بيتها، فنرجو القارىء أن يعود إلى سفر الخروج الأصحاح الثاني ليستوفي قراءته.

١١: ٢٤و٢٥ «بالإيمانِ مُوسى لمّا كَبِرَ أبَى أن يُدعَى آبنَ آبنةِ فرعونَ، مُفضِّلاً بالأحرَى أن يُذَلَّ مع شعبِ الله على أن يكونَ له تَمتُّعٌ وَقتِيٌّ بالخطيَّة».

موسى كطفل تُرضعه أُمه كأنها مُرضِعة، هكذا ظنت بنت فرعون، وتُلاعبه أخته مريم وكأنها خادمة، فكان يرضع من أُمه الإيمان ومن أخته حبه لشعبه!! وكبر موسى وكبر معه الإيمان بالله، وكلما اشتد ساعده اشتد حبه وحنينه لبني وطنه.

«أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون»:

والآن وقد بلغ موسى الأربعين سنة: «ولمّا كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل» (أع٧: ٢٣). المتكلّم هنا هو القديس والشهيد إستفانوس وهو يروي ما جاء في النص في سفر الخروج، ولكن يضيف عليه من عنده معلومات إضافية، وُجد بعد الدراسة أنها مستقاه من سفر مفقود، ولكن بقاياه القليلة لا تزال موجودة واسمه سفر «عهد موسى» Διαθήκη Μωΰσεως (١٨)، ويرجع إلى التاريخ المبكّر جداً، فهو من القرن المسيحي الأول. ويحوي حواراً بين موسى ويشوع يذكر فيه تاريخ إسرائيل وكيفية موت موسى الذي جاء نصه في رسالة يهوذا (٩) (وسنأتي عليها). يقول القديس الشهيد إستفانوس عن كيفية بداية رفض موسى الحياة الملكية في بيت فرعون هكذا، وهي بحسب النص في التوراة:

+ «وإذ رأى واحداً (يهودياً) مظلوماً حامى عنه وأنصف المغلوب إذ قتل المصري، فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة، وأمّا هم فلم يفهموا. وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون (مع بعضهم) فساقهم إلى السلامة قائلاً: أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضاً؟ فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلاً: مَنْ أقامك رئيساً وقاضياً علينا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري؟ فهرب موسى بسبب هذه الكلمة وصار غريباً في أرض مديان حيث وَلَدَ ابنين.» (أع٧: ٢٤—٢٩)

ويقول المؤرخون أمثال يوسيفوس(١٩) طبقاً لأبحاث ضافية، ويشترك معه كتاب اليوبيل(٢٠)،

18. *Oxford Dictionary of the Christian Church*, revised edition, on *Moses*.
19. Philo, *Antiquities*, ii,224ff.
20. Idem., 47.5.

أن ابنة فرعون هذه كانت تُسمى ترميوتيس Thermuthis وأنها ابنة الفرعون رمسيس الثاني ١٢٩٢ — ١٢٢٥ قبل الميلاد. ولكن عالماً يهودياً آخر، اسمه Artabanus ارتابانوس يذكره يوسابيوس القيصري(٢١)، يقول إن ابنة فرعون كانت تُسمى مريس Merris أو Meri وهي ابنة رمسيس الثاني أيضاً ولكن من أمّ حثّية.

ولكن قام مؤرخون محدثون بأبحاث شاقة، منهم العلاّمة ج. فذر J. Feather ووصلوا إلى احتمال أن تكون هي حتشبسوت Hatshepsut المعروفة (١٥٠٠ ق.م.)، أميرة وملكة بعد ذلك للأسرة الثامنة عشرة وابنة الفرعون تحتمس الأول Tuhtmosis، وذلك في كتاب «مَنْ هي الأميرة التي أنقذت حياة موسى» (٢٢).

وفيلو العلاّمة اليهودي يزيد التأكيد فيقول إن ابنة فرعون هذه هي نفسها حتشبسوت وكانت ابنة وحيدة لفرعون وكانت متزوجة من مدة طويلة ولم تُرزق أولاداً، لذلك كان موسى يعتبر وريثاً لعرش الفرعون(٢٣).

٢٥:١١ «مفضّلاً بالأحرى أن يُذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتُّع وقتيٌّ بالخطيّة».

حينما انحاز موسى للمظلوم العبراني، كان هذا بمثابة القرار للانضمام تحت نير المظلومين بكل تأكيد، أمّا قتل المصري فكان هذا أيضاً بمثابة القرار بالبدء بعملية الفداء التي من أجلها وُلِد ومن أجلها تربّى في بيت فرعون. أمّا الانضمام إلى الشعب المظلوم فكان يحمل معه كل الاستعداد لقبول المذلّة مع المذلولين، وأمّا الفداء الذي اختمر في قلبه وأعصابه فكان يسنده أولاً إيمانه الذي شربه مع لبن أمه، ثم علمُه وتهذيبه وحكمته وفنونه وقدراته الفذّة التي بدأ يحس بها والتي نمّاها بانصوائه تحت تعليم الكهنة واستلام أسرار كل الحياة المدنية والحربية والملكية باعتباره ابن ابنة فرعون!

ولكن صوت الله والضمير كان كافياً لقبول المجازفة.

وصوت أمه الذي نقشته الأيام الأولى من حياته على ذهنه الغض لا يَكُفّ عن ملاحقته: احذر يا ابني رجس المصريين. نحن أولاد إسرائيل نخاف الله ولا نأتي العيب.

21. Euseb., *Preparation*, ix,27.
22. C. Marston, *The Bible is True*, London 1934, pp. 179f.
23. *Life of Moses*, i.13.

١١: ٢٦ «حاسِباً عارَ المسيح غنىً أعظمَ من خزائنِ مِصْرَ لأنه كان ينظُرُ إلى المجازاةِ».

[اذكر يا رب عار عبيدك، الذي أحتمله في حضني ...،
الذي به عيَّر أعداؤك يا رب، الذين عيَّروا آثار مسيحك،
مبارك الرب إلى الدهر آمين.] (مز٨٩: ٥٠ـ٥٢)

كان الإغراء الواقع على موسى من ابنة فرعون شديداً، فكما يقول فيلو إنها كانت بلا ولد، وإنها كانت الابنة الوحيدة للفرعون. فيكون موسى، بحسب هذا الوصف إذا ثبت عليه، هو الوريث لعرش مصر وكل خزائنها. ولكن بقدر ما كان الإغراء عنيفاً، كان الرفض جاهزاً دائماً كمختار لفداء هذا الشعب المظلوم. كان عار المسيح هو الصليب، والمسيح قَبِلَ العار من أجل السرور الموضوع أمامه (عب١٢: ٢)، وسروره أن يفدي الإنسان!! الواقع تحت العبودية كل الأيام! كانت مسَرَّة المسيح فائقة في تصوُّرها أن يحرر البشرية! وموسى كان تحت تهديد نفس العار، أن يموت بلا رحمة بيد الفرعون إن هو خرج عن الطاعة منحازاً لهؤلاء العبيد المسخَّرين. فعار موسى كان هو خلاص شعب إسرائيل، وهكذا فضَّل أن يكون منهم ويحمل عارهم من أن يُنعِّم مع الفرعون وتؤول إليه خزائن مصر.

وهكذا تزكَّى موسى أمام الله فأدخله تحت التدريب.

«لأنه كان ينظر إلى المجازاة»:

المسيح احتمل العار من أجل السرور الموضوع أمامه: البشرية المحرَّرة من عبودية الشيطان والخطية والموت!! وموسى كان ينظر إلى المجازاة، أن يتحرر هذا الشعب المظلوم المُذل وأن يُفدى ولو بدمائه، وأن يعود الشعب إلى وطنه. كان هذا ما يُشغل قلبه فرحَّب بالمجازفة:

+ «وحدث في تلك الأيام لـمَّا كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم!! ...» (خر٢: ١١)

وهكذا بدأت أحلام الخروج!!

إلى الغربة:

نفس منهج إبراهيم وإسحق ويعقوب:

١١: ٢٧ «بالإيمانِ تركَ مِصْرَ غيرَ خائفٍ من غَضَبِ الملكِ لأنه تشدَّدَ كأنه يَرى مَنْ لا يُرى».

يعتقد كل علماء الكتاب تقريباً أن هناك تضارباً بين هذا النص والنص الوارد في سفر

الخروج: «فقال مَنْ جعلك رئيساً وقاضياً علينا أَمُقْتَكِر أنت بقتلي كما قتلت المصري، فخاف موسى وقال حقاً قد عُرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى **فهرب موسى** من وجه فرعون وسكن في أرض مديان ...» (خر٢: ١٤و١٥)، وعندنا هنا في هذا النص: «بالإيمان ترك مصر **غير خائف** من غضب الملك ...». وحاول العلماء التوفيق بين النصّين على غير طائل. ولكن يبدو أن بولس الرسول هنا يأخذ من تقليد آخر غير الوارد في السبعينية وهو الذي استقى منه القديس الشهيد إستفانوس بعض المعلومات غير الواردة في سفر الخروج، كذلك القديس يهوذا في سرده قصة الحرب التي دارت بين الملاك ميخائيل والشيطان فيما يخص جسد موسى بعد ما مات (يه٩).

ولكن النص الذي أمامنا هنا شديد الربط لمسلسل الإيمان بين الآباء البطاركة وبين أحفادهم، كذلك هو شديد التطابق في منهج الغربة الذي كانوا يجدونه المقابل العزيز المحبوب والمعشوق في مقابل الموعد الذي لم يتم بعد؛ بمعنى كيف يستوطنون فيما هو ليس أرض ميعادهم. وهذا هو بيت القصيد في هذه الآية، فمن أجل الإيمان الذي ارتبط به موسى بأسلافه الساعين إلى تحقيق موعد الله لهم، ترك مصر بينما كان معروضاً عليه عرشها وخزائنها، لكي يتهيأ لعملية الخروج العظمى التي أحسَّ أن الله وضعها على كاهله، والتي فيها سيتجابه مع فرعون مجابهة لابد وأن تنتهي بالحرب. فكيف يخاف الفرعون هذا أو يخشى غضبه، وهو حتماً الذي سيثير غضبه ويغلبه بقوة الله التي يحسُّها تسري في قلبه وكيانه؟ ثم اسمعه هنا يصف هذه القوة التي تتفجَّر في داخله: «لأنه تشدَّد كأنه يرى مَنْ لا يُرى»، بمعنى أنه كان يرى المعركة القادمة التي لم تبدأ بعد والتي ما زال أمامها أربعين سنة! كما تشدَّد لمَّا تصوَّر وصول الشعب إلى أرض ميعاده:

+ «ولمَّا كملت أربعون سنة، ظهر له ملاك الرب في برِّيَّة سيناء ... وصار إليه صوت الرب: أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ... فهلمَّ الآن أُرسلك إلى مصر ...» (أع٧: ٣٠و٣٢و٣٤).

كانت إرسالية الله له إلى أرض مديان، ليتذوَّق هناك الغُربة، غُربة آبائه وهم بعيدون عن أرض الموعد ليزداد حنينهم ويزداد ارتباطهم بالأرض الموعودة، لكي يتمِّم الله وعده على أيديهم ولا يتعطَّل شيء من مراحل ظهور المسيح في وقته.

وبالفعل أتقن موسى الغربة، واحتضنها، وخلَّف منها ولداً سماه الغربة: «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل (كاهن مديان)، فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال **كنت نزيلاً في أرض غريبة**.» (خر٢: ٢١و٢٢)

وفي خروجه من مصر إلى أرض مديان يقول عنه فيلو المتصوِّف اليهودي:

[لقد هرب من مصر لمَّا شعر بأن هناك مؤامرة حيكت ضد حياته، فترك أرض مصر دون أن يتزوَّد بأي زاد، وبكبرياء كان واثقاً من قوته على الاحتمال.][٢٤]

ومعروف أنه بينما كان موسى متغرباً في أرض مديان، مات الفرعون الذي كان موسى يخشاه أو الذي لم يكن يخشاه سيان! «وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات ... وأمَّا موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان ...» (خر٢: ٢٣ و٣: ١)

ويعلِّق فيلو العلاَّمة اليهودي على القول: «**لأنه كان يرى مَنْ لا يُرى**» ــ ولابد أنها مأخوذة من مصدر أقدم من الرسالة إلى العبرانيين ــ بقوله: [حينما كان يرفع عينيه إلى فوق فيما وراء الخليقة كان يؤتى الرؤية الصافية (clairvoyance) لغير المخلوق][٢٥]، أو بحسب ظننا كان يرى الحوادث القادمة ودخول الشعب أرض كنعان، فكان يزداد قوة.

ومعروف أن موسى كانت له مواهب رؤيوية فذَّة وكان يتكلَّم مع الله وجهاً لوجه:

+ «ويكلِّم الربُّ موسى وجهاً لوجه كما يكلِّم الرجل صاحبه.» (خر٣٣: ١١)
+ «اسمعا كلامي، إن كان منكم نبيٌّ للرب (الرب هو المتكلِّم) فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلِّمه. وأمَّا عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي، فماً إلى فم وعياناً أتكلَّم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين.» (عد١٢: ٦ــ٨)

البدء العظيم بالعودة إلى أرض الميعاد، وتأسيس الفصح

«لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.»

(١كو٥: ٧)

التحام إيمان موسى في إيمان آبائه!!

١١: ٢٨ «**بالإيمان صَنَعَ الفِصْحَ ورَشَّ الدَّمِ لئلا يمَسَّهُم الذي أهلَكَ الأبكارَ**».

الإيمان هنا ولأول مرة ينبثق من كلمة الله رأساً لموسى، فهو إيمان الثقة واليقين! إزاء وصية الله

24. Ibid., ii.254ff.
25. Ibid., i.258.

بعمل الفصح، ومعه «رش الدم»، ولأول مرّة ليفيد كلمة الفصح عملياً، أي العبور، أي التجاوز عن بيوت الإسرائيليين، فلا يهلكهم المهلك: أي تخطّي الموت!!

وننبه ذهن القارىء أن مفهوم الفصح «البسخة» πάσχα وبالعبري pesach، بيساخ والفعل يفصح = يعبر pasah وهو الاسم الذي يُطلق على العيد بأكمله أي عيد الفصح، عيد العبور، ليس عبور البحر الأحمر ولا العبور من مصر ولا الخروج من مصر، بل هو بالأساس **عبور الملاك المُهلك «عن» بيوت الإسرائيليين حتى لا يُهلك أبكارهم**، فهو عبور الفداء، فصح الخلاص.

«صنع الفصح»: πεποίηκεν τὸ πάσχα

«ورش الدم»: καὶ τὴν πρόσχυσιν τοῦ αἵματος

ليسا هما طقسين بل طقس واحد وفعل إيماني واحد: «ذبح الخروف ورش الدم»، وهو تأسيس تذكاري كفعل عُمل وأكمل ليكون تذكاراً دائماً كأساس عقائدي وإيماني واحتفالي بآن واحد في مواجهة كل المصريين كتحدٍّ للملك والدولة والشعب جميعاً، وتمييزاً لشعب إسرائيل ولإلههم ولموسى ولعبادتهم كلها. لأن عمل الفصح ورش الدم على أعتاب البيوت ميّز الإسرائيليين وفي نفس الوقت جلب الهلاك لكل أبكار مصر من بكر الملك لكل بكر.

وليُلاحظ القارىء أن «فصحنا المسيح» قد ذُبح أيضاً، وذلك بحسب الإنجيل و بولس الرسول، وصار دمه ليس فقط لرش القلوب وتطهير الضمائر بل وتخطى قوة الشيطان والموت إلى الإقامة من الموت ولإعطاء حياة أبدية بآن واحد: «مَنْ لم يؤمن يُدَنْ» (مر١٦:١٦). فالدم الذي للفداء وللحياة في المسيح هو للدينونة والموت: «فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب١٠:٢٩)

وكلمة «صنع الفصح» هي، بعد الختان، بمثابة كمال الإيمان بالإيمان اليهودي أي التهوُّد: «إذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب، فليُختَن منه كل ذَكَر (ختم الإيمان) ثم يتقدّم ليصنعه فيكون كمولود الأرض (أي مواطن يهودي)» (خر١٢:٤٨). هكذا الذي يعتمد يتقدّم للتناول!!

أمّا «رش الدم» كعملية قائمة بذاتها تُذْكَر لتعطي انطباعاً أو تعبيراً عن «السر» الأساسي الذي به تمّ الخلاص من مصر: «وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم (دم خروف الفصح) الذي في الطست ومسُّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح» (خر١٢:٢٢). ويشرح ذلك سفر العبرانيين هكذا: «وكل شيء تقريباً يتطهّر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة.» (عب٩:٢٢)

إذاً، فدم الفصح في مصر كان قد قدَّس البيوت وبالتالي أبكارها لله. ومن هنا نفهم أن الفصح أي العبور لا يتم فهمه ولا يتم عمله ولا يتم معناه إلاَّ برش الدم للتقديس، لأن التقديس هو الذي ميَّز الإسرائيلي عن المصري وليس مجرد الدم.

«الذي أهلك»: ὁ ὀλοθρεύων

أو **المهلك:** «فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين، يعبر الرب عن الباب ولا يدع **المُهلك** يدخل بيوتكم ليضرب.» (خر١٢: ٢٣)

ومن هو **«المُهلك»؟** يقول سفر الحكمة إنها هي **«كلمة الله»:**

+ «حضرتْ كلمتُكَ القادرة على الكل من السماء، من كراسي المُلْك، وثَبَتْ إلى وسط الأرض المهلكة **مُحارباً صارماً**، سيفاً مرهفاً بأمرك، مُشهراً. وإذ قام أمامهم ملأ الجميع موتاً وكان يقف في الأرض وينتهي إلى السماء.» (حك١٨: ١٥و١٦)(٢٦)

وبحسب تفسير آية سفر الخروج نفهم أن الملاك المهلك أو كلمة الله المرسلة كسيف صارم للهلاك كان يبقى خارجاً لا يدخل بيوت الإسرائيليين، لأن الرب إله إسرائيل نفسه سيحرس بيوتهم من أن تُمس!! وهكذا الدم بالإيمان يصنع خلاصاً وبغير الإيمان يصنع هلاكاً.

---

(٢٦) «فحمي غضب الله لأنه (بلعام بن بعور) منطلق (ليلعن إسرائيل) ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه ... ثم كشف الرب عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده فخرَّ ساجداً على وجهه ... فقال له ملاك الرب ... لو لم تمل (الأتان) من قدامي لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها، فقال بلعام لملاك الرب أخطأت ...» (عد٢٢: ٢٢—٣٥)

واضح هنا أن الملاك ملاك تأديب وسيفه في يده للهلاك، وهو بآن واحد يمثل الرب، فهو مدعوٌّ ملاك الرب وقَبِلَ من بلعام السجود الذي لا يُعطى إلاَّ لله.

إيمان الشعب: (١١: ٢٩ـ ٣١).

[«فقال موسى للشعب: لا تخافوا،
قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم،
فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد،
الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون!!!» (خر١٤: ١٣و١٤)
«وجعل البحر يابسة وانشق الماء!!!
وآمنوا بالرب وبعبده موسى.» (خر١٤: ٢١و٣١)]

١١: ٢٩ «بالإيمانِ اجتازُوا في البحرِ الأحمرِ كما في اليابسةِ الأمرُ الذي لمّا شَرَعَ فيه المصريّون غَرِقُوا».

«البحر الأحمر»: τὴν Ερυθρὰν θάλασσαν

وبالعبرية yam suph = يَمّ سُوف. ويُقصد به خليج السويس الآن وخليج العقبة في بدايته الضحلة.

الإيمان هنا هو إيمان الشعب مائة بالمائة، ولكنهم استمدُّوه من موسى، وموسى من أمر الله، وبإيمانهم هذا وحده اجتازوا البحر، الذي احتراماً لإيمانهم أخلى لهم سبيلاً في وسطه العميق ليعبروا عليه بأرجلهم. والدليل الشديد على أن إيمانهم هو الذي أوقف البحر من الناحيتين كحائط ساتر يميناً ويساراً هو أن المصريين لمّا شرعوا في تقليدهم ودخلوا وراءهم، ولكن بدون إيمان وبالتالي بدون رضا الله وسَتْره وعنايته وقوته، لم تعبأ بهم المياه وثار عليهم البحر بأمواجه العالية والعاتية وابتلعهم «فسقطوا كالرصاص في مياه غزار»، كمن يحتج على جرأتهم. وهذا يمثِّل الموت لكل مَنْ ليس له إيمان السير وسط الماء. فهلك كل مَنْ وطأت قدماه أرضه، ولكن بعد أن اطمأن البحر أن آخر أصحاب الإيمان بالرعاية والعناية ـ نجَوْا وعبروه! هذا الأمر يحكي عن الإيمان الذي يُسخِّر الطبيعة ويَسْخَر من بأسها بآنٍ واحد.

وهناك تقليد يهودي يحكي عنه فيلو العلاّمة اليهودي أن باطن أرض البحر (Sea bed) بين حائطي المياه اللذين وقفا عن يمين ويسار كان جافاً وقد صار طريقاً معدًّا ـ highway ـ لعبور ضيوفه(٢٧). وقد أخذ منه التقليد القبطي هذا الوصف، وضمّنه التسبحة التي تُتلى في نصف الليل

27. Ibid., i.177.

بألفاظها الشيِّقة التي تبعث القوة والشجاعة والإيمان في الصارخ بها والسامع، على نبرات داود النبي:

+ «خلَّصهم من أجل اسمه ليُعرف بجبروته،
وانتهر بحر سوف فيبس وسيَّرهم في اللجج كالبرية،
وخلَّصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو،
وغطت المياه مضايقيهم، واحد منهم لم يَبْقَ،
فآمنوا بكلامه، غنوا بتسبيحه.» (مز١٠٦: ٨—١٢)

أنشودة البحر
فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله!!

+ «حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا:
أرنم للرب فإنه قد تعظم،
الفرس وراكبه طرحهما في البحر،
الرب قوتي ونشيدي،
وقد صار خلاصي،
هذا إلهي فأمجده،
إله أبي فأرفعه،
الرب رجل الحرب، الرب اسمه،
مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر،
فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف،
تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر،
يمينك يا رب معتزة بالقدرة،
يمينك يا رب تحطم العدو،
وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك،
تُرسل سخطك فيأكلهم كالقش،
وبريح أنفك تراكمت المياه.
انتصبت المجاري كرابية،

تجمّدت اللجج في قلب البحر،
قال العدو: أتبع، أدرك: أقسّم غنيمة،
تمتلىء منهم نفسي. أجرّد سيفي، تفنيهم يدي،
نفختَ بريحك فغطّاهم البحر،
غاصوا كالرصاص في مياه غامرة،
مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب،
مَنْ مثلك معتزاً في القداسة،
مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب،
تمد يمينك فتبتلعهم الأرض،
ترشد برأفتك الشعب الذي فديته،
تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك،
يسمع الشعوب فيرتعدون،
تأخذ الرعدة سكان فلسطين،
حينئذ يندهش أمراء أدوم،
أقوياء موآب تأخذهم الرجفة،
يذوب جميع سكان كنعان،
تقع عليهم الهيبة والرعب،
بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر،
حتى يعبر شعبك يا رب،
حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته،
تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك،
المكان الذي صنعته يارب لسكنك،
المَقْدِس الذي هيّأته يداك يا رب،
الرب يملك إلى الدهر والأبد،
فإن خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر،
وردّ الرب عليهم ماء البحر،
وأمّا بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر،
فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها،

وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص،
وأجابتهم مريم:
رنموا للرب فإنه قد تعظّم،
الفرس وراكبه طرحهما في البحر.» سفر الخروج (١٥: ١—٢١)

والعجيب في أمر الفصح أن تأثيره الروحي والفكري والليتورجي صار في المسيحية وخاصة عند الأقباط أكثر عمقاً واتساعاً، ويغطي في العبادة مساحة هائلة من التسبيح والتمجيد. علماً بأن الفرعون هذا البغوض جداً، هو هو في التسبحة فرعوننا ملك مصر وطننا العزيز بآن واحد والمحبوب والمكرّم للغاية، لأن الإيمان المسيحي استطاع أن يرتفع بنا فوق العواطف الجسدية والمشاعر الأرضية، فالتسبيح لله، والنصر لله، ولِيَدِهِ العزيزة.

لقد اقتصرت الرسالة إلى العبرانيين على هذا العرض المختصر لإيمان موسى، إلاّ أن الصفحات القليلة هنا لا تسعُنا أن نوفي هذا الإيمان حقه، ولكن لنا عزاء في آخر ما أتحفنا به الوحي المقدّس عن هذا الإنسان العظيم حقاً — موسى النبي — في حياته ومماته، وهو ما سَرَّبه إلينا يهوذا الجليل في الرسل عن جسد موسى، كيف أُصعد إلى السماء بعد معركة مهولة بين الملاك ميخائيل والشيطان الذي احتج على تكريم جسده واعترض طريق الملاك: «وأمّا ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجًا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب.» (يه ٩)

وقد شرح هذا الموضوع كل من كلمندس الإسكندري في شرحه لرسالة يهوذا، كذلك أوريجانوس في كتابه: First Principles III 2,1 .

وهذه آخر شهادة له: «ولم يقم بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه.» (تث ٣٤: ١٠)

٣٠:١١ **«بالإيمانِ سَقَطت أسوارُ أريحا بَعْدَ ما طِيفَ حولَها سبعة أيامٍ».**

تخطّى بولس الرسول الأربعين سنة بتمامها لم يذكر فيها لا إيماناً ولا مؤمنين، فقد كانت فترة عدم إيمان وتذمُّر وعبادة عجل مسبوك وثور وإهانة لله:

+ «حتى متى يهينني هذا الشعب.» (عد ١٤: ١١)
+ «وجربوني الآن عشر مرات.» (عد ١٤: ٢٢)
+ «وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى

غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيِّرك شعباً عظيماً. فتضرَّع موسى أمام الرب إلهه.» (خر٣٢: ٩—١١)

+ «هل قدَّمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل؟ بل حملتم خيمة ملكومكم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذي صنعتم لنفوسكم. فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود اسمه.» (عا٥: ٢٥—٢٧)

لم يُسمع مثل هذا قط أن الحصون العالية والمدن المحصَّنة بأسوارها تسقط بمجرد أن يطوف الشعب حولها سبعة أيام، ينفخون في أبواق من قرون الخراف، والشعب سائر كأنه في مأتم لا يتكلَّم ولا بحرف واحد بل في صمت يكمِّلون الدورات. وأخيراً يهتفون، فتسقط الأسوار والحصون وتنكشف المدينة وتسقط في أيديهم. هل كان إيمان الشعب أم إيمان يشوع خليفة موسى؟ لم يذكر القديس بولس في الرسالة، ولكن هنا قصد أن يضع الإيمان كإيمان بحد ذاته — إزاء حصون الإنسان!! ليترك العمل لله وحده صاحب آلة البناء والفناء لتكون بداية تعليم الشعب في أرض ميعاده أن القوة بالله.

ولكن الشيء الواحد الوحيد الذي يلفت النظر جداً، أن الكهنة كانوا في المقدمة يضربون بأبواقهم فقط، وأن في اليوم الأخير وحده داروا «سبع» مرات والكهنة بأبواقهم، ثم بهتاف للرب سقطت المدينة. هنا دور الكهنة جعل سقوط أريحا رمزاً لسقوط أسوار الشر وحصون الخطية بقوة الكنيسة وأسرارها السبعة والهتاف باسم الرب القادر على كل شيء. وكان هذا المنظر هو الذي أوحى لبولس الرسول أن يكشف عن سر الكنيسة وقوتها هكذا: «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٤و٥). أمَّا السبع الدورات، فلها في الطقس الكنسي معنى ومعانٍ، وفي سفر الرؤيا يتوافق مع سبع كنائس الدهور والسبع المنائر الذهبية التي تحيط بابن الإنسان والسبعة الكواكب التي في يمينه، وسرها كله هو في الكنيسة! وكأن الكنيسة لها سبع دورات حول أريحا العالم الحاضر بعدها ينكشف كل شيء.

٣١:١١ «بالإيمانِ راحابُ الزانيةُ لم تهلِك مع العصاةِ إذْ قَبِلَت الجاسوسينِ بسلامٍ».

«الزانية»: πόρνη

وبالعبرية zönäh. والعبرية تفرِّق بين عاهرة علمانية وعاهرة **هيكل وثن**، فالأُولى zönäh والثانية = qedëshäh، اسم مقزز للنفس على كل حال. والسائل يسأل ألم يوجد إيمان آخر حتى

نصل بالإيمان إلى هذا الدرك؟ ولكن الرد لماذا يتنكَّر الإنسان لوسخه؟ من أجل هذا الكبرياء، يرفع الله من هذا المنحدر ويُجلس على المرتفعات ليتَّضع المرتفعون بذواتهم: «ومن منكم بلا خطية فليَرْمِها أولاً بحجر!!» (يو٨: ٧)

لقد حاول كثير من المؤرخين والشارحين والمشتغلين بالتاريخ المقدَّس أن يغيِّروا هذا الاسم أو يضعوا له ما يخفِّف وقعه على الأسماع ولكن دون جدوى، شأنهم شأن الشيوخ الذين تربَّصوا حتى أمسكوا المرأة في ذات الفعل وجاءوا يجرِّبون بها المسيح، وبعد محاورة ومواجهة، ألصق هو ذات التهمة بهم ورفعها عن فريستهم. فزانية أريحا زانية. نعم ولكنها سَمِعَت كما سمع كل سكان أريحا ما صنعه الله مع بني إسرائيل في مصر والبحر الأحمر ومع الشعوب التي اعترضت زحفهم على فلسطين، فآمنت بإلهم وآمنت أنهم آخذون أريحا آخذونها إن بالحصار أو بغيره، فطلبت لنفسها النجاة والالتصاق بإلهم فقَبِلَ الله، وسمع هذا الكلام من فمها:

+ «وقالت (الزانية) للرجلين، علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رُعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم. لأننا قد سمعنا كيف يبَّس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر وما عملتموه بملكي الأموريين الذين في عبر الأردن سيحون وعوج اللذين حرَّمتُموهما. سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبقَ بعد روح في إنسان بسببكم. **لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت!** فالآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة لأني قد عملت معكما معروفاً، بأن تعملا أنتما أيضاً مع بيت أبي معروفاً وتستحييا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي وكل ما لهم وتخلِّصا أنفسنا من الموت. فقال لها الرجلان نفسنا عوضكم للموت إن لم تفشوا أمرنا هذا. ويكون إذا أعطانا الرب الأرض أننا نعمل معكِ معروفاً وأمانة. فأنزلتهما بحبل من الكوَّة لأن بيتها كان بحائط السور وهي سكنت بالسور. (آخر نصيحة) وقالت لهما: اذهبا إلى الجبل لئلا يصادفكما السعاة (الذين خرجوا يطلبونهما لمَّا علما بدخولهما المدينة، وهي خبأتهما حتى الليل على السطح وأضلَّت رسل الملك أنهما خرجا من عندها للتو)، واختبئا هناك ثلاثة أيام حتى يرجع السعاة ثم اذهبا في طريقكما.» (يش٢: ٩–١٦)

فانظروا يا إخوة، ماذا قالت هذه الزانية وما فعلت، شيء لم يقله ولم يصنعه ملك ولا حكيم ولا شيخ ولا فطين. فقد أعطت إيمانها كاملاً بالله خالق السماء والأرض وآمنت بقدرته الفائقة وخلاصه الذي عمله بشعب إسرائيل، وعملت معروفاً مضاعفاً برسل يشوع المرسلين من قبل الله، وإلى آخر لحظة كانت مرشدة لخلاصهم وضامنة لعدم وقوعهم في أيدي السعاة بحكمتها وتدبيرها

الفائق العقل والبصيرة. هذه هي زانية أريحا فاحكموا!!

ونعود ونستحضر لها شهادات من الوحي المقدّس من أفواه رسل الرب. فقد استرعى انتباه يعقوب الرسول إيمان هذه الزانية ثم تطبيق إيمانها بعمل يثبت أن إيمانها حيٌّ وفعّال. فقال يعقوب الرسول شاهداً بها ولها: «كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبررت بالأعمال؟ إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر» (يع ٢: ٢٥). والعجيب في هذا الرسول أنه استشهد بإيمان وعمل اثنين فقط: إبراهيم وهذه الزانية. فاحكموا ماذا كان علو شأن إيمان وعمل هذه الزانية في فكر يعقوب الرسول وتقديره!

وهكذا كانت المجازاة لهذه المرأة الحكيمة التي صارت علامة بارزة حيّة في تاريخ شعب الله:

+ «فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة إسرائيل. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ... واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.» (يش ٦: ٢٣ـ٢٥)

ودخلت راحاب في عداد رؤوس الأسلاف الأماجد الذين جاء منهم داود ثم المسيح: «... وسلمون ولد بوعز من **راحاب**، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسّى، و يسّى ولد داود الملك ... ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل (خطيب) مريم التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح ...» (مت ١: ٥ـ١٦)

وظلت راحاب أنشودة الإيمان القادر أن يغتصب حقوق الأنبياء والقديسين من بعد عفونة السيرة والمسيرة. انظر يوستين[٢٨]، وإيرينيئوس[٢٩]، وهذا هو كلمندس الروماني يتكلّم عن راحاب: [وقد أعطوها علامة. وهذه العلامة هي حبل قرمزي (أحمر) تعلّقه على بيتها كإعلان عن أن دم المسيح يعتق كل الذين يؤمنون ويرجعون لله][٣٠].

28. *Dialogue with Trypho* III.
29. *Adv. Haeresis,* IV.20.12.
30. 1 Clem. 12:17.

الإيمان في بكور قيام إسرائيل: [١١: ٣٢—٣٨].

دخول إسرائيل كنعان وانتصارهم على أريحا كان يمثِّل آخر حلقات الإيمان ودخول إسرائيل تحت العناية الإلهية في ترحالها الطويل. فمنذ إيمان إبراهيم وعبوراً بكل الآباء حتى دخولهم أرض كنعان، عرض هذا السفر المبارك عينات مشروحة متأنية لإيمان رجال عظماء كانوا حجر الأساس في قيام هذه الأمة، بل وفي التاريخ المقدَّس للإنسان.

والآن بدأ يعطي مختصراً سريعاً للإيمان تحت أسماء سريعة مختارة هي خيرة القضاة والأنبياء والملوك الذين تولَّوا قيادة إسرائيل، وبعدها أدمج فيهم عصر المكابيين وجبابرته. وكان يتخلل هذا العرض عينات لأعمال نساء بلَغْنَ من الإيمان مبلغاً لا يقل عن إيمان الرجال. ثم قسَّم أعمالهم إلى:

أولاً: (١١: ٣٢—٣٥): الذين صنعوا أعمالاً عظيمة.
ثانياً: (١١: ٣٥—٣٨): الذين تحمَّلوا مشقات عظيمة.

أولاً: الذين عملوا أعمالاً عظيمة، وأثبتوا إيماناً فعَّالاً ناجحاً:

١١: ٣٢ «وماذا أقولُ أيضاً لأنه يُعْوِزُني الوقتُ إن أخبرتُ عن جِدْعُونَ وبارَاقَ وشَمْشُونَ ويفتاحَ، وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ».

أ — «جدعون وباراق وشمشون ويفتاح»:

هؤلاء هم القضاة الذين يمثلون حكم الله الفردي.

ولا يجيء ترتيبهم هنا بحسب النص في التوراة ولكن بحسب الشهرة المتداولة في التقليد. ففي سفر القضاة:

يأتي جدعون من أصحاح (٦—٨).
وباراق يأتي من أصحاح (٤—٥).
وشمشون من أصحاح (١٣—١٦).
ويفتاح من أصحاح (١١—١٢).

وهؤلاء كانوا أبطال حروب، فقد قهروا الممالك الآتية: المديانيين، والكنعانيين،

والفلسطينيين، والعمونيين.

ب ـ «داود وصموئيل والأنبياء»:

الملك العظيم، ونبي الدولة، وحياتهما تغطي المرحلة الثانية في تاريخ إسرائيل. وهي المرحلة ذات السمات الراقية والنبيلة في الأشخاص والأمة ككل؛ وقد أضاءت تاريخ إسرائيل ولا تزال تضيء، بما فيها من شخصيات قيادية وقواد جيوش وحكماء وأنبياء كانوا على أعلى مستوى من القوة والأخلاق، لو استثنينا بعض العيوب البدائية للأشخاص.

منجزاتهم: (١١:٣٣ـ٣٥).

١١:٣٣ «الذين بالإيمانِ قَهروا ممالِكَ، صَنَعُوا بِرًّا، نالُوا مَواعِيدَ، سَدُّوا أفواهَ أُسودٍ».

هذا عرض أعمال للإيمان الذي كان يملأ قلوبهم وحياتهم وكان لابد أن يظهر في أعمال مجيدة. ويلاحظ القارىء تسلسلاً تصاعدياً في قيم الأعمال:

أ ـ «قهروا ممالك»:

وهذه تفريدتها:

جدعون	قهر المديانيين	في (قض٧)
باراق	قهر الكنعانيين	في (قض٤)
شمشون	قهر الفلسطينيين	في (قض١٤ إلخ)
يفتاح	قهر العمونيين	في (قض١١)
يوناثان	قهر الفلسطينيين	(١صم١٤:٦ إلخ)
داود	قهر الفلسطينيين	(٢صم٥:١٧)
	والموآبيين	(٢صم٨:٢) وبجنود ومعدات أقل عدداً.
	والعمونيين	(٢صم١٠:١٢)

ب ـ «صنعوا برًّا»:

كان من نتيجة نجاحهم في الحروب وإخضاع الأعداء، أن استقر العدل وارتفع مستوى الأخلاق، وزاد رصيد البر أي مخافة الله والالتصاق به في العبادة:

+ «وقال صموئيل لكل إسرائيل: ها أنذا قد سمعت لصوتكم في كل ما قلتم لي وملّكت عليكم ملكاً (شاول) ... وأمّا أنا فقد شِخْتُ ... ها أنذا فاشهدوا عليَّ قدام الرب وقدام

مسيحه: ثور مَنْ أخذت؟ وحمار مَنْ أخذت؟ ومَنْ ظلمت؟ ومَنْ سحقت؟ ومِنْ يد مَنْ أخذت فدية (رشوة) لأغضي عينيَّ عنه فأرد لكم؟ فقالوا لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئاً، فقال لهم شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه!!» (١صم١٢: ١ــ٥)

ومَنْ مِنَ الأنبياء، مثل صموئيل، كلَّمه الرب طفلاً وسلَّمه النبوة صبيًّا؟ حينما سُبي تابوت العهد رمز عهد الله مع شعبه، وقف صموئيل يحمل الرسالة وينقل صوت الله ويعطي المشورة، فصار صموئيل لدى الشعب كموسى في أيامه أو يشوع وأكثر من داود، وما كان عليه إلاَّ أن يقول، تكلَّم يا رب فإن عبدك سامع، فكان بمثابة غطاء التابوت بين الشاروبين. وأنزل الله عليه هيبته فكان يخشاه الملوك ويتودَّدون إليه، وما كان ينطق إلاَّ بكلمة الله ولا يزيد. فتحوَّل إيمان الشعب من خشبة التابوت إلى صموئيل وقادهم بالنعمة التي فيه، ومع النبوة أخذ عمل الكاهن وقدَّم القرابين واسترضى وجه الله. فلم يكن نبي مثل صموئيل. فقد أقام مدرسة يتخرَّج فيها الأنبياء، فكانت بمثابة كلية أو كنقابة. وهذه شهادة بن سيراخ لصموئيل النبي:

+ «المحبوب من إله صموئيل نبي الرب، أقام ملكاً، ومسح سلاطين على شعبه،
في ناموس الرب حكَم الجماعة، وتعاهد يعقوب!
بإيمانه تحقق أنه نبي، وعُرف بكلامه أنه أمين بمنظره!
دعا الرب القادر عندما أحزنه الأعداء من كل جانب، بتقديم الحمل الذي لا عيب فيه،
وأرعد الرب من السماء، وبلحن عظيم جعل صوته مسموعاً،
وسحق سلاطين صور وجميع جبابرة الفلسطينيين،
وفي وقت الأجل المحتوم أشهد أمام الرب ومسيحه أنه لم يأخذ فضة من أحد،
وبعد أن رقد تنبأ وأظهر للملك (شاول) أجَلَه،
ورفع من الأرض صوته بالنبوة ليبطل نفاق الشعب.» (ابن سيراخ ٤٦: ١٣ــ٢٠)

+ «وملك داود على جميع إسرائيل وكان داود يجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه.» (٢صم٨: ١٥)

وهذا هو نظام الحكم وفضائله بفم داود الملك نفسه:

+ «فهذه هي كلمات داود الأخيرة: وحي داود بن يسَّى ووحي الرجل القائم في العُلا، مسيح إله يعقوب، ومرنِّم إسرائيل الحلو! روح الرب تكلَّم بي وكلمته على لساني. قال إله إسرائيل إليَّ، تكلَّم صخرة إسرائيل. إذا تسلَّط على الناس بارٌّ، يتسلَّط بخوف الله، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس،

كعشب من الأرض في صباح صحو مضيء غبّ (بعد) مطر!
أليس هكذا بيتي عند الله لأنه وضع لي عهداً أبدياً متقناً في كل شيء ومحفوظاً.
أفلا يثبت كل خلاصي وكل مسرّتي.» (٢صم٢٣: ١ـ٥)

ج ـ «نالوا مواعيد»:

كان نجاحهم في أداء رسالتهم سبباً مباشراً في استقرار إسرائيل وامتدادها وتقويتها لتُطبّق وعود الله لها بامتلاك الأرض وبقية مواعيد السلام والعناية والبركة للأرض والزرع والضرع ورفع الأمراض وردّ الأعداء واستتباب الأمن.

كذلك داود أيضاً قد نال من الله مواعيد صادقة تمّت بحروفها وها نحن نعيش أمجادها، فيكفيه فخراً ومجداً أن يُنسب إليه المسيح: «قال الرب لربي» (مز١١٠: ١)، «ارحمني يا سيد يا **ابن داود**» (مت١٥: ٢٢)، «أوصنا **لابن داود** ... أوصنا في الأعالي» (مت٢١: ٩)، **«مراحم داود** الصادقة.» (إش٥٥: ٣، أع١٣: ٣٤)

د ـ «سدُّوا أفواه أسود»:

نمو التقوى والبر واستتباب الحياة، أعطى الفرصة لقيام نماذج من الشخصيات الفريدة في برِّها، الفريدة في إيمانها، الفريدة في شجاعتها. وهذا دانيال، وهو الذي أفرزته الأمة وهي في محنتها لِيردَّ لها كرامتها ويرفع شأن إلهها في عيون أعدائها، فكان عمل دانيال المعجزي في جب الأسود أقوى في تأثيره من نصرة جيش، وأشد عملاً في قلوب الأعداء من عشرة أنبياء!!

١١: ٣٤ **«أطفأوا قوَّةَ النارِ، نَجَوْا من حدِّ السيفِ، تَقوَّوْا من ضَعْفٍ، صاروا أشِدَّاءَ في الحربِ، هَزَمُوا جيوشَ غُرَباء».**

هـ ـ «أطفأوا قوة النار»:

هكذا جاء في سفر دانيال الأصحاح الثالث:

+ «ثم أن الغلمان الثلاثة سدراك وميساك وأبدناغو سقطوا في أتون النار المتَّقد، مكتوفين، وكانوا يتخطرون في وسط اللهيب يسبحون الله ويباركون الرب.» (٣: ٢٣ حسب السبعينية)
+ «وأمَّا ملاك الرب فانحدر مع الذين كانوا مع عزريا في الأتون ونفض لهيب النار من الأتون وصنع في وسط الأتون مثل الندى، ولم تمسّهم النار البتَّة ...» (دا٣: ٤٩ و٥٠ حسب السبعينية)

+ «فسمع حينئذ نبوخذنصر الملك تسبيحهم ونهض مسرعاً، وقال لعظمائه، أما ألقينا في وسط النار ثلاثة رجال مكتوفين ... ها أنذا أرى أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وليس فيهم فساد، ومنظر الرابع يشبه ابن الله، حينئذ تقدّم نبوخذنصر إلى باب الأتون وقال يا سدراك وميساك وأبدناغو عبيد الله هلم خارجاً، فخرج سدراك وميساك وأبدناغو من وسط النار ... ولم يكن للنار قوة على أجسادهم ولم يحترق شعر رؤوسهم ولا تغيّرت سراويلهم ورائحة النار لم تكن فيهم. **فسجد الملك أمام الرب** ... وقال تبارك إله سدراك وميساك وأبدناغو الذي أرسل ملاكه وخلّص عبيده لأنهم آمنوا به ...» (دا٣: ٩١ــ٩٥)

وكانت شهادة إيمان الثلاثة الفتية سبباً في كرامة اليهود جميعاً في كل مملكة نبوخذنصر وتكريماً لله إلههم.

و ــ «ونَجَوْا من حد السيف»:

موسى يعترف بفضل الله هكذا: «إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون.» (خر١٨: ٤)

وهذا داود أيضاً نجا من سيف شاول: «فأرسل شاول رسلاً إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح ... فأنزلت ميكال داود من الكوة فذهب هارباً ونجا.» (١صم١٩: ١١و١٢)

وهذا إيليا أيضاً أمام سيف إيزابل: «وأخبر أخآب إيزابل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء (الكذبة) بالسيف. فأرسلت إيزابل رسولاً إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة (الشياطين) وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غداً» (١مل١٩: ١و٢). أمّا إيليا فأُخذ في مركبة نارية إلى السماء حيًّا؛ أما هي فلحست الكلاب دمها!

وكيف يقوى سيف الناس على أولاد الله، وكلمة الله أقوى من كل سيف ذي حدين!!

ز ــ «تقووا من ضعف»:

جدعون مثلٌ للضعيف الأقوى من القوي: كان جدعون يهرِّب حنطة من وراء المديانيين الذين هزموا إسرائيل واستولوا على الأرض:

+ «فظهر له ملاك الرب وقال له: الرب معك يا جبار البأس. فقال له جدعون أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يُصعدنا الرب من مصر. والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كفّ مديان. فالتفت

إليه الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلّص إسرائيل من كف مديان. أما أرسلتك؟ فقال له: أسألك يا سيدي بماذا أخلّص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الذُّلَّى في منسّى وأنا الأصغر في بيت أبي. فقال له الرب **إني أكون معك** وستضرب المديانيين كرجل واحد.» (قض٦: ١٢ــ١٦)

وقد انتخب جدعون من كل إسرائيل ثلاثمائة رجل بإرشاد الله وصرف كل جيش إسرائيل إلى بيوتهم: «فقال الرب لجدعون بالثلاث مائة الرجل الذين ولَغوا أخلّصكم وأدفع المديانيين ليدك» (قض٧: ٧). وبالثلثمائة رجل وعلى رأسهم جدعون هزموا جيش المديانيين وكان قوامه: الذين سقطوا وذُبحوا مائة وعشرون ألفاً والذين هربوا خمسة عشر ألفاً. وذبح جدعون ملوكهم الثلاثة. نعم هذا ما حدث بالحرف الواحد، والقصة شيّقة لأنها قامت على أعظم خديعة حربية سمعت بها جيوش العالم، اقرأ سفر القضاة الأصحاح السابع والثامن.

ثم أليس هذا هو الضعف عين الضعف الذي لم تبلغه قوة على الأرض، وقد علم هذا بولس الرسول في نفسه ونادى بها كقول الرب: «لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو١٢: ٩) للذين يؤمنون! وأمثلة الضعف الذي صار قوة بيد الرب كثيرة، من نساء إسرائيل بل ومن أنبيائهم وقديسيهم بل وملوكهم الذين احتموا في قوة الرب فعملوا الأعاجيب ولا يزال!

ح ــ «صاروا أشدَّاء في الحرب»:

كل الحروب التي دخل فيها داود الملك انتصر فيها بقوة وعدد أقل من أعدائه بكثير، لأن قوة داود كانت بالرب والإيمان الصادق بوعوده. ولكن أعظم مثل للشدة في الحرب بما لا يتناسب وحجم الأعداء كان أيام المكابيين، وقصصهم كلها مذهلة، وصَدَق القول فيها أن واحداً كان يهزم ألفاً، وكذلك القول الأخير في أنهم «**هزموا جيوش غرباء**»، وذلك معروف من جهة حروبهم مع الرومان ومع السلوقيين ملوك سوريا.

٣٥:١١ «أخذت نِساءٌ أمواتهنَّ بقيامةٍ، وآخَرُونَ عُذِّبوا ولم يقبَلُوا النَّجاةَ لكي ينالُوا قيامةً أفضلَ».

هنا أراد أن يستعرض نوعين من الإيمان: نوع آمن أن الله قادر أن يقيم موتاهن من الموت فأقامهم، ونوع فضّل الموت عن القيامة الصغيرة والقليلة الأيام لينال قيامة أبدية. إنه نوع من الإبداع في الأدب البلاغي.

أمّا النساء اللائي قلّتهن فكان لهنّ أن يقوم موتاهن لهذه الحياة حُبّاً للحياة ولهم. فهما امرأتان واحدة أممية شديدة الإيمان برجال الله وشديدة المحبة لهم وشديدة الفقر أيضاً، تلك هي أرملة صِرفَة صيدا الأممية الفقيرة جداً التي نزل عندها إيليا بأمر الرب، وهي صاحبة آخر متاع لها في الدنيا، كوار الدقيق الذي لم يفرغ وكوز الزيت الذي لم ينقص إلى اليوم الذي أعطى فيه الله مطراً على الأرض، أكلت هي وهو وابنها أياماً. وحدث بعد ذلك أن ابنها مرض مرض الموت فصرخت لإيليا وصرخ إيليا إلى الله:

+ «فتمدّد على الولد **ثلاث** مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل به من العِلّية إلى البيت ودفعه لأمه. وقال إيليا: انظري، ابنُكِ حي. فقالت المرأة لإيليا: هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق.» (١مل١٧: ٢١ــ٢٤)

أمّا المرأة الأخرى فهي إسرائيلية غنية ذات حيثية، صاحبة ضيافة وصاحبة أمانة في رجال الله:

+ «وفي ذات يوم عبر أليشع إلى شونم، وكانت هناك امرأة **عظيمة μεγάλη** فأمسكته ليأكل خبزاً، وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزاً، فقالت لرجلها قد علمت أنه رجل الله **مقدّس** الذي يمر علينا دائماً فلنعمل عُلّيّة على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريراً وخواناً (دولاب) وكرسياً ومنارة (مصباح يُقاد بالزيت)، حتى إذا جاء إلينا يميل إليها ... إنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ (فدعاها وقال لها) في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً ... وكبر الولد وفي ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحصّادين ... (وأصيب بضربة شمس شديدة) ومات!

ودخل أليشع البيت ... فدخل (العُلّيّة) وأغلق الباب ... وصلّى إلى الرب ... فعطس الصبي **سبع** مرات ثم فتح الصبي عينيه ... فدعاها ولمّا دخلت إليه قال: احملي ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت.» (٢مل٤: ٨ــ٣٧)

وهكذا اشترك إيمان هاته النسوة بإيمان هؤلاء الأنبياء الأشداء، فخرج لنا عملاً فريداً من نوعه يوقفنا أمام قبر لعازر لنربط الماضي بالحاضر ونرى مسيحنا يهوه هو بعينه يهوه إيليا وأليشع، ويهوه الشونمية، وأرملة صرفة صيدا، أخت الكنعانية التي أكلت الفتات من تحت مائدة الرب. نعم لا يفرّق بين أممي ويهودي يطلب الإيمان أينما كان: «حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة **عظيم إيمانك ليكن لكِ كما تريدين.**» (مت١٥: ٢٨)

ثانياً: الذين تحمّلوا مشقّات عظيمة:
«وآخرون عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل»:
الألم الذي هو أعظم من النجاة!!

«عُذِّبوا»: ἐτυμπανίσθησαν

الكلمة اليونانية تعني: «ضُربوا حتى الموت».

هنا يضع بولس الرسول موازنة ترفع من شأن هذا العذاب حتى المجد! لأنه إن كانت القيامة من الأموات تُحسب أعلى وأشد الإيمان كالذي احتُسِبَ لإبراهيم برًّا، فهنا يضع بولس الرسول إيماناً أعلى من إيمان القيامة من الأموات، هو قبول الموت رجاءً في قيامة أفضل من قيامة ابن الشونمية أو ابن امرأة صرفة صيدا! هذا هو الإيمان الأقوى من الموت، أو هذا هو الانتصار فوق الموت.

وبولس الرسول حينما أتى بهذه الكلمة اليونانية أعلاه، استحضرها بذاتها من الذاكرة من النص الموجود في سفر المكابيين الثاني في رواية تعذيب أليعازر والسبعة الشهداء وأُمهم (٢مك٦و٧). ومعروف أن «التعذيب» بمفهومه اليوناني كان له أداة تعذيب خاصة يرقد عليها الشهيد ويُشدُّ ويُضرب على ظهره حتى الموت![31]. وكان هذا نصيب أحد نبلاء إسرائيل المكابيين، اسمه أليعازر، الذي رفض النجاة بالفعل وقبِلَ الموت بهذا العذاب، ولم يتنازل عن ولائه لله (٢مك٦: ١٩و٢٨). وبعده جاءت قضية السبعة وأُمهم (لا يزال يُعيَّد لهم في الكنيسة القبطية حتى اليوم في ٨ مسرى) الذين قبلوا العذاب حتى الموت واحداً بعد واحد وأُمهم تشجّعهم واحداً واحداً حتى جاء دورها، والسبب المعروف هو إيمانهم المنطوق بالقيامة من الأموات. ولمّا جاء دور أحد الأبناء خاطب الملك(٣٢) بشجاعة: «إنك أيها الفاجر تسلبنا الحياة الدنيا ولكن ملك العالمين، إذا مُتنا في سبيل شريعته، فسيُقيمنا لحياة أبدية.» (٢مك٧: ٩)

---

31. Bruce, *op. cit.*, pp. 330, 337f.

(٣٢) الملك هو أنطيوخوس إيفانس Antiochus Epiphanes مات سنة ١٦٣ ق.م. وهو ملك سوريا سنة ١٧٥ ق.م. ولقب إيبفانس يعني الشهير أو البارع أو الباهر. وكان سبب نزاعه المريع مع المكابيين هو تصميمه على نشر الثقافة اليونانية، وكان القصد توحيد سوريا وفلسطين. وقد قاومه اليهود بعنف مريع وإن كان قد نجح في البداية في شراء ذمة ياسون وميلولاوس اللذين اشتريا رئاسة الكهنوت منه. وفي سنة ١٧٠ ق.م. هاجم أورشليم ونجّس الهيكل. وفي سنة ١٦٨ ق.م. أعاد موجة من أعنف ما يمكن ذبحاً وقتلاً ليُنهي على اليهودية كدين، وقد منع كل العوايد اليهودية تحت تهديد الإعدام. وقد أقام طقوس العبادات الوثنية داخل الهيكل. وبالنهاية قامت الثورة المكابية التي أجبرته على التراجع نحو بلاد فارس حيث مات. وأعماله مذكورة في كتاب المكابيين.
Oxford Dict. of Chr. Ch. p. 64.

وآخر مدَّ يده ورجليه ليربطوه ويسْحلوه، فقال: «إني من رب السماء أُوتيتُ هذه الأعضاء، ولأجل شريعته أبذلها، وإياه أرجو أن أستردها من بعد» (٢مك٧: ١١)، والآخر قال: «حبذا ما يتوقعه الذي يُقتل بأيدي الناس من رجاء إقامة الله له. أمَّا أنت (أيها الملك) فلا تكون لك قيامة الحياة.» (٢مك٧: ١٤)(٣٣)

٣٦:١١ «وآخرونَ تجرَّبُوا في هُزْءٍ وجَلْدٍ ثم في قُيودٍ أيضاً وحَبْسٍ».

في الآية السالفة نرى الشهداء المكابيين عُذِّبوا وماتوا رافضين النجاة طالبين قيامة أفضل، هنا التعذيب لم يُفْضِ إلى الموت، ولكن أفضى إلى تعذيب وتعذيب. فهنا إيمان احتمال التعذيب!!

هذا إرميا النبي الرهيف الإحساس والوجدان، الصادق التنبؤ الذي لم يَهَب وجه الملوك:

+ «فغضب الرؤساء على إرميا وضربوه وجعلوه في بيت السجن، ... فلما دخل إرميا إلى بيت الجب وإلى المقببات أقام إرميا هناك أياماً كثيرة.» (إر٣٧: ١٥و١٦)

+ «فقال الرؤساء للملك لِيُقتل هذا الرجل (إرميا) لأنه بذلك يُضعف أيادي رجال الحرب (كان يتنبأ على أورشليم بالهزيمة أمام الكلدانيين) الباقين في هذه المدينة وأيادي كل الشعب إذ يكلمهم بمثل هذا الكلام. لأن هذا الرجل لا يطلب السلام (كذا) لهذا الشعب بل الشر. فقال الملك صدقيا، ها هو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء. فأخذوا إرميا وألقوه في جب ملكيّا ابن الملك (مخصوص للتعذيب) الذي في دار السجن ودلُّوا إرميا بحبال ولم يكن في الجب ماء بل وَحْلٌ، فغاص إرميا في الوحل» (إر٣٨: ٤—٦)، والذي أخرجه من الجب قبل أن يموت رجل حبشي (إر٣٨: ٧).

وها هو إرميا يحكي عن تجاربه وهزؤ الناس به قبل أن يجلدوه ويلقوه في الجب، وهو يشتكي أنه إنما كان يقول الحق وينقل كلمة الله بالصدق:

+ «قد أقنعتني يا رب فاقتنعتُ، وألححتَ عليَّ فغلبتُ. صرتُ للضحك كل النهار، كل واحد

(٣٣) يقول العالم بروس في شرحه على هذه الآية صفحة ٣٣٨:

الكنيسة اليونانية تُعيِّد في أول أغسطس لهؤلاء الشهداء المكابيين وتدعوهم الشهداء العظام قبل الشهداء πρὸ μαρτύρων μέγιστοι μάρτυρες . والقديس غريغوريوس النزينزي يدافع عن التعيد لهم مع الشهداء المسيحيين على أساس [إن كانوا هكذا تحملوا التعذيب بشجاعة قبل مجيء المسيح فإنهم بسلوكهم هذا لو كانوا قد عاشوا حتى المسيح ورأوا موته كنموذج لكانوا يعملون أكثر] العظة (١٥) على تمجيد المكابيين.

استهزأ بي، لأني كلما تكلمتُ صرختُ، ناديت: ظلم واغتصاب، لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرية كل النهار، فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي، فمللتُ من الإمساك ولم أستطع. لأني سمعت مذمّة من كثيرين. خوف من كل جانب يقولون: اشتكوا، فنشتكي عليه، كل أصحابي يراقبون ظَلْعي قائلين لعله يطغي فنقدر عليه وننتقم منه. ولكن الرب معي كجبار قدير.» (إر٢٠: ٧ــ١١)

١١: ٣٧ «رُجِمُوا، نُشِروا، جُرِّبوا، ماتوا قَتْلاً بالسيف، طافوا في جُلُودِ غَنَمٍ وجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ».

«رُجموا»:

أمَّا الرجم، فاستقر رأي أبحاث الآباء منذ القديم أنه هو إرميا بعينه، الذي رجموه في مصر، بعد ما تنبأ عليهم بالفناء في الغربة هناك[٣٤] بسبب عبادتهم أصنام مصر والتبخير لها.

والرب يسوع يشهد على أورشليم أنها قتلت ورجمت أنبياءَها (مت٢٣: ٣٧)، والقديس الشهيد إستفانوس يكرِّر ذلك: «أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار» (أع٧: ٥٢). والرب أيضاً يكشف عن جريمة قتل تمت بين المذبح والهيكل، وهو زكريا بن بَرَخِيّا، وهو زكريا النبي المذكور اسمه بوضوح في أول النبوّة الخاصة به: «في الشهر الثامن في السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب إلى زكريا بن بَرَخِيّا بن عِدُّو النبي.» (زك١: ١)

ولكن هناك قراءة أخرى مرجّحة أن يكون هو زكريا الكاهن بن يهوياداع الذي قتله الملك يوآش والمذكور في أخبار الأيام هكذا:

+ «وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا. ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله لماذا تتعدَّون وصايا الرب فلا تفلحون؟ لأنكم تركتم الرب، قد ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب ... وعند موته قال، الرب ينظر **ويطالب**.» (٢أي ٢٤: ١٩ــ٢٤)

ولينتبه القارىء لأن هنا القرينة التي ترجّح أن هذا الكاهن هو المقصود من كلام الرب يسوع، لأن الرب قال: «لكي "**يُطلب**" من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المُهرق منذ إنشاء العالم. من

34. Tertullian, *Scorpion Antidote*, I,8; Jerome, *Against Jovinianus*, II,37 (NPNF, 2nd Ser., Vol. VI, p. 415).

دم هابيل إلى **دم زكريا** الذي أُهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم إنه "**يُطلب**" من هذا الجيل.» (لو١١: ٥٠و٥١)

فتأكيد الرب على كلمة "**يُطلب**" هي نفس الكلمة التي صرخ بها زكريا وهو يموت: «الرب ينظر **ويطالب**». كذلك في الآية الواردة هنا في إنجيل ق. لوقا لم يذكر الرب إلاَّ اسم «**زكريا**» فقط وهذا يرجِّح جداً أنه هو الكاهن الوارد خبر موته في أخبار الأيام الثاني.

«نُشروا»:

أمَّا هذه الميتة الغريبة والمُزعجة جداً للنفس، فكانت من نصيب إشعياء عظيم الأنبياء!! وهذا الخبر وارد في أبوكريفا «صعود إشعياء». والجزء الوارد فيه هذا الخبر قد تأكد أنه أصيل وأنه مدوَّن بيد مؤرخين يهود، إذ وُجِد له أصول في مخطوطات وادي القمران(٣٥). والمخطوطة في الأصحاحات (١:١ــ٣)، (١٢)، (٥:١ــ١٤) (وهي مطابقة لما جاء بمخطوطة وادي القمران) تقول إن إشعياء لكي يتلافى السخط الذي كان في أورشليم والشر المنتشر فيها أيام مَنَسَّى الملك، انتقل من أورشليم إلى بيت لحم، وبعد ذلك اختفى في التلال المتاخمة، ولكنهم قبضوا عليه هناك ونشروه بمنشار الخشب إلى نصفين!! وقبل أن يلفظ نَفَسَه الأخير، نصح تلاميذه أن يهربوا من الاضطهاد إلى فينيقية (أي لبنان الآن)، أمَّا عن نفسه فقال: «ولكن عن نفسي فقد مزج لي الله هذا الكأس.» (أصحاح٥: ١٣)(٣٦)

«طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلَّين»:

لمَّا أحكم أنطيوخس الحصار ليُثني اليهود عن عبادتهم وحفظهم السبت، فهربوا هم وبنوهم إلى الجبال وتركوا كل ما كان لهم: «حينئذ نزل كثيرون إلى البرية ممن يبتغون العدل والحكم ليسكنوا هناك هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم لأن الشرور كثرت عليهم. فأُخبر رجال الملك والجند الذين كانوا في أورشليم في مدينة داود بأن رجالاً من الناقضين لأمر الملك قد نزلوا واختبأوا في البرية. فجرى كثيرون في أعقابهم فأدركوهم وجيَّشوا حولهم وناصبوهم القتال في يوم السبت (خاصة) وقالوا لهم: هل تقاومون (في السبت) فاخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحيوا. فقالوا، لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا نُدنِّس يوم السبت. فأثاروا عليهم القتال فلم يردوا عليهم ولا

35. Sanhedrin, 103b.
Justin, *Dialogue with Trypho*, 120.
Tertullian, *On Patience*, 14.

36. Bruce, *op. cit.*, p. 341.

رموهم بحجر ولا سدُّوا مخبئاتهم قائلين: لنَمُت جميعاً في استقامتنا والسماء والأرض شاهدتان لنا بأنكم تهلكوننا ظلماً. فهجموا عليهم وقاتلوهم في السبت فهلكوا هم ونساؤهم وبنوهم ومواشيهم وكانوا ألف نفس من الناس.» (١مك٢: ٢٨ــ٣٨)

+ «أمَّا يهوذا المكابي فقد تنحَّى إلى القفر وكان يعيش في الجبال بين الوحوش مع أصحابه وكانوا يمكثون آكلين العشب طعاماً حتى لا يتدنَّسوا برجس (أنطيوخس).» (٢مك٥: ٢٧)
+ «فإن امرأتين سُعِيَ بهما أنهما ختَّنتا أولادهما فعلَّقوا أطفالهما على أثديهما وطافوا بهما في المدينة علانية ثم ألقوهما من السور.» (٢مك٦: ١٠)
+ «ولجأ قوم إلى مغاير كانت بالقرب منهم لإقامة السبت سرًّا، فوُشي بهم إلى فيلبس، فأحرقهم بالنار وهم لا يجترئون أن يدافعوا عن أنفسهم إجلالاً لهذا اليوم العظيم.» (٢مك٦: ١١)

١١: ٣٨ «وهُمْ لم يكُن العالَمُ مُستحِقاً لهم. تائهينَ في بَرَاري وجبالٍ ومَغايرَ وشقوقِ الأرضِ».

قد أرسلهم الله إلى العالم ليؤدوا رسالة وتعليماً وشهادة عن الله والإيمان والحق، ويوعِّوا الناس فيما يخص حياتهم الأبدية، ويحذِّروهم من مخالفة الله، ويخبروهم بحتمية الدينونة للخطاة. لأن الله يحب العالم حقاً، ويودُّ أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون. ولكن لأن العالم أهانهم ورذلهم وآذاهم في أجسادهم ونفوسهم ورفض السماع لهم ثم قتلهم، فقد أثبت العالم أنه مستحق للدينونة وأنه فعلاً غير مستحق لهم. أما الذين قبلوهم من العالم فقد أثبتوا أنهم ليسوا من العالم وأنهم مستحقون لكلمة الله التي جاءتهم على أفواههم، وقد ربحوا نفوسهم والحياة ورضا الله. أمَّا هؤلاء الشهداء القديسون فقد أدُّوا الرسالة والأمانة ولم يخسروا شيئاً، بل ربحوا محبة الله وعطفه والمكافأة الحسنة، وسيكونون أداة دينونة للذين قتلوهم بلا رحمة. فدمهم سيتكلَّم ويشهد بما فُعل فيهم كما حدث في هابيل الذي صعد دمه صارخاً من ظلم أخيه.

«تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض»:

ويكمِّل القداس الإلهي هذه المقولة هكذا: «من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح» (قسمة الصوم الكبير). وإن كان ق. بولس هنا يتكلَّم عن ما قبل المسيح. يا لها من مقولة، ويا له من وصف الإنسان عندما ينبذه العالم فيخرج هائماً على وجهه يلتجيء إلى الطبيعة في براريها وجبالها

ويحتمي في صخورها ومغايرها وشقوقها، أمّا في نظر العالم فهذا هو الشقاء كل الشقاء، أما في نظرهم فهذا هو الحب كل الحب، لأن الإنسان عندما يُهان ويُرفض ويُذل من أجل الله والمسيح وهو لم يعمل شرًّا ولا أتى سوءاً لأحد فيقول بطرس الرسول أن هذا يكون «فضلٌ عند الله»! (١بط٢:٢٠). عجباً! بل وإن «روح المجد والله يحل عليكم»!! (١بط٤:١٤). هذا حق، بل ولن يحس الإنسان بحب الله بهذه «العظمة» وهذا الفضل العميم إلاّ إذا ذاق الرفض والغربة من العالم. فقد أحسَّها كثير من الأنبياء القدامى، وعاشها إيليا وإشعياء في أواخر أيامه الذي نُشر وهو في البرية يتعبد. لقد أحسَّها بولس الرسول فأدخلها ضمن لاهوته، وقال إن العالم صُلب له أي مات عن كل ما للعالم وقد قام، لحياة ملؤها الحب والسعادة الروحية الفائقة، واشتهى الدرجة الثانية بعد الخروج من العالم، أن ينطلق ويكون مع المسيح أفضل جداً. وهكذا فإن ظلم العالم الفادح وقبول التألم من أجل الحق والإيمان عن حب لله والناس، أهّل الإنسان أن يكون مع الله والمسيح هنا وهناك. يا له من سر عجيب قد كشفه بولس الرسول بقوله عن ذوق واختبار: «إن كنّا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو٨:١٧). غير أن ق. بولس يتكلم هنا عن الآباء الأماجد قبل المسيح الذين عانوا من أجل الحق وكلمة الله.

أمّا قوله: «**تائهين**»، فما أحبها كلمة وما أعزّه منهجاً عند النساك والعُبّاد وعاشقي التقوى قديماً وحديثاً. فشيء هو أن يسكن الإنسان في قصر ثم شيء آخر أن يسكن في كوخ حقير، ولكن أن لا يسكن الإنسان قط فهذا هو طقس الذين خلعوا أجسادهم قبل أن يخلعوها. لا «مرتبة» مريحة ولا وسادة ناعمة ولا غطاءً دافئاً، بل «في العراء يبيت» كما كان يصنع معلمنا المسيح. تحت صخرة أو في ظل شجرة يختطف نعاساً ثم يقوم يسبِّح الذي لا يغفل ولا ينام. يطوي البلاد سائراً بل مسبِّحاً، ويقطع الجبال والدروب والفيافي متأملاً، لا يدري أين هو ولا يدري إلى أين يسير، يقوده ملاكه ويحرسه جناح الله الذي «في ظل القدير يبيت» (مز٩١:١). وكان هذا حسب علمنا طقس السُّوّاح الذين يوصفون بالمجاهدين، فلكل براري مقدّسة سُوّاحها، ولكل جبال الله سوّاحها، ولكل زمان سوّاحه، ويوجد سوّاح لكل البراري والجبال والأجيال، هؤلاء يقتاتون من حشيش الأرض ويكتفون بندى السماء ماءً. ثيابهم على أجسادهم لا تبلى، وأعوازهم يأخذونها من مدبِّرهم السماوي في أوانها، فهي أسرار قلّ مَنْ درى بها وأقل من ذلك من اكتحلت عيناه برؤياهم. كان هم في زمان التقوى طقس تُجريه لهم الكنيسة ويستنيرون بعلمها وصلاتها، وتستغيث هي بهم في عوزها وضيقها.

كم من كنائس صلّوا فيها في غير مواعيدها، وكم من كنائس مخفية لا يزالون يقيمون الخدمة

فيها في مواعيدها، بل وكم من بيوت أتقياء زاروها وأكلوا فيها وصلُّوا، ومرضى زاروهم وشفوهم، ومتوحدين آزروهم وعزُّوهم وشدُّوهم. ساعدتهم طبيعتهم على ركوب مُتُن السحاب والانتقال عبر البلاد والقارات لعمل الآيات والمعجزات، وتعريف النفوس بالنفوس، وكشف المستور لعيون المختارين، واستعلان مسرات الله لمتَّقي الله. كم مِنْ تائه أعادوه للطريق، وكم من جائع مُذْنِف على الموت أسعفوه بالطعام، **ولكن من ضعف أرواحنا ضاق عالمهم في نظرنا واختفى**، فضاقوا هم بعالمنا وقلَّت قدرتهم على التجلي. يروننا ولا نراهم، وإن رأيناهم يعرفوننا ولا نعرفهم، وإن أرشدونا لا نسمع لهم. ذخيرة حياتنا منظورة لهم، يعرفون ميعاد انتهائها ويسبقون ويعطون لنا الإشارة ليسهِّلوا علينا نقض الجسد لأخذ الأُهْبة للسفر.

وعلى السائح أن يسلِّم الوديعة لآخر فقد جُعل هذا الطقس لا يفنى، فلا يزيد ولا ينقص.

أمَّا قوله عن «**المغاير**» فهذا لا يزال صداه يرن في بعض الآذان، لأنه كان إلى زمن قليل طقساً جليلاً. وإن كان ق. بولس هنا يركِّز على ما قبل المسيح، ولكن معروف أن كل طقوس النسك والعبادة التوحدية وحياة المغاير كلها بدأت في العهد القديم. حتى الرهبنة الديرية بشكلها البتولي بدأت بالأسينيين اليهود في وادي القمران والترابيوتا في بحيرة مريوط غرب الإسكندرية. وكانوا أول مَنْ قَبِل الكرازة بالمسيح في مصر.

طقس تعتز به الكنيسة، تُقيمه لمختارين اختاروا حياة الوحدة عن تسليم ولياقة، وكان لهذه الحياة تدبيرها ومعلميها الذين أتقنوا أعمالها وخدماتها وأسهارها وصلواتها. ومنهم كانوا رؤوس الرهبانية المعروفين بالإفراز والحكمة والتدبير، الذين ملأوا براري مصر وجبالها بالرهبان الذين يستنيرون بسيرتهم. وكانوا للكنيسة سنداً تستند إليه في تدبيرها وعلمها وروحانياتها فاغتنت بهم وفاض غناها على المؤمنين، ولكن لكل زمان حاله.

أمَّا عن «**شقوق الأرض**»، فهذه هي المغاير الطبيعية التي لم تحفرها يد، يلجأ إليها العُبَّاد من الناس والنساك الذين يفرُّون من العالم تحت ضيق الاضطهاد إلى أن يزول الضيق والاضطهاد. وكانت معروفة في أيام الاضطهاد في السنين الأولى للكنيسة في كل بلد وقطر، وقد تكلَّم عنها كثيراً سفر المكابيين قديماً، والتاريخ الكنسي المسيحي مليء بنماذج من هذه الملاجيء الطبيعية التي كان يعيش فيها الرجال حتى بعائلاتهم إلى أن يزول الضيق أو لا يزول، ويستشهدون فيها عندما يُكتشف أمرهم. ويُعرف بعضها بالسراديب وهي شقوق طبيعية تحت الأرض، ومنها سراديب روما المشهورة وسراديب جبال الكبادوك في شمال تركيا وهي أعظمها وأكثرها، وحوائطها ملآنة بأسماء

الشهداء الذين استشهدوا فيها أو دُفنوا بالمئات. وقد تعرَّف العلماء على كثير منها بتدقيق وأرَّخوا لزمانهم بأكثر تدقيق (٣٧).

١١: ٣٩و٤٠ «فهؤلاءِ كلُّهم مَشهُوداً لهم بالإيمانِ لم ينالُوا المَوْعِد، إذْ سَبَقَ اللهُ فنَظَرَ لنا شيئاً أفضَلَ لكي لا يُكْمَلُوا بدوننا».

بقوله هنا «كلهم»، يصبح المقصود جميع هذه المُثُل العالية في الإيمان والبذل والصبر والاحتمال، سواء ما قبل دخول أرض الموعد أو ما بعد ذلك حتى إلى مجيء المسيح. ويصبح معنى «لم ينالوا المواعيد» متضمناً وعود الله لداود أن من نسله يجلس على كرسيه إلى الأبد، حيث لم يتحقق هذا إلَّا في المسيح. وبهذا يصبح مفهوم الآية (٤٠) يوضِّح أن تأنِّي الله على هؤلاء المشهود لهم بالإيمان وتدخُّل إرادته بل مسرَّته أن يتألَّم معظمهم آلاماً هكذا شديدة وهكذا طويلة، كان بقصد الإعلان عن إيمانهم الصادق الذي استحق لهم بالفعل أن يكونوا شركاء الموعد بل كل المواعيد والميراث الحقيقي المعدّ في السماء. ثم كونهم يموتون دون أن يحققوا أو حتى يتحقَّقوا من هذه المواعيد، فهذا أولاً أعظم شهادة لهم، وثانياً لكي يُستعلن مستوى رجائهم الحي في الله وفي حتمية تكميل مواعيده.

ومن هنا يبرز المعنى العميق، أنه حتى نحن وقد صرنا في عمق تحقيق مواعيد الله ولنا الموعد المحقق نحياه بالفعل في شخص ربنا يسوع المسيح الابن الوحيد، الذي فتح لنا الطريق والباب إلى الله والميراث المُعَدّ، إلَّا أننا لا زلنا نترجَّى تمام المواعيد وإن كنَّا نحياه بالإيمان، وهو استعلان الرب من السماء لبدء الحياة الجديدة في الميراث الحقيقي السماوي مع الله. وهكذا وإن هم كانوا يترجون في البدء الموعد على الأرض والميراث، ثم امتد رجاؤهم في مجيء المسيح لنوال ما هو أفضل، صرنا نحن، ونحن نحيا في عهد المسيح، على مستوى الترجِّي أيضاً لما هو أفضل في استعلانه الثاني ممجداً من السماء، وبذلك لم يُكملوا بدوننا ولا نحن تكمَّلنا بدون الآتين بعدنا، فالكل ينتظر تمام تكميل المواعيد حتى يشترك الجميع في الإيمان الواحد والاحتمال الواحد والضيق الواحد، ليتزكى إيمان كل إنسان تعيَّن لميراث الحياة الأبدية مع المسيح والله.

وهنا بولس الرسول يوجِّه إيمان وصبر هؤلاء العبرانيين، أنه قد وضع لنا «الإيمان» كما وضع لنا احتمال الآلام لتزكية الإيمان، سواءً بسواء. لذلك أصبح الجهاد والمثابرة أمراً حتمياً لا مفر

(٣٧) انظر كتاب: «شرح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية»، للمؤلف، الأصحاح السادس عشر.

منه، إن كنا حقاً نؤمن، وإن كنا حقاً نود أن يتزكى إيماننا لنوال تمام المواعيد. على أنه كما ابتدأ إيمان إبراهيم الذي تزكى بالإيمان بالقيامة من الأموات، هكذا يتحتم أن الذين تعيَّنوا لميراث وعد الله أن يشتركوا في إيمان إبراهيم بالقيامة من الأموات. لأن بالنهاية لابد أن نعيش هذه القيامة عينها في واقعها الكامل في شخص ربنا يسوع، أي نعيش ملء الإيمان الحقيقي الكامل حتى يتزكّى — كل إنسان — لنكون جميعاً جسداً واحداً في المسيح، جديداً، أي قائماً من الموت لنوال الحياة الأبدية مع الله، الذي هو عينه أصل الميراث الذي وعد الله إبراهيم به في نسله أي المسيح الرب.

الأصحاح الثاني عشر
الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان

لسان حال الأصحاح:

والآن وقد عرفنا عظمة الإيمان وانتصاراته الباهرة في أشد حلكات الظلام، فماذا نحن صانعون الآن؟

وهنا يقدّم بولس الرسول لهم ثلاثة خطوط فكرية عملية:

الخط الأول: (١٢: ١ــ١٣) الانضباط والاحتمال.

الخط الثاني: (١٢: ١٤ــ١٧) التمسُّك بالسلام والنقاوة.

الخط الثالث: (١٢: ١٨ــ٢٩) التزامات يحتّمها العهد الجديد.

[١٢: ١–١٣]

الخط الأول: الانضباط والاحتمال

وينقسم إلى ثلاثة توجيهات:

التوجيه الأول: تقديم الدوافع التي تشجِّع بل تحتِّم الانضباط والاحتمال (١٢: ١).

التوجيه الثاني: تقديم النموذج الإلهي الحي الفعَّال (١٢: ٢و٣).

التوجيه الثالث: القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال (١٢: ٤–١٣).

(١٢: ١) التوجيه الأول:

تقديم الدوافع التي تشجِّع بل تحتِّم الانضباط والاحتمال:

١٢: ١ «لذلك نحنُ أيضاً إذْ لنا سحابةٌ من الشهودِ مقدارُهذه محيطةٌ بنا، لنطرَحْ كلَّ ثِقْلٍ والخطيَّةَ المحيطةَ بنا بِسُهولةٍ، ولنُحاضِر بالصبرِ في الجهادِ الموضوعِ أمامَنا».

واضح هنا مقدار التنسيق الإبداعي الذي قدَّمه بولس الرسول في الأصحاح الحادي عشر، لكي يستشهد به هنا في الأصحاح الثاني عشر. فالأسماء التي قدَّمها، والتركيز على الشخصيات التي تعذَّبت واحتملت العذاب المريع حتى الموت بلا رحمة، يسندها الإيمان القوي غير المتزعزع، هي لأشخاص كلهم في العهد القديم، أضاء إيمانهم كل التاريخ القديم، و بالأكثر أنه «**شُهِدَ لهم**»، والشهادة جاءت أحياناً واضحة من الله نفسه، «فبه (بالإيمان) شُهِدَ له أنه بار إذ **شَهِدَ الله** لقرابينه.» (عب١١: ٤)

ثم هنا يعود بولس الرسول ويجعل هؤلاء الذين شُهِدَ لهم ولإيمانهم في الضيقات، يصيرون هم الآن شهوداً محيطين بنا.

«سحابة من الشهود νέφος μαρτύρων **، مقدار هذه محيطة بنا»:**

القصد من استخدام كلمة «سحابة»، هو أنهم من الكثرة بحيث لا يمكن عدُّهم، وأنهم منتشرون حولنا وفوقنا. ولكن بولس الرسول لا يتدخَّل في وظيفتهم تجاه المجاهدين والمتألمين سوى

بقوله أنهم شهود. والشهود عملهم الأساسي أنهم ينقلون ما رأوه وما سمعوه إلى الله، فهذه وظيفة الشاهد الأولى. أما بعد ذلك فالشاهد لا يقف صامتاً بل يشجّع المتألمين على الصبر، لأن له من آلامه التي تألّم بها خبرةً حية تحوّلت فيه إلى قوة فوق الطبيعة البشرية يبثُّها في المتألمين والمتضايقين والذين يجوزون التعذيب، على هيئة قوة صبر واحتمال وشكر. وهذه حقيقة مختبرة، فكم مرّة نخرج من الضيقة والاضطهاد بل والتعذيب مندهلين كيف صبرنا، كيف احتملنا، كيف في أتون الضيقة والعوز والمرارة كنا شاكرين بل كنا متهللين. أليس هذا ما نسمعه تماماً في قصص الشهداء أنهم نالوا قوة ومعونة فوق العادة وعبروا الموت بتهليل؟!

ويا للتنسيق الذي نسّقه بولس الرسول في الأصحاح الحادي عشر، إذ قدّم جميع أصناف العَوَز والألم والغربة والجوع والعطش والعري والسيف والحريق والحرب والسبي والإذلال والمهانة والكرب الشديد، حتى يختار كل واحد منّا من هذه السحابة المصَفّة مَنْ يستطيع أن يبثّ معونة في حينها ويرى فيه نموذج الصبر والانتصار.

إذاً، فنحن لا نتألّم وحدنا أو كأن ليس لنا مَنْ ينظر ويسمع ويكتب، بل ويسند ويعين. فالذين ذُبحوا وصُلبوا وتقطّعوا وأُحرقوا وأُغرقوا، وصبروا حتى الموت، لم يجوزوا هذا العذاب لحسابهم وحدهم، فلنا في محنتهم نصيب. فإن كان ق. بولس قالها وهو حي: «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف، مَنْ يعثُر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩)، ألا يقولها ويعملها الآن وهو متربّع على عرش مجد الشهادة وفي يده قوة النصرة على حد السيف؟ وهل يمكن أن نتناسى كيف سلّم إيليا ضعفين من قوته إلى أليشع بعد أن انتقل مباشرة في مركبة نارية، وفي الحال مارسها أليشع ليستوثق من صدق المقولة وصدق التنفيذ:

+ «ورجع (أليشع) ووقف على شاطىء الأردن فأخذ رداء إيليا الذي سقط عنه وضرب الماء وقال: أين هو الرب إله إيليا، ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك فعبر أليشع.» (٢مل٢: ١٣و١٤)

+ «ولمّا رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالته قالوا: قد استقرت روح إيليا على أليشع.» (٢مل٢: ١٥)

ويصفها بولس الرسول بحكم القانون أن أرواح الأنبياء تطيع وتخضع للأنبياء: «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١كو١٤: ٣٢). وهذه حقيقة تشرح لنا مقدار القوة والمعونة المذخّرة لرجال الله عند أرواح الأنبياء القديسين.

كذلك كون هذه الأرواح المجيدة تأخذ موقعها من جهادنا وآلامنا كشهود لله. فالآن، هل يضيع أجرٌ على أي متألِّم؟ وأية نصرة يجتازها المظلومون والمسحقون والمذلُّون ولا ترفع لحسابهم في الحال أمام الله؟ أما هذه السحابة، وكلها ملطخة بدم الشهادة، فهي تتكلَّم. وأول مَنْ يتكلَّم فيها هابيل المقتول ظلماً من أخيه. فهذه الدماء لا تفتر ولا تنثني عن أن تتكلَّم أمام الله عمَّا نعانيه وعمَّا نحرزه من نصرة إيمان لحساب المسيح والله. فمَنْ ذا لا يتشجَّع أو مَنْ ذا يخور: «وإن مات يتكلم بعد.» (عب ١١ : ٤)

«لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا»:

وبعد أن اطمأن بولس الرسول إلى المعونة والشهادة الآتية من فوق، عاد يفتِّش عمَّا يعيق الجهاد ويُضعف الصبر ويُقلل القدرة على احتمال الآلام والمشقات.

وهنا يقسمها إلى قسمين، قسم سمَّاه «**كل ثقل**»، والآخر حدَّده أنه الخطية ذاتها.

«لنطرح كلَّ ثِقلٍ»:

التشبيه هنا قائم على إنسان مدعو للجري، إمَّا لربح الجائزة وإمَّا هرباً من هذا العالم الشرير. فأول نصيحة للذي يريد أن يأخذ أكثر سرعة وقوة في جريه هي أن يخفِّف من الأثقال التي عليه والتي لا تدخل في صميم الحاجة إلى الجري. وهنا لم يحدد أي نوع من الأثقال، ولكنها حتماً تكون من كل نوع، إن كانت جسدية كشهوة الأكل والإكثار منه أو الأطعمة الممتازة أو التي في غير أوانها أو ثقل زائد في وزن الجسم أو عادات ذميمة كالنوم الكثير أو شهوة البطالة وعدم العمل أو الهروب من الصوم والصلاة لراحة الجسد، أو أثقال خلقية ونفسية وسلوكية كالإدمان على المنبهات، أو ما يشاكلها، والارتباط بعادات ليست في صالح الإيمان أو حتى ضده، أو الارتباط بأشخاص مستهزئين نمَّامين حاقدين حاسدين متذمرين، أو الارتماء وراء العواطف من ناحية الأهل أو الجنس الآخر، أو حتى حب السَّمَر والضحك وقتل الوقت بل قتل الروح، ولذَّة اللف والدوران وغشيان البيوت والأكل فيها إنزلاقاً وراء راحة النفس، أو جمع المال أو جمع المديح والثناء ومسك سير الناس. هذه أثقال كلها تُحسب عدواً لدوداً لمَنْ ربط وسطه للجري في ميدان العبادة والنسك والصلاة الدائمة واكتساب حب المسيح والعذراء والقديسين ومعونة سحابة الشهود.

«والخطية المحيطة بنا بسهولة»:

لا تحدد اللغة هل نطرح الخطية التي أحاطت بنا بسهولة أو نطرحها عنَّا بسهولة(١)؟ ولكن

---

1. Westcott, *op. cit.*, p. 393.

الحقيقة يمكن أن تكون الحالتان. فالخطية ما أسهل دخولها وإحاطتها بالإنسان كعدو يطلب محاصرة الإنسان لامتلاكه أو لهلاكه على وجه أصح. ولكن أن نطرحها عنّا بسهولة، فهذه نصيحة من نور فلْ مَنْ قالها وعلّم بها، ولكنها عين الحكمة ونصيحة الخبرة لخبير عرف أن الذي يبدأ بالحرب هو الغالب، وأن الضربة القاضية إن لم تأتِ في البداية فعسير إن هي جاءت. لذلك يجب أن لا نستكثر الخطية أو نخافها أو نخشاها، بل كأبطال حرب وجهاد في جندية المسيح الشريفة ذات الأسلحة المعروفة القادرة بالله على هدم حصون الخطية والخطاة، فلنضرب ضربة إيمان لا يهتز ونيّة مستعدة بالبذل والتضحية حتى الموت، فنقطع أوصال الخطية مرّة واحدة و بسرعة و بدون تردد، وفي الحال يأتينا العون من قِبَل الرب ومن سحابة الشهود العظيمة التي هذا مقدارها. فيد الرب ممدودة ولن تقصر أبداً عن أن تحارب معنا وتصد عنّا، وتغلب لنا إن نحن التجأنا إلى التمسُّك بها بإيمان لا يعرف النكوص، وبلجاجة تسهر للصباح، ودموع ساخنة دائماً.

«ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا»:

«ولنحاضر»: τρέχωμεν

لا نفهم من أين أتى المترجم العربي بهذه الكلمة، وهي باليونانية واضحة فهي لا تعني إلاَّ «الجري»، ولكن هو جري في الجهاد بمعنى بذل أقصى طاقة من العزيمة والمثابرة مع الصبر في أداء كل الوسائل الموضوعة أمامنا للحصول على النصرة الكاملة غير المنقوصة حسب مطالب الإيمان وحسب دعوة الله لنا والواجب الملقى علينا.

ويمكننا أن نشعر بهذا كله في شهادة بولس الرسول عن نفسه في آخر أيام حياته:

+ «وأمَّا أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب. وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون ... فإني أنا الآن أُسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي٣: ١٠—١٢، ٤: ٦—٨)

علماً بأن دعوة كل إنسان يقدِّمها الله بكل حكمة وفطنة لكل إنسان حسب ما قسَّم له من إيمان. ثم إن كل تجربة يسوقها العدو علينا، يكون قد سبق قياسها بمعرفة الرب حتى تكون في نطاق قدرتنا على الاحتمال، بل ويعطي مع كل تجربة منفذاً لا يعثر عليه الإنسان إلاَّ بالإيمان.

فحينما يطالبنا الوحي الإلهي في هذه الآية بالجري والصبر في الجهاد تحت مرأى وسمع سحابة الشهود، فإنه ليس من فراغ يطالب؛ ولا كأنه بدون قياس وتدبير إلهي، إذ يستحيل أن يطالبنا الله بأكثر مما أعطانا، ولا يضع علينا أثقل من احتمالنا، فهو ينتظر منّا النصرة التي وهبنا أدواتها. لأننا حينما ننتصر، لا ننتصر لأنفسنا بل لصاحب النصرة الحقيقية، فمعروف أن المتاجرة بالمواهب والعطايا التي منحنا إياها هي باسمه والربح هو لحسابه ويكفينا جداً: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك.» (مت٢٥:٢١)

(١٢ :٢و٣) التوجيه الثاني:
النموذج الإلهي الحي الفعّال:

١٢ :٢و٣ **«ناظِرِينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمِّلِهِ يَسُوعَ، الذي من أجلِ السُّرورِ الموضوعِ أمامَهُ احتمَلَ الصَّليبَ مُستهيناً بالخِزْيِ، فجَلَسَ في يَمينِ عَرْشِ اللهِ.**
فتفكَّروا في الذي احتَمَلَ من الخطاةِ مقاومةً لنفسِهِ مثلَ هذه، لئلاَّ تكلُّوا وتَخُوروا في نفوسِكم».

إن كان مَثَلُ ق. بولس وبقية الرسل والشهداء الذين احتملوا الآلام حتى الاستشهاد يعطي تشجيعاً ويؤمّن الإنسان على طريق الآلام، لكي يسير على طريق معبّد سارت فيه أقدام قديسة هي الآن في موقع الشهود بعد الشهادة وفي مركز العطاء بعد التفريغ الكلي حتى الموت؛ إلا أن نموذج الرب يسوع المسيح فريد من نوعه حقاً، لأن آلامه وتعاذيبه أكثر وأشد، ولأن قداسته ونقاوة قلبه ويديه جعلت طريق الآلام ليس معبّداً بل معبوداً حيث ينضح علينا من آثار دمائه قداسة أيضاً وبرًّا وطهارة فوق الشجاعة والمعونة والشركة. لأن مَنْ ينظر إلى صليب المسيح ثم يتفكَّر فيما جازه من آلام، يصبح ما يعانيه من الآلام شركة!! فكل ألم نجوزه على طريق الخلاص والجهاد في الإيمان لحفظ الوديعة قد أصبح محسوباً لنا شركة في آلامه، والشركة في الآلام لا تبقى محصورة في الآلام بل تمتد إلى النور والسلام لتصبح شركة في مجد نعاينها كلما نظرنا إليه، وتملأ قلبنا وفكرنا كلما تفكرنا فيه.

فإن كانت سحابة شهود الإيمان التي سجلها لنا بولس الرسول لتبقى لنا مصدر معونة وتشجيع وإيمان، فما بالك بالرب يسوع المحسوب أنه لا شاهد إيمان ولا مشهود له بالإيمان بل هو هو رئيس الإيمان، وكل ما نقص في إيمان هؤلاء الشهود أكمله هو وأكمله إلى منتهى الكمال!!

وحينما يقول: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع»، فإنه يهيب بنا ليس فقط أن ننظر إليه مصلوباً أو مُهاناً أو مضروباً في شخصه لشخصه لكي نتشجع، بل وأن نرفع النظر العقلي والقلبي إلى «يسوع» الذي حل خطايا العالم أجمع في جسده، مع إيمان بالنصرة، فانتصر، فعادل إيمانه خطايا كل الناس، وغلب وأفاض!! هنا تشديد بولس الرسول على لقب «يسوع» فقط هو تركيز زائد لنرى بشريتنا في المسيح وهي غالبة كل خطايا العالم بالإيمان الذي جمع «يسوع» كل عناصره، كل قوته، حتى أعماقه، حتى إلى حد المطلق منه، فهو إيمان كل الإيمان. والإيمان المطلق شأن كل «مطلق»، مهما أخذ منه لا ينقص ولا يتغيّر، فهو إلهي، فإذا فاض لا يفيض جزئياً بل بإطلاقه، ولكن واحسرتاه فنحن لا نلتقط منه إلاّ ما قسّم لنا على قدر ما نحتمل أو نستحق!

فهو لما يقول هنا: «ناظرين إلى رئيس الإيمان»، فهذا نَظَرُ الأخذ بكل القدرة، بكل الفهم، بكل الاغتصاب. فنحن نعلم تماماً ما هو النظر إلى الله وما لله! «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨). هنا النظر أَخْذٌ واستيعاب وامتلاكٌ للتحوُّل إلى نفس المنظور إليه، ليس بقوة أو بقدرة بل كما من الرب الروح!! «التفتوا إليَّ واخلصوا.» (إش٤٥: ٢٢)

عزيزي القارىء، المعنى مختبىء ولكنه جد خطير. فحينما تثبّت نظرك الروحي القلبي في «يسوع» المتألم وهو على الصليب يحيطه الخزي والعار والمهانة والبصاق واللعنات، يرتد إليك نظرك بنظره هو ليفحص قضيتك، فقد صارت قضيتُك قضيتَه، وآلامُك آلامَه، لأنه إنما صُلب واحتمل الخزي والعار من أجلك، وأنت الآن تطابق المثيل على المثيل فتحمل الآلام والخزي والعار والطرد والإهانة من أجله، فكيف لا يَهَبُك إيمانه؟ كيف لا يَهَبُك صبره وقوة احتماله وسر نصرته؟ «في كل ضيقهم تضايق!!!» (إش٦٣: ٩)، «يقودنا في موكب نصرته!!!» (٢كو٢: ١٤)، «وبحُبُره شُفينا» (إش٥٣: ٥). ألا نصلي في الأجبية: [اقتل أوجاعنا بآلامك الشافية المحيية] (صلاة الساعة السادسة، القطعة الثانية)؟

وحينما يقول: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله»، يعطينا الرجاء الحي المبارك أن ما نقص من إيماننا هو يكمّله، فالذي نخاطبه في القداس: «أكملت ناموسك عني»، فبالأولى جداً أن يكمّل إيماننا. لأنه إذا ما أراد أن يقدّمنا إلى أبيه فلابد أن يقدّمنا بلا لوم، فيكمّل كل نقص يمنعنا من رؤية الله أبيه أو رؤية الله لنا. لهذا يقول بولس الرسول بكل وضوح: «الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

«الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي»:

هنا نقلة كبيرة من احتمال الألم إلى السرور بالآلام أو الآلام من أجل السرور سيان. كان انشغال صالبي المسيح في التفنُّن في طرق تأليمه وتعذيبه، ولكي يزيدوا آلامه الجسدية أرفقوها بمصنفات من الإهانات بالكلمة والتعيير والفضيحة العلنية، وكان اعتقادهم أنه قد سُحق خزياً وعاراً. أمَّا فكر المسيح فكان مصوَّباً إلى قدرة هذه الآلام ومعها العُري والفضيحة في مساواتها ــ على الأقل ــ بالخطايا التي حملها في جسده، والتي كانت أشد عاراً وأشد حزناً على نفسه حتى أحزنتها وكسرتها. وهكذا كان يحس ويثق أن ذبيحة الكفَّارة قد استكملت مواصفاتها، فكان تتميم الكفَّارة بآلامه وما سينتج عن ذلك من فرح البشرية الحزينة المرفوضة وعودتها إلى المصالحة مع الله الآب، هو مصدر سرور لا يُحدُّ، فكلما زادوا عليه الآلام كلما شعر بالسرور الموضوع أمامه، وزاد يقينه به، فاستهان بكل خزي واحتمل العار حتى النهاية، حتى الموت!!

والآن هي دعوة من بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين، ولنا نحن بالأَولى، أن نختبر هذا السر الذي أسَّسه الرب يسوع المسيح بصليبه، أن نربط الآلام واحتمالها ــ كل الآلام التي تصادفنا في طريق الإيمان المسيحي ــ بالسرور الذي وضعه الله مربوطاً ربطاً مُحكماً بها، فيستحيل أن توضع علينا آلام ولا يكون أساسها الذي وُضِعت عليه سروراً! لا نقول أنه هدف للآلام ولا مكافأةٌ، فهذا تصوُّر ضعيف لحكمة الله وتدبيره، بل إن السرور وُضِع أولاً وعليه تركَّب الألم بإحكام. فالخلاص العجيب، وبهجة وسرور الخلاص التي ملأت العالم وعمَّت البشرية، كانت هي التي حتَّمت بالصليب وآلامه.

وهذا السر أدركه إشعياء النبي فوضعه مبهماً: «أمَّا الرب فسُرَّ أن يسحقه (المسيح) بالحزن» (إش٥٣: ١٠). فأول قراءة للآية تعطي انطباعاً حزيناً كيف يُسر الله أن يكسر ابنه بالحزن. ولكن بعد تأمُّل ورويَّة، وعبوراً على الصليب ونتائجه، يتضح أن الآب من أجل السرور الموضوع أمامه رضي أن يسحقه بالحزن! فإن كان هذا، وجاز أن يكون، بالنسبة للابن الوحيد، فماذا بقي لنا إلاَّ أن نتشرف بأن ندخل عمق هذا التدبير الإلهي البديع؟

«فجلس في يمين عرش الله»:

لا يعطيها بولس الرسول كمكافأة للذي احتمل الصليب واستهان بالخزي، ولكنه يقدِّم صورة للمفارقة الصارخة، أن الذي رُئي مصلوباً صابراً على الصليب ومحتملاً الخزي، هو هو نفسه يُرى الآن جالساً في يمين عرش الله. ولأن المسيح لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله بل هو أصلاً الابن الوحيد الدائم الذي في حضن الآب قبل أن يتجسَّد وبعد أن تجسد، الذي كان يُرى من الملائكة

جالساً دائماً على عرشه مع الآب. وهكذا أمكن أن نقول إن الجالس على عرشه في نظر الملائكة، وُجد مصلوباً بأيدي الناس ومُهاناً. ولكن، بعد الصليب، ولمَّا عاد وجلس هذه المرة وهو "حامل جسد البشرية" عن يمين عرش الله، فلم يكن جلوسه هذا تكريماً له بل تكريماً لنا ولبشريتنا التي تكرَّمت وتمجَّدت فيه ليكون موقعها مع الابن عن يمين الله (رو٣: ٢١)، والتي مُخبَر عنها بالشركة مع الآب والابن (١يو١: ٣). إذاً، فلم تكن مكافأة أن الذي صُلب وأُهين يجلس عن يمين عرش الله، بل هو إعلان واضح صارخ أن بالآلام والمعاناة واحتمال الخزي والمهانة استطاع ابن الله أن يرفع ابن الإنسان ويُجلسه عن يمين عرش الله.

وينبغي هنا أن نعرِّج على آية بولس الرسول لأهل فيلبي التي يقول فيها:

+ «لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَنْ على الأرض.» (في٢: ٧ــ١٠)

يلاحظ القارىء هنا أن ق. بولس كان حريصاً أن يخصِّص «يسوع» وليس المسيح لمَنْ رفَّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم، حتى لا يُفهم أن ابن الله هو الذي رفَّعه الله، وذلك ليس مكافأة له على قبوله الصليب كطاعة للآب، ولكن كعملية استعلان من وضع «بشري» إلى ارتفاع فوق أعلى السموات لمعرفة اسمه الحقيقي وهو «رب»، الذي هو أعلى من كل اسم. وتكملة الآية تكشف عن هدف رفعه إلى أعلى السموات هكذا: «ويعترف كل لسان أن "يسوع المسيح" هو "ربٌّ" لمجد الله الآب» (في٢: ١١). أي أن رفع يسوع إلى أعلى السموات لم يكن مكافأة بل لاستعلان ربوبيته التي كانت له قبل التجسُّد وفي صميمه.

وهذا هو الطريق الحي الحديث الذي افتتحه بجسده المكسور لنعبر عَبْر آلامه وصليبه وعبر دمه الفادي ليكون لنا نصيبٌ وشركة في مجده وفي جلوسه هذا. فقد صدق بولس الرسول في قوله: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف٢: ٦). فالذي يشترك في آلامه، يشترك في مجد جلوسه!! هنا، وهنا فقط تكون الآلام حتى وإن تقطيع الجسد والاستشهاد واحتمال الخزي والمهانة، طريقاً مقدَّساً للدخول إلى الأقداس والجلوس مع المسيح فيكون هذا مكافأة لنا وليست مكافأة له.

لذلك فإن المعنى الذي نستخلصه من هذه الآية أن جلوس المسيح عن يمين الآب هو بحد ذاته شهادة تكشف لنا كشفاً إلهياً عن قيمة الآلام ــ واحتمال الخزي ــ عند الله.

«فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم».

«فتفكَّروا»: ἀναλογίσασθε γάρ

وتعني: «اعتبروا اعتباراً جاداً، واشغلوا فكركم بتمييز»، وتأتي أصلاً مترتبة ومتركبة على الكلمة في الآية السالفة: «"ناظرين" إلى رئيس الإيمان». فبعد النظر المتواصل في الشيء يكون التفكُّر فيه. إذاً، فبولس الرسول يريد أن يحوِّل فكرهم ويثبِّته في المسيح لا كمَثَل فقط بل كمصدر يستمدون منه الإيمان والقوة والصبر والاحتمال. لأنه يكاد يكون قانوناً أن الإنسان لا يمكن أن يتأمَّل في الحق دون أن ينفتح عليه، لأن مجرد معرفة الحق هي اشتراك في الحق، لأنه يستحيل أن يعرف الإنسان الحق إلاَّ بالحق: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ بالروح القدس» (١كو١٢: ٣). وعلى نفس النسق: «بنورك نرى نوراً» (مز٣٦: ٩)، وبالأكثر الآية العملية جداً: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨). إذاً، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله» تفتح الطريق حتماً إلى «فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه»، لذلك وردت في الآية مترتبة على ما قبلها «**إذاً، تفكَّروا**» ἀναλογίσασθε γάρ التي جاءت في الترجمة «فتفكروا» هنا «الفاء» فاء التعقيب للسبب وهي تساوي «**إذاً**».

بولس الرسول يلحُّ على الذين في الآلام أو الضيقات والذين يجوزون محنة المقاومة أن يربطوا فكرهم وعقلهم ونفسهم في المسيح ما قبل الصليب وعلى الصليب، أي مسيح الآلام والمهانة والمقاومة المستمرة. لأن ارتباط الإنسان، وهو متألِّم، بالمسيح وهو متألِّم، هي عملية انطباق المثل على المثيل، وإن كان هذا يتم في مسيح الآلام فحتماً سيتم مع مسيح القيامة والنصرة والمجد. فلا سبيل إطلاقاً إلى الخروج من الآلام والمحنة لبلوغ النصرة والراحة والمجد كنتيجة حتمية، إلاَّ مع المسيح!! لأن حياة المسيح هي في هذين الفعلين «التألُّم، والراحة»، وهذا من فم المسيح نفسه لتلميذي عمواس «أما كان ينبغي (يتحتَّم) أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو٢٤: ٢٦). ثم، وهل هناك حياة للمسيحي تخرج عن هذين الفعلين؟ لذلك وضعها بولس الرسول مترتبة على بعضها هكذا: «إن كنا نتألَّم معه "**لكي**" نتمجَّد أيضاً معه.» (رو٨: ١٧)

«احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه»:

هنا يركز بولس الرسول نظر وفكر هؤلاء العبرانيين، وبالتالي نظرنا وفكرنا نحن على بؤرة مضيئة جداً في آلام الرب، وهي «**احتمل**». وقد جاءت في اليونانية بمعنى «الصبر»

ὑπομεμενηκότα ، لأن تحدّي الخطاة الذين كانوا يقاومونه كان القصد الوحيد منه أن يكسروا صبره ليترك الصليب ــ سواء من الشيطان أصلاً أو من هؤلاء الخطاة المتعاهدين معه. فهنا قوة الصليب كانت تعتمد تماماً على قوة احتماله وصبره: «إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب» (مت٢٧: ٤٠). لذلك أراد بولس الرسول أيضاً أن يُريد التركيز في التفكير في هذا الاحتمال بقوله: «مقاومة لنفسه مثل هذه»، فشدّة المقاومة وامتدادها الذي استمر كل حياته التي تركّزت أخيراً في الصليب للموت، تكشف عمّا كان يساويها من الاحتمال، ويقابل هذا ويكشفه نبوّه إشعياء: «إلى الوراء لم أرتدّ، بذلتُ ظهري للضاربين وخديَّ للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق.» (إش٥٠: ٥و٦)

أما قصد ق. بولس المبارك في أن ننظر إلى رئيس الإيمان ونتفكّر في الذي احتمل من الخطاة هذه المقاومة الشديدة والمديدة، فقد نفّذته الكنيسة المرشدة بالروح القدس منذ القرون الأُولى بتكريس أسبوع كامل للنظر والتأمُّل والتفكُّر في آلام الرب واحتماله العجيب، وهو الذي أسمته بأسبوع الآلام، الذي غرس في نفوس الأجيال شدة الارتباط بمسيح الآلام والاحتمال فتحوّل إلى منهج فكري وعملي في حياة المسيحيين.

ولكن ق. بولس يدعو أيضاً ليكون هذا المنهج معطيقاً بالأكثر أيام الضيق لئلا نخور من شدة الملاحقة!!

«لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم»:

لو علمنا أن هناك مئات بل ألوفاً بل ملايين كلُّوا فعلاً وملّوا فعلاً وخاروا فعلاً، فألقوا بالصليب من أيديهم وداسوه بأرجلهم، لأدركنا عمق وخطورة ومقدار نفع هذه النصيحة من بولس الرسول سواء للعبرانيين أو لنا! فهو يوصّي، عن صدق، وعن معرفة، بل وعن رؤيا مستقبلية. فلو كان تأملنا في مسيح الآلام يغطي المساحة الضرورية جداً في حياتنا ولحياتنا، لما استطاع الشيطان الذي يجول ملتمساً من يبتلعه أن يبتلع أحداً.

علماً بأن سلاح الشيطان أثناء الضيقة والاضطهاد يرتكز بشدة على الملل κάμητε من شدة الضيقة ومن امتدادها اللذين يصوِّرها (الضيقة والاضطهاد) بأنهما زادا عن حدّهما. وبعد الملل يأتي سلاح الكَلَل، حيث يقف الاحتمال عند نقطة الصفر، فيخور الإنسان، ويقع الصليب من اليد والقلب. فالملل عملية شيطانية لإضعاف العزيمة والصبر.

ومرّة أخرى نقول بروح بولس الرسول، انتبهوا من سلاح الملل والكلل، فهو الذي يُضعف

الصلاة ويجعلها دائماً ضعيفة، وبالنهاية يوقفها. وهو الذي يجعل جهادنا لا يتساوى مع جبروت عدونا، الذي يركِّب لنا الفخاخ الواحد تلو الآخر، حتى إذا مللنا الجهاد، وكلَّت أيدينا من الإمساك بالصليب، نخور ونقع فيفترسنا.

ولكن هي نصيحة نقدِّمها لمَنْ يريد أن ينتصح وينتصر في مجال الصلاة، أن لا يصدِّق أنه ملَّ، فالملل سلاح خدَّاع مزيَّف. والإنسان المسيحي مخلوق للصلاة والتسبيح ولا يملُّ من ذاته، ولا يمكن أن يملَّ من الصلاة. فالإنسان لا يمل من الوجود في حضرة الله والحديث إليه ومعه. الملل هو إصبع الشيطان وسلاحه المزيَّف، الذي يوهم به الإنسان أن إلى هنا يلزم أن يتوقف عن الصلاة: أنا «ملَّيت»، فيُخرجه من أمام الله بالخدعة والحيلة وبالغش يوقفه عن الصلاة. وهكذا تضعف روح الصلاة كل مرَّة حتى تفقد قوتها وعافيتها، وأخيراً تتوقف. انظر أيها القارىء العزيز، وانتبه لنصيحة بولس الرسول: «لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم». إذاً، وما الحل؟ الحل أن أكسر حاجز الملل، وأعبر بالصلاة إلى الصلاة، ومن الصلاة إلى صلاة: «أمَّا أنا فصلاة» (مز١٠٩:٤)، «ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملّ» (لو١٨:١)، «صلُّوا بلا انقطاع.» (١تس٥:١٧)

وهكذا، ففي الاحتمال والصبر على الضيقات والاضطهاد والملاحقات والإهانات، اسمع نصيحة بولس الرسول، اربط قلبك وفكرك بمسيح الصليب والآلام، ولا ترخي فكرك عن سر احتمال الرب، فيأتيك. ولا تصدِّق أبداً هذه الكلمة «الملل»، فلا ملل للجسد أو النفس في جهاد الروح!

(١٢: ٤—١٣) التوجيه الثالث:
القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال:

٤:١٢ «لم تقاوموا بعد حتى الدَّمِ مجاهدينَ ضدَّ الخطيةِ».

«لم تقاوموا بعد حتى الدم»:

«حتى الدم»: في جملته اصطلاح يفيد: «لم تقاوموا **"حتى النهاية"**». وهذه «النهاية» يأتي تعريفها بتصويرات واقعية متعددة. ففي تأليم المسيح يعتبر أن المسيح جاهد حتى الدم الذي عُبِّر عنه: «أطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢:٨)، وفي سفر الرؤيا يخاطب ملاك كنيسة سميرنا قائلاً: «لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به، هوذا إبليس مزمع أن يُلقي بعضاً منكم في السجن لكي تُجرَّبوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كن أميناً **إلى الموت** فسأُعطيك إكليل الحياة.» (رؤ٢:١٠)

ويتكلم سفر المكابيين الثاني عن آلام أليعازر في (٦: ٣٠) أنه قاوم حتى إلى تقطيع الأعضاء والموت. وهكذا اعتبر الموت أنه ختم الشهادة وصدق المقاومة وتكميل الجهاد.

وبولس الرسول هنا يضع لهم الحد الذي يمكن أن تبلغه المقاومة، حتى يكونوا على بيِّنة من طول الشوط الموضوع أمامهم لختم شهادة آلامهم وصبرهم على الضيق، وهو «الدم» بمفهوم أنه المساوي للموت، بأية طريقة من طرق الموت، والذي بحسب ظننا قد اجتازوه في الحرب السبعينية والتي كانت على الأبواب.

«مجاهدين ضد الخطية»:

هنا احتمال الألم هو المحسوب أنه جهاد، وأنه الجهاد الرسمي أو القانوني، بمعنى أنه من أجل الإيمان وفي حدود الإيمان.

ويوجد جهاد ظاهري أي مواجهة الخطاة، ويوجد جهاد داخلي أي ضد العدو الذي يثبِّط العزيمة ويُضعف صلابة الإرادة على الاحتمال وإثارة الخطية حتى يتوقف مصدر الاجتهاد. لأن انشغال الضمير بالخطية ينهي على قدرة الإنسان في مقاومة الباطل. لأن مقاومة الباطل مصدرها احترام وتقدير ومحبة القداسة والطهارة.

وحتى المجاهدة الظاهرية أي من الخارج هي في واقعها الأخير مجاهدة ضد الخطية ممثَّلة في خطية الخطاة المقاومين للحق. لذلك، فمع جهادنا، توجد هناك مؤازرة خفية من الله للصبر والاحتمال في مقاومتنا للخطية، لأن قانون الله في ذلك واضح: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون.» (خر١٤: ١٤)

لذلك فجهادنا ضد الخطية حتى الدم لا يعدو الاحتمال والصبر لأن المقاومة الفعلية ستأتي سرًّا من الله.

وهنا أيضاً، يلزمنا أن نوضِّح لماذا نحن نتعرَّض للمقاومة من الأشرار والخطاة، فالجواب سنعرض له فيما بعد (صفحة ٧١٧)، وهو ليتزكى إيماننا. لذلك يعبِّر بولس الرسول عن هذه الحقيقة بقوله: «كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننا **موضوعون لهذا**. لأننا لمَّا كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون.» (١تس٣: ٣و٤)

كذلك بطرس الرسول يوضِّح في رسالته الأولى أن حتمية التجارب والضيقات يتبعها بالضرورة

حتمية الجهاد والصبر حتى يتزكى إيماننا: «مع أنكم الآن إن كان **يجب تُحزنون يسيراً بتجارب** متنوعة لكي تكون **تزكية إيمانكم** ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ٦و٧)

وختام كل قول بقوله بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي عندما كانوا في وسط ضيقتهم ومحنتهم هو: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها، بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.» (٢تس ١: ٤و٥)

ويُحكى أن القديس مار إسحق السرياني في شبابه ذهب إلى أب شيخ قديس كبير كان راقداً ومُغطى حتى رأسه، ذهب يشتكي له من ثقل التجارب الواقعة عليه، فعزَّاه الشيخ بكلمات بسيطة بقوله: يا ابني أنت شاب والتجارب لا تأتي على الشباب. فلمَّا قال له أنا شاب يا أبي ولكن تجارب الشيوخ أتت عليَّ، انتبه هذا الشيخ الحكيم ورفع الغطاء عن رأسه وقال له: افرح يا ابني لأن هذا معناه أن الله سيعطيك موهبة!

والرسالة هنا تعطي سبباً للتجارب والضيقات بمفهوم التأديب اللائق للبنين لتؤهلهم لمواهب الحكمة والتدبير ومرافقة النعمة.

١٢: ٥و٦ «وقد نَسِيتُمُ الوَعظَ الذي يُخاطِبُكم كبنين:
يا ابني لا تحتقِرْ تأديبَ الربِّ ولا تَخُرْ إذا وبَّخك!
لأن الذي يُحبُّه الربُّ يؤدِّبُه ويَجلِدُ كلَّ ابنٍ يقبَلُه!».

نحن نميل دائماً أن نعزو التجارب إلى أسباب إيجابية، لأن هذا ما رأيناه في الآية السالفة، وذلك بالنسبة للمسيحيين المؤمنين السائرين في مخافة الرب يطلبون وجهه، ولكن بالنسبة لمثل هؤلاء العبرانيين المتذمِّرين الذين أعطوا الشيطان فرصة ليدخل فيهم ويربك إيمانهم بسبب تزعزع إيمانهم وميلهم إلى العودة إلى اليهودية، نجد بولس الرسول يعطي الوجه الآخر السلبي للضيقات والتجارب والمعثرات، وهو التأديب الروحي، ولكن لأنهم قد اعتمدوا ونالوا حق التبني لله، فالله إنما يؤدبهم تأديب الأب لأبنائه لإصلاح حالهم أو كما يقول ق. بولس نفسه: **«وأمَّا هذا (الأب الذي يؤدبنا) فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته»** (١٢: ١٠)، كذلك: **«وأمَّا أخيراً فيُعطي الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام.»** (١٢: ١١)

والآية هنا هي بنصها في سفر الأمثال (٣: ١١و١٢)، وهي مسبوقة فعلاً بنداء الحكمة للابن «يا ابني» فالابن هو ابن الحكمة إن أطاع تعليمها! أو هو الله نفسه ينادي الذين أحبُّوه وتبنَّاهم.

ولنا في معاملة الله لبولس الرسول نفسه صورة صادقة حيَّة لهذا التعليم:

+ «أُعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع. من جهة هذا تضرَّعتُ إلى الرب ثلاث مرَّات أن يفارقني، فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢كو١٢: ٧—١٠)

«لا تحتقر»: μὴ ὀλιγώρει

معناها الحرفي: «لا تَسْتخِف بالتأديب»، بمعنى لا تنظر إليه نظرة التقليل من شأنه ومن مرماه. فالضيقة أو التجلية الصعبة قد يرتبك بها الإنسان فلا يرى شيئاً فيها أو من ورائها إلاَّ كونها مضايقة أو حظاً سيئاً أو مجرَّد معاكسة من الشيطان، أو حتى قد يوسوس له الناس أو الشيطان أنه سحر معمول ويمكن فكُّه بالذهاب إلى المشتغلين به. وهكذا يتجاهل الإنسان عن عمد، أو يفوت عليه الأمر عن جهالة، فيظن أن الأمر هكذا لا جدِّية فيه ولا خيراً ما ولا هدفاً صالحاً البتة. هذا هو التقليل من شأن التجارب والضيقات، وهذا كفيل أن يضيِّع على الإنسان فائدتها الحقيقية وهدفها الذي قصده الله منها قصداً.

أو قد يتصنَّع الإنسان الشجاعة والقوة، ويقف قبالة التجارب يناطح فيها كأنها مجرد إمتحان لإرادته أو سطوته، وما عليه إلاَّ المقاومة بكل إمكانياته ووسائله من استخدام القوة أو الرشوة أو التهديد. وهكذا تفوت عليه الغاية المقصودة، إذ قد تكون التجارب مصنوعة ومدبَّرة لتهذيب نفسه وكسب اتضاعه وتواضعه ليصبح لائقاً للملكوت الله كابن!!

«تأديب الرب»: παιδείας κυρίου

إذاً، فواضح أنه عمل الله وهو مدبَّر ومرتَّب ليكون على قدر احتياج الابن للتأديب، كما يكون بالضرورة على قدر احتمال الابن أيضاً. إذاً، فهو مصنوع بيد الرحمة، ومقدَّم بيد النعمة، وموضوعة غايته قبل بدايته، ومحدَّد هدفه في كل مراحل شدته أو انخفاضه، لذلك فحنان الأبوَّة يتخلَّله لأنه مقدَّم على خلفية محبة الأب لابنه أولاً وأخيراً.

وإن كانت الكلمة اليونانية παιδείας تفيد في المعنى القريب مفهوم «التهذيب للابن»،

ولكن في أصلها العبري كما جاء في العبرية يفيد «العقاب» أيضاً (ukaab)(٢). لأن التهذيب هو في صورته البدائية عقاب، وشتّان بين أن يعتبره الإنسان (الجاهل) عقاباً وبين أن تقبله النفس أنه تأديب وتهذيب من الآب المحب.

ولكن، في الحقيقة، الذي يُقيِّم الضيقة والألم والاضطهاد الحادث على النفس، هو نوع علاقتنا نحن بالله ثم مدى عمق فهمنا لعمل المسيح في الفداء والغفران والمصالحة والتبني، لأن من أخطر ما يمكن أن لا يكون فعل الفداء عمّالاً في النفس، لأن إحساسنا بعدم غفران خطايانا أو استثقال خطايانا على دم المسيح قادر بحد ذاته أن يعطي النفس شعوراً بغضب الله وعدم رضاه من جراء الخطايا والهفوات التي تقف في ضميره ويستخدمها الشيطان لإبعادنا عن مخلصنا وفادينا المُحب. مع أن الله يُسرُّ بتأديبنا لرفعنا لمستوى نعمته.

«ولا تَخُرْ إذا وبَّخك»:

هذا يقع في صميم الأسلوب العبري في الأدب اللغوي حيث يكرِّر الجملة وكأنها شطرة ثانية في بيت شعر، وغالباً تحمل نفس المعنى أو بمعنى موازٍ له يشرحه باختصار. وهكذا عبَّر عن احتقار التأديب تعبيراً موازياً يفيد عدم الاحتمال، بمعنى أن عدم تقدير التأديب تقديراً صحيحاً يؤدي إلى عدم احتماله، حيث التأديب أخذ صورة التوبيخ وعدم الاحتمال أخذ صورة الخوار.

ولكن هنا، تُقدِّم الحكمة الإلهية نصيحتها الذهبية، أن التوبيخ مهما أتى بصورة المراجعة الموجعة في الضمير للأخطاء المقترفة في حق الله، فالله لا يزال في موقف الأب، والأب له أن يوبِّخ طالما أن الأب هو أب والابن هو ابن. وليس حسناً ولا مقبولاً أن يخور الابن تحت تأديب الأب مهما قست عصا الأب، فهي لتشديد قلب الابن وليس لإضعافه، والأب يطلب الرفعة لابنه وليس النقصان، ودافع التوبيخ عند الأب هو المحبة.

«لأن الذي يحبه الرب يؤدِّبه ويجلد كل ابن يقبله»:

الذي لا يحبه الرب يقع تحت تأديب الناس والناس لا ترحم. لأن ما أقسى الإنسان على أخيه الإنسان. والقسوة تُنشيء جفاءً ونقمة، أمَّا محبة الله فهي إن أدَّبتْ فمن حكمة تؤدِّب، وأدب الحكمة يُنشيء حكماء. لأن منهج التأديب يستمد غايته من سببه والرب لا يمكن أن يجرِّب بالشرور لأن ليس عند الله شر.

الله «محبة»، وكل تأديبات الله حتماً تعمل لحساب طبيعته، لذلك مهما كانت تأديباته تبدو

2. Bruce, *op. cit.*, p. 357.

في عين الابن المتألم قاسية ومنها ما يشبه «الترك» حتى صرخ الابن المحبوب الوحيد: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت٢٧: ٤٦)، ولكن بعدما قام من الأموات في مجد عظيم ثبت قطعاً أنه لم يكن تركاً لبغضته، بل كان تركاً لحساب المحبة لقبول بلا ملامة، بل لاتحاد وبنوّة، بل لشركة حياة أبدية ليس فيها ولا شبه شر، بل فيها مجد كل المجد. فإن بلغ تأديب الأب منتهى الألم حتى الموت وكان في ظاهره قسوة ورفضاً وتركاً، فقد انجلى عن أعظم عمل عُمل لحساب المحبة الخالصة، بل كان التأديب في حقيقته «بذلاً» من طرف الأب المؤدِّب، بذلاً كل البذل: «الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كل شيء» (رو٨: ٣٢). لذلك مَنْ ذا يجزع بعد ذلك من تأديب الله ولو بلغ التأديب إلى تَرْك شكلي وإلى سفك الدم!؟ فقد ثبت أن عصا الله حتى ولو تشكَّلت بشكل صليب، ففي ذراعيها ملء بركات ونعم وهبات وبر وحب أبدي! وترك الله الشكلي هو هو بسبب «القبول»، بل والجلد على الظهر والضرب بكل قسوة الإنسان يختفي وراءه حب ما بعده حب: «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو٣: ١٦)

٧:١٢ «إن كُنتم تحتملونَ التأديبَ يعاملُكم الله كالبنينَ. فأيُّ ابنٍ لا يؤدِّبُه أبوهُ».

المعنى هنا خطير وعميق ويكشفه العالِم وستكوت إذ يقول:

[إن غرض الله من التأديب معروف ولا نناقش عليه. ولكن مع هذا فإن طريقة قبولنا نحن للتأديب هي التي تحدِّد تأثير التأديب!!! فاحتمالنا التأديب (برضى) هذا بحد ذاته يحوِّل الألم إلى درس منفعة].

ويصف هنا سفر المكابيين عملية تعذيب لأحد المتألمين:

+ «ونزعوا جلد رأسه مع شعره ثم سألوه هل يأكل قبل أن يُعاقب في جسده عضواً عضواً. فأجاب بلغة آبائه وقال لا. فأذاقوه بقية العذاب كالأول. وفيما كان على آخر رمق قال لمعذبه إنك أيها الفاجر (الملك أنطيوخس) تسلبنا الحياة الدنيا ولكن ملك العالمين إذا متنا في سبيل شريعته فسيقيمنا لحياة أبدية ... فبهت الملك والذين معه من بسالة قلب ذلك الغلام الذي لم يُبالِ بالعذاب شيئاً.» (٢مك٧: ٧ــ٩و١٢)

+ «وإنني لأرجو من مطالعي هذا الكتاب أن لا يستوحشوا من هذه الضربات وأن يحسبوا هذه النقم ليست للهلاك بل لتأديب أمتنا. فإنه إذ لم يُهمَل الكفرة زمناً طويلاً بل عُجِّل عليهم بالعقاب، فذلك دليل على رحمة عظيمة.» (٢مك٦: ١٢و١٣)

وذهبي الفم يقول في ذلك قولاً مقنعاً هكذا:

[إنه لم يقل أن كل واحد يجلده الرب يكون ابناً ولكن كل ابن يجلده! إذاً، ففي كل الحالات هو يجلد الابن. إذاً، الآن المطلوب أن نبحث أي ابن لم يجلده الله. ولكنك لا تستطيع أن تقول أنه يوجد أشرار كثيرون يُجلدون، فهؤلاء إنما يُجلدون كقصاص يدفعونه ثمناً لخطاياهم](٣).

أمَّا القصد المستتر للقديس بولس والذي يُعتبر نوعاً من التحذير، فهو أن قبول التأديب من يد الله يضعنا في الحال موضع البنين، والعكس هو الخطر أي أن رفض التأديب هو بمثابة رفض التعامل مع الله كأبناء أو بالتالي رفض البنوّة لله، حيث لا يكون من مفر إلاَّ أن يحوّل الله التأديب إلى عقوبة. لأن رفض البنوّة معناه رفض المسيح: «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو١: ١٢)، وبالتالي مَنْ يرفض المسيح يمتنع أن يكون ابناً لله: «الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو٣: ٣٦)

٨:١٢ «ولكن إن كنتم بلا تأديبٍ قد صارَ الجميعُ شركاءَ فيهِ فأنتم نُغُولٌ لا بَنُونَ».

تركيب الكلام هنا لا يفيد معنًى واضحاً سواء بالترجمة العربية أو اليونانية أصلاً، لذلك اضطر العالِم وستكوت ــ وهو المسئول عن الترجمة من اليونانية إلى الإنجليزية ــ إلى مراجعة اليوناني نفسه فهو عالِم لغوي يوناني قدير. يقول: إن ترتيب الكلمات باليونانية يدل على أن التركيز هنا على «عدم التأديب»، فهو يدل مباشرة على أن الإنسان ليس ابناً طبيعياً لأبيه. «نغول» بمعنى أولاد زنا كما جاءت في النص اللاتيني الفولجاتا «ergo adulteri»، لأن الذي ليس هو أباً طبيعياً لا يعتني أن يؤدِّب ابناً على أي حال، كذلك إن كان الابن ليس ابناً طبيعياً أي ليس من أب معروف. فالأب غير الأب لا يجد دافعاً للتأديب ولا الابن يجد معنى للتأديب إن كان ليس ابناً. ولكن، يقول وستكوت، الكلام هنا متجه ناحية الأبوّة والبنوّة الإلهية، فكل المسيحيين المؤمنين هم «أبناء» فكلهم مشتركون في التأديب «الجميع شركاء فيه»، فإذا أفرزتم أنفسكم من التأديب الواقع على الجميع ــ برفضه ــ فهذا معناه أنكم لستم أولاد الله بل أولاد زنا بالمفهوم الإلهي بمعنى أن الله ليس أباكم. ويعلّق على ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم بقول رائع حقاً إذ يقول: [إذاً، يتحتّم علينا أن نفرح بالتأديب لأنه علامة بنوية قانونية](٤).

---

3. Chrysostom, *op. cit.*, p. 500.
4. Ibid.

لذلك يتحتَّم تعديل الترجمة العربية هنا لكي تصبح في عمق المعنى هكذا:

+ «لكن إن كنتم بلا تأديب (**الذي**) قد صار الجميع شركاء فيه (**كأبناء**) فأنتم نغول لا بنون».

وهنا يهمنا، أيها القارىء العزيز، أن نوجِّه الفكر والضمير إلى حقيقة عملية وهي أننا برفضنا التجارب والضيقات والآلام والاضطهادات، فنحن كأننا نقول لسنا نريد أن نكون أبناءً لك يا رب! فإذا أردنا أن نخرج من الألم وثقله، ومن الضيقة مهما كانت خانقة، ومن الاضطهاد الواقع بلا رحمة ولا عدالة والذي أصبح ثقلاً شديداً على النفس، فالحل العملي الوحيد هو أن نقبله من يد الله، وحينئذ نكون وكأننا نكتب وثيقة بأيدينا أننا قبلنا كل هذه من يدك يا رب ولن نتراجع حتى الموت! حينئذ تكون التجارب بكل آلامها ومرارتها قد أخذت حدَّها واستوفت أسبابها، لماذا؟ لأننا بذلك نكون قد وضعنا أنفسنا في موضع البنين لله، وهنا تكون كل مقاصد التجربة قد انتهت. لأن قصد الله الوحيد هو تأديب الابن وتهذيبه وإعداده لنوال صفات جديدة للخليقة الجديدة التي نالها كابن لله. فإن قَبِلَ الإنسان هذه التأديبات، يكون معناه أنه قد توافق خُلُقياً مع صفات الخليقة الجديدة.

وللتأكيد على ذلك، أي للتحقُّق من أنك صرت فعلاً ابناً حقيقياً لله وأصبحت لك طبيعة جديدة تتناسب مع الخليقة الجديدة الموهوبة لك، هو أنك — في حالة قبولك للتجربة تماماً أي أن تكون قد قبلتها من كل قلبك وفكرك وإرادتك — تشعر بالفرح. لأن من أخص خصائص الطبيعة الجديدة أنها إذا وقعت تحت الآلام والضيقات والاضطهادات تمتلىء بالفرح وكأنه يغمرها، ثم يدوم فرحها فيها. وهذا هو السر الذي انكشف لآبائنا القديسين واستعلنوه وأوحوا به إلينا بقولهم: «لأنه قد **وهب لكم** لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن **تتألموا لأجله**» (في١: ٢٩)، «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشىء صبراً» (يع١: ٢و٣). وللعلم، فإن هذه هي أول آية في رسالة هذا القديس يعقوب الجليل في الرسل، وقد عانى من الآلام والتعذيب والموت حتى الشهادة.

«كحزانى ونحن دائماً فرحون» (٢كو٦: ١٠)، وهذا هو بولس الرسول يحكي عن كيف واجه كل الضيقات بكل أصنافها، فلمَّا قبلها، فرح بها (كو١: ٢٤، ٢كو١٢: ١٠)، ولمَّا فرح بها افتخر بها (٢كو١١: ٣٠، ١٢: ٩)، وافتخر عندما أحسَّ **بإكليل البريوضع** على رأسه (٢تي٤: ٨)!!

ونكميلاً لهذا، وفوق كل ذلك، فالمسيح قَبِلَ تأديبات الله التي جاءت عليه من أجلنا، كما

يقول إشعياء عظيم الأنبياء: «تأديب سلامنا عليه» (إش٥٣: ٥)، فكيف نرفض أن ندخل في تأديب حمله المسيح من أجلنا من يد الآب، فهو يكون كرفض للصليب وكرفض قبولنا السلام الإلهي المفروز من آلام شركة التأديب مع المسيح. فإن كنا مع المسيح وبه قد صرنا أبناء لله فيتحتم أن ندخل معه فيما دخل هو إليه من أجلنا من آلام.

وليكن واضحاً أن المسيح احتمل الآلام كتأديب قَبِله من أجلنا ومن أجل السرور والفرح الموضوعين أمامه لتكميل مشيئة مسرة الآب، الذي «سُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش٥٣: ١٠)، «من أجل السرور الموضوع أمامه» (عب١٢: ٢). هكذا أصبح احتمالنا مع المسيح في هذا التأديب هو من واقع مسرة الآب والابن معاً. فالذي يرفض التأديب يكون قد حرم نفسه بنفسه من شركة السرور التي قَبِلها المسيح من يد الله لكي يمنحها لنا.

و بالنهاية يكون قبول التأديب في الحاضر هو رصيد لسرور مكنوز لنا بالروح ليدوم إلى الأبد.

وهذا ما نحسُّه، وقد اختبرناه في كل ألم وتأديب جُزْناه، وكيف كان يرافقه سرور عميق داخلي آتٍ إلينا سرًّا من فوق، جاعلاً الآلام والتأديبات كثمرة شهية لبر احتمالنا وصبرنا في المسيح.

تأديب الأبناء من الآباء الجسديين،
وتأديب الأبناء الروحيين من أبي الأرواح: (١٢: ٩—١١).

٩:١٢ **«ثم قد كان لنا آباءُ أجسادِنا مؤدِّبِينَ وكنَّا نَهابُهم، أفلا نخضعُ بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا».**

هنا بدأ ينكشف الفكر الأساسي في عملية إقناع بولس الرسول لهؤلاء القوم في مسألة كيفية الاحتمال وضرورته بل إلزامه. لأن الالتجاء إلى الإقناع المنطقي على مستوى مجرد الاحتمال أو الصبر، لا يأتي بمفهوم الالتزام، إن كان على المستوى الجسدي. لذلك ارتفع هنا مرّة واحدة إلى مصدر الالتزام، لأن الالتزام الأدبي للخضوع إلى آباء الجسد بالنسبة للأبناء يمهد لنا فقط لنفهم الالتزام الحتمي على المستوى الروحي، لأن أب الجسد يؤدِّب وليس في سلطانه أكثر من هيبة الأبوة الجسدية، وهي ليست دائماً بذات قيمة ولا دائماً بذات سلطان، ولكن أبا الأرواح له بعد التأديب أن يُميت ويُحيي لأن في غضبه موتاً، وفي رضاه وطاعته حياةً. ومجرد إطاعة مشيئته هي بحد ذاتها حياة حتى ولو كان فيها موت، وقد سبق أن أظهر ذلك في طاعة إبراهيم لمشيئة الله التي طلبت منه ذبح ابنه الوحيد استرضاءً (محرقة) لله، فأطاع، فكانت حياة وبركة وموعداً لكل الأجيال. لذلك

وضح أن الخضوع لأبي الأرواح هو بحد ذاته حياة.

إذاً، إن كانت مشيئة أبي الأرواح أن نتألم ونتضايق ونُضطهد ونُشتم ونُطرد، فهي تحمل في طيَّاتها وعداً بالحياة بالرغم مما فيها من صورة الموت. إذاً، وباختصار، تكون التجارب من يد الله هي هي الحياة بعينها. فهنا ولو ظهر — خداعاً — أنَّ لنا أن نطيع أو لا نطيع ونقبل التجارب أو لا نقبلها، فالحقيقة هي أن إلزام الطاعة يحتِّمه خطر الموت المحقَّق الذي يكمن في مقاومة مشيئة الله: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختَر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩). فمن يقول هنا أن الاختيار ليس إلزاماً؟

كان هذا الكلام حاضراً في ذهن ق. بولس حضوراً شديداً، لذلك على القارىء أن ينتبه لمنطوق الآية ولوضع كلمة «الحياة» في النهاية هكذا: «**أفلا نخضع ... فنحيا**»؟

١٢: ١٠ «**لأن أُولئكَ أدَّبونا أيَّاماً قليلةً حَسَبَ استحسانِهم. وأمَّا هذا فلأجلِ المنفعةِ "لكي نَشترِكَ في قَداسَتِهِ"**».

هنا يفاجئنا بولس الرسول بالارتفاع الشديد مرَّة واحدة ليُدخلنا في صميم رسالة الخلاص، بل وفي أدق نقطة في لاهوت الفداء. هنا توقفنا الرسالة أمام قضية مساوية تماماً للمعمودية في سرِّها وفي فعلها وفي غايتها. فالمعمودية صحيح أنها تُعرَضُ على الإنسان لكي يقبلها فيأخذ ميلاداً جديداً بالروح، أي يصير خليقة جديدة من السماء ومؤهَّلة للسماء، وهي تُعرض وكأن الإنسان حرٌّ في قبولها أو عدم قبولها، ولكن هناك القول: «مَنْ آمن واعتمد خلص، ومَنْ لم يؤمن يُدَنْ» (مر١٦: ١٦)، حيث الدينونة هي الحكم بالموت، أو على وجه آخر فإن الدينونة هي عدم الخروج من الموت الذي هو الحكم الأول والدائم والساري في الطبيعة البشرية العتيقة! إذاً، فالمعمودية هي إجراء سرِّي يحمل الحياة الأبدية بالخروج من الدينونة أي الموت الأبدي، وذلك بتقديس الطبيعة البشرية بفعل الروح القدس ودم المسيح ونوال طبيعة جديدة مقدَّسة بالروح.

هنا ينبهنا بولس الرسول بجعل طاعة مشيئة الله التي تفرض علينا الاشتراك في احتمال الآلام والضيقات والاضطهادات حتى الطرد والإهانة والموت، أن الله قد خصصها **للاشتراك في قداسته**، فهي فعل سري، مُخفى الفعل والأثر، شأنه شأن كل أسرار الله.

وقد كشفها المسيح بوضوح حينما أعلن قائلاً: «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات، طوبى لكم إذا طردوكم وعيَّروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهلَّلوا **لأن أجركم عظيم في السموات**» (مت ٥: ١٠—١٢). وبعد أن

تكشّفت مفاعيل ذبيحة الفداء التي قدّمها المسيح بجسده على الصليب، وظهر فعل دم المسيح والروح القدس في تقديسنا، وضح قصد المسيح من قوله: «لأن أجركم عظيم في السموات»، فهذا الأجر هو التقديس بدمه الذي فاز به الإنسان:

+ «وهكذا كان أُناس منكم، لكن اغتسلتم (تعمّدتم) بل تقدّستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)
+ «فبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة.» (عب١٠: ١٠)
+ «فكم بالحري يكون **دم المسيح** الذي **بروح أزلي** قدّم نفسه لله بلا عيب **يطهّر** ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

وهذا ما يقوله بولس الرسول من جهة التأديبات التي بيد الله بالنسبة لأولاده: **«وأمّا هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته»**. أي أن التجارب جزء لا يتجزأ من منهج الخلاص، والتي **نؤهَّل**، بعبورها في صبر وشكر وطاعة، **للشركة في قداسة المسيح**، باعتبارها أصلاً شركة في آلام وصبر المسيح: «إن كنّا نتألّم معه لكي نتمجّد أيضاً معه» (رو٨: ١٧). إذاً، فالعبور في الآلام والضيقات بصبر وشكر له فاعلية تقديس، توازي فاعلية الأسرار المقدسة كسرّ المعمودية، لأنه محسوب أنه تزكية رسمية للإيمان، بمعنى أنه يزكي فعل المعمودية ويستعلنه:

+ «الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم، ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط١: ٦ــ٨)
+ «لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم.» (١بط٢: ١٩)
+ «وإن تألّمتم من أجل البر فطوباكم.» (١بط٣: ١٤)
+ «وإن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم.» (١بط٤: ١٤)

وحينما قال المسيح: «ولأجلهم أُقدّس أنا ذاتي» (يو١٧: ١٩)، فماذا كان هذا التقديس إلاَّ احتمال نار الآلام قبل وعلى الصليب، التي كان يُرمز إليها بالأعشاب المُرّة التي يؤكل عليها الفصح! وحينما قال بطرس الرسول: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط١: ١٥و١٦)، يتضح أنها إرادة الله الصالحة أن نرتفع إلى هذه الشركة التي يرى القديس بولس في هذه الرسالة أن احتمال الآلام والضيقات بالصبر يؤدي إلى هذه الشركة عينها.

فإن كنّا في الأفراح نحس بوجود الله، ففي الأحزان نسمعه، أمّا في وقت الشهادة فنراه!!!

١٢ : ١١ «ولكن كلّ تأديبٍ في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزنِ. وأما أخيراً فيُعطِي الذين يتدرَّبُون به ثَمَرَ برٍّ للسلامِ».

حينما يقول «كل تأديب»، فهو يجمع التأديب من آباء الجسد والتأديب من أبي الأرواح، سيَّان. فللتأديب، الذي هو التجارب المؤذية للجسد والنفس والروح، قانون واحد هو التأليم والإحزان والضرر أحياناً. ثم تبتدىء المقارنة بين الجسدي والروحي، بأن زمن هذا التأليم الجسدي هو وقتي وأمده قصير لا يتعدَّى دور الصبوَّة، أما الروحي فقد يطول ليُطال الحياة بطولها وعرضها ورمَّتها حتى آخر نَفَسٍ، ليكون نوع الموت نفسه جزءاً منه!

ثم يفترق السبب والغاية فُرقة شديدة ومُبينة بين التأديب الجسدي، الذي لا يزيد سببه عن غيرة الأب على ابنه، وغايته التي لا تزيد أيضاً عن أن يصبح الابن نافعاً في الحياة الحاضرة يقيم أَوَدَ نفسه؛ وبين التأديب الروحي، الذي قد يشتد إلى حد كبير ويمتد بلا حدود، فسببه أيضاً هو غيرة الله على أولاده حتى لا يخطفهم الشيطان من يده وحتى لا يبتلعهم هذا العالم الشرير، أمَّا غاية التأديب عند الله فسبق القول عنها في الآية السابقة: «فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته». وهنا في هذه الآية يضيف على ذلك أو ربما يشرحه، بأن الغاية هي نوال هبة بر الله لحياة السلام، طبعاً في رضا الله وإلى الأبد. وعلى كل حال إذا قيست أحزان التجربة في الحاضر بأفراح النصرة في الآخر، فإن بولس الرسول يوازنها هكذا: «لأن خفَّة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً.» (٢ كو٤ : ١٧)

+ «خير لي أني تذللت لكي أتعلَّم فرائضك.» (مز١١٩ : ٧١)

دعوة إلى نهضة روحية

وبولس الرسول كعادته يصوِّر الحركات والمعاني على المستوى الجسدي كأبطال يُطلب منهم رفع مستوى اللياقة، لقطع آخر مرحلة من الشوط الطويل ليؤهَّلوا للمكافأة.

١٢ : ١٢و١٣ «لذلكَ قوِّموا الأياديَ المُسترخِيَةَ والرُّكَبَ المُخلَّعَةَ، وآصنَعوا لأرجُلِكُم مسالِكَ مُستقيمَةً، لكي لا يعتسِفَ الأعرجُ بل بالحرِيِّ يُشفَى».

هذه أُحجية، استنطقتُها فنطقتْ فنظرتُ فرأيتُ:

المنظر هنا كما أراه: طريق مفروض علينا، عَبْر جبل شامخ شديد الانحدار، وعر للغاية، ليس به أي دروب، يحتاج إلى تمهيد كثير!! وليس من دليل، ولا من آثار نتبعها.

ومتسلّقو الجبال الشامخة الشديدة الانحدار يعرفون جيداً أن أول ما سيقع عليه من أهوال التسلّق هو اليدان قبل الرجلين، وأشد ثقل في جذب اليدين يقع على المعصم الذي يربط الكف بالذراع، فإذا استرخت اليدان من التنعُّم والبطالة، فيا لهول الصعوبة.

ثم ليس كل الجبل انحدارات شديدة، فمنه بعد ذلك ما يناسبه السير على الرجلين، حيث ثقل الجسد كله يكون على الرُّكَب، فيا لويل البدين مَنْ زاد وزنه عمّا تحتمله رُكَبه فيلقي بجسده مرة على هذه الركبة، ثم يميل ليلقي بجسده كله هناك على الركبة الثانية، فتتخلّع الركبتان، ويتعثّر السير ويتعذّر الصعود!

وليس في الجبل طرق ولا دروب، فعلى المُتسلّق، والكل مُتسلّق، أن يكون خبيراً في تمهيد الدروب للسير في الجبال، ومن أين الخبرة والمعرفة في شئون الجبال إن كنّا من هواة الأَسِرَّة المُريحة، والمفارش الناعمة الوثيرة، والنوم في أوقات العمل، والهروب من الوقوف في الصلاة. وإن كان هذا شأن السائر على الساقين، فما بالك بالذي على واحدة يسير وعلى الأخرى يميل، لأن صنعته أن يعرِّج بين الفرقتين، تارة يميل هنا وتارة يميل هناك، مع المصلّين يصلي ومع المنافقين ينافق.

هذا المنظر رآه ق. بولس فوضعه في هذه الأُحجية وبدأ يناشدهم:

«فقوّموا الأيادي المُسترخية والرُّكب المُخلّعة»:

الأمر هنا للجماعة ولكل واحد من الجماعة. أمّا للجماعة فيحثّهم أن يُلاحظوا الإخوة المُتراخين في عزيمتهم الذين يتهرَّبون من مواقف البذل، والجزعين من شكل الاضطهاد، الذين يغيّرون أسماءهم وأشكالهم حتى يتفادوا المواجهة والسؤال والتبعية المسيحية. هنا النداء للجماعة أن يشجّعوا مثل هؤلاء ويرفعوا من أمامهم العقبات التي تُعثرهم وتُخيفهم. كذلك يرافقونهم في المواقف الصعبة ليدربوهم على الشهادة والنطق بالإيمان. وعمل الحكماء في وسط الجماعة لا يُجارَى، فهم بمثابة قلب للضعيف، وذراع للمنحني، ويد لمهزوز اليد، وقد قيل مثل هذا عن أيوب النبي الحكيم في أيام صحّته: «ها أنت قد أرشدت كثيرين وشدَّدت أيادي مرتخية. قد أقام كلامُك العاثرَ وثبّتَّ الركب المرتعشة.» (أي ٤: ٣و٤)

أما بالنسبة لكل واحد، فالأمر هنا لكل واحد لينبذ مواقف الجبن والتخفّي وليلتجىء إلى الله

فهو السند والذراع. اسمع داود يقول: «من قِبَل الرب تتثبّت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مُسندٌ يده» (مز٣٧: ٢٣و٢٤). ومعروف أن أبسط صور الإيمان هو أن يُلقي الإنسان بنفسه على الله وهو ينطق في فمه، ويسنده بيمينه، ويقوّيه بروحه قبالة كل عدو: «الذي يُعلِّم يديَّ القتال!!» (مز١٤٤: ١). فمَنْ ذا اتكل على الله ولم ينصره الله. والقتال هنا والمقاومة والنصرة كلها تخص الروح وليس الجسد. فالإنسان بنفسه ضعيف، وبصديق مُخلص يقوى، ولكن بالله لا يعوزه شيء: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في٤: ١٣)

«واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكي لا يعتسف الأعرج بل بالحري يُشفى»:

هذه الآية مأخوذة من سفر الأمثال (٤: ٢٦)، ولكن رنينها يتصل بصوت يوحنا المعمدان: «أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سُبُلَه مستقيمة، كل وادٍ يمتلىء وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجّات مستقيمة والشّعاب طُرقاً سهلة. ويُبصر كل بشر خلاص الله.» (لو٣: ٤—٦)

إذاً، فهو إعداد لقبول الرب. وإعداد القلوب المتعالية يتحتّم أن تنخفض، والنفوس الذليلة المنسحقة يتحتّم أن تتشدّد وتقوى، والأفكار والنيات المعوجّة والخبيثة يتحتّم أن تستقيم بالحق والصدق، والعُرجُ الذين يعرّجون بين اليهودية والمسيحية أو العالم والله يتحتّم أن تستقيم قلوبهم وإيمانهم. وهكذا وبهذا يُستعلن المسيح ويراه كل بشر وكل سقيم يُشفى!!

ولينتبه القارىء، فموقف هؤلاء العبرانيين وهم يعرّجون بضمائرهم بين الإيمان بالمسيح والعودة إلى الأركان الضعيفة اليهودية يُماثل إلى حد كبير حال اليهود بعد ظهور المسيح، لذلك يستعير بولس الرسول هنا صوت يوحنا المعمدان:

+ «ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار.» (لو٣: ٨و٩)

[١٢ : ١٤ ــ ١٧]

الخط الثاني: التمسُّك بالسلام والنقاوة

أساس العلاقة مع الناس: السلام.
أساس العلاقة مع الله: القداسة.

١٤:١٢ **«اتبعوا السَّلامَ مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يَرَى أحدٌ الربَّ».**

هما الوصيتان المتتاليتان في عظة المسيح على الجبل حيث قدَّم المسيح نقاوة القلب الموازية للقداسة على السلام في الآيتين (٥: ٨، ٥: ٩) في إنجيل القديس متى. وفي هاتين الوصيتين بوضعهما هنا في هذه الآية يُغطي بولس الرسول علاقة الإنسان بالعالم والله. وهو عندما يقول: «السلام مع الجميع»، لا يستثني الأعداء، فالسلام والمحبة من معدن واحد، فإن طُلب منَّا محبة الأعداء فحتماً يُطلب السلام. ولا يهم بعد ذلك إن ارتد الحب عداوة، أو السلام خصاماً ومقاومة، فإن استوفيناهما في القلب والضمير، فإننا حقاً نكون قد غلبنا العالم. ورئيس هذا العالم يستحيل أن يُغلب دون أن يقتصّ لنفسه، فكل مَنْ أراد أن يكون أميناً في وصايا الرب فعليه أن يستعد لدفع الغرامة.

أمَّا السلام مع الناس، فهو فائض السلام الذي يعطيه المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو١٤: ٢٧). أمَّا سلام العالم، فهو يعطيه باليمين ويسترده بالشمال، ففرحة الميلاد، ومسرةُ الصحة، ووفرة المال، وصداقة الأحباب، يختبيء وراءها خبر الموت وحالة السقم والعلل وتربُّص العوز والفقر ونقمة العداوة والخصام. إن لم يكن في نفس اليوم فبعد حين!! أمَّا سلام المسيح فلا ينزعه أحد منكم (يو١٦: ٢٢)، لأنه هو والفرح صِنْوان لا يفترقان. يزدادان في الضيق، لأنهما يفوقان العقل، فمصدرهما المسيح، وحينما يعطي المسيح سلامه في القلب تصبح كل تصرفات الإنسان ومعاملاته موسومة بالسلام، السلام الذي لا يصدِّقه عقل لأنه سلام المسيح بعينه، لا تهزُّه العداوة، ولا يُنقصه الخصام، ولا يغيِّره تغيُّر الأخلاق والأيام. فإن مَلَكَ المسيحي سلام المسيح في القلب، ضَمِنَ سلامة نفسه وصفاء حياته وضميره واستطاع أن يطرح سلامه هذا على الجميع.

أمَّا القداسة فهي الانتماء الكلي بالروح والنفس والجسد لله. لأن تقديس الجسد هو تخصصه لله بالخدمة والطهارة: «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية»

(رو١٢: ١). وأمّا تقديس النفس لله، فيتم بالمحبة الصادقة الملتهبة حيث تنشغل النفس بالله ليملأ اهتماماتها وشهواتها ولا يعود للعالم سلطان عليها في شيء، لأنها تكون قد باعت كل شيء واشترت الجوهرة الثمينة.

وأمّا تقديس الروح فهو بالشركة الحيّة مع الروح القدس فيلهمها الصلاة بالروح فتلتصق بالرب وتصير مع الرب روحاً واحداً حسب الوعد (١كو٦: ١٧). فإن تقدّس الجسد والنفس والروح، صار الإنسان في مجال القداسة التي تطل على الله. وبهذا يكون الإنسان قد تحضّر واستعد لحضور الرب، وبالتالي لرؤيته بالرؤية الفائقة للحواس، التي هي رؤيا الوعي الروحي المفتوح على الله، وهي من الحق والوضوح ما يفوق الرؤية المادية. هذه هي الرؤية التي نترجاها بالإيمان لنرى فيها المسيح: «الذي يُحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي.» (يو١٤: ٢١)

١٢ : ١٥ «مُلاحِظِينَ لئلا يَخِيبَ أحدٌ من نعمةِ الله. لئلا يَطْلُعَ أصلُ مرارةٍ ويصنعَ انزعاجاً فيتنجّس به كثيرونَ».

الآية هنا مربوطة بسابقتها وبما بعدها. فمحور الآية السابقة هو القداسة التي بدونها لا أمل في رؤية الله، بمعنى التواجد في حضرته أي شركة الحياة الأبدية التي للمقدّسين. هنا ينبع القداسة عند البدء لئلا ينشأ في وسطهم أشخاص يترعمون أعمالاً وأفكاراً تؤدي إلى الزنا، والزنا هنا بالأكثر هو **الزنا الروحي** الذي خطيته لا تُغفر والمسمّاة عند القديس يوحنا **بالخطية التي للموت** (١يو٥: ١٦)، وهي التي فيها يخرج الإنسان عن الإيمان بالله **ويعبد غير الله**، باعتبارنا جميعاً أولاد كنيسة واحدة شعباً مقدّساً تزوّجه الله أي أدخله إلى خاصته: «أهل بيت الله» (أف٢: ١٩)، «وبيته نحن» (عب٣: ٦). وبعد الزنا وضع ما يؤدي إليه، وهو الاستباحة التي جُعل عيسو رمزاً لها، الذي باع البكورية أي باع التخصّص لله كبكر مقدّس للرب، فاعتُبر أنه تنكّر لله أي خرج من تحت سقفه.

هنا يقول: «يصنع انزعاجاً»، بمعنى يُبلبل أفكار الجماعة من جهة الإيمان بالمسيح ويثنيهم عن الإيمان الحقيقي الذي يكون بمثابة النجاسة الروحية. لأنه إن كانت القداسة هي الارتباط بالله جسداً ونفساً وروحاً، فالنجاسة الروحية هي ترك الله والارتباط بالعالم ورئيسه. لأن كل مَنْ هو لله مقدّس، والنجس الروحي هو مَنْ ليس لله في شيء، بل للعدو. وهذا هو أصل المرارة، بمعنى أنه إذا كانت الشجرة مُرّة وهي نبتة صغيرة، فسرعان ما تملأ ما حولها مرارة، هكذا الذي ينشأ وينمو بعيداً عن الله مستهتراً بميراثه السماوي: «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم

إيمان في الارتداد عن الله الحي. بل عظوا أنفسكم ...» (عب٣: ١٢و١٣)

أمّا قوله: «**يخيب من نعمة الله**»، فهو تصوير إبداعي، وكأن هذا الشخص سهم خرج من قوسه منحرفاً فلن يبلغ القصد الحسن والنهاية المرتقبة. إذاً، فالنعمة منذ البدء هي التي توجّه المؤمنين نحو الغاية السعيدة والمنتهى المجيد، فإذا انطلق الإنسان منحرفاً عن الإيمان فإنه حتماً يسقط بعيداً عن قصد النعمة المتقن. لهذا، يتوسّل بولس الرسول إلى المؤمنين أن لا يكونوا قد أخذوا النعمة باطلاً: «فإذ نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً» (٢كو٦: ١). أمّا الذين كانوا ينادون بالعودة إلى اليهودية، فاعتبرهم أنهم سقطوا من النعمة: «قد تبطّلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة» (غل٥: ٤). وما هي وظيفة القداسة من جهة رؤية الله إلاَّ عمل النعمة، فإن سقط أحد دونها، فقد وقع على الطريق دون البلوغ، كالذين وقعت جثثهم في القفر دون الوصول إلى أرض الموعد!

«**ملاحظين**»: ἐπισκοποῦντες إبِسْكُوبونْتِس.

الكلمة طقسية جميلة، فهي التي اشتُق منها «الإبسكوبوس»، أي «الأسقف»، ومعناه: «المُلاحِظ أو الناظر من فوق»، حيث σκόπος هو محيط الرؤيا أو النظر، ἐπί = فوق أو من علٍ. فهنا أعطى الجماعة وظيفة الأسقف حتى يُلاحظوا كل فرد في الجماعة كما تُلاحِظ العين أعضاء الجسد، وهي وظيفة المسئولية العالية القدر والأهمية، وهي في المسيحية مسئولية كل فرد بالنسبة لأخيه، كما أنها مسئولية الأسقف في الكنيسة.

وقد ترجم القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الكلمة بـ: "الملاحظة باجتهاد ونشاط"، ثم يُعقّب عليها بقوله: [أرأيتم كيف أن القديس بولس يضع الخلاص المشترك في يد كل فرد] (٥).

وحسب ما سبق وقال ق. بولس نفسه في الرسالة: «بل عظوا أنفسكم (بعضكم بعضاً) ἑαυτούς كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم لكي لا يُقسّى أحد منكم بغرور الخطية» (عب٣: ١٣)، وأيضاً: «لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة.» (عب١٠: ٢٤)

«**يخيب أحد من نعمة الله**»: ὑστερῶν ἀπὸ τῆς χάριτος

المعنى هنا دقيق في اليونانية فهو ينحصر في السقوط **خلف** النعمة، وليس مجرد عدم التقدُّم مع

5. Chrysostom, *op. cit.*, p. 504.

الجماعة في حركة النعمة التي تقودهم إلى الأمام.

ويُلاحَظ هنا في هذا الاصطلاح اليوناني، وجود حرف ἀπό الذي يفيد «سقط إلى خلف» أي «رجع إلى الوراء»، فإذا غاب هذا الحرف ἀπό وجاءت ὑστερῶν τῆς فإن المعنى يصبح مجرَّد تقصير في المتابعة مع النعمة(٦).

لذلك فبولس الرسول هنا يتكلم عن الارتداد الكامل وليس التخلُّف في المسيرة المسيحية.

«أصل مرارة»:

التعبير له معنى عميق، فهو خلاف تعبير «أصل مرّ» والذي يعني مرارة لنفسه فقط كصفة عامة، ولكن **أصل مرارة** تفيد التمرُّر الذي سيخرج من هذه الشجرة أو هذا الإنسان. وهي واضحة جداً كما جاءت في سفر التثنية: «لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلهنا، لكي يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم لئلا يكون فيكم **أصل يثمر علقماً** (مرارة) وأفسنتيناً.» (تث ٢٩:١٨)

«يطلع»: ἄνω φύουσα

وصف بديع لظهور أصل المرارة. فالكلمة اليونانية تعني «ينبت»، فهنا يشبِّهه ببذرة كانت مخفية تحت الأرض ثم نبتت دون أن يدري بها أحد، وفجأة ظهرت أي طلعت. فالفعل «ينمو» φύειν يُذكر في إنجيل ق. لوقا بمعنى أنه «نَبَتْ» (لو ٨: ٦و٨).

«فيتنجّس به كثيرون»: μιανθῶσιν

من فعل «ينجّس» μιαίνω ويعني أيضاً «يلوّث أو يلطّخ»، حيث يصبح الشخص له خاصية العدوى أو التلويث الخلقي كما جاءت في الرسالة إلى تيطس: «كل شيء طاهر للطاهرين وأمّا **للنجسين وغير المؤمنين** فليس شيء طاهراً، بل قد تنجّس ذهنهم أيضاً وضميرهم!» (تي ١: ١٥). وهكذا إذا التصق إنسان أو شيء بإنسان منجّس يصير نجساً، وهنا يضع النجسين على مستوى غير المؤمنين. ومن هنا يتضح المعنى الأصيل للنجس وهو الإنسان أو الشيء غير المخصّص لله أو الذي للعالم، حيث تتساوى نجاسة الزنا بنجاسة عدم الإيمان، لا من الجهة الجسدية فقط، بل من الجهة الروحية أيضاً: **«تنجّس ذهنهم أيضاً وضميرهم»**. ومن هنا كان تأثيرهم بالغ الانتشار.

---

6. Westcott, *op. cit.*, p. 406, 407.

١٢: ١٦ **«لئلا يكونَ أحدٌ زانياً أو مُستبيحاً كعيسُو الذي لأجلِ أكلةٍ واحدةٍ باع بكُوريَّتَهُ».**

«زانياً أو مستبيحاً»: πόρνος ἢ βέβηλος

«زانياً» الأولى لا تخص عيسو، فهي أعطيت دون إشارة لأحد، أما «مستبيحاً» فهي الصفة اللاصقة بعيسو. أما الزنا هنا فهو واضح أنه زنا الجسد.

ويسجل العهد القديم على عيسو ما يُفهم بأنه زنا بسبب تزوجه بزوجتين من بني حث جعلتا حياة رفقة أمه وإسحق أبيه في مرارة: «ولمَّا كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجةً يهوديت ابنة بيري الحثّي، وبسمة ابنة إيلون الحثّي. فكانتا مرارة نفسٍ لإسحق ورفقة» (تك٢٦: ٣٤و٣٥). وقد شاع في الفكر اليهودي أن عيسو كان صياد نساء كما كان صياد غزلان. فالعلاّمة فيلو اليهودي يقول: [عيسو كان صياداً ماهراً: «وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد إنسان البرية» (تك٢٥: ٢٧). هذا يعني رذيلة الصيد تبعاً للشهوة، فكان غير لائق أن يعيش في مدينة الفضائل، ولكن يعيش حياة فظّة خشنة غير منضبطة عديمة الإحساس](٧).

كما يعلّق على كونه أشعر كثيف الشعر بقوله: [إنسان غير منضبط، شهواني، مُحب للفسق غير طاهر](٨). كما يذم فيه الترجوم الفلسطيني ويقول: [إن اليوم الذي باع فيه بكوريته كان قد اقترف فيه خمسة تعديات منها الزنا مع عذراء مخطوبة] (على الآية تك٢٥: ٢٦).

ولكن في رواية بولس الرسول عن عيسو، لم يحدِّد له إلاَّ الاستباحة فقط، ولكن الاستباحة تبيح كل شيء، وتعني بالمفهوم الأخلاقي عدم اعتبار للقيم الروحية عامة.

ويبدو لنا أن كل هذه الصفات الخفية والمعروفة عن عيسو كان يعقوب يعرفها جيداً. وبغيرة شخصية على الميراث الأبوي المقدَّس وبإيحاء من الله، صمَّم أن يقطع هذا الأصل المُرّ من سلسال الآباء وخطّط له جيداً هو وأمه التي ساعدت يعقوب مساعدة ماهرة مع تخطيط جيد وتصميم رائع وربما ساعدته في تمثيل حيلته حتى ربحها، بل ربحها التاريخ المقدَّس. وهكذا وبهذه الغيرة المقدَّسة لم يلتفت الله للخداع الذي اقترفه يعقوب ومرَّ عليه دون إدانة، لأن الشيطان كان يبيِّت لدسّ هذه الشخصية المستبيحة في التاريخ المقدَّس لإفساد النسل. وأكبر دليل على أن الله اشترك

7. Philo, *Leg. Alleg.* iii.2 cited by F.F. Bruce.
8. Idem, *Questions and Answers on Genesis* IV.201.

في تعديل هذا الانحراف الخطير هو تصميم إسحق على البركة التي نطق بها لعيسو أصلاً، فخرجت ليعقوب غشاً، فلم يسحب البركة بل أكّدها بعد أن اكتشف الحيلة، لأن الأمر كان قد صدر من الله (تك٢٧ : ٣٣).

ومن ناحية أخرى، تبدو الاستباحة صارخة في مقايضة البكورية التي هي ختم التقديس للابن البكر لميراث حق البركة من الله والتكريس له، مقايضتها بأكلة عدس، الأمر الذي يحمل ضمناً احتقاراً لمفهوم الموعد المقدَّس، بل احتقاراً لمفهوم الميلاد وحقوقه وشريعته، مما يُعطي الإحساس من بعيد بالاستهتار بقيم الزواج والميلاد عموماً. لهذا كانت تنحية عيسو من سلسال المواليد ورؤوسها عملاً واجباً حقاً.

ونحن نرى في تصرُّف إسحق بالنسبة لزواج يعقوب ما يكشف عن إحساسه الذي كان يعتمل في نفسه سابقاً دون أن يُفصح عنه، من جهة عدم أهلية عيسو للبكورية: «فدعا إسحق يعقوب (مرة أخرى) وباركه وأوصاه وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان آرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجةً من هناك من بنات لابان أخي أمك» (تك٢٨: ١ــ٣). وهكذا تصحَّح جدول الأنساب.

«زانياً أو مستبيحاً»:

اختيار بولس الرسول لهاتين الصفتين كان عن قصد، لأن الصفة الأُولى أقوى وأخطر صفة شخصية تقف عقبة في طريق القداسة التي حثَّ ق. بولس الجماعة على اتِّباعها.

أمَّا الصفة الثانية فهي أيضاً أخطر صفة تعبِّر عن روح الجماعة أو مفهومها عن القداسة، فهي بدورها كفيلة أن تقضي على مستقبل الجماعة في سعيها واجتهادها نحو تكميل سيرة القداسة. فأي إنسان يقع في زنا النجاسة، تقف في الحال كل قدراته في الامتداد نحو القداسة. ويشابهه تماماً الشخص الذي تقمَّص شخصية الإنسان المستبيح المستهتر، فإنه يكون قد سدَّ الطريق المؤدي إلى قداسة الحياة بكلتا يديه!! لذلك، كان مَثَل عيسو للصفة الثانية وهي الاستباحة، مثلاً مُحكماً أشد الإحكام، إذ نال حق القداسة بالميلاد ودخل بالفعل في عمق الاختيار ليكون أباً للشعب يحمل اسمه وإيمانه أمام الله والناس، ولكن بسبب هذه الصفة الخطيرة الحقيرة (أي الاستباحة) باع وقايض اسم الله بالعدس!! واستغنى عن القداسة بملء البطن، وأضاع أمجاد الميعاد والاشتراك فيه بشهوة الأكل!! أقرب خطية لخطية آدم!!

كان هذا تحذيراً حاذقاً وحاسماً وقاتلاً لأفكار هؤلاء العبرانيين المترددين الذين أرادوا أن يبيعوا

بدورهم بكوريتهم في كنيسة المسيح باستراحة نفسية، بالعودة إلى تراب الهيكل وحجارته، ويقايضوا الملكوت القائم والمُعدّ بهيكل آيل للسقوط والفناء وعبادة توقّفت عن الحياة.

١٢:١٧ **«فإنكم تعلمُون أنه أيضاً بَعْد ذلك لمَّا أرادَ أن يرِثَ البركَةَ رُفِضَ إذ لم يَجِدْ للتوبةِ مكاناً مع أنه طَلَبَها بدُمُوعٍ».**

هنا للأسف نجد المفسرين لم يوفّقوا في شرح هذه الآية، إذ لم يكتشفوا الخطية القاتلة التي سقط فيها عيسو، ولم يحدّدوا نوعيتها، لأنها أصلاً ليس لها غفران وبالتالي ليس لها توبة مهما ذُرفت من أجلها الدموع!

فالتوبة ليس لها مكان، لأن الخطية التي اقترفها ليس لها غفران.

محور الآية يشكّل نقطة هامة للغاية في المفهوم اللاهوتي وهو: **«لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع!!»** كيف؟ ففي ظاهر الآية هجوم على مفهوم التوبة، فالتوبة لمَنْ يطلبها حتى وليس بالدموع!! هذا هو قانون التوبة الإلهي، لأن روح التوبة هو الاعتراف بالخطية وكل مَنْ يعترف بخطاياه تُغفر له: «الحق أقول لكم إن **جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها**، ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر٣: ٢٨و٢٩)

إذاً، كيف ولماذا تقول الآية هنا: **«لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع»؟**

الإجابة هنا، أنها خطية غير قابلة للغفران لأن عيسو اقترف **خطية في حق الله: «مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي»** (خر٣٢: ٣٣). وبالفعل فقد محاه الله من جدول النسل الذي جاء منه المسيح! وبالفعل فإن احتقار البكورية وبيعها بأكلة عدس يُعتبر تجديفاً على مَنْ تخصّص وتقدّس له — أي الله — لأنه نال البكورية أي التقديس لله كبكر فأصبح ليس مِلْك نفسه:

+ «وكلم الرب موسى قائلاً، **قدِّس "لي" كل بكر، كل فاتح رحم** من بني إسرائيل.» (خر١٣: ١و٢)

+ **«لأن لي كل بكر** في بني إسرائيل.» (عد٨: ١٧)

ولكي يتصوّر القارئ خطورة موقع البكر والتصرُّف فيه، نقول إن البكر أيضاً في الحيوانات يتقدّس لله ويصير خاصاً لله ويُعمل به ذبيحة ويُرش دمه على المذبح، أما **بِكْرُ الحمار فإما يفديه أو يكسر رقبته!!** «ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة، وإن لم تَفْدِهِ **فتكسر عنقه**» (خر١٣: ١٣). من

هذا نفهم خطورة التصرُّف في البكر. فإذا تصرَّف البكر في نفسه مثلما تصرَّف عيسو وباع بكوريته بأكلة عدس، فقد حقَّ عليه في الحال نصيب مَنْ جدَّف على الله وازدرى به!!

وهكذا، فكل خطية تصيب الله في اسمه أو كرامته أو عبادته تُحسب تعدِّياً على الله، وثمنها أصلاً هو الموت. والعقاب الذي وقع على عيسو بعد تصرُّفه هو الرفض من نصيب الله. لذلك قال بولس الرسول بحق: «لمَّا أراد أن يرث البركة رُفِضَ»، ولمَّا حاول التوبة عن تجديفه، كونه باع البكورية، لم يجد للتوبة مكاناً إذ كانت البركة قد أُعطيت بتمامها وكمالها ليعقوب، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، كانت البكورية قد سُحبت منه حال البيع والمقايضة بصحن العدس.

ومن جهة ثالثة، لم يجد مَنْ يسمع لتوبته أو يستجيب لها، فالذي جدَّف عليه قد أغلق باب رحمته.

بل **ومن جهة رابعة**، لم يجد في قلبه من الإيمان والثقة والدالة ما يستجيب مع دموعه، فوقعت دموعه بعيداً عن الله والإيمان بوصاياه.

وهكذا تكشف قصة عيسو عن أن مَنْ يستهتر بعطية النعمة، يُعتبر كأنه داسها!

كذلك فإن كل عطية من الله تُنشىء مسئولية تجاهها، إذا أهملها الإنسان واحتقرها فلا يكون لها إصلاح.

وأخيراً: «مُخيف هو الوقوع في يدي الله الحي»! (عب ١٠: ٣١)

[١٢: ١٨—٢٩]

الخط الثالث: التزامات يحتِّمها العهد الجديد

أ — (١٢: ١٨—٢١): حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى.
ب — (١٢: ٢٢—٢٩): وحال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع.

قصد القديس بولس في ختام محاجاته مع العبرانيين أن يلخِّص لهم، في صورة خاطفة، كيف كانت علاقتهم بالله، وموسى — الناموس — واقف كوسيط هو والشعب في رعبة مشتركة وهلع أثناء تلقِّي الناموس. ثم نقلهم فجأة إلى مناظر سماوية يحياها المؤمنون الآن في — إنجيل — المسيح يسوع بالروح، ملؤها السعادة والسلام.

فهو في إعطائهم لهاتين الصورتين، كان كمن يمسك بيدهم ليعبر بهم من الأرض إلى السماء، من رعبة المقابلة التي بدأت بالدخان والنار وأصوات مرعدة، إلى عِشْرة وحياة في الإنجيل مع الله في السماء باعتبار وساطة الرب يسوع.

أ — (١٢: ١٨—٢١): حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى:

١٢: ١٨و١٩ «لأنكم لم تأتوا إلى:
جبلٍ مَلْمُوسٍ مضطرمٍ بالنارِ وإلى ضبابٍ وظلامٍ وزوبعةٍ.
وهتافِ بُوقٍ وصَوْتِ كلماتٍ استعفى الذين سمعُوه من أن تُزادَ لهم كلمةٌ».

[«جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نارُ شريعةٍ لهم.» (تث ٣٣: ٢)]

هنا الطبيعة، تُعبِّر بأقصى ما عندها من تعبير، عن الله الذي بدأ يُعلن عن نفسه للإنسان! فإن شئنا أن نلخِّص العهد القديم كله في كلمة، فهو استعلان الله رب الطبيعة لإنسان الطبيعة إنسان الأرض والجسد!

فما هو أعظم وأضخم وأعلى كيان على الأرض لكي يُعبِّر عن كيان الله **الحقيقي**؟ هو الجبل، وهو ليس جبلاً من الخيال، بل **حقيقياً ملموساً** باليد. هكذا الله في حقيقته برؤية الجسد.

وما هي أعظم وأخطر قوة قادرة في الطبيعة أن تأكل وتفني أي كيان لكي تعبِّر عن طبيعة الله؟ هي النار في اضطرامها!

وما هو الذي تُعلن عنه الطبيعة عندما تُريد أن تخفي وراءها الحقائق فلا تُعلَن للعين إلاَّ وكأنها أشباه لكي نعبِّر عن طبيعة الله غير المنظورة ولا مُدركة؟ هو الضباب.

ثم، ما هو الإجراء التي تتخذه الطبيعة لكي تحرم الرؤيا فلا يُرى شيء البتة لكي يُعبِّر عن حركات الله الفائقة للعقل والحواس؟ هو الظلام.

ثم، ما هي حركة الطبيعة التي تُعبِّر عن العنف والشدة والحركة الفائقة التي تجرف من أمامها كل شيء لتُعبِّر عن غضب الله وتأديبه؟ هي الزوبعة.

ثم، ما هو العمل الذي تعمله الطبيعة مع الإنسان ليعبِّر عن شدَّة وعلو صوت الله؟ هو البوق.

وما هي الصفات التي يمكن أن تُضاف على كلمات الإنسان لتصير كلمات الله؟ هي أن تبلغ من الشدة والعنف حتى تستعفي الأذن من سماعها.

بهذا يكون هذا الوصف الواقعي من الطبيعة الذي تمَّ بحروفه على جبل سيناء، هو التعبير الحسِّي الجيد عن الله وطبيعته وصوته وكلماته التي أعطاها الله لتكون تعبيراً أو استعلاناً عن جلاله المرعب وعظمة ومهابة حضرته، بشهادة شعب بأكمله وبوسيطه الذي كان هو أول من استعفى! «أنا مرتعب ومرتعد». هذا موسى، وهذه هي مواصفات الله وكلماته التي دُوِّنت لتصير ناموساً، وتعامل معها الشعب وتعامل الله معهم. وأخطر ما فيها أنه كما استعفى الشعب من سماعها حتى لا يُزاد له كلمة واحدة وختم موسى على رعبتهم باعترافه: **«أنا مرتعب ومرتعد»**، كذلك كان شأن الشعب مع ناموس موسى أيضاً: **«لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله»** (أع١٥: ١٠).

وأيضاً كان هذا تقرير الله عن حال هذا الشعب بالنسبة للتعامل معه شخصياً وتعاملهم مع ناموسه:

+ «طول النهار بَسَطتُ يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم.» (رو١٠: ٢١)
+ «لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم، يقول الرب.» (عب٨: ٩)

١٢: ٢٠و٢١ **«لأنهم لم يحتملوا ما أُمِرَ به. وإن مسَّت الجبلَ بهيمةٌ تُرجَمُ أو تُرمَى بسهم، وكان المَنظرُ هكذا مُخيفاً حتى قال موسى: أنا مُرتَعِبٌ ومُرتَعِدٌ».**

كانت الكلمات غير محتملة، ليس بسبب صداها المرعب فقط، بل بسبب محتواها ومفهومها

أيضاً. هذه كانت المفارقة بين الله والإنسان وهو بعد في طبيعته المتغرِّبة عن نعمته. فكل هذا الخوف والرُّعبة والرعدة والاستعفاء من سماع كلمة واحدة تُزاد، هو أعظم تعبير عن الطبيعة البشرية قبل أن تنفتح على أسرار الله وتتقبل أفعال نعمته للتغيير والتجديد.

أما بشأن اقتراب البهيمة من الجبل ورجمها أو قتلها بالسهم، فهو أروع تصوير على خطورة تعدّي حدود أوامر الله. وهي تُرجم في حالة البُعد من الحدود، أي قبل أن تخترق الخط المحدَّد. ولكن إذا عَبَرته فإنها تُرمى بالسهم من على بُعد حتى لا يلمسها أي إنسان لئلا يُحسب هو أيضاً متعدِّياً. إلى هذا القدر بلغ تصوير خطورة التعدِّي على حدود الوصية!! هذا يجعل الإنسان مهما بلغت بلادته أن ينفعل ويستيقظ وينتبه إلى خطورة الوصية وحدودها. وهكذا كان الله يستخدم التصوير الطبيعي ووسائل التوضيح المادي جداً، لكي يؤسِّس في الإنسان الهيبة الكافية للتعامل مع عظمته وقيمة وخطورة الاقتراب إليه.

وأخيراً، يُبلور بولس الرسول هذا المشهد كله بأنه كان مخيفاً، حيث يكشف الوحي أن موسى نفسه ذا الطبيعة النبوية الاستعلانية والذي تكلَّم مع الله وجهاً لوجه، يصف ما حلَّ به بأن الرعبة اجتاحته وأخذته الرعدة. وشهادة موسى هذه تقنعنا تماماً أن هذا المشهد كان حقاً أخطر ما شاهده الإنسان في حياته على الأرض. هكذا كان يليق فعلاً بتصوير واستعلان طبيعة الله للإنسان الذي كان لا يزال بينه وبين الله حجاب كثيف من صنع خطاياه وتعدياته.

ب ــ (١٢: ٢٢ــ ٢٩): حال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع:

«بل أنيتم»: عبر المعمودية بقيادة الإنجيل، ممسوكين بيد الروح القدس!!

لقد نجح بولس الرسول في هذا الاستعراض التمهيدي ــ الذي وصف فيه حال آبائهم في لقائهم بالله، ومعهم وسيط العهد الأول موسى كليم الله، وأكثر الناس جميعهم حُلماً، النبي المقتدر صاحب العشر الضربات التي أصاب بها قطراً، وأرعب بها الفرعون الذي كان اسمه يرعب أعظم القواد والملوك، يستنطقه ليقول: «أنا خائف ومرتعد». نجح ق. بولس أن يجعلنا نحن أيضاً نحس بما أحسَّ به الشعب آنذاك وبما اجتاح قلب موسى من خوف ورعدة. وبذلك رجع بنا رجعة عميقة تضرب في طبيعتنا الموروثة أربعة آلاف سنة لنقف نفس وقفة هذا الشعب مع موسى أيضاً، لنحس بعظم الله وجبروته بنفس الإحساس الواقعي الذي أحسُّوه، مع أننا أصحاب طبيعة جديدة ولنا سند من الروح ومدعوون أبناء الله الحي، والحائزون على النعمة التي نحن فيها مقيمون.

إنها روعة التصوير وصدق الرؤيا في واقعية ليس فيها أي تهويل، وها هو ينتقل بنا إلى جبل

الأحلام والرؤى والمدينة ذات الأساسات نفسها، ذات القباب والأبواب، والله الديان على عرشه، ويسوع حاملُ دمه، والمقدَّسون صفوف صفوف، وملائكة وأرواح قديسين، باستعداد أن يخطف أرواحنا، لنجول معه هذه الجولة لنرى أين نحن، وإلى أين نحن سائرون، وأي سعد يحيط بنا، وسعادة تنتظرنا، ونصيب مجيد نلناه، ونصيب أمجد في انتظارنا، وكأنه يحملنا على جناح شاروبيم، كما حمل الله شعبه قديماً على جناح نسر (خر١٩ : ٤)!

٢٢:١٢ **«بل قد أتيتُم إلى جبلِ صهيونَ، وإلى مدينةِ اللهِ الحيِّ، أورشليمَ السماويةِ، وإلى رَبَواتٍ هُم مَحْفِلُ ملائكةٍ».**

«بل قد أتيتم»:

بل بالحري ارتفعتم إلى أعلى من السموات — لأننا متنا معه — حيث رفَّعه الله ونحن معه فوق الكل، فوق سيناء الشاهقة بجبالها الجرداء، سيناء العربية موطن الجارية، نراها تحت أقدامنا، وألواح مكسورة وألواح مهجورة وبقايا عِجْل مسبوك وجثث بلا عدد، وصخرة مضروبة، وعصاة مرفوعة وعليها حيَّة مقتولة، ورفات رئيس كهنةٍ، ورفات نبيَّة ماسكة بدف في يدها. ذكريات من أحلى ذكريات الإنسان مملوءة بمخاطرَ وأحزاناً وتذمُّراً وعصياناً ومعوناتٍ ومعجزاتٍ في طيّ النسيان كلها، باتت تحكي عن فجر إيمان، ما أن أشرق حتى غاب وغابت معه تطلعات الإنسان، تركت على التاريخ بصمات العبور من ظلمة إلى ظلمة برجاء انبثاق النور.

«إلى جبل صهيون»: Σιὼν ὄρει

[«أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.» (مز٢ : ٦)
«عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه، جبل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون، فرح أقاصي الشمال، مدينة الملك العظيم. الله في قصورها يُعْرَفُ ملجأ.» (مز٤٨ : ١—٣)
«من صهيون كمال الجمال الله أشرق.» (مز٥٠ : ٢)]

غير مضطرم بالنار بل ملفوف بالنور، غير ملموس لأنه غير مصنوع، وفيه أساساته المقدَّسة ومقر حكمه لعهده الجديد(٩)، وعليه مدينة الله. فامتد جبل الله صهيون وشمل أورشليم مدينته — كما

---

(٩) هكذا صنع داود الملك بعد أن استولى على جبل صهيون من اليبوسيين. نقل إليه تابوت العهد، وجعله مقرًا لكرسيه وكان الله يحكم من هناك: «اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبه وبنى مقدسه (هيكله) كالسموات العلا، كالأرض التي أسسها إلى الأبد.» (مز٧٨ : ٦٨ حسب السبعينية)

صنع داود في القديم — فصارت صهيون وأورشليم مسكن العلي. وكما كانت تكون(١٠)، هناك بيته، والأمكنة المعدّة مع شعبه، وفي وسطها عرشه.

وأبواب صهيون أحبّها الله (مز٨٧: ٢)، تُسمع فيها تسابيح يردّد صداها الأبد، وبنات صهيون يسبّحن ويُخبرن بتحركات نجم إسرائيل.

«وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية»:(١١)

[«أمّا أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً، فهي حرّة.» (غل٤: ٢٦)
«استيقظي استيقظي البسي عزّكِ يا صهيون، البسي ثياب جمالكِ يا أورشليم المدينة المقدّسة.» (إش٥٢: ١)]

المدينة التي لها الأساس (عب١١: ١٠)، التي كان يتطلّع إليها إبراهيم يوم خرج من أور وهو لا يعرف إلى أين يذهب، متغرّباً في الأرض كلها، وصورتها في السماء تقود خطواته على الأرض فما زلّت أبداً.

ونحن سرنا مسيرته رافعين أعيننا نحو ما رفع، غرباء نطلب العتيدة، سماؤها جديدة وأرضها جديدة.

+ «وأنا يوحنا رأيتُ المدينة المقدّسة أورشليم الجديدة(١٢) ... وسمعتُ صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس ... وسيمسح الله كل دمعةٍ من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجعٌ فيما بعد.» (رؤ٢١: ٢—٤)

---

(١٠) «تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم أورشليم كمدينة متصلة كلها حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب، كما أوصى الرب لإسرائيل ليشكروه ويمدحوا اسم الرب.» (مز١٢٢: ٣ حسب السبعينية)

(١١) قبل كل شيء يلزم أن نفهم أن كل الأوصاف التي لأورشليم العليا هي إلهامات وليست واقعاً روحياً متقناً، لأن أورشليم السماوية لم تُستعلن بعد في وضعها الأخير، فنحن لا زلنا ننتظرها ونترجاها بالإيمان: «ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة» (عب١٣: ١٤). ولكن لأننا قد صرنا مواطنين، أصبحت لنا حقوق إيمانية تجعلنا نتطلع إليها ونستشف بالروح السعادة المحيطة بها. ثم بعد كل شيء فنحن في المسيح والروح القدس نُحسب أننا دخلنا في واقع هذه المواطنة السعيدة، نعيشها ونطلب كمال استعلانها.

(١٢) على القارىء أن يلاحظ أن داود النبي والملك أخذ رسم الهيكل وتخطيطه من الله مباشرة «مثاله بالروح» موسومة بيد الله، تماماً كما أخذ موسى رسم خيمة الاجتماع بالرؤيا من الله: «وأعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء. ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب» (١أي٢٨: ١١و١٢). لهذا تُحسب كل أوصاف أورشليم السماوية وجبل صهيون والمدينة التي لها الأساسات هي الأصل ἀρχέτυπος والتي كانت على الأرض هي الشبه.

+ «وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدَّسة ... لها مجد الله ... وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً(١٣)، وعليها أسماء رُسل الخروف الاثني عشر ... لأن الرب الله القادر على كل شيء هو "والخروف" هيكلها ... مجد الله قد أنارها والخروف سراجها، وتمشي شعوب المخلَّصين بنورها ... ولن يدخلها شيءٌ دنسٌ ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلاَّ المكتوبين في سفر حياة الخروف.» (رؤ٢١: ١٠—٢٦)
+ «هذا يقوله القدوس الحق ... ها أنا آتي سريعاً ... مَنْ يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يعود يخرج إلى خارج وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة.» (رؤ٣: ٧و١١و١٢)

«مدينة الله الحي أورشليم السماوية»
(عب١٢: ٢٢)

«المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها هو الله»
(عب١١: ١٠)

رؤية فريدة للمجتمع البشري من وجهة النظر المسيحية في الرسالة إلى العبرانيين:

[«أنت بطرس وعلى هذه الصخرة "الحجر الكريم"
أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.»
(مت١٦: ١٨)
«وسور المدينة كان له **اثنا عشر أساساً** وعليها أسماء
رُسل الخروف الاثني عشر.» (رؤ٢١: ١٤)]

هذا الاصطلاح الروحي الصرف المليء بمشاعر الألفة الجماعية للإنسان، والحنين الملحّ إلى ارتقاء في التعامل الفكري والنفسي، لحياة أكثر استقراراً وأخصب إنتاجاً وأغنى حبّاً وأعمق وأبدع هدفاً، كان يداعب أفكار وأرواح جميع الآباء والأنبياء والقديسين على مدى العصور، بل شغل بال الإنسان المتحضِّر بصورة كانت ولا تزال شديدة للغاية، عاناها شعب إسرائيل كأُمة يهودية تقدَّمت في مراقي الحضارة، ثم تخلَّفت وراء الحضارة اليونانية التي سلَّمت هذا الفكر وهذا الانشغال عينه بمستقبل الإنسان، للمسيحية، التي ورثت الإرهاصات لهذا الفكر بل لهذا الأمل من اليهود، ثم

(١٣) لذلك سمِّيت بالمدينة التي لها الأساسات.

أخصبه لها بولس الرسول بتحضُّره المتعدد الجوانب، ثم سفر الرؤيا الذي يعبِّر عن رؤية روحية لواقع غير موجود، ثم استلمه المسيحيون الأوائل جاهزاً للتأمُّل والانطلاق.

فما هي مدينة الله هذه؟ وكيف ومتى صنعها الله وأبرأها للإنسان؟

هذا الاصطلاح ليس من تأليف كاتب الرسالة إلى العبرانيين، ولكنه صدى للتراث الفكري المتراكم عبر العصور للشعب اليهودي منذ أن دَعا الله إبراهيم أن يترك **«مدينته»** وشعبه ووطنه وأرضه إلى أرض أخرى لا يعلم أين هي ولا ما هي. ولكنها على أي حال **أرض الله**، وإن كان لا يعرف أين هي، **فهو ذاهب إليها طالما هو قد أطاع الصوت وترك مدينته!** فالترك بالنيَّة كان هو الذهاب الفعلي، وطاعة الوصية كانت هي بمثابة الوصول!! حتى وإن طال الذهاب.

أمَّا **«أور»**، مدينة أبرآم القديمة، فلماذا أمره الله بتركها؟ **إلَّا إذا كانت مدينة ليس لها أساسات**، شأن كل مصنوعات الإنسان، فمآلها إلى الفناء. أما المدينة التي لها الأساسات، **فهي** ليست مجرد مدينة لها أساسات، بل التعريف يُخرجها عن كل مدينة في العالم: **فهي** المدينة التي لها الأساسات باعتبارها المدينة الوحيدة التي لها الأساسات. فأساساتها اثنا عشر، مكتوب عليها أسماء رُسل المسيح الاثني عشر، **فهي** الكنيسة حتماً، وأبوابها اثنا عشر، كل منها لؤلؤة **فهي** بشارة الاثني عشر، وكل بشارة هي اللؤلؤة التي باع الحكيم كل أمواله واشتراها.

والمدينة نعلم أنها المجتمع البشري، فهي بالتالي المدينة الوحيدة، **فهي** ليست من مدن العالم الحاضر، والتي أساسات المجتمع البشري فيها غير قابلة للزعزعة ولا الفساد، **فهي** متأصِّلة حتماً فيما لا يفسد ولا يتزعزع، في السماء، لأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها لأن الرب هو الذي بناها.

هذا التصوُّر الإبداعي لمثل هذه المدينة، خاصة حينما قال: **«التي صانعها وبارئها الله»** (عب١١: ١٠)، حيث **«صانعها»**، هنا تفيد باليونانية «فن تخطيطها» τεχνίτης (من تكنولوجي)، «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري ...» (يو١٥: ٢٤). **«وبارئها»** = δημιουργός وتعني الخالق الذي يخلق، أي يصنع ويشكِّل ما يخص الإنسان في نفسه، يفيد مباشرة أنها مدينة الله حقاً. «وعلى هذه الصخرة أبني **كنيستي**» (مت١٦: ١٨).

فهي مدينة ثابتة ذات أصول لا تتزعزع ولا تفسد لأن هذا هو مفهوم **«التي لها الأساسات»**، ثابتة وقائمة في تدبير الله منذ الأزل وفي خطة خلقته قبل خلقه العالم: «اختارنا فيه "في المسيح" قبل تأسيس العالم لنكون قديسين» (أف١: ٤). أي قبل قيام الخليقة وكل مدينة، والتي كل مدينة في الحاضر تأخذ منها الشبه والصورة ولكن على غير أساسات الله، وأية مدينة في العالم لم تُهدم وتُحرق وتزول معالمها عدَّة مرات؟

مفهوم «مدينة الله الحي»، أي المجتمع المسيحي، في الرسالة إلى العبرانيين:

أولاً، يلزم أن ننتبه أن كلمة «الكنيسة» لم تُستعمل في الرسالة إلى العبرانيين بمفهومها الكنسي، ولكن عوضاً عن مفهوم الكنيسة التي هي في خلاصتها الإنجيلية المجتمع المسيحي في اتحاد عضوي، تُعطي الرسالة إلى العبرانيين هذه المعاني:

أ — **العالم العتيد** = ἡ οἰκουμένη ἡ μέλλουσα (عب ٢ : ٥) التي بحسب التعبير اليوناني الحرفي تُفهم أنها نظام المجتمع الإنساني الأُخروي أو المستقبلي الذي يفسر بالنظام الإلهي.

ب — **بيت الله** = ὁ οἶκος τοῦ θεοῦ . حيث يوضِّح في (٣ : ٢) أن الله أقام المسيح على «**بيته**»، باعتبار أن المسيح هو باني البيت، وكرامة المسيح أعلى من البيت ذاته، لأن الله هو باني البيت!

ثم، «**بيته هو نحن**» (٣ : ٢—٦).

ثم، يصرِّح أن المسيح هو الكاهن على بيت الله (١٠ : ٢١). والتي في رسائل ق. بولس الأخرى وسفر الرؤيا هو العريس والزوج.

ج — **المدينة التي لها الأساسات** التي صانعها وبارئها هو الله (عب ١١ : ١٠) ويدعوها صراحة «أعدَّ لهم **مدينة**» — «وطناً ... سماوياً.» (١١ : ١٦)

د — **المدينة العتيدة** = μέλλουσαν الباقية μένουσαν (١٣ : ١٤).

هـ — **جبل صهيون، مدينة الله الحي**، أورشليم السماوية مع ربوات هم محفل ملائكة **كنيسة أبكار** مكتوبين في السموات، مع الله الديان **وأرواح أبرار مكمَّلين**، ووسيط عهد جديد يسوع ودم رش يتكلَّم (عب ١٢ : ٢٢—٢٤).

و — «**ملكوتاً لا يتزعزع**» (١٢ : ٢٨) = βασιλείαν ἀσάλευτον

كل هذه التعابير تحيط تماماً بمفهوم المجتمع المسيحي في كماله أو تكميله، الذي يسميه الرسل في مواضع أخرى بالكنيسة في السماويات، وفي سفر الرؤيا المدينة المزيَّنة لعريسها!

وبالتعمُّق في هذه الاصطلاحات التي تقدِّمها الرسالة إلى العبرانيين مثل: «العالم العتيد»: ἡ οἰκουμένη ἡ μέλλουσα في معناه الحرفي حيث «إيكوميني» تعني «المسكونة»، و «مللوسا» تعني «الأخروية أو الآتية»، ثم الملكوت الذي لا يتزعزع والمدينة الباقية والعتيدة ومدينة الله الحي — هذه الأوصاف كلها هي أخروية، ولكن الرسالة تضعها في حكم القائمة، مما يفيد أن المجتمع المسيحي الآن إنما هو ينمو ويمتد على أساس شكله الأخير المكتمل، بمعنى أن الرسالة تصف المجتمع المسيحي الآن في صورته النهائية باعتبار حتمية تكميل ما هو آتٍ. وهذا

يفيد بصورة رائعة حقاً أن وصف المجتمع المسيحي الآن على أساس حتمية ما سيكون هو الرد الخالص لسبب ومعنى **الخليقة**، خصوصاً في قوله: **«ملكوت لا يتزعزع»**، أو **«مدينة باقية»**.

ثم، بسبب هذا العمق الشمولي في تعريف المجتمع المسيحي، لا نجد أي أثر للمفهومات البدائية عن دخول الأمم وعن الصراع بين اليهودية والمسيحية، باعتبار أن هذه تُحسب كشكليات زمانية ستنتهي بانتهاء المدينة التي ليست لها الأساسات، العالم الحاضر، والملكوت الذي يتزعزع!! وهذا نراه واضحاً ومطبَّقاً بصورة كبيرة. فالمجتمع المسيحي (الكنيسة) يقترب من وضعه النهائي، إذ تذوب هذه الفوارق الزمنية في المسيح الذي هو التعبير الكامل والنهائي عن الملكوت الذي لا يتزعزع!

ماذا تعني الرسالة إلى العبرانيين بالقول:
«ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع، ليكن عندنا شكر...» (١٢ :٢٨):

بالرغم من أن شرح الرسالة سيشمل هذه الآية، ولكن ونحن بصدد «مدينة الله الحي»، بمعنى المجتمع المسيحي في السماء، نشير إلى أنه هو بعينه الملكوت الذي لا يتزعزع، ولكن ἀσάλευτον لا تعني «لا يتزعزع»، بل «غير قابل لأن يتزعزع»(١٤)، وهو نفس تعبير المسيح: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها». ويشدِّد المسيح ويدعِّم قوله هذا في موضع آخر: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»! (مت ٢٤ :٣٥)، حيث كلامه هو قوة الكنيسة وجوهرها أي الإنجيل.

وقوله: «ونحن "قابلون ملكوتاً"»، يعني في اللغة اليونانية معنى «الهبة والعطية». أما قوله: «ليكن عندنا شكر»، فهو الوسيلة التي بها نمتلك هذه العطية، أي أن نُحسب «بني الملكوت» أو مجتمع المسيح، أهل بيت الله، أو ملكوت المسيح. ومعروف بحسب سفر الرؤيا ورسالة بطرس الرسول أن ملكوت المسيح هو هو **«ملكوت ملوك»**: «جعلتنا **لإلهنا** ملوكاً وكهنة» (رؤ ٥ :١٠)، «كهنوت ملوكي.» (١بط ٢ :٩)

وهنا يبرز التعبير الأكمل **«ملكوت الله»**، وهو الأمر الذي كان يشغل بال المسيح مباشرة بعد القيامة من الأموات حيث افتتح هذا الملكوت رسمياً: «الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعد ما تألَّم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلَّم عن الأمور المختصة "**بملكوت السموات**"» (أع ١ :٣). وهو نفس الملكوت الذي بدأ به كرازته: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد **اقترب ملكوت السموات**» (مت ٤ :١٧). وهنا يقول عن الملكوت أنه قد **اقترب**،

14. Westcott, *op. cit.*, p. 421.

لأنه لم يكن قد أكمل افتتاحه بالموت على الصليب كفّارة عن خطايا العالم و بالقيامة من الأموات. أما بعد القيامة فقد صار حقيقة سماوية مُشتعلَنة ومفتوحة «لأبناء الله». لذلك وفي آخر أيام بولس الرسول الذي يمثّل قمة التعاليم الرسولية، وفي آخر آية تسجّلت لسفر أعمال الرسل يتحقّق الملكوت كموضوع يكرز به، كبشارة مُفرحة ويعلّم به للجميع بلا مانع: «وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه **كارزاً بملكوت الله ومعلّماً** بأمر الرب يسوع المسيح **بكل مجاهرة بلا مانع**.» (أع٢٨: ٣٠و٣١)

«وإلى ربوات هم محفل ملائكة»: μυριάσιν ἀγγέλων πανηγύρει

[«في كل ضيقهم تضايق **وملاك حضرته خلّصهم**، بحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة.» (إش٦٣: ٩)

«**الملاك الذي خلّصني** من كل شر يبارك الغلامين.» (تك٤٨: ١٦)

«في البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله. **جاهد مع الملاك وغلب**.» (هو١٢: ٣و٤)

«هذا موسى الذي أنكروه قائلين مَنْ أقامك رئيساً وقاضياً. هذا أرسله الله **رئيساً وفادياً بيد الملاك** الذي ظهر له في العليقة.» (أع٧: ٣٥)

«هذا (موسى) هو الذي كان في الكنيسة في البرية **مع الملاك الذي كان يكلّمه** في جبل سيناء ومع آبائنا.» (أع٧: ٣٨)

«فرأى ظاهراً في رؤيا **نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله** داخلاً إليه وقائلاً له ياكرنيليوس، فلمّا شخص إليه ودخله الخوف قال: ماذا ياسيد. فقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله.» (أع١٠: ٣و٤)

«**وإذا ملاك الرب أقبل ونور** أضاء في البيت، فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً قُمْ عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه. **وقال له الملاك** تمنطق والبس نعليك، ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه، وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة **الملاك** هو حقيقي بل يظن أنه ينظر رؤيا. فجازا المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت **فارقه الملاك**.» (أع١٢: ٧—١٠)

«لأنه **يوصي ملائكته** بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك.» (مز٩١: ١١و١٢)

«ثم تركه إبليس **وإذا ملائكة** قد جاءت فصارت تخدمه.» (مت٤: ١١)

«انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم **إن ملائكتهم في السموات** كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات.» (مت١٨: ١٠)

«أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة.» (مت٢٦:٥٣)

«فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.» (لو١٦:٢٢)

«واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا بملاك قد مسّه وقال قم وكُل، فتطلّع وإذا كعكة رَضْف (مخبوزة على الجمر) وكوز ماء عند رأسه، فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال قم وكُل لأن المسافة كثيرة عليك.» (١مل١٩:٥—٧)]

الملائكة الذين أملوا الناموس على موسى وسلّموه ليكون شريعة للناس، وكأنهم كانوا ضمن هيئة التشريع والقضاء قديماً، دخلوا هنا في زمرة الكنيسة مع الأبكار والأرواح، لا فرق على حد سواء: «يكونون كملائكة في السموات» (مر١٢:٢٥). وإن كان الملائكة الذين اضطلعوا بتسليم الناموس قلّة، فهنا ربوات أي عشرات الألوف. وهناك إن كانوا يعملون فرادى، فهنا يجمعهم محفلهم الملائكي الفائق الوصف والجمال. جاءوا ليفرحوا مع الفرحين ويفرّحوا الذين خرجوا من الضيقة العظيمة.

وقوله: «محفل» πανηγύρει تعني مجموعة ضخمة جداً ذات أقسام ودرجات وصفوف. فمنها ملائكة برؤسائها: «ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه» (دا٧:١٠) يقدّسون ويسبحون!! ومنها ملائكة لها قدرة النار وخفة الرياح، هؤلاء المعيّنون «للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (عب١:١٤)؛ ومنها ملائكة البشارة بقائدهم جبرائيل العظيم أول مَنْ نطق باسم المخلِّص وأعطى البُشرى للعذراء (لو١:٢٦)؛ ومنها ملائكة المقاومة والضرب والتأديب برئيسها العظيم في الملائكة ميخائيل الذي حارب «رئيس بابل» لحساب ملاك البُشرى الطائر نحو دانيال، والذي حارب الشيطان وانتهره باسم الرب من أجل جسد موسى الصاعد به، والذي ستنعقد على لوائه الحرب الأخيرة هو وملائكته لضرب وإسقاط الشيطان وملائكته وتخلية السماء من وجودهم؛ ومنها ملائكة المرافقة والحراسة الخاصة بكل بني المعمودية باعتبارهم أشابين غير منظورين للعتيدين أن يرثوا الخلاص؛ ومنها ملائكة المرافقة والمعونة للذين في الأسفار والمبشرين الجائلين وخدّام الإنجيل أينما كانوا، والمتوحدين؛ ومنها ملائكة الأطفال لحراستهم كحدقة العين حتى وإن نسيتهم أمهاتهم لا يمسّهم سوء، وهم يقدّمون تقاريرهم عنهم كل يوم ويتراءون أمام وجه الله دائماً.

صفوف صفوف يعجز القلم عن وصفهم وعدّهم وذكر أسمائهم والتأمّل في بهاء نورهم وجمال وجوههم وجلال قدرتهم.

٢٣:١٢ «وكنيسةُ أبكارٍ مكتوبينَ في السمواتِ، وإلى الله ديَّانِ الجميعِ وإلى أرواحِ أبرارٍ مُكمَّلينَ».

في الأصل اليوناني الذي أخذ به الآباء الأوائل، تأتي كلمة «ربوات» التي دخلت على «الملائكة» مع كنيسة أبكار أيضاً، فتكون «ربوات هم محفل ملائكة وهم كنيسة أبكار».

والآن بعد أن وصف بولس الرسول الأماكن العليا السماوية، بدأ يصف ساكنيها. وأول شيء جديد يسترعي الأنظار هو وجود الملائكة مع الكنيسة بلا تفريق، وليس كما كان في كل أسفار العهد القديم، حيث تأخذ الملائكة دور القيادة والتوجيه، فهنا يقف أفراد الطغمتين معاً سواء بسواء للتسبيح والشكر الدائمين إلى أبد الآبدين. وهكذا تتكشَّف أصول وأهداف خلقة طبيعة الإنسان التي عثرت ثم قامت ثم صعدت، أنها خُلقت لتنتهي عند ميراثها السماوي كخليقة مُسبِّحة لم تكن لتقلَّ أبداً عن طبيعة الملائكة إلا بالموت الذي فُرض عليها فحرمها من ميراثها المحفوظ لها إلى أن تحوزه **مع المسيح**. وهذا نستدله بقوة من قول المسيح: «يكونون كملائكة (الله) في السموات» (مر١٢:٢٥). فبولس الرسول كان حكيماً إلى أقصى حد بوضع الملائكة بجملتها في صف واحد مع كنيسة أبكار: **«ربوات ملائكة هم محفل وكنيسة أبكار»**. حيث يمكن جداً حسب رأي العالِم وستكوت[١٥] أن تكون الترجمة: «ربوات هم محفل ملائكة مع كنيسة أبكار»، حيث الربوات μυριάσιν تضم الملائكة والكنيسة معاً!!

وفي سفر أيوب، يصف الله منظر الملائكة مجتمعة وهي تهتف وتبارك وتسبِّح وقت أن خرجت الخليقة إلى الوجود. وننبِّه أن المتكلِّم **لأيوب هو الله نفسه**: «فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال ... أسألك فتُعلِّمني (للتوبيخ). أين كُنتَ حين أسَّستُ الأرض ... عندما ترنَّمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني (أي الملائكة) الله» (أي٣٨: ١و٣و٤و٧). هكذا تماماً تنتهي الخليقة بموقف مشترك من **الملائكة والمفديين معاً** في حفل تسبيح وهُتاف وشكر يدوم، حيث الكل، هذا وذاك، يُحسبون بني العلي!!

وهكذا ينجمع العنصر الأرضي المتقدس بعد أن بلغ الروحانية بالعنصر السماوي الروحي، ولكن وُضع العنصر السماوي أولاً لأنه هو الذي بُدئ الخلق به: «هذه مبادئ **السموات** والأرض حين خُلقت» (تك٢:٤)، «فأُكملت السموات والأرض وكل جندها.» (تك٢:١)

15. Westcott, *op. cit.*, p. 414.

أما كلمة «**كنيسة**» ἐκκλησίᾳ فيتبعها مباشرة «**مكتوبين في السموات**» حيث «**سجل المفديين**» أي «سفر الحياة» (رؤ١٣: ٨) أو «**كتاب (الحياة) الذي كتبتَ**» (راجع خر٣٢: ٣٢). والكنيسة هنا هي بصورتها العامة وليست الخاصة، أي بالصورة المعروفة أنها جماعة القديسين المختارين فقط، وليست جسد الكنيسة، أي الصورة الخاصة بالمفديين فقط. لأن المعنى يشمل الآباء الأول القديسين.

وهنا كلمة «**أبكار**» πρωτοτόκων لا تعني «أبكار» بالقيامة من الأموات، حيث تأخذ الطبيعة البشرية أقدس صورة لها عند الله، أي تصبح شريكة في الطبيعة الإلهية بالمسيح يسوع كجسد واحد، ولكن «الأبكار» بالمفهوم الروحي للعهد القديم وليس الجسدي، هو لقب كرامة لأولاد الله مثل: «إسرائيل ابني البكر» (خر٤: ٢٢)، كشعب، حيث حُسب أنه أول الشعوب الذي نال لقب شعب الله. فلو تأملنا في الشعب كوحدة، كإنسان واحد ممثَّلاً في يعقوب إسرائيل، يكون الشعب «كإنسان بكر لله».

وعلى نفس النمط، فبكورية المسيح أُعطيت له لقباً، وليس بالميلاد، فهو لقب روحي عالٍ **كمنحة** فوق العادة تتناسب مع دوره البديع كآدم الثاني، كإسرائيل الجديد: «**هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض**» (مز٨٩: ٢٦و٢٧)، هنا كلمة «أجعله» تعني المنحة. فلا عجب أن الكنيسة التي تكوَّنت في السماء واحتلت مكانها بين الملائكة في أورشليم السماوية، خاصة **فيما قبل المسيح**، تُسمَّى كنيسة أبكار كونهم أول المكتوبين! يعزِّز هذا القول ما جاء بعد ذلك في قوله: «**مكتوبين في السموات**» أي في سفر الحياة المكتوب فيه أسماء الذين سيخلصون، مكتوبين منذ تأسيس العالم بسبق علم الله:

+ «فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست **أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة** الخروف الذي ذُبح.» (رؤ١٣: ٨)

وهذا التقليد قديم للغاية، وكان يعرفه موسى تمام المعرفة حينما وقف يحاجج الله عن الشعب الذي ترك الله وعَبَدَ العجل، بينما الله مزمع أن يبيده: «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ **فامحُني من "كتابك الذي كتبتَ"**. فقال الرب لموسى: مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من **كتابي**.» (خر٣٢: ٣٢و٣٣)

إذاً، فحقٌّ هو ما جاء في سفر الرؤيا في قوله: «أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف»، بمعنى أنه لا تُكتب أسماء الآن أو قبل الآن أو بعد الآن. فالأسماء كلها مكتوبة

ومعروفة منذ تأسيس العالم: «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المُخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع اكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي **الذين أسماؤهم في سفر الحياة**» (في٤: ٣). ومعروف جيداً من الوحي المقدَّس الناطق في فم دانيال أن هذا السفر وتسجيل الأسماء فيه المعيَّنة للحياة الأبدية كان موجوداً والأسماء فيه كاملة: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبُك، **كلُّ مَنْ يوجد مكتوباً في السفر.**» (دا١٢: ١)

ومع الكتابة للأسماء يعطي الوحي المقدَّس مفهوم التعيين الشخصي المُسْبَق: «فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب. وآمن جميع الذين كانوا "معيَّنين" للحياة الأبدية» (أع١٣: ٤٨). إذاً، فهي كنيسة أبكار ممنوحة هذا اللقب بسبب ما قدَّمته من إيمان بالله واحتمال آلام وصبر وغربة ومعاناة وربما شهادة، وهي معروفة لدى الله ومكتوب أسماؤها في سفر الحياة **«مكتوبين في السموات»**.

ومنحة لقب «بكر» أعطاها الوحي المقدَّس في سفر الرؤيا لكل الأطهار: «هؤلاء هم الذين لم يتنجَّسوا مع النساء لأنهم أطهار، هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء **آشتُروا من بين الناس "باكورة"** لله وللخروف» (رؤ١٤: ٤). إذاً، واضح هنا أنه لقب تقديس وتكريم. وهنا الباكورة منسوبة لله، فهم ليسوا أبكاراً بالطبيعة ولكن بالسيرة. لذلك ضمَّهم الله لحسابه بعد أن اشتراهم كأبكار من بين الناس ليصيروا باكورة له، «باكورة لله»، وهذه هي بعينها « **كنيسة أبكار مكتوبين** في السموات».

«وإلى الله ديان الجميع»:

والأصح منطقياً أن يُقال: «وإلى ديان الجميع ــ الله ــ»، وهكذا تأتي في الأصل اليوناني. لأنه من غير اللائق أن يُضاف الله إلى قائمة الموجودين في صهيون، ولكن الأصح أن الموجود يكون هو ديان الجميع الذي طبعاً هو الله. لأن جميع هؤلاء الموجودين هم موجودون بفضل ديان الجميع الذي برَّرهم وهيَّأهم للوجود معه، فالله فوقهم وليس بينهم، لذلك لاقَ أن يأتي بعد الديان **«أرواح أبرار مكمَّلين»**.

«أرواح أبرار مكمَّلين»:

نحن هنا لسنا في حالة استعلان كلي للمجد القادم، ولكن رؤية من بُعد **«أتيتم إلى»**. فهنا ذكر العناصر التي سيتشكَّل منها الملكوت القادم، لذلك فالتعامل هنا مع أرواح لم تلبس جسدها

السماوي بعد، وهؤلاء هم الأرواح التي كانت في السجن حسب تعبير بطرس الرسول الذين ذهب إليهم المسيح لما نزل إلى الجحيم بالنفس والروح، حينما كان الجسد مُسجَّى في القبر: «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يُقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحيًى في الروح (بمعنى أنه لما كان ميتاً بالجسد كان **حياً بروحه**)، الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن.»(١٦) (١بط٣: ١٨و١٩)

هؤلاء لما آمنوا، **برَّرهم المسيح**، وهكذا كُمِّلوا وصاروا ضمن كنيسة الأبكار، ولكن بانتظار القيامة العامة ليلبسوا أجسادهم السماوية.

وهكذا ضمَّ «جبل صهيون، أي أورشليم السماوية»، كلاًّ من ربوات الملائكة مع كنيسة أبكار (قديسين مبرَّرين) مع أرواح مبرَّرة ومكمَّلة.

ويُلاحَظ هنا أن هناك **فرقاً** بين «أبرار كاملين» τελείων و «أبرار مكمَّلين» τετελειωμένων . **فالكاملون** انطلقوا من أجسادهم كاملي الإيمان والشركة في المسيح والروح القدس، هذا تبرير كامل. أما **المكمَّلون** فهؤلاء الذين انطلقوا من أجسادهم بدون تبرير أو إيمان بالمسيح، ونالوا التبرير بكرازة خاصة لأرواحهم عندما نزل إليهم المسيح وأصعدهم معه مبرَّرين: «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً (العهد القديم) لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح»، لذلك قيل أنه «على استعداد أن يدين الأحياء والأموات.» (١بط٤: ٦و٥)

٢٤:١٢ «وإلى وسيطِ العهدِ الجديدِ يسوعَ، وإلى دمِ رشٍّ يتكلمُ أفضلَ من هابيلَ».

لا دخول ولا اقتراب إلى جبل صهيون وأورشليم السماوية، دون العبور على وسيط العهد الجديد، كما لم يمكن أن يصل شعب إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد إلاَّ بوسيط تعيَّن أن يكون موسى: «هذا أرسله الله رئيساً **وفادياً** بيد الملاك الذي ظهر له في العُلَّيقة» (أع٧: ٣٥). هكذا تعيَّن أن: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي» (يو١٤: ٦)، ولا أحد يستطيع أن يبلغ إلى الآب أو يراه، إلاَّ إذا تقدَّس «إتْبَعُوا القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب١٢: ١٤)، ولا قداسة إلاَّ «بدم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا

---

(١٦) هذه الأرواح التي في السجن غير أرواح القديسين والبطاركة والآباء والأنبياء والمختارين من رجال العهد القديم، الذين حُسبوا بإيمانهم العظيم بالله أن يكونوا هم كنيسة أبكار. أما هذه الأرواح التي في السجن، فيقول بطرس الرسول في نفس الآية إنها «عصت قديماً»، فكانت في حاجة إلى الإيمان الذي نالوه بكرازة المسيح لهم.

الله الحي» (عب٩ :١٤)، «لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه.» (عب١٣ :١٢)

فكما بعد أن رتب موسى كل ما يخص خيمة الاجتماع «بعد ما كلَّم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورشّ الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به ــ فمن ثمّ الأول (العهد) أيضاً لم يُكرَّس بلا دم» (عب٩: ١٩و٢٠و١٨)، هنا في المقابل يكشف ق. بولس سرَّ رش الدم في وضعه الأصلي ἀρχέτυπος الذي أخذه موسى في المثال وطبّقه مادياً بدم حيوانات. هذا هو دم المسيح الذي يؤهِّل كل المدعوين للدخول إلى الأقداس السماوية والتراثي أمام الله في عرشه ونوال حق المواطنة في مدينة الله الحي.

ولكي يرفع ذهن هؤلاء العبرانيين إلى فاعلية «الدم»، في وضعه البشري العادي، لإنسان بار قديس دُعي للمثول أمام الله، أعطاهم ما حدث لدم هابيل الصدِّيق، كيف دخل أمام الله وتكلَّم صارخاً من ظلم أخيه!! (تك٤ :١٠)

فهنا دم المسيح الذي بروح أزلي يتكلَّم للحياة، لقد سُفك ظُلماً أيضاً و بيد رؤساء كهنة اليهود، ولكنه صعد ليتكلَّم عن الغفران الكامل لهم والمصالحة البشرية كلها مع الله.

فالمثل الذي أعطاه ق. بولس من جهة دم هابيل، أعطاه ليس لكي يحصر عمل دم المسيح في التكلُّم بالأفضل فقط، بل ليقدِّمه كعنصر أساسي في بناء مدينة الله الحي، وفي تأسيسها كمدينة العهد الجديد التي تحمل للمفديين عنصر المصالحة الدائم مع الله بدم المسيح، الذي يهبهم و بصورة دائمة وممتدة إلى الأبد قوة تقديسهم الدائم ويُغذِّيهم بالحب والحياة.

والآن احترسوا وانتبهوا لصوت الله

بدأت العلاقة بين الشعب والله عند الجبل المدخَّن المتّقد بالنار بداية رديئة للغاية تكشف عن نوعية وطباع هذا الشعب. فقد استعفى من سماع كلمات الله: «استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم كلمة» (عب١٢ :١٩). ولا يظن القارىء أن رفضهم لسماع كلمات الله كان عن مجرد خوف وفزع من هيبة المنظر وشدة الصوت، بل كان بسبب أنهم «**لم يحتملوا ما أُمر به**» (عب١٢ :٢٠)، كانت أوامر الله بالنسبة لهم غير محتملة، أي غير معقولة. وهذا تعليق الله على رفضهم أن تُزاد لهم كلمة: «وقال لي الرب سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذي كلَّموك به. قد أحسنوا في كل ما تكلَّموا، **يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقوني** ...» (تث٥: ٢٨و٢٩)

والمعنى واضح، أن رفضهم سماع كلام الله لم يكن عن تقوى أو مخافة حقيقية، ولكن عن استثقالهم الكلام نفسه أيضاً مع فزع الموقف. ولعظيم الأسف ظلت هذه هي العلاقة بصورتها الدائمة الرافضة التي استعفت دائماً عن السماع والطاعة، ليس عند الجبل المدخن بل من واقع تقرير موسى نفسه قبل أن يموت، بمعنى أن هذا كان منهجهم مع الله أربعين سنة في البرية: «جيل أعوج ملتوٍ، ... يا شعباً غبياً غير حكيم ... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... إن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم» (تث٣٢: ٥و٦ و٢٨و٣٠). هذا قاله موسى ثم قال أيضاً: «لأني أنا عارف تمرُّدكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحري بعد موتي.» (تث٣١: ٢٧)

ثم هناك وبعد سنين طويلة يقول عنهم الله على لسان إشعياء النبي:

+ «اذهب وقُلْ لهذا الشعب، اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا، غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يُبصر بعينيه ويسمع بأُذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى.» (إش٦: ٩و١٠)

ثم هناك وبعد هذه الآلاف من السنين وفي ختام علاقتهم بالله بعد أن أرسل إليهم المسيَّا أملهم ورجاء الدهور كلها، يأتي القديس يوحنا الرسول ويقول بالروح موافقاً إشعياء النبي في كل ما قال: «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبي ... لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا ... قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يُبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم.» (يو١٢: ٣٧ــ٤٠)

فتاريخهم كله انتهى كما ابتدأ: «استعفى الذين سمعوه (كلام الله) من أن تُزاد لهم كلمة».

هذه هي خبرة شعب إسرائيل مع الله، هم لم يطيعوا كلامه وسدوا آذانهم، فكان من الله أن سدَّ آذانهم وغلَّظ قلوبهم بالأكثر حتى يُميتهم في عصيانهم. وهذا ما عبَّر عنه بولس الرسول في رسالة رومية: «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، **أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض** ليفعلوا ما لا يليق» (رو١: ٢٨)، فهم بدأوا بالرفض وانتهوا بالرفض. استعفوا من المتكلِّم في الأول وفي النهاية صلبوه.

والآن يحذِّرهم بولس الرسول أن لا يكرِّروا مأساتهم الأُولى، ويوعِّيهم بأن هذه المرَّة يتكلَّم الله فيها ليس على الأرض بل من السماء وأمام هذه السحابة من الشهود.

١٢: ٢٥ **«انظروا أن لا تستعفوا من المتكلِّم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلِّم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدِّين عن الذي من السماء».**

الرباط الذي يربط هذه الآية بسابقتها هو «دم المسيح الذي **يتكلَّم**».

فالآن، ليس هو صوتاً مُفزِعاً ومن وسط نار ودخان الذي جعلهم يستعفون منه، ولو أنهم استعفوا من المتكلِّم كل أيام حياتهم، ولكن الآن المتكلِّم ليس على الأرض بل الرب الروح من السماء، ودمه المسفوك من أجلهم معروض أمام الله ليشفع فيهم وفي خطاياهم، ورائحة دمه معطَّرة بالحب والشفقة والحنان الفائق العقل. فإن كان أولئك سدُّوا آذانهم من الخوف أو من غِلَظ قلوبهم، فماذا تكون علَّة استعفائهم الآن من سماع صوت دم المسيح المتكلِّم في السماء من أجلهم والمتشفِّع في خطاياهم؟

ثم إذا كان أولئك لم ينجوا بسبب عدم سماعهم، فصارت جثثهم في القفر شاهدة على عصيانهم وتمرُّدهم، وأصبحت عبرة لكل جيل وجيل ولهم ولنا أيضاً، مع أن الكلام كان على مستوى الأرض التي يعيشون عليها ومن أجل ميراث أرض. فالآن، والمتكلِّم يتكلَّم من السماء ويدعوهم كأبناء لميراث أمجاد سماوية وحياة أبدية مع الله، فقطعاً إن عصينا فلن ننجو، لأن السماء ستُغلِق بابها دون المرتدين عن الإيمان بالمسيح المزدرين بدمه. ولا غفران البتة ولا توبة بعد ميعادها حتى ولو طلبوها بدموع، بعد أن يكونوا قد رفضوا البكورية، كأعضاء في كنيسة أبكار في السماء مزيَّنة لهم ومُعَدَّة. ولن ينفعهم موسى، لأن موسى كان وسيطاً لميراث أرض، ولكن الآن ليست وساطته بذات قيمة في ميراث السماويات، فالسماء لها وسيط واحد، وليس اسمٌ آخر تحت السماء يمكن أن نخلص به إلَّا اسم الرب يسوع المسيح الذي هو أعلى من كل اسم، لأنه **«الرب»** الذي لا يعادله إلَّا اسم الله!!

كذلك إن كان صوت الله على الجبل قد أعلنت عنه الزلزلة التي حدثت للأرض، وكأنها تحذير من الرفض، ولكنهم رفضوه فعوقبوا وقاسوا من المُعاناة والموت؛ فالآن الصوت هو من السماء، فماذا يكون مناسباً لو رفضوه؟ طبعاً ستتزلزل السماء أيضاً، وهذا ما سيكون حتماً في نهاية الارتداد، حينئذ نحن لا ننجو، والسماء أيضاً تعلن عن رفضها للإنسان.

«نحن المرتدِّين عن الذي من السماء»:

لاحظ أن الفعل هنا يفيد «الواقع» وكأنه يوجد ارتداد، والقديس بولس يضع نفسه بينهم وذلك ليخفِّف من شدَّة التوجيه الموجَّه لبعض العبرانيين الذين أضمروا الارتداد بالفعل، وذلك لكي

يقطع خط الرجعة على ضميرهم أو محاولة إخفاء أنفسهم. أمّا بقية الكلام المُضمَر هنا فهو: «إن استمررنا في عدم إيماننا هذا».

نبوّة عن
كيفية زوال الأرض والسماء واستعلان الملكوت الأبدي

١٢: ٢٦و٢٧ **«الذي صوتُه زعزعَ الأرضَ حينئذٍ، وأمّا الآنَ فقد وعدَ قائلاً، إني مرّةً أيضاً أُزلزِلُ لا الأرضَ فقط بل السماءَ أيضاً،**
فقولُه مرّةً أيضاً (ثانياً) يدلُّ على تغييرِ الأشياءِ المتزعزِعةِ كمصنوعةٍ لكي تَبقى التي لا تتزعزعُ».

هنا القديس بولس يجمع من النبوات ما يفيد أنه كما تزلزلت الأرض من صوت الله في بداية عهد الله في القديم، هكذا ستتزلزل السماء مع الأرض في النهاية.

والنبوات التي اعتمد عليها كالآتي:

عن حجّي النبي:

+ «حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم، لا تخافوا، لأنه هكذا قال رب الجنود: **هي مرّة بعد قليل فأُزلزل السموات والأرض والبحر** واليابسة، **وأُزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.**» (حج٢: ٥—٧)

سفر الخروج:

+ «وكان جبل سيناء كله يدخّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون **وارتجف (تزلزل) كل الجبل جداً.**» (خر١٩: ١٨)

المزامير:

+ «اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر، سلاه، **الأرض ارتعدت، السموات أيضاً** قطرت (هطلت مطراً) أمام وجه الله سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل.» (مز٦٨: ٧و٨)

إشعياء النبي:

+ «لأني ها أنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة، **فلا تُذكر الأُولى ولا تخطر على بال.** بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق لأني ها أنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً.

فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.» (إش٦٥: ١٧ـــ١٩)

إنجيل القديس لوقا:

+ «والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن **قوات السموات تتزعزع**.» (لو٢١: ٢٦)

إنجيل القديس مرقس:

+ «السماء والأرض **تزولان** ولكن كلامي لا يزول.» (مر١٣: ٣١)

+ «وأمَّا في تلك الأيام بعد ذلك الضيق، فالشمس تُظلم، والقمر لا يُعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، **والقوات التي في السموات تتزعزع** وحينئذ يُبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد.» (مر١٣: ٢٤ـــ٢٦)

إنجيل القديس متى:

+ «فإني الحق أقول لكم إلى أن **تزول السماء والأرض**، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل.» (مت٥: ١٨)

+ «ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. **ثم يأتي المنتهى**.» (مت٢٤: ١٤)

رسالة بطرس الرسول الثانية:

+ «ولكن سيأتي ـــ كلصٍّ في الليل ـــ يوم الرب، الذي فيه **تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها**.» (٢بط٣: ١٠)

سفر الرؤيا:

+ «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه **هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع**.» (رؤ٢٠: ١١)

+ «ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد.» (رؤ٢١: ١)

من هذه النبوات يستخرج بولس الرسول هنا في هذه الرسالة ما يلي:

أولاً: كون الأرض تزلزلت باستعلان الله الأول في سيناء على الجبل، فهذا بحد ذاته يفيد أن عند استعلان الله النهائي وظهور مجد ربنا يسوع المسيح في مجيئه الآتي فحتماً ستتزلزل الأرض والسماء.

ثانياً: أن زلزلة الأرض، أي زعزعتها، يفيد حتمية زوالها بعد أن تؤدي رسالتها. ورسالة

الأرض تنتهي بانتهاء الكرازة ببشارة الملكوت.

ثالثاً: بناءً على «ثانياً» ربط بولس الرسول بين استعلان روح الله وهو يسير في وسط الشعب عند إعطاء الناموس بزلزلة الأرض أي ارتباط الاستعلان الأول بزلزلة الأرض تمهيداً لزوالها (أي أن الاستعلان الأول رافقه نهاية الأرض)؛ **وبين** استعلان مجيء مشتهى الأمم مع زلزلة السماء المنظورة، وبقوله «مرَّة أيضاً» يفيد أنها الأخيرة، فقرأ من هذا حتمية زوال السماء أيضاً بصورتها المادية، بمعنى **انتهاء الكرازة بملكوت السموات على الأرض،** أي انتهاء الكرازة في محيط ما يتزعزع.

رابعاً: انتهاء ملكوت السموات بانتهاء الكرازة على الأرض يلازمه حتماً ظهور ملكوت الله الذي يرقى ويُنزَّه عن الزلزلة، ملكوتاً لا يتزعزع بعيداً ومُنزَّهاً عن كل ما هو مصنوع.

خامساً: استطاع بولس الرسول أن يرى بروحه الكارثة الأخيرة التي ستحل على العالم لتُنهي على وجه الخليقة المادية في صورتها الأرضية المتغيرة، التي سمَّاها «متزعزعة»، لتأخذ صورتها غير المتغيِّرة أي غير المتزعزعة.

وهذا سمَّاه بالنسبة لنا: «نحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع»، وهو الذي سبق وأن عبَّر عنه في هذه الرسالة (١٣:٨): «فإذ قال جديداً عتَّق الأول وأمَّا ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال». وهذا لا ينطبق فقط على زمن الناموس وانتهاء عصره، بل وينطبق على واقع العالم بأجمعه بالنسبة للحياة الأبدية التي هي وحدها التي تعبِّر عن كل ما فيها وكل ما هو لها أنه **«جديد»**. فعندما قال بولس الرسول: «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧)، فهو يعني أنه صار مؤهَّلاً للحياة الأبدية.

كما عبَّر عنه أيضاً لأهل كورنثوس بقوله: «والذين يستعملون هذا العالم كأنهم (بالنهاية) لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول.» (١كو٧: ٣١)

ويقولها أيضاً القديس يوحنا: **«العالم يمضي وشهوته، وأمَّا الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد»** (١يو٢: ١٧). وهذا يطابق تماماً ما تقوله الرسالة هنا: «... **يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تزعزع»**. الذي عبَّر عنه: **«بالملكوت الذي لا يتزعزع»**.

٢٨:١٢ **«لذلك ونحن قابِلُونَ مَلَكُوتاً لا يتزعزعُ، ليكُنْ عندنا شكرٌ به نَخْدِمُ الله خدمةً مَرْضيةً بخشوعٍ وتقوى».**

«قابلون»: بمعنى «ها نحن نقبل» أو «ها نحن داخلون».

و «الملكوت الذي لا يتزعزع» لا يكفي كتعبير لإعطاء الصورة كاملة، فهو في الأصل اليوناني: «غير قابل للزعزعة»، أي قائم أبدي. والمعنى هو: ها نحن قابلون من يد الله ملكوتاً أبدياً في الوقت الذي فيه ستعبر حتماً هذه الكارثة التي فيها الأرض والسماء تنحلّ وتزول، وبالرغم منها نحن داخلون.

«ليكن عندنا شكرٌ»: ἔχωμεν χάριν

وباللاتينية فولجاتا **habemus gratiam**.

الترجمة الحرفية: «لنقبل نعمة»، وحسب اللاتيني: «عندنا نعمة»، وبالقبطية: «مارن شوبي ... اهموت **ⲙⲁⲣⲉⲛϣⲱⲡⲓ ⲉⲟⲩⲟⲛ ϩⲙⲟⲧ**» أي حرفياً: «لتكن عندنا نعمة». ولكن المقصود هو ليكن عندنا إحساس بالنعمة نعلن به الشكر لله؛ كما يقول العالم وستكوت: **Let us feel and show thankfulness to God**. وبهذا المعنى يستقيم شرح باقي الآية: «به نخدم الله». فيكون المعنى: إن الإحساس بنعمة الله الذي يجعلنا نشكر هو في ذاته إعلان عن تقديرنا وتكريمنا لمجد الله، وهذه هي الوسيلة لمدحه وتسبيحه، **وهذه هي خدمة الله.**

وبذلك يكون بحسب التركيب الحرفي اليوناني، أن قبولنا النعمة يُنشيء عندنا شكراً ويكون هو بحد ذاته تمجيداً لله العاطي.

وفي الحقيقة أن عطية الله وهباته (بالنعمة) قائمة ممجَّدة وعظيمة فيْ ذاتها، ولا تحتاج منا **«شكراً» = أي قبول النعمة** ἔχωμεν χάριν. ولكن حينما نقبلها، فهنا يأتي معنى الشكر وفي ذات الوقت يكون تمجيدٌ للنعمة! وهو خدمة الله.

والمعروف في المنهج التصوفي أن تسبيح الله الذي هو تقديم الخدمة لله يعطي قوة للإنسان، يرفع من روحه ومواهبه. فهذه **المرادفات** عظيمة ونافعة **«التسبيح» = «الشكر» = «الخدمة» = «التقوى»**. وبحسب خبرتنا الرهبانية وجدنا أن **أقوى** مفاعيل العبادة على الروح هو التسبيح!!

وبحسب خبرة الآباء يقول القديس مار إسحق السرياني أن: [لا موهبة بدون زيادة إلاَّ التي بلا شكر].

إذاً، فقد صحَّ تعبير بولس الرسول هنا في قوله: «ليكن عندنا شكر به نخدم الله»!! إن هذا التعبير هو تصوُّفي عالي القيمة لخبير محنَّك!

والمُلاحَظ في هذه الرسالة عموماً، أن وراء صياغة الكلمات وحبك المعاني يوجد تيار خفي

يحمل إحساساً وخبرة تصوُّفية وتقوى واضحة، ولكن أكثر من هذا كله يوجد انشغال روحي بالخدمة أي الليتورجية في أعمق وأعلى معناها. فمثلاً:

+ «بعد ما صنع بنفسه **تطهيراً** لخطايانا.» (١:٣)
+ «**ولتسجد له** كل ملائكة الله.» (١:٦)
+ «**مسحك الله** إلهك بزيت الابتهاج.» (١:٩)
+ «أليس جميعهم أرواحاً **خادمة** مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (١:١٤)
+ «أُخبر باسمك إخوتي **وفي وسط الكنيسة أُسبِّحك.**» (٢:١٢)
+ «**يكفِّر خطايا** الشعب.» (٢:١٧)
+ «**رسول اعترافنا** ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (٣:١)
+ «كما كان موسى أيضاً **(أميناً) في كل بيته.**» (٣:٢)
+ «وموسى كان أميناً في كل بيته **كخادم شهادة** للعتيد أن يتكلَّم به.» (٣:٥)
+ «**عظوا** أنفسكم كل يوم.» (٣:١٣)
+ «**فلنتمسَّك بالإقرار.**» (٤:١٤)
+ «**فلنتقدَّم** بثقة **إلى عرش النعمة.**» (٤:١٦)
+ «**خَدمتُم** القديسين **وتخدمونهم.**» (٦:١٠)
+ «**خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي.**» (٨:٢)
+ «قد حصل على **خدمة** (ليتورجية) أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم.» (٨:٦)
+ «**بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين.**» (١٠:١٤)
+ «**لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس.**» (١٠:١٩)
+ «لنتقدَّم بقلب صادق **في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا** من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي.» (١٠:٢٢)
+ «غير تاركين **اجتماعنا** كما لقوم عادة.» (١٠:٢٥)
+ «ونحن قابلون ملكوتاً **لا يتزعزع، ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مَرْضية بخشوع وتقوى.**» (١٢:٢٨)

هكذا الإيمان الثابت إلى النهاية غير المتزعزع، يليق به حقاً ملكوت غير متزعزع باقٍ إلى الأبد. فالمسيحيون المؤمنون حقاً يمسكون بالحياة الأبدية الملكوت غير المتزعزع: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (١تي٦:١٢). هذا يجعلنا ثابتين طالما نحن مرتبطون ومتطلِّعون إلى هذا الملكوت المُعَدّ. لا نفزع من الزعازع التي تعصف بنا في حياتنا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية

الضاغطة بقوة على سلامنا الداخلي، أو ما يصيب الكنيسة من تدهور أو انحلال في صلابة تقاليدها وانفراط عِقْدِ تماسُكها، وما يُرافق ذلك من انحلال خُلقي. فطالما نحن ناظرون إلى فوق ومنتظرون وطالبون سرعة مجيء الرب، فلنا أمان داخلي نعبُر به العالم، وشكر وتسبيح تمتلك بهما النعمة ونخدم بهما الله الحي: «من أجل ذلك هم أمام عرش الله، ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلُّ فوقهم» (رؤ٧: ١٥). فترتد علينا الخدمة والشكر والتسبيح ثباتاً في النعمة وامتداداً نحو النصيب المحفوظ لنا في السموات والمُعدّ.

٢٩:١٢ «لأن إلهنا نارٌ آكِلةٌ».

[«منظر مجد الرب كنار آكلة.» (خر٢٤: ١٧)
«لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور.» (تث٤: ٢٤)
«الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة.» (تث٩: ٣)
«قدامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله.» (مز٩٧: ٣)
«ورجلاه كعمودي نار.» (رؤ١٠: ١)
«نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً.» (مز٥٠: ٣)
«إذ غسل السيد قذر بنات صهيون ونقَّى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق.» (إش٤: ٤)
«صوت الرب يقدحُ لُهُبَ نارٍ.» (مز٢٩: ٧)
«أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطّم الصخر.» (إر٢٣: ٢٩)
«فكلّمكم الرب من وسط النار.» (تث٤: ١٢)
«فاشتعلت فيهم نار الرب.» (عد١١: ١)
«بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار.» (مز٢١: ٩)
«هو سيعمدكم بالروح القدس ونار.» (مت٣: ١١)]

إن شرح هذه الآية المختصرة جداً والمخيفة جداً يكمن في الآية الأسبق التي وصف بها مصير المضادين لله بوجه عام: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف **وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين**» (عب١٠: ٢٦و٢٧). والمعنى واضح من تسلسل الكلام ويمكن وصفه كالآتي:

«انظروا أن لا تستعفوا من المتكلِّم لأنه إن كان أولئك لم ينجوا (الذين ماتوا وطُرحت جثثهم في القفر) إذ استعفوا من المتكلِّم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من

السـمـاء! ... لأن إلهنا نار آكلة». وتكملتها في (تث ٤: ٢٤) «إنه إله غيور»، وواضح من كلمة «غيور» أنه لا يطيق أنَّ أحداً من شعبه يعبد إلهاً آخر. فالارتداد عن الله هو الارتداد، أولئك ارتدوا بإرادتهم بعد أن أخطأوا باختيارهم فنالوا دينونة مُخيفة **وأكلتهم غيرة النار الإلهية**، وهذه النار قائمة دائمة مُتهيِّئة لابتلاع كل ما هو مضاد ومعاكس للحق الإلهي، أيًّا كان. وسوف نراها في النهاية كيف ستُنهي على الشيطان نفسه وكل أتباعه من ملائكة وخطاة انحازوا إليه ووقفوا ضد الله والحق: «فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يُضلُّهم طُرح في بحيرة النار ...» (رؤ٢٠: ٩و١٠)

وموضوع النار موضوع متشعِّب، فنار الله يُنسب إليها الحب، والغضب، والتقديس، والتطهير، والعقاب، والإبادة. ولكن في هذه الآية هنا هي متجهة تماماً ناحية الإبادة.

ولكي نفهم فعل نار الله في الإبادة يلزم أن نعرف أن طبيعة الله إيجابية مُطلقة في كل شيء، فهو يحب ويبني ويطهِّر ويقدِّس، ومن صميم صفة الإيجابية في الله أنها إيجابية فعَّالة بمعنى أنه لكي يجعل المحبة فعَّالة لابد أن يوقف فعل العداوة والبُغضة، ولكي يجعل البناء الروحي فعَّالاً لابد أن يُوقف كل فعل هدم للروح. ولكي يجعل الطهارة فعَّالة لابد أن يُوقف فعل النجاسة. ولكي يجعل القداسة فعَّالة لابد وأن يُوقف فعل التدنيس.

فبقدر ما في طبيعة الله من قوة إيجابية فإن هذه القوة عينها تأكل كل سالبية لتحمي الإيجابية وتؤمِّن فعلها ونموها.

وقوة الطبيعة الإيجابية في الله والتي تأكل كل سالبية، هي الموازية لفعل النار الطبيعية التي نعرفها. ولكن نارنا الطبيعية جاهلة ليس لها حكمة ولا إفراز، فهي إيجابية وسالبية، تأكل الزغل الذي في الذهب فتجعله معدناً نفيساً جيداً غالي الثمن، وفي نفس الوقت تأكل الشخص الذي يحمله، ولو سلَّطها الإنسان كثيراً على الذهب النفيس تأكله. أمَّا النار الإلهية التي في طبيعة الله فهي الحكمة وهي الإفراز، وهي الخير المُطلق والحق المُطلق، والقداسة المُطلقة والحب المُطلق والجمال المُطلق. إذا تسلَّطت على الإنسان الذي يطيع الله ويصنع مشيئته ويحبه ويخدمه فهي تحرق منه كل إثم وخطية وشهوة عالمية وجهالة وبُغضة وتجعله إنساناً قدِّيساً طاهراً حكيماً محبًّا.

ولكن إذا تسلَّطت على إنسان مقاوم ومضاد لمشيئة الله ومُبغض لاسمه فإنها تأكله، تأكل في البداية أفعاله المضادة وبالنهاية تأكله هو فلا يبقى منه إلاَّ العدم.

«فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيّنه، لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. **إن احترق عمل أحد فسيخسر،** وأمّا هو فسيخلص ولكن كما بنار» (١ كو٣: ١٣ــ١٥). هذا الاختبار بالنار الإلهية الممحّصة حتمي، والكلام هنا بالنسبة للمؤمن، فإن أعماله غير الإيجابية لابد أن تحترق، أمّا أعماله الإيجابية فتضاف إلى التجارب **(النار)** التي ابتُلي بها، وحينئذ يخلص. أمّا غير الخاضع لله والمقاوم والضد لله ولأولاده، فإن النار لن تُبقي له على عمل، لأن أعماله كلها كالقش، وأخيراً تلتهمه كقوة مضادة.

كذلك الملائكة، فالمطيعون لمشيئة الله تتحد النار الإلهية بطبيعتهم النارية وتجعلهم قديسين. أمّا المضادون فتأكل في البداية أفعالهم، وفي النهاية تأكلهم هم، ولن يبقى منهم إلاَّ العدم بمعنى اللافعل.

فحينما يقول بولس الرسول هنا: «إلهنا نار آكلة»، فهو يوعّي هؤلاء العبرانيين، ونحن بالضرورة، أن المطيع منّا يعلو وينمو ويزهو كالنخلة مغروسين في بيت إلهنا (مز٩٢: ١٢و١٣)، والمرتدُّ والمضادُّ ينخفض وينهزم ويصغر ويصير كالهشيم الذي تذريه الرياح: «أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون.» (١صم٢: ٣٠)

الأصحاح الثالث عشر

ختام الرسالة
وصايا راعوية

١ — ١٣ : ١ — ٦ : واجبات اجتماعية (كنسية).
٢ — ١٣ : ٧ — ١٧ : واجبات دينية.
٣ — ١٣ : ١٨ — ٢٥ : وصايا شخصية.

ختام الرسالة

الأصحاح الثالث عشر

يُعتبر هذا الأصحاح خاتمة للموضوع الذي قُدِّم، وهو الذي يعطيها صفة الرسالة. لأن الرسالة ليس لها مقدِّمة تفصح عن هوية الذين أرسلت إليهم، ولا اسم الراسل وصفته، ولا مضمون الرسالة باختصار. وذلك كما تعودنا في رسائل بولس الرسول وباقي الرسل الذين كتبوا رسائل.

أمّا الاثنا عشر أصحاحاً الأولى فهي بحث مُقدَّم للإقناع، وهو كامل بحد ذاته بحيث أنه لو استثنينا هذا الأصحاح الثالث عشر فإن الموضوع لا يتأثر.

ولأول مرة تتَّضح في هذا الأصحاح شخصية الكاتب دون الإفصاح عن الاسم، لأن ذكر اسم تيموثاوس والسجن وعزم الكاتب على الزيارة مع تيموثاوس تُشير إشارة كبيرة أن الكاتب هو بولس الرسول.

ولكن اختلاف الأسلوب في هذا الأصحاح الذي يُفاجأ به القارىء لا يُعزى أبداً إلى أن الكاتب تغيَّر، ولكن إلى أن الموضوع نفسه تغيَّر، فانتقل من بحث في موضوع محدَّد، إلى تعبيرات شخصية وعظية.

أبحاث العلماء والنُّقَّاد:

يهمنا جداً أن نُطلع القارىء على ما تم من أبحاث كثيرة ومستفيضة على مدى القرن العشرين من علماء كبار ونُقَّاد في أمر هذه الخاتمة، إذ أجمع رأي النُّقَّاد(١) على أن هذه الخاتمة مُضافة، وكل منهم له قناعاته وبراهينه. ولكن استطاع المفسرون الكبار أن يحصلوا على نتيجة عكسية، إذ أجمعوا بعد أبحاث رزينة ودقيقة على أن هذه الخاتمة جزء أصيل من الرسالة(٢)، وأنه لا يوجد أي دليل لا

1. W. Wrede (Gottingen 1906); C. Spicq, *L'authenticité du chapitre 13 de l'Epitre aux Hébreux*, 1948; C.R. Williams, *A Word Study of Hebr.*, xiii *JBL* xxx.1911, p. 129.
G.A. Simcox, *Heb.* xiii. Ext. x 1898-99, pp. 430ff.
E.D. Jones, *The Authorship of Hebrews 13*, 1939.

2. Bruce, *op. cit.*, p. 386.

من داخل الأصحاح ولا من خارجه يفيد أنه مضاف. ويقول العالِم بروس في كتابه في شرح رسالة العبرانيين صفحة ٣٨٧ أنه يكفي لإقناع أي باحث بل أي قارىء بأن هذا الأصحاح أصيل ومن صلب الرسالة أن يعود إلى الأعداد من (١٠ــ١٦) فيه ليدرك بنفسه هذه الحقيقة.

١ ــ واجبات اجتماعية (كنسية)
[١٣ : ١ــ٦]

يُستشف من الكلام في هذا الأصحاح أنه كان يوجد في هذه الجماعة أشخاص أثرياء وآخرون ذوو مكانة اجتماعية مرموقة. فهناك حضٌّ على بذل المحبة، كما يوجد تحذير من حياة الترف ومحبة المال.

١٣ : ١ «لتثبُت المحبّة الأخويّة». ἡ φιλαδελφία μενέτω

آية القديس بطرس المحبوبة: «المحبة الأخوية العديمة الرياء» (١بط ١ : ٢٢)، فكر رسولي متمكّن في ذهن الكنيسة، لأن أقوى مفاعيل الروح القدس في الجماعة المسيحية الأولى، كان هذه المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء، أي التي ليس لها أية انحرافات أو ميل نحو العالم. فهي التي ربطتهم في المسيح بصورة عائلية متمكِّنة، حتى أنها جعلت منهم ما عُرف «بالكنيسة» لا اسماً بل فعلاً وجوهراً. جماعة انكمشت عن العالم الخارجي فزاد تآخيها، حتى صهرهم في جسم واحد حقيقي، في محبة روحية خالصة، ومن قلب طاهر بشدة. إنها سر الكنيسة الأعظم الذي أنشأ في الجنس البشري طفرة، رفعته إلى مستوى جديد ــ فوق البشري ــ سماوي بلا شك ــ زال منه محبة العالم والأشياء التي في العالم، إذ أحسُّوا بزوالها وذاقوا الرب وتحققوا من محبته فالتصقوا به التصاقهم بأنفسهم، فصاروا «كنيسة» ليست من هذا العالم بحسب تقرير المسيح نفسه في (يو ١٧): «لأنهم ليسوا من العالم» (يو ١٧ : ١٤)، لأنهم اتحدوا به بسرِّ دعائه. واحتقارهم للمال أنشأ فيهم محبة البذل حتى النفس، وحب المشاركة في كل شيء وخاصة في الضيقات، فصارت أموال الواحد هي ملك الآخر بحسب قول سفر الأعمال: «ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له» (أع ٤ : ٣٢). ولم يكن هذا سلوكاً مصطنعاً، بل هي المحبة الأخوية **الصادقة عديمة الغش والرياء** التي أخرجتهم عن فكر وطبيعة الناس تجاه الملكية الشخصية؛ فلأنهم امتلكوا المسيح صاروا أغنياء حقاً، بل واسمه أغناهم عن غنى العالم، فكيف لا يعطون ويبذلون، لأنهم كلما بذلوا ازدادوا غنىً وازدادوا قناعة وزادهم الروح القدس من روح الشكر، فازداد حب الناس لهم واحترامهم.

لذلك حينما وصفوا الكنيسة بعد ذلك، وصفوها من واقع كيانهم: «أعضاء في جسد واحد»، لا كمجرَّد وصف غيابي أو تصوُّري كما نفهم نحن الآن، بل وصف هو منطوق واقعهم الروحي والجسدي والنفسي معاً. وحينما قالوا إن المسيح فيها هو الرأس، فذلك لأنهم بالفعل كانوا يستشيرونه في كل شيء وهو يدبِّرهم في كل شيء. كل هذا بسبب المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء ومن قلب طاهر بشدة. فهذه المحبة بصورتها الرسولية هي التي أفرزت الكنيسة وأعطتها وجودها السماوي، ورفعتهم إلى واقع الملكوت المحقَّق على الأرض. يا لفرحة المسيح بهم، ويا لفرحتهم بالمسيح، ويا لفرحة كل إنسان بأخيه الإنسان. ولمَّا قالوا بالطبيعة الجديدة والخليقة الجديدة، قالوها من واقعهم فكانوا يصفون ذاتهم.

وهنا بولس الرسول لا يطلب المحبة، فهي حاضرة، ولكنه كان يخاف عليها، وكان يخاف عليهم لئلا بارتدادهم تُنزع منهم. فطلب كوصية، أن يثبتوا في محبتهم الأخوية، لأن في هذا ثباتهم منة بالمنة.

٢:١٣ «لا تَنْسُوا إضافة الغُرباءِ لأن بها أضافَ أُناسٌ ملائكةً(٣) وهم لا يَدْرُونَ».

τῆς φιλοξενίας μὴ ἐπιλανθάνεσθε

لا يحب إضافة الغرباء إلاَّ مَنْ كان في الغُربة يعيش، لا الغُربة عن الوطن والأهل بل الغُربة عن العالم. ولا يتغرَّب عن العالم إلاَّ مَنْ أهمل الجسد. ومحبة العالم كما يقول يعقوب الرسول هي عداوة لله (يع٤: ٤). فالرسول بولس حاذق في اختيار وصية محبة الغُرباء بعد وصية المحبة لأنها هي محك صدق المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء، لأن المحبة الأخوية لا تحتبس على نفسها، بل تمتد لكل يد ولكل رِجْلٍ غريبة. والأخ في المسيحية ليس كما هو في اليهودية، فأخ اليهودي هو اليهودي وحسب، الذي تنتهي عنده المحبة. أمَّا المسيحي، فبسبب المحبة المسيحية التي هي رباط الكمال، فهو أخٌ لكل إنسان، لأن المحبة المسيحية لا تنتهي حتى إلى حدود العدو.

(٣) أمثلة إضافة الملائكة متفقة للغاية في العهد القديم وتكاد تدخل في صميم تاريخ الخلاص منذ البدء، مثل:

١ ــ إبراهيم تحت بلوطات ممرا (تك١٨: ١ــ٥).

٢ ــ لوط والملاكان (تك١٩: ١ــ٣).

٣ ــ جدعون في عفرة يوآش الأبيعزري (قض٦: ١١ــ٢٣).

٤ ــ منوح لميلاد شمشون (قض١٣: ٣ــ٢٠).

٥ ــ طوبيا والملاك (طوبيا ٣: ١٧).

فحينما يحض بولس الرسول على إضافة الغُرباء، فهذه محاولة ليفك رباط اليهودية من أعناق قلوبهم. فلمَّا أراد أن يقدِّم لهم برهاناً على ذلك، تذكَّر إبراهيم وإضافته للثلاثة الغُرباء الذين تأكَّد له بعد ذلك أنهم ملائكة جاءوا ببُشرى الحياة. والقديس بولس من وراء هذا المثل كان يضمر لهم في الحقيقة أن يُطلقهم من عقمهم الإيماني الذي كاد يعود بهم إلى أُور الكلدانيين ويجعلهم يدوسون على المواعيد الصادقة. فإضافتهم للغُرباء كناية عن قبول بُشرى الحياة كإبراهيم وسارة، وبالتالي فهو يحثّهم على ذبح النفس وحيدة الإنسان ومحبوبته حتى يُحسب لهم إيمانهم براً.

هذه هي قراءة هذه الآية على خلفية المحبة الأخوية التي تجعل من الغُربة وطناً ومن الغُرباء أهلاً. إن سر المحبة يسري خلف هذه الرسالة في كل ما كُتب.

إنها وصية المسيح: «كنت غريباً فآويتموني» (مت٢٥: ٣٥). التقطتها الكنيسة من فمه المبارك، وجعلتها فضيلة كنسية. لا يُرسم الأسقف إلاَّ إذا كان حائزاً عليها: «فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم ... مُضيفاً للغُرباء» (١تي٣: ٢). وإن كان هذا مع الأسقف فكل الدرجات الكنسية تُطالَبُ بها، حتى الأرامل: «مشهوداً لها في أعمال صالحة إن تكن قد ربَّت الأولاد، أضافت الغُرباء» (١تي٥: ١٠)، فالكنيسة غريبة ومتغرِّبة عن العالم، لذلك ففضيلتها الأُولى أن تقبل المتغربين الذين ليس لهم مأوى لتمارس فضيلتها، بل لأن تستضيف المسيح تحت سقفها!

والدعاء في الليتورجيا بإلهام الله من أجل الغرباء والمقيدين والمذلّين رافق الكنيسة منذ أن بدأت، وكان الشعب يشترك ويرفع قلبه ليتعلَّم الجميع أنها رغبة الرب والمخلِّص.

٣:١٣ «أذكُروا المُقيَّدِينَ كأنكم مُقيَّدُون معهم، والمُذلِّينَ كأنكم أنتم أيضاً في الجسدِ».

δεσμίων, κακουχουμένων

[«انظر إلى ذُلِّي وأنقذني.» (مز١١٩: ١٥٣)
«إني قد رأيت مذلة شعبي.» (خر٣: ٧)]

إنه يسير على درب الإنجيل، فكلمات الرب تلمع في قلبه: «كنت غريباً فآويتموني ... محبوساً فأتيتم إليَّ» (مت٢٥: ٣٥و٣٦)، إنها وصية الرب التي صارت، ليس منهجاً أخلاقياً أو اجتماعياً، بل عنصراً أساسياً في تركيب الطبيعة الجديدة للإنسان المسيحي ينطلق منه ليعمل عمله دون جهد منه أو عناء! فإن كان المسيح هو المسجون، فكيف لا أزوره بل كيف لا أسكب كل حبي، كل عطفي، كل جهدي، لإراحته، بل لإراحة جسد المسيح، وإراحة روحه!

والمسجون هو المُقيَّد، والمُقيَّد مسجون ولو لم يكن مسجوناً. فالقيود أثرها في النفس أكثر مما هو في الجسد. فالعطف والمحبة قادرة في سر المسيح أن تفكَّه وهو مقيَّد وتطلقه حرًّا بالروح حتى تحت آلام الجسد.

أمَّا المذلولون أو المُذلُّون فهم الذين يقعون تحت إجراءات قمعية عدوانية وتُستخدم معهم أنواع الإذلال والمهانة بقصد التشهير والفضيحة، وطبعاً دون ذنب حقيقي. هؤلاء أصعب حالاً من المقيَّدين والمسجونين، لأن القصود من إذلالهم هو مسح شخصيتهم والضغط على نفوسهم للإضرار بها، والمطلوب أن يتحمَّل المسيحيون مسئوليتهم في التخفيف عنهم بالمشاركة العملية والشعورية معاً، لأن الذي في المذلة تهون عليه مذلته حينما يحس أن إذلاله مقبول عند الكنيسة ومسموع ومُستجاب بالصلاة والمُخاطرة بالزيارة والسؤال والمعونة، و بالأكثر حينما يحس أن إخوته يُشاركونه ألمه وحزنه وضيقته ومذلَّته مشاركة صادقة بالصوم والصلاة والتقشف:

+ «شهود زور يقومون وعمَّا لم أعلم يسألونني، يجازونني عن الخير شراً، ثكلاً لنفسي، أمَّا أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذللتُ بالصوم نفسي ... كأنه قريب، كأنه أخي، كنت أتمشَّى (نائحاً) كمن ينوح على أمه، انحنيتُ حزيناً. ولكنهم في ظَلْعي فرحوا واجتمعوا، اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم ...» (مز٣٥: ١١ــ١٥)

٤:١٣ «ليكُن الزواجُ مُكرَّماً عند كلِّ واحدٍ والمَضْجعُ غيرَ نَجِسٍ، وأمَّا العَاهِرُونَ والزُّناةُ فسيَدِينُهُم اللهُ».

عند نهاية الوجود اليهودي قبل الحرب السبعينية، بلغ اليهود من جهة النواحي الجنسية مبلغاً كبيراً من الإنحلال، وذلك بسبب أتباع مدرسة هاليل التي تساهلت في تطبيق الوصايا (مع أنه كان هناك أيضاً أتباع مدرسة شماي المتحفِّظة والمتمسِّكة بالحرف)(٤). ولذلك كانت المسيحية في بدايتها ــ وهي التي استلمت من اليهودية كل ميراثها ــ حذرة جداً ومشدِّدة في كل نواحي السلوك والحياة، وعلى الأخص أنه كان قد دخلها أيضاً العنصر الوثني المشهور بانحلاله الأخلاقي الشديد. لذلك كانت النواحي الجنسية من الأمور التي تُقلق الكنيسة بشدَّة، ولا توجد رسالة في الإنجيل إلاَّ وعالجت هذا الموضوع حتى إلى درجة العنف. فمثلاً كان الطلاق يُمارس لكل علَّة، وذلك بناءً على تعاليم مدرسة هاليل، وكصدى لذلك نجد في الإنجيل رداً على هذا:

---

4. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 269.

+ «وجاء إليه الفريسيون ليُجرِّبوه قائلين له: هل يحلُّ للرجل أن يُطلِّق امرأته لكل سبب κατὰ πᾶσαν αἰτίαν ؟ فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً، ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذي جمَّعه الله لا يُفرِّقه إنسان.» (مت١٩: ٣—٦)

وانتهى المسيح إلى الحكم: «إن مَنْ طلَّق امرأته إلاَّ بسبب الزنا وتزوَّج بأخرى يزني.» (مت١٩: ٩)

أمَّا بولس الرسول فحذَّر وحذَّر:

+ «أمَّا الزنا وكل نجاسة أو طمع (الرجل يطمع في زوجة الآخر) فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين (مسيحيين). ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل (النكت القذرة) التي لا تليق بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طمَّاع الذي هو عابد للأوثان (عبادة الأوثان تقوم على الزنا) ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. لا يغرَّكم أحد بكلام باطل (إعطاء الحل الباطل ضد الإنجيل) لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية.» (أف٥: ٣—٦)
+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية.» (كو٣: ٥و٦)
+ «لا تضلُّوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مُضاجعو ذكور ... يرثون ملكوت الله.» (١كو٦: ٩و١٠)
+ «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم، أن تمتنعوا عن الزنا. أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله، أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا.» (١تس٤: ٣—٦)

«عند كل واحد»: ἐν πᾶσιν

قد اتفق علماء اللغة اليونانية والكتاب المقدس حديثاً(٥) أنها لا تعني «كل واحد»، إذا اعتبرنا πᾶσιν محايدة أي لا هي ذكرٌ ولا أنثى، فأصبحت تعني «على كل حال» أو «في كل

5. Westcott, *op. cit.*, p. 432.

الظروف»، بمعنى أن يحترس المسيحي على حفظ الوصية: «ليكن الزواج مكرّماً» من أي شيء يُقلّل من كرامة الزيجة.

أمّا الفرق بين «الزنا» μοιχεία و «العهارة» πορνεία فهو أن «الزنا» هو الخيانة الزوجية لأي من الطرفين، أمّا «العهارة» فهي الخروج بالجنس إلى أوسع حدوده من الممارسات الشاذة بكل أسمائها ومسمَّياتها في كل ما يُحرِّمه القانون. وقد أخذ القانون المدني والمطبّق في كل العصور بفكر الكنيسة إلاّ في هذا العصر النجس الموبوء، الذي فيه أُعطي في إحدى الدول الحق للرجل أو المرأة أن يغيِّر أي منهما اسمه وهويّته إلى الجنس الآخر بدون أية علّة جسدية. فمستر فرانك يصبح لابساً فستاناً واسمه إيزابل على بطاقته! وأخرج التليفزيون الأمريكي حديثاً مع جماعة من المأبونين رجالاً لابسين زي سيدات وأخذوا منهن حديثاً عن صناعتهم الجديدة. وهكذا:

+ «يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي، يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين!!» (إر ٩: ١ و٢)

١٣: ٥ «لتكُن سيرتكُم خاليةً من محبةِ المالِ، كونوا مُكتفِينَ بما عندكم لأنه قالَ لا أُهمِلُكَ ولا أترُكُكَ».

وهكذا إذا خرجنا من دائرة «المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء من **قلب طاهر بشدة**» نسقط في بئر، ومن بئر إلى بالوعة، نتخبّط ذات اليسار ومن اليسار إلى اليسار، والرب صامت، كفّ عن الضرب:

+ «على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً!! كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحَّةٌ بل جُرح وأحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تليَّن بالزيت.» (إش ١: ٥و٦)

على كل حال، لم تكن هذه حال أولئك العبرانيين، بل حالنا بعد ألفَيْ سنة من الرسالة إلى العبرانيين!!

أما أولئك العبرانيون فيوصيهم بولس الرسول أن يحترسوا من عبادة السيد الآخر لأنه قاسٍ لا يرحم عبيده، وهو يعطيهم ذات الوصية التي أعطاها إلى تيموثاوس:

+ «فإن كان لنا قوت وكسوة فلنَكتَفِ بهما. وأمّا الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في

تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرَّة تغرّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.» (١تي٦: ٨–١٠)

وأمَّا بالنسبة لمقاومة هذا الداء الوبيل، حب المال والجري وراءه بجنون، فيقول ق. بولس بمنتهى الهدوء: «**كونوا مكتفين بما عندكم**». هنا «الاكتفاء» عكس «الطمع» وعكس «الزنا»، اللذين ينتج كلاهما من عدم **الاكتفاء**، وترجمتها بالإنجليزية satisfaction، وهي **تعطي** المعنى تماماً **فهي تعني**: «الاكتفاء على أساس الرضا والشبع والشكر». فإن كان المكتفي بماله وما عنده وما أعطاه الله يشعر في قرارة نفسه بالسعادة والسلام والرضا، فغير المكتفي مالاً وجنساً وذاتاً يقتل سعادته بيديه، ويبدِّد سلامه بجهله ولا يبلغ الرضا قط، فهو يشتري القلق بالمال ويشتري الضمير المُمزَّق بالزنا! لا راحة ولا رضا ولا شبع ولا سلام، ومستقبل قلق مُظلِم لا يسعفه مال، بل يحطمه الزنا والنجاسة قبل أن يكتمل شبابه. والتدريب على الاكتفاء فن ونعمة، جرِّبه أيها القارىء العزيز، وهو يبدأ باحتقار المجد الباطل الذي يفتح الباب مباشرة أمام النعمة ليشعر الإنسان بأنه ابتدأ يغلب العالم، بل يغلب ذاته. وحينما نقول «فن» فنحن نقصد ذلك تماماً، لأنك هنا تتقن مهنة الصيد الروحاني، فهي عملية اقتناص النعمة واغتصاب الملكوت، وهذا فن الفنون أو الفن الذي يفوق ويلغي كل فن!! جرِّب وسوف ترى صدق القول وجدِّيته!!

وليس عفوياً أن يذكر ق. بولس الزنا أولاً ثم محبة المال، لأن منبعهما واحد وهو محبة **الذات** أو **الذاتية** selfishness وهي التي يُسمِّيها الكتاب المقدس «**الطمع**» كما جاءت هكذا: «وأمَّا الزنا وكل نجاسة أو **طمع** πλεονεξία فلا يُسمَّ بينكم ...» (أف٥: ٣). فمحبة المال هي طموح خاطىء = طمع للنفس، والزنا طموح خاطىء في الشهوة واللذة، إنه طمع!! ولهذا وذاك أدركت الكنيسة أن تكون أُولى صفات الأسقف أن لا يكون مُحباً للمال!!! لأنها تعرف ما وراء حب المال!! ومن أين يجيء حب المال وإلى مَ ينتهي!!

«لأنه قال لا أُهملك ولا أتركك»:

مقولة شائعة نعطي رنيناً لمبدأ كان متداولاً على ألسنة القدامى، غير أن في التوراة ما يرادفها:

+ «ها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردُّك إلى هذه الأرض، لأني لا **أتركك** حتى أفعل ما كلَّمتُك به.» (تك٢٨: ١٥)
+ «تشدَّدوا وتشجَّعوا، لا تخافوا ولا ترهبوا وجوههم، لأن الرب إلهك سائر معك **لا يهملك ولا يتركك**.» (تث٣١: ٦)

+ كما قال ليشوع: «كما كنت مع موسى أكون معك. **لا أهملك ولا أتركك.**» (يش١: ٥)

فواضح أن الصورة التي تملأ ذهن ق. بولس هنا هي وصية الله ليشوع وهو داخل أرضاً مجهولة يواجه أعداء مستعدين للمقاومة حتى الموت، فكان الموقف بالنسبة له حرجاً جداً وخطيراً، لذلك أعطاه هذا الوعد الذي يعني من كلماته أني أنا ماسك بك ولن أفرط يدي عنك، ولن أتركك وحيداً كأني أهملتُك.

هذا رد الله على الذي «**يكتفي بما عنده**»، لأن الذي يكتفي بما عنده هو إنما يجرب الله تجربة مكشوفة، فالإنسان هنا يراهن على صدق الله والله لا يُغلب قط. فإن أنت اكتفيت بما عندك أي ما أعطاك الله فهنا سيقف الله موقف المسئولية. هل عطيّته القليلة التي أعطاك ستكفي أم لا؟ فإذا لم تكفِ تكون حسابات الله قد أخفقت، وهذا مستحيل. فهو هنا إذاً ضامنٌ موقفه، يراهن على إيمانك أنت، لأنه قال لا أهملك ولا أتركك، بمعنى أن الله نفسه سيقف معك، فهل تؤمن؟ لأنك لو آمنت بالوعد فالوعد حتماً يتحقَّق. فإذا تحقَّق في حياتك أن الله فعلاً معك فسوف تشعر كيف يصير القليل بين يديك أكثر من الكثير الذي بين أيدي الناس، والمرُّ الذي اختاره لك الله أحلى ألف مرّة من الحلو الذي كنت تشتهيه(٦) والنصيب القليل الذي أعطاك بصير آية وأغنية بين الناس أنك آمنت وغلبت: «حين أرسلتُكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء» (لو٢٢: ٣٥)؟ هل المال في يديك أفضل من وجود الله معك؟ هل الزنا يُغني عن الحياة الأبدية؟

«إني قد تعلَّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه» (في٤: ١١)، فهل تريد أن تتعلَّم هذا العلم الصادق؟

«أمَّا التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة» (١تي٦: ٦)، هل تجرِّب هذه التجارة الرابحة؟

٦:١٣ **«حتى إننا نقولُ واثقينَ الربُّ مُعِينٌ لي فلا أخافُ، ماذا يصنعُ بي إنسانٌ».**

القول هنا للمزمور (١١٨: ٦): «الرب لي فلا أخاف، ماذا يصنع بي الإنسان». هذا الهتاف المزموري النبوي يقع محور التسبيح بالهتاف في أعياد واحتفالات اليهود بلا استثناء، وقد ورثته الكنيسة منذ البدء، فدخل في صميم تراثها الفكري التقليدي العبادي. والكلمة الأساسية ذات

---

(٦) في الحقيقة المثل مقلوب. فالله يستحيل أن يختار لنا المرّ، بل نختاره نحن لنا بشهوتنا، أما الله فخياره لنا حتماً ودائماً هو الحلو. فالمرارة هي في أعيننا وفي جهلنا.

التركيز العالي المؤثر على الفكر والضمير هي « الرب » وهو في حال تألمه وما أدى إليه من انتصار الروح والقيامة المجيدة. فحينما يلتقط الذهن والضمير صورة المسيح وهو يتألم قبل الصليب وعليه هذه الآلامات المريعة، صابراً حتى النهاية، محتقراً كل ما يعمله الإنسان من تعذيب، ويتذكّر القيامة الجبارة التي حطمت قوة وسلطان أعدائه والشيطان، فإن الإنسان يستمد منها القوة ويقين النصرة والاستهانة بالآلام وبالتالي كل ما يمكن أن يصنعه الشيطان أو الإنسان من قسوة وتعذيب حتى الموت.

وقد انتقل هذا الهتاف بالنصرة الذي يهتف به الإنسان أثناء الألم والتعذيب إلى مواجهة كل أخطار الحياة وأعوازها. فلو أن المعنى الأصلي مُنصبٌّ على وقت الآلام، إلاَّ أن بولس الرسول هنا ينقله ويضعه برفق على الإحساس بالعوز والفقر حتى لا تطمح روحه أو يطمع جسده في مال أو عرض، بل يستمد الإنسان من الرب قوة على قمع شهواته والرضا والقناعة والشكر بالقليل أو حتى بالعدم!!!

« واثقين » : θαρροῦντας

من الفعل θαρρέω وهو يعني حالة من **الفرح مع الثقة** للعقل والقلب. وهي تترجم بالإنجليزية good cheer، وهي في حالة الأمر θάρσει لا تأتي إلاَّ من الله(٧)، ولا يصل إليها الإنسان بنفسه إلاَّ بالإيمان، لذلك يصعب ترجمتها بالثقة فقط. وقد أتت بوضوح كهبة من المسيح حينما قال: « ثقوا θαρσεῖτε أنا قد غلبت العالم » (يو١٦: ٣٣). وقد أتت بالإنجليزية: be of good cheer أو cheer ye up. فهي ثقة مع فرح من الله.

7. Westcott, *op. cit.*, p. 433.

٢ – واجبات دينيّة

[١٣:٧–١٧]

التقليد الأبوي والتمسُّك بالتعليم الصحيح

١٣:٧ «أذكُروا مُرشِديكم الذينَ كلّمُوكم بكلمةِ الله. أنظُروا إلى نِهايَةِ سيرَتِهم فتَمَثّلوا بإيمانِهم».

«اذكروا مرشديكم»: Μνημονεύετε τῶν ἡγουμένων

يُلاحِظ القارىء أن رسالة العبرانيين تُقدِّم مناهج متصلة من التعليم، هو بعينه التسليم الذي صار من صلب التقليد الآبائي في العقيدة والإيمان. فبعد ما قدَّم القديس بولس الربَّ كمعين لنتمسك به في المواقف الصعبة وأعواز الحياة، يقدِّم هنا التمسُّك بتعاليم الآباء والاقتداء بسلوكهم في الحياة والإيمان. وهنا أصل العقيدة والصورة الأُولى للتقليد بشقَّيه التعليمي الفكري، والأخلاقي السلوكي، أي التقليد النظري والعملي في الكنيسة الرسولية الآبائية التقليدية.

وهنا يُلاحَظ أنه يقدِّم المرشدين غير منفصلين عن كلمة الله أي الإنجيل، فالمرشد الحقيقي ἡγούμενος [الايغومانوس (تنطق خطأ بالعربية القُمّص)] هو المرشد الذي يتكلَّم بكلمة الله ويعلِّم بها ويلتزم بفعلها ويقدِّم سيرة إيمانية صحيحة حتى نهاية حياته. لأنه يذكر هنا كلمة «نهاية» لتأكيد كيف أكملوا إيمانهم حتى الموت.

ومن هنا دخلت خزانة الكنيسة علوم سير الآباء وعلوم أقوال الآباء واستخلاص التقليد الآبائي والكنسي من كلٍّ من سيرهم وتعاليمهم. وأصبحت هذه العلوم تمثِّل الصورة الصحيحة للكنيسة فكرياً وعملياً، وبالتالي تعطيها طابعها الإيماني العام الأرثوذكسي.

ونحن نوعي القارىء جداً:

فإنه لا يصح ولا يمكن أن نحترم التقليد في العلوم مهما كانت هذه العلوم، بمعنى التمسُّك بمبادئها الأُولى والتقيُّد بأفكار العلماء الأوائل مهما كانت قدراتهم الفذّة وعقلياتهم الجبّارة وإنجازاتهم المُذهلة، لأن العلم هو الجري وراء حقائقه، وحقائق العلوم لم ولن تنكشف مرّة واحدة، فهي قائمة في جوهر الحق المطلق الواحد، وجوهر الحق المطلق يستحيل الوصول إليه مرّة

واحدة لأنه بالنهاية هو الله. فعلوم الرياضة والفلك والطبيعة كشفت لنا أول ما كشفت بخصوص طبيعة المادة أن آخر جزء فيها هو الذرة ولا يمكن بأي حال من الأحوال تحطيم هذه الذرة أو تقسيمها. كان هذا حتى سنة ١٩٤٠ تقريباً حتى إن الذي كان يقول بانقسام الذرة يُعتبر جاهلاً أو مجنوناً. ولكن تقدَّم العلم وقال بانقسام الذرَّة إلى الجزء السالبي (الإلكترونات) وجزء إيجابي (البروتونات). وكان العلم يقول باستحالة تقسيم البروتون (النواة)، وكان كل مَنْ يقول بانقسام النواة يُعتبر إما جاهلاً أو مجنوناً. ثم تقدَّم العلم وقال بانقسام النواة، ثم استخدموها في الحياة في قتل الحياة بالقنبلة النووية. وهكذا أصبح من الجهالة أو الجنون أن نقول بضرورة حفظ التقليد في العلم أو التمسُّك بالعلوم الأُولى.

هكذا كما قلنا إن الاجتهاد العقلي يكشف الحق المستتر وراء الطبيعة، والحق الذي وراء الطبيعة لا يكشف عن ذاته إلاَّ بشُحٍّ وعناد وعناء، لماذا؟ لأن الحق الذي وراء العلوم هو حق مطلق أكبر من العقل بمسافة مطلقة، فمن المحال اللحاق به إلاَّ عن بُعْدٍ وبجهود مضنية، ولا يبلغ الإنسان منه إلاَّ ظلاله.

والآن تعال معي إلى الدين، فإننا نجد العكس تماماً، نجد أن الحق المطلق — الله — هو الذي أعلن عن نفسه للإنسان وهو في بكور إدراكه، فأدرك الإنسان الله كما أعلنه الله من ذاته، وذات الله يستحيل أن تتجزأ، فمجرد أول وأبسط كشف عن الله يكون هو الله وهو الحق المطلق، والذي يتدرج هنا بالنسبة للحق ليس هو الحق بل هو الإيمان بالحق، أي الإيمان بالله. فبقدر إيمان كل إنسان يستعلن قدراً من الحق يتوازن مع قدر إيمانه. والله هو الذي يقسِّم هذه المقادير من الإيمان، لا بالنسبة إلى العقل بل بالنسبة لبساطة القلب واستعداد الطاعة لأوامره.

هكذا أصبح استعلان الحق المطلق، أي الله، غير مرتبط بعقل الإنسان وجهده، بل بمقدار بساطة قلبه واستعداد طاعته. لذلك فإن الزمن يتوقف هنا عن أن يكون في تطوره وامتداده امتداداً أكثر لمعرفة الله بل ربما النقيض، لأن الزمن متعاهد مع إفساد قلب الإنسان وضميره وتعقيد أفكاره وعلو كبريائه — وانتفاخه بمقدرته وعلمه — فالزمن وضح أنه معاكس للإيمان ولاستعداد الطاعة للحق أي لله، وله قدرة مذهلة على إضعاف حاسة الإيمان وحاسة الطاعة للحق أي لله.

وبذلك أصبح الوصول إلى خبرات الإنسان في استعلان الله، أي معرفة الحق المطلق، لا يكون بالبحث عنها ولا الجري خلفها. فيما يأتي به الزمن، بل في ماضي الزمن وفيما حصَّله الآباء من استعلان الله ومعرفة الحق. وهنا أصبح الامتداد في استعلان الله ومعرفة الحق، وإن كان قائماً

معتمداً على بساطة قلب كل إنسان ومقدار استعداده لطاعة الله، **يزداد** بالرجوع إلى خبرات الآباء في الماضي. **بهذا أصبح التقليد الآبائي ضرورة حتمية** لاستعلان الله ومعرفة الحق وبالأكثر للاحتفاظ بالصحيح من استعلان الحق ومعرفة الله.

وبهذا وعلى هذا، تكون دعوة بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين بقوله: «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم»، هي توثيق ما بعده توثيق لمعرفة الحق والسير بمقتضاه.

وهذا هو التقليد الآبائي، السرُّ الحافظ لبقاء الكنيسة ودوامها وتسليمها من جيل إلى جيل، حيث يحمل كل جيل ذكر آباء الجيل السابق له والتمثُّل به.

٨:١٣و٩ «(أ) **يسوعُ المسيحُ هو هو أمساً واليومَ وإلى الأبدِ،**
(ب) لا تُساقُوا بتعاليمَ متنوعةٍ وغريبةٍ،
(ج) لأنه حَسَنٌ أن يُثبَّتَ القلبُ بالنعمةِ لا بأطعمةٍ لم ينتفعْ بها الذينَ تعاطَوها».

(أ) «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد»:

الآية هنا تثبِّت وتقوِّي ما جاء في الآية السابقة وهو تعاليم المرشدين السابقين: «بكلام الله — الإنجيل — الذي كلموكم به»، يعني التعليم الخاص بالرب يسوع المسيح من جهة تجسُّده وموته وقيامته. هذا هو الحق «الله» المعلَن في يسوع المسيح، الذي أُعلن واستُعلن مرة واحدة، وهو هو كما استُعلن أمس، هو هو اليوم باقٍ كما هو وسيبقى كما هو دون زيادة أو نقصان إلى الأبد. وهذا معناه أن يتمسكوا بالإنجيل باعتباره الحق المطلق الكامل المُعلَن مرة واحدة والمسلَّم مرة واحدة للقديسين (رسالة يهوذا ٣) (مرشديكم)، فهو إيمان الكنيسة الثابت وهو التقليد الوحيد الباقي وسيبقى إلى الأبد، المدوَّن في الأناجيل والمسلَّم شفاهاً للرسل القديسين، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه.

(ب) «لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة»:

هنا الحثُّ على التطبيق المباشر للآية السالفة. فإزاء التعليم الصحيح الثابت إلى الأبد الذي جاء به المسيح وكرز به القديسون والمرشدون السابقون لا يُعطي فرصة لتعاليم أخرى قائمة على مبادىء متعددة تظهر جديداً، يحاولون أن يدفعوكم دفعاً إليها «تُساقون». وواضح أنها غريبة عن

تعليم المسيح أي الإنجيل.

(ج) «لأنه حسنٌ أن يُثبَّت القلب بالنعمة لا بأطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها»:

هنا ابتدأت تظهر نوعية التعاليم الغريبة، فهي تتعلَّق بأنواع الأطعمة = βρώμασιν ، ولكن الكلمة اليونانية لا تفيد «أطعمة عادية» بحسب لغة العهد القديم، ولكن تفيد «أكل لحوم الذبائح المقدَّسة» كطقوس معيَّنة ثابتة في الأعياد والمناسبات، حيث كان الاعتقاد في الناموس القديم أنها تقدِّس الذين يتعاطونها. وهذه الطقوس الخاصة بأكل الذبائح معروفة بحسب الناموس، وكان الذين يأكلونها هم الكهنة، يأكلون من جميع الذبائح التي تُقدَّم ما عدا ذبيحة الكفَّارة الحاملة لخطايا الشعب. إذ بعد رش دمها على المذبح وداخل قدس الأقداس، كان لحمها يُحرق بالنار خارج المحلة. ولكن يبدو أنه تسرَّبت بعض تعاليم تفيد التصريح بإمكانية أكل هذه الذبائح المقدَّسة تحت ظروف خاصة بالنسبة للشعب كأنها تَشْفي أو تُطهِّر إلخ ...، وقد اعتُبرت هذه التعاليم المتنوعة بدْعة. كما يبدو أن بعض هؤلاء العبرانيين الذين راسلهم بولس الرسول كانوا واقعين تحت هذه التعاليم المتعددة و «الغريبة». وقوله «الغريبة»، نفيد أنها كانت غير قانونية أيضاً عند اليهود. لأنه يوجد تعاليم صحيحة وقانونية لأكل الذبائح مثل خروف الفصح.

وهنا يُلفت نظرهم لتصحيح إيمانهم أن الذي يثبِّت القلب في الإيمان ويقرِّب الإنسان إلى الله هو النعمة المتحصِّلة من الإيمان بالمسيح والالتصاق به وليس أكل لحوم هذه الذبائح. ويبرهن لهم على ذلك بأن ينظروا وراءهم ويتطلعوا إلى الذين اهتموا بأكل هذه الذبائح حتى وفي مكانها المقدَّس، أنها لم تُفِدْهُم شيئاً، إذ تاه عنهم الإيمان الحقيقي وضلُّوا عن مخلِّصهم وخسروا الموعد.

كذلك قد يكون القصد من كلمة «الأطعمة» هنا ما هو خاص بالطاهر «كوشير» والنجس «طريف»، بمعنى التدقيق في ضرورة أكل الأطعمة الطاهرة كونها تعطي صحة، والامتناع عن «الطريف» لئلا يجلب المرض. وهذا هو العُرف السائد عند اليهود. ولكن الآية القادمة ترجِّح الفكر الأول. ولكن بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس يُعطي تعليماً يُرجِّح الفكر الأخير:

+ «ولكن ليس العلم (الصحيح) في الجميع، بل أُناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذُبح لوثن. فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجَّس. ولكن الطعام لا يُقدِّمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص. ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا (حريتكم) معثرة للضعفاء.» (١ كو٨: ٧—٩)

ويقول العالِم مونتيفيور إن ق. بولس بكتابته هذه إنما يُشير إلى الذين ظلُّوا يحتفظون بطقس

الذبائح في وسط هذه الجماعة(٨). كذلك العالِم بروس يقول إن الرسالة هنا إنما توجه النظر نحو ولائم معيَّنة كان يُقيمها هؤلاء العبرانيون تقوم على مفهوم الذبائح وعملها بنوع خاص(٩).

١٣ : ١٠ **«لنا مذبحٌ لا سُلطانَ للذين يَخدِمُونَ المَسْكنَ أن يأكُلوا منه».**

واضح هنا أنه يردُّ على العبرانيين الذين ارتدُّوا إلى إقامة ولائم ذبائحية لتعوِّض لهم عن الإحساس المفقود بالنسبة للعبادة الذبائحية القديمة في الخيمة أي الهيكل، وجرياً كاذباً وهمياً للحصول على قوة روحية. ويُلاحظ القارىء التهكُّم الذي يعبِّر به، دون لفت النظر إلى اعتبار اليهود أنهم كانوا يخدمون خيمة وليسوا يخدمون الله.

يتضح في الرسالة أن «المذبح» الذي يتكلم عنه هنا ليس هو ما تعرفه نحن كبناء في وسط الهيكل، فالكنيسة حتى زمن ق. كبريانوس (٣٠٠م) لم تكن تعرف المذبح الأرضي في الهيكل ولا حتى المذبح بمفهومه الروحي الذي عبَّر عنه الآباء بعد ذلك بالمذبح الناطق السمائي. ولكن كانت «المائدة المقدسة» معروفة منذ يوم الخميس الخالد الذي فيه قدَّم الرب ذبيحته بيديه وسفك دمه بالنية. ولكن الذي تقصده الرسالة هنا هو الصورة الأصلية ἀρχέτυπος لمذبح الهيكل. فهنا يقصد «المذبح الحقيقي» وحسب، دون أي تعريف، حيث في مقابل ذبيحة الكفَّارة ليوم الكفَّارة التي كانت تُذبح ويُستخدم دمها للتكفير داخل قدس الأقداس ويُحرق لحمها خارج المحلة ولا يحل للكهنة خدام الهيكل أن يأكلوا منها لأن لحمها يحمل الخطية — في حين أن جميع الكهنة كانوا يأكلون من جميع الذبائح الأخرى داخل الهيكل — فيقول هنا إنه في مقابل ذبيحة الكفَّارة، فإننا نحن لنا مذبح حقيقي (وليس من نحاس) قُدِّمت عليه ذبيحة الكفارة العُظمى، وأنه بينما نحن نأكل منها فنحيا إلاَّ أن هؤلاء الكهنة يستحيل أن يأكلوا منها لسببين: الأول، أنها محرَّمة عليهم بحسب الناموس لأنها ذبيحة محرقة للكفَّارة. وثانياً، لا سلطان لهم أن يقتربوا منها لأنهم لا يؤمنون بمقدِّمها وهو المسيح نفسه.

فإن كانوا هم يأكلون لحوم الحيوانات ليتقووا أو يتقدَّسوا فهذا خداع، أمَّا نحن فلنا طعام روحي يقدِّس ويُحيي ويشفي، وهو جسد ذبيحتنا فصحنا المسيح الذي ذُبح: «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو١٤: ١٧)

وهذا هو الرد على اليهودي، الذي يرى في ذبائح العهد القديم أطعمة للتقديس، بمعنى: أمَّا

8. H.W.Montefiore, *op. cit.*, p. 245.
9. Bruce, *op. cit.*, p. 398.

نحن فلنا مذبح حقيقي، وليس من تراب وحجر أو نحاس، وهذا المذبح ليس على درجة كرامة مذابح العهد القديم التي كرامتها من كرامة الحيوانات التي تُذبح عليها ويُرش دمها عليها.

أمَّا تطابق الاسم وفعله، أي «المذبح والدم» في العهد القديم والعهد الجديد فهو تطابق **نظري** فقط، حيث الفعل يُخرج الأول عن المضمون الإلهي، ليُدخل الثاني إلى صميم استعلان الله والخلاص الحقيقي. فالمذبح مأخوذ من الذبح، والمسيح حقاً ذُبح: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو٥: ٧)، فأصبح الصليب بالضرورة هو مذبحنا المنظور الذي كرامته تُستمد من كرامة مَنْ قُدِّم عليه.

والآن حينما يقدِّم بولس الرسول النعمة في مقابل الأطعمة الذبائحية الغريبة، فهو في الحقيقة يضمر تقديم جسد الرب يسوع المسيح كطعام الروح في مقابل ذبائح شيطانية لا تفيد ولا تنفع لا للجسد ولا للروح، إن كانت هذه محاولة منهم لتقليد المسيحيين في اعتبارهم الجسد المقدَّس طعاماً روحياً، فهو يحاول أن يرد عليهم أن في العبادة المسيحية «لنا مذبح» لكن لا يوجد أكل طعام، والعابدون لا يشتركون فيها بالأكل الجسدي، بل هو طعام روحي وأكل بالروح وليس بالجسد. ثم يحاول أن يوضِّح ذلك بطقس العهد القديم الذي يقول بعدم الأكل من المحرقة الكفَّارية التي يُحرق لحمها خارج المحلة ولا يحلُّ «لخدام الخيمة» أن يأكلوا منها، طبعاً لأنها حاملة لخطايا الذين كُفِّر عنهم. وهو هنا يُعطي صورة ناطقة لذلك بأن المسيح ذُبح خارج المحلة، خارج أورشليم، وهذا يقطع بأنه حسب طقس اليهود يستحيل الأكل من هذه الذبيحة. هذا هو معنى: «لا سلطان (ليس لهم حق) للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه».

وهنا يأتي فجأة في ذهن بولس الرسول، توضيح آخر للخروج خارج المحلة عندهم والخروج خارج أورشليم عندنا أنه تعبير قوي يحمل معنى الخروج من العالم: «أخرجوا من وسطهم ... فأقبلكم» (٢كو٦: ١٧). وهذا الفكر يغطي الآية (١٣و١٤) بعد ذلك.

ثم يحتاط للسؤال الذي يمكن أن يُطرح هنا: إذاً، فهل ليس للمسيحيين ذبائح بالمرة؟ وهكذا يأتي إلى أنواع ذبائح المسيحيين: ذبيحة الشكر أي التسبيح، وذبيحة المحبة ببذل النفس على اسم المسيح: «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رو١٢: ١)، وهذا يغطي الآية (١٥و١٦) بعد ذلك أيضاً.

وهذا كله يبلور مفهوم النعمة في مقابل الأطعمة الذبائحية إنما بعمق روحي مذهل!! «فنعمة» الله في المسيح يسوع تعمل في أرواحنا وقلوبنا في الداخل غير المنظور خفياً بالسر الإلهي، ولا يوجد

هنا أكل جسدي مهما كانت مظاهر الإفخارستيا التي تحاشى الرسول هنا أن يذكرها. فنحن لا ننال منها حياة أو تقديساً من جراء أكلها كطعام للجسد، فلا هي طعام للجسد، ولا أكلها يؤكل على مستوى طعام الجسد، بل أكلها بالروح، وعملها خفيٌّ بالروح أيضاً. فهي خرافة ونصب أن يتصوَّر إنسان أن أي **طعام جسدي** يشدِّد أو يؤازر الإنسان روحياً. فهذا هو نصب عُبَّاد الأوثان الذين كانوا يأكلون ذبائحهم على أنغام الرقص والزنا، لذلك قيل عن حق إنها عبادة شياطين.

و بولس الرسول يضعها كقضية مقارنة بين خدمة المذبح في القديم وخدمة «المذبح» في العهد الجديد هكذا:

+ «ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدَّسة، من الهيكل يأكلون، **الذين يلازمون المذبح (النحاسي) يشاركون المذبح** (أي يأكلون من الذبائح التي تُقدَّم عليه)؟ هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين **يُنادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون.**» (١كو٩: ١٣و١٤)

ولكن الذي يهمنا جداً من هذه الآية، هو أنه ليس لنا مذبح نأكل ذبائحه بل **إنجيل**، وذبائح الإنجيل هي التسبيح والمحبة أي البذل. وليس لنا شيء نذبحه ولكن عوض الذبح نحن نكرز، فالذين يسمعون ويطيعون يصيرون هم ذبائح للمسيح والله.

+ «لكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أُسرُّ وأفرح معكم أجمعين.» (في٢: ١٧)

+ «... حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُباشِراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدَّساً بالروح القدس.» (رو١٥: ١٦)

ويلزم جداً أن ننتبه لوضع كلمة «مذبح» θυσιαστήριον ومصدرها «**ذبيحة**» θυσία مع كلمة «**خيمة**» σκηνῇ أنهما يقفان على نفس المستوى من فكر بولس الرسول وهو يكتب. بمعنى أن الذبيحة هي في مفهومها القديم مرتبطة بالخيمة القديمة دائماً. ولكن إذا تكلَّم ق. بولس عن الوضع في العهد الجديد، فـ «الخيمة» σκηνή هي «الخيمة الحقيقية» ἀληθινή للنفس وليس للجسد، حيث فيها «**الذبيحة**» الحقيقية التي لا سلطان للذين يخدمون الخيمة الأرضية أن يأكلوا منها. لأن الفاسد لا يرث ولا يأكل من عدم الفساد (١كو١٥: ٥٠). وهنا بولس الرسول لم يهتم كثيراً أن يوضِّح مَنْ هم هؤلاء الذين يخدمون الخيمة الأرضية، ولكن في شكلها نرى أنها تجمع كل الذين فيها، وإلاَّ كان قد قال الذين يخدمون القدس أو الهيكل، قاصداً بذلك أن

الذبيحة المسيحية التي فيها وبها تقوم كل عبادتنا وعلاقتنا بالله لا علاقة لها بالأكل الجسدي أو الطعام الجسدي: «الروح هو الذي يُحيي أمَّا الجسد (الأكل للجسد) فلا يُفيد شيئاً. الكلام الذي أُكلمكم به (مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي) هو روح وحياة. ولكن منكم قوم لا يؤمنون.» (يو٦: ٦٣و٦٤)

ولكي يُثبت لهم صدق كلامه أن ذبيحة المسيحيين لا يحل للذين يعبدون في الخيمة الأرضية للعهد القديم أن يأكلوا منها، أعطاهم المثل التطبيقي في الآية (١١).

١٣:١١—١٣ «فإنَّ الحيواناتِ التي يُدخَلُ بدَمِها عن الخطيةِ إلى الأقداسِ بيَدِ رئيسِ الكهنةِ تُحرَقُ أجسامُها خارجَ المحلَّةِ،
لذلِكَ يَسُوعُ أيضاً لكي يقدِّسَ الشعبَ بدمِ نفسِهِ تألَّمَ خارجَ البابِ،
فلْنخرُجْ إذاً إليهِ خارجَ المحلَّةِ حامِلينَ عارَهُ».

هذا هو التطبيق المباشر لقول ق. بولس أن خدّام الخيمة الأرضية لا يحل لهم أن يأكلوا من ذبيحة المسيحيين.

فهنا يذكر لهم نص ما يقول به سفر اللاويين (١٦: ٢٧) أن ذبائح الخطية تُخرج أجسامها خارج المحلة لتُحرق حتى النهاية. والقديس بولس أوضح أنه: «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة (ذبيحة) لكي يحمل خطايا كثيرين ...» (عب٩: ٢٨)، وبعد ذلك يلزمنا أن نكمِّل: «ولكي يقدِّس الشعب بدم نفسه تألَّم خارج الباب». صحيح أن المسيح لم يُحرق جسده خارج أورشليم ولكن لأنه حمل خطايا كثيرين، فدمه محسوب أنه دم مُحرقة ولو لم تُحرق، لأن النار الإلهية غير المنظورة التي يحملها المسيح كابن الله في جسده، هي التي التهمت الخطايا، لأن الروح الأزلي الذي في دم المسيح هو روح الإحراق (إش٤: ٤) وروح التطهير. وهو الوضع الروحي الفائق جداً عن الإحساس والتصوُّر الذي يُحسب أنه «الأرشي تيبوس» ἀρχέτυπος للنار المادية التي كانت تأكل جسد ذبيحة المُحرقة، وهكذا يُحسب أن النار أحرقت خطايا الشعب التي اعترف بها على رأس العِجْل أو المعزى. فنار المُحرقة الأرضية مجرَّد صورة باهتة في فعلها بالنسبة للنار الإلهية التي في دم المسيح وهي روح الإحراق والتطهير التي بعد أن أحرقت خطايا العالم التي حملها المسيح في جسده على الصليب، قام المسيح بجسده الجديد، جسد البشرية الجديدة المنزَّه عن الخطايا. لذلك فالصليب يُحسب عن جدارة أنه هو مذبح المُحرقة الأصلي ἀρχέτυπος ، لأن عليه تمّ ذبح المسيح، وعليه انسكب دمه (كمذبح). فهنا الوجه الأول للمحرقة داخل الهيكل. ولأن الصليب

كان خارج الباب **وعليه تمَّ الغفران وتمَّ الصُّلح وتمَّ القبض على الشيطان، فهذا هو الوجه** الآخر للمُحرقة القديمة عندما كانت تُحرق خارج المحلة، حيث كانت النار تلتهم خطايا الشعب (نظرياً) مع لحمها: «مُسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض (الناموس) الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مُسمّراً إياه بالصليب. إذ (عليه بعد أن مزّق الصك) جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم (فضحهم) جهاراً ظافراً بهم فيه **(في الصليب).**» (كو٢: ١٣—١٥)

التركيز الشديد هنا على «**تألّم خارج الباب**». وهذا الفكر اللاهوتي البديع تنفرد به الرسالة إلى العبرانيين دون جميع أسفار العهد الجديد، بأن تضع عليه هذا التركيز وتسلّط هذه الأنوار، حيث «تألّم خارج الباب» تُفيد إفادة صارخة هجرانه للأمة اليهودية وخروجه من هيكلها مُهاناً مجروحاً دامياً: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت٢٣: ٣٨). لقد طاردوه موثوقاً بحبال حتى أخرجوه خارج أورشليم، مدينته الخاصة مدينة الملك العظيم! فصاروا بلا ملك إلى الأبد! ومنذ تلك الساعة أصبح رمزاً حياً وقطباً إلهياً جاذباً لكي يُخرجنا معه لا من الهيكل والخيمة وحسب، بل ومن العالم: «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.» (مر٨: ٣٤)

وهكذا تدرَّج هذا البولس القديس البديع من ضرورة أن لا نتبع تعاليم غريبة عن ولائم ذبائحية ميتة كأنها تفيد الجسد أو الحياة عامة كما يصنع الوثنيون، إلى ضرورة أن نخرج كلّية من وليمة العالم ككل، فليس لنا هنا مدينة باقية لأننا نطلب العتيدة. فإن أردنا أن نرى الرب أو نلتصق به فلنخرج إليه!! هنا الخروج في أعلى معناه الروحي كصلب العالم لي وأنا للعالم (غل٦: ١٤).

فالنعمة التي نتغذى بها هي على ميعاد معنا خارج الباب!! لا مع ذبيحة ميتة ولا مع طعام للجسد، بل مع المسيح نفسه صاحب الذبيحة الحيّة ومعطيها.

وكما قال المسيح مصلياً إلى الآب قبل خروجه من العالم: «العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم ...» (يو١٧: ١٤و١٥)، هكذا تألّم المسيح ورُفض وأُهين داخل المدينة، مدينة هذا العالم، وأُهين ورُذل وجُرح داخل هيكل هذا العالم، مغارة اللصوص وبيت التجارة، ولكنه استعلن وتمجّد خارج المدينة وخارج أبوابها.

هكذا تنادينا هذه الرسالة أنه مذخَّر لنا في المدينة نفس النصيب، لأنها مدينة الأباطيل:

+ «لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم.» (١يو٣: ١٣)
+ «أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم.» (يو١٧: ١٤)

حينما يقول ق. بولس: «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة» παρεμβολῆς، فهو ليس مجرد الخروج من الباب، بل الخروج من المحلة كلها، أي العبادة اليهودية بكاملها، هنا يوجِّه الكلام للذين يفكرون بالعودة إليها. أمَّا نحن فالمحلة تعبِّر عن الأهل والصحبي والعشيرة والوطن وكل العوايد والصِّلات، فالدعوة مستمدة من دعوة الله لإبراهيم لكل من أراد أن يكون من المختارين وأهل الموعد!! «لأن الموعد هو لكم ولأولادكم **ولكل الذين على بُعْدٍ**» (أع٢: ٣٩) أي نحن!! وما أسهل سماع الدعوة، وأسهل منها الادعاء أننا سمعناها، ولكن الجروح والبصاق والظهر المضروب هي وحدها التي تحكي أننا سمعناها وقبلناها وأننا منها فعلاً خارجون! ولا يمكن أن نخرج أو ندَّعي الخروج والمجد والراحة، والصيت الحسن يجري أمامنا ويسير خلفنا. فعلامة الخروج لا يخطىء فيها أحد، فهي: «حاملين عاره». وعار المسيح الشكلي هو الصليب: «ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب **ليحمله خلف يسوع**.» (لو٢٣: ٢٦)

«حاملين عاره»: τὸν ὀνειδισμὸν αὐτοῦ

في الحقيقة إن هذه الترجمة العربية، ولو أنها أصبحت سائدة وطاغية على فكرنا، إلاَّ أنها ليست دقيقة، فهو ليس **«عار»** حتى يُقال أنه «عاره» بل **تعييرات. فلا المسيح ولا الصليب** عار على أحد، ولكن **«تعيير»** المسيح **أي المهانة والشتائم والضرب ثم الصلب، هذه هي التعييرات**، وبالأخص منها الأقوال الصعبة والشتيمة والاتهامات المنحطّة، فهذه هي تعييرات. ويقولها داود النبي في المزمور واضحة: «غيرة بيتك أكلتني **وتعييرات** οἱ ὀνειδισμοὶ مُعيِّريك وقعت عليَّ» (مز٦٩: ٩). هنا المسيح يخاطب الله، والعجيب هنا في هذا المزمور أنه يكشف عن حقيقة هامة من حقائق الصليب باعتباره التعييرات **أنها** التي عيَّر بها الشعب اليهودي **الله نفسه**، فعادت ووقعت على ابنه متجسِّداً، وكأن تعييرات الأشرار من الشعب قديماً عادت ووقعت علينا نحن الذين نمثِّل بشرية المسيح أو الذين تمثِّلنا بشرية المسيح. فالآن إذا أردنا أن نتبع المسيح حقاً، علينا أن نشاركه ــ عن حق وجدارة ــ في حمل هذه التعييرات التي صدرت منا أو من البشرية ممثلين في أشرار إسرائيل ــ بمعنى أنه يجب علينا أن نحمل تعييراتنا، فنحن الأَوْلَى!

فإن كان في **الصليب** إحدى هذه التعييرات، فيتحتَّم علينا حمله إن كنا نريد أن نكون شركاءه. لأن صليب المسيح هو في الحقيقة وفي الأصل صليبنا نحن، الذي حمله هو لأجلنا. وهو

إن كان قد صار لعنة لأجلنا (غل٣: ١٣)، فاللعنة أصلاً كانت لنا، فكم هو حق وواجب أن نحتملها معه إن أتت علينا! ولكن من حُب الله وحنانه وخيريته المتفاضلة جداً، أنه إذا حملناها يعطينا الطوبى مع أنه حق علينا: «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا ...» (مت٥: ١١و١٢)

قال القديس أنطونيوس حينما رأى أباه مسجَّى على الأرض ميتاً: أين جبروتك أين همتك، ولكن إن كانوا أخرجوك مُرغماً فأنا أخرج بإرادتي ... وخرج أنطونيوس ولم يعد إلى قمن العروس، فصار أنطونيوس أباً للعالم النسكي بأجمعه.

١٣: ١٤ «لأنْ ليس لنا هنا مدينةٌ باقيةٌ لكننا نطلبُ العتيدةَ».

الأفعال هنا تُنسِّق المعنى: «فلنخرج»، «حاملين»، «نطلب». والمعنى يأتي عكسياً لأنه إن كنا نطلب العتيدة فلنخرج إليه، وإن رضينا بالخروج منهجاً فلابد من التعيير والعار ثمناً.

عندما خرج المسيح خارج أورشليم لِيُذبح وراء أبوابها، لم يخرج ليبقى هناك، بل انطلق إلى المدينة العتيدة!! ونحن إن خرجنا إليه، فإنَّ نظرنا سيبقى مُثبَّتاً نحو السماء حيث هو جالس، نجول ونجول في أرض غربتنا نطلب العتيدة إلى أن تنتهي غُربتي، ولابد أن تنتهي غُربتي وأمضي إلى موطني!

حينما كان الرب على أهبة الصعود، والتلاميذ يحدثونه آخر حديث سألوه عن المُلك المردود لإسرائيل، وعن الأوقات والسنين والمواعيد، فأخذهم الرب مؤاخذة شديدة: ليس لكم أن تعرفوا الأرضيات بعد، بل اطلبوا قوة من فوق لتشهدوا «لخروجي»!!

بل والسمائيون كلهم مشغولون أيضاً بذلك، فلما ظهر في التجلي موسى وإيليا، الأول مندوباً عن الناموس والآخر مندوباً عن الأنبياء، كان حديثهم مع الرب عن «الخروج» العتيد أن يُكمِّله في أورشليم!!!

إن خرجنا وكان خروجنا صميمياً، وتلطَّخت العتبات والقوائم بالدم، وفلتنا من المُهلك، فأمامنا حتماً عبور هذا البحر، بحر العالم بلُججه وتياراته ورهبته وأهواله. ولكننا حتماً سنعبر، لأن قائد خلاصنا أمامنا، ونحن خلفه نسير، وهو يقودنا في موكب نصرته (٢كو٢: ١٤)، ونحن وراءه نسبِّح تسبحة العبور الأكيد، لأن شاطىء الخلاص نراه أمامنا ولو من بعيد.

«ليس لنا هنا مدينة باقية»:

ولا حياة باقية، ولا نظام باقٍ، ولا إرث ولا مال ولا حال ولا فكر ولا آمال!! فعلى مَ البقاء؟ وعلى مَ نجاهلُ الواقع الذي يهرب من أمام أعيننا ومن بين أيدينا؟ لا نقول «الكل باطل وقبض الريح» لكي ننام ونستريح، بل نقولها لنقوم ونطلب ما هو عتيد، الذي لن يبطل، والباقي إلى الأبد. فإن كنا قد تتلمذنا للعالم الباطل هذه السنين، بل وإن كنا قد تسخَّرنا لخدمة هذا الباطل وقدَّمنا له أفخر أيام العمر، فهل أبقينا الباقي للباقي؟

اسمع هذا الصوت ربما يكون قد تسجَّل في الإنجيل لكَ!

+ «أنا عارف أعمالك أن لك اسماً أنك حيٌّ وأنت ميت. كُن ساهراً (اسهر) وشدِّد ما بقي الذي هو عتيد أن يموت، لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله. فاذكر كيف أخذت وسمعت، واحفظ، وتُبْ فإني إن لم تسهر أُقدِمُ عليك كلصٍّ ولا تعلم أية ساعة أُقدم عليك.» (رؤ٣: ١—٣)

«لكننا نطلب العتيدة»:

لا تظهر إلاَّ كظلال باهتة ولا نلمحها إلاَّ من خلال الدموع. ومهما سرنا تظل بعيدة ولكن كلما تألمنا عادت وظهرت، فإذا بلغت بنا الضيقة مبلغها وأحاطت بنا التعييرات من كل جانب تجلَّت وتلألأت وكأنها على قيد ميل! فإذا توانينا ودخلت الطمأنينة الكاذبة تخدعنا وتلاعبت بنا الأفكار والظنون واشتهينا ما لا يُشتهى، عادت واختفت وكأنها وراء السحاب أو كأنها أضغاث أحلام.

في الأسهار الطويلة يأتي ملاكها ليدرس معنا أطوالها وأبعادها، وكلها تُقاس بمقاييس النسك المعروفة من حب وبذل وصوم وسهر وصلاة وصلب الذات أمام الله، بعهد اللاعودة إلى لهو العالم أو أباطيل الدنيا أو استرضاء الذات.

الطريق إليها يبدأ سهلاً متسعاً ويضيق كلما سرنا باجتهاد، فإذا لم ننظر إلى خلف صار الطريق من ضيِّق إلى أضيق، حتى لا يسع إلاَّ خطوات السائر عليه، فإذا أخذت الإنسان الرعبة ظهر المُعين من خلف، يشجِّع ويعاتب على الخطأ المقصود، حتى تنتهي منطقة السير على الأقدام عند نقطة يمتنع فيها السير حتماً. وحينئذ يظهر صاحب المدينة من على اليمين، تفصله عن السائر هوَّة سحيقة ويطلب من السائر أن يُلقي بنفسه في الهوَّة حتى يلقاه بذراعه. وحينما يجزع السائر من المنظر الرهيب أمامه والهوَّة السحيقة، يُطمئنه صاحب المدينة بأنه سيمد ذراعه له فتطول قدر ذراع

واحدة، بمعنى أن امتداد الباقي يتوقف على إيمانه. وأخيراً يرى السائر أنه لا مفر، فإما أن يُلقي بنفسه وإلاَّ فلا بلوغ ولا عودة، فإن تشجّع وأغمض عينيه وألقى بنفسه ففي لحظة يرى الذراع تحت لتحمله حيث الدرب الأخير، والمدينة يشتد لمعانها، ويدقُّ القلب لها دقات الطرب الشديد حتى ليكاد ينخلع من الصدر، ولا يعود الطريق طريقاً للمسير بل نقلات محسوبة تحت عينيّ الذي لا يغفل ولا ينام.

وليعذرنا القارىء اللبيب لأن الأمور العتيدة لغتها وئيدة (أي بطيئة الإدراك)، لا تنطبع على صفحة الذهن إلاَّ بالصلاة. ولكن ليس الطريق إلى المدينة العتيدة شاقاً، بل هو ممهّد تمهيداً دقيقاً بديعاً لا تزلُّ من عليه قَدَمٌ، طالما الإنسان مُمسِك بالإنجيل بيد وباسم الرب باليد الأخرى، ويذهب يسبِّح: «عصاك وعُكّازك هما يُعزيانني»!! (مز٢٣: ٤)

والطريق إلى المدينة هو جزء من المدينة، كله أسرار تُلقَّن للسائر وكأنما هو طائر تغذيه أمه: «أَفْغِر فاكَ فأملأه.» (مز٨١: ١٠)

١٣: ١٠ **«فلنُقدِّم به في كلِّ حينٍ لله ذبيحةَ التسبيحِ، أي ثمرَ شفاهٍ معترفةٍ باسمِهِ».**

«فلنقدّم به»: δι' αὐτοῦ οὖν ἀναφέρωμεν

تحمل معنى «فلنرفع بواسطته»، لأن الذي سنرفعه هو ذبيحة، فهنا لغة ليتورجية صرف. ولنرفع به أو بواسطته هو قول ماسك بقول سابق عليه، وهو «فلنخرج إليه» ἐξερχώμεθα. والأولى بواسطته والثانية إليه، والمعنى بديع حقاً إذا تماسك كالآتي: فلنخرج إليه، لنُرْفَع بواسطته.

«فلنُقدِّم به في كل حين لله»:

والمنظر لو تصورناه نجده عجيباً، فبينما نحن خارجون من المحلة (العالم) حاملين عاره، أي تعييرات معيِّريه وآلام صليبه، نسير مُسبِّحين كمن يرفعون ذبيحة حيّة ناطقة بعبادة صادقة للذي أقامه من الأموات، الله أبيه، ولكن «لا جراءة ولا قدوم إلى الآب» بدونه (أف٣: ١٢)، فبه نتقدَّم، وفيه نُقدِّم ذبيحتنا، لأن «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو١٥: ٥)

فالمسيح بصفته رئيس كهنة، نُقدِّم له ذبيحتنا ثمار شفاهنا، وهو يقدّمها من أجلنا على مذبح الله:

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، **لتقديم ذبائح**

روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط٢: ٥). لاحظ كلمة «بيسوع».

+ «إن كان يخدم أحد، **فكأنه من قوة يمنحها الله، لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح** الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (١بط٤: ١١)

كما يقول ق. بولس مفتخراً: «أشكر إلهي **بيسوع المسيح**» (رو١: ٨)، فحتى «الشكر» احتسبه تقدمة لا يقوى على تقديمها بدون الرب يسوع المسيح!

ولو انتبه القارىء، يجد في هذا الوضع الليتورجي مبدأً عقائدياً لاهوتياً تشرحه الآية الآتية:

+ «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل **باسم الرب يسوع**، شاكرين الله **والآب به**» (كو٣: ١٧)؛

حيث اسم يسوع المسيح هنا هو استعلان حضوره، لأن معنى الاسم يعني حضوره الشخصي إذا هتفنا به: «أحمد اسمك يا رب لأنه صالح» (مز٥٤: ٦). فالقوة من المسيح والذبيحة لله الآب.

«ذبيحة التسبيح»: θυσίαν αἰνέσεως

ونحن نقولها كثيراً في المردات في القداس = «ثيسيا إينيسيوس»، يقولها بولس الرسول هنا وعينه متركّزة على الإفخارستيا ذاتها. واستعاض عنها «بذبيحة ثمار» ولكنها ثمار روحية، أي ثمار تسبيح تُخرجها الشفاه وليس الأرض.

«ثمر شفاه»: καρπὸν χειλέων

عوض الثمار التي تُخرجها الأرض، التي لم تَعُدْ تصلح لتُرفع ذبيحة بيد الروحيين على المذبح الروحي أمام رئيس الكهنة الأعظم، نقدِّم أو نرفع هنا ذبيحة من ثمار القلب تهذِّبها الشفاه، وتقدِّمها بهيئة تسبيح:

+ «وليذبحوا له ذبائح الحمد وليعدُّوا أعماله بترنُّم.» (مز١٠٧: ٢٢)
+ «فلكَ أذبح ذبيحة حمد وباسم الرب أدعو.» (مز١١٦: ١٧)

والعجيب أن التسبيح للشكر في تشريع اللاويين له ذبيحة خاصة باسم «ذبيحة الشكر». ولكن سُميت ذبيحة السلامة التي من أجلها يُرفع الشكر: «هذه شريعة ذبيحة السلامة التي يُقرِّبها للرب إن قرَّبها لأجل الشكر، يُقرِّب على ذبيحة الشكر ... يقرِّب قربانه على ذبيحة **شكر سلامته**» (لا٧: ١١و١٣). وأية سلامة أكثر من «النعمة التي نحن فيها مُقيمون»!! (رو٥: ٣). فدوام نعمة الله، له حق دوام ذبيحة التسبيح، هذا هو سر قول بولس الرسول هنا: «**كل حين لله ذبيحة التسبيح**».

وعلى القارىء الانتباه إلى قوة المعنى في هذه الآية بمقتضى هذا الشرح، إذ يعني أن ذبيحتنا ليست فرضاً ولا شرعاً، بل أصلاً وبحسب تقنين شريعة موسى هي ذبيحة **سلامة شخصية** كما يُسميها سفر اللاويين: «ذبيحة شكر سلامته». فهي ذبيحة خارجة من أعماق شكرنا لله بدافع الرد على حبه وصلاحه وعنايته لنا بيسوع المسيح. فبقدرما كانت ذبيحة الشكر في العهد القديم هامشية، إذ ليست هي تحت قانون الفرض والإجبار ولا تُقدَّم إلاَّ إذا خرج الإنسان من ضيقه سالماً، نجدها في العهد الجديد ذبيحة العمر كله، ذبيحة كل الوجدان، ذبيحة اعتراف بفضله الدائم، ذبيحة سلام في القلب مقيم على رحمة دائمة وعناية ساهرة.

ويتصوَّرها إرميا النبي بالنبوة على أيام المسيَّا التي يرد الله فيها سبي أورشليم: «ويسمع ... صوت القائلين احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون **بذبيحة الشكر** إلى بيت الرب.» (إر٣٣: ١١)

+ «اللهمَّ عليَّ نذورك. أُوفي **ذبائح شكرٍ لك**.» (مز٥٦: ١٢)

«معترفة باسمه»: ὁμολογούντων τῷ ὀνόματι αὐτοῦ

كلمة «اسم الله» أو «اسم المسيح»، تعني في الحال حسب التقليد الكتابي الليتورجي: «الحضور الشخصي». فالدعاء **«باسم الله»** يعني طلب سرعة حضوره أو طلب سرعة الدخول في حضرته. فإذا قلنا «نسبِّح باسمه»، فإن هذا يعني «نقدِّم ذبيحة مرفوعة على مذبح محبته»، وإذا قلنا «نعترف باسمه» يعني «نرفع يدنا ونعطي عهداً أننا نؤمن ونعترف بوجوده وحضوره». **فالاعتراف باسمه** له معنى مرادف لما جاء في بداية الآية «فلنقدِّم به» δι᾽ αὐτοῦ οὖν ἀναφέρωμεν حيث الفعل ἀναφέρειν يعني **«رفع»** ذبيحة روحية:

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدَّساً، **لتقديم ذبائح روحية** ἀνενέγκαι πνευματικὰς θυσίας مقبولة عند الله **بيسوع المسيح**.» (١بط٢: ٥)

والتسبيح مع الاعتراف هو تكريس التمجيد لله، فهو عرض الشكر والإيمان معاً بالاسم المبارك:

+ «ذابح الحمد يمجدني، والمقوِّم طريقه أُريه خلاص الله.» (مز٥٠: ٢٣)
+ «أحمد اسمك يا رب لأنه صالح. لأنه من كل ضيق نجاني وبأعدائي رأت عيني.» (مز٥٤: ٦و٧)

ويُلاحظ القارىء هنا أن بولس الرسول يقدِّم للعبرانيين أفخر ذبائح المسيحية التي تسمو فوق

العجول والتيوس. **فهي ذبائح القلب والروح المسحقة والمعترفة بفضله التي هي أفضل من عجول** سمان كما يقول المزمور (مز٥١: ١٧، ٦٩: ٣١).

والمُلاحَظ هنا أن تقديم ق. بولس هذه الذبيحة الروحانية **الدائمة «كل حين»، يعني ضمناً — وهو الواقع — أن جميع الذبائح الأخرى ألغيت**، لأن ذبيحة الرب يسوع ملأت حاجة الإنسان بل ملأت بيته ومذبحه وزمنه وحياته، وصارت لنا كل الخلاص، ولله الرضا والصفح والغفران. ولكن ذبيحة التسبيح إن كانت في العهد القديم على هامش الذبائح، **فهي هنا التعبير الكامل عن الشكر على ذبيحة المسيح**، لذلك صارت تعبِّر في المسيحية عن كل الذبائح القديمة وتفيض، **توازنها وتفوق، تعمل عملها ويزيد، تملأ الزمان وسوف تملأ الأبدية.**

وحينما يقول بطرس الرسول: «لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط٢: ٩)، **فهذا التخبير بالفضل هو هو التسبيح لاسمه.** لأن التسبيح، كما قلنا، **هو ذبيحة شكر على أفضال الله**، وإن كان فضل الله دائماً، تحتَّم أن يدوم تسبيحنا ما دمنا وما دامت الحياة وما دام لنا فم وصوت نتكلَّم به. فالتسبيح هو كلام الشكر كله الذي يُغني عن كل كلام: «هذا الشعب جَبَلْتُهُ لنفسي، يحدِّث بتسبيحي.» (إش٤٣: ٢١)

الإنسان، بحسب الناموس، حينما كان يقدِّم لله شكره، فقد كان يقدِّمه **من خلال ذبيحة حيوانية**، ولكن بولس الرسول يقول هنا: «معترفة باسمه»، أي ذبيحة مقدَّمة **من خلال شخصه المبارك.**

المزمور يقدِّم هذا بالروح النبوي:

+ «هل آكُلُ لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟ **اذبَحْ لله حمداً**، وأوفِ العلي نذورك، وادْعُني في يوم الضيق، أُنقذك فتمجِّدني.» (مز٥٠: ١٣—١٥)

وهوشع النبي يشرح أكثر هذه المقايضة لذبائح الحيوان بتسبيح الشكر هكذا، والترجمة هنا من النسخة الماسورية، بينما السبعينية أخفقت في فهمها، وقد جاءت ترجمتها الدقيقة هكذا:

+ «وهكذا سوف نجعل عوض العجول، **ثمار شفاهنا.**» (هو١٤: ٢)

وقد ترجمتها النسخة الإنجليزية هكذا بعد التصحيح، وواضح أن الرسالة إلى العبرانيين أخذت بالنسخة السبعينية مباشرة «ثمار شفاهنا»، دون ذكر «عِوَض العجول» التي جاءت فقط في النص الماسوري.

والآن وفي ختام هذا الشرح لهذه الآية نود أن نلفت نظر القارىء أن هذه الذبيحة التي للشكر، وهي ذبيحة تسبيح دائمة، هي بعينها «ذبيحة الشكر» **الإفخارستيا** نصاً وروحاً، حيث هي كلها شكر وكلها تسبيح فوق ذبيحة المسيح ومعها. فعلى المذبح لا يوجد إلَّا جسد المسيح ودمه ذبيحة وكأنها مذبوحة لتوّها، وهي قائمة ودائمة بقيام المسيح، مذبوحاً حيًّا، في السماء، كخروف على عرش. فالكنيسة تنقل لنا على الأرض الصورة السمائية، فنراها كما هي في السماء، ونقدّم الخدمة مع الملائكة ألوف ألوف وربوات ربوات، ونهتف معهم بالصوت الواحد: قدوس قدوس قدوس مجد الرب ملء كل الأرض. فتسبيح الإفخارستيا هو الشركة الحقيقية الصادقة مع الملائكة في خدمتهم السمائية للجالس على العرش، حمداً وشكراً للذي ذُبح واشترانا بدمه (رؤ٥: ٩).

ومن فم ملاخي آخر الأنبياء والأقرب إلى مسرح الصليب والإفخارستيا، توجد نبوّة عن ذبيحة ستقدّمها الأمم وهي أعجب من كل الذبائح: «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود» (مل١: ١١). وما هي التقدمة الطاهرة θυσία καθαρά؟ هل حيوانات بأظلاف؟ وكيف تُقدَّم في كل مكان على الأرض؟ وكيف تقدّمها كل الأمم على جميع أشكالها؟ ومع التقدمة بخور؟ واضح أن هذه هي النبوّة العجيبة عن ذبيحة الإفخارستيا بكل مشتملاتها.

١٣: ١٦ **«ولكن لا تنسوا فِعْلَ الخَيرِ والتوزيع لأنه بذبائح مثلِ هذه يُسرُّ الله».**

هنا وبعد التسبيح للاعتراف بالشكر، كفضيلة المسيحيين الأولى وذبيحتهم الدائمة الفاخرة، تأتي المحبة الباذلة للغريب والقريب وكل مَنْ كان في حاجة. فهي الذبيحة الثانية والمنبثقة من الأولى، لأن التسبيح القلبي لابد أن يكون له فعل وثمر ظاهر. وحد الله هو عطاء وخدمة الآخرين ولا يمكن فصلهما.

«فعل الخير»: εὐποιίας

الكلمة اليونانية لها رنين مُبدع، فهي من مقطعين الأول εὖ أي «الحسن والجميل»، والثاني ποιία وهو «الفعل أو العمل». وكأن الكلمة تنطق وتقول إنه ليس من بين الأعمال كلها عمل حسن وجميل كعمل الخير. ولكن لكي تزيدها الرسالة قوة وظهوراً واستظهاراً على باقي الأعمال كلها أضافت:

«والتوزيع»: καὶ κοινωνίας

وهذه الأخرى عجيبة في تركيبها، فهي أصلاً تُفيد الشركة الروحية، وكأن أحسن الأعمال هو

إشراك الآخرين في الخير الذي بين أيدينا، كأنه بحضور الله. لذلك تعبّر عنهما معاً اللغة السريانية بمعنى «التعطُّف وشركة الفقير». وهكذا فإن هاتين الكلمتين تكوِّنان منهجاً روحياً أو مبدأ عبادياً. ويُلاحَظ أن كلمة εὐποιΐα وردت هنا لأول مرة في جميع الأسفار ولم ترد قط في السبعينية فهي خاصة بالرسالة إلى العبرانيين، وهكذا قُضي أن تكون هذه الرسالة ذات تعليم خاص منفرد وحسن وكاشف لأسرار كثيرة.

«لأنه بذبائح مثل هذه يُسرُّ الله»:

هذه الذبائح الثلاث، التسبيح وفعل الخير عموماً والتوزيع على الفقراء خاصة.

ولكن ليتنا نُعطي لمحة سريعة عن معنى ومبنى «فعل الخير والتوزيع»، أو العمل الحسن والشركة عند المسيحيين، لأن هناك تقاليد كثيرة انقطعت من الحياة المسيحية، فكل أسرة كان لها أوقات تذبح ذبائح خاصة توزعها، أولاً على رجال الكنيسة كل رتبة برتبتها ونصيبها على قدر أعدادها، ثم تُشرك الفقراء إما كوليمة تجمعهم أو توزَّع على بيوتهم. هذا وارد في سفر بن سيراخ الذي أخذت منه الكنيسة الأولى كثيراً من تقاليدها:

+ **«حِبِّ الذي صنعك من كل قوتك ولا تستخف بحق خدَّامه،**
اتَّقِ الرب، وأكرم الكاهن، وأعْطِهِ سهمه، كما أُمرت، من البكور، واستغفر عن تهاونك، وعطية ذراعك وذبيحة التقديس تُقرِّبها للرب، وبكورية القديسين.
وللفقير ابسط يدك لكي تتم بركتك،
نعمة العطاء أمام كل حي معروفة ولا تمنع معروفك عن الميت.»

(سيراخ ٧: ٣٠ــ٣٣)

ومن الأمور التي تؤثِّر في النفس جداً أنه عندما خُرِّب الهيكل وأوقفت الذبائح، اعتبر الربيون المحافظون أن التوبة والندامة والتسبيح وفعل الخير والتوزيع على الفقراء، هي ذبائح على مستوى ذبائح الهيكل الطقسية (يوحنان بن زكّاي صفحة ٣٩ وما بعدها). وقد رجع في ذلك إلى هوشع النبي في قوله: «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات» (هو٦:٦). أمّا الكُتّاب المسيحيون الأوائل فتمسكوا أيضاً بقول هوشع النبي: «قولوا له ارفع (عنّا) كل إثم واقبل (ما لنا) حسناً فنقدِّم ذبائح شفاهنا» (هو١٤:٢) (أتت في الترجمة البيروتية «عجول شفاهنا»، ومع اختلاف الترجمة فهنا تورية بديعة).

الخضوع والطاعة للمدبِّرين

١٣ : ١٧ «أطِيعُوا مُرشِديكم وأخضَعوا لأنهم يسهَرُون لأجلِ نفوسِكم كأنهم سوف يُعطُون حِساباً لكي يفعَلوا ذلك بفرحٍ لا آنِّينَ لأن هذا غيرُ نافعٍ لكم».

«أطيعوا ... اخضعوا»: πείθεσθε καὶ ὑπείκετε

وباللاتينية (فولجاتا) = (obedite ... et subjacete).

أمّا الطاعة فتعبِّر عن قبول الوصية أو التوجيه وهي تتوّج بالخضوع لرغبة المرشد.

«لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم»:

توضِّح مدى التزام المرشدين بمصير النفوس التي يقيمهم الله عليها، ولكن إن أكملت هذه النفوس الخضوع والطاعة. لأنهم (أي المؤمنون) بخضوعهم يكونون قد التزموا بهم مرشدين، وبطاعتهم يكونون قد التزموا باحترام وصيتهم وتنفيذها، فإن أكملوا ذلك يكونون قد أسلموا نفوسهم لله وللمرشد، ويكون المرشد قد أصبح مسئولاً أمام الله عنهم.

ولقد اختار بولس الرسول هذا التعبير المركّب المعبِّر عن خطورة معناه: «يسهرون لأجل نفوسكم»، ولم يقُل «يسهرون لأجلكم»، لكي يوضِّح مدى المسئولية الواقعة على المُرشد وعلى المُريد بآنٍ واحد. فهذا يسلِّم نفسه وذاك يستلمها ليسهر على حاجاتها وغذائها ودوائها وشفائها، وأخيراً على خلاصها، ويقف لِيُدان بدينونتها. فلو عرف ذلك المُريدون والتلاميذ والمُتتلمذون، لما استهانوا بالرسالة التي يقوم المرشدون بتأديتها. ولو كانوا أتقنوا هذا المفهوم، لأجبروا مُرشديهم أن يفهموه. ثم لو فهم المُرشدون خطورة حمل مسئولية حياة وموت النفس البشرية، ما تجرأوا أن يحملوها وهم خالون من القدرة على حلها وليس لديهم ما يعطونه في أوانه وغير أوانه، لأن السهر هنا يكمله «لا يغفل ولا ينام» كالراعي مع خرافه، والذئاب بالمرصاد! لقد أبدع القديس بولس في هذا التعبير لأنه محنّك ومدعو حقاً لحمل الرسالة وتقبيل الروح القدس عليه بالمتابعة حتى والسيف على الرقبة!

+ «ولكنني لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينةٌ عندي، حتى أُتمِّم بفرحٍ سعيي، والخدمة التي أخذتُها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله ... أُشهدكم اليوم هذا أني بريء من دم الجميع لأني لم أؤخِّر أن أخبركم بكل مشورة الله.» (أع ٢٠: ٢٤و٢٦و٢٧)

هنا القديس بولس يُبرىء ذمته حتى ليوم الدينونة الرهيب من دم الذين رفضوا الطاعة لصوت

الله من فمه ولم يخضعوا للوصية التي طرحها بدموع أمامهم. سلوك ق. بولس هنا يوضِّح تماماً صدق القول: «كأنهم سوف يعطون حساباً». وبولس الرسول أيضاً هو القائل كيف أن الوكيل سوف يُسأل عن وكالته: «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدَّام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً.» (١كو٤: ١و٢)

والتلميذ أو المُتتلمذ، أو الابن أو المُريد سيَّان، كلها أسماء، والاسم الواحد السائد هو الإنسان طالب وجه الله والساعي لخلاص نفسه، إن هو لم يخضع أولاً بكل إرادته ونيَّته ويسلِّم فكره وقلبه فعلاً لقيادة الروح القدس بتدبير وإرشاد المرشد، فعبثاً يتتلمذ، وعبثاً يطيع أو يتصنَّع الطاعة، أو يدَّعيها.

كذلك، خلاصة الخضوع والطاعة هو أن يستلم بالفكر والقول والعمل طريق الحياة الأبدية بالسلوك الجسدي والروحي، فينظر إلى دقائق التوجيهات والتوصيات ويتقبلها بفكره ويمارسها عملياً. ويُتقنها ثم يطلب المزيد. لأن الحياة الروحية تسليم وتسلُّم، وخاصة في منهجنا الأرثوذكسي الذي يقوم على حفظ التقليد المسلَّم من الآباء في فهم الإنجيل وشرحه والعمل بوصاياه، وكذلك العبادة بكل دقائقها، وحتى طريقة التعبير والسلوك على المستوى الروحي والجسدي، لأن الكل يصبُّ في النفس التي هي موضوع البناء.

وليعلم من يُريد أن يعلم أن سماع الوعظ بالإنجيل فقط لا يبني النفوس، بل **العمل بالإنجيل وتسليم العمل بالإنجيل**. أمَّا الاكتفاء بسماع العظات دون مرشد يدبِّر الحياة ليصرِّح بهذا ويمنع هذا ويحذِّر من هذا، فهو بناء بلا أساس، فبناء النفس يحتاج إلى ما يثبِّتها أولاً ثم ما ينمِّي إدراكها ويرفع قدراتها شيئاً فشيئاً.

لذلك نسمع في هذه الآية التي تقدِّمها الرسالة إلى العبرانيين صميم المنهج الأرثوذكسي في العبادة، بحثِّه على **الخضوع والطاعة**، فهما أساس البناء للنفس، والخضوع والطاعة يحتِّمان وجود مَنْ نخضع له ومَنْ نطيعه. فالإنجيل يحتاج لمَنْ يسلِّمه لا لمَنْ يشرحه فقط أو يعظ به. الوعظ حسن والشرح حسن، ولكن إن ظل في دائرة السماع فقط فلن يبني النفس. فلابد من التطبيق، والتطبيق يحتاج إلى تسليم، وبدون التسليم لا يوجد للخضوع مكان أو معنى ولا يكون للطاعة فرصة لتزكية استعدادها.

ولماذا التسليم ولماذا الخضوع والطاعة؟

ليس لأنها فروض حتمية، ولكن لأن بإتقانها واستعداد التتلمُذ لها، يأتي الروح القدس

ويأخذ بيد النفس، وقليلاً قليلاً لا تعود النفس تحتاج لمن يسلّم ولا للطاعة إلاّ طاعة الروح القدس، ولا الخضوع إلاّ لصوت الله في القلب. والذي يطلب المزيد، فعليه بقراءة كتب الآباء في هذا الأمر، فقد خصّصت للطاعة والخضوع مقالات ومقالات وكُتباً ووصايا كثيرة.

ولكن واضح أن الرسالة إلى العبرانيين لم تُكتب لرهبان أو كهنة، بل لجماعة علمانية لها مرشدوها. ولكن يبدو أنهم فلتوا من تحت أيديهم، وآثروا التحرُّر عن الخضوع لهم والطاعة لوصاياهم. لذلك فالرسالة عنيت بأن تردّهم إلى رعاتهم وإلى اتّباع الطريق الذي يضمن خلاصهم. كذلك نجد أن الرسالة تلمّح إلى إهمال المرشدين، وتُذكّرهم أنهم سوف يُعطون حساباً يوم الدين عن النفوس التي وُكّلوا عليها. كذلك يوبّخ هذه الجماعة لأن مُرشديهم يئنون من عنادهم وانحلالهم وعدم خضوعهم وطاعتهم، مع أنه كان يجب أن يكون لهم فرح في خدمتهم التي يخدمونها من أجل الرب. كما يحذّرهم التحذير الأخير، أن عقوقهم في سلوكهم تحت قيادة مرشديهم سوف يرتد عليهم بالخسارة والندم: «يكون غير نافع لهم»، سواء روحياً أو جسدياً لأن أية جماعة يفارقها روح الخضوع والطاعة مآلها إلى الانحلال والضلال ثم الزوال.

٣ ــ وصايا شخصية
[١٣: ١٨ـــ ٢٥]

١٣: ١٨ **«صَلُّوا لأجلِنا لأننا نَثِقُ أن لنا ضَميراً صالِحاً راغِبين أن نتصرفَ حَسَناً في كلِّ شيءٍ».**

وحينما بلغ إلى المرشدين بمسئوليتهم وسهرهم على النفوس وإعطاء الحساب عنهم، تذكَّر في الحال نفسه كمرشد جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعي ولم يدَّخر جهداً في الإرشاد والتعليم.

ولكن نلحظ في نبرات صوته الإحساس بالقلق والهمّ، لأنه وإن كان له ضمير صالح للتصرُّف بالصلاح، إلاَّ أنه يبدو أن الجو المحيط لم يكن يساعده على هذا بل على النقيض. لذلك فإنه يُشهد على نفسه ضميره، ويستعيض عن التمنِّي بطلب الصلاة من أجله. وحينما يطلب الراعي صلاة الرعيَّة، فإن هذا معناه أن الخطر مُحدق بالرعية وليس بالراعي، وأن الهمّ والقلق هما على الرعية وليس على نفسه، فهو يرغب بشدة أن يتصرَّف حسناً ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

وفي هذا تبدو رقة الرسول ومشاعره الطيبة الوديعة، عارضاً نفسه نموذجاً لهم لعلَّه يكتسب طاعتهم والسماع لكلمته، من خلال هذا التعاطف، وإثارة مشاعرهم.

ويُلاحظ القارىء أنه يطلب الصلاة لنفسه، ولكن لا كأنه يعوِّض بصلاتهم عن إهماله، بل هو يؤكِّد لهم أن صلاتهم ستجد ولابد في رحمة الله مكاناً من جهته لأنه أرضى الله بأعماله! لأنه أية صلاة هذه التي تعوِّض المرشد عن إهماله وعدم سهره على رسالته وبالأكثر على نفسه (لنا ضمير صالح)؟

١٣: ١٩ **«ولكن أطلبُ أكثرَ أن تفعلوا هذا لكي أُرَدَّ إليكم بأكثرِ سرعةٍ».**

ثم عودة إلى العلاقة التي تربطه بهذه الجماعة. فالآية تفصح عن أن الرسالة بجملتها ليست من معلِّم أو رسول غريب عنهم، بل هو معلمهم، أو على الأقل الذي يفتقدهم من حين لآخر، كما نفيد أنه تأخر عنهم أو حُجز رغم إرادته، ربما بسبب مرض أو سجن. ولكن على أي حال فهو الآن ليس في السجن، بل حرًا يودُّ زيارتهم ويترقَّب الظروف المواتية.

كما يُستفاد من «أُرَدَّ إليكم»، أنه كان على وشك الانفصال النهائي عنهم ربما بسبب الموت أو المرض الشديد، وهو يودُّ لو يراهم بسرعة، وهذا يفيد سبب قلقه عليهم.

١٣ : ٢٠ **«وإلهُ السلامِ الذي أقامَ من الأمواتِ راعيَ الخرافِ العظيمَ ربَّنا يسوعَ بدمِ العهدِ الأبديِّ».**

والآن، وفي خضوع لله وطاعة محبته ندخل معاً الحضرة الإلهية، لنسمع هذه الصلاة، وهي أقدس ما في الرسالة وأصدق كلماتها، تحمل كل مشاعر القلب وتترجَّى الوجه الأقدس.

«إله السلام»:

ولماذا يبدأ بمخاطبة الله بحق السلام الذي له والذي هو على استعداد دائماً أن يعطيه وليس كما يعطي العالم؟

هنا نحس بالشركة الروحية الخفية التي تربط قلب هذا الرسول بهذه الجماعة القليلة المضطهدة الذليلة التي في قلقها واضطرابها وخوفها وحزنها معاً فقدت «السلام». والآن هو يطلبه لهؤلاء المنزعجين بلا سبب، وله في إله السلام ثقة جعلته يتبنى اضطرابهم أمام الله ويتكلَّم عنهم بإيمان.

«الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم»:

هذه قوة القيامة التي هي قوة الكنيسة ونبضات قلبها التي تعطيها الحياة لحظة بلحظة، القيامة التي بها قمنا من بعد موت الخطية وصرنا أحياءً بل أبناءً بل ورثة. وكأن هذا الرسول يترجَّى الله أبا ربنا يسوع المسيح أن يذكر لماذا أقام ابنه، أليس ليعطي الحياة لمثل هؤلاء المشرفين على الموت؟ وكأنه يستعطف الله بحق قيامة ابنه أن لا يدعهم يموتون مرَّة أخرى بعد أن عمَّدهم بيديه وباسمه. ثم أليس هؤلاء خرافه، وعلى مَنْ يتركهم يتأرجحون هكذا بين الموت والحياة، والذئب متربِّص بهم والموت على استعداد فاتح الفم ليبتلعهم، وهو الراعي الصالح وهذه خرافه؟

ولكن بعد أن انتصر المسيح على الموت والهاوية وظفر بسلاطين الموت على الصليب، هل يعود الآب يُفرِّط في الذين من أجلهم لاقى ابنه التعذيب والموت؟ الآن يستعطفه، بنصرة ابنه، أن تشملهم هذه النصرة فيفوِّت على العدو المتربِّص بهم هذه المحاولة التي كادت تبتلعهم، في غفلة من سحابة الشهود التي تتشفَّع! ولكنه الآن يتشفَّع براعي الخراف العظيم وبدمه.

«بدم العهد الأبدي»:

القيامة كانت بمثابة فتح سفر الحياة الجديدة للعهد الأبدي، والدم ختمها للتصديق والنفاذ.

وهنا نتذكر زكريا النبي يخاطب بنت صهيون: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون ... هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور ... يتكلَّم بالسلام للأمم ... وأنتِ أيضاً **فإني بدم عهدكِ قد أطلقت أسراكِ** من الجب الذي ليس فيه ماء. ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء ...» (زك٩: ٩و١١)

«لأنك ذُبحت واشتريتنا لله **بدمك**» (رؤ٥: ٩). وهذا هو ثمن الفكاك من الجب ومن الأسر!!

وحينما يقول: «أقام يسوع بدم العهد»، فهو يعني مباشرة الدم الذي سُفك على الصليب، وأن المسيح قام ودمه هذا على يديه، ليكون دم العهد الأبدي الجديد. فالعهد هو عهد الحياة الجديدة للإنسان بدم المسيح. فالذي يمثِّل العهد الجديد أعظم تمثيل هو الخروف القائم على العرش كأنه مذبوح، والمعنى عميق وخصب فهو يعني ابن الله في وضعه الفصحي، أي مذبوحاً جالساً على عرشه في السماء.

الله ظهر في الجسد مذبوحاً، ليصير دمه هو العهد الجديد بين الله والإنسان.
وبقيامته، أصبح العهد الجديد هو القيامة من الأموات.
وبصعوده، أصبح العهد الجديد هو حياة جديدة للإنسان موطنها السماء.
وبجلوسه عن يمين الآب، أصبح العهد الجديد هو مصالحة أبدية وحياة مع الله في المجد.

٢١:١٣ **«ليُكمِّلكُم في كلِّ عملٍ صالحٍ، لتصنعُوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوعَ المسيح الذي لهُ المجدُ إلى أبدِ الآبدين آمين».**

«ليكمّلكم»: καταρτίσαι

الكلمة عظيمة المعاني وجيلة المقاصد وعميقة التعبير. فالأصل اليوناني فيها يمكن وضعه كالآتي κατ-ἀρτίζω حيث معروف معنى «ἀρτίζω وأصلها ἄρτιος التي تعني «الكمال والكامل من نوعه، والمناسب والمناسب تماماً» exactly fitted»، كما جاء في القاموس اليوناني. أمَّا καταρτίσαι فتعني أيضاً «يضبط أو يضعه في لياقته الأولى أو يعيد له الفكر السليم أو الكامل». وواضح أن الكلمة هي التي نعرفها بالإنجليزية art أي «الفن الجمالي» والكلمة تجيء في المعاني الآتية:

١ ــ التوفيق بين قوى فكرية وروحية معاً بانسجام تام مثل:

+ «لأجل تكميل καταρτισμόν القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.» (أف٤: ١٢)

+ «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعد ما تألمتم يسيراً هو **يكمّلكم** καταρτίσαι ويثبّتكم ويقويكم ويمكّنكم.» (١بط٥:١٠)

٢ — كذلك تعبّر عن تعويض ما هو ناقص بما هو كامل مثل:

+ «طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم **ونكمّل** καταρτίσαι نقائص إيمانكم.» (١تس٣:١٠)

+ «أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلّة **فأصلحوا** καταρτίζετε أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ...» (غل٦:١)

وهكذا نجد أن هذه الكلمة في وضعها اليوناني تشمل هذا كله، فهو إنما يطلب لهؤلاء العبرانيين عن فهم ووعي ما ينقصهم ليكمّله لهم المسيح، وما أخطأوا فيه ليصحّحه لهم بالنعمة، وما اختلف فيه فكرهم عن الصالح يردّه إلى الكمال. وهي في الحقيقة طلبة مناسبة لهم أشد المناسبة.

«في كل عمل صالح»:

وهكذا إذا تكمّلت الشخصية بعمل المسيح ونعمته، فإنها تليق مباشرة لعمل الصلاح. وهو هنا يطلب كل ما هو صالح لهم ولائق باسم المسيح الذي يعيشون من أجله.

«لتصنعوا مشيئته»:

وهكذا حينما تصلح الشخصية وتليق للعمل الصالح، يصبح عملها بحسب مشيئة الله حتماً، ويصبح عمل الإنسان هو بعينه عمل الله. لأن ما يصنعه الله في الشخصية يجعلها تصنع مشيئته بالضرورة، لأنه بحسب ما علمناه من بولس الرسول يكون الله هو العامل فيهم أن يشاءوا ويعملوا (في٢:١٣).

«عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه»:

وهذه غاية الغاية التي يتمناها الإنسان من كل تجاربه وحياته، أن يصبح المسيح في النهاية هو العامل فينا. وهكذا نصل إلى منتهى راحة الضمير والنفس، واثقين بعد ذلك أن كل ما نعمله وكل ما يُعمل فينا إنما يؤول للخير، أو كما تقول الآية، لِمَا يُرضي الله.

ويُلاحظ القارىء الانسجام البديع في هذا الدعاء الصادر من القلب، حسب واقع هؤلاء القوم، مع ما هم في حاجة إليه تماماً، مما يدل على أن كل كلمة هي منطوقة بالروح القدس.

«بيسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين»:

هذا التمجيد فيما يخص التعبير «أبد الآبدين» وارد في سفر الرؤيا اثنتي عشرة مرة.

٢٢:١٣ «وأطلبُ إليكم أيها الإخوةُ أن تحتمِلوا كلمةَ الوعظِ لأني بكلماتٍ قليلةٍ كتبتُ إليكم».

هذه مراجعة للرسالة ككل، في نظر الكاتب، كتبها بعد أن أنهى رسالته وبعد ما راجع ما كتبه، خاصة عندما أحس أنه لم يستطع أن يسترسل معهم في الكلام أكثر من ذلك.

«تحتملون كلمة الوعظ»:

يرى كاتب الرسالة دائماً أنه مسَّ شعور المُرسل إليهم حينما يكون الكلام لإصلاح السيرة، وخاصة ما ورد فيها من مراجعات عنيفة وإنذار وتهديد وتخويف. فهو الآن يستسمح مشاعرهم أن يقبلوا الكلام باعتباره مخاطبة للروح، كوعظ يأتيهم من فوق، وليس له فيه إلاّ التوصيل. فإذا احتملوه استطاعوا أن ينتفعوا منه. لأن الشيطان قد يجرّ بهم أيضاً في هذه الرسالة ليستثقلوا كلماتها، فيخسروا أنفسهم ويخسروا الفرصة التي واتاها الله لهم ليسمعوا ما ينفعهم ويردّهم إلى الكمال المسيحي الذي يُرضيه أمامه.

٢٣:١٣ «اعلَمُوا أنه قد أُطلقَ الأخُ تيموثاوسُ الذي معَهُ سوف أراكُم إن أتى سَريعاً».

يبلِّغهم معرفة بصيغة الأمر أن الأخ تيموثاوس قد أُطلق سراحه من حبسٍ جازه بسبب اتهام وُضِعَ عليه. وهذا الخبر في إجماله غير معروف لدينا، ولكن يبدو أن هذه الجماعة كانت تعرف تيموثاوس بسبب زيارات سابقة. ومن هنا ربما كان حبسه سبباً في تعوُّق ق. بولس من زيارتهم التي كان قد وعد بها، ولكن بانعتاقه وحضوره تكون المناسبة قد تهيأت للزيارة.

٢٤:١٣ «سلِّمُوا على جميع مُرشِدِيكُم وجميع القدِّيسينَ. يُسلِّمُ عليكُم الذينَ من إيطاليا».

خاتمة الرسالة، والتي تكون قد أغنت عن الديباجة المعروفة في كل رسالة والتي سقطت من هذه الرسالة دون سبب معروف لدينا. ولكن شكل هذه الخاتمة ولو أنه يقارب أشكال الرسائل الأخرى ولكنه فريد من نوعه في تكرار كلمة جميع πάντας. ولكن كون الرسالة مرسلة للشعب فهذا معناه أنها غير رسمية، لأن كل الرسائل الأخرى موجهة للرؤساء ثم لباقي الشعب. ولكن يبدو أن هذه ليست كنيسة، ويكون هذا هو السبب في غياب المخاطبة الأُولى المعتاد توجيهها للرؤساء.

«يسلّم عليكم الذين من إيطاليا»:

وهذا يحتمل أن تكون الرسالة مُرسلة من إيطاليا وهؤلاء هم الأحباء الذين كانوا حاضرين

تدوين الرسالة، وأرادوا إذكاء سلامهم الخاص، أو أن الرسالة مكتوبة من مكان آخر وهؤلاء كانوا حاضرين كزائرين لهذه المدينة أو الكنيسة.

٢٥:١٣ «النعمةُ مع جميعِكم. آمين».

الخاتمة المعتادة للقديس بولس كما جاءت في رسالته إلى تيطس (٣:١٥). والمعروف أن النعمة هي نعمة ربنا يسوع المسيح والسائد في الرسائل أن يذكر «نعمة ربنا يسوع المسيح». بل إنه في بعض الرسائل الأخرى تُقرن معها المحبة وشركة الروح القدس (٢كو١٣:١٤). كل هذا وغيره يرجِّح لدينا أن الرسالة بدائية وتاريخها مبكِّر.

كلمة ختام

لقد انتفعنا جداً أثناء شرحنا لهذه الرسالة فهي موجهة بالروح القدس إلى جيلنا هذا الذي نعيشه. فكل عناصرها مشتركة مع كل ما نعانيه هذه الأيام. لهذا نطلب من الله أن ينتفع بها كل مَنْ يقرأها متوسلين لدى الروح القدس أن يعمل في قلوبنا جميعاً لنكون على استعداد لمواجهة الأيام الأخيرة ولا نخجل منه في مجيئه.

والآن يتوجَّب عليَّ أن أعترف بفضل الله الذي أعانني بنعمته، فإن كان هناك خطأ فهو فيَّ ومحسوب عليَّ، أما كل ما هو حق وصالح فهو منه، وله الشكر والتسبيح والسجود والمجد الدائم.

تم إنجازها في يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٩١م.
تذكار تمجيد رئيس الملائكة ميخائيل.

فهارس الكتاب

- فهرس الآيات الواردة بالكتاب.
- فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة والمؤلفين الكنسيين.
- فهرس موضوعي للكتاب.

فهرس الآيات
مرتبة هجائيا حسب أسماء الأسفار

أعمال الرسل (سفر)

١	٢:		٧٤٠
	٦:		٥١
	٦:	-٧	٥٨٠
	٩:	-١١	١٦٣
	٩:		٣٥٠
			٥٣٨
	١١:		٥٥٣
٢	٢:	-٣	١٨٦
	١٤:	-١٧	١٣٣
	٢١:		٥٢٩
			٦٣١
	٢٣:		٣٥
	٢٧:		٥٦٦
	٢٩:	-٣١	١٧٦
	٢٩:		٣٥٦
	٣٤:	-٣٥	٢٠٣
	٣٤:		٣٧٣
	٣٦:		١٩٢
			٢٨٥
	٣٨:		٤٠٠
	٣٩:		٧٧٩
٣	١٣:		٣٧٠
	١٩:	-٢١	١٣٢
			٢٠٥
			٥٥٣
	٢٠:	-٢١	٥٧٩
٤	٧:	-١٢	٦٢٧
	٨:		٤١٣
	٢٤:	-٢٧	١٩٢
	٣٢:		٧٦١
٥	٣١:		٤١٣
	٣٦:		٦١٣
	٤١:		٦٢٥
٦	١:		٣٣
٧	٦:		٦٤٦
	٩:	-١٠	٦٦٣
	٢٠:	-٢٢	٦٦٥
	٢٣:	-٢٩	٦٦٨
	٣٠:	-٣٤	٦٧١
	٣٥:		٧٤٦
			٧٤١
			٦٦٥
	٣٨:		٢١٧
			٧٤١
	٤٨:		٤٤٩
	٥٢:		٦٩١
	٥٣:		١٦٦
			٢١٧
			١١٢
	٥٥:	-٥٦	١٣٣
			١٦٤
			٢٠٣
	٥٥:		٤٩٠
			٥٩٥
	٥٦:		٢٠٤
٨	٦:		٢١٥
	٩:		٦١٣
٩	٤:		٤١٩
	٤:		٥٧٨
	٣٦:		٦٠٤
١٠	٢:	-٤	٥١٣
	٣:	-٤	٧٤١
١٠	٤٥:		٣١
١١	٢:		٣١
١٢	٦:	-١١	٢٠٩
	٧:	-١٠	٧٤١
١٣	٢٢:	-٢٤	١٧٥
	٣٤:		٦٨٥
	٤٨:		٧٤٥
١٤	٦:		٤٣٤
١٥	١٠:		٧٣٣
	٣٩:		٦٠٤
١٦	١٤:		٢١٥
	١٦:	-١٧	٤٤٨
١٧	١٦:		٦٠٤
	٣١:		١٨٢
٢٠	٢١:		٤٠١
	٢٤:	-٢٧	٧٨٨
	٢٨:		٥٢٧
	٣٣:		١٣٨
٢١	٢١:	-٢٨	٣٤٧
٢٣	١٢:	-١٣	٦٢٢
٢٤	٢٤:	-٢٥	٣٤٢
٢٦	١٢:	-١٦	١٦٤
٢٨	٣٠:	-٣١	٧٤١

أفسس (رسالة)

١	٤:		٢٣٤
			١٤١
			٢٥٠
	٤:	-٦	٥٥٠
	٤:		٧٣٨
	٥:	-٨	٢٤٦
	٥:		٣٥٠
	٥:	-٦	٢٤٧
	٥:		٥٧٥
	٧:	-١٠	٥٧٤
	٩:		٥٧٥
	٩:	-١٠	٥٧٠
	١١:		٢٥٠
			٥٧٥
	١٧:	-١٨	١٣٥
	١٨:	-٢٣	١٥٠
	١٨:	-٢٣	٢٣٢
	١٨:	-١٩	٤١٠
	٢٠:	-٢٣	٢٠٣
	٢٠:	-٢٣	١٦٣
	٢٠:	-٢٣	١٩١
	٢٠:	-٢٣	٥٧٩
	٢١:		١٤٠
	٢٣:		٣٥٠
٢	١:	-٥	٣٦٣
	١:		٤٠٠
	٦:		١٣٣
			٤٩٧
			٧٠٧
	٨:	-٩	٥٧٦
	١٠:		٣٣٤
			٣٥٠
	١٦:		٢٠٥
	١٨:	-٢٢	٥٣٦
	١٨:		٥٩٣
	١٩:		٧٢٥
	٢٠:		٣٢٤
٣	٩:		٢٨٨
٣	١٠:	-١١	١٨٣
	١٢:		٥٥٠
			٣٨٣
			٧٠٥
			٥٩٠
			٧٨٣
	١٦:	-١٧	١٤٩
٤	٨:		٥٨٧
	١٠:		١٦٣
			١٩١
			١٨١
			٣٥٠
	١٢:	-١٦	٦٠٣
	١٢:	-١٣	٥٧٩
	١٢:		٧٩٣
	١٣:		٢٣٦
	٢٤:		٢٣٦
			٥٠٠
			٢٤٦
	٣٠:		٤١٣
٥	٢:		٥٨٢
			٥٧٦
	٣:	-٦	٧٦٥
	١٦:		٣١٢
	١٨:		٤١٢
	٢٥:	-٢٦	١٥٩
	٢٦:	-٢٧	٥٦٣
	٢٦:		٥٩٩
	٣٠:		١٣٣
			٢٣٩
٦	٨:		٢١٩
	١٠:	-١٢	٥٧٩
	١٩:		٣٥٦

أمثال (سفر)

٣	١١:	-١٢	٧١٣
	٢١:		٣١٤
	٣٣:		٤٥٣
٤	٢١:		٢١٤
	٢٣:		٣٠٣
	٢٦:		٧٢٣
٨	١٢:	-٣٠	١٣٩
	١٧:		٣٦٦
	١٧:		٢٨٠
	٢٤:		٣٩٩
	٢٤:		٢٨٠
٢٣	٢٦:		٤٩٨
			٣٠١

أيوب (سفر)

١	١٢:		٥٠٣
	٢٠:		٨٣
٤	٣:	-٤	٧٢٢
١٢	١٢:		٣٩١
١٣	٢٨:		١٩٩
١٩	٢٥:	-٢٧	٦٣٥
٢٦	١٤:		١١٩
٣٨	١:	-٧	٧٤٣

أيام أول (أخبار)

١٦	٢:		٤٥٢
			٤٥١
١٧	١٢:	-١٣	١٧١
٢٣	١٣:		٤٥٢
٢٨	١١:	-١٢	٧٣٦
٢٩	١٠:	-١١	١٦٢
	١٤:		٥٠٣
	٢٩:		٨٢

أيام ثاني (أخبار)

١٥	١:	-٢	٦٤١
	٢:		٢٢٥
			١٠٥
			٥٠٣
٢٠	٧:		٦٥٥
٢٤	١٩:	-٢٤	٦٩١
٣٠	٢٧:		٤٥١
٣٦	١٥:	-١٦	٨٤

إرميا (سفر)

١	٧:	-١٧	١٢٥
	٧:		٨٠
	٩:	-١٠	١٠٣
	١٢:		١٠٤
٢	٢:		٤٢٣
٥	١:	-٧	٥١٣
٧	٣:	-٥	٥٢٩
	٢١:	-٢٣	٥٢٩
			٥٦٥
	٢٥:	-٢٦	٨٥
٩	١:	-٢	٧٢٦
١٠	١٢:		١١٨
١٥	١٦:		٣٣٠
	١٩:		٨٠
١٧	١٤:		٤٥٥
٢٠	٧:	-١١	٦٩١
٢٢	٥:		٣٣٠
٢٣	١٨:	-٢٣	١٣٠
	٢٠:		١٣١
	٢٢:		١٥٢
	٢٩:		٧٥٥
٢٥	١:	-٤	٨٩
	٤:		١٠٨
٢٧	٢:		٩٧
٣١	٣١:	-٣٢	٩٤
	٣٤:		٦١١
			٥٦٤
٣٣	٨:		٦١١
	١١:		٧٨٤
٣٧	١٥:	-١٦	٦٩٠
٣٨	٤:	-٦	٦٩٠
	٧:		٦٩٠
٥٠	٣٤:		٤٥٥

إشعياء (سفر)

١	٢:		٨٠
	٢:	-٦	١٠٨
	٥:	-٦	٧٦٦
	١١:	-١٧	٥٢٩
	١١:		٥٦٥
	١٨:		١١٨
	١٩:	-٢٠	٨٠
	٣٦:		٤٥٥
٣	٢:		١٣١
٤	٤:		٥٩١
			٧٥٥

٤	٤:		٧٧٧
٥	٢:		٤٢٠
	٥:	-٧	٤٢٠
٦	٥:		٨١
			١٢٨
	٩:	-١٠	٧٤٨
٧	٣:		٩٨
٨	١:		٩٨
	١٧:		٢٥٣
٩	٦:	-٧	٢٠٤
	٦:		١٠٤
١١	١:	-٥	١٨٩
	٣:	-٤	٢٢١
	١٦:		٥٠٢
١٢	٢:		٢٥٣
١٤	٢٦:		١٠١
٢٠	١:	-٦	٩٧
٢٣	٢٢:		٩٦
٢٦	١١:		٦١٣
			٦٢٠
	٢٠:		٦٣١
٢٧	١٣:		٤٥٥
٣٠	٨:	-١٠	٣٩٠
	٩:	-١١	٨٣
	١٠:		٣٩١
٣٤	٤:		٣٠٠
٣٥	١٠:		٣٠٦
٤٠	٥:		١٤٧
	٦:	-٨	١٩٨
٤١	٣:		٥٧
	٤:		٢٠٠
	٦:		٦٥٥
	٨:	-٩	٣٦٣
٤٢	٦:		٩٣
			٩٣
٤٣	١٠:		٢٠١
	٢١:		٧٨٥
٤٤	٢٤:	-٢٦	١٠٢
٤٥	١٥:		١٣٧
			٥٢٣
٤٥	٢٢:		٧٠٥
	٢٣:		٣٢٠
٤٦	٣:	-٤	١٥٦
	١٣:		١٤٨
٤٨	١٢:	-١٣	٢٠١
٤٩	٧:		٥٦٧
	٨:		٩٣
	١٥:		٦٢٠
٥٠	١:		٥٠٧
	٤:	-٥	٣٠٥
	٥:	-٦	٧٠٩
	٩:		١٩٩
٥١	٦:		١٩٨
			١٩٧
	١١:		٢٤١
	١٦:		١٩٧
٥٢	١:		٧٣٦
٥٣	٢:		٥٦٧
	٣:		٣٦٨
	٤:		١٥٦
	٥:	-٦	٣٧٧
			٧١٨
			٧٠٥
	١٠:		٣٥٤
			٣٤٦
			٣٨١
٥٣	١٠:		٦٣٠
			٧١٨
			٧٠٦
٥٤	١٠:		٩٤
٥٥	٢:		٦٨٥
	٧:		٤٥٤
	١٠:	-١١	١٠١
٥٧	١٢:		١٣٨
٥٨	١:		٨٩
٥٩	٢:		٥٤٥
			٥٣٣
			٥٧٢
٦٠	١:	-٣	١٤٧
	١:		٤٦٩
	٢١:		١٣٨
٦١	١:	-٣	١٨٩
	٨:		٩٤
	١١:		٤٦٩
٦٣	٣:		٢٨٣
	٩:		٣٠٨
			١٥٦
			٧٤١
			٧٠٥
٦٤	١:		٥٢٢
			٥٦٤
٦٥	٢:		٢٧٢
	١٥:	-١٩	١٩٦
	١٧:	-١٩	٧٥١
٦٦	١:	-٣	٥٦٥
	٢٢:		١٩٥

بطرس الاولى (رسالة)

١	٣:		١٧٦
	٢:	-٦	١٢٩
	٢:		١٤٩
	٣:	-٤	٦٠١
	٤:		٤٨٢
	٦:	-٧	٦٣٦
	٦:	-٨	٧٢٠
	٦:	-٧	٧١٢
	٧:		٢٣٧
	١٠:	-١١	٩٥
			٩٣
	١٢:		١٢١
			٢٣٨
	١٣:		٣٠٨
			٣٥٧
			٢٩٤
	١٥:	-١٦	٧٢٠
	١٨:	-١٩	٧١
	٢٠:		١٣٢
	٢١:		٦٠١
	٢٢:		٧٦١
	٢٥:		١٩٨
			٣٣٩
٢	٣:		٤١١
	٥:		٧١
			٥٣٦
			٣٥٦
			٤٧٣
			٧٨٤
			٧٨٣
	٩:		١٩٠
			٤٧٣
			٣٥٦
٢	٩:		٥٣٦
			٧٤٠
			٧٨٥
	١٠:		٥٣٦
	١١:		٦٤٦
	١٩:		٧٢٠
	٢٠:	-٢١	٣٨٥
	٢٠:		٦٩٤
	٢٠:	-٢١	٦٣٠
	٢١:		٧١
	٢٣:		٢٦٨
٣	٨:		٣٥٢
	١٤:		٧٢٠
	١٨:		٤٠٧
	١٨:	-١٩	٧٤٦
	١٩:	-٢١	٩٦
	٢١:		٦٤٢
	٢٢:		٢٠٣
			١٦١
			١٦٣
٤	٥:	-٦	٧٤٦
	١١:		٧٨٣
	١٤:		٧٣٠
			٦٩٤
٥	٢:		٦٠٨
	٨:	-٩	٥٧٩
	١٠:		٧٩٤

بطرس الثانية (رسالة)

١	١:		١٨٨
	٤:		٢٣٦
			٣١٥
			٥٣٦
	٥:		٦٦٤
	٥:	-٨	٦١١
	٩:		١٥٩
	١١:		٣٢٨
			٥٩٠
	١٦:	-١٧	٢٣٧
	١٩:		٢١٥
			٧٧
	٢٠:	-٢١	٧٦
٢	٤:		٢٠٧
	٥:		٦٤٢
	٦:	-٩	١٩
	٩:		٦٣٦
	٢١:		٦١٣
٣	٣:	-١٠	٢٠
	٣:		١٣٢
	٩:	-١٠	٥٥٤
	١٠:		٧٥١
	١١:	-١٣	١٩٦
	١١:	-١٥	٣٠
	١٢:	-١٥	٥٥٥

تثنية (سفر)

١	٣١:		١٥٦
٤	١٢:		٧٥٥
	٢٤:		٧٥٦
			٧٥٥
	٣٠:	-٣١	١٣١
٥	٨:		٥٢١
	٢٥:		٦٢٠
	٢٨:	-٢٩	٧٤٧
٦	٦:	-٩	٣١٢
٨	١٠:		٤٥٣
٩	٣:		٧٥٥
١٠	٨:		٤٥٣
	١٤:		٣٥٠
	١٧:		٤٥٣
١٢	١٠:		٣٠٧
١٣	٦:	-١٠	٦١٥
	٦:	-٩	٦١١
١٧	٢:	-٧	٦١٤
١٨	١:	-١٩	٨٨
	١٥:		٤٧٠
١٨	١٨:		٩٥
	١٨:	-١٩	١٠٥
			٣٨٤
	٢٠:	-٢٢	٩٠
١٩	١٥:		٥٢٤
٢٩	٤:		٣٠١
	٥:		٣٠٠
	١٨:		٧٢٧
٣٠	٤:		٤٥٥
	١٩:		٣٤١
			٦٣٠
			٧١٩
٣١	٦:		٧٦٧
	٢٧:		٧٤٨
٣٢	٣:		١٦٢
	٥:	-٦	٧٤٨
	٢٨:	-٣٠	٧٤٨
	٤٣:		١٨٠
			١٨٣
			١٧١
٣٣	١:		٨٥
	٢:		٧٣٢
	٢٦:		٥٣١
٣٤	١٠:		٨٥
			٦٧٨

تسالونيكي الاولى (رسالة)

١	٦:		٦٢٥
	٩:	-١٠	٥٤٣
	٩:		٥٩٠
	١٠:		٥٥٤
٢	١٠:		٤٨٢
٣	٣:	-٤	٧١١
	١٠:		٧٩٤
	١٣:		٥٥٤
٤	٣:	-٦	٧٦٥
	١٤:		٥٥٤
	١٦:	-١٧	٥٥٤
	١٦:	-١٨	٥٨٠
	١٨:		٥٥٧
٥	٣:		٢٢٢
	٩:		٦٣٣
	١٧:		٧١٠
	١٩:		٤١٢
	٢٤:		٦٠٣

تسالونيكي الثانية (رسالة)

١	٤:	-٥	٢٦٩
			٧١٢
	٨:	-١٠	٦١٩
٢	١:	-٨	٥٥٤
	١:		٦٠٥
	٣:		٥٢

٢ ٣: ٥٨٠

تكوين (سفر)

١ ١: ١٩٢
٢: ١٠٢
٢٢: ٤٥٣
٢٦: ٥٦٢
٢٧: ١٣٧
٢٨: ٤٥٣
٣١: ٥٤٩
٥٦٩
٢ ١: -٤ ٧٤٣
٢: ٣٣٢
٣: ٤٥٣
٣ ٥: ٣١٩
٦: ٣١٣
١٦: ٣٠٦
١٨: ٣٠٦
١٩: ٣٠٦
٤ ١٠: ٧٤٧
٦٣٨
٦ ٩: ٦٤٢
١٨: ٦٤٢
٧ ١: ٦٤٢
٥: ٦٤٢
٨ ١: ٥٤٩
٩ ١: ٤٥٢
٢٦: ٤٥١
١٢ ٢: ٤٥٢
١٤ ١٨: ٤٤٥
٤٥٣
١٩: ٤٦٥
٢٣: ٤٤٩
١٥ ١: ٦٤٧
٣: ٢٧٧
٥: ٦٥٥
٧: ١٣٧
١٣: ٦٦٣
١٧ ٥: ١٣٥
١٦: ٤٥٢
١٩: ٦٥٦
١٨ ١: -٥ ٧٦٣
١٤: ٤١٦
١٩ ١: -٣ ٧٦٢
٢٥: ٤٦٩
٢١ ٩: ٦٤٨
٢٢ ١: ٦٥٦
٢: ٦٥٦
٥: ٦٥٨
٧: -٨ ٦٥٤
٩: ٦٥٣
١٦: ٣٢٠
٢٣ ٤: ٦٥٢
٦٤٩
٦: ٦٥١
٢٥ ١١: ٤٥٢
٢٧: ٧٣٨
٢٦ ٣٤: -٣٥ ٧٣٨
٢٧ ٤: ٤٥٢
٣٠: -٣٧ ١٠١
٣٢: -٣٣ ٦٥٩
٣٣: ٤٥١
٧٣٩
٢٨ ١: -٣ ٧٢٩
١: -٤ ٦٥٢
١٥: ٧٦٧

٤٧ ٧: ٤٥٣
٩: ٦٥٢
٢٩: -٣١ ٦٦١
٤٨ ٣: -٥ ٦٦٣
١٤: ٤٥١
١٥: -١٦ ٦٦٠
١٦: ٣٠٨
٧٤١
١٩: ٦٦٠
٤٩ ١: ١٣١
٢٨: ٤٥٢
٤٥١

تيطس (رسالة)

١ ٩: ٣٤٣
٩: ٦١١
٨: ٤٨٢
١٥: ٧٣٧
١٦: ٦١٩
٢ ١٣: ١٨٨
١٤٨
٥٥٤
٣ ٥: -٦ ٥٩٩
٣ ١٥: ٧٩٦

تيموثاوس الاولى (رسالة)

١ ١٠: -١١ ١٤٨
١٣: ٤١٩
٦١٨
١٧: ١٤١
٢ ٣: -٤ ٦١٢
٤: ٤١٤
٥٧٥
٥: ١٢٤
١٢٦
٥٤٤
١٠: ٦٠٤
٣ ٢: ٧٦٣
١٥: ٢٨٧
١٦: ١١٧
١٨٠
١٨٢
١٦٥
٢٣٥
٤ ٣: ٦١١
٥ ١٠: ٦٠٤
٧٦٣
١٢: ٦١٤
٦ ٦: ٧٦٨
٨: -١٠ ٧٦٧
١٣: -١٣ ٢٨٢
١٣: ٧٥٤
١٦: ١٤٦

تيموثاوس الثانية (رسالة)

١ ٨: -١٠ ٢٥٨
٩: ٢٥٠
٢ ١٩: ٤١٤
٣ ١: ١٣٢
١٠: -١٢ ٧٠٣
٤ ٦: -٨ ٧٠٣
٧: -٨ ٦٢٣
٨: ٥٥٤
٧١٧

٤ ١٠: ٦٠٥

حبقوق (سفر)

٢ ٢: -٣ ٦٣١
٣: -٤ ٦٣٢
٣ ١: ١٠٤

حجي (نبوة)

١ ١٢: -١٣ ٨٤
٢ ٥: -٧ ٧٥٠

حزقيال (سفر)

١ ١: ١١٦
٢٦: -٢٨ ١١٨
٣ ٢: -٤ ٣١٨
٤ ١: -٨ ٩٧
٩: -١٧ ٩٧
٥ ١: -٤ ٩٨
٦ ١: -٧ ٩٨
١٢ ١٢: ٩٨
٢٥: ١٠٤
٢٦: -٢٨ ١٠٢
١٤ ١٢: -٢٠ ١٣٥
١٦ ٦٠: -٦٣ ٥٠٠
٣٧ ٢٦: ٩٤
٤٣ ١١: ١٥٢

حكمة (سفر)

١ ١٣: ٢٥٧
٢ ٢٣: ٢٥٧
٢٤: ٢٥٧
٣ ١: ٢٥٧
٤ ١٠: -١٥ ٦٣٩
١٠ ٥: ٦٥٥
١٣: -١٤ ٦٦٣
١٦: ٦٦٥
١٣ ٩: ١٤٠
١٨ ١٥: -١٦ ٦٧٤

خروج (سفر)

١ ٢٢: ٦٦٧
٢ ١١: ٦٧٠
١٤: -١٥ ٦٧١
٢١: -٢٢ ٦٧١
٢٢: ٦٤٦
٢٣: ٦٧٢
٣ ١: -٢ ١٨٥
١: ٦٧٢
٧: ٧٦٣
١٠: ٢٨١
١٤: ١٤٢
١٥: ٤٥٣
٤ ٢٢: -٢٣ ١٧٤
٢٢: ٧٤٤
٨ ١٥: ٣٠٠
٩ ١٢: ٣٠٠
١٢ ٢٢: ٦٧٣
٢٣: ٦٧٤
٢٧: ٣١٩
١٢ ٤٦: ٤٧
٤٨: ٦٧٣
١٣ ١: -٢ ٧٣٠
١٨: -١٩ ٦٦٤
١٤ ١٣: -١٤ ٦٧٥
١٤: ٣٠٨
٧١١

١٤ ٢١: ٦٧٥
٣١: ٦٧٥
١٥ ١: -٢١ ٦٧٨
١٦ ٣٣: ٣٦٨
١٧ ٢: -٨ ٢٩٨
١٨ ٤: ٦٨٦
١٩ ٤: ١٥٦
٧٣٥
٥: ٥٠٨
١٨: ٧٥٠
٢٠ ٤: ٥٢١
٥: ١٣٢
٥: ٣١٨
٢٢ ٧: ٢٣١
٢٣ ٢٠: ٢٠٨
٢٠: -٢٢ ١٦٦
٢٥: ٤٥٣
٢٤ ٨: ٥٩٨
١٧: ٧٥٥
٢٥ ٨: -٩ ٤٩
١٦: -٢٢ ٥٢٠
٢٢: ٥٢١
٢٣: -٣٠ ٥١٩
٣١: -٤٠ ٥١٨
٢٦ ٣١: -٣٣ ٥١٩
٢٧ ٢٠: ٥٢٣
٢٨ ١: ٢٦٨
٣٦١
٢٩ ١٤: ٥٤
٣٠ ٧: ٥٢٣
٣٤: ٣٠٠
٣٢ ٩: -١١ ٦٧٩
٣١: -٣٤ ٣٩٨
٣٢: -٣٣ ٧٤٤
٣٣: ٢٢١
١٢١
٧٣٠
٣٣ ١١: ٦٧٢
١٣: -١٧ ١٠٥
١٤: -١٧ ٨٣
١٨: -٢٠ ١٢٨
١٨: -٢٣ ١٤٧
١٨: ٥٤٨
٣٦ ٣٥: -٣٦ ٥١٩
٣٧ ١٠: -١٦ ٥١٩
١٧: -٢٤ ٥١٨
٤٠ ١٦: ٢٨٧

دانيال (سفر)

٣ ٢٣: ٦٨٥
٤٩: -٥٠ ٦٨٥
٩١: -٩٥ ٦٨٦
٧ ١٠: ١٦٠
١٨٦
٧٤٢
١٣: -١٤ ٢٠٤
١٤: ٩٦
١٠ ١١: -١٢ ٣٠٨
١٤: ١٣١
١٢ ١: ٧٤٥

رؤيا (سفر)

١ ٥: -٦ ١٩٠
٥٣٦
٥٩١
٦: ٢٣٢

١ ٦: ٤٧٣
٣٥٥
٧: ٨- ٥٥٥
١٣: ٥٤٩
٢ ٣: ٥- ٤٢٥
٧: ٣٠٤
١٠: ٧١٠
٣ ١: ٢- ٤٣٤
١: ٣- ٧٨١
٧: ١٢- ٧٣٧
٨: ٥٩٣
١٠: ٦٢٦
١٥: ١٧- ٢٩٧
١٦: ١٨- ٣٩٥
١٧: ١٨- ٣٤٦
١٨: ٤٢٥
٢٠: ٣٤٠
٢١: ٤٩٠
٧٠٧
٤ ١١: ٢٨٨
٥ ٦: ٤٩١
٣٧٥
٨: ١٠- ٤٧٣
٩: ١٠- ١٩٠
٩: ٧٩٣
٥٧٧
٧٨٦
١٠: ٣٣٣
٤٤٥
٧٤٠
١١: ١٢- ٣٣٧
٧ ١٤: ١٥- ٥٩١
١٥: ٧٥٥
١٠ ٩: ٧٥٥
٥: ٦- ٥٠١
١١ ١٥: ١٣٥
١٢ ١١: ٣٣٩
١١: ١٢- ٢٩٣
١١: ٣٥٨
٥٩١
١٣ ٨: ٧٤٤
٧٤٤
١٤ ٤: ٧٤٥
٥: ٤٩١
١٣: ٣٣٥
١٥ ٣: ٢٨٦
٥: ٤٩١
٥٣٥
١٨ ٢: ٤٢٣
١٩ ١: ٩٦
١٠: ١٨٣
٧٧
١٦: ٢٣٣
٤٩٠
٢٠ ٤: ٦- ٢٣٣
٤: ٦- ٤٧٣
٩: ١٠- ٧٥٦
٢٠ ١١: ١٩٧
٧٥١
٢١ ٩: ١٩٥
٧٥١
٢: ٣- ٥٣٥
٣: ٤- ٧٣٦
٣: ٥- ٥٣٧
٤: ٥٣٦
٥: ٥٠٠

٢١ ١٠: ٢٦- ٧٣٧
١٠: ١١- ٦٤٧
١٤: ٧٣٧
٢٢: ٥٣٥
٢٣: ١٤٨
٣٣٦
٢٢ ٣: ٥٤٣
١٣: ٤٧
٢٠: ٦٣١
٥٥٥
٥٧٨

روميـة (رسالة)
١ ١: ٢٤٣
٤: ١٧٥
١٦٨
٣٦٩
٣٨٦
٣٧٨
٨: ٧٨٣
١٦: ٣٣٩
٢٨: ٣٠٠
٦١٣
٧٤٨
٣٠: ٦١٨
٢ ٤: ٤٣٧
٦: ٨- ٢٣٦
٧: ٦٢٠
١٠: ٢٣٦
١٦: ٢٢١
٢٩: ٢٧٨
٣ ٣: ٤- ٣٣٣
٢٠: ٧٣
٢٣: ٣٢٧
٢٤: ٢٥- ٥٣٩
٢٥: ٧٣
٢٧: ٤٩٧
٤ ١٣: ١٣٦
١٧: ١٣٥
٤٩٣
١٧: ٢٤- ٦٥٧
٢٢: ٢٤- ٣٧١
٥ ١: ١٢٠
١: ٢- ٣٩٣
٢: ٣٩٣
٣: ٧٨٣
٤: ٥- ٤٣٠
٦: ٤٠٣
١٠: ٥٤٧
١٤: ٢١٨
١٥: ٤١١
١٩: ٢١٨
٧٣
٦ ٤: ١٤٨
٤: ٣٦٩
٤: ٥- ٤٠٣
٦: ٣٠٩
٩: ١٧٥
٧ ١٢: ٢٢١
١٩: ٢٣- ٣١٣
٨ ١: ٥١٣
٣٤٦
٣: ٤٩٧
٢٤٩
٢٥٦
٤: ٩- ٥٩٩

٨ ١٠: ٤٩٧
١٤: ١٧٩
١٥: ٢٥١
١٦: ١٧- ١٣٩
١٦: ١٧٩
٢٥١
١٦: ١٧- ٥٤٧
١٧: ١٦٨
٢٨٤
٣٦٩
٧٢٠
٧٠٨
٦٩٤
١٨: ٢٦٩
٢٤: ١٣٣
٤٣٤
٢٤: ٢٥- ٢٩٣
٢٩: ١٧٣
٢٥٠
٢٤٠
٥٣٩
٥٧٤
٧١٥
٦٥٤
٣٤: ٢٠٣
٢٣١
٤٧٨
٣٦: ٢٤٣
٩ ٤: ٣٥
٤: ٥٢١
٥: ١٨٨
٣١: ٤٩٧
١٠ ٤: ٩٥
٤: ٢٨٩
٨: ٤١٣
٣١: ٢٣٢
٣٢٦
٥٠٧
٧٣٣
٣٦: ١٥٧
١١ ٩: ٢٢٠
١٧: ٢٤- ٥٨١
٢٥: ٢٦- ٥٨١
٢٩: ٤٤٧
٣٢: ٣٣- ٢٤٦
١٢ ١: ٣٤٦
٥٧٠
٧٢٥
٥٧٧
٧٧٥
٢: ٣٤٢
٣٣٠
٤: ٥- ٦٠٣
١٩: ٦١٩
١٤ ١٧: ٧٧٤
١٥ ١٦: ٥٨٣
٧٧٦

زكريا (نبوة)
١ ١: ٦٩١
٤: ٦- ٨٤
٦ ١٢: ١٣- ٢٠٥
٧ ١١: ١٣- ٨٠
٩ ٩: ١١- ٧٩٣

سيراخ (يشوع بن)

٧ ٣٠: ٣٣- ٧٨٧
٤٤ ١٩: ٢١- ٦٤٣
٢٠: ٦٥٦
٦٥٥
٤٥ ١٥: ٤٥٢
٤٦ ١٣: ٢٠- ٦٨٤
٤٩ ٨: ٥٢١

صموئيل الأول (سفر)
٢ ٣٠: ٤٥١
٣٠: ٦٥٣
٧٥٧
٤ ٤: ٥٢١
٩ ٩: ٨٣
١٠: ١٤- ٨٥
١٣: ٤٥٣
١٥: ١٦- ٨١
١٢ ١: ٥- ٦٨٤
١٤ ٦: ٦٨٣
١٥ ٢٢: ٥٦٥
١٦ ١٤: ٤١٢
١٩ ١١: ١٢- ٦٨٦
٢٨ ١١: ١٤- ٣٣٤

صموئيل الثاني (سفر)
٥ ١٧: ٦٨٣
٦ ١٨: ٤٥١
٧ ١٣: ١٤- ١٧٨
١٧١
١٣: ١٨٤
٨ ٢: ٦٨٣
١٥: ٦٨٤
١٠ ١٢: ٦٨٣
٢٣ ١: ٥- ٦٨٥
٢٤ ١١: ١٢- ٨٣
١٤: ٦٣٠

طوبيا (سفر)
٣ ١٧: ٧٦٢

عاموس (نبوة)
٣ ٧: ٨- ٨١
٧: ١٢٣
٥ ٢١: ٢٤- ٥٦٥
٢٥: ٢٧- ٦٧٩
٧ ١٢: ١٣- ٨٢
١٤: ١٥- ٨١

عبرانيين (رسالة)
١ ١: ٢- ٤٤
٤٧
١: ٦٩
٢: ٦٩
٢: ٣- ١١٩
٣: ٧٠
٣٩١
٥٦٧
٣: ٢٠٣
٧٠
١١٨
٤٩٠
٧٥٤
٤: ٨- ٥٦
٤: ١٣٧

١	٥:		١٣٢
			٢٠٣
	٦:		١٣٢
			٧٠
			٧٥٤
	٧:		٥٢١
	٨:		١٣٢
			١٦١
			٧٤
			٤٣٦
	٩:		١٣٢
			٧٥٤
	١٠:	١٣-	٥٦
	١٠:	١٢-	١٣٢
	١٣:		١٣٢
			٣٧٢
	١٤:		١٣٧
			١٨٣
			١٨٦
			٧٤٣
			٧٥٤
٢	١:	٣-	٣٧
	١:		٣١
	١:	٣-	٥٦
	٢:		١٦٦
			١١٣
			٦٢٧
	٣:		٤١
			٢٤٩
			٢٣٨
	٥:		١٦٧
			٢٧٣
			٥٩٦
			٧٣٩
	٦:	٧-	١٢٣
	٩:		٧٠
	٩:	١٠-	٥٦
	٩:	١٧-	٢٧٣
	١٠:		٤٨٠
			٢٥٣
			٥٩٠
	١٢:		١٢٣
			٧٥٤
	١٣:		٢٤٥
	١٤:		٥٦
	١٤:	١٥-	٢٤٨
	١٤:		٤٦٨
			٢٤٧
	١٧:		١٥٨
	١٧:	١٨-	٢٥٣
	١٧:		٤٧٧
	١٧:	١٨-	٢٨٤
	١٧:		٢٤٨
			٢٨٣
			٤٨٦
			٧٥٤
	١٨:		٢٠٣
			٥٦
			٦٥٦
٣	١:		٣٩
			٣٢
			٣١
			٤٩٧
			٢٩٩
			٦٠٠
	١:	٣-	٧٥٤
٣	٢:	٦-	٧٣٩
	٣:	٦-	٥٥
	٣:		٥٦
	٥:		٦٦٥
			٧٥٤
	٦:		٣٧
			٧٤
			٤٩٢
			٥٣٦
			٣٥١
			٣٣٧
			٢٨٨
			٥٩٦
			٧٢٥
			٦٠٠
			٦٠١
	٧:	١٩-	٥٨
	٧:	٩-	١٢١
	١٢:	١٤-	٣٧
	١٢:		٣١
			٣٠٠
	١٢:	١٣-	٧٢٦
	١٣:		٧٥٤
			٧٢٦
	١٤:		١٥٢
			٦٠٠
	١٥:		٣٣٤
٤	١:		٣٣
			٥٩
			٣١
			٣٧
	٢:	٣-	٥٨
	٢:	٦-	١٢٠
	٩:	١١-	٤٥
	٩:		٣٣٢
			٥٧٨
	١٠:		٥٨
			٣٣٢
			٥٧٨
	١١:		١٢١
			٥٩
			٣٧
			٣٢
			٣٠٧
	١٤:		١٦٢
	١٤:	١٦-	٣٧
	١٤:		٥٦
	١٤:	١٥-	٢٨٣
	١٤:		٧٥٤
	١٤:	١٦-	٥٩٠
	١٤:		٦٠٠
	١٥:		٢٠٣
			٢٨٢
			٢٦١
	١٥:	١٦-	٢٦٥
	١٥:	١٦-	٤٧٨
	١٥:		٢٦٩
			٤٨٦
			٤٨٠
			٢٦٢
			٢٦٥
			٢٦٤
	١٦:		٥٧
			٥٢٣
			٧٥٤
	١٧:		٢٠٦
٥	١:		٣٢
	١:	٤-	٦١
	٢:		٣٦١
	٥:	١٠-	٦١
	٥:		٤٨٦
			٣٦٧
	٦:		٢٨٣
	٨:	٩-	٧٣
	٨:		٤٨٦
	٩:		٥٧
			٢٤٨
			٥٣٨
	١٠:	١١-	٣٩
	١٠:		٢٨٣
	١١:	١٢-	٧٢
			٥٧
			٣٦
	١٢:		٣٩
٦	١:	٢-	٣٩٣
	٢:		٣٧٣
	٤:	٦-	٣١
			٣٢٨
	٤:		٣١٥
	٤:	٦-	٣٢٧
	٤:		٣٧٩
			٥٧٦
	٤:	٦-	٦١٧
	٦:		٣٧
			٦١٦
	٧:	٨-	٣٢٥
	٩:		٣٩
	٩:	١٠-	٣٢
	٩:		١٦٦
	١٠:		٣٦
	١٠:	١١-	٦٠١
	١٠:		٦٢٤
			٧٥٤
	١١:	١٢-	٣٨
	١١:		٣٩
			٣٩٣
	١٢:		١٣٧
	١٣:	١٤-	٣٢٠
	١٦:	١٧-	٣٢٠
	١٧:		٤٧٣
	١٨:	٢٠-	٦٤
	١٨:		٤٠٩
			٤٢٨
	١٨:	٢٠-	٣٩٣
	١٨:		٦٠١
	١٩:		٢١٥
	٢٠:		٤٤١
			٣٣١
			٣٨٣
			٥٩٣
٧	١:	٣-	١٢٢
			٦٠
			١٤٤
	٢:		٤٦٢
	٣:		٢٠
			٤٤٧
	٦:	٧-	٥٩
	٧:		١٦٦
	١١:	١٧-	٦١
	١١:		٣٦٨
	١٣:		٢١٥
	١٥:	٢١-	٢٨٣
٧	١٦:		٤٨٦
	١٧:		٣٧٣
	١٨:	١٩-	٦٢
	١٨:		٦١٤
	١٩:		١٦٦
			٤٣٦
			٣٥٦
			٥٨٣
			٦٠١
	٢١:	٢٥-	٦٢
	٢١:		٥٠
	٢١:	٢٢-	٤٨٦
	٢١:		٣٢٠
	٢٢:		٤٦
			١٦٧
	٢٣:	٢٤-	٥٠
	٢٣:	٢٥-	٤٨٦
	٢٤:	٢٦-	٥٧
	٢٤:	٢٥-	٦٦
			١٩٨
	٢٥:		٢٦٤
			٣٥٥
			٥٨٢
	٢٦:	٢٨-	٦٣
	٢٦:		١٦٣
			٤٩٤
	٢٦:	٢٨-	٣٦٦
	٢٦:		٤٨٦
			٢٨٣
	٢٧:		٣٥٤
			٤٨٦
			٤٠٦
	٢٨:		٥٠
			٢٠٣
			٥٠
			٤٤٠
٨	١:		٦٢
			١٦٠
	١:	٣-	٥٧
			٦٤
	١:		٢٠٣
	١:	٣-	٤٩٤
	١:		٣٥٧
	١:	٣-	٥١٧
	٢:		٥٣٤
			٤٩٦
			٤٨٦
			٧٥٤
	٤:	٥-	٤١
	٤:		٤٩٦
	٥:	٦-	٤٩
	٦:		١٦٧
			٥٠٤
			٧٥٤
	٨:		١٢١
	٨:	٩-	٢٣٣
	٨:		٥١٤
	٩:		١٢٠
			٢٦١
			٧٣٣
	١٠:		٤٩٨
	١٢:		٤٩٧
			٥٤٤
			٥٦٤
	١٣:		١٩٩
			٧٥٢

٨	١٣:		٥٩٤
٩	٧:		٤٠٦
	٩:		٥٠
	٩:	١٠-	٧٠
	٩:		٤١
			١٢٣
			٥٨٣
	١١:		٥٠
	١١:	١٢-	٦٤
	١١:		٧٠
			٤٩٣
			٢٨٣
			٤٨٦
			٥١٧
	١٢:		٤٠٦
			٣٧٥
			٤٩٣
			٤٨٦
			٥٩٣
	١٣:	١٤-	٦٥
			٦٣
			٥٩٩
	١٤:		٤٨
			٧١
			٤٠٠
			٣٠٤
			٤٨٦
			٣٧٥
			٧٤٧
			٧٢٠
	١٥:		٣٦٨
	١٧:		٢١٧
	١٨:	٢٠-	٧٤٧
	١٩:		٥٩٨
	٢٢:		٦٧٣
	٢٣:		١٦٧
			٢٧٩
	٢٤:	٢٦-	٥٧
	٢٤:		٦٤
	٢٤:	٢٦-	٦٦
	٢٤:		٤٩
			٣٥٠
			٥١٧
	٢٦:	٢٨-	٤٠٧
	٢٦:		٦١٤
	٢٨:		٦٣
			٧٧٧
١٠	١:		٤٩
	١:	٣-	٦٢
	١:	٣-	٤٣
	١:	٤-	٤٨
	١:		٧٣
			١٢٤
			٣٥٥
			٥٨٣
	٢:		٤٠٧
	٤:		٦٢
			٢٠٣
			٤٠٩
	٥:		٦٣
			١٨٠
	٥:	٧-	١٢٣
	٥:	١٠-	٤٨
	٥:	٧-	٢٨٤
	٥:		٤٨٦
			٢٨٣
١٠	٥:		٣٤٨
	٧:	١٠-	٦٣
	٨:		٦٣
	١٠:		٦٦
			٥٧
			٤٠٧
			٥٨٤
			٥٩٦
			٥٨٣
			٧٢٠
	١١:		٦٣
			٣٦٥
	١٢:	١٤-	٦٣
	١٢:		١٦٠
	١٢:	١٣-	٣٠٣
	١٢:		٥٧
	١٢:	١٤-	٣٤٩
	١٢:		٣٦٦
	١٢:	١٣-	٤٨٩
	١٢:		٣٧٣
	١٤:		٦٦
			٥٧
			٧٥٤
	١٥:	١٧-	٦٣
	١٨:		٥٨٤
	١٩:	٢٣-	٦٤
			٣٢
			٥٧
			٦٦
			٤٧٧
	١٩:	٢٣-	٤٣٧
	١٩:		٢٥٥
	١٩:	٢١-	٤٧٣
	١٩:	٢٠-	٣٣١
	١٩:		٥٣٧
			٣٢٢
			٧٥٤
			٦٢٧
	٢١:		٢٨٣
			٧٣٩
	٢٢:		٣٥٥
			٤٠٣
			٧٥٤
	٢٣:		٣٨
			٥٧
			٢٩٣
			٣٥١
			٢٨٣
	٢٤:		٢٨٠
			٧٣٦
	٢٥:		٧٣
			٣٦
			٤٢
			٣١١
			٧٥٤
	٢٦:	٢٧-	٤١٠
			٧٥٥
	٢٧:		٦٢٠
	٢٨:	٣١-	٢١
	٢٨:		١٥٨
			٢١٣
			٤٢١
			٣٦٣
			٤٨٤
			٥٢٤
	٢٩:		٣١٦
١٠	٢٩:		٣٧
			٦١٤
			٦٧٣
	٣١:		٣١٨
			٥٠٣
			٧٣١
	٣٢:	٣٤-	٣٨
			١٨
	٣٢:		٤٠٩
	٣٢:	٣٤-	٤٢٣
	٣٤:		١٦٧
			٣٦
	٣٥:		٣٩
			٣٧
	٣٥:	٣٦-	٣٠
	٣٥:		٣٢٠
	٣٥:	٣٦-	٦٣٤
	٣٦:		٣٨
			٤٢٦
	٣٨:	٣٩-	٣١
	٣٨:		٥٠٣
			٦٢٤
	٣٩:		٣٧
١١	١:		٥٣
	٢:		٥٣
	٣:		١٠٣
			١٤٠
	٣:	٤-	٦٤١
	٤:		٧٠٠
	٦:		٥٣
			٣١٩
			٣٥٥
			٤٠٩
			٦٢٧
	٨:		٣٦٧
			٥٠٣
	١٠:		٧٣٩
			٧٣٨
			٧٣٦
			٥٩٦
			٦١٣
	١٣:	١٦-	١٢٣
	١٣:		٥٣
			٣٣٣
			٣٠٧
	١٣:	١٦-	٦٣٧
	١٦:		١٦٧
			٥٣
			٢٧٩
			٧٣٩
	٢٦:		٢٣٠
			٦٢٧
	٢٧:		٢٤٠
	٣٥:		١٦٧
	٣٥:	٣٨-	٥٣
	٣٩:		٥٣
	٣٩:	٤٠-	١٢٠
	٣٩:		٣٣٣
	٤٠:		١٦٧
١٢	١:		٥٣
			٢٨
	١:	٢-	٦٢٩
	١:		٦٣٤
	٢:		٢٠٣
			١٦٠
	٢:	٣-	٥٤
١٢	٢:	٥-	٣١
	٢:		٢٤٦
			٦٧٠
			٧١٨
	٣:	٤-	٣٨
	٣:		٣٩
			٧١
			٦٣٠
	٧:		٣٩
	١٠:	١١-	٧١٣
	١١:	١٢-	٢١
	١٢:		٣٨
	١٤:		٧٤٦
	١٦:	١٧-	٤١٨
	١٧:		١٣٧
	١٨:	٢٣-	٧٣
	١٨:	٢٤-	٦٥
			١٣٨
	١٨:		٣٥٥
	١٨:	٢٤-	٣٧٩
	١٩:	٢٠-	٧٤٧
	٢٢:		٣٥٥
	٢٢:	٢٤-	٧٣٩
	٢٣:		٥٩٦
	٢٤:		١٦٧
	٢٥:		١١٥
	٢٦:		١١٥
	٢٦:	٢٧-	٤٠٧
	٢٨:		٧٥٤
			٧٣٩
	٢٩:		٤٢١
١٣	٣:		٣٨
			٦٢٤
	٧:		٤١
			٣٢
			٣٨
	٨:		٣٠١
	١٠:		٦١
			٤٢
			٦٠
	١٢:	١٤-	٥٤
	١٢:		٧٤٧
	١٣:		٦٥
			١٥٦
	١٣:	١٤-	٤٣
	١٤:		٥٣٢
			٧٣٩
			٧٣٦
	١٤:		٥٩٦
	١٥:		٧٢
			٦٥
	١٩:		٣٩
	٢٠:		٣٤٩
			٣٧٥
	٢٢:		٤٧
			٤٣٢
	٢٣:		٣٩
			٤٠٣
	٢٤:		٣٦

عدد (سفر)

٦	٢٣:		٤٥٢
	٢٤:	٢٦-	٤٥٢
	٢٧:		٤٥٢
٧	٨٩:		٥٢١
٨	١٧:		٧٣٠

١١	١:		٧٥٥
١٢	٥:	-٨	٩٣
	٥:		٢٩٠
	٦:	-٨	١١٨
	٦:	-٧	٢٨٥
	٦:	-٨	٦٧٢
	٧:		٢٨٩
	٧:		٢٨٧
	٨:		١٢٨
١٤	٢:	-٣٠	٢٩٩
	١١:		٣٠٥
	١١:		٣٠٢
	١١:		٦٧٨
	١٩:	-٣٢	٣٠٣
	٢٠:		٥١٢
	٢١:	-٢٢	٣٠٥
	٢٢:		٦٧٨
	٣٢:	-٣٤	٢١٨
	٤٢:		٣١٩
١٥	٣٠:	-٣١	٣٦٣
	٣٠:		٣٦٥
١٨	٧:		٣٦٧
٢٠	١٠:		٣٨٨
	١٦:		٣٠٩
٢٢	٦:		١٠٣
	١٨:		٨٣
	٢٢:	-٣٥	٦٧٤
	٣٨:		٤٥١
٢٣	١٢:		٨٣
	٢٦:		٤٥١
٢٤	١٣:		٤٥١
	١٤:	-١٧	٨٣
	١٧:		٤٦٩

عزرا الرابع (ابوكريفا)

٨	٦٢:		٣٣٥

غلاطية (رسالة)

٢	١٢:		٣١
	٢٠:		٢٤١
			٢٤٣
			٣٨٢
			٥٧٦
٣	١٠:		٤٩٧
	١٣:		٢٤٢
			٧٨٠
	١٩:		٢١٧
			١٦٦
			٤٩٧
			٥٤٤
	٢٤:		٩٥
	٢٤:	-٢٥	٢٨٩
	٢٧:		٤٠٢
	٢٩:		١٣٦
٤	٤:		٢٨١
			٢٥٥
	٩:		٥٤٨
	٢٤:	-٢٦	٧٣
	٢٦:		٦٤٧
			٧٣٦
٥	٤:		٧٢٦
	٢٣:		٤٢٧
٦	١:		٧٩٤
	٧:		٦٢٠
	١٤:		٧٧٨

فيلبي (رسالة)

١	٦:		٢٤٣
	٢١:		٤٣٤
	٢٣:	-٢٤	٦٤٠
٢	٦:	-١١	١٩١
	٦:		١٦١
	٧:	-١١	٧٠٧
	٨:	-١١	١٦٨
	٨:	-٩	٣٦٩
	٨:		٧١٠
	٩:	-١١	١٨٣
	١٠:	-١١	٢٨٨
	١١:		١٧٣
	١٣:		٧٩٤
	١٧:		٧٧٦
٣	٥:		٣٤
	٦:		٥٠٦
	١٢:	-١٤	٣٩٩
	١٨:	-١٩	٦١٥
	٢٠:		١٦٣
			٤٨٩
	٢٠:	-٢١	٥٥٧
	٢٠:	-٢١	٥٥٥
	٢١:		٢٣٦
			٣٣٨
			٥٩٥
٤	٣:		٧٤٥
	١١:		٧٦٨
	١٣:		٧٤٣
			٧٢٣

قضاة (سفر)

٦	١١:	-٢٤	٧٦٢
	١٢:	-١٦	٦٨٧
١٣	٣:	-٢٠	٧٦٢

كولوسي (رسالة)

١	١٦:		١٤٩
	١٥:	-١٦	١٩١
			١٧٣
			١٤٣
			٥٧٠
	١٦:	-١٧	١٥٧
	١٦:		١٤٠
			٣٨٣
	١٧:		١٦١
			١٤٢
			١٣٩
			٣٤٦
			٧٨٣
	١٨:		١٧٣
			١٧٦
			٢٥١
	٢٠:		٢٠٥
	٢٣:	-٢٣	٢٩٣
	٢٤:		١٣٣
			٧١٧
	٢٧:		٤٣٤
			٦٠٢
٢	٨:		٣٠٩
	٩:		١٨٢
			٢٥٦
	١٠:		٢٥٤
	١٣:	-١٥	٢٦٠
			٧٧٨

٢	١٤:	-١٥	٣٥٨
	١٧:		٤٩
٣	١:		١٦٣
			٣٠٣
	٣:	-٤	٥٥٤
	٤:		٢٣٦
			٣١٦
	٩:	-١٠	٥٠٠
	١٠:		٢٣٦
	١٩:		١٤٩
	٢٤:		٢٢٠
	٢٥:		٢١٩
٤	١٠:	-١١	٣١

كورنثوس الاولى (رسالة)

١	٩:		٢٤٧
			٦٠٣
	٢٠:		١٤٠
	٢٤:		١٣٩
			٣٨٣
	٢٥:		٣٨٣
٢	٦:		١٤١
	٩:	-١٠	٦٣٥
	١٠:		٥١١
			٤١٢
	١٢:		٦٣٦
	١٦:		٥٠٦
			٥٩٥
٣	٨:		٣٣٦
	١٣:	-١٥	٧٥٧
٤	١:	-٢	٧٨٩
	٥:		٢٧٨
			٥٥٥
	٩:		٦٢٣
	١٥:		١٧٨
٥	٧:		٦٧٢
٦	٢:		٢٢٢
	٩:	-١١	١٥٩
	٩:	-١٠	٧٦٥
	١١:		٦١٧
			٧٢٠
	١٧:		٧٢٥
٧	٣١:		٧٥٢
٨	٢:	-٣	٥٤٩
	٧:	-٩	٧٧٣
٩	١٣:	-١٤	٧٧٦
١٠	١:	-٤	١٢٤
	٤:		٢٩٨
	٥:	-٦	٣٠١
	٧:	-٨	٣١٩
	١٠:	-١١	١٢١
	١٠:	-١١	٢٩٥
	١١:		٢١٩
	١٣:		٦٢٦
١١	٢٥:		٥٤٤
	٣٢:		٣٠٥
١٢	٣:		٧٠٨
	٢٧:		٣٣٩
١٣	١:		٤١٤
	٥:		٤٨٢
			٦٠٤
	٨:		٤١٤
	٩:	-١٢	١١٤
	١٢:		٥٤٩
	١٣:		٦٠٣
١٤	٣٢:		٧٠١
١٥	١:	-٢	٥٨٤
	١٠:		٣٥٨
	٢٥:		٣٧٣
	٢٥:	-٢٦	٥٥٣
	٢٦:		٢٠٦
			١٦٢
			٢٥٧
			٥٨٠
	٣٦:	-٣٨	١٩٧
	٤٥:	-٤٧	١٣٩
	٤٥:		٥٤٢
	٥٠:		٧٧٦
	٥١:		٥٥٧
	٥١:	-٥٥	٥٨٠
	٥٥:		٢٤١
			٣٦٠
			٢٥٧
	٥٦:		٢٥٧
	٥٦:	-٥٧	٢٥٨
	٥٧:		٢٥٨

كورنثوس الثانية (رسالة)

٢	١٤:		٣٣١
			٧٠٥
			٧٨٠
			٥٩٠
٣	٣:		٥٠٤
	٤:	-٦	٥٤٤
	١٨:		٦٣٩
			٧٠٨
			٧٠٥
٤	٢:	-٤	٣٩٤
	٣:	-٦	٣١٥
	٤:		١٤٣
	٦:		١٤٨
			٤١٠
	٩:		٦٠٥
	١٧:		٦٢٨
			٧٢١
	٤٥:		١٤٨
٥	٦:	-٨	٦٥١
	٧:		٦٤٤
	١٧:	-١٩	٥٣٩
	١٧:		٥٠١
			٧٥٢
	١٩:		١٥٨
			٥٧٠
٦	١:		٧٢٦
	٢:		٣١٢
	١٠:		٧١٧
	١٦:	-١٨	٥٠٥
			٥٠٢
	١٧:		٧٧٥
٩	٤:		١٥٣
	١٣:		٢٨٢
١٠	٤:	-٥	٦٧٩
١١	٢:		٢٤٣
			٥٥٠
	٣:		٣١٣
			٣١١
			٦١٦
	١٧:		١٥٣
			٥٠٦
	٢٢:		٢٤

١١ ٣٩: ٧٠١
٣٠: ٧١٧
١٢ ٢: ٣٥٠
٧: -١٠ ٧١٣
٩: ٧١٧
٦٨٧
١٠: ٧١٧
١١: ٣٣٧
١٣ ٤: ٣٨٢
٥: ٢٧٨
٤٠٢
١٤: ٧٩٦

لاويين (سفر)

١ ٥: ٥٢٤
٧ ١١: -١٣ ٧٨٢
٨ ١: -١٢ ٣٦٧
٩ ٧: ٣٦٦
٢٢: ٤٥١
٤٥٣
٩ ٢٣: ٤٥٣
١٤ ٤: -٨ ٥٩٨
١٦ ٢: ٥٢١
١٢: ٥٤٨
١٢: -١٥ ٥٢٤
٢٧: ٧٧٧
١٧ ١١: ٥٢٤
٢٠ ٢٤: ١٣٧
٢١ ١٠: ٣٤٩
١٧: ٣٥٥
٢٢ ٣: -٤ ٣٥٥
٢٤ ٥: ٥٢٣
٩: ٥١٩

لوقا (إنجيل)

١ ١: -٢ ٣٢٤
٩: ٥٢٣
٢٦: ٧٤٢
٣١: -٣٢ ٤٦٩
٣٢: ٤٤٩
٣٤: -٣٥ ٢٠٩
٣٥: ٤٤٩
٣٧: ٤١٦
٦٧: -٧٣ ٤٩٩
٧٤: -٧٥ ٤٨٢
٧٨: ٤٦٩
٢ ٧: ١٧٢
٩: -١٤ ١٧٣
١١: ١٨١
١٤: ١٨١
٩٤
٢٥: -٣٢ ٩٣
٣٠: ٤٩٩
٣٦: -٣٨ ٤٩٩
٣ ٤: -٦ ٧٢٣
٨: -٩ ٧٢٣
٩: ٤٠٥
٢١: -٢٢ ١٧٦
١٧٧
٤ ١: -٢ ٣٥٣
١: ٤١١
١٣: ٣٥٤
٦ ٢٢: -٢٣ ٦٢٤
٢٣: ٦٢٧
٤٥: ٣٠٣
٧ ١٢: ٦٥٧
٨ ٦: -٨ ٧٢٧
٤٢: ٦٥٧
٩ ٣٠: -٣١ ٦٦٤
٣٨: ٦٥٧
١٠ ١٦: ٣٢٦
٢١: ٥٠٦
٣١: ٥١١
١١ ٢٠: -٢٢ ٣٥٨
٥٠: -٥١ ٦٩٣
١٢ ١٠: ٤١٥
٤١٦
٢٤: -٢٧ ٢٨٠
٣٣: ١٩٩
٤٨: ٤٣٠
٤٩: ١٨٥
١٣ ٥١: ٥٣١
١٤ ٢٧: ٤٦٠
١٦ ١٦: ٧٤٣
٢٣: ٧٤٢
١٧ ٢١: ١٣٣
٣٦: -٣٧ ٦٤١
١٨ ١: ٧١٠
٨: ١٩
٣٧: ٤١٦
١٩ ١٠: ٣٨٠
٢٠ ٢٤: ١٥٠
٤١: -٤٤ ٢٠٣
٢١ ١٩: ٦٢٥
٦٣٢
٢٠: -٢٤ ٦٠٧
٢٤: ٥٧٩
٥٨١
٢٦: ٧٥١
٢٧: ٥٥٣
٢٢ ١٩: ٥٦٤
٣٢: ٤٧٨
٣٥: ٧٦٨
٤٢: ٦٣٠
٤٨: ٣٦٤
٢٣ ٣٦: ٧٧٩
٣٤: ٢٠٥
٤١٦
٣٥: -٣٧ ٤٧٥
٢٤ ١٨: ٦٤٥
٢٥: -٢٧ ١٣٣
٧٧
٣٦: ٧٠٨
٣٧: ٢٨٩

متى (إنجيل)

١ ٥: -١٦ ٦٨١
٢٣: ٥٣٥
٢ ٢٣: ٤٧
٣ ١: ٥٣١
١١: ٧٥٥
١٧: ١٩٠
٤ ١: ٣٥٣
٣: ١٧٧
١١: ٧٤١
١٧: ٧٨
٧٤٠
٥ ٥: ١٣٨
٨: -٩ ٧٢٤
١٠: -١٢ ٧١٩
١١: -١٢ ٧٨٠
١٣: ٦١٦
٥ ١٧: ١٢١
٦٩
١٨: ٧٥١
٢١: ٢٨٦
٢١: -٢٧ ٥٢٩
٢٨: ٣٤٥
٣٣: -٣٤ ٩٥
٤٤: ٢٠٥
٦ ٢٨: ٢٨٠
٢٩: ١٩٨
٣٠: ١٩٨
٧ ٦: ٦١٦
٢١: ٤١٤
٢٢: -٢٣ ٤١٣
٩ ١٧: ٥٠٠
١٠ ١٩: -٢٠ ٢٢٦
٣٣: ٦١٣
٣٩: ٢٢٢
١١ ١٥: ١٢٤
٢٠: ٦٢٣
٢٨: -٣٠ ٣٥٢
٢٨: ٣٣٢
٥٧١
٢٩: ١٢٨
١٢ ٣٦: ٣٣٩
٤٩: -٥٠ ٢٥١
٢٥١
٢٩١
١٣ ٩: ٣٠٤
١٦: ٣٣٠
٣٥: ٤٧
١٥ ١٣: -١٤ ٢٠٦
١٩: ٣٠٣
٢٢: ٦٨٥
٢٤: ٢٨١
٢٨: ٦٨٨
١٦ ١٨: ٧٣٨
٧٣٧
٢٢: ٢٤٥
٢٦٨
٢٥: ٣٣٢
٢٧: ٥٥٣
١٨ ١٠: ٧٤١
٢٠: ٢٥٣
٦٠٥
١٩ ٣: -٦ ٧٦٥
٩: ٧٦٥
٢٨: ١٦١
٢٨: ٣٥٧
٢٨: ٥٣٩
٢٩: ٢١٩
٢١ ٤: ٤٧
٩: ٦٨٥
٣٧: ٢٩١
٣٨: ١٣٧
٢٢ ٤: -٨ ٢٢٣
١٣: ٢٥٧
٣٠: ١٥٠
٤١: -٤٥ ٣٠٣
٤١: -٤٥ ١٨٧
٤٢: -٤٤ ٣٧٣
٢٣ ٣٥: ٦٣٨
٣٧: ٦٩١
٣٨: ٧٧٨
٢٤ ٧: -١٢ ١٣١
١٢: -١٤ ١٩
٢٤ ١٤: ٧٥١
٥٧٩
٥٨١
٢١: ٦٠٧
٢٧: ٥٥٣
٣٠: ٥٥٣
٣٥: ٣٠١
٦٨
٤٥
٧٤٠
٣٦: ٥٨٠
٢٥ ٦: ٢٥٣
١٠: ٥٤٩
٢١: ٣٣٦
٧٠٤
٣٤: ١٣٩
٣٥: -٣٦ ٧٦٣
٣٥: ٧٦٣
٣٩: -٤٠ ٦٢٤
٢٦ ٢٧: -٢٨ ٣٤٨
٢٨: ٤٧٤
٢٩: -٣٠ ٢٥٢
٣٨: ٢٩٤
٥٠: ٣٠٥
٥٣: ٧٤٢
٢٦ ٦٤: ٣٠٤
٣٧٣
٢٧ ٣٥: ٤٧
٤٠: ٧٠٩
٤٦: ٢٤٢
٣١٨
٦٠٥
٦٥٤
٧١٥
٥١: ٥٣٦
٢٨ ١٨: ١٦١
١٨: -١٩ ٣٤٢
١٨: -٢٠ ٣٧٨
١٨: ٣٥٧
١٨: ٣٥٧
٢٠: ٣٠١
٢٠: ١٣٤
٢٠: ٤٢٤
٢٠: ٦٠٥

مرقس (إنجيل)

١ ١٢: -١٣ ٣٥٣
١٥: ٤٠١
٢ ٢٥: -٢٦ ٥١٩
٣ ٢٨: -٢٩ ٧٣٠
٢٨: -٢٩ ٦١١
٢٩: ٤١٦
٦١٨
٤ ١٦: -١٧ ٤١٣
٥ ٢: -٧ ٤٤٩
٨ ٣٤: ٧٧٨
٣٨: ٥٥٣
٩ ٤٩: ٢٤٢
١٠ ١٣: ٥٠٣
١٢ ١٦: ١٥٠
٢٥: ٧٤٢
٧٤٣
٣٥: -٣٧ ٣٠٣
١٣ ١٣: ٢٩٣
٢٤: -٢٦ ٧٥١
٢٦: ٥٥٣

١٢	٣١		٧٥١
١٤	٢٤		٥٠٥
			٥٦٣
	٥٨		٥٣٤
	٦٣	-٦٤	٢٠٤
١٦	١٦		٦٧٣
			٧١٩
	١٧	-١٨	٢٢٧
	١٩		٣٧٣
	٢٠		٢٢٥
			٢٢٧

مراثي ارميا (سفر)

٣	٢٢	-٢٣	٣٣٠
٣	٣٣		٣٩٩

مزامير (سفر)

٢	٦	-٨	١٧١
	٦	-٨	٣٦٩
	٦		٧٣٥
	٧		٣٦٩
	٨		١٣٦
			١٣٥
			١٣٨
٤	٦		٤٥٢
٨	٢	-٦	١٣٦
	٣	-٨	٢٢١
	٦		١٥٧
١٨	١٠		٥٢١
٢١	٣		٤٩٠
	٩		٧٥٥
٢٢	٢٢		٢٥٢
٢٣	٤		٧٨٢
٢٩	١	-٢	٢٣٦
	٧		٧٥٥
٣٢	٨		٢٠٨
٣٣	٥		٤٥٥
	٦		١٠٣
٣٤	١		٤٥٣
	٨		٣٣٠
٣٥	١١	-١٥	٧٦٤
٣٦	٩		٧٠٨
٣٧	٧		٢٠٩
	٢١		٤١٩
	٢٢		١٣٨
	٢٣	-٢٤	٧٢٣
٣٩	١٢		٦٥١
٤٠	٦	-٨	٥٢٨
			٥٦٦
٤٤	٧	-٨	١٨٤
٤٥	١	-٧	١٨٥
	٦		٦٦٣
٤٦	٦		١٦١
٤٨	١	-٣	٧٣٥
٥٠	٢		٧٣٥
	٢		٧٥٥
			٦٣١
	٨	-١٤	٥٢٨
	٨	-١٣	٥٦٥
	١٠	-١٨	٥٦٥
	١٣	-١٥	٧٨٥
	١٥		٦٣١
	٢٣		٧٨٤
٥١	١٦	-١٧	٥٢٨
	١٧		٧٨٥
٥٤	٦	-٧	٧٨٤
٥٤	٦		٧٨٣
٥٦	١٢		٧٨٤
٦٥	١٠		٤٥٣
٦٧	١		٤٥٢
٦٨	٧	-٨	٧٥٠
٦٩	٢		١٥٣
	٩		٧٧٩
	٣١		٧٨٥
٧٦	٢		٤٤٣
٧٧	١٣	-١٥	٦٦١
٧٨	٨		٣١٧
	٦٧	-٦٨	٦٦١
	٦٨		٧٢٥
٧٩	١١		١٦٢
٨٠	١	-٣	٥٢٣
٨١	١٠		٣٤١
			٥١٠
			٢٨٠
			٧٨٢
٨٢	١	-٦	٢٣٥
٨٧	١	-٧	٦٤٧
	٧		٧٣٦
٨٩	٦		١٧٤
	٢٦	-٢٧	١٣٥
			٧٤٤
	٢٧		١٧٣
	٤٧		١٥٣
	٥٠	-٥٢	٦٧٠
٩٠	٤		١٧٧
	٥	-٦	١٩٨
٩١	١		٦٩٤
	١١	-١٢	٧٤١
٩٣	١٢	-١٣	٧٥٧
٩٥	٦	-١١	٢٩٧
	١١		٣٣٠
٩٦	٧		١٧١
٩٧	٣		٧٥٥
	٧		١٨٣
١٠٢	١٢		١٩٣
	١٥		١٩٣
	٢٥	-٢٧	١٩٣
			١٩١
١٠٣	١		٤٥٢
	٤		١٨٤
	٥		٤١٧
١٠٤	١	-٤	١٨٤
	٢		١٩٨
	٥	-٦	١٩٨
١٠٥	١٧	-٢٣	٦٦٢
١٠٦	٨	-١٢	٦٧٦
١٠٧	٨		٤٧٩
			٥٦٥
	٣٢		٧٨٣
١٠٩	٤		٥٧٢
	٤		٧١٠
١١٠	١		١٨٣
			١٦٠
			٩٦
	١	-٦	٣٠٣
	١	-٧	٣٧٣
	١		٤٨٩
			٦٨٥
			٥٧٨
	٤		٩٠
			٣٨٦
			٤٨٥
١١٠	٤		٤٧١
			٥٣٨
			٣٦٩
			٤٦٧
			٤٤٣
			٣٧١
			٤٦٥
			٢٨٣
١١٦	٧	-٩	٣٨٠
	٧		٦٢٥
	١٧		٧٨٣
١١٨	٦		٧٦٨
	٢٤		٣١٢
١١٩	٧١		٧٢١
	١٠٣		٣٣٠
	١١٧		٤٢١
	١٣١		٥١٠
			٢٤١
	١٥٣		٧٦٣
١٢٢	٣		٧٣٦
١٢٩	٨		٤٥٢
١٣٢	١٥		٤٥٣
١٣٤	١		٤٥٢
١٣٥	١٣	-١٤	٦١٩
١٤٤	١		٧٢٣
	٥		٥٢٣
١٤٨	٥		١٠٣

مكابيين اول (سفر)

٢	٢٨	-٣٨	٦٩٣
	٥٣		٦٦٣
١٣	٤٢		٣٤٩

مكابيين ثاني (سفر)

٥	٢٧		٦٩٣
٦	١٠	-١١	٦٩٣
	١٢	-١٣	٧١٥
	١٩	-٢٨	٦٨٩
	٣٠		٧١١
٧	٧	-١٢	٧١٥
	٩		٦٨٩
	١١		٦٩٠
	١٤		٦٩٠

مكابيين رابع (ابوكريفا)

١٦	٢٠		٦٥٦
١٨	١١		٦٥٦

ملوك اول (سفر)

٨	٣٤		٥١٢
	٥٥		٤٥١
	٥٦		٣٠٧
١٠	٩		٤٥٣
١٢	١	-٥	١٠٣
١٧	٢١	-٢٤	٦٨٨
١٩	١	-٢	٦٨٦
	٤	-٨	٢٠٩
	٥	-٧	٧٤٢
	١١	-١٣	١١٧
٢٢	١		٩٠
	١٩		١٦٠

ملوك ثاني (سفر)

١	٧	-١٦	٨٥
	٩	-١٠	١٠٣
٣	١٥		٧٠١
	٢٣	-٢٤	١٠٣
٤	٨	-٣٧	٦٨٨
	٢٥		٨٥
	٤٠		٤٥
١٧	١٣		٨٥

ملاخي (نبوة)

١	٢	-٣	٦٥٩
	٦	-١٤	١٠٦
	٦	-٨	١٠٦
	١١		٧٨٦
٢	٥	-٩	١٠٦
	١٤	-١٦	١٠٦
٣	١		٨٤
			٣٧٧
	٥		١٠٨
	٨	-١٠	١٠٧
	١٠		٣٧٤
			٤٥٧
	١٣	-١٥	١٠٧
٤	٤		٨٩

ميخا (نبوة)

٦	٦	-٨	٥٦٥
٧	١٨	-١٩	٦١١

نحميا (سفر)

٥	١	-٥	١٠٨
٩	٥		٤٥٣
	١٥		١٣٧
	٢٤	-٢٥	١٣٨
١٣	١٠		١٠٧
	١٥		١٠٧
	٢٣	-٢٥	١٠٨

نشيد ا لانشاد (سفر)

٥	١١		٤٩٠
٦	٥		٦٣٧

هوشع (نبوة)

١	١		٩٧
	٤	-٩	٩٨
٤	٦		٢٩٣
٦	٦		٥٢٩
			٧٨٧
			٥٦٥
١١	١		١٧٤
١٢	٣	-٤	٧٤١
	٩		٥٠٣
	١٠		١١٦
١٣	٤		٥٠٢
	١٤		٣٨٠
١٤	٢		٧٨٧
			٧٨٥
			٥٦٥

يشوع (سفر)

١	٥		٧٦٨
٢	٩	-١٦	٦٨٠
٦	٢٣	-٢٥	٦٨١
٧	١٢	-١٣	٣١١
٢١	٤٣	-٤٥	٣٠٧
٢٤	٣٢		٦٦٤

يعقوب (رسالة)

١	٢:	٣-	٧١٧
	٣:		٦٢٩
	٣:	٤-	٦٢٨
	٤:		٦٢٦
	١٢:		٦٥٦
	١٤:	١٥-	٣٥٣
	٢٠:		٣٠٥
٢	٢٢:	٢٣-	٦٥٥
	٢٥:		٦٨١
٣	١٨:		٤٤٢
٤	٤:		٧٦٢
٥	٧:	٨-	٥٥٤

يهوذا (رسالة)

	٣:		٢٢٢
			٤٠٧
			٧٧٢
	٥:		٤٠٧
	٦:		٢٠٧
	٩:		٦٧٨
			٦٧١
	١٤:		٦٣١
	١٨:		١٣٢

يهوديت (سفر)

٤	٤:		٤٤٣

يوحنا (إنجيل)

١	١:	٣-	١٣٩
			١٢٧
			١٨٨
			٤٩٣
	٣:		٦٩
	٦:		٤١٠
	٩:		٧٠
	٩:		٥٦٧
	١٢:		١٧٩
			٢٥١
			٧١١
	١٣:		١٧٩
	١٤:		٧٠
			١٤٤
			١٣٨
			١٧٣
			١١٨
			١٤٨
			١٧٩
			١١٣
			٢٤٥
			٣٨٦
	١٥:		٦٠
	١٧:		٥١١
	١٨:		٩٢
			١٣٧
			١٤٣
			١١٣
			٣٥٣
			٥١١
			٦٥٧
	٢٩:		٣٤٠
			٩٨
			١١٧
			٣٨٣
	٤٥:		٥٢٦
	٤٧:		٣٥
١	٤٧:		٥٢٦
٢	١١:		١٤٦
	١٨:	٢١-	٥٢٤
	١٩:	٢١-	٢٩١
	٢١:	٢٢-	٩٢
٣	٦:		٤٦٤
	٨:		١٨٦
	١٠:	١٢-	٣٩١
	١٣:		١٤٣
			١٨١
			٩٢
			٥١١
			٥٩٤
	١٦:		٧١٥
			٦٥٧
	٢٣:		٤٤٢
	٣٥:		١٧٩
	٣٦:		٤١٦
			٦١١
			٦١٣
			٧١٦
٤	١٠:		٤١١
	٢١:		٥٠٠
	٢١:	٢٣-	٥٩٣
	٢٣:		٦٠
	٢٤:		٧٠
	٢٤:		٥٤٢
	٢٥:	٢٦-	٨٨
	٢٦:		٦٠
	٣٤:		٣٩١
			٥٧٥
			٥٧٣
٥	١٧:		١٩٤
			٣٣٢
			٣٧٥
	١٩:		١٤٦
	١٩:	٢١-	١٢٨
	١٩:		٣٨٣
	٢٠:		١٧٩
	٢٤:		٣٤٠
			٥٩١
	٢٥:		٣٤١
			٢٩٦
	٢٨:	٢٩-	٣٤١
	٣٠:		٣٢٠
			٧١
			٥٧٥
	٣٦:	٣٨-	١٣٧
	٣٨:	٣٩-	٥٧٣
	٤١:		١٤٦
	٤٥:	٤٧-	٢٨٦
٦	٢:		٢٤
	٥:		٣٤
	١٥:		١١٧
	٣٧:		٢٢٥
			٥١٠
	٤١:		٣٤
	٤٥:		٥١٠
	٥٢:		٣٥
	٥٤:		١٣٠
			٤٨٤
	٥٤:	٥٧-	٥٩١
	٥٦:		٤٨٤
	٥٧:		٤٨٤
			٥١٠
			٥٩٥
٦	٦٠:		٣٨٩
	٦٢:		١٨٢
	٦٣:		١٢٩
			٣٢٩
			٣٣٠
	٦٣:	٦٤-	٧٧٧
	٦٨:		٣١٢
٧	١٣:		٣٥٦
	١٨:		١٤٦
	٢٣:	٢٤-	٣٢١
	٢٣:		٤٧٠
	٢٨:		١٩٤
	٢٨:	٢٩-	١٢٧
	٣٧:		١١٧
	٣٨:	٤٠-	٥٧٥
	٣٩:		٣٧٥
٨	٧:		٦٨٠
	١٠:	١١-	٥٨٦
	١٢:		١١٧
			٥١٠
	١٥:		٣٠٥
	٢٥:		٢٠١
	٢٨:		١٨٢
			٢٥٣
	٢٩:		٥٧٣
	٣٦:		١٢٠
	٤٢:		٥٧٢
	٤٣:	٤٤-	٢٩٦
	٤٤:		٢٥٨
	٤٦:	٤٧-	٢٩٦
	٤٦:		٢٦٦
	٤٩:		٣٦٤
	٥٠:		١٤٦
	٥٤:		٣٧٠
	٥٦:		٤٣٠
			٦٥٤
	٥٨:		٢٨٦
٩	٥:		١١٧
			٤١٠
١٠	٣:		١٢٥
	٩:		٣٣١
			٥٩٢
	١٠:		٦٨
	٢٦:	٢٨-	٣٢٢
	٢٨:		٣٠١
	٣٠:		١٩٤
	٣٤:	٣٦-	٢٢٥
	٣٧:	٣٨-	٢٢٧
	٣٨:		١٤٥
١١	٢٥:		٢٢٦
			١٣٣
	٢٥:	٢٦-	٤٧٥
	٢٦:		٢٤١
			١٢٣
			٢٦١
	٣٥:		٢٦٤
	٤٠:		١٤٨
			٦٣٩
	٤٢:		٤٧٩
	٥٢:		٦٠٣
١٢	٢٣:		٧٠
	٢٧:		٢٨٠
	٢٨:		٢٣٦
			٢٨٨
	٣٢:	٣٤-	٢٤٥
	٣٣:		١١٧
١٢	٣٢:		٣١٢
			٥٩٤
			٥٩٣
	٣٣:	٣٤-	١٩٧
	٣٥:		٢٩٩
			٤٠٩
			٤٠٥
	٣٧:	٤٠-	٧٤٨
	٤٧:	٤٨-	٢١٧
			٢٠٥
	٤٨:		٣٤٤
	٤٩:	٥٠-	٩١
١٣	١٠:		٢٧٨
			٥٩٩
	١٩:		٩١
	٢٠:		١٣٠
			٣٨٣
١٤	١:		٤٠١
	٢:		١٣٨
	٢:	٣-	٤٢٦
			٥٥٠
	٢:	٦-	٥٨٩
			٥٩٢
	٣:		٥٧٨
			٥٩٣
	٤:		٣٩٥
	٥:	٦-	٦٤٤
	٦:		١٣٠
			١١٧
			٣٣٦
			٤٧٧
			٥٩٤
			٥٩٤
			٧٤٦
	٧:	١٠-	١٢٨
	٧:		٥٥٦
	٩:		١٤٣
	٩:	١٠-	١٤٣
	٩:		٢٨١
	١٠:		١٢٨
	١٠:	١١-	١٣٩
	١٠:		١٢٥
			١٤٦
	١٢:		٢٣٦
	١٩:		٣٠٥
	٢٠:		١١٧
			١٦٩
	٢٠:		١٧٤
			٣٤٠
			٥٥٦
			٦٠٣
	٢١:		٧٢٥
	٢٣:		١٤٩
			٣٤٠
			٥٥٦
	٢٤:	٢٥-	١٢٩
	٢٧:		٧٢٤
	٢٩:		٧٨
	٣١:		١٩٤
			١٧٩
١٥	٤:		٢٩٢
			٣١٦
	٥:		٧٨٢
	٧:		٣٢٩
	١٠:		٣١٦
	١٠:	١١-	٢٩٢

١٥	١٣:		٢٠٥
			٣٤١
	١٥:		٥١١
			٢٥٢
	١٦:		٥٧٦
	٢٢:		١٢٩
	٢٤:	–٢٥	١٢٩
	٢٤:		٧٣٨
	٢٥:		٢٠٥
١٦	١٦:		٣٨٠
	٢٢:		٧٢٤
	٢٣:		١٧٤
	٢٧:	–٢٨	٥٩٥
	٢٨:		١٦٨
	٣٣:		٧٦٩
	٣:		١٢٣
			٢٨١
			٦١١
	٤:		١٤٦
	٤:	–٥	٣٨٠
	٤:		٢٨٨
			٢٥٢
			٥٦٩
			٥٧٥
	٥:		١٦٩
			٣٧١
	٦:	–١٢	٢٥٤
	٩:		٢٥٢
	١٠:		١٢٥
	١١:		٣٨٠
			٦٠٣
	١٢:		٣١٧
	١٤:		٥٠٢
			٧٧٩
			٧٦١
	١٤:	–١٥	٧٧٨
	١٨:		٢٨١
	١٩:		٧٠
			٧٣٠
	٢٠:		٤٧٨
			٤٣٧
			٦٠٣
	٢١:		٢٥٠
	٢٢:		٢٣٨
			٦٠٣
	٢٣:		٢٥٠
			٦٠٣
	٢٤:		٥٩٣
			٥٨٩
	٢٦:		٢٦٧
			٦٥٣
			٦١١
١٨	٣٦:		٣٥
	٣٧:		٣٧٥
١٩	٧:		٣٥
	٢٨:		٢٦٤
	٣٠:		٣٣٥
			٥١٤
			٢٤٨
			٥٧٦
			٥٧٥
	٣٦:		٤٧
٢٠	١٧:		٥٣٨
			٢٥٢
	٢٢:		٥١٠
	٢٨:		١٨٨
٢١	٢٢:		٥٥٣
	٢٥:		٣١٢

يوحنا الاولى (رسالة)

١	١:	–٣	١٢٩
	١:		١١٨
	١:	–٣	٣٢٥
	٢:		١١٨
	٣:		٧٠٧
			٥٥٦
	٧:	–١٠	٦٠٩
	٨:	–٩	٥١٣
	٨:		٦١٠
	١٠:		٦١٠
٢	١:	–٢	٧١
			٥٥٠
			٦١٠
	٢:		٣١٧
	١٧:		٧٥٣
	١٨:		١٢٢
	١٩:		٤١٥
	٢٠:		٥١٠
	٢٧:		٥١٠
			٣٩٥
	٢٨:		٥٥٥
٣	٢:		٥٩٥
	٢:	–٣	٦٠١
	٢:		٥٥٥
	٦:		٦٠٨
	٨:		٢٥٨
			٦٠٩
	٩:		٦٠٩
	١٢:		٦٣٨
	١٣:		٧٧٩
٤	٧:		١٧٩
	١٥:		٣٥١
	١٩:		٥٠٨
			٥٧٦
٥	٤:	–٥	٢٥٨
	١٦:		٤١٥
			٧٢٥
			٦١٠
	٢٠:		٥٧٢

ثبت بالاقتباسات

من أقوال الآباء والكتَّاب الكنسيين

ooo

أبوليناريوس :
٤٤٦
إبيفانيوس :
٢٩ و٤٤٦
أثناسيوس الرسولي :
٢٦ و٢٧ و٢٨ و١٩٦ و٢٨٥ و٣٤٢
إسحق السرياني :
٧١٢ و٧٥٣
أغسطينوس :
٢٧ و٢٩ و١٧٦ و١٨٨ و٤٤٦
أفرآم السرياني :
٢٩
ألكسندروس :
٢٨
أنطونيوس :
٢٢٤ و٣٩٤ و٥٠٢ و٦٦٢ و٧٨٠
أوريجانوس :
٢٥ و٢٦ و٢٨ و١٧٦ و٢١٥ و٤٠٦ و٤٤٦ و٦٧٨
إيريناوس :
٢٦ و٤٤٦ و٦٨١
إيسيذوروس :
٣٤٢
إيسيذوروس الفرمي :
٢٨
باسيليوس :
٢٩
بريعيبوس :
٣٤٢ و٣٧٣
بطرس خاتم الشهداء :
٢٧
بنتينوس :
٢٤ و٢٧
ترتليانوس :
٢٦ و٤١٢ و٤١٧ و٦٩١ و٦٩٢
تاوفيلوس الأنطاكي :
٢٨
ثيئوجنوستس :
٢٧
ثيئودوريت :
٢٨٧
ثيئوفيلاكت :
٣٤٢
جيروم :
٢٧ و٢٨ و٢٣٤ و٤٤٣ و٤٤٥ و٤٤٦ و٤٤٨ و٦٩١
ديديموس :
٢٨ و٤٤٦
ديونيسيوس الإسكندري :
٢٧ و١٥٤

ديونيسيوس الروماني :

١٥٤

روفينوس :

٢٨

غريغوريوس النزينزي :

٢٨ و٢٩ و٦٩٠

غريغوريوس النيسي :

٢٩

كبريانوس :

٢٦ و٤٤٥ و٧٧٤

كليمندس الإسكندري :

٢٤-٢٨ و٢١٤ و٣٥٠ و٤١٠ و٤٣٥ و٤٤٥ و٦٧٨

كليمندس الروماني :

٢٥ و٢٦ و٢٩ و٤٠ و١٥١ و٦٨١

كيرلس الإسكندري :

٢٨ و٣٧٧

كيرلس الأورشليمي :

٢٩

لكتانتيوس :

١٤٦

مقاريوس الكبير :

٢٠٨

هجسيبوس :

٤١

هيبوليتوس :

٢٦ و٤٤٦

هيلاري أسقف بواتييه :

٢٧

يعقوب أسقف نصيبين :

٢٩

يوحنا ذهبي الفم :

٢٩ و٢٥٦ و٢٦١ و٢٦٤ و٢٦٦ و٢٨٥ و٣٠٥ و٣٣٨ و٣٤٧ و٣٨٤ و٣٩٩ و٤٠٣ و٤٠٩ و٤١٦ و٤١٧ و٤٢٠ و٥٩٤ و٦٢٩ و٦٤١ و٧١٦ و٧٢٦

يوسابيوس :

٢٤-٢٧ و٤٠ و٤١ و٣٤٢ و٤٤٦ و٦٢٤ و٦٦٩

يوسابيوس من إمسا :

٤٤٦

يوستينوس :

٤٠٦ و٤١٠ و٦٨١ و٦٩٢

فهرس موضوعي
لكتاب الرسالة إلى العبرانيين

ooo

أب / آباء :
+ الله الآب كلم الآباء بالأنبياء قديماً، وكلمنا أخيراً في ابنه ٤٧ و١١٣-١٢٦
+ الله الآب متكلماً ومنظوراً وعاملاً ومحيياً في ابنه ١٢٧-١٣٠
+ جلوس الابن عن يمين الآب ٢٠٢-٢١٠
+ أي ابن لا يؤدّبه أبوه، تأديب الأبناء من الآباء الجسديين ٧١٥ و٧١٦ و٧١٨-٧٢٠

ابن :
+ الله كلمنا في ابنه / الاستعلان الكامل / مقارنة مع الاستعلان بالأنبياء ٤٧ و١١٣-١٣٥
+ الصفات الجوهرية لابن الله وعمله ٢٠ و١١٢ و١١٨-١٥٧
— وارث لكل شيء ١٣٤-١٣٩
— به عمل العالمين ١٣٩-١٤١ و١٩٢-١٩٧
— بهاء مجده / ورسم جوهره / وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ١٤٢-١٥٠ و١٥٠-١٥٦ و١٥٧
— يفوق الملائكة / تسجد له ٥٥ و١١٢ و١٦٥ و١٧٩-١٨٠ و١٨٠-١٨٣
— يجلس في يمين العظمة ١٣٢ و١٥٩-١٦٤ و٢٠٢-٢٠٦
— كرسيه إلى دهر الدهور ١٨٧ و١٨٨ و١٩٧ و١٩٨ و٢٠٠ و٢٠١
— أحب البر وأبغض الإثم / مسحته فائقة ١٨٨-١٩٠

+ علاقة ابن الله بالأبناء المعينين للمجد ٢٤٤-٢٥٤
+ صوت ابن الله ٢٩٦ و٢٩٧
+ يسوع ابن الله ورئيس الكهنة العظيم ٣٤٨-٣٥١ و٣٧٣-٣٧٦
+ مع كونه ابناً تعلم الطاعة ٣٨٣-٣٨٥
+ الذين يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ٤١٥-٤١٩
+ عقوبة من يدوس ابن الله ٢١ و٦١٥ و٦١٦
+ كل ابن يؤدّبه أبوه ٧١٥-٧١٨

إبراهيم :
+ أبو الجنس العبراني / من عبوره الفرات جاء اسمهم ٣٨
+ الله أقسم لإبراهيم بالبركة ٤٢٨-٤٣٢
+ إبراهيم قدم العُشر لملكي صادق فبارك ٤٤٨-٤٦٤
+ إيمان إبراهيم وسارة ٦٤٣-٦٥٩

أخ / إخوة :
+ الرسالة تخاطب أناساً محددين تدعوهم «إخوة» ٣١ و٣٢
+ الكاتب يتودد إليهم كأخ في اليهودية والمسيحية ٣٢
+ ويخاطبهم كإخوة شركاء الدعوة السماوية ٣٩

اختيار :
+ خطورة الخطية بالاختيار بعد معرفة الحق ٦٠٧-٦١٣

آخر الأيام :

+ علاماتها بالنسبة للعبادة اليهودية، ونهاية العالم ١٨ و١٩
+ الرسالة إلى مَنْ انتهت إليهم أواخر الأيام ٢١
+ الله كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه ٤٧ و١١٣
+ مفهوم الأيام الأخيرة في الكتاب كله ١٣٠-١٣٤

إرادة / مشيئة :

+ المسيح جاء ليعمل مشيئة الآب ٥٧١-٥٧٤
+ بعمل مشيئة الله تنال الموعد ٦٢٩ و٦٣٠
+ إله السلام يكملكم لتصنعوا مشيئته ٧٩٣ و٧٩٤

استعلان / إعلان :

+ وظيفة النبي استعلان حق الله / للإعلان عن مجيء المسيا ٨٧ و٩٣
+ الاستعلان قديماً بالأنبياء وأخيراً في ابن الله بالتجسد ١١١-١٣٥
— الاستعلان الأول بأنواع وطرق كثيرة مجزأً ١١٣-١١٩
— الاستعلان الأخير أو الأخروي الكامل ١١٣-١١٩
+ استعلان الملكوت الأبدي ٧٥٠-٧٥٢

ألم :

+ الرسالة لليهود المؤمنين لتشجيعهم على احتمال الآلام والاضطهاد ١٨ و٢٠ و٥٤-٥٤٠
+ احتمال الآلام حتى الدم ٢١
+ معنى تألم المسيح خارج الباب ٥٤
+ تجسد ليكمل خلاصنا بالآلام والموت ٥٦ و٢٦١-٢٦٩
+ تألم مجرَّباً ليعين المجربين ٥٦ و٢٦٦-٢٦٩
+ وهو ابن تعلَّم الطاعة مما تألم به ٣٨٣-٣٨٥

أورشليم :

+ جبل صهيون، مدينة الله الحي السماوية ٧٣٥-٧٤٠
+ ليس لنا مدينة باقية ٧٨٠-٧٨٢

إيمان :

+ الرسالة لتشديد إيمان اليهود المتنصرين، وإيماننا نحن أيضاً ١٩-٢١ و٣٦
— تفوُّق الإيمان بالمسيح كابن الله ٢٠
— خطورة الارتداد عن الإيمان / البار بالإيمان يحيا ٢١ و٣٧ و٤٠٥-٤١٤ و٦٣٢
— النظر إلى المسيح رئيس الإيمان ومكمله ٢١ و٥٣ و٥٤ و٧٠٤-٧١٠
— كانوا في الإيمان قبل بولس، يذكِّرهم ببداية إيمانهم ٣٦ و٣٨
— يدعوهم للتمثُّل بإيمان مرشديهم ٣٨
— الإيمان بالمسيح تأسس على شهود القيامة، فلما انتقلوا تزعزع الإيمان ٥١
+ الإيمان ثقة بما يُرجى وإيقان بما لا يُرى ٥٢ و٦٣٣-٦٣٦
— عشرون مثلاً للإيمان من الآباء والأنبياء والقديسين ٥٢ و٥٣ و٦٣٨-٦٨١
— لا يعتمد على وطن أرضي ٥٣ و٥٥
— يحتمل الضيق والاضطهاد حتى الاستشهاد ٥٣
— لا يتوقف على نوال المواعيد ٥٣
+ الإيمان شرط لدخول الراحة العليا ٢٩٥-٣٣٠
+ الإيمان والتوبة يُؤهِّلان للمعاد ٤٠٠ و٤٠١
+ التقدم لله بيقين الإيمان ٥٩٦-٥٩٨
+ بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله ٦٣٧
+ بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله ٦٤٠ و٦٤١
+ أنشودة البحر فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله ٦٧٦-٦٧٨
+ الإيمان في بكور قيام إسرائيل ٦٨٢-٦٩٧
— عملوا أعمالاً عظيمة ٦٨٢-٦٨٨
— تحملوا مشقات عظيمة ٦٨٩-٦٩٦
+ الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان ٦٩٩
— الانضباط والاحتمال :
دوافعه، النموذج الإلهي، القياس ٧٠٠-٧٢٣
— التمسك بالسلام والنقاوة ٧٢٤-٧٣١

— التزامات العهد الجديد ٧٣٢-٧٤٩
+ تمثلوا بإيمان مرشديكم ٧٧٠-٧٧٢

بدء / بداية :
+ الخلاص الذي ابتدأ الله بالتكلم به وخطورة إهماله ٢٢١-٢٢٤
+ بداية الثقة فلنثبت إلى النهاية ٣١٥ و٣١٦
+ الذين بعد طول الزمان ما زالوا يحتاجون إلى بداية أقوال الله ٣٩١ و٣٩٢
+ ترك كلام بداءة المسيح والتقدم إلى الكمال ٣٩٨ و٣٩٩

بر / بار :
+ البار بالإيمان يحيا ٦٣٢
+ بالإيمان شُهد لهابيل ببره ٦٣٨
+ بالإيمان نوح صار وارثاً للبر ٦٤١ و٦٤٢
+ بالإيمان صنعوا براً ٦٨٣-٦٨٥
+ قبول التأديب يثمر برًّا وسلاماً ٧٢١
+ الأبرار المكملون ٧٤٥ و٧٤٦

بركة :
+ بركة الله للمثمرين ٤١٩-٤٢١
+ بركة الله لإبراهيم بقسم ٤٢٨ و٤٢٩
+ ملكي صادق بارك إبراهيم ٤٤٨ و٤٤٩
+ البركة في العهد القديم ٤٥٠-٤٥٧
+ بركة إسحق ليعقوب وعيسو ٦٥٩ و٦٦٠ و٧٢٨-٧٣١
+ بركة يعقوب لأولاده ٦٦٠-٦٦٢

بيت :
+ موسى أمين في بيت الله كخادم ٢٨٤-٢٩٠
+ المسيح كابن على بيته وباني البيت ٢٨٧-٢٩١ و٧٣٩
+ المسيح هو الكاهن على بيت الله ٥٩٦ و٧٣٩

بيت الله :
+ الهيكل بيت الله المبني بيد إنسان وموسى خادم البيت ٥٥
+ المسيح صاحب البيت، وابن في بيته، وباني البيت الحقيقي ٥٥ و٥٦
+ نحن بيت الله إن تمسكنا بالإيمان إلى النهاية ٥٥

تأديب :
+ لا تحتقر تأديب الرب ٢١ و٧١٢-٧١٤
+ الذي يحبه الرب يؤدبه كابن ٢١ و٧١٤-٧٢١
+ عصور تأديب الإنسان وتعليمه تحت الناموس ١١٣
+ التأديب في البداية لا يُرى أنه للفرح بل للحزن ٧٢١

تجديد :
+ متى يستحيل تجديد التوبة ٢١ و٤٠٥-٤٢٠

تجربة :
+ تألم مجرباً ليعين المجربين ٢٦٦-٢٦٩
+ يوم التجربة وقساوة القلب ٢٩٨-٣٠٢
+ بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرَّب ٦٥٣-٦٥٧
+ بالإيمان تجربوا في قيود وحبس وإذلال ٦٩٠-٦٩٦

تحية :
+ تحية ختامية ٧٩٥ و٧٩٦

تسبيح :
+ ذبيحة التسبيح التي هي ثمرة شفاه معترفة باسم الله ٧٨٢-٧٨٦

تعليم / وعظ / معلم :
+ كان ينبغي أن يكونوا معلمين بسبب طول الزمان في الإيمان ٣٦ و٣٩١-٣٩٣
+ ولكنهم محتاجون أن يعلمهم أحد بداية أقوال الله ٣٦ و٣٩ و٣٩١-٣٩٣
+ في العهد الجديد لا يعلّم كل واحد قريبه ٥٠٩-٥١١
+ لا تُساقوا بتعاليم متنوعة غريبة ٧٧٢ و٧٧٣

تعزية :
+ التعزية المستندة على وعد الله وقسمه ٤٣٢ و٤٣٣
+ التعزية الأخيرة ٦٢١
— بذكريات الماضي بما فيها من صبر وشكر ٦٢١-٦٢٥
— الجائزة العظيمة بعد قليل جداً ٦٢٦-٦٣١

تقليد / تسليم :
+ بحسب التقليد الإسكندري، بولس الرسول كاتب الرسالة ٢٤-٣٠
+ وكذلك التقليد الكنسي الشرقي ٢٦
+ يوسابيوس المؤرخ الكنسي سجل هذا التقليد ٢٥
+ التقليد الغربي تأخر في الاعتراف بها فيما عدا هيلاريون أسقف بواتيه وجيروم وأغسطينوس ٢٧
+ حسب التقليد العبراني استلم موسى الناموس بيد ملائكة ٥٥ و١١٢
+ المسيا في التقليد اليهودي أعظم من الملائكة ١٦٥
+ التقليد الأبوي والتمسك بالتعليم الصحيح ٧٧٠-٧٩٠
ـ المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ٧٧٢
توبة :
+ استحالة التوبة على الذين ارتدوا عن الإيمان ٢١ و٤٠٥-٤٢٠
+ التوبة من الأعمال الميتة ٤٠٠
+ عيسو باستباحته لم يجد للتوبة مكاناً رغم أنه طلبها بدموع ٧٣٠ و٧٣١
ثبات :
+ التمسك ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية ٣٧ و٢٩٢-٢٩٤
ثقة :
+ الثقة لها مجازاة عظيمة ٣٠ و٣٧ و٦٢٦-٦٢٨
+ التمسك بها إلى النهاية ٣٧ و٢٩١-٢٩٤ و٣١٥ و٣١٦
+ بها ننال رحمة ونجد نعمة ٣٧ و٣٥٤-٣٥٨
+ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ٥٨٩-٥٩٢
+ لنقل واثقين أن الرب معين فلا نخاف ٧٦٨ و٧٦٩
ثمر :
+ التسبيح ثمر شفاه معترفة باسم المسيح ٧٨٢-٧٨٦
جديد :
+ العهد الجديد ٤٩٨-٥١٤
+ الجديد يحل محل القديم ٥١٣ و٥١٤
+ الخدمة القديمة والخدمة الجديدة ٥١٥
جسد / تجسد :
+ ظهور الابن متجسداً هو الاستعلان الكامل لكلمة الله ١١٤ و١١٨ و١٤٣ و١٤٤
+ الحياة في الجسد تعوق التمتع بنعمة الخلاص الكلي ١١٤ و١١٥
+ التجسد جمع ابن الله الوحيد مع البشر ٢٥٤-٢٦١
+ التجسد ضرورة للخلاص ٢٦٢-٢٦٦
+ المسيح في تجسده قدَّم طلبات وتضرعات بصراخ ودموع ٣٧٦-٣٧٨
+ المسيح تجسد ليقدم نفسه ذبيحة ٥٦٦-٥٧٣
+ جسد المسيح كطريق لدخولنا إلى الأقداس ٥٩٢-٥٩٥
جلس :
+ جلوس المسيح عن يمين الله ٢٠٢-٢١٠ و٤٨٧ و٥٧٨
+ احتمل الصليب فجلس عن يمين عرش الله ٧٠٦ و٧٠٧
جهاد :
+ لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ٧٠٣ و٧٠٤
+ الجهاد حتى الدم ضد الخطية ٧١٠-٧١٢
+ الجهاد يستلزم تقويم الأيادي المسترخية والركب المخلعة ٧٢١-٧٢٣
جوهر :
+ الابن رسم جوهر الله، مفهوم الجوهر ١٥٠-١٥٦
حب / محبة :
+ تعب المحبة ٤٢٢ و٤٣٣
+ التحريض على المحبة والأعمال الحسنة ٦٠٢-٦٠٥
+ لنثبت المحبة الأخوية ٧٦١ و٧٦٢

+ لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ٧٦٦-٧٦٨
حجاب :
+ الدخول إلى داخل الحجاب بالرجاء ٤٣٦
+ المسيح دخل كسابق داخل الحجاب أي جسده ٤٣٦-٤٣٨
+ المسيح كرَّس لنا طريقاً للدخول بالحجاب أي جسده ٥٩٢-٥٩٥
حق :
+ تحذير من السقوط بعد معرفة الحق ٦٠٧-٦١٣
ختان :
+ العبرانيون هم "أهل الختان" أو "المؤمنون من أهل الختان" في الرسائل الأخرى ٣١
خدمة :
+ الله لا ينسى خدمتهم للقديسين ٣٦ و٤٢٢ و٤٢٣
+ المسيح حصل على خدمة أفضل ٤٩٦ و٤٩٧
+ خدمة الكهنوت القديم ٥١٦-٥٣٠
— مستلزمات الخدمة ٥١٦-٥٢١
— الخدمة داخل الخيمة ٥٢٢-٥٢٤
— محدودية الخدمة، لا تكمّل الذي يخدم ٥٢٤-٥٣٠
+ الخدمة المقبولة لله تكون بشكر ٧٥٢-٧٥٥
خروج :
+ الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير ٦٦٥
+ موسى قائد الخروج ٦٦٥-٧٧٥
+ أجسام الحيوانات التي يُدخل بدمها إلى الأقداس تُحرق خارج المحلة ٧٧٧
+ لذلك المسيح تألم خارج الباب لكي يقدّس الشعب بدمه ٧٧٧-٧٧٩
+ فلنخرج إليه خارج المحلة حاملين عاره ٧٧٧-٧٨٠
خطية :
+ المقاومة حتى الدم ضد الخطية ٢١ و٧١٠-٧١٢
+ غرور الخطية ونتائجها ٣١٢-٣١٤
+ رئيس كهنتنا بلا خطية ويرثي للخاطىء ٣٥١-٣٥٤
+ المسيح استوفى دين خطايانا ولا يذكرها بعد ٥١١-٥١٣
+ أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و٥٥٢
+ سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه ٥٥٢-٥٥٧
+ الخطية بالاختيار بعد معرفة الحق ونتائجها الخطيرة ٦٠٧-٦١٣
+ بالإيمان موسى فضّل أن يُذلّ مع شعب الله على التمتع الوقتي بالخطية ٦٦٨-٦٧٠
خلاص :
+ الرسالة إلى رومية غطت منهج الخلاص ١٧
+ سمو خلاص المسيح وخطورة إهماله ١٧ و٥٦ و١١٢ و٢٢١-٢٢٣
+ المسيح كمَّل خلاصنا بالآلام والموت ٥٦ و٢٤٨ و٢٤٩
+ بالطاعة نال الخلاص ٥٦ و٣٨٦
+ المسيح يخلِّص إلى التمام لأن كهنوته لا يزول ٥٧
+ لماذا بعد إتمام الخلاص ما زلنا نعرف بعض المعرفة؟ ١١٤
+ عالم الخلاص ٢٣١
+ التجسد ضرورة للخلاص ٢٦٢-٢٦٦
+ الظهور الثاني والخلاص ٥٥٥-٥٥٧
+ بالإيمان نوح بنى فلكاً لخلاص بيته ٦٤١ و٦٤٢
خيمة : (انظر هيكل).
دم :
+ دم الكفارة على يدي رئيس الكهنة إشارة إلى دم المسيح ٤٦
+ دم ثيران وتيوس لا يرفع خطايا ٤٨ و٥٣٥-٥٣٧
+ المسيح دخل مرة واحدة بدم نفسه إلى الأقداس ٥٣٧-٥٣٩
+ دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين:
— يطهِّر الضمائر في مقابل تطهير الجسد ٥٤٠-٥٤٣
— أساس العهد الجديد ٥٤٣-٥٤٥

+ بحسب الناموس كل شيء يتطهر بالدم ٥٤٥-٥٤٧
+ لنا ثقة للدخول إلى الأقداس بدم يسوع ٥٨٩-٥٩٢
+ عقوبة من احتقر دم العهد الذي قُدّس به ٦١٥-٦١٧
+ بالإيمان موسى صنع الفصح ورش الدم لكي لا يمسهم المهلك ٦٧٢-٦٧٤
+ دم المسيح يتكلم أفضل من هابيل ٧٤٦ و٧٤٧
+ المسيح لكي يقدّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب ٧٧٧-٧٧٩
+ دم المسيح هو دم العهد الأبدي ٧٩٢ و٧٩٣

دموع :
+ المسيح صلى بدموع وصراخ شديد ٣٧٦-٣٨١
+ عيسو لاستباحته طلب التوبة بدموع فلم يجدها ٧٣٠ و٧٣١

دين / دينونة :
+ الموت والدينونة ٥٥٢-٥٥٥
+ دينونة الذين يخطئون عن عمد وعِلْم ٦١٢ و٦١٣ و٦١٨-٦٢٠
+ نوح ببنائه للفلك دان العالم ٦٤١ و٦٤٢
+ الله ديّان الجميع ٧٤٥
+ دينونة الله للزناة والعاهرين ٧٦٤-٧٦٦

ذبيحة / مذبح / قربان :
+ الذبائح تمهيد عملي وتصوير دقيق لذبيحة المسيح ٤٦ و٥٦٧-٥٦٩
+ الذبائح الحيوانية تكرار تقديمها يكشف عن عجزها ٤٨ و٥٦٠-٥٦٥ و٥٧٧
+ بالذبائح والمحرقات لم يسر الله، فهيأ جسداً لابن الله ليصير ذبيحة ٤٨ و٥٦٦-٥٧٧
+ ذبيحة المسيح خارج أورشليم لتقديس العالم كله ٥٥
+ إهانة الله بتقديم ذبائح مشوهة ١٠٦
+ رئيس الكهنة يقدم ذبائح وقرابين عن نفسه وعن الشعب ٣٦١-٣٦٦
+ القرابين والذبائح لا تكمل الذي يخدم ٥٢٥-٥٣٠
+ المسيح أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و٥٥٢
— بعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله ٥٧٨-٥٨١
— بقربان واحد أكمل إلى الأبد المقدّسين ٥٨٢-٥٨٤
+ إن أخطأنا باختيارنا بعد معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ٦٠٧-٦١٢
+ بالإيمان قدم هابيل ذبيحة مقبولة ٦٣٨
+ ليس لنا مذبح تأكل ذباحته ٧٧٤-٧٧٧
+ خدام الخيمة الأرضية لا يحل لهم الأكل من ذبيحة المسيحيين ٧٧٦ و٧٧٧
+ أجسام الذبائح التي يُدخل بدمها للأقداس تحرق خارج المحلة ٧٧٧-٧٧٩
+ فلنقدم بالمسيح ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه ٧٨٢-٧٨٦
+ ذبائح فعل الخير والتوزيع ٧٨٦ و٧٨٧

ذكر :
+ تذكروا الأيام الأولى ٦٢١
+ اذكروا المقيدين والمذلين ٧٦٣ و٧٦٤
+ اذكروا مرشديكم وتمثلوا بإيمانهم ٧٧٠-٧٧٢

راحة :
+ راحة الله بعد الخلق وعلاقتها براحة السبت وراحة كنعان وراحة المسيح بقيامته وجلوسه عن يمين الآب ٤٥ و٣٠٦-٣٠٨
— القصد من راحة السبت هو راحة الله الحقيقية في المسيح ٤٥ و٣٣١ و٣٣٢
— الذين تذمروا في البرية لم يدخلوا راحة كنعان ٥٨ و٢٩٥-٣٠٧ و٣٢٠-٣٢٢
— دخول الراحة الحقيقية بالطاعة والإيمان ٥٨ و٥٩ و٣٣١
+ الوعد بالراحة لم يتحقق بعد حتى للذين دخلوا كنعان ٣٢٤-٣٣٦
+ مسئولية الدعوة للدخول لراحة الله ٣٣٧-٣٣٩

راعي / رعاية / رعية :
+ المسيح راعي الخراف العظيم ٢٠ و٧٩٢ و٧٩٣
رأفة / رحمة :
+ رحمة الله بذبائح العهد القديم مثال للرحمة العظمى بذبيحة المسيح ٤٧ و٤٨
+ بالثقة في دم المسيح ننال رحمة ٥٧
رجاء :
+ التمسك بثقة الرجاء إلى النهاية ٣٧ و٣٩ و٢٩١-٢٩٤
+ التمسّك بإقرار الرجاء راسخاً ٣٨ و٦٠٠-٦٠٢
+ آفة الرجاء التواني والكسل وعلاجه الاجتهاد ٤٢٤ و٤٢٥
+ الرجاء الموضوع أمامنا كمرساة للنفس ٤٣٤-٤٣٦
رسالة / رسول :
+ مقارنة بين الرسالة إلى رومية والرسالة إلى العبرانيين ١٧
+ مناسبة الرسالة لما نعيشه هذه الأيام / رسالة ختام الألفين ١٨-٢١
+ المسيح رسول اعترافنا ٢٨٠-٢٨٢
الرسالة إلى العبرانيين :
+ كاتب الرسالة: بحسب التقليد الكنسي الإسكندري هو بولس الرسول ٢٤
— رأي كليمندس الإسكندري أخذه عن بنتينوس ٢٤ و٢٥
— رأي أوريجانوس ٢٥ و٢٦
— أثناسيوس الرسولي أكد أنها لبولس الرسول ٢٦
— في الغرب استشهد بها كليمندس الروماني ولم يذكر كاتبها ٢٦
— تأخر الغرب في قبولها فيما عدا هيلاريون وجيروم وأغسطين ٢٦ و٢٧ و٢٩
— الشرق قبلها في مصر وأنطاكية وأورشليم ٢٧-٣٠
— رفض لوثر وكلفن لها في عهد النهضة ٢٩
— الكنيسة الكاثوليكية فتحت للعلماء باب الجدال فيها سنة ١٩٥٥ ٢٩ و٣٠
+ عنوان الرسالة: «إلى العبرانيين» ٣٠
+ طبيعتها: ليس لها فاتحة الرسالة، ولكن فيها كل مقوماتها ٣١ و٣٢
+ موضعها بين بقية الرسائل:
— في بعض المخطوطات قبل الرسائل الرعوية، أو بين رسالتي كورنثوس وغلاطية ٣٣
— أو في نهاية رسائل بولس، أو بعد رسالة رومية مباشرة ٣٣
+ لمن كُتبت:
— حسب العنوان وكاعتقاد الآباء أنهم يهود بالمولد ٣٣
— لماذا لُقّبوا عبرانيين ومَن هم؟ ٣٣-٤٠
○ اللقب شعبي يفيد الجنس واللغة ٣٥
○ كلهم عبرانيون مسيحيون، وليس فيهم أحد من الأمم، في أورشليم ٣٥-٤٠
○ عددهم قليل، لهم زمان طويل في الإيمان ٣٦
○ طُردوا من مجمع اليهود، سُلبت أموالهم، يفكرون في الارتداد ٣٦
○ بعضهم كانوا كهنة في الهيكل ٣٧
+ تاريخ كتابة الرسالة:
— الجيل اللاحق للرسل مباشرة ٤١
— قبل خراب الهيكل سنة ٧٠م. ٤١ و٤٢
— حوالي سنة ٦٤ و٦٥م. ٤٢
+ مكان كتابتها:
— من إيطاليا على يد تيموثاوس ٤٢
+ أهميتها:
— للمسيحيين من أصل يهودي وأممي بالتساوي، للأمس كما لليوم وإلى الأبد ٤٣
— بها يلتحم العهدان ويتكامل التدبير الإلهي في صوت واحد لله ٤٤-٤٧
+ خصائصها:
— رسالة عزاء ٤٧
— ربط العهد القديم بالجديد بإيجابية كرسالة رحمة

اكتملت في المسيح ٤٧ و٤٨
— الناموس لطهارة الجسد، أما دم المسيح فلطهارة الضمير ٤٨
— التحول من الناقص إلى الكامل، من الفاضل إلى الأفضل ٤٨ و٤٩
— لولا المسيح ما كان ناموس ٤٩
— الهيكل العالمي، والأقداس السماوية ٥٠
— معالجة الإخفاق في الرجاء المسيحي بسبب الضيق من الاضطهاد ٥١-٦١
○ بالإيمان والثقة إلى النهاية وأمثلة رجال الإيمان ٥٢ و٥٣
○ بالنظر إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع ٥٤
○ مقارنة المسيح بموسى، والهيكل بالسماء ٥٥ و٥٦
○ تحذيرهم من الارتداد والتعريج بين الفرقتين ٥٦-٥٩
○ ملكي صادق أعظم من إبراهيم وكهنوته أعظم من اللاوي ٥٩ و٦٠
○ كهنوت المسيح على طقس ملكي صادق ٦٠ و٦١
— حتمية تغير الكهنوت اللاوي بكهنوت المسيح **(انظر كهنوت)** ٦١ و٦٢
— حتمية توقف الذبائح بذبيحة المسيح (انظر **ذبيحة**) ٦١-٦٣
— الانتقال من عبادة الهيكل إلى الأقداس السماوية (**انظر هيكل**) ٦٤ و٦٥
+ **الأغراض الرئيسية للرسالة:**
— تقوية إيمان اليهود المتنصرين مقابل اضطهادهم ٦٥
— ذبيحة الصليب أكملت إلى الأبد المقدسين ٦٥ و٦٦
— المسيح الآن قائم رئيس كهنة وشفيعاً دائماً في السماء ٦٧
— المسيح أكمل الناموس والأنبياء ٦٧-٦٩
+ **التشابه بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى:**
— **إنجيل يوحنا:**
○ كلمة الله المتكلم قديماً وحديثاً ٦٩
○ كل شيء به كان = به عمل العالمين ٦٩
○ هو النور الحقيقي = بهاء مجده ٧٠
○ وصار جسداً = هيأت لي جسداً ٧٠
○ تمجّد بالصليب ٧٠
○ عبادة بالروح والحق بدل أشباه السماويات ٧٠
○ كفّارة للعالم كله ٧١
— **رسالة بطرس الأولى:**
○ المسيح تألم تاركاً لنا مثالاً ٧١
○ دم حمل بلا عيب = قدم نفسه بلا عيب ٧١
○ بيتاً روحياً، ذبائح روحية = بيته نحن، ذبيحة التسبيح ٧١ و٧٢
— **رسائل بولس الرسول:**
○ نقط الاختلاف:
للأمم: لم يذكر الكهنوت والذبائح ٧٢ و٧٣
للعبرانيين: لم يذكر الاتحاد بالمسيح لضعفهم ولأن الكنيسة جسد المسيح ٧٢ و٧٣ و٧٤
○ نقط التشابه:
الناموس لا يبرر ٧٣
المثال مقابل الأصل ٧٣
طاعة المسيح مقابل تعدي آدم ٧٣
التطابق في لاهوت الفداء ٧٤
التطابق في شركة الروح القدس ٧٤
الإفخارستيا وصلتها بذبيحة ملكي صادق ٧٤

روح :

+ النبوة بسياق من الروح القدس ٧٦ و٧٧
+ شهادة يسوع هي روح النبوة ٧٧
+ الكلمة النبوية هي روح التاريخ ٧٩
+ المزامير منطوقة بالروح القدس ٢٩٧ و٢٩٨

+ أرواح الأبرار المكملين ٧٤٥ و٤٧٦
زواج :
+ ليكن الزواج مكرماً والمضجع غير نجس ٧٦٤ و٧٦٦
سبت :
+ كسر وصية السبت (انظر راحة) ١٠٧
سجود :
+ سجود الملائكة للابن ١٨٠-١٨٣
سلام :
+ تأديب الرب يثمر سلاماً ٢١ و٧٢١
+ اتبعوا السلام مع الجميع ٧٢٤ و٧٢٥
+ إله السلام يكملكم في كل عمل صالح ٧٩٢ و٧٩٤
+ سلموا على الجميع، يسلّم عليكم الذين من إيطاليا ٧٩٥ و٧٩٦
سماء :
+ رئيس كهنتنا السماوي ٣٤٨-٣٥٠ و٤٨٨-٤٩٠
+ الوطن السماوي ٦٥٢ و٦٥٣
+ أورشليم السماوية ٧٣٥-٧٤٠
+ الذين كتبت أسماؤهم في السموات ٧٤٣-٧٤٥
+ نبوة عن زوال الأرض والسماء ٧٥٠-٧٥٢
سمع :
+ الانتباه إلى ما سمعناه ٢١٢-٢١٦
+ ثبوت الخلاص في الذين سمعوا ٢٢٤ و٢٢٥
+ إن سمعتم صوته لا تقسوا قلوبكم ٢٩٧-٣٠١ و٣١٦ و٣١٧
+ الذين سمعوا ولم يطيعوا لعدم إيمانهم ٣١٧-٣٢١ و٣٢٥-٣٣٠
+ المسيح سُمع له لأجل تقواه ٣٨١-٣٨٣
+ متباطئي المسامع ٣٨٧-٣٩٢
شاهد / شهادة / شهيد :
+ شهادة يسوع هي روح النبوة ٧٧
+ شهادة الله مع الكارزين بالآيات والمواهب ٢٢٥-٢٢٨
+ شهادة الروح القدس لنا بمغفرة خطايانا ٥٨٤-٥٨٧
+ الحكم في مخالفة الناموس على فم شاهدين أو ثلاثة ٦١٤
+ شهادة الله لقرابين هابيل ٦٣٨
+ الشهادة لأخنوخ بأنه أرضى الله ٦٣٩
+ سحابة الشهود من أمثلة الإيمان ٧٠٠-٧٠٢
شركة :
+ شركاء الدعوة السماوية ٢٧٨ و٢٧٩
+ شركاء المسيح ٣١٤ و٣١٥
شكر :
+ ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مقبولة ٧٥٣-٧٥٥
شفاعة / شفيع :
+ شفاعة المسيح الدائمة ٥٧ و٤٧٧-٤٧٩
— بسبب مشابهته لنا في كل شيء ٢٦٤-٢٦٩
— بسبب إحساسه بضعفنا وقادر أن يرثي لها ٣٥١-٣٥٥
— قائم كل حين أمام وجه الله لأجلنا ٥٤٨-٥٤٠
شيطان / إبليس :
+ المسيح أباد بموته الذي له سلطان الموت أي إبليس ٢٥٤-٢٥٨
صبر :
+ الصبر في عمل مشيئة الله / وفي الجهاد الموضوع أمامنا ٢٠ و٣٦ و٣٧ و٧٠٣ و٧٠٤
+ بالتفكر في احتمال المسيح / وتذكر الأيام الأولى ٣٨ و٦٢١
+ الفرق بين الصبر وطول الأناة ٤٢٦
+ الصبر على مجاهدة آلام كثيرة ٦٢٢-٦٢٦
+ الحاجة ماسة إلى الصبر ٦٢٨-٦٢٩
صدقة / عطاء :
+ سرقة العشور، إهمال نصيب اللاويين، وأكل حقوق الفقراء ١٠٧ و١٠٨
+ لا تنسوا فعل الخير والتوزيع ٧٨٦ و٧٨٧

صراخ :
+ طلبات المسيح بصراخ ودموع ٣٧٦-٣٧٨
صفح / مغفرة :
+ الصفح عن الآثام سمة العهد الجديد ٥١١-٥١٣
صلاة :
+ صلاة المسيح بصراخ شديد ودموع ٣٧٦-٣٧٩
+ صلوا لأجلنا لكي نتصرف حسناً وأرد إليكم سريعاً ٧٩١
صليب :
+ يسوع احتمل الصليب من أجل السرور الذي أمامه ٢١ و٥٤ و٧٠٤-٧٠٧
+ فلننظر إليه لكي لا نخور في شدائدنا ٥٣ و٥٤ و٧٠٩-٧١٠
+ صُلِب خارج المحلة لكي نتمثل به ٤٤
ضمير :
+ ذكر الضمير لأول مرة في العهد الجديد ٥٢٧ و٥٢٨
+ دم المسيح يطهر الضمير ٥٤٠-٥٤٣
+ كاتب الرسالة له ضمير صالح للتصرف حسناً ٧٩١
ضيافة :
+ ضيافة الغرباء ٧٦٢ و٧٦٣
ضيق :
+ تذكيرهم بأيامهم الأولى والضيقات التي تحملوها بشكر ٦٢١-٦٢٥
+ إيمان الذين تحملوا ضيقات عظيمة للتمثل بصبرهم ٦٦٨-٦٨٩
طاعة :
+ المسيح بطاعته صار لمن يطيعه سبب خلاص أبدي ٥٧ و٣٨٣-٣٨٦
+ بالإيمان إبراهيم أطاع أمر الله ٦٤٣ و٦٤٤
+ الطاعة والخضوع للمدبرين ٧٨٨-٧٩٠
طريق :
+ الطريق الحي الحديث المكرس لنا بجسد المسيح ٥٩٢
طهارة / تطهير :
+ من تطهير الجسد بالدم والماء إلى تطهير القلب والضمير بالروح ٤٨ و٥٤٠-٥٤٣
+ الابن صنع تطهيراً لخطايانا ١٥٨ و١٥٩
ظل / ظلال / شبه :
+ خدمة الناموس بشبه السماويات وظلها ٤٨-٥٠ و٤٩٤-٤٩٦
عالم :
+ به عمل العالمين ١٣٩-١٤١
+ دخول الابن كبكر إلى العالم ١٨٠-١٨٣
+ العالم العتيد = الدهر الآتي = ملكوت الله = عالم الخلاص ٢٣٠-٢٣٢
عبد / عبادة / عبودية :
+ بعد ألفي سنة من وضع أسس العبادة اليهودية كُتبت الرسالة للعبرانيين ١٨
+ وكانت هذه آخر الأيام بالنسبة للعبادة اليهودية ١٨
+ عبودية الخوف من الموت ٢٥٩-٢٦١
عبراني / عبرانيون (انظر يهود) :
+ اللقب له معنيان في العهد الجديد: لغة اليهود، ونسبتهم لإبراهيم ٣٣ و٣٤
عطاء : (انظر صدقة).
عمل :
+ طبيعة وعمل الابن ١٤٢-١٦٤
+ كهنوت المسيح من حيث عمله الفائق ٤٨٧
+ فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله ٦٧٦
+ الذين عملوا أعمالاً عظيمة ٦٨٢-٦٨٨
+ إله السلام يكملكم في كل عمل صالح ٧٩٣ و٧٩٤
عهد :
+ الرسالة لربط العهدين ٤٧ و٤٨
+ الأنبياء استعلنوا العهد الجديد ٩٣ و٩٤
+ المسيح وسيط لعهد أعظم: العهد الجديد ٤٩٦-٥١٤ و٥٤٣-٥٤٥ و٧٤٦ و٧٤٧
+ في العهد الجديد أجعل نواميسي في قلوبهم

وأكتبها على أذهانهم ٥٨٤-٥٨٦
+ التزامات يحتمها العهد الجديد ٧٣٢-٧٣٦
+ دم المسيح هو دم العهد الأبدي ٧٩٢ و٧٩٣
غربة :
+ الإيمان بالمسيح وعلاقته بعدم التمسك بوطن أرضي ٥٥
+ بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد ٦٤٥-٦٤٧
+ بالإيمان مات الآباء البطاركة دون أن ينالوا المواعيد وعاشوا كغرباء ٦٤٩-٦٥٢
+ تغرب موسى من أجل الله ٦٧٠-٦٧٢
+ لا تنسوا ضيافة الغرباء ٧٦٢ و٧٦٣
غسل :
+ خدمة العهد القديم قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات ٥٢٨-٥٣٠
+ غسل الجسد بالمعمودية = غسل الماء بالكلمة ٥٩٩
غضب :
+ غضب الله ٣٠٥ و٣٠٦
فداء :
+ المسيح دخل الأقداس بدمه فوجد فداء أبدياً للبشرية ٥٣٥-٥٣٩
+ المسيح مات لفداء التعديات في العهد الأول ٥٤٣-٥٤٥
+ موسى صورة للفادي ٦٦٥
فرح :
+ كل تأديب لا يُرى أولاً أنه للفرح بل للحزن ٧٢١
فصح :
+ بالإيمان صنع موسى الفصح في مصر ٦٧٢-٦٧٤
قداسة / تقديس / مقدَّس :
+ يسوع لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب ٥٤ و٧٧٧-٧٧٩
+ كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس، بلا شر ولا دنس ٥٧ و٦٢
+ نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة ٥٧ و٦٢ و٦٣ و٦٦ و٥٧٥-٥٧٧
+ بقربان واحد أكمل إلى الأبد المقدسين ٥٧ و٦٣ و٦٦ و٥٨٢-٥٨٤
+ دم تيوس وثيران يقدس إلى طهارة الجسد ٦٣
+ بدون القداسة لن يرى أحد الرب ٧٢٤ و٧٢٥
قدس / أقداس : (انظر **هيكل**).
قربان : (انظر **ذبيحة**).
قَسَم :
+ أقسم الله في غضبه لن يدخلوا راحته ٣٠٥-٣٠٨ و٣٢٠-٣٢٢
+ كلمة القسم تقيم كاهناً إلى الأبد ٥٠ و٦٢
+ أقسم الله لإبراهيم بالبركة ٤٢٨-٤٣٢
قلب :
+ قساوة القلب / ضلالة ٢٩٨-٣٠٥ و٣١٢-٣١٤ و٣١٦ و٣١٧
+ قلب شرير في عدم الإيمان ٣٠٨ و٣٠٩
+ ناموس العهد الجديد مكتوب في القلوب ٥٠٤-٥٠٧ و٥٨٤ و٥٨٥
+ التقدم إلى الله بقلب صادق، مطهرة قلوبنا من ضمير شرير ٥٩٦-٥٩٩
+ القلب يُثبّت بالنعمة وليس بالأطعمة ٧٧٣ و٧٧٤
قوة :
+ بالإيمان أطفأوا قوة النار ٦٨٥
+ تقووا من ضعف ٦٨٦ و٦٨٧
قيامة :
+ استشهاد شهود القيامة وتأخر المجيء الثاني واضطهاد المؤمنين أخفى بهجة القيامة ٥١ و٥٢
+ أمثلة المؤمنين الذين عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل ٥٣ و٦٨٧-٦٩٠
+ قيامة الأموات والدينونة الأبدية ٤٠٣ و٤٠٤
+ إيمان إبراهيم بالقيامة ٦٥٨ و٦٥٩
+ إله السلام أقام من الأموات ربنا يسوع ٧٩٢

كتابة / مكتوب :
+ ناموس العهد الجديد مكتوب في القلوب ٥٠٤-٥٠٧
+ الناموس مكتوب لأجل المسيح ٥٧١-٥٧٣
+ كنيسة أبكار مكتوبين في السموات ٧٤٤-٧٤٥
كفّارة :
+ علاقة التجسد بالكفارة ٢٦٢-٢٦٦
+ كفارة المسيح في مقابل كفارة الناموس ٥١٥ و٥٣١-٥٣٩
كلمة / كلّم / قول :
+ الله كلّم الآباء بالأنبياء، وكلمنا في ابنه ٤٤ و٤٧ و١١٩-١٣٥
+ الكلمة واحدة لأن الذي نطقها واحد وهو الله ٤٣ و٤٤ و١١٥ و١٢٠و١٢١
+ سفر العبرانيين جعل الله صوتاً واحداً وكلمة واحدة في العهدين ٤٦ و٤٧ و١١٥ و١٢١ و١٢٢
+ سفر العبرانيين كلمة وعظ وعزاء ٤٧
+ مستوى كلمة الأنبياء: هي كلمة الله النافذة ١٠١-١٠٤
+ الحامل الكل بكلمة قدرته ١٥٧
+ كلمة الله حية وفعالة ٣٣٩-٣٤٦
+ بداءة أقوال الله والخبرة في كلام البر ٣٩١-٣٩٩
+ دم المسيح يتكلّم أفضل من دم هابيل ٧٤٦ و٧٤٧
+ لا تستعفوا من المتكلّم من السماء ٧٤٩ و٧٥٠
+ تمثّلوا بمرشديكم الذين كلّموكم بكلمة الله ٧٧٠-٧٧٢
كنيسة :
+ لم تستعمل الكلمة في الرسالة بمفهومها الكنسي ٧٣٩
+ بل العالم العتيد، بيت الله، المدينة التي لها الأساسات ٧٣٩ و٧٤٠
+ كنيسة الأبكار المكتوبين في السموات ٧٤٠ و٧٤٣-٧٤٥
+ واجبات كنسية ٧٥٩-٧٦٩
كهنوت / رئيس كهنة :
+ المسيح كرئيس كهنة شبيه بإخوته في كل شيء ٢٠ و٢٦٢-٢٦٦ و٢٨٣-٢٨٤ و٣٤٧-٣٥٠
ـ قادر أن يرثي لضعفاتنا، مجرَّب مثلنا بلا خطية ٢٦٦-٢٦٩ و٣٥١-٣٥٤
ـ مدعو من الله ٣٦٦-٣٦٨
+ كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ٥٠ و٦٢ و٣٦٨-٣٧٦ و٤٣٦-٤٣٨
ـ ملكي صادق الكاهن والملك ٤٤٠-٤٤٩
ـ تفوُّق كهنوت ملكي صادق على الكهنوت اللاوي ٥٩ و٦٠ و٤٤٠-٤٧٣ و٤٨٦
ـ عدم كمال الكهنوت اللاوي وتغيُّره بتغيُّر الناموس ٥٠ و٦١ و٦٢ و٣٦٤-٣٦٦ و٤٦٧-٤٧٠ و٤٧٥ و٤٨٥ و٤٨٦
ـ امتياز كهنوت المسيح يؤكَّد بقَسَم إلهي ٥٠ و٦٢ و٣٦٨-٣٧٦ و٣٨٦ و٤٣٦ و٤٧٣ و٤٧٤
ـ دوام كهنوت المسيح ٤٧٥-٤٧٩
ـ صفات المسيح كابن مكمَّل، قدوس، بلا عيب، حي إلى الأبد ٥٦ و٥٧ و٦٢ و٣٦٨-٣٧٦ و٣٨٦
+ المسيح كرئيس كهنة سماوي ٣٤٨-٣٥٠ و٤٨٨-٤٩٠
ـ لذا فخدمته الكهنوتية لم تكن مع كهنة الناموس ٤٩٣ و٤٩٤
ـ خدمتهم لشبه السماويات وظلها ٤٩٤-٤٩٦
ـ هو وسيط لعهد أعظم سبق الوعد به (العهد الجديد) ٤٩٦-٥١٤
+ خدمة الكهنوت القديم مقابل كهنوت المسيح ٤٦ و٣٥٩-٣٦٦ و٥١٥-٥٣٠
ـ وسائل خدمة الكهنوت القديم: محتويات الخيمة ٥١٦-٥٢٢
ـ خدمة الكهنوت داخل الخيمة ٥٢٢-٥٣٠
ـ محدوديتها ٥٢٤-٥٣٠

+ كفّارة المسيح كرئيس كهنة أعظم ٥٣١-٥٣٩
— بالمسكن الأعظم السماوي ٥٣١-٥٣٥
— بدم نفسه، وليس بدم تيوس وعجول ٥٣٥-٥٣٩
— أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و٥٥٢
+ المسيح كاهننا العظيم على بيت الله ٥٩٦
+ رئيس الكهنة يدخل بدم الذبيحة إلى الأقداس أما جسمها فيحرق خارج المحلة ٧٧٧-٧٧٩

مثل / مثال :
+ التشبيهات العملية والأمثال عند الأنبياء ٩٧ و٩٨
+ إعطاء المثال الذي يعبّر عن الأصل ٩٨-١٠٠

مجد :
+ استعلان مجد الله في ابنه ١١٨
+ الابن بهاء مجد الآب ١٤٢-١٥٠

مجيء (الثاني) :
+ رسالة العبرانيين هي رسالة الساعة للذين يترجون مجيء الرب ٥٢
+ بعد قليل جداً سيأتي الآتي ٦٣٠ و٦٣١

مذبح : (انظر ذبيحة).

مسكن : (انظر هيكل).

معرفة :
+ في العهد الجديد سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم ٥٠٩-٥١١

معمودية :
+ من تنكّر لمعموديته لا يمكن تجديدها ٢١ و٤٠٥-٤٢٠
+ تعليم المعموديات ووضع الأيادي ٤٠٢ و٤٠٣

مغفرة / صفح : (انظر صفح).

ملاك / ملائكة :
+ حسب التقليد العبراني استلم موسى الناموس بيد ملائكة ٥٥ و٥٦ و٢١٦ و٢١٧
+ أما المسيح فأعظم من الملائكة ٥٥ و١٦٥-١٧٣
— لكونه ابناً، الملائكة تسجد له، كرسيه إلى الأبد، مسحته فائقة ١٧٤-١٧٩ و١٨٠-١٨٣ و١٨٧-١٩٠
+ الملائكة أرواح خادمة / رياح، لهيب نار ١٨٥ و١٨٦ و٢٠٦-٢٠٩
+ فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد بل المسيح ٥٦ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢٢٩-٢٤٣
+ وضعه قليلاً عن الملائكة ٢٣٣-٢٣٧
+ الله لم يُمسك الملائكة بل نسل إبراهيم ليخلصهم ٢٦١ و٢٦٢
+ الملائكة دخلوا في زمرة الكنيسة مع الأبكار والأرواح ٧٤١ و٧٤٢

ملك / ملكوت :
+ المسيح ملك البر، ملك السلام ٢٠
+ ملكوت الله = العالم العتيد ٢٣٠-٢٣٢
+ نحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ٧٣٩-٧٤١ و٧٥٣-٧٥٥
+ استعلان الملكوت الأبدي ٧٥٠-٧٥٢

ملكي صادق :
+ المسيح على طقس ملكي صادق ٢٠ و٥٠ و٦٢ و٣٦٨-٣٧٦ و٣٨٦ و٤٣٦
— ملكي صادق الكاهن والملك ٤٣٩-٤٤٨
— كهنوت ملكي صادق أعظم من الكهنوت اللاوي ٤٦١-٤٧٣
— امتياز كهنوت المسيح يُؤكّد بقسم ٤٧٣ و٤٧٤
— دوام كهنوت المسيح ٤٧٥-٤٧٩
+ ملكي صادق أعظم من إبراهيم ٥٩ و٤٤٨-٤٦٤

موت :
+ المسيح بالموت أباد الموت والذي له سلطان الموت ٢٥٦-٢٥٨
+ وحررنا من عبودية الخوف من الموت ٢٥٩-٢٦١
+ المسيح صلى بصراخ للقادر أن يخلّصه من الموت ٣٧٦-٣٨١
+ الموت والدينونة ٥٥٢-٥٥٥
+ الموت لمخالف الناموس ٦١٤

+ هابيل وإن مات فدمه يتكلم ٦٣٨
+ أخنوخ نُقل ولم يرَ الموت ٦٣٩
+ بالإيمان يوسف عند موته تنبأ ٦٦٢

موسى :

+ تفوّق المسيح على موسى ويشوع ٢٧١-٢٩٤
— موسى كخادم أمين والمسيح كابن في بيته ٢٧٦-٢٩٢
+ موسى قائد الخروج ٦٦٥-٦٧٤

نار :

+ إن أخطأنا باختيارنا بعد معرفة الحق تنتظرنا دينونة مخيفة ونار تأكل المضادين ٦١٢ و٦١٣
+ اليهود أقبلوا إلى جبل مضطرم بالنار لكي يأخذوا الناموس ٧٣٢ و٧٣٣
+ فلنحرص أن نخدم الله خدمة مرضية لأن إلهنا نار آكلة ٧٥٥-٧٥٧

ناموس / توراة :

+ عقوبة مخالفة الناموس ومقارنتها بما يستحقه مَنْ داس ابن الله ٢٠ و٢١ و٢١٢ و٢١٣ و٢١٨-٢٢٣ و٦١٤-٦١٨
+ الناموس له ظل الخيرات العتيدة ٤٢ و٥٦٠-٥٦٢
+ الرسالة تربط العهد القديم بناموسه وأنبيائه بالعهد الجديد ٤٣
+ ماركيون الكافر فصَل الإنجيل عن الناموس ٤٤
+ الناموس بداية عزاء الله ورحمته للإنسان كتمهيد لرحمته العظمى في المسيح ٤٧ و٤٨
+ الناموس تدريب للإنسان لبغضة الخطية تمهيداً لتطهير الضمير بدم المسيح ٤٨
+ لولا المسيح ما كان ناموس، فهو كمال القصد ٤٩ و٥٠
+ تسلّم موسى الناموس بيد ملائكة ٥٥ و١١٢
+ الخلاص بالمسيح أعظم من الناموس بيد موسى ١١٢
+ ناموس العهد الجديد في الأذهان والقلوب ٥٠٤-٥٠٧ و٥٨٤-٥٨٦

نبوة / نبي :

+ الله كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ٤٤ و٤٧ و٧٥
+ الرسالة لم تقدّم شيئاً عن النبوة والأنبياء لأنها كتبت لليهود ٧٥
+ ما هي النبوة؟
— موهبة، بالروح القدس، للشهادة للمسيح، صانعة للتاريخ ٧٦-٧٩
+ مَنْ هم الأنبياء؟
— المتكلّم بفم الله، الرائي، رسول رب الجنود، عبد الله، رجل الله ٨٠-٨٥
— أنبياء الأمم ٨٣
— جدول بأسماء الأنبياء في العهد القديم ٨٦ و٨٧
+ وظيفة الأنبياء: لا صلة لها بالكهنوت أو الحكم، فهو استعلان حق الله ٨٧-٨٩
+ النبي الصادق والنبي الكاذب ٩٠-٩٢
+ علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيا ٩٣-٩٦
+ استخدام الأنبياء لأنواع وطرق كثيرة في نبواتهم ٩٧-١٠٠ و١١١-١٢٦
+ مستوى كلمة الأنبياء ١٠١-١٠٤
+ توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء بظهور النبي المسيا ١٠٥-١٠٨
+ نبوة عن زوال الأرض والسماء واستعلان الملكوت الأبدي ٧٥٠-٧٥٢

نعمة :

+ خطورة الازدراء بروح النعمة ٢١ و٦١٥-٦١٨
+ الحذر من أن نخيب من نعمة الله ٧٢٥-٧٢٧
+ كلمة الختام: النعمة مع جميعكم آمين ٧٩٦

نور :

+ الابن نور من نور ١٤٣

هبة / موهبة :

+ النبوة هبة أو موهبة فائقة للطبيعة ٧٦

هيكل / مسكن الله / الأقداس :

+ حرق هيكل اليهود ١٨

+ الرسالة للعبرانيين كُتبت قبل خراب الهيكل واندثار للعبادة فيه ٤١ و٤٢ و٤٣-٤٦
+ موسى صنع المسكن حسب المثال الذي أظهر له، أمّا المسيح فهو خادم للمسكن الحقيقي ٤٩ و٥٠ و٦٥
+ الرسالة تقارن بين عبادة الهيكل وعبادة المسيح وانفصالهما السري معاً ٥٠ و٥١ و٦٤ و٦٥ و٦٨
+ الهيكل أُغلق في وجه اليهود المتنصرين، فأصبحوا بلا هيكل ولا مدينة ولا وطن ٥١
+ المسيح أكمل ذبيحته خارج الهيكل وخارج أورشليم ليكون للعالم كله ٥٤ و٥٥ و٧٧٧-٧٧٩
+ المسيح باني الهيكل الحقيقي ورئيس كهنته عوض مجد الهيكل الزائل ٥٥-٥٧
+ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ٥٧ و٦٦ و٥٨٩-٥٩٢
+ المسيح خادم للأقداس والمسكن الحقيقي (الهيكل الجديد) ٤٨٧-٤٩٣
+ مغزى المسكن الأول وقدس الأقداس ٥٢٤ و٥٢٥
+ دخل إلى الأقداس العليا بدمه مرة واحدة، إلى السماء عينها ٥٣٥-٥٣٩ و٥٤٧-٥٥١

هابيل :

+ بالإيمان قدّم هابيل ذبيحة مقبولة وشُهد لبره ٦٣٨
+ دم المسيح يتكلّم أفضل من دم هابيل ٧٤٦ و٧٤٧

هارون :

+ مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني ٣٥٩-٣٦١
+ وظيفة رئاسة الكهنوت بدعوة من الله كما كان هارون ٣٦٦-٣٦٨

وصية :

+ الوصية غير نافذة إلّا بعد موت الموصي ٥٤٥-٥٤٧
+ وصايا راعوية في ختام الرسالة ٧٥٩-٧٩٥
— واجبات اجتماعية ٧٦١-٧٦٩
— واجبات دينية ٧٧٠-٧٩٠
— وصايا شخصية ٧٩١-٧٩٥

وعد / مواعيد :

+ الإيمان شرط أساسي لنوال الوعد ٢٩٦ و٢٩٧
+ الوعد بالراحة ما زال قائماً ٣٢٤-٣٣٦
+ بالإيمان وطول الأناة نرث المواعيد ٤٢٦ و٤٢٧
+ صدق مواعيد الله ٤٢٨-٤٣٨ و٦٠٠-٦٠٢
+ العهد الأعظم تثبّت على مواعيد أفضل ٤٩٦ و٤٩٧
+ المفديون ينالون وعد الميراث الأبدي ٥٤٣-٥٤٥
+ بالإيمان تغرّب الآباء البطاركة في أرض الموعد ٦٤٥-٦٤٩
+ بالإيمان ماتوا دون أن ينالوا المواعيد ولكن صدقوها ٦٤٩-٦٥٢ و٦٩٦ و٦٩٧
+ بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق الذي قَبِلَ فيه المواعيد ٦٥٣
+ بالإيمان نالوا مواعيد ٦٨٥

وعظ :

+ وعظ كل فرد لنفسه ٣١٠-٣١٢
+ واعظين بعضنا بعضاً ٦٠٥-٦٠٧
+ احتملوا كلمة الوعظ ٧٩٥

يهود / عبرانيين :

+ الرسالة لليهود المتنصرين لتقوية إيمانهم ١٨ و٣٣-٤٠
+ معنى لقب يهود ٣٤ و٣٥
+ الرسالة تحذرهم من الارتداد لليهودية ٣٦-٣٨
+ حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى ٧٣٢-٧٣٤

قائمة بكتابات

للأب متى المسكين

(يونيو ١٩٩٣)

الثمن : قرش/جنيه

- □ القديس بولس الرسول .... ٤٠٫٠٠
- □ شرح رسالة رومية .... ٣٥٫٠٠
- □ المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا .... ٢٠٫٠٠
- □ شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ١ .... ٣٥٫٠٠
- □ شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ٢ .... ٣٥٫٠٠
- □ القديس أثناسيوس الرسولي .... (تحت الطبع)
- □ الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار .... (تحت الطبع)
- □ حياة الصلاة الأرثوذكسية .... ٢٥٫٠٠

سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- □ التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي .... ٢٫٥٠
- □ العذراء القديسة مريم (ثيئوتوكس) .... (تحت الطبع)
- □ الصليب المقدس .... ٫٥٠ــ
- □ التسبحة اليومية ومزامير السواعي .... (تحت الطبع)
- □ الإفخارستيا والقداس (الجزء الأول: الإفخارستيا) .... (الطبعة الثانية تحت الطبع)

سلسلة «الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية»:

- □ أعياد الظهور الإلهي .... ٧٫٠٠
- □ الصوم الأربعيني المقدس .... (تحت الطبع)
- □ مع المسيح في آلامه حتى الصليب .... ٢٫٥٠
- □ القيامة والصعود .... ٦٫٠٠
- □ الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد) .... ١٠٫٠٠
- □ التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير مع عظة عن الميلاد للأب متى المسكين .... ٫٧٥ــ

مقالات تصلح للخدام والشباب:

- الخدمة (٣ أجزاء معاً) .... ٢٫٠٠
- المسيحي في المجتمع .... ١٫٧٥
- المسيحي في الأسرة .... ـ٫٣٥
- كيف تقرأ الكتاب المقدس .... ـ٫٤٠
- في التدبير الروحي .... ـ٫٧٥
- توجيهات في الصلاة .... ـ٫٤٠

عيد القيامة المجيد:

- القيامة والخليقة الجديدة .... ـ٫٤٠
- القيامة والرجاء الحي .... ـ٫٤٠

عيدا الصعود والعنصرة:

- رسالتان في عيدي الصعود والعنصرة .... (نفذ وسيُعاد طبعه)
- يوم الخمسين في التقليد الآبائي .... ـ٫٥٠
- الروح القدس وعمله داخل النفس .... ١٫٠٠
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي .... ـ٫٥٠

صوم الرسل:

- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة ، والروح القدس وصوم الرسل .... ـ٫٣٥

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:

- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء .... ـ٫٣٠

عيد النيروز:

- الشهادة والشهداء .... ١٫٧٥

(أنظر: قصص مسيحية للحياة).

في الموضوعات الروحية العامة:

- التوبة .... ـ٫٣٠
- التوبة والنسك في الإنجيل .... (نفذ وسيُعاد طبعه)
- العمل الروحي .... ـ٫٢٥
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل .... ٢٫٠٠
- رسائل القديس أنطونيوس .... ١٫٠٠
- الإيمان بالمسيح .... (تحت الطبع)
- حبة الحنطة .... ـ٫٣٥

- أين شوكتك يا موت .... —ر٣٠
- التبرير .... —ر٥٠
- الوحدة المسيحية .... —ر٣٠
- مقالات بين السياسة والدين ١ر٠٠
- ملكوت الله ١ر٧٥
- المرأة حقوقها وواجباتها ٢ر٥٠
- الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي .... —ر٥٠
- لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر ١ر٥٠
- سيرة القديس أنبا مقار ١ر٥٠
- رسائل روحية ٣ر٠٠
- غاية الحياة المسيحية .... —ر٢٠
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي .... —ر٦٠
- رأي في تحديد النسل .... —ر١٥
- الكنيسة الخالدة ٢ر٠٠
- كلمة الله شهادة وخدمة وحياة ١ر١٠
- الوحدة الحقيقية .... —ر٣٠
- لقد وجدنا يسوع .... —ر٣٥
- قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص) ١ر٧٥
- تغيّروا عن شكلكم .... —ر٥٠
- حاجتنا إلى المسيح .... —ر٢٥
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك .... —ر٢٥
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية .... —ر٧٥
- الحدود المتسعة للإيمان بالله .... —ر٦٠
- في تعليم المبتدئين ٢ر٠٠
- قصص مسيحية للحياة: .... (في مجلد واحد) ٣ر٠٠

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وثمن كل كتيب ٢٥ قرشاً).

- سفراء من العالم الآخر .... —ر٢٥
- في زقاق المسيحيين .... —ر٢٥
- قصة استشهاد الرسولين بطرس و بولس .... —ر٢٥
- النيروز وذكرى أيام الشهداء .... —ر٢٥
- أيقونة جميلة .... —ر٢٥
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية .... —ر٢٥

□ قصة طهارة واستشهاد بارع،
القديس فوكا البستاني،
فلسفة الموت عند شهداء مصر ٢٥ر-
□ أولوجيوس والمقعد الرذيل،
المحارب العجوز ٢٥ر-
□ تاييس امرأة الأساطير،
القديسة ميلانية العجيبة،
صلاة فلاح،
اتّباع المسيح وبهرجة الفلسفات ٢٥ر-